سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي ٣

إمام الأمة وقائدها

خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرفض والردة



تأليف

د. حامد محمد الخليفة



للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: إمام الأمة وقائدها، خليفة رسول الله ﷺ ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حامي الإسلام من الرفض والردة- مجلدان

المؤلف: د. حامد محمد الخليفة

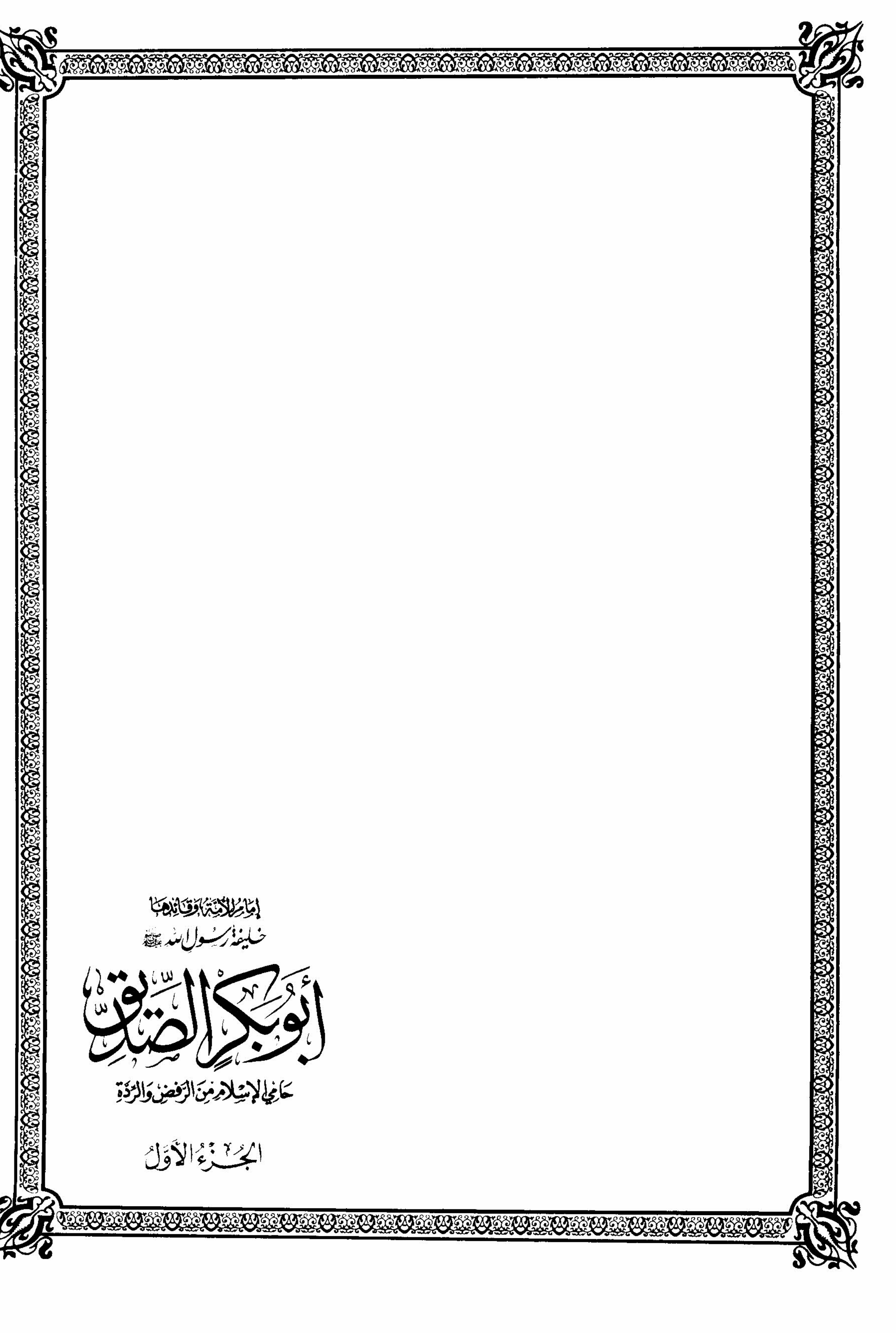
الناشر: الميمان للنشر والتوزيع

التصنيف: التاريخ، حياة الصحابة

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ٢٠١١

تاريخ النشر الإلكتروني: ذوالحجة ١٤٣٦



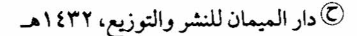
إمام الأمة وقائدها

خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرفض والردة

الجزء الأول



© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليفة، حامد محمد
إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. / حامد محمد الخليفة.- الرياض، ١٤٣٢هـ.
٢ مج.
ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

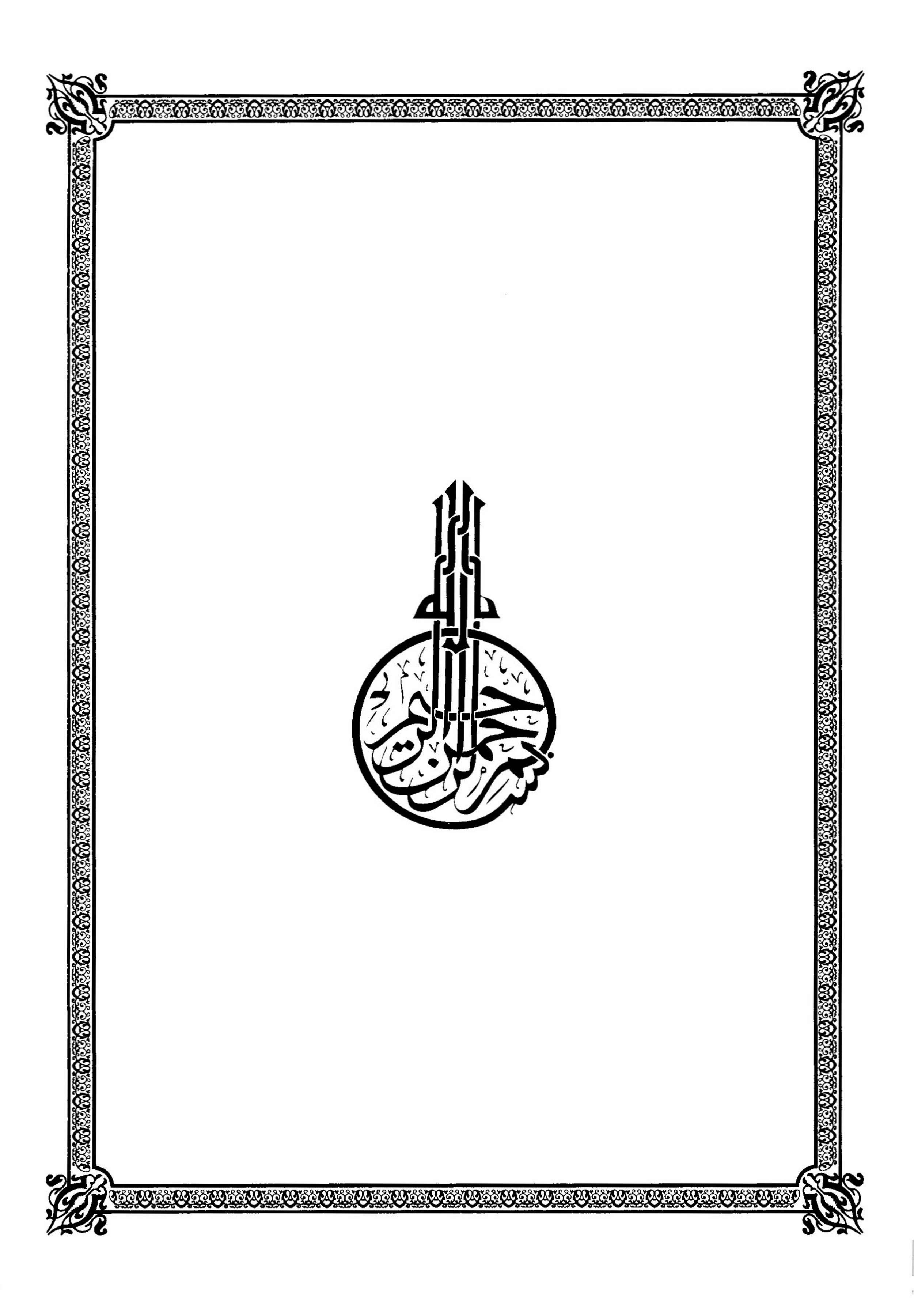
١- أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ قصص
أ. العنوان
ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٣٢/٧٣٨

رقم الإيداع: ٧٣٨/ ١٤٣٢
ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

دار الميمان للنشر والتوزيع - الرياض
الطبعة الأولى ١٤٣٢هجري - ٢٠١١م

دار الميمان للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٦١٣ ص.ب ٩٠٠٢٠
الموقع: *www.arabia-it.com*
البريد الإلكتروني: *info@arabia-it.com*
هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ (٠١) فاكس: ٤٦١٢١٦٣ (٠١)

الصف والإخراج الطباعي وتصميم الغلاف: دار الميمان للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم



إمام الأمة وقائدها

خليفة رسول الله ﷺ



حامي الإسلام من الرفض والردة

الجزء الأول

تأليف

د. حامد محمد الخليفة



للنشر والتوزيع



الإهداء

- إلى الأيدي الطاهرة التي تضع أصابعها على الزناد وتمسك بالقلم وتنفق الدرهم والدينار دفاعًا عن الكتاب والسنّة وحملتهما وحُماتهما أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

- وإلى جميع محبي خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

- سائلًا الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

المؤلف

مُقَدّمة

الحمد لله الذي أرسل عبده ورسوله محمدًا ﷺ بالهدى والنور المبين، وجعله إمامًا وقائدًا للغر المحجلين، واختار له خير الأصحاب من الأنصار والمهاجرين الطيبين الطاهرين، الذين أزالوا بعدل جهادهم ظلم المشركين، وبغي ومكر الرافضة المرتدين، أتباع مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنبئين، وأطفئوا بنور عقيدتهم نار المجوس الملحدين، وطغيان الروم الصليبيين، ومن والاهم من الأتباع المنافقين، فكانوا بعدلهم وجهادهم خير أمة أخرجت للناس أجمعين.

والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، الذي ربى وزكى الصحابة النجباء[1] الأكرمين، خيرة الله في العالمين؛ أئمة الهدى والتقى لمن جاء بعدهم من المسلمين والمؤمنين؛ وفي مقدمتهم قائدهم وإمامهم بعد نبيهم ﷺ الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ في الأمة والدين، أبو بكر رضي الله عنه السبّاق إلى كل خير الصاحب الأمين.

وبما أن محبة أصحاب رسول الله ﷺ واجب شرعي على كل مسلم؛ وشكرهم والثناء

---

(١) من مكر أعداء الصحابة بالأمة أنهم لا يجاهرون بعداء الصحابة إن لم تكن لهم شوكة، ليموهوا ويلبسوا على المسلمين بالصلاة على الصحابة المنتجبين أو النجباء فيقولون: وعلى (أصحابه المنتجبين) وهم يقصدون بذلك ثلاثة من الصحابة فقط؛ هم علي وسلمان وعمار رضي الله عنهم، وإلا فدينهم قائم على لعن الصحابة وتكفيرهم، ودعاء صنمي قريش الذي يشتمون به أمة الإسلام وأئمتها هو أهم طقوسهم التي يتعبدون بها في دينهم! الكليني: روضة الكافي، ٨/ ٢٦٤. والله تعالى قال: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

عليهم وموالاتهم من ألزم تلك الواجبات، ولمّا كانت محبتهم لا تتم إلا بمعرفتهم والوقوف على فضائلهم ومناقبهم وخصائصهم وتفاصيل سيرهم، وعظيم إنجازاتهم وفائق بطولاتهم وكرمهم وعلمهم وشجاعتهم، والإحاطة بجميل صفاتهم وعميق إخلاصهم وسمو قيمهم؛ وشهادة الله تعالى ورسوله ﷺ لهم بصدق إيمانهم وحسن تدابيرهم، وتتويج ذلك برضا الله عنهم، قال تعالى: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] مما جعل معرفتهم معرفة للدين ومقاصد النبوة، والجهل بهم جهلًا بالدين وبالنبوة.

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم من قام بأمر الله ورسوله ﷺ أصبحوا غرضًا وهدفًا لأعداء الإسلام والمسلمين فتطوعت أقلام الرافضة والمنافقين وكثير من العلمانيين والمستشرقين، فضلًا عن الملحدين والمتطرفين من اليهود والصليبيين للانغماس في نتن الكذب والبهتان والافتراء والتدليس على كتاب المسلمين وسنة النبي الأمين ﷺ وعقيدة أصحابه الأكرمين رضي الله عنهم فكان من ثمار ذلك التحالف الآثم في هذا العصر علقم هذه الحملات التي استهدفت تشويه سيرة الرسول العظيم ﷺ التي يقودها اليهود والصليبيون في الغرب، ويتردد صداها على أيدي حلفائهم أعداء الصحابة الحاقدين؛ بقتل محبي السنة المطهرة؛ وكل من يتسمى بأسماء الصحابة الميامين، وحرق مساجدهم وتدنيس مصاحفهم واغتيال أئمتهم لا لذنب سوى أنهم يحبون الله ورسوله ﷺ وعباده الصحابة المطهرين.

لكل ما سبق ولغيره أصبح فرضًا واجبًا على المسلمين الذين يعيش معظمهم في لهوهم سادرين تلمّس وسائل المواجهة الشاملة؛ مع من أعلن بالعداوة لهم ولعقيدتهم وعلى الصعد كافة، فانتهك الأرض والعرض وافترى على العقيدة ومزق الهوية واغتصب الثروات وسفك الدماء، فلم يعد في هذا العصر سوى طريق الاحتماء بعقيدة الكتاب والسنة، والإمساك بسواري رايات وأعلام الصحابة الأكرمين، والتمترس في خنادقهم والسير على دروبهم، والأخذ بتدابيرهم في مواجهة الأعداء القادمين من أبعد الآفاق، وحلفائهم المقيمين بين

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

ظهراني الأمة؛ يجنون خيراتها، ويلعنون أخيارها، ويكشفون عوراتها، ويفشون أسرارها، ويفسدون أجيالها، وينصرون أعداءها.

ولما كان خليفة رسول الله الصدّيق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه هو الذي شمّر عن سواعد الجد؛ فكتّب الكتائب وجيّش الجيوش وأفصح بإعلان المواجهة الشاملة على أعداء الدين والأمة، من رافضي الخلافة المرتدين، وإخوانهم من اليهود والمنافقين، ومن بعدهم المجوس والصليبيون وواجه كل ذلك الركام الهائل؛ من الجهل والطغيان والظلم والإفك والغدر والمكر والعداوة؛ فأظهر فهمًا وعلمًا وفقهًا لحركة الواقع المحيط بأمة المؤمنين في عصره، أثمر الانتصارات تتلو الانتصارات والنجاحات تتلو النجاحات، حتى أزهرت شجرة قيادته بثبات الدين وسحق عدوان الرافضة المرتدين وأئمتهم المتنبئين الكذابين، فأزال دولة المجوس الظالمين، وطرد وقهر الروم الطغاة الصليبيين من كل المواقع المحيطة ببلاد المسلمين.

لهذا أصبحت معرفة سيرة خليفة رسول الله فرضًا واجبًا على كل السائرين على منهج سيد المرسلين ﷺ، ووسيلة أولى من وسائل علاج جراح الأمة وسد ثلمات الغدر التي أوجدها أعداء الصحابة في جدارها الحصين، وأصبحت البلسم الشافي والشهد الصافي لجموع الظامئين، المتجرعين مرارة ثمار الهزيمة والانبطاح وموالاة الظالمين ومسالمة الطامعين ومودة المرتدين، إنها سيرة قائد الأمة وإمامها خليفة رسول الله؛ فالأعداء هم الأعداء، والحلفاء هم الحلفاء، والظروف ذاتها، والمواجهة هي المواجهة، فَلِم الحَيْدة والانحراف والتضليل؟!

وما يجب أن يعلمه المؤمنون أن العلاج الذي وصفه وعمل به الصدّيق رضي الله عنه في عصره هو العلاج الناجع لعصرنا ولا شيء سوى ذلك، وكل من يسير على غير هذا الهدي، وعلى غير ما خطط له الصديق رضي الله عنه فإنه سيجد نفسه يسير في متاهة لا علامات على مفترقاتها، ولا دلائل لمنعطفاتها، لهذا لا بد من فهم وفقه وعلم سيرة خليفة رسول الله

ودراستها دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج واضحة؛ تثمر رسوخ العقيدة في القلوب، وتسرج المصابيح التي تنير لأهل السنة جميع الدروب، حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الصحابة من قهر الأعداء جميعًا وإنجاز المهام كافة، على منهج وسياسة إمام الأمة وقائدها الصديق رضي الله عنه.

وقيامًا بهذا الواجب الذي لأصحاب رسول الله ﷺ في عنقي وعنق كل مسلم أدليت بدلوي في هذا المعين الذي لا ينضب، لعلي أجلب لنفسي ولإخواني من أهل السنة جميعًا شربة تجلو الظمأ وتزيل مرارة الألم وعلقم الحسرة، الذي ضاقت به الصدور وانكسرت منه النفوس، لما وصل إليه حال الأمة من الهوان والتمزق وضعف الولاء، وقتل الأخيار واستباحتهم وسجنهم وتشريدهم، والإسهام المستمر في تشويه إنجازاتهم وقلب مسمياتهم والاصطفاف مع الأعداء لهزيمتهم، والحيلولة دون عودتهم إلى معين حضارتهم ومعدن هويتهم ودروب أئمتهم، وسنة نبيهم ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى هذا الأساس تأكد جليًّا أن جميع الأحداث التي مرت بالأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ أثبتت وبكل جدارة ووضوح أن إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ هو خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وليس في هذا أية مغالاة أو تجاوز على أحد، بل إن التجاوز والوهم عند من يعتقد أن هناك إمامًا غير الصديق في عصره، أما النبوة التي يرعاها الوحي فهي أعظم من القيادة والسيادة والإمامة المجردة، وما هذه الصفات إلّا أعمدة في بنيان النبوة والرسالة؛ فعندما يوصف النبي بالقائد لا يعد هذا هو المدح المتوافق مع مقام النبوة، التي خير ما يوصف به رائدها بأنه نبي الله ورسول الله، لما يشتمل ذلك على الإمامة والقيادة والسيادة وعامة المكارم وملكات البشر؛ مضافًا إليها العصمة ورعاية الوحي والعناية الربانية؛ التي لها علم الغيب والخفض والرفع ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

أما خليفة رسول الله فهو الإمام الذي أقامه رسول الله ﷺ مقام الإمامة من بعده، فهو إمام الأمة الذي نصبه نبيها ﷺ بإقرار من الوحي، وقبول ورضا وسرور من الأمة بأجمعها خلفًا عن سلف، فخليفة رسول الله هو الإمام الشرعي للأمة، وكل من يزعم أن للأمة إمامًا بهذا المعنى أولى من خليفة رسول الله فهو مفتئت على رسول الله ﷺ ومتجاوز لكل الآداب والعلوم والأعراف التي سار عليها المهاجرون والأنصار. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن من يردد الإمامة بهذا المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ لغير أبي بكر فإنما يُخشى عليه أن يكون مصابًا بلوثة رافضية أو نزعة شعوبية، ولا سيما من يرددون ذلك لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خاصة من دون الصحابة؛ فإنما هم صدى لأعداء السنة ممن يزعم أن هناك في الأمة معصومين غير رسول الله ﷺ مفتريًا على الله ورسوله ﷺ، فالإمام هو أبو بكر؛ لأن رسول الله ﷺ وعمر وعثمان وعليًّا رضي الله عنه والمؤمنين جميعًا أبوا أن يكون في الأمة إمام غيره، والصحابة جميعًا أئمة وقادة وسادة كل في مقامه من السابقة والجهاد في سبيل الله؛ ولكن لا يستطيع عاقل في هذا الوجود أن يشكك بأن إمامهم وقائدهم جميعًا - بعد نبيهم ﷺ - هو خليفة رسول الله لقوله ﷺ: **«لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»**[1]، وقوله ﷺ: **«فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر»**[2] فمن هذا الذي يردّ حكم رسول الله ﷺ ليهَب الإمامة لمن يشاء وينزعها عمَّن يشاء بوحي من أوهامه؟!

وخلافة رسول الله ﷺ هي أيضًا لأبي بكر رضي الله عنه وحده، كما هو معلوم في النصوص الصحيحة التي ستذكر في مواضعها؛ وكما صدّق ذلك الواقع التطبيقي الذي عاشته الأمة وأجمع عليه المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم؛ وما سواه هم

(١) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر كليهما رضي الله عنهما، ح (٣٦٧٣).

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ك. الفضائل، باب: فضائل أبي بكر، ح (٦١٣١). ابن حنبل، المسند، كتاب وباب حديث عائشة، (٢٤٥٨٩).

خلفاء لأبي بكر ومن جاء من بعده؛ أو أمراء للمؤمنين، وما ذلك إلا لأن هذا هو مراد رسول الله ﷺ وإقرار الوحي بأن أبا بكر هو ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ وهذا ما اختص به من دون الأمة، لا يماري في ذلك إلا متهم على الكتاب والسنة؛ أو مرتد رافض لأمر رسول الله ﷺ وحكمه المؤيد بالوحي.

أما القيادة بعد رسول الله ﷺ فهي لأبي بكر رضي الله عنه وحده كما كان يمارسها إلى جنب رسول الله ﷺ في علاقات المسلمين مع مشركي مكة وغيرهم، وكما هو في عريش القيادة يوم بدر ومع الأسرى؛ وفي بقية المشاهد الكبرى يوم الحديبية ويوم الفتح ويوم حنين ويوم تبوك وغير ذلك، وكما ينطق بذلك واقع الأمة الداخلي والخارجي، وقد ظهر ذلك لكل ذي لب منذ وفاة رسول الله ﷺ، فقد برزت القيادة المطلقة عندما أصيب وجوه الناس ورؤساؤهم بالذهول والدهشة لفقد نبيهم ﷺ، فمنهم من أُقعد ومنهم من أُخرس ومنهم من أنكر موته ومنهم من أصيب بغير ذلك، وفي وسط تلك الفاجعة وذلك المصاب الأعظم برز أبو بكر رضي الله عنه كقائد وحيد في ذلك اليوم العصيب الذي لن تمر الأمة بأصعب منه في محيط عقيدتها ووحدتها. لقوله ﷺ: «**من نجا من ثلاث فقد نجا**». قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه، والدجال**»[1]. ولم يمنع خليفة رسول الله ﷺ وهو يعالج زفرات فراق صاحبه التي كوت فؤاده بجمر الحسرة والأسى على من كان منبع العلم ومائدة الإيمان وفيض الجود ومرتع الوحي ومبتغاه، وآلام الوحشة والوحدة التي كان يشعر بها بين من لم يستطع أن ينظر إلى الأحداث بما كان ينظر إليها رسول الله ﷺ، فكان على خليفته رضي الله عنه أن يتلقى كل تلك الأعباء وألا يشغله مصابه الأكبر بفقدان صاحبه الأعظم ﷺ بالتواني عن تحمل الأعباء التي كان يقوم بها ﷺ فنهض بذلك وحيدًا وعلى أتم وجه وأكمله، فقد أقرّ وفاة رسول الله ﷺ بخطبته العصماء الشهيرة الفريدة؛ ووضع المسلمين أمام مسؤولياتهم التي أعدهم ﷺ لتحملها، وكان وحيدًا في ذلك حتى استقرت

(١) الحاكم: المستدرك، ٣/ ١٠١. ابن شبة: تاريخ المدينة، ٢/ ١٨٨٢. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٠.

القلوب وهدأت النفوس، وأنفذ جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ مع كل الأخطار التي كانت محدقة بالإسلام والمسلمين دون أن يكون له من الأمة معين أو نصير لهذه الوجهة، فكان وحيدًا في ذلك الصرح القيادي الشامخ؛ فهو في صف وحده والأمة كلها في صف آخر، لم تستوعب وجهته التي بقي ثابتًا عليها حتى انقادت له أمة المهاجرين والأنصار وعلموا أن الحق والرشد في الاقتداء بأمره رضي الله عنه الذي جنوا من ثماره اليانعة وحدة الصف ورسوخ التوحيد والسنة، وامتداد الإسلام وعزه، وأمن الأمة وهيبتها.

ثم أمره رضي الله عنه بقتال من فرّق بين الصلاة والزكاة ومن رفض الزكاة[1] والانقياد لخلافة النبوة على الرغم من شدة المعارضة في بداية الأمر والخوف من قتال من يقول لا إله إلا الله، وعدم استيعاب رؤية خليفة رسول الله للفارق الكبير بين ما كانوا يرونه وبين ما يراه خليفة رسول الله بعين صاحبه الذي كان يستحضر رؤيته ﷺ القيادية النبوية، التي تشرّبها في قلبه ولبه ووسائل تصديه للنوائب، وفي مقاصده ومراميه وثقته ويقينه، ولاستيعابه الكامل لهدي ونور ودلائل وإشارات النبوة، التي كانت تستشرف الأحداث وترسم مستقبل الأمة.

---

(١) كما هو الحال عند أعداء الصحابة الذين أسقطوا الزكاة ومصاريفها التي أمر بها القرآن الكريم للفقراء والمساكين.... واستبدلوا ذلك بأخذ خمس أموال أتباعهم مع علمهم أن الخمس لا يكون إلا من غنائم الجهاد مع الكفار والمشركين. قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١] وهم يُلبسون على أتباعهم أن ذلك من الدين!! فيستلبون أموالهم لقضاء مآربهم ولتهيئة المدارس وتربية منتسبيها على بغض السنة وكراهية الصحابة وشراء ضعاف النفوس من الخائبين المحسوبين على أهل السنة النبوية، ليرددوا مع أعداء الصحابة شتم الأطهار، وأن السني نجس كما هو في عقيدتهم، بل هو شر من ذلك ولكن الغوغاء لا زالوا غارقين في جهلهم. ينظر الفيض الكاشاني، الوافي، ١/ ١٤٣. وقوله: إن الناصب - أي السني - أهون على الله من الكلب. وقولهم إذا سلمت على الناصب - السني - فاغسل يدك. الكليني: الكافي، ٢/ ٦٥٠. الكاشاني: الوافي، ٢/ ٤٤٣. باب التطهر من مس الحيوانات... والناصبي - أي السني - شر من الحيوانات. فماذا يقول مخادعو الأمة دعاة التقريب المزيف مع أعداء الصحابة ورافضي السنة ومبغضي العرب؟!! وإلى متى يغشون أهل السنة ويدجنونهم؟!

وبعد أن تمكن خليفة رسول الله من دحر الردة وسحق الجاهلية بعدل الإسلام وحسمه وثب وثبته القيادية الفريدة في التاريخ، وانطلق انطلاقته الكبرى حينما أذهل بجند الإسلام وأخلاقهم وقوتهم وسماحتهم دولة المجوس الفارسية، فقوض أركان كبرهم بالعدل والتواضع ونور التوحيد وقوة الحق التي لم تبقِ ركنًا من أركان دولة عبدة النار إلا وتزلزل مترنحًا من أثرها المادي والمعنوي والحضاري، في الوقت الذي فرّ فيه قيصر الروم مهزومًا إلى جحره في القسطنطينية، مودعًا سوريا وداعًا لا عودة بعده أبدًا، وبذلك أسس خليفة رسول الله انطلاقة الإسلام العالمية البديلة بعدلها وهديها عن بغي الجاهلية وظلم المجوسية وطغيان الصليبية ومكر اليهودية، وقد تمكن بذلك من وضع الأمة على مسارها الصحيح تحت ظلال التوحيد وقواعد العدل على القريب والبعيد، فأصبح الموقف من خلافته والإيمان بها فرضًا من فرائض حماية السنة، وبابًا من أوسع أبواب عز الأمة وأمنها؛ بل إنها أصبحت فيصلًا بين المؤمنين برسول الله ﷺ وما جاء به؛ وبين المنافقين الرافضين للسنة، المكفرين لأهلها[1]، المخربين لعقيدتها، الموالين لأعدائها، المزيفين لموروثها، الممزقين لهويتها.

فأصبح الموقف من إمامة خليفة رسول الله فيصلًا بين السنة والردة، فأما السنة فقد تأكدت فيما سبق من أحاديث، وأما الردة فيؤكدها من يرفض خلافته رضي الله عنه كما هو حال أعداء الصحابة الذين صبوا جام بغضهم وكراهيتهم وتضليلهم، وكل طاقات مكرهم وكيدهم لطمس إنجازاته الباهرة في خلافة النبوة وتقبيح محاسنها ورفضها، ورد كل ما جاء في إثباتها عن رسول الله ﷺ حتى قال قائلهم مفصحًا عن حقيقة حالهم: «إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[2] معلنًا المفاصلة والمقاطعة التامة مع السنة النبوية ليحرق بذلك كل الأوراق والمسميات التي لا زالت تُخدع بها طبقات كثيرة من أبناء

---

(١) ينظر: موقف الخميني من أهل السنة، ١١. لله ثم للتاريخ، ٨٢. الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٩ فما بعدها.

(٢) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٧٨.

الأمة فيُلقى بها في أوحال الوهن والضياع والتيه؛ من بعض العابثين المحسوبين على السنة، ممن لا زالت مواقفهم المسقطة للهوية والفاقدة للانتماء تسهم في تصدع الصف وتمييع المواقف وتمدد دين أعداء الصحابة في بلاد المسلمين، تلك المواقف الهدامة والمريبة التي ما زال يرددها الجهلة والمفلسون بأنه من الممكن التقريب بين القرآن والسنة؛ وبين الرفض والردة، وبين وضوح الإسلام وسماحته؛ وضبابية أعداء الصحابة وباطنيتهم.

فالموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه له أبعاد عميقة ودلالات عديدة، حاسمة في الولاء والبراء والانتماء والهوية؛ وهو فيصل بين القبول بموروث الأمة ونتاجها الشرعي والحضاري؛ وبين رفض ذلك وإعادتها إلى منحدر الجاهلية وحافة الردة، فأبو بكر رضي الله عنه عظيم في حياته؛ عظيم في جهاده؛ عظيم بعد وفاته؛ ولعل من مظاهر تلك العظمة أنّ رفض إمامته يكشف المتربصين بالسنة وأهلها، فمبغضو خليفة رسول الله الذين يمدون أيديهم إلى كل آثم وقاتل ومحتل؛ ليمتطيهم فيجوس بهم ديار المؤمنين ومقدساتهم وثرواتهم؛ أولئك هم الشر القريب والخطر الداهم، وهم الامتداد الطبيعي لمن قال الله فيهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

وفي سيرة خليفة رسول الله تبين موقفه الحاسم من هذا الشر الذي أعلن الحرب على الكتاب والسنة وحملتهما، فتجلت في ذلك الموقف مواصفات خلافة النبوة وما يتمتع به الصدّيق رضي الله عنه من نفحات إيمانية خالدة، وقدرات بشرية خارقة، ومواقف تاريخية هائلة وسمات حضارية رائعة، أكد من خلالها أنه هو الثاني في الأمة؛ وأنّ أي مسلم لا يواليه فهو ليس من الأمة وإن زعم، وكيف يكون من الأمة من دينه بغض إمامها، ورفض إجماع المهاجرين والأنصار وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه الذي بايع وناصر وتابع وسمع وأطاع مخلصًا محبًّا أمينًا لصدّيق الأمة وقائدها وخليفة نبيها ﷺ؟!

وقد يقال: إن الخوض في مثل هذه المسائل لا طائل منه بعد هذه القرون وأن المُتّبع في

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

ذلك هو الامتثال لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] وهذا القول صحيح في ذاته، ولكن هل يجوز السكوت عمّا يقوم به أعداء الصحابة ومبغضو السنّة في هذا العصر من التلبيس والتدليس والبهتان، وما يمارسونه من تغذية مستمرة للإفك وثقافة الكراهية للصحابة رضي الله عنهم، والحقد الأعمى على أمتهم وتشكيك الناس بعقيدتهم، فهل يصح تجاهل ذلك وترك الحركات والثقافات الرافضية الهدامة تعيث في هويتنا خرابًا وتمزيقًا لتحقق المزيد من النجاحات في تجهيل الأمة ونبذ ماضيها المشرق وقطع ينابيع تواصلها مع الصحابة رضي الله عنهم واستبدال أنوار الخلافة الراشدة، بظلمة المرجعيات وجاهلية العصمة المخادعة، التي يزعمون كفر من لا يؤمن بباطلها[2]؟

ونظرًا لإدراك أعداء الصحابة لأصالة دور الخلافة الراشدة قاموا باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وحاولوا اغتيال كبار قادة الأمة وفي مقدمتهم معاوية بن أبي سفيان حليم الأمة، وعمرو بن العاص سياسيها البارع رضي الله عنهما، ولمّا فشلوا في قتل هذين القائدين حاولوا اغتيال الحسن بن علي رضي الله عنهما محب الأمة الغيور على وحدتها، لكنهم طعنوه ولم يتمكنوا من قتله، فلما فشلت الرافضة في ذلك استدرجوا الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة ثم تخلوا عنه ونقضوا كل الوعود والعهود والأيمان التي قطعوها له، دون أي وازع من حياء أو دين، وبدلًا من نصرته ومبايعته بالخلافة قاموا بقتله بين ظهرانيهم، فأوقدوا هذه الفتنة المتجددة التي لا زالوا يغذونها حقدًا وكراهية؛ مستعينين على تسعيرها باستغفال دعاة التقريب الذين لا زالوا يمهرون لهم صكوك الأخوة والمودة مع مخالفة ذلك لسيرة خليفة رسول الله وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

(٢) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٥. وفيها أن أهل السنة مستباحو الدم عند الرافضة كما هو ثابت في أمهات مصادرهم وفي واقع حكمهم، وعقيدتهم في أهل السنة في حال قوتهم، وأن صاحب الأمر يعامل أهل السنة معاملة الكفار، ينظر: العاملي، وسائل الشيعة، ١٨/ ٤٦٣. الصدوق، علل الشرائع، ٦٠١. الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٨٠.

عنهم، لكل ذلك استمات أعداء الصحابة في وضع كل ما يمكنهم من العقبات أمام عودة الخلافة التي ترعى آل البيت النبوي وتكرمهم، وأحكموا ذلك بكل وسائل المكر والباطنية والتآمر على الإسلام وأهله، فبنوا دينهم على عداوة الصحابة وكراهية أمهات المؤمنين وأعلام السلف ورفض السنة، وجعلوا من أركان عقيدتهم مناهضة عقيدة القرآن والسنة، والشهادة على الصحابة بالردة وانعدام الأمانة[1] ودونوا لذلك طلاسم وأباطيل حولوها إلى أوراد ينفثونها في معابدهم، تدعو أتباعها إلى التحالف مع كل عدو للأمة يعمل على طمس دين الصحابة رضي الله عنهم وهوية أمتهم.

ونظرًا لكل ما سبق ولغيره فإن التمسك بالهوية المنبعثة من بين صفحات الكتاب والسنة وفقه الصحابة وفكرهم وحضارتهم ومواقفهم، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله بكل موروثه الزاهر المشرق الذي وحد الأمة وأطفأ الفتنة واجتث الرفض والردة؛ وباشر الفتوح وسار بالأمة على منهاج النبوة الطاهر القويم، يُعدّ من أولى بصمات سلامة تلك الهوية وأصالتها وصدق انتمائها إلى الأمة؛ التي أثبت أبو بكر رضي الله عنه وبكل جدارة واقتدار وإخلاص أنه الخليفة الحق لنبي الحق وأمة الحق، وأن كل من لا ينقاد له إنما يسير حائدًا عن الحق بعيدًا عن الرشد مناطحًا لثوابت الإيمان وحقائق العقيدة والواقع الصحيح، وحربًا على القرآن والسنة المطهرة.

ولا يوجد مسلم عاقل يشك بأن خليفة رسول الله ﷺ هو الأقدر على ملء الفراغ الذي تركه غياب رسول الله ﷺ، الأكثر خبرة قيادية ومعرفة سياسية، والأعرف بشؤون القبائل العربية وحركة الواقع العسكري والسياسي والاقتصادي للدول المجاورة وتحالفاتها مع الكيانات السياسية التابعة لها في أطراف بلاد العرب؛ إضافة إلى ما توصل إليه من المراتب العلمية والقيادية والفقه والإحاطة بتطلعات رسول الله ﷺ نحو مستقبل الأمة وما أشار إليه ﷺ من تحذيرات وإرشادات للتعامل مع ما سيعترض سبيل الدعاة والمجاهدين،

---

(١) ينظر: الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٣ فما بعدها. الشافعي، الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٧٥ فما بعدها.

وما صدر عنه من مبشرات وإشارات تؤكد للمؤمنين أن المستقبل لهذا الدين وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

فكان الصحابة رضي الله عنهم يلمسون في مواقف الصديق رضي الله عنه روح النبوة والانقياد الكامل لتعاليمها ورؤيتها وثقتها ويقينها الذي لا يتردد ولا يضعف ولا يستكين أمام المستجدات والصعاب، لكل هذا ولغيره كان أبو بكر هو المؤهل والمهيأ والأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ دون أي شك أو منافسة عند أحد من المسلمين.

ولعل من أبرز الأمور التي تؤكد ذلك أنه لا يمكن لباحث مهما محّص وبحث وقرأ؛ أن يأتي برواية واحدة بسند صحيح يطعن فيها صحابي واحد أو يتشكك في صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أن صحابيًّا واحدًا لم يخاطبه بـ «يا خليفة رسول الله» فضلًا عن أن يجد منافسًا أو رافضًا لتلك الخلافة الراشدة من المؤمنين.

وعلى ضوء هذه الحقائق أصبح خليفة رسول الله ﷺ هو الميزان الذي تمتحن عليه العقائد، وتقاس عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنة؛ فكل من لا يحب خليفة رسول الله ويواليه ويعتقد خلافته فهو خارج دائرة الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى غير الكتاب والسنة؛ إذ إن خليفة رسول الله هو باب المهاجرين والأنصار؛ وباب الكتاب والسنة، وباب رسول الله ﷺ القائل: «**لو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر**»[1].

فكيف يزعم مبغضو خليفة رسول الله أنهم داخل البيت الإسلامي وهم لا يعرفون بابه مع كل ما أرشد إليه وأشار له رسول الله ﷺ؟! فمن أي باب دخل أولئك الذين يزعمون أن الخلافة لا تجوز إلا في آل البيت[2] ولكنهم إذا هيمنوا على أي إقليم أو دولة إسلامية فإن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «**سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر**». (٣٦٥٤).

(٢) الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ٢١٧، ٢٢٢.

المراقب الحصيف يلاحظ كيف يسارعون إلى ورثة آل البيت الصفوي، أو آل بيت هولاكو أو آل بيت بريمر أو غيرهم، يقدمون لهم فروض الطاعة القائمة على بغض كل ما هو عربي يستند إلى الكتاب والسنة، في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم مسلمون وليسوا علمانيين أو ملحدين، وفي صلافة تدعو إلى التساؤل المر لما يقع به كثير من الغوغاء والمغفلين، ألا وهو أين آل البيت النبوي الهاشمي القرشي، الذي يرفعون راياته تلبيسًا وتضليلًا ويزعمون أن الخلافة لا تصلح إلا فيه؟! فكيف يوفق أولئك الهالكون بين هذه الحقائق وبين ما كانوا يزعمونه؟! أم أن الغاية تبرر الوسيلة في دينهم؟ وأن حرف الأمة عن منهج الصحابة يبيح لهم كل شيء يوصل إلى تلك المقاصد المدمرة؟!

ولتأكيد ما سبق ولإسقاط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة والعابثون المفلسون ممن يحسبون على أهل السنة النبوية المطهرة، فإنه لا إسلام بدون خليفة رسول الله، وأنّ كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ اليهودي وابن ملجم الرافضي، وزنادقة الكوفة الذين مرنوا الدس والبهتان وامتهنوا الإفك وتسعير الفتن؛ وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأي ثمن، لكل هذا فإن شعار هذه الدراسة هو: إما خليفة رسول الله والسنة، وإما الرفض والردة، فمن أحب رسول الله ﷺ وآمن به؛ لا بد أن يؤمن بسنته وخلافته وإمامة صاحبه أبي بكر الصدّيق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي إمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ وأن من رضي بذلك عليه أن يعرف ما يؤمن به من سيرة هذا الإمام القائد والخليفة الراشد، ليعلم كيف ثبّت الله به السنّة وقمع به الفتنة التي قادها المرتدون بكل ضلالهم وفجورهم.

واليوم وقد بُعث دين الرفض والردة من جديد، مضافًا إليه التحالف مع المعتدين على بلاد المسلمين، أصبحت الأمة أحوج ما تكون إلى معرفة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وفقه سيرته بمواقفها وتطلعاتها التي قهرت المعتدين وقومت المرتدين، وفضحت الكذابين المتنبئين الذين يزعمون العصمة لغير رسول الله ﷺ وحفظت الأمة من مكرهم

وكيدهم وتعاونهم مع الفرس المجوس واليهود والصليبيين. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[1].

وما هذه الدراسة إلا لبنة متينة استقرت في موضعها على أسس منهاج وفتاوى أئمة أهل السنة[2] الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن السنّة وحملتها، وما والى ذلك المنهج النقي الأصيل لتأخذ مكانها في الحصن الذي يجب أن يشيده الأخيار من أهل السنّة؛ بينهم وبين أعداء الصحابة، ليرد المتساقطين من المخدوعين والمنتفعين، ويصد المهاجمين المعتدين، ويفضح الماكرين المخربين، ويحمي الكرام المدافعين الساهرين على نصرة السنّة وحماية أهلها.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) فتوى الإمام مالك فيمن يغتاظ من الصحابة استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ وقوله: (الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم ولا نصيب في الإسلام) السنة للخلال (٢/ ٥٥٧). فتوى الإمام أحمد (إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب محمد ﷺ بسوء لا أراه على الإسلام) الصارم المسلول: ٥٧٠، الخلال: السنة، ٥٥٧. و(من طعن في عدالتهم، واستحل شتمهم فهو كافر بلا خلاف) الصارم المسلول: ٥٨٢. الصواعق المحرقة، ٣٧٧. فهل يوجد رافضي لا يشتم الصحابة؟! قول الإمام الشافعي: لا تصلِّ خلف الرافضي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٣١. وتقرير شيخ الإسلام ابن تيمية بأن: (الرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم) الإنصاف، ٥٢. وعن فتاوى الأحناف في الرافضة ينظر: فتاوى السبكي ٢/ ٥٧٦ أصول الدين، ٣٤٢. للالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٤/ ٧٣٣. قول الإمام البخاري في الرافضة: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون - لا يزارون - ولا يناكحون، ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم. خلق أفعال العباد: ١٢٥. وليعلم الغافلون نباهة أئمة أهل السنة ومعرفتهم بمكر الرافضة وليظهر جهل أئمة التقريب بعقيدة الرافضة، أو تلبيسهم على الأمة. وينظر الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٩ فما بعدها. وزهو الرافضة وفخرهم وتشفيهم بقتل أهل السنة، ١٥٢ فما بعدها. ومن لم يقرأ الفتاوى فليقرأ الواقع وما يجري على أيدي الرافضة لأهل السنّة من المآسي؛ في ظل التحالف مع الغزاة والمحتلين من الصليبيين والعلمانيين والبوذيين وغيرهم وليقارن بين ما حذّر منه أئمة أهل السنّة، وبين فتاوى أئمة الرافضة وما يفعلونه. ليعلم المسلم الشر فيتقيه ويحذره.

وقد بنيت هذه الدراسة على «**سبعة فصول**» **في** كل فصل عدد من المباحث.

تناول **الفصل الأول**: دراسة شخصية خليفة رسول الله وإسلامه، **وذلك في ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول اشتمل على البحث في اسم الصديق ونسبه وألقابه وأسبابها ومعانيها.

والمبحث الثاني: في أسرته؛ والديه وأولاده وأمهاتهم، ومواليه.

والمبحث الثالث: إسلام خليفة رسول الله وصفاته وموقفه من الدعوة وآثار ذلك عند النبي ﷺ والمسلمين وعند المشركين.

الفصل الثاني: يتناول خليفة رسول الله أبا بكر الصديق في (الإمامة والقيادة) فأظهر خصائص وفضائل ومناقب ومزايا ومواقف خليفة رسول الله **في ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية «الإمامة والتمكين والبراءة من المرتدين ومواقف السبق واليقين».

المبحث الثاني: خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشتركة.

الفصل الثالث: أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في عصر الرسالة، **في ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة.

المبحث الثاني: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة.

المبحث الثالث: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة.

الفصل الرابع: الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه **في أربعة مباحث**:

المبحث الأول: إمامة الصدّيق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ.

المبحث الثاني: موقف خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار:

أولًا: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانيًا: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

المبحث الرابع: الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر بإجماع الصحابة.

الفصل الخامس: حول منهجه في حياته وإدارته في **أربعة مباحث**:

المبحث الأول: منهج خليفة رسول الله في الزهد ومحاسبة النفس والأهل.

المبحث الثاني: ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في منهجه الاجتماعي والإداري.

المبحث الرابع: في الشؤون المالية.

الفصل السادس: موقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق من إنفاذ جيش أسامة ومن حركات الرفض والردة في **أربعة مباحث**:

المبحث الأول: موقف خليفة رسول الله من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: أقسام الرفض والردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها.

المبحث الثالث: الموقف من المتنبئين والمرتدين «الأسود العنسي وطليحة بن خويلد الأسدي وموقف بني عامر وهوازن وبني سليم».

المبحث الرابع: موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين واليمن وعُمان وحضرموت.

الفصل السابع: فتوح العراق والشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

المبحث الأول: فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

المبحث الثاني: فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: عهد الصدّيق إلى الفاروق بالخلافة، ووفاة خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه.

الخاتمة.

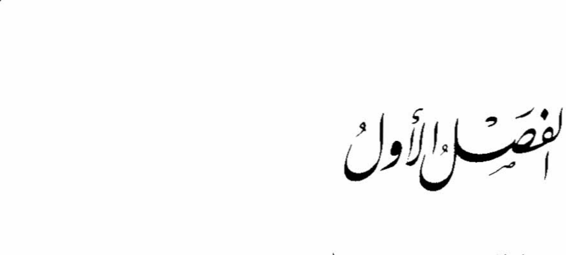
قائمة المراجع والمصادر.

وفي نهاية هذه المقدمة فإنّ هذا جهد المقل وعطاء الفقير وموقف الغريب، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ويسبغ عليه القبول عنده وعند أمّة المسلمين، وينصر به السنّة وأهلها المخلصين، وينوّر به قلبي وقبري ويثقل به ميزاني يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويحشرني ووالدي وذريتهما، وجميع المحبين لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وكل من أعانني بكلمة طيبة أو دعوة صالحة وقرّاء هذا الكتاب المؤمنين، مع رسول الله ﷺ وخليفته الصدّيق رضي الله عنه والصحابة الأكرمين رضي الله عنهم آمنين من أهوال يوم الفزع الأكبر، إنّه وحده ولي ذلك والقادر عليه. ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. علي محمد الصلابي

١ صفر ١٤٢٨هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٧م

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.



الفصل الأول

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
شخصيته وإسلامه
اسمه ونسبه وألقابه وأسرته وإسلامه وصفاته وعلمه

المبحث الأول: اسمه ونسبه وألقابه.

المبحث الثاني: أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومواليه.

المبحث الثالث: إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه وألقابه

اسمه ونسبه:

هو خليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار، وصِدِّيقه الأكبر، وصَدِيقه الأشفق، ووزيره الأحزم، أفضل الأمة وسيد المهاجرين وخيرهم، وسابق الصحابة وشيخهم، إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. القرشي التيمي يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في الجد السادس. يكنى بأبي بكر رضي الله عنه والبكر هو الفتي من الإبل وقد كانت العرب تُسمي بهذا الاسم وتُكني به، تفاؤلًا بالقوة والحيوية والنباهة وسرعة الحركة والصبر والألفة والوداعة وقوة الولاء والوفاء وسعة التحمل والكرم والإيثار، وما إلى ذلك من صفات كريمة نبيلة؛ وكان اسم ابنه الأكبر هو عبد الله أصابه سهم في حصار الطائف فعوفي منه ثم انتقض عليه فيما بعد فتوفي شهيدًا رضي الله عنه[1].

مولده وسنه:

ولد خليفة رسول الله بمكة عام «٥٧٣م» بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، بمنى[2] ومن

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ٢٧٥. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٤٤. المعجم الكبير ج ١/ ٥١. الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ٤٦. الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٥٣.

المعلوم أن منى تقع في أطراف مكة وهي من أرض الحرم أي لا خلاف في ذلك، فمن قال ولد في مكة لم يخصص في أي مكان منها؛ ومن قال ولد في منى فقد خصص المكان، وهو معلوم أنه في مكة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا. وقيل: سميت منى لما يمنى ويراق من دماء الهدي الذي ينحر فيها، وهي تمتد من مهبط العقبة إلى وادي محسّر[١].

وعن أم المؤمنين الطاهرة الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي فكان رسول الله ﷺ أكبر من أبي بكر، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين للسنتين ونصف التي عاشهما بعد رسول الله ﷺ[٢] وكان خليفة رسول الله من أسن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما يؤكده حديث أنس بن مالك قال: قدم علينا رسول الله ﷺ فكان أسنَّ أصحابه أبو بكر رضي الله عنه [٣].

أشهر ألقابه:

امتاز خليفة رسول الله بالعديد من المزايا التي انفرد بها من بين جميع الصحابة الكرام ومن بين خلفاء الأنبياء وجميع أبناء الأمة، وبشكل لا يمكن مقارنته مع أحد ممن سبق ذكره، ونظرًا لكثرة هذه المزايا وما اشتملت عليه مواقفه وسيرته من مناقب، وما زينه به رسول الله ﷺ من فضائل تُمثل شهادات عز وفخار يتيه بها على الورى مدى الزمان، وحق لمن كان رسول الله ﷺ يغضب لغضبه ويرضى لرضاه أن يكون كذلك، أليس هو ثاني رجل في الأمة ليس قبله سوى رسول الله ﷺ بشهادة كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[٤] أليس هو الأول في كل موقف عز وشرف وبطولة وعلم ونبل وتضحية؟ ألم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٨/ ٣٢١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

يُطرّز سيرته بأنوار مواقفه التي لا زالت شموسها ساطعة تتوقد نورًا يسرج طرق المخلصين والغيارى على العقيدة والأمة؟ إن من لم يدرك مقام خليفة رسول الله وهو يمعن عقله في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وفي قوله ﷺ: «**يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**» فإنما يخشى عليه سلامة النظر وسوء الفهم ولوثة في الولاء لله ولرسوله ﷺ هذا إن لم يكن فيه وباء الرفض وداء الردة وجرثومة بغض الصحابة وخزايا ونقائص المنافقين التي ورثها عنهم من لا زال يدين بالطعن على رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، ولما سمت شمائل خليفة رسول الله وكثرت فضائله رضي الله عنه تعددت خصائصه وتنوعت مفاخره وتعطرت صفاته بطيب ذكره المقرون بألقابه التي منها:

١- الصدّيق:

لا شك أن أشهر أسماء وألقاب خليفة رسول الله التي لا زالت تلازمه ولم تنفك عنه في موقف يذكر فيه؛ هو الصدّيق رضي الله عنه؛ لأنه مرتبة شرف تُظهر سبقه وسمو مكانته وإخلاصه لله ولرسوله ﷺ، ولأنها تسمية إيمانية ومكرمة ربانية، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف بالله بأن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصدّيق من السماء صدّيقًا [١].

وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لما أسري به إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم فكذبوه وصدّقه أبو بكر رضي الله عنه فسمي يومئذ الصدّيق [٢].

وورد هذا الاسم في بعض الأحاديث النبوية في باب المدح وبيان سمو المكانة والمنزلة في مثل ما رواه أنس بن مالك: أن النبي ﷺ صعد أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم الجبل. فقال ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» [٣].

---

(١) ابن الجوزي: الصفوة ١/ ١٢٣.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير: ١/ ٦٠

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب «لو كنت متخذًا خليلًا»، ح (٣٣٩٩).

وقوله: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصدّيق لا يلبث إلا قليلًا**»[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل: «**إن قومي لا يصدقوني**». فقال له جبريل: **يصدقك أبو بكر وهو الصدّيق**[٢]، وهذا الحديث له شاهد من حديث النّزّال بن سبرة عن علي رضي الله عنه قال: وافقنا عليًّا رضي الله عنه يومًا طيب النفس وهو يمزح فقلنا: حدثنا عن أصحابك. قال: كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي. فقلنا: حدثنا عن أبي بكر رضي الله عنه فقال: ذاك امرؤ سماه الله صدّيقًا على لسان جبريل ومحمد ﷺ[٣].

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى تحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصدّيق[٤] وقيل له: «الصدّيق» أيضًا، لما روي عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها. قالت: لما أُسْرِي بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يُحَدِّث بذلك الناس، فارتدّ ناس مِمَّن كان آمن وصدق به وفُتنُوا، فقال أبو بكر: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء غَدْوَة أو رَوْحَة[٥] فلذلك

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٢٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٥٤. الطبراني، المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، ح (٧١٧٣). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٢١٥.

(٣) الحاكم: المستدرك، ك: معرفة الصحابة باب: أبو بكر الصديق. ح ١/ ٤٤٠٤، ٤٤٠٥. ابن الجوزي: الصفوة، ١/ ١٢٣. أبو نُعيم: معرفة الصحابة، ح (٦٢).

(٤) الحاكم: المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٠٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) الحاكم: المستدرك، ك: معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ح (٤٤٠٧) الصنعاني: ك. المغازي، باب في حفر زمزم، ح (٩٧١٩).

سمي أبو بكر الصدِّيقَ رضي الله عنه وذكر أبو مِحْجَن الثَّقَفي فيما بعد ذلك يبين اعتراف المسلمين لخليفة رسول الله بهذه المنقبة التي تفرد بها عن باقي الصحابة. فقال:

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وكلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى باسْمه غير مُنْكرِ
سَبَقْتَ إلى الإسلامِ واللَّهُ شَاهِدٌ وكنتَ جَلِيسًا في العَرِيشِ المُشَهرِ[1]

ولم تقع من أبي بكر رضي الله عنه هناة في الإسلام منذ أن أسلم؛ فاتصف بهذا الاسم من بين الصحابة أجمعين ومدحه الشعراء به، قال عبد الملك بن قريب الباهلي راوية العرب المشهور بالأصمعي:

ولكني أحبّ بكل قلبي وأعلم أنّ ذاك من الصواب
رسول الله والصدّيق حبًّا به أرجو غدًا حسن الثواب[2]

وقد اختلفت الروايات عن تاريخ جذور مناداة قريش لأبي بكر رضي الله عنه بمعاني هذا اللقب. فقيل: إنه عرف بهذا منذ أيام الجاهلية لأنه كان وجيهًا ورئيسًا من رؤساء قريش، ومعروفًا بينهم بالصدق حتى كانت قريش لا تتردد في تصديقه ومساندته في كل ما يتحمله من الديات والمغارم التي كان يقوم بها لإطفاء الحروب وإصلاح ذات البين بين القبائل، والإسهام في تأمين السلم الذي كان يخدم سياسات قريش لقيادة العرب وسلامة تجارتها، وأداء القبائل العربية لمناسك الحج وزيارة البيت الحرام وهم آمنون.

ولكن ومع أن أبا بكر رضي الله عنه عرف بالصدق منذ الجاهلية لكن الصدق شيء والتصديق شيء آخر، وقد عرف بهما جميعًا، لكن الصدّيق صفة إسلامية ورتبة ربانية اكتسبها من إيمانه بالغيب الذي جاء به رسول الله ﷺ، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين بالغيب الذي يأتي به الأنبياء. قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[3].

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٣١٠.
(٢) الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ٤٩.
(٣) سورة البقرة، الآيات: ١-٣.

وقيل سمي صدّيقًا لبداره ومسارعته إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به من وحي وسنة ووعد ووعيد وبعث ونشور وجنة ونار ونصر وتمكين للإسلام والمسلمين؛ وبإقبال وحماس شديدين دون أي تردد أو تساؤل أو موازنة وتفكير؛ لما وافق ذلك فيه من فطرة سليمة وطوية ناضجة وقلب عقول؛ علم أن كل ما جاء به رسول الله ﷺ إنما هو حق ويقين يجب أن يدين به جميع الناس لما فيه من الهدى والخير والنور.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «**إن الله عز وجل سمّاك الصدّيق**»[1]؛ وعن علي رضي الله عنه قال: إن الله عز وجل هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله ﷺ صدّيقا[2]، والصدّيق هو الاسم الذي لازم سيرة خليفة رسول الله في كل مفرداتها في مكة وفي المدينة وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، وفي السلم والحرب، والحاجة والغنى، والشدة والرخاء، فلم يتغير أو يتأفف في موقف أو معضل أو أي مشهد سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو مالي أو غير ذلك، بل كان إيمانًا وتصديقًا ويقينًا كاملًا لكل ما جاء به رسول الله ﷺ لهذا كانت هذه الكرامة ملازمة لخليفة رسول الله في كل أحواله، لم يتردد أحد من المسلمين في التلذذ بالنطق بها والاعتزاز بتاريخها والإيمان بمنهجها الذي يغيظ المشركين ويُبلس عند سماعه الرافضة المرتدون، الذين قهر خليفة رسول الله مكرهم وكذابهم المتنبئ، بتصديقه وإيمانه وعزمه وجهاده في كل المواقف التي رفضوا فيها الانقياد والتسليم لما جاء به رسول الله ﷺ ولا سيما ما قاموا به من تآمر على الإسلام والمسلمين تمثل في حركة رفض الإسلام أو رفض الزكاة أو اغتيال المؤمنين.

وعن أبي وهب مولى أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسري به قلت لجبريل: «**إن قومي لا يصدقوني**». فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصدّيق. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: أبو بكر رضي الله عنه: سميتموه الصدّيق وأصبتم اسمه. وقال بعضهم:

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٦٠).

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٥٨).

أنَّـى نعاتب لا أبا لك عصبة علقوا الفرى وبروا من الصديق

وبـروا سفاها من وزيـر نبيهم تبا لمن يبرا من الفاروق[1]

أولئك الذين يدينون بالافتراء على الصحابة ويبرؤون من دينهم وقرآنهم ويتظاهرون بالإسلام زورًا وتضليلًا، فلا شك أن الصحابة وقرآنهم ودينهم ومحبيهم يبرؤون منهم، وهنا يقال: فليتبرأ من شاء ممن شاء. قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]. ولكن التساؤل هو كيف يتسمى من كفر بقرآن الصحابة وسنة نبيهم ﷺ باسم الإسلام الذي حملوه وجاهدوا من أجله ودفعوا أموالهم ووقتهم ودماءهم حتى أقرّ به القريب والبعيد؟! ومن أي باب يجد من يدينون بعداء الصحابة منفذًا يدخلون به إلى ربوع الإسلام والمسلمين، وكيف يزعمون أنهم مسلمون وهم في عدائهم للصحابة وللمساجد وللقرآن شرّ من المشركين، بل شرّ من اليهود والنصارى فها هم اليهود مع كل قبحهم وحقدهم وجرائمهم يغتصبون فلسطين منذ عقود ويقومون بكل ما يقوم به الكفرة المعتدون، ولكنهم لم يدمروا «٢٠٠ مائتي مسجد في يومين» بتدبير مسبق وإصرار متعمد مع ما رافق ذلك من حرق وتدنيس للمصاحف واغتيال للأئمة والمؤذنين وكتابة الشعارات الكافرة بالسنة والشاتمة للصحابة على جدران المساجد في مشاهد لم يقم بها حلفاؤهم التتار الهمج ولا غيرهم من المجرمين، وقد شاهد ما قامت به الرافضة في العراق العالم أجمع على شاشات الفضائيات في «صفر ١٤٢٧هـ مارس آذار ٢٠٠٦» وعلى هذا وغيره فإنه لا يوجد طائفة تحقد على السنة النبوية المطهرة وأهلها كما يحقد عليها أعداء الصحابة الرافضة، وكل من يزمزم أو يتمتم من السحرة والمشعوذين ممن يحسبون على السنة بأن هناك وجهًا للتقريب أو التفاهم والاحتواء مع الحاقدين على الصحابة والقرآن والسنة والمساجد؛ فإنما هم مخادعون للأمة ومحاربون للسنة، ومن يفتري على خليفة رسول الله أو على أي من الصحابة ويناصبهم العداء ويرفض السنّة النبوية فهو

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٠٨. اللالكائي: اعتقاد أهل السنة، ٧/ ١٣٢٩. ابن أبي عاصم، السنة، ٢/ ٤٨٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

قاطع لكل حبال الوصل مع الإسلام وإن تسمى بأسماء المسلمين، وإنما يفعل ذلك نفاقًا ومكرًا وتقية يتحين من خلالها الفرصة للانقضاض على الإسلام والسنة والإيقاع بأهلهما بأي وسيلة أو بالتحالف مع أي عدو كان، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1]. ومن يصدِّق الباطل ويكذب ما ترى عيناه مما حل بالسنّة وأهلها ومساجدها ومصاحفها ويزعم أنه من أهل السنّة النبوية فلا قيمة لقوله ولا يعتد بأي من مواقفه؛ بل قد يكون ببلاهته هذه شرًّا على السنّة من أعدائها، وكيف يكون من أهل السنة من يوالي أعداء السنّة ولا يغار على دين ودماء وأعراض أبنائها؟ والعاقبة للمتقين المتبصرين بدينهم، الذين يقرؤون الواقع من حولهم، ولا تقوى بدون بصيرة، ولا بصيرة بدون السنّة التي تميز بين سلف هذه الأمة الذي قاده الصدّيق رضي الله عنه؛ وبين أعدائها المتربصين بها المفترين على نبيها ﷺ بأنه أشرك إمامهم ومرجعهم مسيلمة الكذاب في الأمر من بعده؛ ولكن بعد أن هلك مسيلمة على أيدي جند الصدّيق رضي الله عنه ادعوا تلك الشراكة لآخرين تحت فرية وكذبة الوصيّة التي دبّج أصولها عبد الله بن سبأ الهمداني اليهودي؛ مؤسس حركة الرفض وواضع مبدأ الرجعة وبغض الصحابة وكراهية العرب، في تركيبة عجيبة تغذي الحقد الطائفي الذي يرتكز عليه دين الرافضة ضد السنّة وأهلها[2].

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) ابن سبأ هو أول من وضع مبدأ الرجعة الذي تدين به الرافضة – أي الحياة بعد الموت – وهو أول من قال كاذبًا بالوصية، وأن عليًا وَصِيُّ محمد ﷺ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، وأن الصحابة لم يجيزوا وصية رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه؛ فهم بدلوا الدين، وأن هذا الدين وهذا القرآن الذي يدين به أهل السنة إنما هو دين مكذوب لا أصل له، وأن الدين هو دين الأئمة المعصومين القادرين أن يحيوا الناس ويميتوهم وهم فوق الأنبياء في العلم والقداسة. انظر: الطبري، تاريخ، ٤/ ٢٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٦، وقال ابن كثير يرحمه الله: إنما هذا مما يفتريه الرافضة والقصاص الأغبياء ومن أنه ﷺ أَوْصَى إلى علي رضي الله عنه فكذب وبهتان وافتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالأتهم على ترك إنفاذ وصية رسول الله ﷺ، وكل من يؤمن بالله ورسوله يعلم أن هذا باطل لا أصل له، وإنما هو من الهذيانات التي تفتريها مراجعهم لزيادة بعدهم عن الدين ولتبغيض الصحابة إليهم لكي يشكوا بالقرآن والسنة اللذين =

٢- عتيق:

ومن أشهر ألقاب خليفة رسول الله لقب عتيق، وقد أورد المؤلفون تسويغات متعددة لأسباب إظهار حقيقة هذا الاسم وبيان معانيه والصفات الدالة عليه، لعل أهمها وأشهرها:

- جماله:

وهذا ما روي عن الليث بن سعد قال: إنما سمي عتيقًا لعتاقة وجهه. أما اسمه فعبد الله بن عثمان[١] وقوله أيضًا: إنما سمي أبو بكر عتيقًا لجمال وجهه[٢]، وفي رواية ابن قتيبة لقبه رسول الله ﷺ بذلك لجمال وجهه[٣] وقيل غير ذلك.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر عبد الله، وعتيق: لقب له لحسن وجهه وعتقه[٤] وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن طريق ابن أبي مليكة قال: كان اسم أبي بكر عبد الله، وإنما كان عتيق لقبًا، وقال الفلاس: سمي عتيقًا لعتاقة وجهه[٥] أي لجماله وحسنه وكمال أوصافه. وعن يحيى بن معين أن اسم أبي بكر رضي الله عنه (عبد الله بن عثمان، وعثمان هو أبو قحافة، ولقبه عتيق؛ لأن وجهه كان جميلًا فسمي عتيقًا)[٦].

- عتيقًا من النار:

وقد روي أن رسول الله ﷺ سماه عتيقًا من النار[٧] عن أم المؤمنين عائشة أنها سئلت

= حملهما أصحاب رسول الله وأوصلوهما إلى العالمين بعد صبر وجهاد طويلين. وكل هذا من الباطل الذي لا يغتر به أو يصدقه إلا غبي عييّ رافضي كافر بسنة رسول الله ﷺ.

(١) الطبراني: المعجم الكبير: ١/ ٥٣. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٢.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ١/ ٥٢، ٥٣. ابن حجر، الإصابة، ١/ ١٤٦. ابن الجوزي: الصفوة ١/ ١٢٣.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٢٨٦.

(٥) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٤٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٤.

(٧) الطبراني، المعجم الكبير: ١/ ٥٣.

لم سمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقًا؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «**هذا عتيق الله من النار**»[1] وقالت: إنني لفي بيتي ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء وبيني وبينهم الستر، إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا**». وقالت رضي الله عنها: إن اسمه الذي سمّاه به أهله عبد الله، ولكن غلب عليه عتيق[2]. وروي: العتيق لقب لقّبه به النبي ﷺ حين قال له: «**أنت عتيق الله من النار**»[3] وقالت: إنه دخل على النبي ﷺ يومًا فقال له: «**أنت عتيق من النار**». ومنذ ذلك اليوم سمي بهذا الاسم[4].

- صفاء نسبه:

وقال مصعب الزبيري: سمي أبو بكر عتيقًا لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به[5] فكما هي سيرته صفاء ونقاء وسمو وعلو فإن نسبه كذلك أصالة ووجاهة وسيادة، وكذلك أصحابه وجلساؤه وأحبابه السائرون على منهجه وطريقه، ومع أن حقد الرافضة عليه شديد، لكن لم يجدوا مجالًا لانتقاصه.

- قديم في الخير:

وقال أحمد بن الهيثم: وإنما سمي عتيقًا لأنه عتيق في الخير أي قديم في الخير[6]، وكذلك جاء في تاريخ الفضل بن دكين إنما سمي عتيقًا «لأنه قديم في الخير»[7] أي أنه كان من أهل

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٤٦.

(٢) الحاكم، المستدرك، ك. معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث: (٤٤٠٤)، (٣/ ٦٤)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ١٥/ ٢٨٠. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٦٧٩) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (١٥٧٤).

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٦٠

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٢.

(٦) ابن عساكر: ٣٠/ ١٢.

(٧) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٤٦.

الفضل والجود وفعل الخيرات والمعروف قبل الإسلام وبعده، وأن ذلك جِبِلَّةٌ فيه فطره الله عليها رضي الله عنه.

- أحد ثلاثة إخوة:

ومما روي من إجابات أخرى عن سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه بهذا الاسم أيضًا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت عن اسم أبي بكر رضي الله عنه، فقالت: عبد الله. فقيل: إنهم يقولون عتيق. فقالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد فسمى واحدًا عَتِيقًا ومعتقًا وعُتَيقًا بالتصغير[١]. وعن عمارة بن غزية قال: سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: عتيق، وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة عتيق ومعتق ومعيتق. ويقال: كان له أخوان يقال لأحدهما عتيق، وللآخر معيتق فسمي بأحدهما[٢] لكن هذين الأخوين لا ذكر لهما في الجاهلية ولا في أخبار الإسلام، إلا إذا كانا توفيا في فترة الصغر والرضاعة.

- لعتقه من الموت:

وعن موسى بن طلحة قال: قلت لأبي طلحة، لم سُمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقًا؟ قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي[٣]. وقيل: كانت أم أبي بكر لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت فقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي[٤]. وقال موسى بن طلحة: قيل إنه اسم سمته به أمه[٥].

وأما ابن إسحاق فقال: أبو قحافة أي والد خليفة رسول الله كان اسمه عتيقًا لكن ابن

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٥٣. ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٤٦. وفي سنده ابن لهيعة.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢١.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١/ ١٢٣.

(٥) ينظر ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٤٥.

إسحاق ينفرد بهذه الرواية ولم يذكر ذلك غيره، ولا يوجد في سيرة أبي بكر رضي الله عنه ما يؤيد هذه الرواية. وعن مغيرة بن زياد قال: أرسلت إلى ابن أبي مليكة أسأله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما كان اسمه؟ قال فأتيته فسألته. فقال: كان اسمه عبد الله بن عثمان، وإنما كان عتيق كذا وكذا يعني لقبًا.

- لإعتاقه المستضعفين:

وروي: إنما سمي بعتيق لعتقه للرقيق، ولا سيما المستضعفين في عصر كان الرق خُلقًا من أخلاقه والطبقية صفة من صفاته يتباهى بها الناس ويتفاخرون، عن علي بن محمد قال: إنهم أجمعوا على أن اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله وأنه إنما قيل له عتيق عن عتقه رضي الله عنه [1] وهذا يقود إلى الحديث عما قام به خليفة رسول الله من دور رائد وسابق في هذا الباب الإيماني الإنساني الحضاري العظيم، والذي يجب أن يُسمى من اتصف به المعتق لما فيه من الشمائل والسجايا التي توافق هذا الخلق السامي والمعدن النبيل الذي يواجه العبودية ويرفض الرق وذل الإنسان لأخيه الإنسان.

٣- المُعتِق:

ويسمى المعتق أيضًا وهي صفة له انفرد بها من بين الصحابة في أيام الإسلام الأولى، أيام المحن والابتلاء التي كان الثابت فيها على دينه كالقابض على الجمر، لما يعانيه المسلمون من طغيان المشركين وعدوانيتهم في ذلك الوقت العصيب الذي قل فيه النصير والمعين، حبب الله تعالى إلى خليفة رسوله ﷺ القيام بإنقاذ المستضعفين من مخالب الجاهلية وجبروتها ممن لا ناصر لهم ولا معين ولا أهل ولا عشيرة، وممن لا يُرتجى منهم نصرة ولا مؤنة ولا مكافأة دنيوية، لما كانوا عليه من الضعف والفقر والهوان الذي أنزلته بهم جاهلية المشركين، لذلك كانت أعماله هذه مثار استغراب وسخرية جبابرة المال والسلطان والجاهلية والترف، بقدر ما كانت محل قبول ورضًا عند الله تعالى ومحل إعجاب وقبول

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٠.

عند رسول الله ﷺ، ومحل سرور وفخار وشفاء عند المؤمنين رضي الله عنهم الذين كانت حالهم حال الجسد الواحد في آلامهم وآمالهم.

وقد أعتق خليفة رسول الله سبعة ممن كان يعذب في الله، منهم: بلال مؤذن رسول الله ﷺ[1]. وهذا ما لم يفعله غيره وليكون موقفًا آخر مما تفرد به خليفة رسول الله في أيام كان المؤمنون يستترون فيها بإيمانهم ويلوذون بعشائرهم أو ببعض أهل الرأفة والرحمة من رجالات قريش، بينما كان خليفة رسول الله يصول ويجول في مواقف الإيمان ونصرة رسول الله ﷺ ونصرة أتباعه المؤمنين، تسيل من أجل ذلك أمواله ودماؤه وأوقاته وقوته وأحيانًا كرامته ومكانته رضي الله عنه وهو راض سعيد باسم الثغر وضاح الوجه مستبشر متفائل مطمئن.

وتقديرًا لهذا الدور الذي كان يقوم به خليفة رسول الله، ولما فيه من مفاخر للمؤمنين وإرغام لأعداء الدين، ولا سيما إعتاقه لبلال رضي الله عنه بعد الذي تعرض له من الأذى والقهر والإذلال، وبعدما أبدى من البطولة والصبر والقدرة على التحمل ما أذهل المشركين وأثلج صدور المؤمنين وأقر عيون الصالحين لكل ذلك كان عمر الفاروق رضي الله عنه يعترف بذلك الفضل والإقدام الذي كان يتسم به خليفة رسول الله والاستبسال الذي كان يبديه مولاه بلال رضي الله عنه فيردد في مجالس المهاجرين والأنصار: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا[2]. وسيأتي الحديث عن عتق أبي بكر رضي الله عنه للمؤمنين المستضعفين مفصلاً في موضعه من هذا البحث.

٤- السّبّاق:

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول - إذا ذكر عنده خليفة رسول الله أبو بكر

(١) ابن عساكر: ٣٠/ ١٤.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف، ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب، ح (٣١٩٦٦)، البخاري: ك. فضائل الصحابة، مناقب بلال (٣٥٤٤).

رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير قط، إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه. وذكر النووي في **التهذيب** أن الثعلبي أكد الإجماع على أن أبا بكر أول الناس إسلامًا[1].

وهذا الذي شهد به علي شهد به سبّاقو الصحابة إلى الخير من أمثال عمر وعثمان وإخوانهم رضي الله عنهم ؛ ولا شك أن هؤلاء إذا قالوا قولًا فلا قيمة لأي قول يخالف قولهم، وهم رضي الله عنهم السبّاقون إلى كل خير وفضل؛ شهدوا لخليفة رسول الله بالسبق إلى الفضائل والمكارم وفعال الخير والدين والجهاد[2]. فما يضير بعد ذلك قول الأفاكين أو تشكيك الرافضين بتكذيبهم شهادات المؤمنين الصادقين.

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق منه سابقة؟ قال علي: سبقني أبو بكر إلى أربع لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته النبي ﷺ في الغار، وإقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب، أظهر الإسلام وأخفيه، وتستحقرني قريش وتستوفيه. والله لو أن أبا بكر رضي الله عنه زال عن مزيله، ما بلغ الدين العيرين- جبلين - ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت. ويلك، إن الله ذم الناس ومدح أبا بكر. فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3] فرحمة الله على أبي بكر[4].

وكل هذا الذي ذكره علي رضي الله عنه كان معلومًا عند السابقين من الصحابة جميعًا؛ لا يخالف فيه مؤمن من المؤمنين. عن الشعبي. قال: قال رجل لبلال رضي الله عنه من سبق؟ قال: محمد ﷺ، قال: من صلّى؟ قال: أبو بكر. قال الرجل: إنما أعني في الخيل. قال

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٧٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٧٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٧٧.

بلال: وأنا إنما أعني في الخير[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[٢]. فكان عمر رضي الله عنه يعلن على المنبر أمام جماهير الصحابة أن الصديق كان «سابقًا مبرزًا»[٣].

وأخرج ابن عساكر عن أنيسة الأنصارية. قالت: نزل فينا أبو بكر رضي الله عنه ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنة بعدما استخلف، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن[٤].

ومثلما سبق بالإسلام والكرم والشجاعة والعلم والدعوة والجهاد كذلك سبق بالتواضع والزهد وخدمة الضعفاء والمساكين وما إلى ذلك من أخلاق الصالحين، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها ولكنه في كل مرة يجد أن هناك من قام على شأنها، فرصده عمر رضي الله عنه فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه هو الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري[٥].

(١) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٢. البلاذري: الشيخان، ٣٠.
(٢) أبو داود: السنن، ك. الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله ح (١٦٧٨) الترمذي: السنن، ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر (٣٧٧٥)
(٣) عمر الشيباني: كتاب الزهد، ١/ ١١٠.
(٤) تاريخ الخلفاء: ١/ ٧٤.
(٥) تاريخ الخلفاء: ١/ ٧٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٢٢.

وعن سبقه بالكرم والإنفاق في سبيل الله فقد أسلم يوم أسلم رضي الله عنه وله أربعون ألف درهم. فكان يعتق منها ويقوي المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة. وكان عمار يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[١]. فيظهر في هذا النص شهادة عمار بن ياسر رضي الله عنه أن الصديق رضي الله عنه كان الرجل الحر الوحيد مع الرسول ﷺ الذي أسلم في أول الإسلام، أما علي بن أبي طالب فقد كان غلامًا صغيرًا في ذلك الوقت بحاجة إلى من يرعاه.

٥ - الأواه:

عن إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يسمى الأواه لرأفته ورحمته. وعن أبي سريحة قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب ألا إن عمر ناصح الله فنصحه[٢]. وقال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته[٣] وعن كثير النواء عن أبي سريحة قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب. وعن الحسن بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته[٤].

وقال قيس: رأيت أبا بكر آخذًا بطرف لسانه، وهو يقول: هذا أوردني الموارد، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا ليتني كنت شجرة تقطع ثم تؤكل. وقال عمران الجوني: قال أبو بكر رضي الله عنه: لوددت أني شجرة في جنب عبد مؤمن[٥].

وعن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه ح (٣٦٤٤).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٧٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٦٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٣٧٩.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٥٨.

عنه قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟! فقال رضي الله عنه: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألَّا أسأل الناس شيئًا[1].

٦ - الثاني:

وهذا اللقب شهد به كتاب الله تعالى كما هو معلوم، فهو الرجل الثاني في أمة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، والثاني بعده في الجهاد والكرم وفي العلم والشجاعة والصبر والتحمل والسياسة والغيرة على الدين ومواساة المسلمين والحنو عليهم، وهو الثاني في قيادة الأمة ونشر الإسلام وطمس معالم الجاهلية التي ظهرت علاماتها في حركة الردة العمياء ومحاولات التمرد الشرسة على خلافة رسول الله ﷺ، وهو الثاني في فتح صفحة الفتوح والجرأة على الدول الكبرى المتجبرة في الأرض التي كانت تنشر الفساد والظلم بين الناس، والثاني في توجيه العرب المسلمين إلى الانطلاق الحضاري لقيادة البشرية نحو الأفضل والأعدل والأكرم، وهو الثاني في توجيه جيوش المسلمين الوجهة الربانية الصحيحة التي أثمرت العدل والاستقرار والعزة والألفة والتعاون بين القبائل العربية التي حملت على أكتافها عقيدة الإسلام، وبدماء أكارم أبنائها نشرتها في العالمين. وخليفة رسول الله هو الثاني في كل مكرمة وفي كل طريق سلكه رسول الله ﷺ أو كان ينوي سلوكه والخوض فيه، ويكفي لتأكيد مكانته وخلافته قول النبي: «**يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**» وبقي على العهد نفسه والعنفوان واليقين والسداد الذي كان عليه في حياة رسول الله ﷺ مصدقًا قوله عز وجل: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾.

٧- الصاحب:

وردت إشارات واضحة في كتاب الله تشيد بخصائص خليفة رسول الله ﷺ وتشير إلى دوره المشرف وآثار مكارمه التي لا تمحوها السنون والأيام. وقد شهد القرآن الكريم للصديق

---

(١) ابن حنبل: المسند: ك. مسند أبي بكر الصديق وبابه، ح ٦٦.

رضي الله عنه أنه كان الصاحب الوحيد والناصر المخلص لرسول الله بعد الله سبحانه وتعالى، عندما أراد الكفار قتله أو حبسه أو طرده ونفيه، ثم إجماعهم على قتله واختيارهم لذلك أخيرًا، فأنجاه الله وأخرجه من بين جموعهم آمنًا سالمًا. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1].

فكان من مكره سبحانه وتعالى بالمشركين أن أخرج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة وهم يحيطون به من كل جانب، ولا ناصر له من الأصحاب والمسلمين إلا رجل واحد فقط لم يتركه في يوم من الأيام، لا في هذا الموقف العصيب ولا في غيره. قال تعالى حاضًّا المؤمنين على نصر رسوله ﷺ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2] فأثبت الله هنا كرامة الصديق رضي الله عنه وأنه كان الناصر الوحيد والصاحب الأمين لرسول الله ﷺ يوم عزّ الناصر، وقل النصير، وفي هذه الآية رد كاسح ماحق على زنادقة الرفض الذين يهمسون في آذان الغوغاء بكراهية خليفة رسول الله بالإفك والبهتان المناقض لصريح القرآن، في جرأة قبيحة على الله ورسوله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه حزينًا في تلك الساعة خوفًا من أن يبصر الكفار موقع رسول الله ﷺ فيضيع الدين، فبشره النبي ﷺ بما أثلج صدره وأزال حزنه وأقرّ عينه وأخزى أعداء الصحابة إلى يوم الدين. حين قال له بأن الله معهما يرعاهما ويكلؤهما وينصرهما على رغم أنوف أعدائهما من المشركين والمنحرفين ومجوس هذه الأمة. ومعيّة الله هنا ثابتة للرسول ﷺ وخليفته الصدّيق. وهي شهادة من رسول الله ﷺ للصدّيق أقرها الله وأثبتها في كتابه الكريم، لتبقى وسامًا تشرق به وجوه المؤمنين، وتسود به وجوه مبغضي الصدّيق رضي الله عنه ورافضي خلافته إلى يوم القيامة. ناهيك أن أسرة الصاحب الأمين كلها كانت في ذلك اليوم العصيب مستنفرة ومجندة للقيام بحق الصحبة وخدمة الرسول ﷺ ونصرته، فأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

هي التي توصل الطعام لهما في الغار، وعائشة ببراءتها وطفولتها ونقائها وصفائها وطهرها وذكائها ورعاية الله تعالى لها؛ هي التي تعينها في البيت على تهيئة ذلك وإنجازه، وعبد الله ابن الصدّيق شهيد الطائف هو الذي يتسمع لهما الأخبار وما يتآمر به المشركون، وعامر بن فهيرة مولى الصاحب الأمين هو الذي يغدو بسرحه إليهم ليحلبوا ويستقوا ويُعمّي بآثار غنمه على آثار عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه عين رسول الله ﷺ وصاحبه الأكبر رضي الله عنه في أيام الغار الخالدة، ومال الصاحب كله مسخر لرعايته، ورحائله هي التي حملت رسول الله ﷺ إلى المدينة، والصاحب هو المؤنس الوحيد بعد الله سبحانه وتعالى، وهذه منقبة ليست بعدها منقبة وكرامة أثبتها الله تعالى في كتابه العزيز وجعلها قرآنًا خالدًا يتلى إلى آخر الدهر - تؤكد الدور الرائد الذي قام به الصاحب الصدّيق رضي الله عنه وأسرته الكريمة من نصرة ومؤازرة لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1] وفي هذه الآية من الخصائص والفضائل والمزايا التي اختص بها خليفة رسول الله ﷺ ما لا يحصى. منها:

- تفرده بلقب صاحبه:

في الآية الكريمة يتفرد الصديق رضي الله عنه بلقب الصاحب المضاف إلى أشرف مصحوب، وهو رسول الله ﷺ إذ جاء اللفظ هكذا: «صاحبه» ومعلوم أنه كان لرسول الله ﷺ عشرات الألوف من الأصحاب لو أقسم أحدهم على الله تعالى لأبرّه، فلم يختر الله عز وجل أحدًا منهم يشرّفه في القرآن كله بإضافته إلى نبيه ﷺ بهذه التسمية غير أبي بكر رضي الله عنه فيا لها من مزية تفرد بها ومكرمة سما إليها! ويا له من شرف تناهى إليه وما انتهى! إن كل فضيلة تعلقت بالصحبة فأبو بكر رضي الله عنه أولى بها وله منها السهم الأوفر؛ لأنه الفائز بلقب الصاحب في القرآن دون بقية الأصحاب الكرام رضي الله عنهم.

قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة الآخرين صاحبًا

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

لرسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحِبَ رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه أنكر نص القرآن الكريم[1]. ولعل هذا النص القرآني كافٍ لكل من له بصيرة أن يعرف أن كل من يطعن في خليفة رسول الله أي مطعن إنما يطعن في القرآن، ومعلوم أن من يطعن في القرآن فلا حظ له في الإسلام، فلينظر كل مسلم إلى هذه المسألة بكل تفكر وإمعان، وليفقه بعقله وقلبه أن محبة رسول الله هي محبة لخليفته، وبغض رسول الله ﷺ هو بغض لخليفته رضي الله عنه، ومن شك في هذه القاعدة فهو شاك في القرآن والنبوة مهما انتحل من الأعذار والحيل؛ إذ من المستحيل أن يحب رسول الله ﷺ من يبغض خليفته وسمعه وبصره، وقد قال ﷺ: «**أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر من الرأس**»[2] وقال في حقه رضي الله عنه: «**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر**»[3] ومن هنا جاءت أفضلية وتقدم الصديق رضي الله عنه على بقية الصحابة الكرام بما فيهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولأنه هو المختص من بينهم في القرآن بلقب صاحب النبي ﷺ والثاني من بعده، فمن أولى منه بصحبة النبي ﷺ وخلافته وطاعة الأمة له؟! ومن أولى منه بإمامة المسلمين وقيادتهم بعد أن أهلته مكارمه إلى خصوصية الصحبة، وخصوصية الخلافة، ليتفرد بلقب صاحب رسول الله ﷺ وخليفة رسول الله ﷺ ويمتاز بهذه الرتبة الربانية من بين المؤمنين جميعًا، فلا تطلق إلا وأشارت عليه وإليه دون سواه!! واستمر يرفل بهذه المكرمة في حياته وبعد مماته وسيبقى إلى يوم القيامة، لا يجحد ذلك إلا أعداء الصحابة الذين ناصبوا القرآن والسنة وأهلهما التشكيك والتهميش والإقصاء من خلال اعتمادهم مرجعيات سياسية باطنية حاقدة تمكر بالمسلمين وتنشر ثقافة الكراهية ضد الصحابة والسنة المطهرة وتتحالف مع المعتدين والظالمين من المشركين واليهود والصليبيين.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٣٥٤.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، باب فضائل أبي بكر وعمر، ٥/ ٥٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤/ ٦٧.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٣٦٦١) المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/ ١١٣.

- وصاحبه قبل الإسلام وبعده وفي حياته ومماته ﷺ:

تفرد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بصحبة النبي ﷺ قبل الإسلام حتى صارت قريش تطلق عليه وعلى محمد لقب (صاحبك)، فإذا خاطبوا أحدهما وذكروا له الآخر فإنهم لا يسمونه باسمه وإنما يقولون: إن صاحبك قال أو فعل كذا وكذا، ولا ينصرف الذهن إلا إلى الآخر! وجاء القرآن شاهدًا على ذلك ومؤكدًا له، فإذا أطلق لفظ (صاحبه) مضافًا إلى النبي ﷺ دون تصريح باسم الصاحب أو قرينة لفظية تميزه أو تخصصه، فإنما المعروف بذلك هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقط، ولم يقل قائل إن هناك من يفهم أو يزعم أن المقصود به أحد غيره! وما ذلك إلا لأن لقب أو لفظ (صاحبه) رتبة ربانية ومكافأة دنيوية خالدة لخليفة رسول الله صارت علمًا عليه وحده تشريفًا وتكريمًا، فلا يحتاج معها إلى اسمه الصريح أو قرينة أخرى تدل عليه فأضحت هي اسمه ونسبه وقبيلته، وأنعم بذلك النسب وبتلك الرتبة.

ولم تكن صحبة الصديق لرسول الله ﷺ عارضة، وإنما كان أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام صفيًّا لرسول الله ﷺ يصحبه في حله وترحاله لا يفرق بينهما إلا الليل يأوي فيه كل منهما إلى بيته. والمتأمل ماذا قالت قريش لأبي بكر رضي الله عنه يوم صدع النبي ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام قالت قريش: لقد جُنّ (صاحبك) وصبيحة الإسراء قالوا له: اسمع إلى ما يقول «صاحبك». ولما عزم على الهجرة قال له النبي ﷺ: «**على رسلك يا أبا بكر لعل الله يجعل لك (صاحبًا)**». حتى إذا جاءه ليخبره أن الله قد أذن له في الهجرة قال أبو بكر رضي الله عنه: الصحبة يا رسول الله! قال ﷺ: «**الصحبة**»، وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما شعرت قبل ذلك أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي حين أذن له رسول الله ﷺ في صحبته. ألا ما أعظم منزلة هذه «الصحبة» منزلة تبكي لها الرجال دموعًا وتصبر من أجلها على الأذى والعدوان وتنفق من أجلها الدماء والأموال! إنها شرف لم يؤثر به رسول الله ﷺ أحدًا سوى صاحبه الذي اختار «صحبته»[1] على

---

(١) ينظر: الدليمي، المنهج القرآني، ٢٣٢.

ما سواها لأنها صحبة المصير الواحد في أخطر رحلة وأحرج موقف وأعظم يوم يخلده الله تعالى قرآنًا يتلى وأنسًا ومعية أبدية سرمدية: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] ودامت تلك الصحبة إلى يوم وفاة النبي ﷺ ثم استمرا صاحبين متجاورين بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وسيبقيان كذلك بإذن الله إلى يوم البعث والنشور ووفودهم إلى الرحمن عز وجل!

وهي صحبة لازمة مستمرة لاستنادها إلى سبب دائم لا يزول وهو الاجتباء والاختيار والتعاقد على الإيمان ونصرة الدين كصحبة رسول الله ﷺ لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولو كانت كصحبة الرجلين في سورة الكهف كما يقول المتهوكون الرافضة ومن يردد أباطيلهم لانقطعت وما دامت إلى الأبد. ونظرًا لهذه الصحبة الدائمة والمعية الأبدية لم يعد لأعداء الصحابة منفذ للنيل من أبي بكر رضي الله عنه إلا إذا كذبوا القرآن واتهموا النبي ﷺ وأساؤوا الظن فيه، ولما كان حقدهم على الصحابة بمكان الدين والهدف الأول لهم فإنهم لم يتورعوا عن نبذ الربوبية والقرآن والنبوة حتى قال قائلهم: إن أهل السنة يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبا بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي[2]. ولعل هذا النص هو خير معبر عن الواقع والوجه الإيماني المزيف الذي يستترون به للوصول إلى أهدافهم المتمثلة في العمل على إطفاء نور الإسلام باغتيال أعلامه وعلمائه وطمس الأقمار التي تضيء دنياه بنور السنة في كل عصر ومصر يتمكنون منهم فيه[3].

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٧٨.

(٣) كما هو حاصل في العراق في هذا اليوم، الخميس ٢٤ محرم ١٤٢٧هـ، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م حيث تم الإعلان الرسمي عن قتل الرافضة لأكثر من (٢٥) إمام وخطيب مسجد من أهل السنة، وقتل حوالي (٣٠٠) من أعلام الدين والعشائر وإحراق وتدمير واغتصاب أكثر من (١٧٠) مسجدًا جامعًا، كل ذلك خلال يومين فقط، وهذا ما أحصي وتم إعلانه في الفضائيات وأعلنته هيئة علماء المسلمين في قناة الجزيرة وغيرها، وغير ذلك مما يقوم به أراذل الناس إذا سلطوا على أهل الشرف والدين وما خفي أعظم، مما ينبي بوضوح لا يقبل لبسًا أن الأمور مدبرة ومخطط لها وافتعلت بعض =

= الأحداث كعلامة للبدء بالتنفيذ ومباشرة القتل والحرق والنهب والسلب وقطع الطرق وإرهاب الآمنين وتهجير أهل السنة من بيوتهم، ولا سيما من منطقة المدائن ومناطق البصرة وجنوب العراق، ومن جوار الصحابة حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأنس بن مالك رضي الله عنه الذي نبشوا قبره قاتلهم الله ومن جوار الأسدين الشهيدين طلحة والزبير رضي الله عنهما وإخوانهم رضي الله عنهم وبعض مناطق بغداد وغيرها، وتمزيق المصاحف فيها وإحراقها وتدنيسها بمساندة وتوجيه وحماية ورعاية من الحكومة الرافضية المتحالفة مع الصليبيين، ومباركة من القوى الرافضية المجاورة وسرور من قوات الاحتلال الصليبي. وعامة أهل السنة - للأسف إلا من رحم الله في العراق وفي البلاد المجاورة - في شغل عما يجري للسنة في العالم ويتحدثون عما يجري لهم من قتل وإبادة واغتيالات وانتهاكات لمجرد أنهم يحملون في بطاقاتهم اسم صحابي ولا سيما من اسمه عمر أو عثمان، بل أي اسم منبعث معناه من السنة النبوية، وكل ذلك يتناوله أهل السنة في الحديث باستحياء وتمويه ودون أي تشخيص وتسمية لعدوهم المجاور لهم في ديارهم الذي يزرع ثقافة الحقد في صدور أتباعه على أهل السنة على شكل أوراد وعبادات وهبات يتقربون بها إلى آلهتهم وسدنتهم، في ثقافة يومية تغص بمفردات التحريض المباشر والكراهية والاستفزاز وشتم الصحابة وأمهات المؤمنين وتزييف ظاهر للأحداث، مما ينبئ عن مستقبل مهين لأهل الإسلام إذا بقي أهل السنة على هذا الفهم القاصر والعاجز والبليد والمجرد من روح الولاء والبراء إلا عند مجاميع محدودة من أبناء الأمة، مما يؤكد على علماء السنة وجوب تكوين ثقافة موحدة وصلبة وواضحة تلتف حول الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين وتغرس في عقول وقلوب أبنائها محبتهم والغيرة عليهم وعلى ماجاؤوا به، وتطمس كل ما زرعه الرافضة من روايات مكذوبة عليهم تثير في النفوس الأحقاد والضغائن ضد السنة وأهلها، وأنه لا ينال من الصحابة مسلم ولا يطعن فيهم مؤمن وأن كل من يتطاول على أي منهم إنما هو عدو للإسلام والمسلمين وزنديق منافق يعمل على تدمير السنة وقتل أهلها.

ودون وجود هذه الثقافة والتمترس حولها فإن الأخطار الداخلية التي استنبتت في دمن أعداء الصحابة بين ظهراني أهل السنة وفي عامة بلدانهم، ستكون شرًّا مستطيرًا على القرآن والسنة وأهلهما ومستقبلهم وأمنهم ووحدتهم واستغلال بعضهم لضرب البعض الآخر وإشعال فتن يستعر لهيبها ولا ينطفئ جمرها. وإلى هذا اليوم لا زال الفرق شاسعًا بين ثقافة الرافضة الواضحة في تحديد هدفها المتمثل في إعلان الحرب على أهل السنة بالقتل والسجن والتشريد والتشويه والعدوان =

برسول الله ﷺ! ويطعن بأفعاله وخياراته المعصومة؟ أيتخذ النبي ﷺ له صاحبًا ثم لا يكون هو خير الأصحاب؟! ألا يحسن الاختيار ﷺ؟! وكيف دامت صحبتهما طيلة هذه المدة وهو لا ينصحه ولا يرشده؟! أهكذا الظن بصفوة الرسل وخيرة الخلق وهو القائل: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[1]؟ أم المقصود من كل هذا هو الطعن برسول الله ﷺ وليس المقصود بالنهي الصحبة العارضة، ولما كان طعنهم المباشر برسول الله ﷺ يكشف أستارهم طعنوا بخير أصحابه وأقربهم إلى نفسه للوصول إلى الهدف ذاته بطريقة أخرى.

لقد كانت صحبة النبي ﷺ «لصاحبه» وخليفته صحبة الدين والغايات العظيمة السامية، ولذلك قال ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن**»[2]. وكذلك هي صحبة المشابهة والمشاكلة النفسية والأخلاقية والفكرية. قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[3] ولذلك اختاره رفيقًا له في الهجرة و«صاحبًا» يؤنس وحدته ويبدد وحشته، ولولا هذه المشابهة والمشاكلة، والراحة والميول النفسية المتبادلة لما اختار صحبته في تلك الرحلة الخطرة الموحشة.

إن المسافر سفرًا عاديًّا لا يطيق أن يصحب في سفره القصير هذا إلا من ترتاح إليه نفسه ويطمئن إليه فؤاده، فكيف برحلة شاقة عصيبة تحيط بها الأخطار ويحدق بها الموت، منها ثلاثة أيام في غار موحش وجبل منقطع عن العمران! إنها صحبة رجل الملمات والمهمات

= بكل أصنافه، وبين ثقافة أهل السنة المبهمة التي يدعو عامة الناطقين بها إلى التفاهم والاحتواء والتعاون مع من يدين بكراهيتهم وقتلهم واستباحتهم؛ دون استنكار أو تصحيح أو توضيح أو إرشاد، وهذا وربك في القياس عجيب.

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، باب: المجالسة، الصحبة، (٥٥٤) أبو داود: سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس، ح(٣٨٣٢).

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ح (٣٦٦١).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ح (٣١٥٨).

الصعبة، كما هي الثقة والتفاني والإخلاص المطلق للأهداف النبيلة التي تبني الأمم وتنير الظلم، إنها الصحبة التي ترتاح إليها النفس وتتوق إليها آمنة مطمئنة[1].

ولو لم يكن أبو بكر رضي الله عنه بطبعه وفطرته وسمو معدنه وسماحته وقوة نفسه مؤهلًا لصحبة النبي ﷺ لما كانت صحبتهما صحبة أبدية استفرغت الحياة بأجمعها، ثم اتصلت بعد الممات وستبقى بعد البعث والنشور وبعد دخولهم جنات عرضها السماوات والأرض! وبقي من بركات تلك الصحبة أنها لا زالت تشرق شموسًا يتكشف على أنوارها مكر أعداء القرآن والسنة، فكل من ينكر تلك الصحبة إنما ينكر المعلوم من نصوص القرآن، وكل من يتأفف من تلك الصحبة فإنما يتأفف مما يحبه الله ورسوله والمؤمنون، وكل من يحاول أن يفرق هذه الصحبة ويرفضها أو يشوهها أو يشكك بها فإنما يكشف عن أوراق النفاق وأقنعة الزندقة المتسترة تحت ظلال حب آل البيت أو حب زيد أو عمرو من الناس، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما دام مقام خليفة رسول الله ﷺ عند آل بيت النبوة معلومًا ومعروفًا بأسمى درجات الحب والتقريب والتبجيل، فيا ليت شعري أي بيت هذا الذي يستظل تحت ظلاله أعداء الصحابة ومبغضو إمام الصحابة وقائد الأمة بعد رسول الله ﷺ؟! ويا ليت أهل السنة يعلمون!

آثار الصحبة:

للصحبة آثارها في أخلاق الأصحاب وسلوكهم نتيجة لتفاعلات تجاربهم وتمازج خواطرهم وآمالهم وآلامهم، وهذا ما حصل لخليفة رسول الله وتأثره بأخلاق النبي ﷺ ومواقفه وأفعاله ووسائل معالجته للأحداث وتبليغ الرسالة ومواجهة المعضلات. وكلما كانت الصحبة أصدق ومدتها أطول، كانت فرصة التمازج والتعلم أكبر وأكثر، مما يؤدي إلى رقي النفوس وتفاهمها وتلاقي المشاعر وتمازجها ويتيح المجال للصفاء والارتقاء وتخلق الصاحب بأخلاق صاحبه أكثر وأكثر، حتى يمكن أن يكون صورة أخرى له تعكس ما في

(١) ينظر: الدليمي، المنهج القرآني الفاصل، ٢٣٤.

صورة الأصل من قيم ومواقف وقسمات وملامح؛ لأن الأثر يعتمد على قوة المؤثر وعلى مدى صلاحية المحل للتأثر. قال النبي ﷺ : «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[1]. وقديمًا قال القائل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت؟ وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وآثار صحبة الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ واضحة المعالم في أخلاقه وعلمه وكرمه ويقينه وجهاده وشجاعته وفي سلوكه وأخلاقه وتواضعه وحبه وبغضه وولائه وبرائه، وورعه وزهده وسياسته ومكانته، وكانت معالم هذه الآثار من الظهور والبروز والوضوح ما يشكل دليلًا قاطعًا على صدق هذه الصحبة وقوة عراها وسمو مقاصدها وعلو منزلتها وعميق آثارها.

٨- الأتقى:

وأما الوسام الذي يزين سيرة خليفة رسول الله ويعد من أعظم خصائصه التي حصدها بمثابرته وصبره وإخلاصه فهو الشهادة الثابتة في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2] تلك القيم الخالدة والطباع السامية والسجايا النبيلة التي تشرّف بها خليفة رسول الله دون منازع وبكل جدارة لتكون له ولآله ولمحبيه شرفًا وفخارًا ومكرمة من الله تعالى اختصهم بها من دون العالمين، ولتكون شاهدًا على فجور مبغضي خليفة رسول الله أعداء الصحابة ورافضي السنة المطهرة ومعاندتهم للحق وبعدهم عن الصواب وتمكن الأحقاد في قلوبهم عندما ينساقون وراء أوهامهم وأحقادهم فيكذبون القرآن والسنة الصحيحة، كل ذلك حسدًا لما شرّف الله تعالى به خليفة نبيه من الاختصاص والاجتباء، وأن يكون هو وحده المنتقى

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ك. البر والصلة، ح (٧٣١٩)، ابن حنبل: المسند، مسند أبي هريرة، ح (٨٠١٥).

(٢) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

المؤتمن والمؤهل من بين جموع المؤمنين لشرف الانفراد في الصحبة والقيام بحقوقها في أحرج أيام النبوة وأخطرها.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[1] أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾[2] أي ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[3] أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك ولكن ما دفعه إلى ذلك ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[4] أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وهذه الآيات نزلت في خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وذلك الوعد الحق الذي ادخره الحق عز وجل لصاحب نبيه هو الوعد بالمكافأة الكبرى والجائزة العظمى، وكأن الله تعالى لم يرض له الدنيا وزينتها بكل ما فيها ليكافئ بها عبده الأتقى فادخر له كل ذلك تكرمة وتشريفًا فبقي في الدنيا على حاله من التقشف والزهد حتى رحل إلى مولاه دون أن يأخذ مكافأة على ما قدم وأعطى في سبيل الله تعالى. ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[5] فكم من أموال بذلها بنفس راضية ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه حتى على السادات والرؤساء من القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود الثقفي وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصدّيق الأتقى قد أغلظ له في المقال لِما تلفظ به من كلام ينال من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ[6] فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء الناس

(١) سورة الليل، الآية: ١٧. (٢) سورة الليل، الآية: ١٨.

(٣) سورة الليل، الآية: ١٩.

(٤) سورة الليل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الليل، الآية: ١٩.

(٦) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩٤. الغزالي: فقه السيرة، ٣٢٦.

وزعماء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ لا شك أنه سيكون أكثر إحاطة ورعاية كما اتضح ذلك مع من أعتقهم من خالص ماله ابتغاء لمرضاة ربه عز وجل، ليتأكد أنه كان يقوم بكل ذلك سجية وعلى الفطرة التي فطره الله عليها، وهي فطرة التقوى وعمل المعروف وحب الخير للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[1]

وإن من المكافأة التي ادخرها الله تعالى لعبده الأتقى رضي الله عنه أن تتنافس عليه يوم القيامة كل أبواب الجنة أن هلم أيها الصديق، ادخل الجنة ليتشرف الباب الذي تدخل منه بذلك الدخول، وفي **الصحيحين** أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير**». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[2]. وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وزنيرة، وأم عبيس، وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت الآية من قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[3] إلى آخر السورة.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾. قال: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه[4] وحسبك بهذه شهادة من العلي الأعلى سبحانه وتعالى لخليفة رسول الله ﷺ الذي بذل ماله كله في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين لا يبتغي بذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى. والمتتبع لمواقف خليفة رسول الله يجد عبق عبيرها قد عمّ كل نواحي الحياة فلا يوجد باب خير إلا وله فيه مكرمة سبق فيها الآخرين. ولعله من أعظم الخصائص والمناقب أن يصف الله تعالى عبدًا من عباده بـ (الأتقى)، فالأتقى هو الأفضل والأكرم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١) سورة الليل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الصلاة، باب الريان للصائمين، ح (١٧٩٨). ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٥٢١.

(٣) سورة الليل، الآية: ١٧.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٥/ ٤٥٥. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الليل.

﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] فهو أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وأكرمها عند الله. وسورة الليل مكية ومن أول ما نزل من القرآن يأتي ترتيبها في المصحف قبل سورة الضحى وجميع ما فيها من فضائل نزلت بحق خليفة رسول الله. قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني. فقال: يا أبت إنما أريد ما عند الله. فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[2].

والأحداث جميعها تؤكد أن المعنيَّ في هذه السورة هو خليفة رسول الله وأن فضائلها لا تنطبق تمام الانطباق إلا على خليفة رسول الله رضي الله عنه! فلو قارنا مقاصد هذه السورة بحال أعظم الصحابة مكانة وهم الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم لتبين أن عمر رضي الله عنه تأخر إسلامه قليلًا، وهذه السورة من أوائل ما أنزل من القرآن الكريم، وعمر رضي الله عنه هو القائل: ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني[3]. أي أن هذه الفضيلة انفرد بها الصديق وأصبحت إحدى خصائصه لا يشركه حتى عمر رضي الله عنه الذي هو مظنة السبق مع الصديق رضي الله عنه في مواطن الكرم والتضحية والنصرة، وعثمان الكريم السخي رضي الله عنه كافأه رسول الله ﷺ إذ زوجه بابنتيه رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهما، وهذا من أعظم النعم الدنيوية والأخروية. فضلًا عن أن إنفاقه رضي الله عنه لم يشتهر إلا في المدينة ولم يذكر أيام نزول هذه السورة كشرائه بئر رومة وتجهيزه جيش العسرة، وغير ذلك من مكارم جسيمة عظيمة أثرت عنه. والسورة توضح أن من صفات المعني فيها أنه: ﴿يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي ليس لأحد عليه سابق نعمة يردها بهذا الإنفاق ردًّا للجميل. ورسول الله ﷺ قال: «**ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر**».

أما علي رضي الله عنه فكان حين نزول هذه السورة صبيًّا في كفالة النبي ﷺ لا يملك مالًا ينفقه على نفسه ولا على غيره، بل كان النبي ﷺ هو الذي ينفق عليه ويكفله ويحوطه

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) الحاكم: المستدرك، تفسير سورة الليل، ح (٣٤٩٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٦٩.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ك: من مناقب ابن مسعود، ح (٨٤٢٢).

ويؤويه، ثم زوجه ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها خيرة نساء العالمين ليطوقه بهذه النعمة ويجزيه بها بخير ما يجزي الأخيار الأخيار، فضلًا عما كان يقوم به ﷺ من رعاية له في مراحل طفولته. والآيات تصف المذكور بأنه ﴿ يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ ولم يكن عند علي رضي الله عنه من مال عند نزولها. و﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ وكانت نعم رسول الله ﷺ المذكورة آنفًا تطوق عليًّا رضي الله عنه في كل جوانب الحياة؛ فليس هو المقصود قطعًا في هذه الآية؛ وبالتالي فإن كل ما يردده أعداء الصحابة في هذا الموضع للتشويش على مكارم الصديق رضي الله عنه وخصائصه ما هو إلا محض هراء وهذيان لا قيمة له.

أما أبو بكر رضي الله عنه فلم يكن لرسول الله ﷺ ولا لغيره عنده من سابق نعمة لكي يرد جميلها بإنفاقه على الدعوة أو العتق أو في حوائج رسول الله ﷺ، وقد زوج أبو بكر رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ ابنته عائشة رضي الله عنها أحب الناس إليه. لذلك نوه النبي ﷺ بهذه الفضيلة التي تفرد بها خليفته رضي الله عنه فقال ﷺ: **«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر؛ فإن له يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة؛ واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»**[(١)]. إلا نعمةَ النبوة والهداية إلى الحق وهي غير مقصودة في هذه السورة؛ لأنها لا تجزى، والآية في ذكر النعم التي تجزى، وهي عامة في أعناق الجميع وليست خاصة بأبي بكر وحده.

وفي السورة وعد لأبي بكر رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وهو شبه الوعد الذي وعد الله به نبيه ﷺ في سورة الضحى بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[(٢)].

وهذه خصيصة أخرى خص الله تعالى بها أبا بكر رضي الله عنه كذلك، وفيها قوله تعالى: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[(٣)] وهو ما قاله الله تعالى عن رسول الله ﷺ في سورة الأعلى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[(٤)] وذلك خاص بأبي بكر أيضًا.

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (١١٤٦١).

(٢) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٣) سورة الليل، الآية: ٧.

(٤) سورة الليل، الآية: ٨.

فأبو بكر رضي الله عنه هو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، وأعداء الصحابة مبغضو رسول الله ﷺ الذين يجاهرون بشتم وانتقاص أحبّ النّاس إليه الطاهرة عائشة رضي الله عنها، ولعن أصحابه والنيل من سنته وأهلها هم الأشقى والأذل والأخزى، وإن استمسكوا بحبل من الناس بخياناتهم وغدرهم فإن حبل الناس مقطوع وحبل الله باق، والفرق بين المنزلتين واضح جلي كما بين دور رسول الله ﷺ وأثره بين الصحابة وأهل سنته؛ وبين دور ابن سبأ وأهل شيعته أعداء الصحابة؛ ذلك الزنديق الذي أسس حركات رفض الإسلام وتكفير الصحابة، وشرّع اغتيال علماء السنّة وقادتها، وتشويه سيرهم بالإفك والبهتان. ولو كان هذا الرافضي في زمن قائد الأمة وإمامها رضي الله عنه لما أفلت من قبضته لما أعطاه الله تعالى من الحزم الذي سحق فيه حركة الردة الرافضية التي قادها مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنبئون ضد خلافة النبوة، ففضل أبي بكر رضي الله عنه يأتي من هذه الروح المستشرفة لمستقبل الإسلام والممهدة لكل طرق تمدده وانسياحه في الأرض، ومن هذه الزاوية دان أعداء الصحابة ببغضه وكراهيته، ودان أهل التوحيد والسنة بحبه ومتابعته، فتميزه كتميز النهار عن الليل. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾[1].

وما كان يقدمه أبو بكر رضي الله عنه لنصرة رسول الله ﷺ نوهت به الآية الكريمة من قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾[2] ومن معاني ذلك ومقاصده قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ فيتضح من ذلك أن لخليفة رسول الله أيادي بيضاء قدمها لنصرة الإسلام كانت محل قبول ورضًا من الله تعالى ورسوله ﷺ ومحل شكر وتقدير واعتراف بالفضل عند جميع المؤمنين يندرج ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾[3] وأبو بكر رضي الله عنه له النصيب الأكبر في الفضل الذي أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي

(١) سورة الليل، الآيات: ١-٧. (٢) سورة الضحى، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]. وهو ما نوه به النبي ﷺ وحدث عنه كما أمره الله تعالى فقال كما سبق في أبي بكر رضي الله عنه: «**فإن له يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته**»[2]. إن إنفاق المال في سبيل الله هو الفارق بين المؤمنين والمنافقين. قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3]. وقال تعالى في المنافقين أيضًا: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[4] وأبو بكر رضي الله عنه بلغ قمة السخاء في الإنفاق في سبيل الله حتى صار ذلك علامة عليه مثبتة في القرآن كالنقطة الدالة ترشد إليه فهو: ﴿ مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهو ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ وهو الإمام والخليفة بعد رسول الله ﷺ في كل فضيلة، فمن والاه فقد والى الله ورسوله ﷺ ومن أبغضه فقد أبغضهما.

٩- الأشجع:

إن كل ما في خليفة رسول الله يدل على أن قلبه ودمه أُشرب حبًّا لدينه ونبيه ﷺ حتى إنه لم يعد يرى ولا يسمع إلا من خلال أبواب العقيدة ونوافذها، فهو على استعداد دائم للفداء والتضحية؛ لا يمنعه من ذلك قوة سلطان أو قهر جبار أو تجمع أحزاب أو دول كبرى أو صغرى، شعاره دائمًا روحي ومالي وما أملك فداء للإسلام أينقص الدين وأنا حي؟[5] لهذا تصدى لجبروت قريش حمايةً لرسول الله ﷺ وتصدى لرؤساء القبائل عندما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس ليبلغ رسالة ربه، وتصدى لمن تطاول ببعض

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٥) ينظر: سمط النجوم العوالي: الأحاديث في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢/ ٤٥٨. مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

الألفاظ النابية من المفاوضين السياسيين بين يدي رسول الله ﷺ كما فعل مع عروة بن مسعود الثقفي مبعوث قريش يوم الحديبية، وكان أشبه بظل رسول الله ﷺ في كل مشاهده وكان معه في العريش يوم بدر في أول وأعظم مشهد جهادي يسطره المهاجرون والأنصار، وكانت راية رسول الله ﷺ معه يوم تبوك، راية أكبر جيش يجيشه ويقوده رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة المباركة ليواجه أكبر دولة على وجه الأرض دولة الروم بعملائها وأذنابها، ويوم وفاته ﷺ كان خليفة رسول الله وحيدًا يدفع الخوَر والحزن والأسى والاضطراب عن النفوس التي اعتادت على العمل بين يدي رسول الله ﷺ ولم تعهد عملًا لخدمة وحماية الدين ونصرته بعد وفاته ﷺ فهي في حيرة ووجل وذهول وألم أمام ذلك المصاب الجلل.

وكان وحيدًا في صف وبقية الصحابة في صف آخر في إعلانه الحرب على من يريد أن يرفض ركن الزكاة أو يخرم الطاعة الكاملة لخلافة النبوة ويتمرد على عاصمة رسول رب العالمين ﷺ من المرتدين والمنافقين، ومن يتعاون معهم من أعداء الدين المتربصين بالصحابة الأكرمين، ولم يهن ولم يضعف في كل ذلك.

وكذلك كان جيشًا وحده في مواجهة المترددين من الصحابة رضي الله عنهم في إرسال جيش أسامة، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ قبيل وفاته. وكان خليفة رسول الله أمة وحده في إعلان الحرب الشاملة على القوى الكبرى التي كانت تنشر الكفر والجاهلية والظلم والفساد في الأرض متترسة وراء ما تملكه من القوى المادية والعسكرية وما يمده بها الجواسيس والمنافقون الرافضون لخلافة النبوة من معلومات عن تحركات المسلمين لتحقيق مآربها ونشر أباطيلها في العالمين، وفي مقدمة تلك الدول دولتا فارس المجوسية والروم الصليبية ومن يدور في فلكهما من الأتباع بائعي الأمة وفاقدي الهوية.

وفي كل ذلك كان خليفة رسول الله يقف طودًا شامخًا أمام كل الأعذار التي سمعها والحجج التي واجهها؛ حتى انقاد له الصحابة الأكرمون سامعين مطيعين مقرين بفضله وصدقه وسداده وشجاعته وعظيم جرأته، فشهد له الجميع بالفضل وعميق الفقه والفهم وبالرؤية النقية الصافية التي ترى الأحداث وكل ما يدور حول جماعة المسلمين بعيني

رسول الله ﷺ ومنهجه وتدبيره ورعايته وحزمه، وأنه بحق هو ثاني اثنين في الأمة كما وصفه ربه جلّ في علاه؛ فمن يملك ما يمتلكه خليفة رسول الله من الشجاعة والعلم والفقه ورباطة الجأش؟ ومن مثله في الثبات والفهم وقوة الحجة والتمسك بالسنة والسير على هدي النبي ﷺ دون أي تبديل أو تغيير حتى وصل بالأمة إلى شاطئ الأمان وبر اليقين والإيمان؟

فأثلج صدور المؤمنين بثباته وشجاعته وأقر عيون الصالحين، وأشعل حقد الرافضة المفترين وحسدهم له فملؤوا كتب التاريخ والأدب بالباطل والأكاذيب والبهتان والزيف، لتشويه إنجازاته وطمس أنوار حسناته؛ بشموسها التي لا تنطفئ أنوارها؛ وربيعها الذي لا تذبل أزهاره، وعبيرها الذي لا يُحجب أريجه مع نتن وكيد مبغضيه ومكرهم وتآمرهم على السنة التي سار عليها طوال حياته رضي الله عنه دون تبديل أو تغيير أو محاباة لأحد من الناس.

وهذه أفعاله ومواقفه تتحدث عنه وعن عظمته المتمركزة في تواضعه بلسان النتائج والانتصارات وتفتيت المعضلات التي تزول من هولها الجبال الراسيات، فتجاوزها خليفة رسول الله بمهارة وجدارة لا تتوافران عند غيره رضي الله عنه؛ فقد تجاوز بالأمة الفتنة الكبرى التي امتحن به إيمانها ووحدتها ونظامها يوم وفاة رسول الله ﷺ، تلك المحنة الرهيبة التي حذر منها عليه الصلاة والسلام بقوله: «**من نجا من ثلاث فقد نجا**»، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي، وقتل خليفة مصطبر على الحق يعطيه، والدجال**»[1]. لكنَّ أبا بكر رضي الله عنه حسم الأمر يوم وفاة رسول الله ﷺ على أتم وجه وأكمله وبشجاعة وإقدام وفقه وعلم لم يدع قولًا لقائل ولم يملك الجميع إلَّا الانقياد التام لحججه وبيناته التي لا تقبل التأويل، وذلك ما اتضح لأمة الصحابة يوم السقيفة ويوم ردة الرافضة ولولا فقه الصديق وسابقته ومكانته وهيبته وحكمته لما استقر حال الأمة، ولكنه العلم والتوفيق وبركات الاتباع والاقتداء والتمسك بالسنة، قال للأنصار يوم السقيفة: لقد سماكم الله في

(١) الحاكم: المستدرك، ٣/ ١٠١. ابن حنبل: المسند، (٢١٩٨٢). الخليفة: الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ٩٠.

كتابه بالمفلحين. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]

وسمانا بالصادقين والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2] فانقاد الجميع لما يقرره وعادت الأمور إلى نصابها، وأُقرت الخلافة في المهاجرين. ولولا ذلك لما وصلت الخلافة إلى عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وَلَمَا كان علي رضي الله عنه في يوم من الأيام خليفة على المسلمين! ولكنها نتائج جهاد الصديق وجهوده التي أثمرت كل هذه الثمار اليانعة، فلا نامت أعين الأفاكين أعداء سنة رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين.

فاتضح أن الرجال بالفعال والمواقف لا بالزعم والعواطف، ولولا موقف أبي بكر وشجاعته عند وفاة النبي ﷺ لما أثمر حزن الأمة على رسول الله ﷺ خلافة ولا وحدة ولا نصرًا على المرتدين، وإقامة الشرع كاملًا كما كان على عهد رسول الله ﷺ ولاضطربت الأمور واختلف الناس! ولا سيما أن أكثر القبائل أعلنت التمرد على السنة النبوية، ووقع عامتها في آثام الردة وتبعاتها المخزية، وتململ الروم واستغل الفرس الفرصة فعبروا الخليج ودخلت جيوشهم البحرين وانضمت إلى حشود الرافضة المرتدين هناك، ولعل في هذا إشارة إلى توجهات ورثتهم في هذا العصر، وكيف يحالفون أعداء الأمة والعقيدة مقابل بعض المنافع الزائلة وتنفيس الأحقاد على سنة النبي ﷺ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما تذكر ذلك يقول: لولا أبو بكر لهلكنا. أي لولا موقفه الحاسم والواضح ضد الرافضة المرتدين ورأسهم مسيلمة الكذاب ومن والاهم من المنافقين لاستبيحت مدينة الرسول ﷺ وطمس نور الإسلام.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ولعل في هذه الشجاعة الباهرة مصداقًا لقول رسول الله ﷺ في خليفته: «**لو وضِع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها**»[1]. نعم! لقد كانت الأمة يومها أبا بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر هو الأمة، فلو ضعف أو تردد أو التبست عليه الأمور لانهارت دولة الرسول ﷺ وتفتتت وضاع جهد رسول الله ﷺ، ولكن الله تعالى أبى أن ينقص الدين وفي الأمة خليفة رسول الله ومن يسير على منهجه في كل عصر وحين.

والموقف المشكل فقهيًا والعصيب عمليًا وعسكريًا، الذي تجلى فيه علم أبي بكر رضي الله عنه وقيادته وإيمانه الراسخ الذي لا تهزه الأعاصير هو يوم أن عارضه الصحابة في قتال مانعي الزكاة! ممن لا يعترض سوى على الزكاة، وأخذ يسميها الإتاوة أو الضريبة، فكان لتمويههم بلا إله إلا الله رهبة في صدور الصحابة بما فيهم الشجاع الأغر عمر الفاروق رضي الله عنه الذي أفصح عن ذلك متسائلًا بقوله: كيف تقاتل قومًا يقولون لا إله إلا الله؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم دمه وماله إلا بحقه؟**» فقال أبو بكر: الزكاة حق المال. والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة حتى لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾[2]. لقد استند أبو بكر الصديق إلى النصوص القرآنية، وفهم من الحديث النبوي ما لم يفهمه مَنْ وقف عند ظاهره، فغاص فيه واستخرج من جواهره ما رصع به تاج الانتصارات العلمية والعسكرية التي سحقت ردة رافضية عاتية قادها المتنبئون والكذابون والمتنفعون والجواسيس ومحبو الهيمنة والظهور، فمدّ من على ظهورهم المثقلة بأوزار الزيف والفتن جسورًا زحف من فوقها المؤمنون ليزهقوا

(١) الزمخشري: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، سورة آل عمران، ١/ ٢٤٩. ح(٢٦٢). الخطيب البغدادي: موضح أوهام الجمع والتفريق، ٢/ ٩٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]. وينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٤٠.

بأنوار عقيدتهم ظلم وظلام الفرس المجوس والروم الصليبيين، ولتبقى انتصاراتهم شواهد شامخة على عطاء أصحاب وجند محمد ﷺ للبشرية وللحضارة الإنسانية.

إن الشجاعة المطلقة التي تمتع بها خليفة رسول الله كانت فوق الطاقة والتدبير، لذلك طالما أثارت التساؤلات عن مصادرها تلك التي هزمت كل خور وتردد ووجل وخوف تعرض له الناس بعد فقدهم لرسول الله ﷺ فاهتزت لها عروش الأكاسرة والقياصرة الذين كانت تدين لهم الدنيا، ولكن الغرابة سرعان ما تزول إذا تدبر المتابع لسيرة خليفة رسول الله وطريقة تفكيره ومعالجته للأحداث واستمداده الأدلة من الكتاب والسنة ومن عميق فهمه الذي غذاه به رسول الله ﷺ فيما أعطاه من خصوصيات الصحبة وأسرارها وتجاربها، ويبدو أن شجاعة خليفة رسول الله ﷺ الخارقة قد أثارت معاصريه حتى قال له قائل: ما أراك تخشى لما قد بلغ من الناس من إغارة العدو؟ فقال: ما دخلني إشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإنّ رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين. قال لي: «**هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام**»[1]. ومنذ تلك الساعة التي بدأت مع أول خطوات الهجرة نحو المدينة لإنشاء دولة الإسلام التي وضع أسسها رسول الله ﷺ لم يعد في قواميس خليفة رسول الله سوى الانطلاق إلى الأمام؛ فلم تعد قوة على وجه الأرض بإمكانها أن تعيق مسيرته إلى أعلى آفاق الإيمان واليقين، وهو في كل ذلك راضٍ بكل ما يصيبه من أجل عقيدته شاكر لله تعالى حتى سمي إمام الشاكرين كما سماه بذلك زيد بن علي حين قال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه إمام الشاكرين[2]. والله تعالى قال: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3] فكان تمسكه بسنة رسول الله ﷺ وشكره لله تعالى على نعمة الإيمان قد صنعت في حناياه تلك القوة التي لا تقهر. قال القرطبي: أدل دليل على شجاعته وجرأته ثباته يوم وفاة رسول الله ﷺ وقال: فإن الشجاعة والجرأة حدهما

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه رضي الله عنه. وقد قال ﷺ: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي؛ فإنها من أعظم المصائب**»[1].

وقد ظهرت شجاعته كما بانت كفاءته وصدقه ووفاؤه بوعده منذ اليوم الأول الذي نطق فيه بشهادة الحق فضلًا عما كان يتمتع به من شجاعة فطرية جبل عليها رضي الله عنه سواء، منها شجاعة الرأي أو شجاعة القتال، فلما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه، يصيبه في ذلك ما يصيبه، ولما وجب القتال على المسلمين كان هو الأقرب من مآزق الجلاد، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازبة، ولم تذكر له قط كبوة في ساعة من ساعات الشدة التي عاشها في مسيرة حياته. ولم تكن وقعة عسكرية أشد على المسلمين من وقعتي أحد وحنين وما حصل فيهما من مفاجآت، أرتج فيها من أرتج واستشهد من استشهد، وفي أحد أشيع مقتل رسول الله ﷺ وتردد ذلك في صفوف العسكرين. فذهل من ذهل وثبت من ثبت من الذين كان الصديق رضي الله عنه في مقدمتهم حتى قال قائلهم: ما تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ[2]. ذلك هو الشجاع الذي يقول عنه علي رضي الله عنه: خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه هو السبّاق، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه[3]. وزاد من مكانته رضي الله عنه بين المسلمين موقفه من بعث جيش أسامة رضي الله عنه وموقفه من حروب الرافضة المرتدين، وموقفه من بعث الجيوش إلى العراق وإلى الشام، فقام رضي الله عنه على هذه المآثر الثلاث راعيًا ومخططًا ومنفذًا لكي يسجل له التاريخ أنه كان أمة وحده في هذه المواقف التي امتاز بها عن بقية الصحابة لتكون شاهدًا على حسن قيادته وعميق

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢٢٢، ٢/ ١٧٦. الدارمي: سنن الدارمي، باب في وفاة النبي ﷺ، ح (٨٤).

(٢) البلاذري: الشيخان أبو بكر وعمر وولدهما: ٣٧.

(٣) البلاذري: الشيخان: ٤١، ٩٨.

سياسته وليتجلى للجميع أنه كان ينظر في كل ذلك إلى الأحداث بعين النبوة وآفاقها، وأنه ثاني اثنين في كل تدبير أو تخطيط حصدت الأمة ثماره اليانعة وحدة وقوة وتفوقًا. وليثبت أنه هو الأشجع والأقدر على القيادة بعد رسول الله ﷺ لم يتردد في موقف ولم يضطرب أو يفر في معمعة، بل كان حيث يكون الخطر أقرب الناس إليه، كل ذلك أهّله ليصطفيه رسول الله ﷺ ويتخذه صاحبًا ومستشارًا ومؤانسًا ومعينًا ونصيرًا بعد الله تعالى في أحرج المواقف وأصعب الظروف، فكان في الغار ثاني اثنين، وفي عريش بدر كذلك، وثبت معه في أحد وحنين إذ قتل حامل لواء المشركين، وثبت في جميع المشاهد ومن قبل دافع عن رسول الله ﷺ في مكة وضُرب من أجله، حتى كاد يدفع حياته ثمنًا لصدق محبته وافتدائه لرسول الله ﷺ بروحه ودمه وماله وكل ما يملك.

أما موقفه من المرتدين ومانعي الزكاة فإنما غرابته أنه وجد نفسه وحيدًا بعد وفاة صاحبه ﷺ الذي اهتزت واضطربت لوفاته جزيرة العرب، وأعلنت تمردها وصارت بعض قبائلها تغزو المدينة نفسها في موقف عصيب تميد له الشُم الراسيات، ولا سيما بعدما التبس الأمر على الصحابة في مسألة قتال من تمرد على الخلافة وهو لا زال يقول بلسانه لا إله إلا الله، وكان أبو بكر رضي الله عنه الوحيد الذي ظل راسيًا ولم تهزه زلازل وعواصف المرتدين بعد هول فاجعة المسلمين بفقد نبيهم ﷺ، لقد قرر مواجهة الدنيا مجتمعة لكي تبقى رايات رسول الله ﷺ خفاقة في العالمين مهما كانت الظروف وبلغت التضحيات والنتائج! ولا سيما بعد أن تردد عمر المساند الأول له من بين الصحابة في كل مواقفه، فقد جاءه عمر رضي الله عنه يقول له: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم. فصرخ في وجهه بحزم ويقين: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام! رجوت نصرك فجئتني بخذلانك! وأقسم بالله ليقاتلنهم حتى يؤدوا الخيط والمخيط ثم قال: إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أَوَينقص الدين وأنا حي؟!![1]. فياله من موقف أثمر نجاح أمة قادت الدنيا قرونًا، موقف يدهش من يمعن النظر في ظروفه وأبعاده، حيث يقف المتابع مذهولًا أمام صلابته ورباطة

---

(١) مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

جأشه وثبات قلبه، وقد اجتمع حوله الصحابة رضي الله عنهم يرجونه أن يلين ويوافقهم على إرجاع جيش أسامة ليستعينوا به في قتال المرتدين وحماية المدينة، وهم يشرحون له حراجة الموقف وتغير الظرف فما يزيدونه إلا عزمًا ومضاء! ويقسم أنه لن يرد لواءً رفعه رسول الله ﷺ وألّا يحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده، وأنه لن يرجع جيش أسامة ولو رأى الكلاب تجر بأرجل أمهات المؤمنين في سكك المدينة![1]

وقد أكد شجاعة الصديق رضي الله عنه المطلقة المتخصص الميداني الذي أثارته هذه المسألة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قال: أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟! قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا: من يكون مع رسول الله لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منّا أحد إلا أبا بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس. ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش في مكة فهذا يجؤه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟! ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه ثم بكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله. أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون! ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[2].

نعم حُقَّ لعلي رضي الله عنه أن يبكي أخاه الأكبر خليفة رسول الله رضي الله عنه لأن الشيء بالشيء يذكر، ولأن المحن التي عاناها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو يجد

---

(١) ينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٩١.

(٢) البزار: مسند البزار، مسند علي بن أبي طالب: باب ومما رواه عقيل عن علي رضي الله عنه ح (٧٦١). العظم: أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ١٥.

نفسه فيها وحيدًا بين مكر أهل الكوفة وخذلانهم وأنانيتهم وزيف مودتهم له وسوء نواياهم، وبين همجية الرافضة الخوارج وغلظتهم وتحجر عقولهم، فكأن روحه أخذت تسبح في آفاق تجاربه ليوازن بين ما كان يعانيه وبين ما عاناه خليفة رسول الله من غدر المرتدين وزيف المتنبئين الكذابين، وغلظة الأعراب المتمردين على منهاج النبوة، فيدرك أن هناك نقاطًا كثيرة تربط بين تلك المحن وبين ما ألم بخليفة رسول الله وبين ما يعانيه هو، ولكن كم هو عظيم خليفة رسول الله إذن عندما تجاوز كل ذلك؟! ولم يفرط أو يتردد أو يضعف، حتى لو كان وحيدًا في مواجهة الكثير مما دهم الأمة من محن وفتن بعد مصابها بوفاة رسول الله ﷺ، وظل متمسكًا بهدي ورؤية وفهم وآمال وآلام رسول الله حتى توفي وهو على ذلك لم يغير ولم يبدل رضي الله عنه وكأن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه يريد أن يجعل من دموعه تلك بحرًا يسبح فيه إلى الينابيع التي كان يستقي منها خليفة رسول الله في مواجهة ظمأ قلة النصير المخلص الأمين الذي يعطي كل شيء في سبيل الله ولا يرجو إلا من الله تعالى، ولكن هيهات فشتان بين الثرى والثريا، وشتان بين عصر قائد يمسك بزمام ناقته علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين عصر يمسك بزمام ناقة قائده الأشتر ومن حوله الغادر الرافضي ابن ملجم ومرجع الرفض ابن سبأ إمام أعداء الصحابة وملهمهم الذي ملأ عقولهم بزيف أساطيره ووهم أباطيله وإسرائيلياته التي صنعت أجيال الزنادقة الرافضين لمنهج أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، منهج رسول الله ﷺ، السالكين مناهج السقوط في الأحقاد والإفك والبهتان على أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم انتصارًا للمجوسية التي سحق طغيانَها أصحابُ رسول الله ﷺ وأزالوا بغيها وظلمها بكريم تضحياتهم وجهادهم وواسع عدلهم وعلمهم رضي الله عنهم، فحق لعلي رضي الله عنه أن يبكي الصديق رضي الله عنه بعد أن استوحش من صحبة أهل الغدر والنفاق أعداء أصحاب محمد ﷺ ورافضي عقيدتهم الذين اغتالوه في مسجده رضي الله عنه كما اغتالوا الفاروق رضي الله عنه في محرابه، وحق لنا أن نبكيهما في عصر بغى فيه التحالف الرافضي المجوسي الصليبي اليهودي بغيه من جديد، وخارت فيه الأمة خورها، فأصبح الصليبيون يشتمون محمدًا ﷺ ويفترون عليه في الغرب

وتحرق مساجده القائمة على سنته في الشرق، ويغتال أئمتها وخطباؤها ومؤذنوها في بلاد قتلة علي والحسين رضي الله عنهما وعلى أيديهما الآثمة، ولا خليفة رسول الله ولا الفاروق ولا عثمان ولا عليًّا رضي الله عنهم، ولم يبق سوى مبشرات رسول الله ﷺ لأمته التي تنظر إلى إرهاصات تلك المبشرات تتجلى تارة وتخفى تارة أخرى، تعلل بها النفوس وتستثير الثبات وترقب الضياء القادم من وراء الأفق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٠- الأول:

وخليفة رسول الله هو أول من أسلم إسلامًا عمليًّا تامًّا متحملًا تبعات إسلامه وخياره وكل ما وراء ذلك من عنت قريش وصلفها، وأول من تحمل مسؤولياته تجاه رسول الله ﷺ كاملة في الدفاع والنصرة والإنفاق والهجرة والدعوة، معلنًا بكل ذلك إسلامه معتزًّا به منفقًا في سبيله دمه وماله، فإذا أسلمت في تلك الفترة أمّ كريمة أو طفل نجيب أو مولى وفيّ، وكان يخفي إسلامه أو لا يمثل إسلامه خطرًا على قريش فلم تبال بإسلامه، فلا ينبغي أن يجعل من ذلك باب للتشويش على إسلام خليفة رسول الله والتشويش على أسبقيته في كل شيء؛ لأن ذلك قد يحمله أعداء الصحابة لمآرب التشكيك والشغب والطعن، ومن ثم إحداث اللغط حول انقياد الأمة لنبيها ﷺ وخليفته ومن بعده بقية الخلفاء الراشدين، وعلى الترتيب الذي أجمع عليه المهاجرون والأنصار، لهذا فأي كلام يثار حول هذه المسألة ما هو إلا من باب اللغو والشغب ووضع العقبات أمام الرؤية الموحدة لقيادة الأمة وإمامتها التي قادها خليفة رسول الله بجدارة وأمانة ونجاح مستمر، لا تشبهه قيادة أخرى سوى قيادة رسول الله ﷺ، وأول من صدّق النبي في كل ما جاء به عن ربه بتسليم كامل لا تشوبه أي شائبة من تردد أو تساؤل، وأول من أسلم والداه أبوه وأمه، وأول من أنفق ماله كله في سبيل الله ونصرة رسوله ﷺ، وأول من شهد المشاهد كلها مع رسول الله، وأول من دعا الناس لمتابعة رسول الله ﷺ، والأول في الدعوة من بين الصحابة؛ حيث أسلم على يديه الكثير من الناس، ومنهم نصف العشرة المبشرين بالجنة، وأول من أعتق المستضعفين من

المسلمين في سبيل الله، وأول من صاهر رسول الله ﷺ من أصحابه الكرام، وأول من جند أسرته رجالًا ونساء لنصرة رسول الله ﷺ، وأول من بنى مسجدًا في بيته ليعبد الله ويعلن عن دعوته، وأول من رضي بجوار الله ورد جوار الجاهلية، وأول من واسى رسول الله بنفسه وماله، وأول من دعا رسول الله ﷺ لإعلان الإسلام في مكة، وأول خطيب خطب في المسلمين بحضور رسول الله ﷺ، ودعا إلى الله جهارًا على الملأ بحضور المسلمين والمشركين، وأول من استشهد بالقرآن دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وأول من حج بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ، وأول من خلف النبي ﷺ وعلّم المسلمين كيف يكون الثبات والاتباع والاقتداء بسيد الأنبياء ﷺ، وأول من قاتل من فرّق بين الصلاة والزكاة، وأول من قاتل الفرس بجيوش نظامية من المسلمين، وأول من زحف إلى الروم بجيوش الإسلام بنية إدخالهم في الدين أو إخضاعهم لعدل الإسلام أو طردهم من بلاد العرب والمسلمين، بل هو أول قائد واجه الروم والفرس أي الغرب والشرق في وقت واحد وانتصر عليهما في جهاده معهما، وهو أول: من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، ولم يسجد لصنم قط، وهو أول: من قاء تحرجًا من الشبهات وأن يدخل جسده لقمة من الحرام، وأول خليفة لم تغيره السلطة عمّا كان عليه قبل توليها، وهو الأول في المكانة عند رسول الله ﷺ، وهو الأول في الشورى عند رسول الله ﷺ، والأول في فقه وعلم مرامي كلام رسول الله ﷺ وفحواه؛ فقد كان وحده الذي فهم ما يرمي إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده**». وهو الأول في الزهد، والأول في الورع، والأول في الكرم والجود، وهو الأول في المكانة والوجاهة والسيادة عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه وعند الأمة إلى هذا اليوم، وأول خليفة في الإسلام لم يورث درهمًا ولا دينارًا، والأول في الإخلاص لله تعالى في كل ما قام به، إذ لم يأخذ مكافأة دنيوية على كل ما قدم من مواقف عظيمة في سبيل الله بين يدي رسوله ﷺ، وأول من شهد له رسول الله بالصدّيقية، وأول من شهد له ﷺ بالإيمان وهو غائب ليس موجودًا ومعه عمر رضي الله عنهما، وأول من لحق برسول الله ﷺ من الخلفاء الصحابة رضي الله عنهم،

وأول من صلّى بالمسلمين بأمر رسول الله ﷺ وصلى خلفه رسول الله مؤتمًّا به، وأول من أبى رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غيره، وهو أول من يدخل الجنة من أمة النبي ﷺ[1]، والأول من بين الصحابة في موافقة رسول الله ﷺ في إقامته وسفره ورضاه وغضبه وقبوله ورفضه وعطائه ومنعه وسلمه وحربه، وهو الأول في كل موقف محمود ومشهد مرموق في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته؛ فجزاه الله عن دينه ونبيه ﷺ وأمته خير ما جزى الصدّيقين عن أنبيائهم ودينهم وأممهم.

١١- أحب رجال هذه الأمة إلى رسول الله ﷺ:

يتجلى ذلك في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**». فعد رجالًا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم[2]. وهذه شهادة من رسول الله ﷺ أن أحب الرجال إليه من هذه الأمة هو الصديق، وقلب رسول الله ﷺ قلب طاهر نقي معصوم والمحبة من الإيمان، بل الإيمان هو الحب في الله والبغض في الله، ومحبة رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه من الإيمان، وإيمان رسول الله ﷺ معصوم وهو إيمان القدوة والاتباع، وهذه شهادة عظيمة توجب على كل مسلم أن يحب ما يحب رسول الله ﷺ وتؤكد أن كل من لا يحب ويوالي خليفة رسول الله فهو بالضرورة لا يحب رسول الله ﷺ ولا يواليه، وليس من الأمة، بل هو من ألد أعدائها وأكثرهم حقدًا عليها وعلى ثوابتها وعلى خيارات نبيها ﷺ. ومناقضته لشهادة رسول الله لخليفته بالإيمان وهو غائب غير موجود ورسول الله ﷺ يشهد له بالإيمان أمام جماهير الصحابة رضي الله عنهم قال ﷺ: قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راعٍ في غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راعٍ غيري. وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها،**

(١) أبو داود: السنن، أول كتاب السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٥٢).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي. باب: غزوة ذات السلاسل. ح (٤٣٥٨).

فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث». قال الناس: سبحان الله، فقال النبي ﷺ: «**فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب**»[1]. رضي الله عنهما ولم يكونا في المجلس.

فأبو بكر رضي الله عنه أعظم الناس إيمانًا يتضح ذلك من شهادة النبي ﷺ له بذلك، ويتأكد بهذه المنقبة العظيمة التي لا يشركه فيها سوى عمر الفاروق رضي الله عنه. ويستنبط من هذا الحديث فوائد جليلة منها: أن استخدام الحيوان في غير ما خلقه الله له إهدار لنعم الله ووضع لها في غير ما خلقت له. وأن آيات الله تعالى تظهر بأشكال متنوعة بحضور الأنبياء على شكل معجزات، أو على أيدي بعض الصالحين على شكل كرامات، كما هو ظاهر في كلام البقرة لصاحبها وكلام الذئب للراعي. إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما هما خيار أصحاب رسول الله ﷺ وأعظمهم فهمًا لمقاصد شواهده ﷺ في أحاديثه وأوامره ونواهيه؛ لأن الذين كانوا حول النبي ﷺ حين حدثهم بهذه الأحاديث العجيبة من كلام البقرة وكلام الذئب سبحوا الله تعجبًا واستغرابًا أن يقع مثل ذلك. فبين لهم رسول الله ﷺ أنه يتكلم بما يتكلم ويقول ما يقول مؤمنًا به واثقًا من خبر الله سبحانه وتعالى، وأن أبا بكر وعمر يؤمنان معه ﷺ بذلك وهما غائبان عن ذلك المشهد، وهذه شهادة لهما على عظيم الإيمان وعميق التصديق الذي يمتازان به عن جميع البشر بعد الأنبياء؛ يصرح بها رسول الله ﷺ على الملأ، وأنهما لا يترددان قط في قبول خبر النبي الصادق الأمين ﷺ الذي لا يقول إلا حقًّا، ولا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2] فأي شهادة أعظم من هذه الشهادة وأي منزلة أعظم من أن يشهد لهما رسول الله ﷺ وليسا حاضرين، وأنهما يؤمنان بما قال، ويصدقان ما يقول، لا شك أن هذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لصاحبيه المؤمنين المخلصين رضي الله عنهما وأرضاهما يعتز بها كل مؤمن ويزداد ثقة وتعلقًا واتباعًا لوزيري محمد ﷺ بقدر ما يسفه المشككون بمنزلتهما

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٣).

(٢) سورة النجم، الآية: ٤.

في الإسلام ويزداد حذرًا ويقظة لما يمكرون به، يستمد ذلك من هذه الشهادة النبوية التي تنكس رؤوس أعداء الصحابة ومبغضي السنة وتركسهم في غيهم ونفاقهم وزندقتهم، حينما يردون الأحاديث الصحيحة ويصنعون الأساطير والأوهام ليطفئوا بها نور أحاديث رسول الله ﷺ.

- شهادة رسول الله ﷺ لخليفته بالمنزلة العليا في الجنة:

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سبق ذكره بغير هذه الصيغة، والذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**». فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[1].

وفي هذا الحديث من الفوائد: رجاء رسول الله ﷺ أن يكون الصديق رضي الله عنه هو الذي تنادي به الملائكة من أبواب الجنة جميعًا، كل منها يرجو أن يدخل من الباب القائم عليه، وهذا تشريف عظيم لخليفة رسول الله وأن أبواب الجنة الثمانية كلها مشرعة لدخوله والملائكة تتنافس وتتسابق في تشريف الصديق وتكريمه بدعوة كل منهم إياه أن يدخل من الباب القائم عليه.

وما ذلك إلا لأن خليفة رسول الله كان مبرزًا في كل أبواب الخير؛ في الجهاد والكرم والصيام والصلاة بما لم يشبهه فيها غيره. وهذه شهادة من رسول الله ﷺ على عظيم كرم خليفة رسول الله، وأنه أنفق من كل ما يملك زوجين في سبيل الله، وأن ذلك كله كان خالصًا لوجه الله تعالى بدليل رجاء النبي ﷺ أنه سيُنادى من كل أبواب الجنة.

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم. باب: الريان للصائمين، ح (١٨٩٧).

- شهادة علي رضي الله عنه أن خليفة رسول الله هو خير الناس بعد النبي ﷺ:

وبناء على علم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بمقام خليفة رسول الله في الأمة أجاب ابنه محمد ابن الحنفية بما لا يدع مجالًا للتردد على معرفة الأمة بذلك المقام الكريم، قال محمد: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[(١)]، وهذه شهادة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه هو خير الناس بعد رسول الله ﷺ وأن عمر رضي الله عنه هو خير الناس بعد رسول الله والصديق رضي الله عنه، فبماذا يعتذر المبطلون وبأي ضلال يتيهون عندما يردون خيار رسول الله وشهادة علي رضي الله عنه وما قامت عليه الأحداث في واقع الأمة إلى هذا الحين؟ فتبًّا لمن يروج الأكاذيب لتضليل الناس عن مناهج الصالحين وأخلاق المتقين، ولم يكن هذا الموقف عارضًا في حياة أمير المؤمنين في مودته وتبجيله لشيخي الأمة ووزيري محمد ﷺ، بل كان هذا هو خلقه واعتقاده الذي سار عليه إلى أن لحق بهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لواقف يوم وفاة أمير المؤمنين عمر الفاروق في قومٍ، فدعوا الله تعالى له، وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي، يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر**». فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٢)]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضًا قال: وضِع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعني إلا رجل آخذ بمنكبي، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر رضي الله عنه، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول:

---

(١) البخاري: ك: فضائل الصحابة، ح (٣٦٧١).

(٢) البخاري: ك: فضائل الصحابة. ح (٣٦٧٧)

«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[1].

وفي هذا الحديث كثير من الفوائد منها: شهود ابن عباس وعلي رضي الله عنهما جنازة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأن عليًّا رضي الله عنه كان يرجو أن يدفن عمر بجوار النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه كان كثيرًا ما يسمع النبي ﷺ يذكر نفسه ثم أبا بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه فيقول خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر. فاستنبط علي رضي الله عنه من ذلك أنهما لا بد وأن يكونا أصحابًا لرسول الله ﷺ في الآخرة كما جعلهم الله أصحابًا للرسول ﷺ في الدنيا، وهذا من فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعميق محبته للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا ما صدقه واقع الحياة الذي صارت عليه الأمور ولا زالت، وتلقته الأمة بالرضا والقبول والمتابعة والاقتداء.

١٢- الإمام:

إن إمام الأمة بعد نبيها هو قائدها المؤهل ليسد مسد صاحبه رسول الله ﷺ في حال غيابه، حيث أعده النبي ﷺ لتلك المهمة التي تنوء بها الجبال، إذ كيف يمكن لرجل لا يملك إلا إيمانه ويقينه وتوكله أن يسد ثغرة تركها أعظم نبي أرسله الله تعالى إلى البشر ليؤدي أعظم وأوسع رسالة يرعاها ويوجهها الوحي في اتصال دائم ما بين السماء والأرض؟ لهذا كان التكليف مضنيًا ولولا إعداد رسول الله ﷺ لصاحبه وتزويده بتجاربه وحرصه ألَّا يغيب عن واحدة منها، حيث احتفظ به ﷺ صاحبًا في كل أحواله في السفر والإقامة والسلم والحرب. ليؤكد للأمة في كل ذلك أنه قد هَيَّأَ أبا بكر من خلال تمسكه به وملازمته له ومشاورته وتقديم رأيه على غيره، والتأكيد على تقريبه في كل موقف مرّ به رسول الله ﷺ، وحرص أبي بكر رضي الله عنه على ذلك بكل حواسه، مما أشهر مكانته للقاصي والداني، حتى علم المشركون تلك المنزلة؛ يؤكد ذلك نداء أبي سفيان بن حرب يوم أُحد بعد أن أُشيع أن النبي ﷺ قد قتل فقال: أفي القوم محمد؟ أفي القوم ابن أبي قحافة أبو بكر؟ ولم يكتف رسول الله ﷺ بكل هذه

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: مناقب عمر بن الخطاب، ح (٣٦٨٥).

التأكيدات التي تؤكد منزلة أبي بكر في الأمة حتى أعلن ﷺ أنه قد خلفه فيهم إمامًا يقوم مقامه ويقف موقفه ﷺ؛ فعندما سمع تكبير غير أبي بكر في إمامة الصلاة خرج مغضبًا وهو يقول: «**لا، لا، لا. ليصل بالناس ابن أبي قحافة**»، وقوله ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**». فلما سمع النبي ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا. قال: «**فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون**»[1]. فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر رضي الله عنه تلك الصلاة فصلى بالناس. وغير ذلك من المواقف التي جاءت في كتب الصحاح والسنن التي ستتضح في مبحث صلاة أبي بكر رضي الله عنه في المسلمين.

وزاد ذلك الموقف تأكيدًا عندما اعتذرت أم المؤمنين الطاهرة لأبي بكر رضي الله عنه عن الإمامة بأنه بكّاء لا يُسمِع الناس؛ فأبى ذلك رسول الله ﷺ ولامَ من ردد عليه ذلك لومًا شديدًا ليؤكد في كل ذلك أنه لا إمام للأمة بعد نبيها ﷺ إلا خليفته وصاحبه الصديق رضي الله عنه. قالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**». قالت: قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل، فقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت عائشة: فقلت لحفصة قولي له: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منكِ خيرًا[2].

وسبب مراجعة أم المؤمنين لرسول الله ﷺ في الاعتذار عن أبي بكر رضي الله عنه يوضحه قولها رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده ﷺ رجلًا قام مقامه أبدًا، وإني كنت

---

(١) يقول ذلك مغضبًا. أبو داود: السنن، كتاب السنة، باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ح (٤٦٦٠)، وهو حديث حسن.

(٢) البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٧٩).

أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر[1]. لكنه ﷺ لم يقبل هذه المراجعة وأصر على إمامة أبي بكر للأمة بكل قوته ﷺ، فعندما مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه. قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت أم المؤمنين عائشة: يا رسول الله، إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فعادت فقال: «**مروا أبا بكر فليصلّ بالناس، فإنكن صواحب يوسف**»[2].

فأتى أبا بكر رضي الله عنه الرسولُ فأخبره بأمر النبي ﷺ فجاء فصلى بالناس في حياة رسول الله ﷺ.

فكل هذه الأحاديث وغيرها كثير تؤكد أن رسول الله ﷺ لم يقبل أن يؤم المسلمين أحد من الناس غير صاحبه وخليفته رضي الله عنه، ومن هنا يتضح بهتان الرافضة على رسول الله ﷺ عندما ينسبون الإمامة لعلي رضي الله عنه ويفترون على رسول الله ﷺ ما يسمى بالوصية، وتوابع ذلك من البهتان أن الصحابة اختلفوا على الإمامة وما إلى ذلك من أمور لا أساس لشيء منها من الصحة أو الحقيقة في واقع الأمة وكل مسلم عاقل يعلم أن ذلك بهتان عظيم، والذي يجب أن يعلمه كل مسلم أيضًا أن هذه الفرية الرافضية ليس هدفها إمامة علي رضي الله عنه أو غيره من آل بيت نبينا الأبرار الأطهار رضي الله عنهم الذين هم أكثر الناس حبًّا وطاعة ونصرة لخليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وحربًا على أعدائه؛ ولكن مقاصد أولئك الأشرار هو شق عصا المسلمين وتمزيق صفهم وحرفهم عن سنة نبيهم ﷺ وتشكيكهم بعقيدتهم ونزع محبة إمام الأمة وقائدها وإخوانه الصحابة من صدور المسلمين؛ لتبقى الأمة في صراع ونزاع وفتن تأتي على كيانها ووحدتها وقوتها، لكي يعمل أعداء الصحابة بعد ذلك على بعث نار المجوس من جديد ونشر دين الزندقة الذي يدعو إلى

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك: المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ح (٤١٨٠) مسلم: صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، ح (٤١٨).

(٢) البخاري: ك: الجماعة والإمامة. باب: إذا بكى الإمام في الصلاة، ح (٧١٦).

عبادة القبور وإشاعة الأعراض والأموال واختلاط الأنساب وانتشار الرذيلة وطمس سلطان السنة المطهرة وهيبتها في القلوب؛ وقهر أنصارها ولا سيما العرب منهم.

ومما يرد باطلهم وفحيحهم على الطاهرة العالمة الفقيهة أم المؤمنين رضي الله عنها بأنها كان لها دور في إقناع رسول الله ﷺ باختيار أبي بكر رضي الله عنه إمامًا للأمة؛ هو خوفها رضي الله عنها على أبيها الصديق رضي الله عنه أن يتشاءم الناس من مقامه إذا وقف في مقام رسول الله ﷺ مما يدل على نزاهتها وبراءتها رضي الله عنها مما ينسبه إليها كذبًا أعداء الصحابة الرافضون لأمر رسول الله ﷺ وأنها لم تكن لا هي ولا أبوها رضي الله عنهما طامعين في إمارة أو خلافة أو إمامة، ولكنه أمر رسول الله ﷺ وإصراره اللا متناهي على تولية أبي بكر رضي الله عنه وإمامته؛ مما أكد أن رسول الله ﷺ لم يكن ليدع أهم أمر في حياة الأمة وهو الإمامة دون أن يرشد إليها ويبينها ويؤكدها علنًا لأبي بكر رضي الله عنه على رؤوس الأشهاد، ويبين إمامة الصديق أتم البيان ليتضح لكل مؤمن برسول الله ﷺ أن ما يهذي به الرافضة لا قيمة له في دنيا الحقيقة، وأنه لا خيار أمامهم في الإمامة إلا باتباع السنّة في إمامة أبي بكر رضي الله عنه أو ردها، ورفض أمر رسول الله ﷺ ومن ثم الدخول في دهاليز الباطنية والتقية والشعوذة المؤدية إلى الردة وصناعة الدين البديل المخالف لما جاء به محمد ﷺ فإمامة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه هي فيصل بين السنة والردة، وسحقًا لمن يرد أمر الله ورسول الله ﷺ ولا يرضى بإمامة قائد الأمة وخليفة نبيها ﷺ الذي ارتضاه لها وأكدت سيرته وأيامه ومواقفه أنه هو الإمام والخليفة الذي لم يخرم مما كان عليه رسول الله ﷺ شيئًا.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تقول الموت، قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[1]. وهذه شهادة بينة جلية من رسول الله ﷺ وخبر صحيح منه، ودلالة من دلائل نبوته وصدقه ﷺ وأن الإمام الذي سيرجع إليه الناس بعد وفاته ﷺ إنما هو الصديق

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، فضائل أبي بكر، ح (٦١٧٩).

رضي الله عنه؛ فأي شهادة أبلغ من هذه وأصرح للدلالة على أن المرجع بعد رسول الله ﷺ إنما هو خليفته أبو بكر رضي الله عنه، وأي معنى يعود لما يلوكه الرافضة ومن يردد عنهم من الجهلة والمستشرقين أباطيل الإمامة لغير خليفة رسول الله ﷺ.

وبهذا يثبت يقينًا أن اختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بحضور جميع الصحابة وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه في ذلك الوقت وفي مثل تلك الحال وبذلك الحسم والوضوح والصرامة ليصلي بالناس؛ أعظم دليل على تقديمه وتزكيته لإمامة المسلمين والقيام بالأمر من بعده. كما استدل بذلك الصحابة. وقالوا: رضيه رسول الله لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا؟ وذلك أن الصلاة هي عمود الدين وأعظم أعمال الإسلام وشعائره، وهي أعظم أعمال الخلفاء والأمراء والولاة.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] فبدأ بالصلاة أولاً حتى يُشعر الأمة أنها أعظم أعمال الدين وأعظم أفعال ولاة الأمور، واختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ليؤم الناس في مرض موته ﷺ أصرح الدلالات على أن رسول الله ﷺ اختار الصديق لإمامة المسلمين وخلافة النبوة. فهل يكف الغوغاء الذين يرددون الباطل والزيف ويكذبون الحق والواقع عن هذا الهذيان ويرددون بدلًا من ذلك قوله ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» ليكون ذلك من أعظم البركات والخيرات على الأمة الإسلامية، إذ قام بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة وإمامتها خير ما يقوم به ورثة الأنبياء وخلفاؤهم، على طريق الرشد والسداد، وحفظ أعلام السنة كما أرادها رسول الله ﷺ خفاقة حية قائمة على الأرض وفي القلوب والأقوال والأفعال.

١٣- سيد الصحابة:

لعل من أوضح الأدلة على أن خليفة رسول الله سيد الصحابة رضي الله عنه ما جاء في

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

الأحاديث التي تظهر مكانته رضي الله عنه بين الصحابة، في مثل قوله ﷺ: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**». وقوله ﷺ: «**يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، وقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(١)، وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»(٢). وقول أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه معترفًا بذلك الفضل وتلك السيادة ومؤكدًا لها: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا(٣).

وما ورد في **الصحيح** من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه عن يوم السقيفة الذي منه قوله لأبي بكر رضي الله عنه أمام جمهور الصحابة رضي الله عنهم: نبايعك أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ(٤). وقوله رضي الله عنه: والله لأن تضرب عنقي من غير أن يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتقدم على قوم فيهم أبو بكر. وما ورد من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يؤكد مكانة خليفة رسول الله في قلبه ووجدانه في مثل قوله: والذي نفسي بيده؛ ما استبقنا إلى خير قط؛ إلا سبقنا إليه أبو بكر(٥). وقوله رضي الله عنه المتواتر من على أعواد منبر الكوفة: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري(٦). وقوله رضي الله عنه: سبق رسول الله ﷺ وثنى أبو بكر وثلث

---

(١) أبو داود: كتاب السنة، باب لزوم السنة، ٥/ ١٣ – ١٧. الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٥/ ٤٤، ٤٥. وقال: صحيح حسن. ابن أبي شيبة: المصنف، ٢/ ٣٠٦. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٦.

(٢) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٢٣٣ – ٢٣٦. ابن حنبل: المسند، (٢٢٧٣٤). الخليفة: الإنصاف، ٩٦.

(٣) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح: ٤٤٢١. صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤) و(٣٦٦٨). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣)، (٦٣٤) سنن النسائي: كتاب الإمامة، باب: الائتمام بالإمام يصلي قاعدًا (٨٢٤).

(٥) الطبراني: المعجم الأوسط، ح (٧١٦٨) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٧٦.

(٦) ابن أحمد: كتاب السنة، ٢٢٩. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٩٧٣.

عمر[1]. وقوله حين قيل له يوم استشهاده: ألا تستخلف؟ فقال: أتركَكم فإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خيركم كما جمعنا بعد رسول الله على خيرنا - أبي بكر -[2]. وقوله: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**». وقوله ﷺ في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما**»[3].

وبهذه النصوص تتبين سيادة أبي بكر رضي الله عنه على لسان سيد ولد آدم ﷺ وعلى لسان سادة العرب وأئمة المسلمين أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما يظهر فيهما أدب عمر رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه بين يدي إمامهما أبي بكر رضي الله عنه حيًّا وميتًا وأمام رعيتهما وهما أمراء الناس لا يوجد فوقهما سلطان لأحد من البشر؛ كل ذلك يدل على ما لأبي بكر رضي الله عنه من إمامة في الدين ينقاد لها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ فضلًا عن عامتهم وعامة المؤمنين؛ فهذا رسول الله ﷺ يأبى أن يتقدم على أبي بكر أحد من الناس، وذاك الفاروق ينادي بأن أبا بكر سيد المؤمنين، وعلي يعلن للأمة وهو ينازع الموت بأن أبا بكر هو خيرهم رضي الله عنه؛ فبأي لسان يتكلم أعداء الصحابة الحاقدون؟ وأي منهج من مناهج البحث يجيز النظر في إفكهم بعد كل هذه الحقائق؟! وهنا يظهر زيف الحاقدين الرافضين لإمامة أبي بكر رضي الله عنه حسدًا وبغضًا وردًّا لما أمر به رسول الله ﷺ وأوصى به وأقره الوحي وتلقته الأمة بالقبول والفخار والاعتزاز؛ فأي قيمة لما تلوكه ألسنة أعداء الصحابة ومن يردد بهتانهم عندما يرفع أبطال الإسلام وسادة الناس سيوفهم وسياطهم بوجه من يفضلهم على أبي بكر رضي الله عنه تفضيلًا فقط دون أي انتقاص من مقام خليفة رسول الله؟! وكم هي سامية تلك السيادة التي لو كذب بها أحد من الناس لحاسبه أئمة الشرع والدين وقادة السياسة، وفي مقدمتهم عمر رضي الله عنه وعلي

---

(١) ابن أحمد: السنة، ص ٢٢٩. حديث: (١٢٤١)، (١٢٤٩).

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/٩٧٣. المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/٢١٩. الإنصاف: ١٢٨.

(٣) ابن حنبل: المسند، كتاب وباب حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري، ح (١٧٥٣٣).

رضي الله عنه؛ وعلى هذا كم هم مفرّطون من يسمعون انتقاص أبي بكر رضي الله عنه من سفهاء ورافضة ومستشرقين ثم يتشكك البعض منهم لعل في بعض ما يسمعه من أولئك الأفاكين شيئًا من الحقيقة أو يقع في نفوسهم أن ذلك وجه من وجوه البحث وحرية النقد، وما يتلبس به بعض الأغبياء ممن اتخذوا تلك الشعارات للطعن بخيارات رسول الله ﷺ ووحدة أمته والعبث بهويتها ومستقبلها، والخلاصة أن الشك في سيادة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه على كافة الناس بعد الأنبياء وعلى كافة المؤمنين بعد رسول الله ﷺ إنما هو رد لأمر رسول الله ﷺ وهزيمة روحية وإدبار سياسي وخزي فكري وتلاعب غير شرعي بالنصوص الصحيحة؛ وما يترتب على ذلك من فوضى ثقافية، وتقاطع فكري، وإسقاط للثوابت، وانحناء لغير الله أمام إفك أعداء الصحابة ومن يحاول أن يتسلل معهم من أعداء السنة إلى بساط الأمة؛ لنقض غزل المؤمنين وتخريق ما أحكم نسجه المتقون المجاهدون.

١٤- جامع خصال الخير:

إن كل مسلم حريص على أن يجمع أطراف الفضل وخصال الخير وأعمال المعروف لكن كثيرًا من العوائق والحوائل تقف بين الناس وبين ذلك، ولا يوجد من بين المسلمين من هو أحرص على إنجاز تلك الصفات والتخلق بها من أصحاب رسول الله ﷺ مقتدين بذلك بنبيهم ﷺ الذي اجتمعت فيه كل صفات الفضل والهدى والخير والتقى، ولا يوجد فضل يتصف به أحد من الناس إلا ورسول الله ﷺ يأتي قبله بمسافات واسعة وخطوات شاسعة، وبسمات فطرية وموارد ومصادر على السجية. ويأتي بعده في كل ذلك صاحبه الأمين الذي تشرب أخلاق نبيه ﷺ ورؤيته للحياة ومواجهته للمصاعب والمتاعب، وعفوه وصفحه وثباته وكرمه وغير ذلك مما اكتسبه واستقاه من الشمائل النبوية؛ أعانه على تحقيق ذلك أنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة، وهو الذي أنفق ماله كله في سبيل الله وهو الذي سخر أهله لخدمة رسول الله ﷺ ونصرته، وهو المجاهد المنفق الباذل المعتق المتواضع الصادق المصلح بين الناس، المألوف المحبوب الرضي

الهني السخي الزاهد الورع الذي جمع خصال الخير التي أمر بها الله ورسوله ﷺ، فإذا أمعن الباحث النظر فيما وُصِف به أصحاب النبي ﷺ يجد أن خليفة رسول الله ﷺ يأتي في مقدمتهم في كل ذلك على سجية وسليقة يسير فيها على أذيال رسول الله ﷺ وعلى خطاه؛ فهو «ثاني اثنين» كما أثبت ذلك كتاب الله تعالى وهو ما شهد له به الحديث الصحيح أيضًا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**». قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**». قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**»[1].

ولو كان متابعة ألقاب خليفة رسول الله من مقاصد هذا الكتاب لاستطاع الباحث التدليل على أن خليفة رسول الله ﷺ قد قرن اسمه مع كل موقف نبيل ومع كل موقف شرف وعلم وذكاء وكرم وشجاعة وإيثار ونزاهة وصدق وإخلاص وعفاف وورع وزهد ورحمة ولين وشدة وقوة ورزانة وأريحية وصبر وعفو واحتساب وإدارة وقيادة واعتبار بالماضي واستشراف للمستقبل، بل مع كل فضيلة وخلق سامٍ عظيم، ويأتي في كل ذلك في المقدمة بعد رسول الله ﷺ على ذات السنة ومعالم النهج وبذات المقاصد الربانية التي لا حظ فيها للنفس أو الجماعة أو القبيلة عطاؤه لله ومنعه لله، وكذلك رضاه وغضبه وولاؤه وبراؤه؛ القوي عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى يأخذ له الحق، وأشرع للأمة كل سبل المراقبة والمحاسبة والنقد وعلى أي أمر يخالف سنة رسول الله ﷺ أو منهجه الذي عايشوه معه، لكنهم لم يجدوا إلا الإحسان والاتباع السامي الرشيد؛ فلم يجدوا أمام ذلك إلا الانقياد والسمع والطاعة مع المحبة والهيبة، فلا حاجب له يحول بينه وبين المسلمين؛ وهو كأحدهم لا حق له يمتاز به عنهم يشاركهم في آمالهم وآلامهم، يتأخر حين العطاء ويتقدم حين التضحية والفداء، رسم دروبًا معبدة وآمنة لمن يريد الاتباع والاقتداء والعدل والإصلاح، بعيدًا عن الرياء والعصبية والإقليمية التي وقع فيها كثير من

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح (١٠٢٨).

الأدعياء في هذا العصر؛ فأفشلوا الإصلاح وأعاقوا المسير ببعدهم عن الجوهر وتمسكهم بالمظهر؛ فالمسميات جميلة والفعال قبيحة، ضنّ غنيهم بدرهمه وفقيرهم بوقته، فجمعوا الوهن والفشل ببرود قواهم وعجز نواياهم وتبلد ولائهم وموت انتمائهم، حتى أصبحت الأمة في ظلال اجتهاداتهم وسياساتهم في حال لا تحسد عليه بعد أن سلط عليها أخس الخلق وأذل الفرق والطوائف، فأصبحوا يتجرعون الذل والهوان بين رايات انبطاحهم لليهود ومداهنتهم لأعداء الصحابة، فعمّيت عليهم بذنوبهم طريق السنة ونهج السلف وسيرة خليفة رسول الله، بما فيها من التمسك بالهوية والولاء للسنة والعداء عليها، وبذل الغالي والرخيص لنصرتها ومواجهة من ينتقصها، كما تجلى ذلك واضحًا في كل ما قام به خليفة رسول الله الذي لا زالت راياته شامخة تنادي الصادقين أن تجردوا من عبادة الذات والولاء للإقليميات لتسمو بكم الصفات فترتفع الرايات، فتجمعوا خصال الخير كما جمعها سلفكم في سيرهم الطيبة المباركة المطهرة من شوائب التحزب والتعصب أو التعالي والاغترار ببريق الدرهم والدينار الذي ركع له كثير من الغافلين عما يراد بهم ويجري حولهم ممن يعتقدون ويظنون في هذا العصر الذي اقتلعت فيه الثوابت وهبت في كل أجوائه الزوابع والأعاصير؛ أن هناك من يحميهم من البشر ويسبغ عليهم نعمة الأمن من دون الله تعالى.

ولعل فيما سبق تناوله من ألقاب خليفة رسول الله ما يكفي لبيان مقاماته السامية الرفيعة وصفاته الشريفة الحميدة، ومقاصده النبيلة وإنجازاته العظيمة؛ التي أثبتت جميعها أنه لا يوجد بديل عن طريق السنة الهادية التي سلكها رضي الله عنه بالفهم المتحرر من النزعات والنزغات؛ مع براءة النوايا وخلوص الأهداف، وفيما بان من خصائص ومزايا أنتجت سيادة التوحيد وعز الوحدة وهبوب رياح النصر والتقدم في كل صفحات الحياة التي عاشتها الأمة في عصر خليفة رسول الله، حتى أصبح رضي الله عنه نورًا كاشفًا يبارك المؤمنين ويفضح المرتدين المخادعين المحاربين لكتاب الله وسنة رسوله الأمين؛ من المبغضين للصحابة الأكرمين بُناة الأمة وصانعي الحضارة وحُماة الدين رضي الله عنهم أجمعين.

١٥- خليفة رسول الله:

إذا كان من المعلوم أن اسم الخليفة يطلق عمومًا على كل من قاد الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه فإنه من المؤكد أيضًا أن اللقب الحقيقي لهم الذي تداولته الأمة والرعية في حياتهم؛ هو أمراء المؤمنين؛ فأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان وأمير المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين وهكذا، بينما إذا ذكر أبو بكر رضي الله عنه فإنه لا يقال له أمير المؤمنين وإنما يقال: خليفة رسول الله، وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]. هذه المعية التي بقيت له في حياته ولم تفارقه بعد مماته ولن تفارقه إلى قيام الساعة؛ تأكيدٌ لمعية الله تعالى مع النبي ﷺ وخليفته رضي الله عنه، فلا يذكر أبو بكر رضي الله عنه حتى يذكر الله والرسول ﷺ، وذلك في قولنا: خليفة رسول الله.

وقد كان لقب خليفة رسول الله الذي اختص به الصديق رضي الله عنه تشريفًا من الله تعالى له أولًا، وإجماعًا من الأمة ثانيًا على أنه هو الذي سد مسد رسول الله بعد وفاته ﷺ، وهو الذي حمل الأمة على السير في طريقه دون أي التفات أو تردد، وقد زاد تمسك الصديق بمنهج رسول الله ﷺ الأمة تعلقًا به وأنسًا بوجوده حتى خفف عليهم وحشة فقد وجه رسول الله ﷺ؛ وثقة بتدبيره وتخطيطه واجتهاده وعلى الصعد كافة؛ لذلك أجمع الصحابة على مخاطبته بخليفة رسول الله في كل الأحوال وفي جميع المناسبات، وكأنهم عندما يرونه يحسون بقرب رسول الله ﷺ بينهم أكثر وأكثر مما يبعث في نفوسهم وقلوبهم ومشاعرهم الاندفاع الكامل لتنفيذ توجيهاته وتحقيق وصاياه وتعليماته؛ دون أن يستخدم أي سلطة للإكراه أو الضغط مكتفيًا بسلطة الثقة والمحبة والود والألفة التي تجسدت له في قلوب المؤمنين، ولولا هذا السلطان الذي لا يقاوم؛ لما استطاعت أي سلطة على وجه الأرض أن تقود المهاجرين والأنصار تحت رايات الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنه في مثل تلك الظروف التي قادهم فيها بعد وفاة النبي ﷺ، ولولا سلطات الحب القاهرة التي

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

تتربع لأبي بكر رضي الله عنه في قلوب المؤمنين لما استطاعت سلطة على وجه الأرض أن تجيش المسلمين لمحاربة الرافضة المرتدين الذين كانوا من القبائل العربية التي ترتبط أنسابهم وأحلافهم مع المسلمين بأكثر من رابط وثيق، ولكن محبة خليفة رسول الله والثقة بإمامته كانت أعلى وأغلى وأقوى من أي رابطة أخرى مع كثرة عدد الرافضة المرتدين وشدة بأسهم وقرب معاقلهم وحصونهم وتموينهم وأنصارهم؛ وقلة المسلمين ووهنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ وبعدهم عن معاقلهم ومصادر تموينهم، ولكن ما يفعله الحب يعجز عن فعله السيف، وهذا ما تحقق لخليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أتم وجه وأكمله، فكان الكل يخاطبه بـ (يا خليفة رسول الله) في الشدة والرخاء وفي الليل والنهار وفي المسجد والبيت والسوق والعسكر والمتجر والمزرعة، وفي كل مكان وزمان مع الهيبة التامة المقرونة بالمحبة والطاعة الكاملة له طوال حياته وبعد مماته رضي الله عنه.

وهكذا نرى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم الأمة على مخاطبة أبي بكر رضي الله عنه بـ (يا خليفة رسول الله) في كل شؤونهم.

ومع معرفة أعداء الصحابة بأن خليفة رسول الله هو الأول بعد رسول الله ﷺ بدلالة قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ وأنه إذا ذهب الأول تولى الثاني الأمر من بعده تلقائيًّا؛ ومع علمهم بأن الصحابة ومن بعدهم الأمة لا يرضون سواه خليفة لرسول الله ﷺ فإنهم يصرون بدوافع حقدهم وكراهيتهم للمؤمنين ومضاهاتهم لله ولرسوله الأمين على تسميته بغير ما سماه الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون؛ ليقيموا بذلك الحجة على أنفسهم وعلى من يواليهم أو يصدقهم بأنهم هم الرافضون لأمر الله، المرتدون عما جاء به رسول الله ﷺ، وأن المؤمنين هم المكرمون بالطاعة والقبول والرضا بما يأمر به الله ورسوله ﷺ يتجلى ذلك في انقيادهم لخليفة رسول الله في كل شؤون حياتهم.

١- في السياسة وشؤون الحكم:

عن أبي برزة الأسلمي أنه قال: كنا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عمله فغضب

على رجل من المسلمين، فاشتد غضبه عليه جدًّا، فلما رأيت ذلك قلت: يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ فلما ذكرت القتل صرف عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو، فلما تفرقنا أرسل إلي بعد ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه. فقال: يا أبا برزة ما قلت؟ قال: ونسيتُ الذي قلتُ، قلت: ذكرنيه. قال: أما تذكر ما قلت؟ قال: قلت: لا والله. قال: أرأيت حين رأيتني غضبت على الرجل فقلت: أضرب عنقه يا خليفة رسول الله، أما تذكرت ذاك؟ أوَكنت فاعلًا ذاك؟ قال: قلت: نعم، والله والآن إن أمرتني فعلت. قال: ويحك - أو ويلك - إن تلك والله ما هي لأحد بعد محمد ﷺ[1].

وعن أبي نصر عن أبي برزة الأسلمي أيضًا. قال: غضب أبو بكر على رجل غضبًا شديدًا لم يُر أشد غضبًا منه يومئذ، فقال له أبو برزة: يا خليفة رسول الله، مرني فأضرب عنقه. قال: فكأنها نار طفيت، قال: وخرج أبو برزة، ثم أرسل إليه، فقال: ثكلتك أمك! ما قلت؟ قال: قلت: والله لئن أمرتني بقتله لأقتلنه. قال: ثكلتك أمك أبا برزة، إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ[2] وفي هذا تأكيد بأن أي عمل لا يقره الشرع لا يجوز العمل به.

٢- مع الجيوش وقيادتها:

عن عبد الله بن عبيدة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما أمَّر على الأجناد يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه على جند، وعمرو بن العاص رضي الله عنه على جند، وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنه على جند، وأمَّر خالد بن الوليد رضي الله عنه على جند، ثم جعل يزيد رضي الله عنه على الجماعة، وخرج معه يشيعه ويوصيه، ويزيد راكب وأبو بكر رضي الله عنه يمشي إلى جنبه. فقال يزيد: يا خليفة رسول الله! إما أن تركب وإما أن أنزل وأمشي معك. فقال: إني لست براكب ولست بتاركك أن تنزل، إني أحتسب هذا الخطو في سبيل الله. يا يزيد، إنكم ستقدمون أرضًا يُقدم إليكم فيها ألوان الأطعمة، فسموا الله

---

(١) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر الصديق، ح ٦٢، ح ٧٩.

(٢) أحمد: المسند، مسند أبي بكر الصديق، ح ٨٠.

إذا أكلتم، واحمدوه إذا فرغتم. يا يزيد، إنكم ستلقون قومًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم فهي كالعصائب فافلقوا هامهم بالسيوف، وستمرون على قوم في صوامع لهم، احتبسوا أنفسهم فيها، فدعهم حتى يميتهم الله فيها على ضلالتهم. يا يزيد، لا تقتل صبيًّا، ولا امرأة، ولا صغيرًا، ولا تخربن عامرًا. ولا تعقرن شجرًا مثمرًا ولا دابة عجماء، ولا بقرة ولا شاة إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلًا، ولا تغرقنه ولا تغلل ولا تجبن[1].

٣- في وصاياه لقادة الجيوش:

عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام؛ يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنهم. قال: لما ركبوا مشى أبو بكر رضي الله عنه مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أتمشي ونحن ركبان؟ فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض ولا تعصوا ما تؤمرون، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين، وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله، ولا تغرقن نخلًا ولا تحرقنها ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا

---

(١) سعيد بن منصور: السنن، ك: ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا، ح ٢٣٨٣.

أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في رؤوسهم أفحاصًا، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله[1].

٤- في رعاية أبناء الشهداء:

لقد كان لشهداء أُحد موقع خاص في قلب رسول الله ﷺ جعله دائمًا يذكرهم ويدعو لهم ويستغفر لهم، وقد قام رسول الله ﷺ يوم أُحد فقال: «**ألا رجل يأتيني بخبر سعد بن الربيع الأنصاري، فإن آخر عهدي به أني رأيته بملاذ الجبل وقد شرعت إليه الرماح**»، فقام فتى من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده تحت شجرة، فأخبره الخبر، فقال: اقرأ على رسول الله السلام، وأخبره أني طُعنت اثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت مقاتلي كلها، واقرأ على قومك السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم إن قتل رسول الله ﷺ حتى لا يبقى منكم أحد. وأصيب سعد رضي الله عنه في ذلك اليوم فأوصى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدخل رجل على أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته، وبنت سعد بن الربيع صغيرة عنده وهو محتفٍ بها. فقال: يا خليفة رسول الله، ابنتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني. قال الرجل: من هذا الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟ قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا رضي الله عنه[2]. وهذا من تواضع خليفة رسول الله ووفائه وحسن ظنه بسلف هذه الأمة واعتزازه بالمجاهدين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل نصرة الدين وقيام دولته.

وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا خليفة

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: السير، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق إذا كان الأغلب أنها ستصير دار إسلام أو دار عهد، ح ١٨٦٣٥. ابن أبي شيبة: المصنف، ك: ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ح ٢١٨.

(٢) سعيد بن منصور: السنن. كتاب: الوصايا، باب ما جاء في حمل الرؤوس، ح ٢٨٤٢.

رسول الله ﷺ، من هذه؟ قال: هذه بنت من هو خير مني ومنك. قال: ومن خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده في الجنة وبقيت أنا وأنت[1]. وواضح أن هذا الموقف قد تكرر مرتين في المرة الأولى كانت ابنة سعد بن الربيع رضي الله عنه التي يداعبها خليفة رسول الله طفلة؛ وفي المرة الثانية كانت إحدى بناته الكبريات، وفي كل تلك الأحوال كان الصحابة يخاطبونه بـ (يا خليفة رسول الله).

٥- في الاتباع والاقتداء ورفض تقليد الفرس والروم:

عن عقبة بن عامر أنه قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه برأس «يناق البطريق» فأنكر ذلك. فقال: يا خليفة رسول الله، فإنهم يفعلون ذلك بنا. قال: فاستنان بفارس والروم؟! لا تحمل إليّ رأسًا، فإنما يكفي الكتاب والخبر[2].

ولعل في هذا درسًا في القيم والأخلاق يلقنه خليفة رسول الله لأعداء الإسلام الذين لا يبالون بأحياء المسلمين ولا أمواتهم حين تسلطهم عليهم أو تمكنهم منهم، وهذا ما تشهد به سجون اليهود في فلسطين، وسجون حلفائهم في غوانتنمو، وسجون قوات التحالف الصليبي ومطاياهم الرافضة الذين أسقطوا كل القيم في تعاملهم مع المسلمين في سجون أبي غريب وغيرها سجون ميليشيات الغدر وبيع الدين والبلاد، ومن الحسينيات التي يزعمون أنها للعبادة لكنهم حولوها سجونًا لأبرياء السنة العُزَّل من السلاح في العراق كما حصل في حسينية حي أور في بغداد وغيرها في شهر ٣/ ٢٠٠٦م، ومن هجومهم على حي الأعظمية حي المؤمنين السنة في بغداد في شهر ٤/ ٢٠٠٦م، واستهدافهم مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان ما يؤكد أحقادهم المتوارثة على أعلام المسلمين من أيام الشاه الحاقد على سنّة رسول الله ﷺ عباس الصفوي الذي حول مسجد الإمام أبي حنيفة أيام احتلاله بغداد إلى

(١) الحاكم: المستدرك، ح (٦٥٥٣)، ٣/ ٧٠٢. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سعيد بن منصور: السنن. كتاب: باب ما جاء في حمل الرؤوس، ح ٢٦٤٩.

مكان للقمامة وقضاء الحاجة، وقد سبقه إلى ذلك جده إسماعيل الصفوي الحاقد على السنة المطهرة وأهلها بما هو أقبح وأشنع وأقذر من ذلك[1] وما يشهد عليهم من الصور الموثقة فيما نشرته الفضائيات العالمية التي تؤكد توارثهم لتلك العقيدة، وأنهم يتشربون ذلك الحقد الأسود على السنة النبوية وأهلها المؤمنين في طقوسهم اليومية، ما يظهر الثمار المرة لثقافة الكراهية التي يدين بها هؤلاء الرافضة ضد المسلمين وعميق الأحقاد التي يحملونها في نصوصهم وقلوبهم المنزوعة الرحمة والإنسانية، فضلًا عن الأخلاق والقيم وثقافة الإخاء والتسامح وقبول الآخر وإن كان الأمرّ من كل ذلك هو ما يجده المراقب من غياب دولة أهل السنة من على وجه الأرض؛ وموت مشاعر الغيرة والحمية على السنة ودماء أهلها وبلادهم عند عامة أهل السنة وما يعانيه أبناؤها من قتل وسجن وأسر وتشريد دون أن يجدوا من يرشدهم أو يرعاهم أو يداوي جراحهم أو يواسي مصابهم أو يؤانس وحشتهم، حتى صدق عليهم قول الشاعر:

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

في وقت تجد فيه أن الدول الصليبية والعلمانية والوثنية ترعى أبناءها، ودولة اليهود ترعى أهلها، ودولة الرافضة تغذو أتباعها وتمدهم بما يحتاجونه من مال وسلاح وإعلام ودعم سياسي واجتماعي وغيره، في الوقت الذي يضيّق فيه المتسلطون على رقاب وبلاد أهل السنة الخناق على أبناء ملتهم بما يزيد على ما يقترفه أعداؤهم على الرغم من كل ما أمدهم الله به من الثروات والمساحات الشاسعة والحاجة الظاهرة إليهم وإلى كل طاقاتهم، فتذهب حقوقهم بين المسرفين والمرتشين والمغفلين والمتآمرين، وهكذا يعاني أهل السنة في هذا العصر من الغربة والشعور بالظلم والهضم والإقصاء والحرمان ما لم يمر عليهم في عصر من العصور، وعيونهم تنظر إلى من ينهب الثروات ويستبيح المحرمات وهو يزعم أنه منهم ولسان حال المحرومين وأنين المظلومين يردد قول القائل:

---

(١) محمد مال الله: موقف الخميني من أهل السنة، ٣٢، ٣٣.

إلـى ديّـان يـوم الديـن نمضـي   وعنـد اللـه تجتمـع الخصـوم

ولكل ما سبق ولغيره كثير؛ يزداد حنين أهل السنة إلى أيام خليفة رسول الله حنين الطيور إلى أعشاشها والأسود إلى عرينها، ذلك الطود الشامخ الذي كان يرعى السنّة وأهلها رعاية الأم لوحيدها، وقد كانت أيامه مصداقًا لذلك، فكم صغرت في عينه قوى العتاة الذين تجرؤوا على السنّة ورفضوا الزكاة، وكم صغر في عينه الطغاة في فارس والروم الذين أرادوا أن يحولوا بين الناس وعقيدة الكتاب والسنة؟! ومن هنا يتضح الطريق ويتبلور منهج الخلاص المنبعث من بين صفحات الكتاب والسنة الذي لا منهج سواه تصلح عليه حال المسلمين.

٦- في الإفتاء:

معلوم أن خليفة رسول الله كان يفتي بين يدي رسول الله فلم يرد له فتوى كما حدث في حنين وغيرها كما سيظهر في مبحث علم أبي بكررضي الله عنه، وكما كانوا يخاطبونه يوم وفاة رسول الله ﷺ في شأن تغسيل رسول الله ﷺ ودفنه والصلاة عليه، وكذلك كانوا يخاطبونه بـ (يا خليفة رسول الله) في خصوماتهم ولجوئهم إلى القضاء والفتيا.

عن محمد بن كعب: أن امرأة من أهل البادية كانت عند رجل من بني عمها فمات عنها فتزوجها رجل من الأنصار فجاء بنو عم الجارية فقالوا: نأخذ ابنتنا. قالت: إني أنشدكم الله أن تفرقوا بيني وبين ابنتي فأنا الحامل وأنا المرضع وليس أحد أقرب لابنتي مني، فقال -زوجها-: موعدكم رسول الله ﷺ، ثم قال: إذا خيرك رسول الله ﷺ فقولي: أختار الله والإيمان ودار المهاجرين والأنصار، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لا تذهبون بها ما بقيت عنقي في مكانها**». وجاءوا إلى أبي بكر فقضى لهم بها. فقال بلال: يا خليفة رسول الله، شهدت هؤلاء النفر وهذه المرأة عند رسول الله ﷺ اختصموا فقضى بها لأمها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: وأنا والذي نفسي بيده لا تذهبون بها ما دامت عنقي في مكانها فدفعها إلى أمها[1].

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك: الطلاق. باب: ما قالوا في الأولياء والأعمام أيهم أحق بالولد؟ ح ١.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى بكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لن يقدروا على مسألته قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئًا ولم أرَ معه أحدًا فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع عن نفسك قال: «**هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني ثم رجعت فقالت: إن أفلت مني فلن يفلت مني من بعدك**»[1].

وعن ابن عباس قال: كنا جلوسًا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فمرت جنازة، فقام فقمنا، ثم صلينا، فخلع نعليه، فقلنا: يا خليفة رسول الله، خلعت نعليك حين يلبس الناس نعالهم؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مشى حافيًا في طاعة الله، لم يسأله الله عز وجل يوم القيامة عما افترض عليه**»[2]، وقد يكون المقصود في تلك الساعة التي سار فيها حافيًا والله أعلم؛ وإلا فالفرائض لا يسقط السؤال عنها إلا واسع رحمة الله وعفوه وكرمه؛ ولا يخلو هذا من توجيه ودعوة إلى التواضع والبساطة والخشونة وما إلى ذلك من أخلاق الصالحين.

٧- الاتباع والاقتداء في الميراث:

عن أبي الطفيل قال: أرسلت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: ما لك يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعته يقول: «**إن الله إذا أطعم نبيًّا طعمة، ثم قبضه إليه جعله للذي يقوم بعده**». فرأيت أنا بعده أن أرده على المسلمين. قالت: أنت وما سمعته من رسول الله ﷺ[3].

---

(١) البيهقي: شعب الإيمان. باب: في الزهد وقصر الأمل، ح ١٠٥١٨.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، باب: محمد بن حنيفة الواسطي ح ٦١٨٧. (لا يروى هذا الحديث عن أبي بكر إلا بهذا الإسناد، تفرد به محمد بن عبد الله بن معاوية الحذاء الواسطي).

(٣) أبو يعلى: باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٣٧.

وعن أبي الطفيل. قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أطعم الله نبيًّا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده**». فرأيت أن أرده على المسلمين. فقالت: أنت ورسول الله أعلم[1].

وعن أبي الطفيل أيضًا قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا، بل أهله، قالت: فما بال - سهمه من - الخمس؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أطعم الله نبيًّا طعمةً ثم قبضه كانت للذي يلي بعده**»، فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين، قالت: أنت ورسول الله ﷺ أعلم، ثم رجعت[2].

٨- في المشاورة وقبول الرأي الصواب:

عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أم الأم وأم الأب يحتكمان في الميراث فأعطى الميراث أم الأم دون أم الأب، فقال له عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله قد أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها، فجعله أبو بكر رضي الله عنه بينهما، يعني السدس. وقد روي هذا عن النبي ﷺ في إسناد مرسل[3].

٩- في العطاء وقسمة الأموال:

عن زيد بن أسلم عن أبيه وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة قالا: قدم على أبي بكر رضي الله عنه مال من البحرين فقال: من كان له على رسول الله ﷺ عِدَة فليأخذها، قال:

(١) أبو يعلى: باب: مسند فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ح٦٧٥٢.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الفيء والغنيمة، باب: بيان مصرف خمس الخمس وأنه بعد رسول الله ﷺ إلى الذي يلي أمر المسلمين يصرفه في مصالحهم، ح ١٣٠١٦.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، ك: الفرائض. باب: فرض الجدة والجدتين، ح ١٢٥٩٩. عبد الرزاق: المصنف، ك: كتاب الفرائض، باب: فرض الجدات، ح: ١٩٠٨٤.

فجاء جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: قد وعدني رسول الله ﷺ فقال: إذا جاءني من البحرين مال أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات ملء كفيه. قال: خذ بيديك فأخذ بيديه فوجده خمسمائة. قال: عد إليها ثم أعطاه مثلها ثم قسم بين الناس ما بقي، فأصاب عشرة الدراهم يعني لكل واحد، فلما كان العام المقبل جاءه مال أكثر من ذلك فقسم بينهم فأصاب كل إنسان عشرين درهمًا وفضل من المال فضل فقال للناس: أيها الناس قد فضل من هذا المال فضل ولكم خدم يعالجون لكم ويعملون لكم إن شئتم رضخنا لهم، فرضخ لهم خمسة الدراهم خمسة الدراهم، فقالوا: يا خليفة رسول الله، لو فضلت المهاجرين؟ قال: أجر أولئك على الله إنما هذه معايش، الأسوة فيها خير من الأثرة[1].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ولي أبو بكر رضي الله عنه فقسم بين الناس بالسوية، فقيل لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، لو فضلت المهاجرين والأنصار، فقال: اشتري منهم شرى، فأما هذا المعاش فالأسوة خير من الأثرة[2].

عن ابن سيرين عن عبيدة قال: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضًا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نزرعها ونحرثها، فذكر الحديث في الإقطاع وإشهاد عمر رضي الله عنه ومحوه إياه، قال: فقال عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا أرعى الله عليكما إن رعيتما[3].

عن قيس بن أبي حازم قال: حضرت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال له رجل: يا خليفة رسول الله، هذا يريد أن يأخذ مالي كله ويجتاحه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما لك من

---

(١) البزار: المسند البحر الزخار، ك: مسند عمر بن الخطاب، باب: أسلم مولى عمر عن عمر، ح ٢٨٦.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الفيء والغنيمة، باب: التسوية بين الناس في القسمة ح ١٣٢٦٤.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الصدقات. باب: سقوط سهم المؤلفة قلوبهم وترك إعطائهم عند ظهور الإسلام والاستغناء عن التألف عليه، ح ١٣٤٦٤.

ماله ما يكفيك، فقال: يا خليفة رسول الله، أليس قال رسول الله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ارض بما رضي الله به. وروي عن المنذر بن زياد وقال فيه: إنما يعني بذلك النفقة، والمنذر بن زياد ضعيف[1].

١٠- في محاسبة النفس:

عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر رضي الله عنه اطلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: إن هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «**ليس شيء من الجسد، إلا وهو يشكو ذرب اللسان**»[2].

عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال: دخل عمر رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه وهو آخذ بلسانه ينضنضه، فقال له عمر رضي الله عنه: الله الله يا خليفة رسول الله! وهو يقول: هاه، إن هذا أوردني الموارد[3].

١١- في السقيفة والبيعة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرن معه رجلًا منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم والآخر منا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر رضي الله عنه على المنبر نظر في

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: النفقات. باب نفقة الأبوين، ح ١٦١٨٢.

(٢) أبو يعلى: المسند، ك: مسند أبي بكر الصديق، باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٥.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ك: المغازي، باب: ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة، ح ٦.

وجوه القوم فلم ير عليًّا رضي الله عنه فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام رضي الله عنه فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمة رسول الله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعاه... قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج - صاحب الصحيح - فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يسوى بدنة، فقلت: يسوى بدنة؟! بل هو يسوى بدرة[1].

١٢- في الاعتذار عن الخلافة وبيان سياسته:

عن عيسى بن عطية. قال: قام أبو بكر رضي الله عنه الغد حين بويع، فخطب الناس فقال: يا أيها الناس، إني قد أقلتكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم، فقاموا إليه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خيرنا، فقال: يا أيها الناس إن الناس دخلوا في الإسلام طوعًا وكرهًا، فهم عواد الله وجيران الله، فإن استطعتم ألّا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لي شيطانًا يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني، لا أمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس تفقدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحم نبت من سحت أن يدخل الجنة، ألا وراعوني بأبصاركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت فاعصوني[2].

فيا لله من هذه المدرسة النبوية المباركة، كم أنتجت من الرجال الذين لم يأت مثلهم بعدهم أبدًا؟ فهذا التواضع يجعل صاحبه دائمًا يؤخر نفسه عن مكانها الحق ليتيح الفرصة لمن يريد

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح١٧٠٠٦. الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣/ ٨٠. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. البدرة: الصرة من الدراهم.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، باب: من اسمه منتصر، ح ٨٥٩٧.

خدمة الأمة، ولكن الأمة الطاهرة الأمة السوية لا تقبل أن يكون على رأس أمرها سوى أفضلها، وأمة الصحابة والتابعين تشهد بأجمعها أن أبا بكر رضي الله عنه هو خيرها وأفضلها، وأمة الرفض لما جاء به محمد ﷺ تأبى إلا أن تُكذب الواقع وترد الحق، ولا غرابة فكل إناء بالذي فيه ينضح، ولكن الغرابة ممن يزعم أنه من أهل السنة ولا زالت رؤيته لرجال صدر الإسلام غير واضحة؛ لما يشوبها من اللوثات ويتخللها من الأهواء، فمع كل ما يسمعون خليفة رسول الله ينادي به مما يشهد له على أنه ينظر لهم بعين النبوة، وهو حريص ألا يأكلوا إلا الحلال، وألا يظلموا أحدًا من المسلمين لخطورة ذلك وما يترتب عليه من غيرة الله على عباده المؤمنين، وتلك سياسة الثقة المطلقة بانتهاج الحق؛ فهو يطلب من الأمة المراقبة الدائمة لسياسته؛ إذ إن حدود طاعته بحدود طاعة الله تعالى، ويحرضهم ألَّا يطيعوه إن لم يكن على منهج طاعة الله، ولكن لم يقرأ أحد من الناس أن فردًا من أبناء الأمة رفض أمرًا لأبي بكر رضي الله عنه، مما يشير إلى أن كل من يشوش على تلك المرحلة النورانية الربانية بأنه ليس من أبناء الأمة، بل هو من خصومها وأعدائها، وذلك هو المقياس الحق، ومن خلط الحق بالباطل فقد زاغ عن الحق وهلك.

١٣- في تمسكه بمن كان يعمل لرسول الله ﷺ:

فقد جاء بلال رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله**» وقد أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقي لقد كبرت سني وضعفت قوتي واقترب أجلي، فأقام بلال رضي الله عنه معه، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه جاء عمر رضي الله عنه فقال له مثل ما قال أبو بكر، فأبى بلال عليه، فقال عمر رضي الله عنه: فمن يا بلال؟ فقال: إلى سعد، فإنه قد أذن بقباء على عهد رسول الله ﷺ فجعل عمر رضي الله عنه الأذان إلى سعد وعَقِبِهِ[1].

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ك: باب الباء، بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ شهد بدرًا يكنى أبا عبد الله، ح ١٠١٣.

١٤- في استخلاف عمر:

عن ابن أبي مليكة قال: قالت الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله، ماذا تقول لربك غدًا إذا قدمت عليه، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ قالت: فأجلسناه. فقال: أبالله ترهبوني؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم[(١)]. إنها الثقة المطلقة التي يواجه بها الناس، واليقين الكامل بأنه لا يعمل لذاته وإنما يعمل لأمة صاحبه الذي خلفه في الأمة ليعمل فيها بما كان يعمله رسول الله ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: طفنا بغرفة فيها أبو بكر رضي الله عنه حين أصابه وجعه الذي قبض فيه فاطلع علينا اطلاعة، فقال: أليس ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ[(٢)].

١٥- وفي عهده إلى عمر:

عن أنس رضي الله عنه قال: مررنا بغرفة فيها أبو بكر رضي الله عنه حين أصابه وجعه الذي قبض فيه فاطلع علينا اطلاعة فقال أليس ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ. فهذا الرضا الذي تُحس به الأمة في كل ما يقوم به خليفة رسول الله حتى في مثل هذا الأمر الخطير من تولية أمورهم لخليفة لا يعرفونه ولم يسبق الإعلان عنه، فلما أراد بعض من عرف اسم مرشح الخلافة أن يستفسر عن بعض وجوه هذه المسألة وجد الرد الحاسم من خليفة رسول الله الذي لا يدع مجالًا للتردد في كل ما يقوم به ولا يمكن لمن يحاوره إلا أن يسلم له تسليم الرضا والاتباع حتى في مثل الحال التي كان يعاني فيها الصديق رضي الله عنه من مرض الموت، مما ينبئ بأن كل ذلك ليس له إلا دلالة واحدة هي الثقة المطلقة والشعور الأبوي تجاه كل ما يقوم به رضي الله عنه في شأن الأمة، وكأن

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قتال أهل البغي، باب: الاستخلاف، ح ١٧٠٤٢.

(٢) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ح ٤٤٦٩، ٣/ ٨٥. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

لسان حالهم يقول إن ما يجتهد به خليفة رسول الله للأمة خير مما تجتهد به الأمة لنفسها، وهذا ما كان وما هو قائم في الأمة إلى هذا اليوم، لا يشذ عن الرضا بما اجتهد به خليفة رسول الله إلا من غلبت عليه النزعة المجوسية وأركس في حمأة النفاق والزندقة التي لا زالت تقذف الأمة بنتن تآمرها وأحقادها ورفضها لسنة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم.

١٦- في دعوته إلى الطعام:

عن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه أنه كان مع أبي بكر رضي الله عنه على سطح في رمضان وهو يصلي، فأتاه، فقال: ألا تطعم يا خليفة رسول الله؟ فأشار بيده حتى فعل ذلك مرتين، فلما كان في الثالثة قال: ائتني بطعامك. فطعم وصلى ركعتين، ثم دخل المسجد وأقيمت الصلاة[١].

١٧- في شدته على المرتدين وقبول الرأي المصيب:

عن طارق بن شهاب. قال: جاء أهل الردة من أسد وغطفان إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ يسألونه الصلح، فقال: على أن ننزع منكم الحلقة والكراع - السلاح والخيل - وتُتركون تتبعون أذناب البقر حتى يُرِي الله عز وجل خليفة نبيه ﷺ والمؤمنين رأيًا يعذرونكم به، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وتدون قتلانا، ولا ندي قتلاكم. فقال عمر: يا خليفة رسول الله ﷺ، القول كما قلت، غير أن قتلانا قتلوا في سبيل الله، لا دية لهم. فقبل خليفة رسول الله مشورته لما فيها من تخفيف عن الناس وتشجيع لهم على مراجعة دينهم والتبرؤ من أعداء السنة المفرطين بالدين والعقيدة[٢].

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، كتاب: باب السين، باب: سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شهد بدرًا واستشهد يوم اليمامة رحمه الله، ح (٦٣٧٨).

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ك: من اسمه أحمد. باب: أحمد بن عمرو القطراني، ح ١٩٧٤.

١٨- في مواجهة الردة:

ولما كان من المرتدين ما كان من رفض طاعة خلافة النبوة ومنع من منع منهم الصدقة. جد بأبي بكر رضي الله عنه الجد في قتالهم. وأراه الله رشده فيهم، وعزم على الخروج بنفسه. فخرج في مائة من المهاجرين والأنصار، وخالد رضي الله عنه يحمل اللواء، حتى نزل بقعاء[١] يريد أن يتلاحق الناس، ويكون أسرع لخروجهم، ووكل بالناس محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه يستحثهم. وأقام ببقعاء أيامًا ينتظر الناس. ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا خرج مجاهدًا لمن يرفض طاعة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه - وهذا حال الأمة الإسلامية منذ ذلك العصر؛ فإن الإجماع قائم على قتال من يرفض خلافة النبوة ويدين ببغض الصحابة رضي الله عنهم لما في ذلك من صد شرور أعداء الصحابة؛ الذين يدعون أعداء الدين إلى بلاد المسلمين ويتحالفون معهم ويدلونهم على عورات المسلمين ويرصدون حركاتهم ويغتالون أشراف الأمة وأئمة الإسلام - فقال عمر رضي الله عنه: ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة، فإنك إن تُقتل يرتد الناس ويعلو الباطل الحق، فدعا زيد بن الخطاب رضي الله عنه ليستخلفه، فقال: قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله ﷺ فلم أرزقها. وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه. وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه.

فدعا أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه فعرض عليه ذلك، فقال مثلما قال زيد، فدعا سالمًا مولى أبي حذيفة، فأبى عليه. فدعا خالدًا فأمره على الناس، وكتب معه هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد

---

(١) بقعاء: اسم قرية من قرى اليمامة، وقيل ماء مر لبني عبس، وقيل مياه لبني سليط، وبقعاء الموضع الذي خرج إليه أبو بكر رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، وهو تلقاء نجد على أربعة وعشرين ميلًا من المدينة، قال الواقدي: وبقعاء هو ذو القصَّة، وبقعاء مواضع متعددة. قال الشاعر:

وقد كان في بقعاء ري لشائكم ... وتلعة والجوفاء يجري غديرها

ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٧١.

رضي الله عنه حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية، وأماني الشيطان، وأمره أن يبين لهم الذي لهم في الإسلام، والذي عليهم، ويحرص على هداهم. فمن أجابه قبل منه، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله. فإذا أجاب إلى الإيمان، وصدق إيمانه لم يكن له عليه سبيل. وكان الله حسيبه بعد في عمله. ولا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إياه إلا الإسلام، والدخول فيه، والصبر به وعليه، ولا يدخل في أصحابه حشوًا من الناس، حتى يعرف علام اتبعوه، وقاتلوا معه؟ فإني أخشى أن يكون معكم ناس يتعوذون بكم، ليسوا بكم، ولا على دينكم، فيكونون عونًا عليكم. وارفق بالمسلمين في مسيرهم ومنازلهم، وتفقدهم، ولا تعجل بعض الناس عن بعض في المسير، ولا في الارتحال. واستوصِ بمن معك من الأنصار رضي الله عنهم خيرًا، فإن لهم حقًّا وفضيلة وسابقة ووصية من رسول الله ﷺ فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم. ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه كتب مع هذا كتابًا آخر، وأمر خالدًا رضي الله عنه أن يقرأه في كل مجمع[(١)].

١٩- في شدته على المرتدين:

ولما أوقع الله ببني أسد وفزارة ما أوقع ببُزاخة[(٢)] بث خالد رضي الله عنه السرايا، ليصيبوا من قدروا عليه ممن هو على ردته، وجعلت العرب تسير إلى خالد رضي الله عنه رغبة في الإسلام، وخوفًا من السيف، فمنهم من أصابته السرية، فيقول: جئت راغبًا في الإسلام، وقد رجعت إلى ما خرجت منه. ومنهم من يقول: ما رجعنا، ولكن منعنا أموالنا، فقد سلمناها، فليأخذ منها حقه. ومنهم من مضى إلى أبي بكر رضي الله عنه ولم يقرب خالدًا رضي الله عنه. ثم عمد خالد رضي الله عنه إلى جبلي طيئ أجأ وسلمى، فأتته عامر وغطفان يدخلون الإسلام، ويسألونه الأمان على مياههم وبلادهم. وأظهروا التوبة، وأقاموا الصلاة، وأقروا

---

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، قتال أهل الردة، ١/ ١٩٩.

(٢) بُزاخة: ماء لطيئ بأرض نجد، وقيل ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة أيام أبي بكر رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد وبني أسد وغطفان. قال الشاعر:

ويومًا على ماء البُزاخة خالدٌ ... أثار بها في هبوة الموت عِثيَرا

بالزكاة. فأمنهم خالد رضي الله عنه وأخذ عليهم العهود والمواثيق: لتبايعن على ذلك أبناءكم ونساءكم آناء الليل وآناء النهار. فقالوا: نعم، نعم. وبعث بعيينة بن حصن الفزاري إلى أبي بكر رضي الله عنه مجموعة يداه في وثاقه، فجعل غلمان المدينة ينخسونه بالجريد، ويضربونه. ويقولون: أي عدو الله، أكفرت بالله بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط.

وأخذ خالد رضي الله عنه من بني عامر وغيرهم من أهل الردة ممن بايعه على الإسلام كل ما ظهر من سلاحهم، واستحلفهم على ما غيبوا منه، فإذا حلفوا تركهم، وإن أبوا شدهم أسرى حتى أتوا بما عندهم. فأخذ منهم سلاحًا كثيرًا، فأعطاه أقوامًا يحتاجون إليه في قتال عدوهم، وكتبه عليهم ثم ردوه بعد.

وحدث يزيد بن أبي شريك الفزاري عن أبيه، قال: قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر رضي الله عنه وافدًا، حين فرغ خالد رضي الله عنه منهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: اختاروا بين خصلتين؛ حرب مجلية، أو سِلم مخزية. فقال خارجة بن حصن: هذه الحرب المجلية قد عرفناها، فما السلم المخزية؟ قال: تشهدون أن قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. وأن تردوا علينا ما أخذتم منا، ولا نرد عليكم ما أخذنا منكم. وأن تدوا قتلانا، كل قتيل مائة بعير، منها أربعون في بطونها أولادها، ولا ندي قتلاكم. ونأخذ منكم الحلقة والكراع وتلحقون بأذناب الإبل حتى يري الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم، أو يرى منكم إقبالًا لما خرجتم منه. فقال خارجة: نعم يا خليفة رسول الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار، وتعلمون أولادكم ونساءكم، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم. قالوا: نعم. قال عمر: يا خليفة رسول الله، كل ما قلت كما قلت، إلا أن يدوا من قُتل منا، فإنهم قوم قتلوا في سبيل الله فتتابع الناس على قول عمر رضي الله عنه فقبض أبو بكر رضي الله عنه كل ما قدر عليه من الحلقة والكراع، فلما توفي رضي الله عنه رأى عمر رضي الله عنه أن الإسلام قد ضرب بجرانه، فدفعه إلى أهله وإلى ورثة من مات منهم[1].

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، ذكر رجوع بني عامر وغيرهم إلى الإسلام، ١/ ٢٠٥.

٢٠- شدته على المرتدين وقبول الرأي السديد:

ولما ظهر العلاء على أهل الردة والمجوس بعث رجالًا من عبد القيس إلى أبي بكر رضي الله عنه فنزلوا على طلحة والزبير رضي الله عنهما، وأخبروهما بقيامهم في أهل الردة. ثم دخلوا على أبي بكر رضي الله عنه وحضر طلحة والزبير، فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنا قوم أهل إسلام، وليس شيء أحب إلينا من رضاك، ونحن نحب أن تعطينا أرضًا من البحر وطواحين. وكلمه في ذلك طلحة والزبير رضي الله عنهما. فأجاب، وقالوا: اكتب لنا كتابًا، فكتب. فانطلقوا بالكتاب إلى عمر رضي الله عنه. فلما قرأه، تفل في الكتاب ومحاه. ودخل طلحة والزبير رضي الله عنهما، فقالا: والله ما ندري، أنت الخليفة أم عمر رضي الله عنه؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: وما ذاك؟ فأخبروه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لئن كان عمر كره شيئًا من ذلك، فإني لا أفعله. فبينما هم على ذلك إذ جاء عمر، فقال له أبو بكر: ما كرهت من هذا؟ قال: كرهت أن تعطي الخاصة دون العامة، وأنت تقسم على الناس، فتأبى أن تفضل أهل السابقة، وتعطي هؤلاء قيمة عشرين ألفًا دون الناس. فقال أبو بكر: وفقك الله، وجزاك خيرًا. هذا هو الحق[1].

٢١- في حمل المسلمين على مواجهة المرتدين:

أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا: نصلي ولا نزكي فقبلوا الصلاة ورفضوا الزكاة، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، جبارًا في الجاهلية خوارًا في الإسلام؟ بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالًا، قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم؛ وأدّبَ الناس على أمور، هانت عليَّ كثير من مؤونتهم حين وليتهم[2].

---

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ: ١/ ٢١٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٦٧.

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما برز أبو بكر رضي الله عنه واستوى على راحلته لمواجهة رافضي خلافته المرتدين بعد وفاة رسول الله ﷺ أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «**شم سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا**»[1].

ولما بعث خليفة رسول الله خالدًا رضي الله عنه أمره أن يقاتل الناس على خمس من ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعًا: على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة، فقاتل بني أسد، وغطفان، وقتل من قتل وأسر من أسر، ورجع الباقون إلى الإسلام. ولعله من هذا الوضوح وهذه الشدة على المبغضين لما جاء به رسول الله ﷺ تنادت الرافضة في الماضي والحاضر على تشويه سيرة خليفة رسول الله؛ لأنه سد عليهم كل منافذ التدليس والتلبيس التي ينفذون منها إلى ثقافة الأمة، ورسم سياسة من تمسك بها يكون بإمكانه أن يمحق الرفض والردة، وكل ألوان الحروب التي يشنها أعداء القرآن ورافضو السنة في كل عصر وفي كل مصر فجزى الله خليفة رسول الله خير ما جزى به إمامًا جاهد الرافضة المارقين على ما جاء به رسول رب العالمين ﷺ.

٢٢- في إطالته الصلاة:

قرأ أبو بكر رضي الله عنه يومًا في صلاة الفجر بسورة «البقرة» حتى سلم منها قريبًا من طلوع الشمس، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، كادت الشمس تطلع، فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين[2]. ولعل في هذا الموقف ما يشير إلى مرتبة خليفة رسول الله ﷺ العالية بين أصحاب رسول الله ﷺ، فمع ما قام به من إطالة في الصلاة إلى هذا الحد الذي لا يخلو من

(١) تاريخ الخلفاء: ٦٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، فصل في إطالة الركعة الأولى من صلاة الظهر، ١/ ٢٠٣.

وجود نصوص نبوية تحذر منه في مثل قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**أفتان أنت يا معاذ؟**» وذلك حينما اشتكى إطالته في الصلاة أحد الأنصار رضي الله عنهم لكن اللافت هنا أن أحدًا من الصحابة لم يراجع الخليفة رضي الله عنه في شيء، واكتفى الجميع بالتسليم كتسليم التلميذ لشيخه وأستاذه؛ إذ لا يوجد من بين الصحابة من لديه علم يضيفه إلى علم خليفة رسول الله ﷺ، فيما لو كان غيره لواجه الكثير من التساؤلات والنصائح، وفي هذا التسليم دلالة عظيمة على سمو المكانة التي كان يتمتع بها خليفة رسول الله بين أصحاب النبي ﷺ.

٢٣- في مرضه الذي مات فيه رضي الله عنه:

عن مالك عن أبي السفر قال: دخل على أبي بكر رضي الله عنه ناس من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله، ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي. قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد[1]. فهذا الصديق يقين وقوة ووضوح في الرؤية ومعرفة تامة بالحدث وتصويب مسدد نحو الهدف لا شك ولا تردد ولا غموض وتلك والله صفات القادة الذين لا يهزمون والربانيين الذين لا يتيهون عن نهج النبوة ومسار الكتاب والسنة.

٢٤- استمرار السلام عليه بـ (خليفة رسول الله) بعد وفاته:

ومما يشير إلى كرامة الصديق رضي الله عنه تقلبه في معية الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وقربه من رسول الله ﷺ في كل أحواله في صحته ومرضه وصحبته وخلافته وفي حياته وبعد موته، فمن آداب السلام عليه بعد السلام على رسول الله ﷺ أن يتحول الزائر من أمام رسول الله ﷺ بقدر ذراع، حتى يحاذي رأس خليفة رسول الله، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله، وأنيسه في الغار، ورفيقه في الأسفار، وأمينه في الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إمامًا عن أمة نبيه؛ فقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهدت

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك: الزهد، ح ١٠.

الإسلام، وشيدت أركانه فكنت خير إمام، ووصلت الأرحام، ولم تزل قائمًا بالحق ناصرًا للدين ولأهله حتى أتاك اليقين، أسأل الله سبحانه لنا دوام حبك، والحشر مع حزبك. أو بعض هذا أو مثله فيما يُشعر بالأدب بين يدي رسول الله وخليفته رضي الله عنه والعرفان بكل الأدوار التي عاشاها صابرين محتسبين مخلصين حتى أقر الله عيونهما بنصر الدين وعزة المؤمنين[1].

٢٥- استمرار ذكره بـ (خليفة رسول الله) بعد وفاته.

وذُكر أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته عند عمر رضي الله عنه فبكى وقال: وَدِدْتُ أَنَّ عملي كلَّه مثل عمله يومًا واحدًا من أيامه وليلةً واحدة من لياليه، أما ليلته فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخلهُ حتى أدخل قبلك فإن كان فيه شيءٌ أصابني دونك. فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثُقَبًا فشقَّ إزاره وسدَّها به، وبقي منها اثنانِ فألقمهما رجليه، ثمَّ قال لرسول الله ﷺ: ادخُل. فدخل رسولُ الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام فلُدِغَ أبو بكر رضي الله عنه في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسولُ الله ﷺ فسَقَطَتْ دموعُهُ على وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «**ما لك يا أبا بكر؟**» قال: لُدغتُ، فداك أبي وأمّيَ. فتَفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فذَهبَ ما يَجِدهُ ثم انتقض عليه وكان سببَ موته، وأما يومُه فلمَّا قُبِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ارتدَّت العربُ، وقالوا: لا نؤدي زكاةً. فقال: لو منعوني عِقالًا لجاهدتُهم عليه. فقلت: يا خليفة رسولِ الله، تألَّفِ الناسَ وارفُقْ بهم. فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهلية خَوَّارٌ في الإِسلام؟ إِنَّهُ قد انقطعَ الوحيُ وتمَّ الدينُ؛ أينقُص وأنا حي؟! رضي الله عنه[2].

***

(١) مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (فقه حنفي) ١/ ٧٤٥. فصل في السلام على النبي ﷺ.

(٢) مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

المبحث الثاني

أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومواليه

أبواه:

والده هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب، يكنى أبا قحافة أسلم يوم فتح مكة[1]، وكان بصره مكفوفًا فقال لابنة له من أصغر ولده والمسلمون يوم الفتح بذي طوى[2]: أي بنية، اظهري بي على جبل أبي قبيس. قالت: فأشرفت به عليه. فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سوادًا مجتمعًا. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلًا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلًا ومدبرًا. قال: أي بنية، ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد. قالت: فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي. فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. وكان في عنق الجارية طوق من ورِق الفضة، فتلقاها رجل، فيقتطعه من عنقها ويأخذه.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه فيه؟**» قال أبو بكر، يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له:

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٦. ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٧٧.

(٢) (ذو طوى): وادٍ بمكة. ياقوت: ٦/ ٢٦٩.

«أسلم»، فأسلم. ودخل به أبو بكر، وكأن رأسه ثغامة[1] فقال رسول الله ﷺ: **«غيروا هذا من شعره»**. وروي أن أبا بكر قال: أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحًا بإسلام أبي طالب مني بإسلامه أبتغي بذلك قرة عينك. قال: «**صدقت**». ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، قالت: فقال: أي أخية، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل[2].

وكان أبو قحافة شفيقًا على ولده أبي بكر رضي الله عنه. قال له حين أعتق من أعتق: يا بني، أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني أريد ما عند الله؛ فأنزل الله عز وجل فيه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[3][4].

وفاة أبي قحافة:

مات أبو قحافة بمكة سنة أربع عشرة، قال علماء السير: توفي أبو قحافة بمكة في محرم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد موت أبي بكر رضي الله عنه بستة أشهر وأيام[5].

والدته:

هي أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وهي من السابقات إلى الإسلام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلمت أم أبي بكر وأم عثمان وأم طلحة وأم الزبير وأم عبد الرحمن بن عوف

---

(١) الثغام: نبت واحدته ثغامة، لونه أبيض مثل الثلج، يشبه به الشيب لشدة بياضه.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية، ٤/ ٥٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٥٥.

(٣) سورة الليل، الآيات: ٥-٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٧٧. البلاذري: الشيخان: ص ٨٨.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٩٣٤.

وأم عمار بن ياسر رضي الله عنهم، وأم أبي بكر رضي الله عنه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. ولما توفي أبو بكر ورثه أبواه جميعًا، وكانا قد أسلما وماتت أم أبي بكر قبل أبيه أبي قحافة[١].

وجدة أم الخير أم أمها: دلاف وهي أميمة بنت عبيد بن الناقد الخزاعي من قبيلة خزاعة[٢]. وجدة أبي بكر رضي الله عنه أم أبي قحافة: أمينة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب[٣]. عن عائشة قالت: ما أسلم أبوا أحد من المهاجرين إلا أبوا أبي بكر رضي الله عنه[٤] وإسلام أم الخير لا يمكن المرور عليه هكذا وبسرعة دون الوقوف على تفاصيل أحداث ذلك اليوم الذي جلب لها الإسلام أو جلبها إلى الإسلام، أما تفاصيله فقد جاءت وافية في الفصل الثاني من هذا البحث في مواقفه رضي الله عنه قبل الهجرة وأحداث أول مواجهة مع المشركين.

إسلام أم الخير والدة خليفة رسول الله:

أسلمت أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها قديمًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، حينما ألح أبو بكر على رسول الله بالظهور، وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلًا فقام أبو بكر رضي الله عنه أول خطيب يدعو إلى الله وإلى رسوله، فثار المشركون على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد... وفي ذلك اليوم دعا لها رسول الله ﷺ استجابة لرغبة صاحبه أبي بكر رضي الله عنه فأسلمت[٥].

---

(١) المعجم الكبير: ١/ ٥١. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٧. ابن الجوزي: الصفوة، ١/ ١٢٣. ووهم من قال: إنها أسلمت مع أبي قحافة يوم إسلامه. البلاذري: الشيخان: ٨٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٣.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٥٢.

(٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ١٠٦.

(٥) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٩ الطنطاوي: أبو بكر، ٥٩.

إن ذلك اليوم الذي استطاع فيه أبو بكر رضي الله عنه بواسع رؤيته وحسن تدابيره وعميق خبرته في الحياة الاجتماعية أن يحشد الإيمان كله لمواجهة الشرك كله، في أعظم بقعة وأقدس مكان على وجه الأرض حول الكعبة المشرفة، لا يمكن تجاوزه دون استقاء الدروس والعبر، وإن كان ذلك موضعه في مواقف الصديق قبل الهجرة التي ستتضح في الفصل الثاني من هذا البحث، ولكن سنقتطف هنا بعض العبر بإيجاز لأهمية الموقف وتشابه الأحداث، فأبو بكر رضي الله عنه جمع في ذلك اليوم شرف المكان وشرف الدعوة والداعية رسول الله ﷺ لعلهم يعودون إلى رشدهم ويثيبون إلى عقولهم، ولكن هيهات للشرك أن يتنازل عن كبره وريائه وعنجهيته وبهتانه، وكيف يقبل بذلك وهو لا يفكر بغير لغة المكاسب وتلبية الأهواء، فمع تخلق المؤمنين بالحكمة والعقل والحلم والعفو وسعة الصدر، ولجوئهم إلى أطهر البقاع وأقدسها على وجه الأرض تأكيدًا على منهج السلم والحوار في تعريف الناس بدينهم؛ لكن الجاهلية وكما هي في كل عصورها لا تتعامل مع الضعيف إلا بلغة الظلم والبغي والتعدي على الحريات والخيارات الراشدة، فهذه الحال ذاتها تتكرر فكما صادرت جاهلية المشركين خيارات الناس، كذلك الجاهلية المعاصرة صادرت حريات المسلمين وحاربتهم وأقصت عقيدتهم، رافضين الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة؛ داعين المؤمنين إلى ترك دين الطهر والعفاف والعدل والأخوة الإنسانية، إلى اعتناق دين الانحلال الأخلاقي والإباحية والظلم والاحتكار والربا والقمار والخمرة والمخدرات والتزوير وهضم حقوق الضعفاء، وإن لم يفعلوا أقامت عليهم الحصار وسلطت عليهم الإعلام الهابط في قيمه وأهدافه، وأطلقت عليهم أيدي الطغاة، وأمدت من يناصب السنة المطهرة العداء والبغض بأدوات الإغراء والبطش والتزوير.

فالجاهلية لم تواجه حملة الكتاب والسنة في يوم بسلاح الحوار والكلمة والحجة بالحجة، وإنما دائمًا تواجههم بسلاح البطش والأذى والتسفيه، وأمام ذلك الفارق الشاسع في المواجهة والأدوات، تمكن المؤمنون من تسجيل أول انتصار أخلاقي جماعي لجماعة المؤمنين على المشركين، حيث ظهرت هزيمة الشرك الذي لجأ أتباعه إلى العنف عندما

عجزوا عن مواجهة ما جاء به رسول الله ﷺ وأعلنه أبو بكر رضي الله عنه في تلك الخطبة، وهذا هو حال أعداء الإسلام في كل العصور فلا يعرفون سوى السجون والتعذيب والأذى والتزييف والبهتان لمواجهة دعوة الطهر والعفاف والعدل والحرية.

وكما هو حال من يواجه الجبابرة والطغاة من التعظيم والتبجيل في نظر مجتمعاتهم، فقد عظم أبو بكر رضي الله عنه في نفوس وقلوب المؤمنين، لما قام به من دور رائد، حيث كسر أطواق الرهبة من الجاهلية وفتح أبواب الدعوة العلنية وأثبت أن المسلمين كيان لا يقهر وسيعلو على جميع العقبات التي يضعها المشركون في طريقه، ومع ما نال المسلمين من أذى جسدي في تلك الملحمة الدعوية العقدية فإنهم أرغموا أنوف المشركين بما أظهروه من تلاحم وأخوة وعلم وصبر وانضباط.

ومع كل الذي حصل لأبي بكر من أذى جسدي ونفسي في تلك المواجهة فإنه لم ينس مهمته التي كان يعمل من أجلها في كل أوقاته ألا وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد اغتنم تلك اللحظة التي جاشت فيها مشاعر المؤمنين بعميق المودة والتراحم والتعاون ليستعين برسول الله ﷺ على دعوة والدته إلى الإسلام والطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لها، فاستطاع آنذاك أن يحقق رغبته بإسلام والدته حينما قال: يا رسول الله إنك رجل مبارك، وهذه والدتي بارة بولدها فادع الله لها أن يهديها للإسلام، ففعل النبي ﷺ ما يقر عين صاحبه ليفوز بإيمان والدته، وتقديم أروع ما يمكن أن يقدمه الأبرار لأهليهم ألا وهو الإيمان. وما هذه إلا صورة لأول ما حصل في مكة بين المسلمين والمشركين ليمرّ المؤمنون بعد ذلك بأطوار أخرى من المواجهات مع عتاة الباطل تلونت فيها الأعباء والامتحانات؛ حيث واجهوا مكر اليهود وفتنهم وتشويشهم وإجلابهم الدائم على المسلمين، وكذلك تلبيس المنافقين وشائعاتهم وأباطيلهم إضافة إلى الجوع وضيق ذات اليد، فكانت تلك المواجهة الأولى بين المؤمنين المسالمين والمشركين المتجبرين دورة تدريبية لتعلم فنون الصبر والعطاء والتضحية، ومعالجة آثار بغي الطغاة وتجاوز العوائق والعقبات مع التمسك

الدائم بالهدف الأسمى الذي شرعت من أجله التضحية في الإسلام ألا وهو الدعوة إلى الله ورسوله لإخراج الناس من ضيق الجاهلية وظلمها إلى سعة الإسلام وعدله.

زوجاته:

تزوج أبو بكر رضي الله عنه في حياته من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث، اثنتان من زوجاته في الجاهلية وهما:

قتيلة: بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك من بني عامر بن لؤي(١) وهي والدة عبد الله وأسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما.

وأم رومان: بنت عامر بن عويمر من بني كنانة بن خزيمة(٢): أسلمت قديمًا وبايعت وهاجرت وهي أم عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهما. واسم أم رومان (دعد) وأبوها عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني كنانة بن خزيمة، ويقال: عمير بن عامر ولما أسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره بما لقيه به رسول الله ﷺ فسمعته أم رومان امرأة أبي بكر وهو يفاوضه في أمر الإسلام. فلما خرج سعد قالت لأبي بكر رضي الله عنه: ما الذي كنتما فيه؟ فأخبرها، ودعاها إلى شهادة الحق ورفض الأوثان فأسلمت. وقالت: لقد كنت أعلم أن محمدًا ﷺ خليق لكل خير(٣).

وقيل اسمها زينب، وكانت تحت عبد الله بن حارث بن سخبرة بن جرثومة الأزدي، وكان قد أقام بها في مكة فحالف أبا بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وتوفي عن أم رومان بعد أن ولدت له الطفيل ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله عنه فأسلمت قديمًا وبايعت وهاجرت بعدما استقر المقام بأبي بكر في المدينة. والصحيح أنها توفيت في خلافة عثمان كما ذكر ذلك البخاري في **التاريخ الأوسط** و**التاريخ الصغير**. وفي **المنتظم** ذكر ابن الجوزي أنها

(١)، (٢) الزبيري، نسب قريش، ٢٧٦. ابن سعد، الطبقات، ٣/ ١٦٩، ٨/ ٢٤٩. الصلابي، أبو بكر الصديق، ٢٣.

(٣) البلاذري: الشيخان، ٩٠.

توفيت في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، إلا أن هذا بعيد لأنها ذكرت في أحداث بعد هذه السنة[1].

وتزوج في الإسلام امرأتين هما:

أسماء بنت عُميس بن معبد بن الحارث[2] الخثعمية وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها. وهي من المهاجرات أسلمت قديمًا قبل دخول دار الأرقم، ثم بايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له هناك محمدًا وعبد الله وعونًا؛ ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد في معركة مؤتة، فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوجها بعد أبي بكر عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فذكر أنها ولدت منه ولدًا اسمه محمد فكان يقال لها: أم المحمدين[3]. وروي أن النبي ﷺ زوجها لأبي بكر رضي الله عنه يوم حنين فولدت له محمدًا، ثم مات عنها فتزوجها علي رضي الله عنه فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك، ولما مات أبو بكر رضي الله عنه أوصى أن تغسله. وكان عمر رضي الله عنه يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره[4].

حبيبة ويقال: مليكة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجية الأنصارية، وكانت قد أسلمت وبايعت وتوفي عنها أبو بكر رضي الله عنه وهي حامل فولدت له بعد وفاته أم كلثوم بنت خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه ثم خلف على حبيبة بعد أبي بكر رضي الله عنه خبيب بن إساف رضي الله عنه[5].

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ٣/ ٢٩١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٣.
(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤/ ١٧٨٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٢.
(٣) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٢٣٢. وقال: ولدت لعلي أولادًا كلهم درجوا ولا عقب لعلي رضي الله عنه منها.
(٤)، (٥) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥١ - ٣٥٦

أولاد أبي بكر رضي الله عنه:

كان لأبي بكر رضي الله عنه من الولد ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات وهم:

- **عائشة وعبد الرحمن**: وأمهما أم رومان دعد بنت عامر الكنانية رضي الله عنها.

الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

وتكنى أم عبد الله وأمها أم رومان ولدت بعد بعثة رسول الله ﷺ بأربع سنين أو خمس، وروي أنها كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها النبي ﷺ، وذلك أنه بعدما توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم[1] رضي الله عنها زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: «مَنْ؟» قالت: ابنة أحب الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2]. وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطبها وهي ابنة ست سنين وهو في مكة، قالت: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج من الأنصار رضي الله عنهم، قالت: وبنى بها رسول الله وهي يومئذ بنت تسع سنين[3]. وعنها رضي الله عنها أنها قالت: فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر:

- لم ينكح بكرًا قط غيري.
- ولا امرأة أبواها مهاجران غيري.

---

(١) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه. ابن حجر: الإصابة، ٨/ ١١٦.

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٢.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٨/ ٢٣٤. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٤. قال: وقد استشكل هذا الحديث أناس فتكلموا بغير علم، ولقد رأيت أثناء اشتغالي بالقضاء من هي بنت تسع سنين وهي أكمل جسدًا وهيئة من ابنة ستة عشر عامًا. أقول: وقد كانت أم المؤمنين كذلك، ولا أدل على ذلك من ذكر خولة بنت حكيم لها وهي ابنة ست سنين، مما يعني أنها كانت على هيئة وبنية جسدية وعقلية مميزة وخاصة بها منذ تلك السن رضي الله عنها وأرضاها.

- وأنزل الله براءتي من السماء قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة. لا ينكره إلا كافر أو منافق رافض لكتاب الله عز وجل.
- وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة.
- وكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ في إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري.
- وكان ﷺ يصلي وأنا معترضة بين يديه دون غيري.
- وكان ﷺ ينزل عليه الوحي وهو معي في فراشي؛ ولم ينزل عليه وهو مع غيري.
- وقبض ﷺ وهو بين سحري ونحري. السحر الرئة والنحر الصدر والمراد بين ذراعيها رضي الله عنها وأرضاها وأخزى مبغضيها وأعداءها.
- وقبض في الليلة التي كان يدور عليّ فيها.
- ودفن في بيتي ﷺ. وكل هذا من المتفق عليه بين المسلمين، ومما هو معلوم لديهم لا يماري فيه إلا من رفضوا القرآن والسنة وناصبوا أهل بيت رسول الله العداء والبغض والكراهية ممن يزعمون أنهم يحبونهم، وهم يبغضون الطاهرة عائشة أحب نساء رسول الله ﷺ إليه وزوجه في الدنيا والآخرة.

وكانت مدة مقام رسول الله ﷺ مع الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسع سنين، وتوفي ﷺ عنها ولها من السنين ثماني عشرة سنة.

وكانت فقيهة النساء حتى قيل بأن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها. وكانت عالمة بأكثر العلوم. قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علمًا. وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة رضي الله عنها. وعن مسروق قال: رأيت مشيخة

أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض[1]. وقال ﷺ: «**عائشة زوجتي في الجنة**»[2]. وفي هذا إرغام للأفاكين ومن يتلقى عنهم من السفهاء.

وكانت رضي الله عنها كريمة على منهج زوجها ﷺ وأبيها رضي الله عنه في الكرم. قالت أم دُرَّة جاريتها: أُتِيَتْ بمائة ألف ففرقتْها وهي يومئذ صائمة فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه، فقالت رضي الله عنها: لو كنت أذكرتني لفعلت[3]. وفي هذا الموقف ما فيه من العبر التي منها أن كرم أم المؤمنين ابنة بيت الكرم ومعدن الجود إنما هو خلق أصيل في بيتهم لا يتكلفون التخلق به وأن الكرم والإنفاق عندهم أحب إليهم من التلذذ حتى من لقمة الإفطار التي يتلقاها الصائم على حاجة وشهية، مما يؤكد أن كرم آل الصديق كرم فطري جبلوا عليه جبلة، وأن تحول عائشة رضي الله عنها إلى بيت رسول الله ﷺ لتكون من أحب آله وأهل بيته وسكنه ومستراحه ﷺ ما زادها إلا كرمًا على كرم؛ إذ إن رسول الله ﷺ كان في الكرم كالريح المرسلة، فليس مستغربًا على من هذه نشأتها أن تكون قدوة لنساء الأمة من بعدها؛ ولا سيما في هذا العصر لِيَتَعَلَّمْنَ منها كيف يكون الكرم والسيادة والزهد، وكيف تكون خدمة القيم والمبادئ وأين تصرف الأموال، ويتعلمن منها أن الفعال هي التي تزين نساء هذه الأمة وليس محلات التجميل التي تديرها كثير من الكافرات اللواتي يأتين بالأخلاق الغريبة على مجتمعاتنا وقيمنا النبيلة، وقد تكون المشينة على بناتنا ونسائنا لكي يحلن بينهن وبين التجمل بما كانت تتجمل به أم المؤمنين من الفعال الحميدة والمواقف النبيلة.

وقد أصبحت أم المؤمنين عائشة ولا زالت بتلك القيم والأخلاق السامية؛ مثال

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ٢٣٣. ومعلوم أن علم الفرائض من أصعب علوم الفقه لما فيه من المسائل والمواريث التي يصعب فهمها.

(٢) مسلم، الصحيح، ك: فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها. ٤/ ١٨٩٤. ابن حجر: الإصابة، ٨/ ١٩.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٨/ ٢٣٤، ١/ ١٢٥.

المرأة المسلمة لما حباها الله تعالى من صفات الكمال والتمام والهيئة والمكانة والعلم والفصاحة والفقه والفطانة والطهر والطاعة لله ولرسوله ﷺ. فهي مثال الزوجة التي وصفها رسول الله ﷺ التي إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته[1] فكانت حب رسول الله ﷺ وراحته وهناءته وسروره الذي لا يتحقق عند أهله تامًّا إلا عندها ليكون بذلك الدليل القاطع على نجاحها في كل شؤون حياتها الزوجية والعلمية والاجتماعية وغيرها، والشاهد على ما كانت تتمتع به من صفات نالت إعجاب ومحبة سيد البشر مع ما يتمتع به من الذوق الرفيع والخلق الرباني العظيم. وهي المشاركة لأبناء الأمة في همومهم وتطلعاتهم وآلامهم وآمالهم. قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة[2]. ونظرًا لهذه المكانة السامية والمرتبة العالية فإن أعداء رسول الله ﷺ وأعداء أصحابه أغاظهم ذلك فنظروا في أي باب من أبواب النقص لكي ينسبوه إلى أم المؤمنين الطاهرة فلم يجدوا مدخلًا يوصلهم إلى ما يفرغ غيظهم وبغضهم، مما دعاهم إلى شن حرب شعواء؛ أسلحتها الإفك والبهتان وصريح الكذب مع الجهالة والغباوة؛ حتى أصبح ذلك هو الخلق الذي يعرف به أعداء أم المؤمنين رضي الله عنها؛ فهم أكذب الخلق وأخس بني البشر فلا يثق بهم إلا مغفل بليد، ولا يعاملهم إلا تافه رعديد؛ كيف لا وهم لا زالوا يدينون ويشيعون الكذب على أهل رسول الله ﷺ بالتعبد بجريمة الإفك[3] التي برأها الله تعالى منه؟! كيف وهم الذين لا زالوا يرددون البهتان مضاهاة للقرآن ....

---

(١) الحاكم: المستدرك، كتاب الزكاة، ح (١٤٨٧) أبو داود كتاب الزكاة، باب حق السائل، ح(١٦٦٤).

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٨/ ٢٣٢.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، (٢٦٦١) ونصه: أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت =

....

= إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جاريةً حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأممت منزلي الذي كنت به فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرًا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلًا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟ فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم فقال: «**كيف تيكم؟**» فقلت: ائذن لي إلى أبويَّ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرًا، وأما علي ابن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**يا بريرة، هل رأيت فيها شيئًا يريبك؟**» فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق؛ إن رأيت منها أمرًا أغمصه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول =

....

= فقال رسول الله ﷺ: **«من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، وقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي»**، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله والله لنقتلنه؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين؛ فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويومًا حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت: فتشهد ثم قال: **«يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه»**، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرةً، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾. ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيًا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: **«يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله»**. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ. فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعدما قال لعائشة =

وتكذيبًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ولكي يثبتوا خروجهم على أمر الله تعالى وإصرارهم على تكذيب القرآن وأنهم ليسوا من المؤمنين؛ فإنهم لا يقيمون وزنًا لقوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] فكل من يتحدث بالإفك ليس من المؤمنين بهذا النص القرآني المبارك، والرافضة الذين ينالون من الطاهرة أم المؤمنين هم الذين يكذبون القرآن والسنّة وهم إخوة الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] ومن يدعو في هذا العصر إلى مودة من ينال من أم المؤمنين الطاهرة عائشة فهو يدعو إلى مودة من يُكذب القرآن، وبالتالي من أحبّ قومًا فهو منهم.

والطاهرة أم المؤمنين فقيهة النساء أجمعين، وهي التي فاقت أخبارها جميع أخبار نساء هذه الأمة لما لها من مكانة في قلب رسول الله ﷺ، ولما حصل لها من مكروه مكر المنافقين وكيدهم ومن بعدهم إخوانهم الرافضة الأفّاكون وما يلوكونه بألسنتهم وكتبهم وخطبهم من البهتان الراد لما أنزل الله عز وجل من القرآن الكريم في سورة النور من تكذيب هؤلاء وقمعهم ونهيهم عن التلفظ بأي حرف من ذلك الزور؛ وأن كل من يتلفظ بالإفك والكذب ليشيع الفاحشة في صفوف المؤمنين إنما هو منافق سلولي رافضي عدو لله ورسوله ﷺ؛ لأنه كافر بقوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فالقرآن يؤكد أن المؤمنين لا يتحدثون بما يشيعه الكذابون وأعداء الصحابة يدينون بهذا الإفك والكذب والبهتان.

= فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: **«يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟»**. فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرًا. قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. ورواها في كتاب التفسير، سورة النور، باب: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾. ح(٤٧٥٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، ح (٤٩٧٤).

(١) سورة النور، الآية: ١٦.

(٢) سورة النور، الآية: ١٧.

(٣) سورة النور، الآية: ١٩.

والحديث عنها رضي الله عنها إنما هو حديث عن أهل رسول الله ﷺ وأسرته وخصوصياته في بيته وعمّا حبا الله تعالى به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من العقل والنباهة والفطنة والذكاء والعلم والفقه والكرم والفصاحة فضلًا عن رواية الحديث والإجابة عن عامة المسائل الفقهية والاجتماعية العائلية والأسرية، حيث لا زالت هي المرجع في هذا لكبار علماء هذه الأمة، فضلًا عن عامتهم، وما إلى ذلك من شؤون تفردت بها مفخرة الأمة وجوهرة السنة وعلوم الحديث رضي الله عنها وأرضاها وأخزى الله خصومها ومبغضيها ومن لا يذكرها بالحسنى وعاطر الذكر وطيب القول كما هي أهل لذلك وأكثر.

ولا يسع هذا الموضع الحديث عنها وعن إنجازاتها للأمة وحميتها على الدين وغيرتها على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه الأكرمين وإفحامها بالحجة والبرهان لكل من سولت له نفسه أن ينال منهم أو يذكرهم بغير ما ذكرهم الله تعالى به؛ حتى أصبحت العلم الأشم والنور الذي يزيل الظلمة في ذلك، وهي التي تقحمت المخاطر ولم يرهبها مكر الرافضة أئمة الفتنة وغدرهم، وعرّضت نفسها الشريفة النبيلة لكل هول؛ غيرة على الأمة وحرصًا على وحدتها وإصلاح ذات البين بين أبنائها ونقاء سنة نبيها ﷺ وموروثه المقدس في العلم والحديث وفي الأمر والنهي، فلم يهدأ لها بال ولم تستقر لها نفس بعد أن غدر الغادرون بعثمان الشهيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وفعلوا فعلتهم الآثمة، حتى أقرّت اجتماع الأمة على تنفيذ حكم الله فيهم، فكان من فضلها وبركة وجودها معهم وبطلب وإلحاح منهم انقياد القبائل لأمر الله في القتلة المجرمين الذين تخلت عنهم قبائلهم وتبرأت منهم ومن سوء فعالهم؛ حتى جيء بهم كالكلاب يجرون جرًّا في البصرة لكي يقام عليهم حدّ القصاص بين يدي القائدين الأميرين الأسدين المجاهدين المبجلين المبشرين بالجنة طلحة والزبير رضي الله عنهما[1] وليكون أولئك القتلة المجترئون على الشهيد عثمان رضي الله عنه في البلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام؛ عبرة لكل من يرفض السنة أو ينال من أئمتها، إذ إن الرافضين للسنة المجترئين على دماء أهلها؛

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣/ ١١٢. الخليفة: الإنصاف، ٣٣٠.

هذا هو حكم الله فيهم الذي نُفّذ بهم بين يدي طلحة والزبير صاحبي رسول الله ﷺ وأسديه العاديَيْنِ بين يديه ﷺ وليتعلم أهل السنّة في كل عصر ومصر من كل ذلك الغيرة على سنّة نبيهم ﷺ وعلى دينه ودماء أمته؛ ومن هنا أصبحت أم المؤمنين بسيرتها الطاهرة العطرة السامية رضي الله عنها وأرضاها؛ فيصلًا بين أهل الإيمان الموالين لها ولما سارت عليه من سنة رسول الله ﷺ وبين مبغضيها من الزنادقة الرافضين للسنّة المخالفين لمراد رسول الله ﷺ وحبه ورضاه ومستراحه ومبتغاه من دنياه، وبذلك أصبح بغض أهل بيت رسول الله ﷺ الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حربًا على الكتاب والسنة وأهلهما ورفضًا صريحًا قبيحًا لهما. لا يجهل هذا الجرم إلا غافل أبله لا يميز بين الحق والباطل ولا بين السنة والردة. وأما مسير أم المؤمنين للإصلاح بين المؤمنين وجمع كلمتهم بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الذي سارت من أجله وأجابتهم إليه إذ لم تخرج إلا للإصلاح بين المسلمين حين قالوا لها «تَقدَمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم»[1].

وقد جعل الله في خروجها خيرًا كثيرًا؛ فكم من سيوف أغمدت ومن ألسنة كفت عن الفتنة ببركة وجودها، وهي إن لم تتمكن من تحقيق كل أهدافها في وأد الفتنة؛ فيكفيها فخارًا ما تحقق من ذلك ويكفيها أجرًا ما تجشمته من صعاب السفر والمخاطرة الهائلة، حينما لم يَخف الله تعالى فيها من اجترؤوا على الشهيد عثمان رضي الله عنه، وهي تعلم أن من فعل ذلك لن يقيم وزنًا لأحد في الأمة بعده؛ وكل ذلك جاء مفصلًا في كتاب **الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف** فلا حاجة لتكراره مرة أخرى فليراجع هناك، وجزى الله أم المؤمنين على جهودها الميمونة في حماية السنة وأهلها ووأد الفتنة وأهلها خير ما جزى به المؤمنين المصلحين.

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٥٢. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٣٢٥.

وتعلمت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب من العادات والأخلاق والأعمال والقيم وفي كل مجالات الحياة، وحفظ عنها الرواة عشرة ومائتين وألفين (٢٢١٠) حديثًا من بحر علمها الذي روته عن رسول الله ﷺ، فهي من كبار حماة ورواة السنة النبوية المطهرة، وهذه الميزة من الأسباب التي ضاعفت عليها أحقاد الرافضة وبهتانهم؛ للتشكيك بما روته من السنة المطهرة كما هو حالهم مع جميع الرواة إذ يشنون عليهم حملات الدس والتزييف؛ للحيلولة بين رواياتهم وبين إيمان الناس برسول الله ﷺ واتباعه والعمل بسنته. وهي التي قال عنها رسول الله ﷺ مادحًا ومنوهًا بمكانتها في الأمة: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[١]. ومعلوم أن الثريد هو أفضل طعام العرب وأكثره عافية وصحة وهناءة، وهو الذي يقدمونه في أكرم المناسبات والأعياد والأفراح.

ولما مرضت رضي الله عنها دخل عليها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يعودها قبيل وفاتها. فقال: أنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء[٢]. وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من رمضان سنة ٥٨ للهجرة، وقيل سنة ٥٧، وقيل ٥٩. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بعد أن آثرت بمكانها الذي كانت تدخره لنفسها من حجرتها التي دفن فيها زوجها ﷺ وأبوها رضي الله عنه آثرت فيه عمر رضي الله عنه بعد أن استأذنها في ذلك ليدفن مع صاحبيه قرير العين هانيها، فرضي الله عن أم المؤمنين التي أبت إلا أن تكون كريمة في كل شيء وأرضاها وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى الأنصار والمهاجرين والمجاهدين المصلحين وأشراف الناس والعلماء العاملين، وصلى عليها بعد وفاتها صاحب رسول الله أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه[٣].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ٤/ ٢٠٠. ٥/ ٣٦. مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، ٤/ ١٨٩٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك: تفسير القرآن، باب: ولولا إذ سمعتموه...، ح ٤٧٥٣.

(٣) ينظر: ابن الجوزي: الصفوة، ١/ ١٢٥.

عبد الرحمن بن أبي بكر:

ويكنى أبا عبد الله، وقيل أبا محمد، أمه أم رومان، وهو شقيق عائشة رضي الله عنهما، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، فكان إذا أقبل على المسلمين دعا عليه أبو بكر رضي الله عنه بالهلاك، وإذا أدبر دعا له بالتوبة، وكان شهمًا شجاعًا فطنًا فصيحًا، وكان راميًا حسن الرمي، له مواقف في الجاهلية والإسلام مشهورة، دعا إلى البراز في يوم بدر، فقام إليه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه. فقال له رسول الله ﷺ: «**متعنا بنفسك**» ثم منّ الله على عبد الرحمن فأسلم في هدنة الحديبية، وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقتل سبعة من أكابر المرتدين وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل[1] رماه بسهم في نحره فقتله. وشهد يوم البصرة أو ما يسمى بيوم الجمل مع طلحة والزبير رضي الله عنهما مع شقيقته أم المؤمنين الطاهرة المصلحة عائشة رضي الله عنها، وكانت تدعو الناس إلى الصلح فاستهدف هودجها الرافضة السبئية يريدون قتلها حتى أصبح هودجها كالقنفذ من كثرة السهام التي رموها عليه[2] قاتلهم الله تعالى، وكان أخوها محمد بن أبي بكر مع علي رضي الله عنه، وهو الذي تولى صحبتها في ذلك اليوم ومن ثم عادت إلى مكة وأقامت بها حتى أدت فريضة الحج ثم عادت إلى المدينة[3].

وعاش عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما حتى فاوض معاوية الناس على بيعة ابنه يزيد خشية على الأمة من الفتنة وانفراط الصف، فكان عبد الرحمن من أكبر أربعة معارضين لتلك البيعة، فعاملهم معاوية رضي الله عنه بلطفه وحلمه المعهود، ولم يجبر أحدًا من الناس على بيعة يزيد من بعده، ولم يعش عبد الرحمن حتى يشهد تلك البيعة التي كان يعارضها وكان يقول: لا أبيع ديني بدنياي. وكان رجلًا صالحًا لم يجرب عليه كذب قط، وكانت فيه

(١) هو محكم بن الطفيل وزير مسيلمة الكذاب، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر يوم اليمامة، ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٣٠. الخليفة: الإنصاف، ٣٩٦.

(٣) الطبري: ٥/ ٢٨١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٠٤.

دعابة[1] ولطف وأدب جم، وخرج إلى مكة قبل أن تتم البيعة ليزيد، فتوفي فجأة سنة (٥٣) بموضع على عشرة أميال من مكة، ويقال إنه مات في نومة نامها رضي الله عنه.

وولد عبد الرحمن محمدًا، وعبد الله، وحفصة. فأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبد الله بن محمد وله عقب يقال لهم: آل أبي عتيق من بين ولد أبي بكر، وذلك أن عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا، فقال أحدهم: أنا ابن الصديق، وقال الآخر: أنا ابن ثاني اثنين، وقال محمد: أنا ابن عتيق، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم[2].

عبد الله وأسماء ذات النطاقين:

وأمهما قتيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي.

عبد الله هو أكبر أولاد خليفة رسول الله الذكور. وهو صاحب الدور الرائد في يوم الهجرة عندما كان رسول الله ﷺ وخليفته متواريين في الغار[3]. وكان غلامًا شابًّا فطنًا، وكان يأتيهما بأخبار قريش وما يأتمرون به ضد رسول الله ﷺ وخليفته رضي الله عنه، وكان يبيت عندهما ويخرج من السَّحر فيصبح مع قريش، ولما رجع الدليل عبد الله بن أريقط الدئلي من المدينة بعد أن أوصل رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه أخبر عبد الله بوصولهما إلى المدينة سالمين، فخرج بعيال أبي بكر وبصحبتهم طلحة بن عبيد الله حتى قدموا المدينة، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف مع النبي ﷺ وجرح بالطائف، رماه أبو محجن الثقفي بسهم فاندمل جرحه ثم انتقض عليه فمات في خلافة خليفة رسول الله ﷺ في شوال سنة (١١) للهجرة ودفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه رضي الله عنه ونزل في قبره أخوه عبد الرحمن وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، ويعد من شهداء الطائف، وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر!! وكانت وفاته بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، وترك زوجته عاتكة

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٧.
(٢) البلاذري: الشيخان، ٩١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٦. الطنطاوي: ٢٥٨، ٢٥٩.
(٣) البلاذري، الشيخان: ١٠٢.

بنت زيد بن عمرو العدوية أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكانت امرأة لها هيئة وجمال وتمام وكمال وجزالة في عقلها ومنظرها ورأيها. وكان عبد الله بها معجبًا فشغلته عن أموره، فأمره أبوه أن يطلقها فطلقها ثم ندم على ذلك فقال رضي الله عنه:

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق

فرق له أبوه رضي الله عنه وأمره أن يراجعها فراجعها ومات وهي عنده رضي الله عنهما[1].

أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر:

أسماء بنت عبد الله بن عثمان أبي قحافة التيمية، أمها قتيلة، وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر، وهي أكبر بنات خليفة رسول الله كما أن عبد الله أكبر أولاده، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وتزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه ابن عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

أكبر أبنائها هو أمير المؤمنين الشجاع العالم الفصيح الزاهد العابد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أسلمت قديمًا؛ قيل بعد سبعة عشر نفسًا، سماها رسول الله بذات النطاقين لأنها هيأت له ومعها أختها الصغيرة الطاهرة أم المؤمنين عائشة لما أراد الهجرة سفرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فلم تجد شيئًا، فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطقًا تمنطقت به. ورُوي أنه قال لها ﷺ: «**أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة**»[2]. ومنذ ذلك اليوم وهي تلقب بذات النطاقين لما في هذا اللقب من علامات الإصرار على النجاح واختراق كل أشكال الحصار والمكر والتربص الذي كان يقوده المشركون ضد رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، هاجرت رضي الله عنها وهي

(١) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ٢٥. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٠/ ٢٣٩. المزي: تهذيب الكمال، كتاب النساء، باب الألف، ٥/ ١٢٤.

حامل بعبد الله بن الزبير الذي كان أول مولود للمهاجرين في المدينة وولدته رضي الله عنه بقباء. قالت: ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرّك عليه. وولدت أسماء للزبير رضي الله عنه: عبد الله، وعروة، والمنذر. وعاشت ذات النطاقين رضي الله عنها كل ما عاشه المسلمون في المدينة من الشدة والرخاء، وامتد بها العمر رضي الله عنها حتى بلغت مائة عام ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، وكان رأسها يصدع فتضع يدها عليه وتقول: بذنبي وما يغفر الله أكثر. وعاشت بعد استشهاد ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عشرين يومًا، ثم توفيت أوائل سنة أربع وسبعين رضي الله عنها وأرضاها[١].

ومحمد بن أبي بكر:

وأمه أسماء بنت عميس بن معبد الخثعمية، وكان يكنى أبا القاسم، وكان من فتيان قريش، وكان ممن لبّست عليه حركة الزندقة السبئية الرافضية بعض الأمور التي حبكتها ضد صفاء الإسلام ووحدة المسلمين التي كان يقودها الخليفة الراشدي العادل الحازم الكريم الحليم عثمان رضي الله عنه بكل أمانة وجدارة واقتدار، إلا أن ابن أبي بكر تدارك نفسه بالتوبة قبيل إجهاز الزنادقة على الشهيد عثمان رضي الله عنه فلم تتهم يده بشيء من دماء عثمان رضي الله عنه وإن كان تحرك معهم بعد أن غرروا به بإفكهم وبهتانهم وأباطيلهم في بداية مؤامرتهم الرافضية القذرة، وكان علي رضي الله عنه يثني عليه ويفضله وكانت له عبادة واجتهاد. ثم ولد لمحمد بن أبي بكر القاسم بن محمد لأم ولد وكان من أئمة أهل عصره ومن أفضل أهل زمانه، ولا سيما أنه تربى في بيت النبوة في حجر الطاهرة الصديقة العالمة الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها[٢]. وقتل محمد في مصر فلما بلغ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مقتله حزنت عليه جدًّا، وتولت تربية ولده القاسم فنشأ في حجرها،

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦١.

(٢) البلاذري: الشيخان، ١٠٤.

فكان من أنبل أهل عصره وأعلمهم وكان فاضلًا فقيهًا. وتوفي بقديد[1] سنة ١٠٨هـ.

أم كلثوم:

أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية، وهذا البطن من الخزرج يعرفون ببني الأغر[2]. وأم كلثوم تابعية مات أبوها خليفة رسول الله وهي حمل في بطن أمها فولدت بعد وفاة أبيها رضي الله عنه ثم خطبها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى الطاهرة أم المؤمنين عائشة فأنعمت ورحبت به؛ وكرهت أم كلثوم ذلك لخشونة عيش عمر رضي الله عنه وزهده وشدة ورعه وعبادته، فتزوج عمر أم كلثوم بنت علي بنت فاطمة رضي الله عنهم. ولما أمسك عمر عن ابنة أبي بكر رضي الله عنه تزوجها أبو محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فولدت له زكريا وعائشة ثم قتل عنها رضي الله عنه غدرًا على أيدي الرافضة السبئية في فتنتهم يوم البصرة أو ما يسمونه بيوم الجمل، فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر[3].

إخوان خليفة رسول الله:

ولد لأبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب رضي الله عنه: أبو بكر وأم فروة، وقريبة رضي الله عنهم.

أم فروة: أما أم فروة فتزوجها رجل من الأزد فولدت له جارية. ثم تزوجها تميم الداري رضي الله عنه ثم تزوجها الأشعث بن قيس الكندي بعد أن أسره المسلمون في حروب الردة، فعفا عنه خليفة رسول الله وزوجه أم فروة بعد أن تاب وحسن إسلامه.

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة ينسب إليه بعض الأعلام بنسبة القديدي. ياقوت: معجم البلدان، ٧/ ٢٣.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٨٨.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٤

قريبة: وأما قريبة فكانت عند قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه [١] الأمير الأريب اللبيب الحبيب كان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير عند رسول الله ﷺ [٢] ثم كان أميرًا على مصر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأظهر من البراعة والحكمة وحسن السياسة ما جعل البعض يقرن سياسته بسياسة أمير المؤمنين معاوية الحليم رضي الله عنه [٣].

ولم تلد له شيئًا وهي شقيقة أم فروة[٤] ومر فيما سبق من ألقاب الصديق أنه كان يدعى عتيقًا وأنه كان له أخوان آخران يحملان أسماء قريبة من هذا اللقب، وهما معتق ومعيتيق، ولكن من خلال البحث في أسرة خليفة رسول الله لم يظهر ما يؤكد أي دور لهذين الأخوين في الحياة، مما يوضح أنهما - إن صحت الرواية في ذلك - يكونان ماتا صغيرين قبل عتيق، وقد يكون دعاء والدته أن يعتقه الله لها من أسباب معرفته بهذا اللقب إضافة إلى الأسباب الأخرى.

موالي خليفة رسول الله

١- بلال بن رباح رضي الله عنه:

المؤذّن، يكنّى أبا عبد الله وقيل: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الرحمن؛ وقال بعضهم يكنّى: أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق اشتراه بخمس أواق؛ وقيل: بسبع أواق، وقيل: بتسع أواق، ثم أعتقه وكان خازنًا ومؤذنًا لرسول الله ﷺ شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب؛ وقيل: بل آخى بينه وبين أبي رويحة الخثعمي. وقيل: بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢. الهندي: كنز العمال، ح (٣٨٤٧٨). الخليفة: الإنصاف، ٤٢١.
(٣) الخليفة: الإنصاف، ٤٢١.
(٤) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥١.

وكان بلال رضي الله عنه لبعض بني جمح مولدًا من مولديهم، قيل: من مولدي مكة، وقيل: من مولدي السراة، واسم أبيه رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. وكان ديوانه في خثعم وليس بالشام حبشي إلا وديوانه في خثعم. وقال المدائني: كان بلال من مولدي السراة، مات بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وعشرين، وقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة، ويقال: كان ترب أبي بكر رضي الله عنهما وله أخ يسمّى خالدًا وأخت تسمّى غفرة. ولم يعقب بلال رضي الله عنه. ويقال: إنه أذّن لعمر رضي الله عنه حين دخل الشام مرة فبكى عمر رضي الله عنه وغيره من المسلمين، وكان أمية بن خلف الجمحي ممّن يوالي عليه العذاب والمكروه، فكان من قدر الله أن قتله بلال يوم بدر، فردد أبو بكر الصديق أبياتًا تنسب إليه رضي الله عنه حيث لم يثبت أنه قال شعرًا قط. منها قوله:

هنيئًا زادك الرحمن خيرًا فقد أدركت ثأرك يا بلالُ[1]

٢- عامر بن فهيرة:

مولى أبي بكر الصديق، أبو عمرو رضي الله عنه كان مولدًا من مولدي الأزد أسود اللون مملوكًا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها لأمها أم رومان رضي الله عنها. فأسلم وهو مملوك فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه من الطفيل، فأعتقه وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام وكان حسن الإسلام وكان يرعى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، ذكر ذلك كله موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في هجرتهما إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأحدًا، ثم

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب. ١/ ٥٥. ابن الأثير: أسد الغابة: ١/ ٢٣٦. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٧.

قتل يوم بئر معونة[1] وهو ابن أربعين سنة، قتله عامر بن الطفيل، ويروى عنه أنه قال: رأيت أول طعنة طعنتها عامر بن فهيرة نورًا خرج منها، وذكر ابن إسحاق، قال: لما قدم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ قال له: «**من الرجل الذي لما قتل رأيته رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع؟**» فقال له: هو عامر بن فهيرة، هكذا رواية يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، ورواية غيره، عن ابن إسحاق، قال: إن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منهم لما قتل رأيته رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: عامر بن فهيرة، وذكر ابن المبارك، وعبد الرزاق، عن عروة. قال: طلب عامر بن فهيرة يومئذ في القتلى فلم يوجد. قال عروة: فيرون أن الملائكة دفنته أو رفعته، وروى ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري قال: زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فهيرة قتل يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوا فيرون أن الملائكة دفنته، وكانت بئر معونة سنة أربع من الهجرة، ودعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابه غدرًا في بئر معونة[2] أربعين صباحًا، حتى نزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[3] وقيل: نزلت في غير هذا[4].

٣- أبو نافع:

وهو مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وكان مكثرًا من المال وكان ينزل البصرة وله بها دار مشهورة، وفيه يقول ابن مفرغ الحميري يزيد بن زياد بن ربيعة:

سقى الله أرضًا لي ودارًا تركتها ... إلى جنب داريْ معقل بن يسار
أبو نافع جار لها وابن برثن ... فيالك جاريْ ذلة وصَغار

---

(١) بئر معونة: بين أرض بني عامر وبني سليم، وقيل ماء لبني عامر بن صعصعة، وقيل غير هذا. ياقوت: ٢/ ٢٤٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٧. ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٤٨٢. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ٥٢٤. ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٤٤١.

فقيل لأبي نافع: إنه هجاك، قال: فإذا هجاني أموت أو يموت ابني طلحة؟ قالوا: لا. قال: فلا أبالي[1]. مما يدل على صحة الرواية على حلمه وسعة عقله وترفعه عن السفاسف، وهذا يمثل حالة من الثقة بالنفس وبيانًا لأثر الأخلاق الإسلامية في المجتمع آنذاك، فبينما كان أهل الجاهلية يقاتلون من يُعرض بهم في الشعر أصبح المسلم أعرف بنفسه ولم يعد يبالي بأقوال الكثير من الناس، وإن كان القضاء الإسلامي يحاسب على الهجاء ويزدري من يتفوه به.

٤- موسى بن دينار:

ذُكر مع موالى أبي بكر رضي الله عنه روى ما قاله النبي ﷺ وأصحابه عن الشيب روى عنه مجاهد[2].

٥- مرة بن أبي عثمان:

مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أيضًا، كتبت له أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها كتابًا إلى زياد بن أبي سفيان (زياد ابن أبيه) والي البصرة فأكرمه وألطفه ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبلة بالبصرة وحفر له نهرًا فنسب إليه[3].

٦- سعد بن عائذ:

هو سعد القرظ المؤذن مذكور في **الوسيط** في الأذان للصبح، هو مولى عمار بن ياسر رضي الله عنه هو بإضافة سعد إلى القرظ بفتح القاف، وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم بهذا الفن ويقع في بعض نسخ **الوسيط**: القرظي وهو خطأ فاحش بلا شك، وإنما هو سعد القرظ كما سبق؛ قال العلماء: أضيف إلى القرظ الذي يدبغ به لأنه كان كلما اتجر في شيء خسر فيه فأتجر في القرظ فربح فيه فلزم التجارة فيه فأضيف إليه، جعله النبي ﷺ مؤذنًا بقُباء، فلما

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٤٤١.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٨.

ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة وترك بلال الأذان نقله أبو بكر رضي الله عنه إلى مسجد رسول الله ﷺ ليؤذن فيه، فلم يزل يؤذن فيه حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي فتوارث بنوه الأذان، وقيل الذي نقله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

٧- شديد:

حاجبه ومولاه أدرك النبي ﷺ وكان هو الذي أحضر عهد عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما فروى أحمد من طريق قيس بن أبي حازم قال: رأيت عمر بيده عسيب نخل يجلس الناس يقول: اسمعوا وصية خليفة رسول الله، فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس. يقول أبو بكر رضي الله عنه: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة، فوالله ما آلوكم. قال قيس: ثم رأيت عمر رضي الله عنه بعد ذلك قد صعد المنبر[2].

٨- سعد المدني:

مولى آل أبي بكر رضي الله عنه وهو غير الذي قبله. حكى عن ابن عمر وابن الزبير والقاسم بن محمد وعنه ابنه موسى وكلاهما مجهول[3].

٩- أَبُو القَاسِم:

مولى أبي بكرٍ الصديق، له صحبة، شهد فتح خيبر وروى عنه أبو الجهم الكوفي أنه قال: لما فتحت خيبر أكل الناس الثوم. فقال رسول الله: «**من أكل من هذه البقلة فلا يقرَبَنَّ مسجدنا حتى يذهب ريحها من فيه**» ذكره البغوي في الصحابة وأخرج له حديثين ثم قال: لا أعرف للقاسم غير هذا[4].

---

(١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، باب سعد (٢٠٣)

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق: ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة: ٥/ ٦٨. ابن عبد البر: الاستيعاب: كتاب الكنى، ٤/ ٩٨.

١٠- سَعْد مَوْلى أبي بَكر الصّديق رضي الله عنه:

ويقال سعيد والأول أشهر وأصح. أخرج عنه ابن ماجه وروى عنه الحسن البصري، وأشار إليه الترمذي وكان يخدم النبي ﷺ [١] وسكن البصرة. عن الحسن، عن سعد مولى أبي بكر الصديق، عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه وكان سعد مملوكًا له، وكان رسول الله ﷺ يعجبه خدمته، قال رسول الله ﷺ: «**أعْتق سعدًا**». فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما لنا ههنا غيره، فقال رسول الله ﷺ: «**أعتق سعدًا، أتتك الرجال، أتتك الرجال**». وروى عنه الحسن أنه قال: شكا رجل صفوان بن المُعَطَّل إلى رسول الله ﷺ فقال: هجاني صفوان، وكان صفوان يقول الشعر، فقال النبي ﷺ: «**دعوا صَفوان فإنه طيّب القلب خبيث اللسان**». أخرجه الثلاثة[٢].

١١- صفية:

وهي أم محمد بن سيرين طيبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريًّا، فيهم أُبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون[٣].

١٢- كثير بن عبيد التيمي:

ذكره ابن حبان في **الثقات** وله عنده حديث أنس: «**يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك**»[٤]. روى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهما، ذكره البخاري وابن حبان وغيرهما في التابعين، واستدركه ابن فتحون ظنًّا منه أنه الموصوف بكونه رضيع عائشة وليس كما ظن، وإنما الموصوف بذلك والده عبيد وقد مضى ذكره. وعنه: ابنه أبو العنبس سعيد، وابن ابنه

---

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ٤٤١. ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ٢٨٦.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). (٦٥٦٠). ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧.

(٤) الترمذي: كتاب الدعوات، باب التوبة، ح (٣٥٤٠). الطبراني: المعجم الأوسط، باب: من اسمه محمد (٥٤٨٣).

عنبسة بن سعيد، وابن عوف، وشعيب بن الحبحاب، وعبد اللَّه بن دكين، ومجالد، وغيرهم. ذكره ابن حبان في **الثقات**[1].

١٣- سَعِيدُ بن عُبَيْدِ بن كثير:

حدث عنه أبو النَّضْر، وهو مجهول، قال أبو حَاتِمٍ: هو من موالي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ابن أخي أبي العنبس[2].

١٤- عمرو مولى أبي بكر[3]:

وقد ذكر شاهدًا في أحد كتب خليفة رسول الله أيام الردة.

***

(١) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). (٦٥٦٠). ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧.

(٢) ابن حجر: لسان الميزان: ٣/ ١٣٧. (٣٧٥٢) (٣٢٣٩).

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٧٠. عن ابن حجر في لسان الميزان. وابن حبان في الثقات.

المبحث الثالث

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصفاته

سبب إسلامه:

من تتبع سيرة خليفة رسول الله يجد أن اهتماماته ومطالعاته وسماعاته عن الدين والأنبياء وعبادة الله الواحد وعن حال المشركين بالله، وكذلك لقاءاته في أسفاره التجارية مع من يتحدث عن الأديان والنبوة مع بعض الرهبان والقساوسة وغيرهم من أصحاب هذا الشأن، فضلًا عن صحبته لرسول الله ﷺ وقربه من نفسه واطلاع كل منهما على توجهات الآخر واهتماماته وتوافقهما التام في كل ذلك، وأيضًا فطرة خليفة رسول الله السليمة التي جعلت منه مسلمًا فطريًّا دون أن يدري، فهو لم يشرب الخمرة قط ولم يسجد لصنم قط، ويعمل على نصرة الضعفاء والمظلومين، ويصلح بين الناس ويطعم الجياع، ويعين على النوائب إلى غير ذلك من أخلاق وقيم كان يتصف بها رسول الله ﷺ، مما جعل منه نسخة ثانية عن صاحبه قبل أن ينزل إليه الوحي، ونظرًا لهذه الأسباب الفطرية، والروابط الأخوية والألفة الروحية والصحبة والتوافق في السن وصلات القربى والجوار ورابطة البيت الحرام والكعبة المشرفة التي يجاورانها؛ كل ذلك وغيره يؤكد أن أبا بكر رضي الله عنه كان المطلع الحقيقي الأول على كل ما يحصل لرسول الله ﷺ، وأنه كان مؤهلًا لأن يصدق كل ما يسمعه من رسول الله ﷺ وكل ما يتحدث به عن الوحي وأحواله وعن القرآن وأقواله، وعن كل ما جاء به من أمر أو نهي، أو الإعلام بالغيب والحديث عن الساعة وعن الجنة والنار وما إلى ذلك، وهذا ما صدقه الواقع في إسلام أبي بكر رضي الله عنه الذي لم يتلعثم ولم يتردد، وإنما الأمر

عنده معلوم في عامة خطوطه العريضة، لأن كل ما جاء به الإسلام من المكارم كانت متمثلة في أخلاق رسول الله ﷺ وهو لا يعلم الوقت الذي يوحى فيه إلى رسول الله ﷺ، فما إن حصل ذلك حتى أسرع إلى تصديق صفيه وخليله ﷺ والتلاحم الكامل معه لمشاركته في تحمل كل أعباء المرحلة، ولهذا كان خليفة رسول الله مميزًا في خصائصه ومواقفه وفي كل ما يفعله أو يقوله. وقد ذكر في سبب إسلامه عوامل متعددة. منها:

ما قصه رسول الله ﷺ على أم المؤمنين خديجة بقوله: «**إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءًا وأسمع نداء: يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا**». فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد ﷺ إلى ورقة بن نوفل؛ فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع. فانطلقا إليه فقصّا عليه فقال: «**إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، أنا جبريل**». فأنطلق هاربًا.

فقال ورقة: سبوح سبوح! وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني. قال ﷺ: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد**»[1].

وقوله: الكبوة، أي التأخر وقلة الإجابة من قولهم كبا الزند: إذا لم يور نارًا. ما عكم: أي ما تلبث بل أجاب بسرعة. قال البيهقي: وذلك لما كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته، فلما دعاه وقد سبق فيه تفكره ونظره أسلم على الفور. وقال السهيلي: وكان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا أنه رأى رؤيا قبل ذلك، وأنه رأى القمر نزل إلى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل في كل بيت شعبة، ثم كان جميعه في حجره. فقصها على بعض أهل الكتابين فعبرها له بأن النبي المنتظر قد أظل زمانه، اتبعه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١ / ١٠٨، ٣ / ٢٧. الصالحي: سبل الهدى، ١/ ٢٣٤.

فتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله ﷺ لم يتوقف[1].

ومن الشواهد في هذه القصة إسلام أبي بكر وسبقه ومعرفته التامة بكل ما يجري لصاحبه ﷺ وأيضًا الصفات المتشابهة بينهما واشتراك أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في تخلقه بمكارم الأخلاق ومحاسن القيم، وهذا ما قاله ابن الدغنة زعيم الأحابيش الذين كانوا يسكنون قريبًا من مكة حينما رأى أبا بكر رضي الله عنه وقد عزم على الهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينه. فقال له مثلك لا يخرج يا أبا بكر، ووصفه بصفات، وصفت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ حينما قالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[2]. وهذا يعني لكل عاقل أن خليفة رسول الله تعرفه العرب بما تعرف به رسول الله ﷺ وأن صفاتهم ورغباتهم وآمالهم وآلامهم واحدة، والناس ينظرون إليهم بعين واحدة، وهذا ما أكدته قريش يوم الهجرة حين أعلنت عن جائزتها الكبرى مائة ناقة لمن يمسك بمحمد ﷺ أو بصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، فجعلت الجائزة لمن يأتي بأي منهما واحدة، لما يترتب على دور كل منهما في الأمة؛ فرسول الله ﷺ هو الرأس، المطلوب الأول لأهل الشرك والكفر ويأتي بعده رأس صاحبه رضي الله عنه؛ لأنه هو الذي يسد مسده إن غاب، وهذا كله من المتفق عليه المعلوم لدى أعدائهم؛ فكيف لا يكون معلومًا عند أتباعهم ومن يقتدي بهم؟ وهذا ما أدركته الرافضة السبئية في تدابيرها التي لا زالت فاعلة إلى هذا العصر، فلما علمت أنه من المستحيل أمامها إقناع أحد من المسلمين بالطعن برسول الله ﷺ اختارت تلك الحركة الهدامة أكرم أصحابه وأعزهم وأكثرهم علمًا وفقهًا وجهادًا وكرمًا وأولهم في جميع المكارم خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه؛ فنسجت حول سيرهم الأباطيل والأكاذيب لصرف الناس عنهم، وهي وإن كانت ترغب بكل هذا الإرباك للإسلام والمسلمين؛ ولكن هدفها الأول

(١) ينظر الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٣٠٣.

(٢) البخاري: كتاب بدء الوحي، ح (٣). ابن حجر: فتح الباري، ١/ ٣٤.

هو الطعن برسول الله ﷺ؛ فلما تعسر عليهم ذلك عملوا على الطعن بأصحابه لتجريده منهم ومن ثم القول بأن نبي المسلمين ﷺ لو نجح في تبليغ رسالته لنجح في ذلك بين أصحابه الذين من صفاتهم كيت وكيت، ويذكرون ما يذكرونه من الباطل والبهتان عليهم في مجالسهم ومعابدهم ومدارسهم.

وعن الطاهرة عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يريد رسول الله ﷺ، وكان له صديقًا في الجاهلية فلقيه فقَال: يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك واتَّهموك بالعيب لآبائها، فقال رسول الله ﷺ: «**إني رسول الله أدعوك إلى الله**»، فلما فرغ رسول الله ﷺ أسلم أبو بكر، فانصرف عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحدٌ أكثر منه سرورًا بإسلام أبي بكر[1].

وروى ابن عساكر أن أبا بكر رضي الله عنه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأي شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: صدّق الله تعالى رؤياك، فإنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرها أبو بكر حتى بعث النبي ﷺ فقال: يا محمد، ما الدليل على ما تدعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيت بالشام**». فعانقه وقبل بين عينيه وقال: أشهد أنك رسول الله.

ومن سرعة أبي بكر هذه في القبول وشدة الحرص على التلقي من رسول الله ﷺ وكأنه كان في انتظار تلك اللحظة ما ينبئ أن لديه علمًا بهذه المعاني، وأنه كان يرقب تلك الساعة المباركة التي يفصح فيها رسول الله ﷺ عن بدئه بمهمته العظمى ليشاركه لذة همومها وتعبها ونظرًا لهذا التحفز الدائم في أبي بكر رضي الله عنه قال ﷺ: «**ما عرضت الإسلام على أحد، إلا كانت له عنده كبوة وتردد غير أبي بكر، فإنه لم يتلعثم**». وعن الشعبي قال: قال أبو بكر

(١) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٧. الصالحي: سبل الهدى، ١/ ١٢٥.

لعلي: أكرهت إمارتي؟ قال: لا. قال أبو بكر: إني كنت في هذا الأمر قبلك[1].

وقال حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

الثانيَ التاليَ المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدّق الرسلا[2]

ومن مجموع هذه الأسباب التي تروى عن إسلام أبي بكر يتضح من مجموعها أنه لم يكن مجردًا من معرفة إرهاصات تلك المرحلة، وأنه لديه علم عن حال رسول الله ﷺ كافٍ أن يجعل منه أول من يجيبه إلى دعوته ويصدقه في كل ما جاء به من الهدى والنور.

أول من أسلم:

هناك العديد من الروايات التي تشير إلى أن خليفة رسول الله كان على علم بكثير من أخبار أهل الكتاب، وما عند بقايا أهل الحنيفية من أخبار عن ظهور نبي من أهل الحرم ومن قريش خاصة، يؤكد ذلك كثرة القصص التي أوردها أهل السير في توضيح كثرة ما سمعه أو رواه عن أخبار النبي المنتظر، ولا سيّما ما سمعه عند بعض الرهبان في الشام، أو عند بعض متقدمي السن في اليمن، هذا فضلًا عن فطرة خليفة رسول الله السليمة وبعده عما كان يعبد قومه من الأصنام والسجود لها أو التقرب إليها بالدعاء والقرابين، وما كان يتمتع به من فكر سديد رشيد وعقل راجح وإحاطة تامة بثقافة عصره، وما امتاز به من مروءة ونبل وأخلاق كريمة ومعدن طيب أصيل؛ جعلته أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ قبل البعثة ثم ازداد قربًا ومودة بعد البعثة، فجعلت منه تلك العلوم المثال الحي لأقصى ما يمكن أن يقوم به الإنسان في خدمة المبادئ العظيمة، فهذه العوامل وغيرها جعلت من أبي بكر رضي الله عنه الرجل الثاني في دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ وأوضحت عامة الشواهد استعداده ليكون

---

(١) البلاذري: الشيخان، ٢١.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٢٥.

أول من يجيب داعي الله على هذه الأرض، ويكون أول من يسلم لله ويصدق رسوله ﷺ، وكثرت الروايات أن رسول الله ﷺ قال: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنده كَبْوَة وتَرَدُّد ونَظَر، إلا أبا بكر ما عكم حين ذكرته له، وما تردد فيه**». وعن عيسى بن يَزِيدَ قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كنت جالسًا بفناءِ الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نُفَيْل قاعدًا، فمر به أُمَيَّة بن أبي الصّلت فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير. قال: هل وجدت؟ قال: لا، ولم آلُ مِنْ طلب. ثم قال:

كُلُّ دِيـنٍ يَـومَ الـقِـيـامَـةِ إلا ... مـا قَضَـى اللّـهُ والحنيفـةُ بُـورُ

أما إن هذا النبي الذي ينتظر مِنَّا أو منكم، أو من أهل فلسطين. قال: ولم أكن سمعتُ قبل ذلك بنَبي يُنْتَظَر أو يُبْعَث. قال: فخرجتُ أريد وَرَقَةَ بن نوفل وكان كثير النظر في السماء، كثير هَمْهَمةِ الصَدر قال: فاستوقفتُه ثم اقتصصت عليه الحديث، فقال: نَعَم يا ابن أخي، أبَى أهلُ الكتاب والعلماءُ إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبًا، ولي علمٌ بالنسب، وقومك أوسط العرب نسبًا. قال: قلت: يا عَمِّ، وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا ظُلْمَ ولا تظالم. فلما بُعِث النبي آمنتُ وصدقتُ». وعن عبد الله بن مسعود قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي، فنزلت على شيخ من الأزْد عالمٍ قد قرأ الكتب، وعَلمَ من علم الناس كثيرًا، فلما رآني قال: أحسبك حِرْميًّا؟ وقال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم. قال: وأحسبك قرشيًّا؟ قال: قلت: نعم أنا من قريش. قال: وإني متقدم إليك في أمرٍ فاحْذَره. قال أبو بكر: قلت: وما هو؟ قال: إياك والميلَ عن الهدى، وتَمَسَّك بالطريقة المثلى الوسطى، وخَف الله فيما خَوَّلك وأعْطاك.

قال أبو بكر: فقضيت باليمن أرَبي ثم أتيت الشيخ لأودِّعه، فقال: أحَامِل عني أبياتًا من الشعر قُلتها في ذلك النبي، قلت: نعم، فذكر أبياتًا.

قال أبو بكر: فقدمت مكة، وقد بُعِث النبي ﷺ فجاءَني عقبة بن أبي مُعَيْط، وشَيْبَة، ورَبيعة، وأبو جَهْل، وأبو البختريّ، وصناديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة، أو ظهر فيكم أمرٌ؟

قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخَطْب، يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية. قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مَسٍّ وسألت عن النبي ﷺ فقيل: في منزل خديجة، فقرعتُ عليه البابَ، فخرج إلي، فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلك، وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال: **«يا أَبا بكر، إني رسولُ الله إليك وإلى الناس كلِّهم، فآمِنْ بالله»** فقلت: ما دليلك على ذلك؟ قال: **«الشيخ الذي لقيت باليمن»**. قلت: وكم من شيخ لقيت باليمن؟ قال: **«الشيخ الذي أفادك الأبيات»**. قلت: ومن خَبَّرَكَ بهذا يا حبيبي؟ قال: **«المَلَكُ المعظم الذي يأتي الأنبياءَ قبلي»**. قلت: مُدَّ يَدَك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لابَتَيْها أشد سُرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي[1].

وعن أبي سَلَّام الحَبَشِي أنه سمع عمرو بن عَبسة السُّلَمي يقول: أُلْقِيَ في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعني رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال: يا عَمْرو، بمكة رجل يقول كما تقول. فأقبلت إلى مكة أسأل عنه، فأُخْبِرْتُ أنه مختفٍ لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبيت، الكعبة وأستارها، فما علمت إلا بصوته يُهَلِّل الله، فخرجت إليه فقلت: ما أنت؟ **رسول الله»**، فقلت: وبم أرسلك؟ قال: **«أن يُعبَدَ الله ولا يُشرَك به شيءٌ وتُحقَنَ الدِّماءُ، ونوصَل الأرحام»**. قال قلت: ومن معك على هذا؟ قال: **«حر وعبد»**. فقلت: ابسط يدك أبايعْك. فبسط يده فبايعتُه، فلقد رأيتني وإني ربع الإسلام[2].

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال أبو بكر: ألسْتُ أحقَّ الناس بها؟ يعني الخلافَة ألستُ أولَ من أسلم؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ وقال إبراهيم النَّخَعي: أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه[3].

---

(١) ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٢٠٧.

(٢) مسلم: الصحيح، الآحاد والمثاني، ح (١٣٢٩).

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ك: المناقب، باب: مناقب أبي بكر ح (٧٦٦٧) صحيح ابن حبان، ك: مناقب الصحابة ح (٦٨٦٣).

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإسلامه كان نفعًا وعونًا وأنسًا ونصرًا لرسول الله ﷺ؛ إذ كان أبو بكر رضي الله عنه صدرًا معظمًا، ورئيسًا في قريش مكرمًا، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محببًا متألفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله. ثم إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته**» فأسلم[1]. وسبق قول رسول الله ﷺ: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت منه عنده كبوة ونظر وتردد فيه إلا أبا بكر**». وسأل الشعبي ابن عباس: أي الناس كان أول إسلامًا؟ قال أبو بكر رضي الله عنه؛ أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة	**فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا**
خير البرية أتقاها وأعدلها	**بعد النبي وأوفاها بما حملا**
الثانيَ التاليَ المحمود مشهده	**وأول الناس منهم صدق الرسلا**
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد	**طاف العدو بهم إذ صعدا الجبلا**

فلما سمع النبي ﷺ هذه الأبيات ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**صدقت يا حسان، هو كما قلت**»[2]. وعن أبي سعيد الخدري، قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس: ألست أحق الناس بها؟ - يعني الخلافة - ألست أول من أسلم؟ وفي **صحيح مسلم**: أن عمرو بن عبسة أتى النبي ﷺ بمكة. فقال: من معك في هذا الأمر؟ قال: «**حر وعبد**».

---

(١) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٢.

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق ٣/ ٦٧. حديث: ٤٤١٣.

وليس معه إلا أبو بكر وبلال[1].

عن طلحة بن عبيد الله قال: حضرت سوق بُصرى فإذا براهب في صومعته يقول: اسألوا أهل الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة رضي الله عنه: فقلت: نعم أنا. قال لي: هل ظهر بمكة بعْدُ أحمد؟ قلت: وما أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ. قال طلحة رضي الله عنه: فوقع في قلبي ما قال الراهب فخرجت حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين ﷺ تنبأ وتابعه ابن أبي قحافة. فخرجت حتى أتيت أبا بكر رضي الله عنه فأخبرته وقلت له: هل تابعت الرجل؟ قال: نعم، فانطلق فبايعه؛ فإنه يدعو إلى الحق. فذهب أبو بكر رضي الله عنه معه. قال طلحة: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبر الراهب وما قال لي[2].

وعن أبي أمامة الباهلي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخف فقلت: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**». قلت: وما النبي؟ قال: «**رسول الله**». قلت: آلله أرسلك؟ قال: «**نعم**». قلت: فيم أرسلك؟ قال: «**أن تعبد الله وتكسر الأصنام وأن تصل الأرحام**». قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك على هذا؟ قال: «**عبد وحر**». يعني أبا بكر وبلالًا وكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام قال: فأسلمت وقلت: اتبعك يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكن الحقْ بقومك، فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني**». أما حديث ضمرة وأبي طلحة[3] عن حبيب بن أبي حبيب قال: شهدت رسول الله ﷺ قال

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ١٧٨. مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح (١٩٢٧).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٩٨. الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. حديث: ٤٤١٨ - ٣/ ٦٨.

(٣) الحاكم: المستدرك. كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة رضي الله عنهما، حديث: ٤٤١٩ - ٣/ ٦٩. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لحسان بن ثابت: «**قلت في أبي بكر شيئًا؟**» قال: نعم. قال: «**قل حتى أسمع**» قال: قلت:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعدا الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

فتبسم رسول الله ﷺ[1].

عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت أول من آمن[2]. وعن وبرة بن عبد الرحمن بن همام قال: سمعت عمارًا يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان، وأبو بكر[3]. وعن أبي سعيد. قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ألست أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟[4]. وعن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق. وأول من أسلم أبو بكر الصديق[5] وعَن ابن عبّاس قَال: أَبُو بكر أول من أسلم. وقال مُحَمَّد بن كعب القُرَظي: أوّل من صَلّى أبو بكر.

وعن فُرات بن السائب، قَال: قلت لمَيْمُون بن مهْران: أَبو بكر وعمر أفضل أم علي؟ قَال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال: ما كنت أرى أن أعيش إلى زمان يُعْدَل بينهما، هما رأس الإسلام، ورأس الجماعة، قَال: فقلت له: أَبُو بكر كان أَوّل إيمانًا بالنبي ﷺ أو علي؟ قَال: والله لقد آمن أَبُو بكر بالنبي ﷺ زمان بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إيّاه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب. وعَن ابن عباس رضي الله

(١) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح: ٤٤١٤، ٣/ ٦٧. ابن الجوزي: الصفوة ١/ ١٢٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٦.

(٣) صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٠).

(٤) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٤. مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب: إسلام عمرو بن عبسة ح (١٩٢٧).

(٥) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٥.

عنهما قَال: قَال رسول الله ﷺ: «**ما كَلمْتُ في الإسلام أحدًا إلّا أَبى عليّ وراجعني الكلام إلّا ابن أبي قُحَافة؛ فإنّي لم أكلّمه في شيءٍ إلّا قَبِلَهُ واستقام عليه**»[1]. وعن حَبَّة[2] العُرني[3] عن علي قال: لما أسلم أبو بكر الصدّيق أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسولِه[4]. وقال محمد ابن الحنفية: كان أفضلهم إسلامًا حين أسلم، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله[5]. قال حسان رضي الله عنه:

عـاش حميـدًا لأمـر اللـه متبعًـا　　　بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا[6]

وعن يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه[7] وعن إبراهيم قال: أول من صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وعن أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين. أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدين وما مرّ علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية[8]. قال ابن كثير: وقول النخعي هو المشهور عند جمهور أهل السنة.

التوفيق بين الروايات في أول من أسلم:

قال المحب الطبري تبعًا لأبي عمرو بن الصلاح: الأولى التوفيق بين الروايات كلها

(١) ابن عساكر: ٣٠/ ٤٤. عمرو بن مرة، عن إبراهيم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر. البلاذري: الشيخان: ٢٧.

(٢) حبة بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة، تقريب التهذيب (١٠٨١).

(٣) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٤/ ١٠٥ والعرني بضم المهملة وفتح الراء بعده نون، تقريب التهذيب.

(٤)، (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٦.

(٦)، (٧) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٥.　　(٨) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٩٩.

وتصديقها. فيقال: أول من أسلم مطلقًا: خديجة. وأول صبي أسلم علي بن أبي طالب وهو لم يبلغ، وكان مخفيًا إسلامه، وأول رجل عربي أسلم وأظهر إسلامه منذ الساعة التي أسلم فيها أبو بكر بن أبي قحافة، وأول من أسلم من الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنهم. وقال: هذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول علي وغيره: أول من أسلم من الرجال أبو بكر. أي من الرجال البالغين. ويؤيده ما رواه خيثمة في فضائل الصحابة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. قال: قال علي رضي الله عنه: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أعتض بشيء منهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب أظهر إسلامي وأخفيه.

ولكن كما سبق فإن هذا التوفيق وإن كان البعض يقوله بنية البحث وإظهار الرأي والاستنباط وتوليد الأفكار، إلا أن الرافضة وتلامذة الاستشراق وكثيرًا من العلمانيين يستغلون مثل هذه المداخلات العلمية المجردة التي تُطرح لإغناء البحوث والدراسات وبيان وجهات النظر الأخرى، يستغلونها للتشويش على فكر أهل السنة وعقيدتهم ورواياتهم وأئمتهم، لإيجاد التناحر الفكري والتناطح القيمي ولإحداث الشروخ بين أهل السنة، ولا إسلام بدون السنة النبوية التي سار عليها أبو بكر رضي الله عنه ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين؛ عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

لهذا لا بد من الإقلاع عن هذا التردد وطي صفحات هذا النسيج المتلون، وتوحيد الرؤية والاعتقاد على ما سار عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم في منهجهم حينما اختاروا خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه (ثاني اثنين) ومن بعده خليفة أبي بكر عمر رضي الله عنه ومن بعده خليفة عمر عثمان رضي الله عنه ومن بعده خليفة عثمان علي رضي الله عنهم وأرضاهم. ولا شك أن كلَّ مَنْ يدور حول هذا الحمى الآمن فإنما يبحث عن الثغرات والصدوع وهي معدومة في ذلك الحمى، ومن يتحدث بهذا أو يقبل الحديث به وبأمثاله من مسائل بينة ظاهرة أمامه أحد خيارين إما أن يقلع ويثوب من نوبة التردد إلى الحزم والرشد

ويسير في الطريق المسلوكة المعبدة التي سار عليها السلف الصالح؛ وإما أن يعلن عن هويته المزدوجة المتقاطعة الاتجاهات والولاءات، وعلى أبناء أمة السنة والجماعة معرفة هؤلاء والحذر من فكرهم وتقاطعاتهم العقدية التي لا تورث سوى الحيرة والتردد والضعف والخور، ولعل هذا النوع الذي يزعم أنه من أهل السنة ويصر على إثارة الفتن وتشكيك الأمة بعقيدتها وقيادتها الراشدة واجترار إفك الرفض والردة، فهؤلاء لا يؤتمنون على موروث أمة السنة، لما فيهم من غفلة عقيدية وتخرق في الهوية وأهواء شخصية، أو لوثات جاهلية ونزعات رافضية معادية للصحابة ولأمة الصحابة، أو لما يحملون من خصال حزبية تشيعية ذات صبغة مجوسية وثنية أو علمانية.

وأن هذا الصنف لا يوقفه قول الله تعالى عن خليفة رسوله: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ مع يقينهم أن هذا النص لم يستثن أن خليفة رسوله ليس بـ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ في سبقه إلى الإسلام!! أو في أي موقف من المواقف المباركة الأخرى!! فهل تلعثم خليفة رسول الله أمام أي معضل ولم يثبت أنه ثاني اثنين طوال سيرته العطرة؟! فمن هذا الذي أجاب رسول الله ﷺ دون تلعثم أو تردد، وشهد شهادة الحق معلنًا بها أمام جبروت الطاغوت؟ ومعلنًا بصلاته وقرآنه واتباع رسوله ﷺ مجاهدًا بين يديه لم يفارقه في سفر ولا حضر فمن كان معه في الغار والهجرة؟ ومن حسم السقيفة وأسس وحدة الأمة بعد وفاة نبيها؟ ومن أنفذ جيش أسامة ليزلزل بإيمانه عروش القياصرة ومطاياهم في بلاد العرب؟ ومن سحق الردة المتمردة على الله ورسوله ﷺ وعلى وحدة الأمة ونور عقيدتها بجاهليتها وحماقتها؟ ومن على وجه الأرض بجرأة خليفة رسول الله وحسن تدبيره عندما واجه طغيان فارس والروم في آن واحد؟ ومن وضع الرجال مواضعهم الصحيحة الحقة عندما أرسل خالدًا رضي الله عنه يزيل هيبة الفرس المجوس ويمحقها في قلوب حلفائها ممن لا زالت قلوبهم تحن إلى جاهليتها فتبغض سيف الله رضي الله عنه الذي أسهم في إطفاء نارهم التي يعبدونها من دون الله، ثم هتك أستارهم وكشف أسرارهم بنور الإسلام وعدله، وأنهم كانوا يستعبدون العباد ويستبيحون البلاد ببغيهم وطغيانهم؟! ومن فرّ من أمام جنده قيصر الروم لمجرد أن توجهوا

إلى الشام؟! لكي يودع بعدها سوريا وداعًا لا رجعة بعده؟! من فعل كل هذا وغيره الكثير الكثير سوى خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟! فكم هي بلهاء وحمقاء وظالمة وزائفة الأقلام التي تتعثر وتتلعثم وتقفز عن الحق أمام عقبات وهمهمات الرافضين لإنجازاته الشامخة ونجاحاته الباهرة؛ التي مهدت كل الطرق أمام مسيرة أمة محمد ﷺ لكيلا تخمد جذوتها ولا تقف انطلاقتها طالما هي تحت ظلال رايات خليفة رسول الله التي غرزها في كل الآفاق التي كان يتطلع إليها رسول الله ﷺ وعلى ذات المنهج وبذات الهوية.

وإذا كان عمر رضي الله عنه يعاقب من يقدمه على خليفة رسول الله؛ وإذا كان علي يجلد من يقدمه على خليفة رسول الله تقديم تفضيل فقط لا يشتمل على أي انتقاص من خليفة رسول الله، فكيف يحكمان على من ينتقص من خليفة رسول الله بزعم تقديم أي كان من الصحابة رضي الله عنهم، بل من البشر أجمعين بعد الأنبياء على أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟! فلا شك أنهما لن يكتفيا بالعقوبة والجلد والتعزير، وأن الأمر سيكون على غير ذلك، وستكشف عنهم الأقنعة لتظهر الرايات الرافضة لدين محمد ﷺ، وكيف أنهم يمسكون بسواريها!

وعلى هدي هذه الحقائق وغيرها فإن صقل ولاء أهل السنة لعقيدتهم يجب أن ينتظم ويبنى على حقائق لا وهم فيها ولا تلبيس ولا عبث ولا تردد؛ إذ إن ذلك التلبيس والوهم والتردد كلف أهل السنة الثمن الباهظ سابقًا كما هو في هذا العصر، فحتى متى وأهل السنة يدفعون الثمن من كرامتهم ومن دمائهم ومن حريتهم وأمنهم ومن وحدتهم وتلاحم أخوتهم؟! وإلى متى يعبث بهويتهم الرافضون للسنة النبوية وإجماع السلف الصالح والمبغضون لأصحاب النبي ﷺ وورثته وحملة راياته؟!! من المسؤول عن تمدد الفكر الرافضي السرطاني الهدام في جسم الأمة بعد أن كان عدمًا؟ أليس من اغتال الفاروق عمر رضي الله عنه في محرابه هو أول من أسس لفكر الرافضة الدموي ضد المسلمين، أليس ابن سبأ اليهودي قاتل ذي النورين عثمان زوج ابنتي النبي ﷺ هو أوَّل من أصّل فكر الرافضة ووضع لهم أباطيل الوصية

والإمامة والتقية ودانوا بها إلى اليوم؟ أليس برود الكثير من أهل السنة في انتمائهم لهويتهم هو المشجع الأكبر لتمدد الرافضة بين ظهراني الأمة يعيثون في عقيدتها ووحدتها ودمائها فسادًا؟ ألا تجد أهل السنة يبايعونهم ويزاوجونهم وهم يعلمون أنهم يشكون في قرآنهم وفي نبيهم ويكفّرون أصحابه ويبغضون لغته ويحقدون على كل ما هو عربي؟ ويعملون كل ما في وسعهم لتمزيق الأمة وطمس موروثها ومسح هويتها وإبطال سنة نبيها ﷺ، أولئك الذين تجد أحدهم لا ينبس بشيء أمام فعل أو قول أو فتاوى أي زنديق ينفث أحقاده على سنة النبي ﷺ وأهلها، بل إن هؤلاء الرعاع أمام كل ما يأتيهم من سدنة آل بيوت المكر والدس والأحقاد والفتن ونشر الكراهية والبغض لأهل السنة؛ إنما هم سمع وطاعة وإيمان ويقين حتى لو كان ما يأتيهم منافيًا للعقل وللحق، فضلًا عن الدين والأمانة والصدق والموضوعية، كما فعلوا بتدمير حوالي «مائتي» مسجد للمسلمين في العراق خلال يومين من شهر صفر ١٤٢٧هـ بل يتلقون ذلك ببلاهة عميقة وينفذون ذلك بأحقاد دفينة وتسليم مطلق لا يقبل نقاشًا أو ترددًا، بينما يرد أحدهم قول الله وقول رسوله ﷺ وإجماع السلف بصلافة وحماقة تنبئ كل عاقل بأن كل من ينال من أي صحابي، ولا سيما ممن فقؤوا عيون الردة وسملوا عيون الفتنة الرافضية السبئية وألجموا دعاتها بنور الحق وسلطان العدل وقوة السيف أبو موسى الأشعري والمغيرة ومعاوية وعمرو والنعمان وإخوانهم رضي الله عنهم كل من ينال من أي من هؤلاء إنما هو زنديق يظهر الإسلام ويُبطن السبئية وأخواتها ويرفض القرآن والسنة، وأن كل من لا يحذر منهم ويفصح عن موقفه تجاه مكرهم وكيدهم بأهل السنة؛ إنما هو ثغرة وعورة في حصن الأمة وبلاء وشرّ على أهل السنة، يُلبّس عليهم دينهم ويعين عدوهم على هدم عقيدتهم، ولا يعذر أحد بالجهل بهم بعد أن رأى ما يفعلونه وقرأ ما فعلوه بالأمة وتحالفاتهم مع أعدائها، ولا يعذر أحد بالصمت عنهم، وكل من يعرفهم ويسكت عنهم إنما هو شيطان أخرس، فلا عقل ولا دين ولا حكمة إلا في فضحهم والتحذير من مكرهم وكيدهم وحقدهم واستنفار الأمة لمواجهة بغيهم وغدرهم، وكما قال بعض السلف

العارفين: لا يَحِلُّ وَاللَّهِ أَنْ يُحْسَنَ الظَّنُّ بِمَنْ تَرَفَّض وَلَا بِمَنْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فِي حَالٍ[1]. وعلى هذا فكل من لا يسهم بمجاهدة باطلهم بما يتاح ويستطاع فإنه فاقد للحكمة أو الغيرة والحمية، مفرط بالسنة مهادن للردة، والعاقل من اتعظ بغيره ولم يكن عظة للآخرين.

خليفة رسول الله كأنك تراه

صفاته البدنية وخضابه:

وردت نصوص كثيرة وصحيحة توضح صفات خليفة رسول الله ولون شعره وخضابه وتصور ذلك وكأن القارئ يرى خليفة رسول الله رأي العين، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ثلاثة من قريش أصبح قريش وجوهًا وأحسنها أخلاقًا وأثبتها حياء إنّ حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يُكذّبوك، أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان رضي الله عنهم[2]

وجاء في وصف خليفة رسول الله أنه كان حسن الجسم معصوب اللحم، مشربًا صفرة جعدًا يضرب شعره شحمة أذنيه مسنون الوجه أكحل العينين سابل اللحية واضح الثنايا حمش الساقين هينًا لينًا متواضعًا كريمًا تعرف فيه الخير حين تراه. وكان يمرّ في الطريق فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون: يا أبانا، يا أبانا[3].

وقال علي بن محمد: إنه كان أبيض يخالطه صفرة، حسن القامة نحيفًا أجنأ رقيقًا عتيقًا أقنى معروق الوجه غائر العينين حمش الساقين ممحوص الفخذين يخضب بالحناء والكتم وكان والده أبو قحافة حين توفي رضي الله عنه حيًّا بمكة، فلما نُعي إليه قال: رزء

(١) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي: الحكيم العارف. ينظر ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ١/ ٥٣. دار الوفاء، مصر(ط ١) ١٩٩٩م.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٧.

(٣) البلاذري: الشيخان وولدهما: ٢٧.

جليل[1]. وكان يخضب بالحناء والكتم، وكان كريمًا عالمًا بأنساب العرب. وكان نقش خاتم أبي بكر رضي الله عنه «نعم القادر الله»[2]. وكانت داره في مكة في بني جمح. ولما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد وهي التي صارت لآل معمر. وروي أنه كان بين دار أبي بكر ودار عثمان رضي الله عنهما خمسة أذرع[3].

خضاب شعر رأسه ولحيته:

عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه خضب بالحناء والكتم[4]. وعن أبي عون عن رجل من بني أسد قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وكأن لحيته لهب العرفج على ناقة له أدمًا أبيض خفيفًا. عن قيس قال: قال معاوية رضي الله عنه: دخلت مع أبي على أبي بكر رضي الله عنه فرأيت أسماء قائمة على رأسه بيضاء، ورأيت أبا بكر رضي الله عنه أبيض نحيفًا فحملني وأبي على فرسين ثم عرضنا عليه وأجازنا[5].

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وكان جليسًا لهم كان أبيض الرأس واللحية فغدا عليهم ذات يوم وقد حمرها فقال له القوم: هذا أحسن. فقال: إن أمي عائشة أرسلت إليَّ البارحة جاريتها نخيلة فأقسمت عليَّ لأصبغن وأخبرتني أن أبا بكر كان يصبغ.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: سمعت الطاهرة عائشة رضي الله عنها وذكر عندها رجل يخضب بالحناء فقالت: إن يخضب فقد خضب أبو بكر رضي الله عنه

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) الشيخان وولدهما: ٨٣. ينظر: ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٢١١. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٤٢١.

(٣) الشيخان: ٣٥. عن عمدة الأخبار في مدينة المختار: ١١٩. وينظر: ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٥.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/ ٥٦. وعن أحكام صبغ شعر اللحية والرأس ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، ٣/ ٣٧٣.

(٥) ابن الجوزي: الصفوة: ١/ ١٢٣. ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٩١. المتقي الهندي: كنز العمال، ح(١٧٣٢٨).

قبله بالحناء. قال القاسم: لو عَلمتْ أن رسول الله ﷺ خضب لبدَأت برسول الله ﷺ فذكرته.

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أخضب رسول الله ﷺ؟ فقال: لم يشنه الشيب، ولكن خضب أبو بكر رضي الله عنه بالحناء وخضب عمر رضي الله عنه بالحناء. وعنه رضي الله عنه قال: خضب أبو بكر بالحناء والكتم. وعن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: بأي شيء كان يختضب أبو بكر؟ قال: بالحناء والكتم. قال: قلت: فعمر؟ قال: بالحناء. قال: قلت: فالنبي ﷺ؟ قال: لم يدرك ذاك.

وعن أنس أيضًا رضي الله عنه. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط أي أشيب غير أبي بكر رضي الله عنه فغلفها بالحناء والكتم. وعن نافع بن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله: «**غيروا ولا تشبهوا باليهود**». قال فصبغ أبو بكر رضي الله عنه بالحناء والكتم؛ وصبغ عمر رضي الله عنه فاشتد صبغه وصفّر عثمان بن عفان رضي الله عنه - صبغ شعره بما يجعل لونه أصفر - قال فقيل لنافع بن جبير: فالنبي ﷺ؟ قال: كان يمس السدر. قال ابن جريج وقال عطاء الخراساني: إن النبي ﷺ قال: من أجمل ما تجملون به الحناء والكتم. وسأل ابن سيرين أنس بن مالك هل كان أحد من أصحاب رسول الله يخضب؟ قال أبو بكر رضي الله عنه. قال: حسبي[1].

ومن صفاته الخُلقية:

كان خليفة رسول الله أليفًا ودودًا حسن المعاشرة، مطبوعًا على أفضل الأخلاق التي يتحلى بها أنبل البشر، وأجمل الصفات التي تتألف عليها قلوب الناس فيحبونها ويألفونها، من التواضع ولين الجانب وحب الخير للغير وخدمة المسلمين والحرص على مصالحهم وقضاء حوائجهم، مع طيب النفس والتفاؤل الدائم والغيرة اللامتناهية على الدين والأمة والعمل المتواصل على نشر العدل والطهر في ربوعها.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها ٣/ ١٧٤. وفي إسلام أبي قحافة رضي الله عنه.

فلم يتعال على أحد قط في جاهلية ولا في إسلام، وكان في خلافته أكثر تواضعًا منه قبل ولايته للخلافة. فإذا مدحه مادح قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل منها ليأخذه ولم يأمر أحدًا بمناولته إياه.

ولم يكن تألفه بين الناس محض مجاملة باللسان مما يستسهله معظم المشهورين بالتودد والمجاملة، ولكنها كانت ألفة النجدة والكرم والسخاء وأصالة المعدن، وكانت تلك الخصال سجية فيه لا يستطيع الانفكاك منها، فكان كما قال عنه ابن الدغنة لقريش حينما ضيق عليه مشركوها ففكر بالهجرة إلى الحبشة: أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟

فهو ودود كريم سخي لا يضن بماله وجاهه في سبل الخير ونفع الناس. ومع هذه المودة وهذه الألفة كانت فيه حدة يغالبها ولا يستعصي عليه أن يكبح جماحها. ووصف بها نفسه ووصفه بها آخرون. وقال في خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته: ... اعلموا أن لي شيطانًا يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني... وسئل عنه ابن عباس فقال: كان خيرًا كله مع حدة كانت فيه.

إلا أنها كانت حدة تنمّ عن صفاء الجبلة ونقاء الفطرة وعلى سرعة التأثر في أي حدث تتأثر به الأمة سلبًا أو إيجابًا؛ فإن كان في الحدث خير للأمة كان في مقدمة المنمين لذلك الحدث والمستثمرين لوجهته لخدمة المسلمين، وإن كان غير ذلك كان أول المتصدين له مهما بلغت شدته وجبروته وفي مقدمة العاملين على افتداء العقيدة بأعز ما يملك؛ وليس هذا بغريب على خليفة رسول الله ﷺ أليس هو القائل: «أينقص الدين وأنا حي؟» فمن مثله سوى الذي علّمه القيادة وفنون الريادة حتى أُترع علمًا ونورًا وحكمة واستبصارًا وسدادًا وصوابًا وقدرة على القيادة في كل الظروف والأوقات بسجية وسليقية لا يشوبها غبش ولا تردد، فإذا لم تكن تلك الحدة غضبًا لله ولرسوله ﷺ فإنه غالب لكل هوى وكابح لكل شهوة أو عصبية أو نصرة للذات التي ينوء تحت وطأتها الكثير ممن يزعمون أنهم يتصدون للعمل

الإسلامي، وهم بين موالٍ للفئة أو الحزب أو الجمعية أو الأقلية، أو الحليف لمن أي دين كان دينه أو مذهبه أو هواه ومقصده، أو متمحور حول الإقليم أو الجنس أو الفكرة، أو يدور حول الذات ما بين عابد لها وبين مدعٍ لها العصمة أو الخبرة التي لا تجيز له أن يقبل نصحًا ولا إرشادًا فضلًا عن نقد أو توجيه وتعليم.

فكثير ممن يحسبون على العمل الإسلامي في هذا العصر؛ ممن لم يحققوا ولو مكسبًا واحدًا لأمتهم أو لجماعاتهم أو لدعوتهم من هذا الصنف، وكثير منهم تجده لا يخلو عمله من عيب ظاهر بيّن؛ فالسياسي يريد أن يُسخر الدين بنصوصه إلى ما يميل إليه، فيمضي حياته سائرًا من فراغ إلى فراغ ومن فشل إلى فشل، ومع ذلك تجده لاغيًا لاهيًا وزاعمًا أنه يخدم الدين ويعمل على عز الإسلام والمسلمين، يرد كل نصح أو إرشاد بحدة أو اتهام حتى للنيات، فإذا قيل لهم انظروا إلى حصيد اجتهاداتكم وما جلبت على الأمة وأبنائها البررة من الويلات والنكبات التي أنتم منها في عافية، لبّسوا الأمر على الناس وأن الإسلام لا بد له من التضحيات، دون أي تبيين للفرق بين التضحيات التي تخدم الدين وبين التضحيات التي ينعم بثمارها المنتفعون ويَعشو على ضوئها ناصبو الشباك والمحتالون، فشتان بين حدة الصدّيق رضي الله عنه التي كانت نورًا وعزًّا للأمة؛ وبين حدة الدفاع عن المكاسب الشخصية أو الحزبية أو الإقليمية التي يتلبس بها كثير من الأدعياء والغثاء الذين جلبوا الشر والبلاء على كثير من أبناء الأمة وأقاليمها.

ولا يقتصر هذا الأمر على الجانب السياسي في العمل الإسلامي، بل يشمل أكثر من جانب ويطال أكثر من جناح، ولعل الكثير من القائمين على أوقاف المسلمين أو الزاعمين أنهم على باب تثمير أموالهم لخدمة عقيدتهم ينطبق عليهم هذا، فهم بين عامل على تنفيع الأتباع ومستخدم أوقاف المسلمين لنصرة الأهواء أو محاكاة مطالب الأوصياء، فضلًا عن العبث بها في الأسفار والنظر في الأمصار، ثم العودة إلى الديار لمحاكاة الرفاه السياحي الذي عاشوه من أوقاف المسلمين، ومباشرة العمل على دوام ذلك من خلال الشروع في

صرف أموال الأيتام والأرامل والعجزة والأسرى والمرضى وأبناء الشهداء وأبناء السبيل والضعفة وطلبة العلم والغارمين وحقوق الإصلاح بين الناس، أو بناء المشاريع العلمية أو الصحية أو الاستثمارية أو غير ذلك مما كان ينميه العاملون على هذه المؤسسات في عصور المحاسبة على ثوابت الشرع، لتوفير الكرامة والعزة لأبناء الدين وتحقيق توجهات القرآن وتطلعات المؤمنين.

كل ذلك يجري علنًا وبمشاركات إعلامية موهمة أو مضللة، تشغل الناس في زخرف من القول وغرور من الآمال، حتى إذا بحث باحث في النتائج لا يجد إلا السراب، والويل لمن يسأل عن النتائج أو يبحث عن الحقائق مما سيعانيه من العنت والتثريب والحصار والتآمر والتشويه والتسفيه، من أصحاب الأمزجة الحادة التي لا تقبل إلا رأيها ولا تسمع إلا مشورة أهوائها، ولا تخضع إلا لذاتها، فلا محاسبة ولا متابعة جادة ومن يحاسب من؟ ومن يتابع من؟! وكل مغلق بابه وقد أكثر من حُجابه وخدامه، وكل ذلك لخدمة المحتاجين من المسلمين بزعمهم!! وغالبًا ما يكون هذا فيما يختص بجوانب العمل الإسلامي وبالمسلمين.

أما إذا كان الأمر متعلقًا بأصحاب السلاطين وأعوانهم وإخوانهم والعلمانيين أو غيرهم فإن أحوالهم تتغير ومواصفاتهم تتبدل وطباعهم وأمزجتهم تتهلل، فتتفتح أسارير وجوههم وقلوبهم فكلهم بشاشة وهشاشة ورقة ومودة وإصغاء، ولِم لا والأخوة الإنسانية وإرضاء الآخر ودفع الشبهات يتطلب كل ذلك؟ أما أخوة الدين والمقصد والهدف فلا بد من تعويدهم على مواجهة الوجوه المكفهرة لكيلا يعتادوا الليونة والرقة!! وبهذه الفلسفة يتحول ذلك الكِبر والعجز والهزيمة إلى وعظ يجب سماعه وتنفيذه.

فإذا كانت كل هذه الأدغال والأشواك والظلمة موجودة عند كثير ممن يزعم أنه سياسي مسلم، أو قائم على العمل الخيري الإسلامي، أو واقف على ثغرة الإعلام أو التعليم أو الاقتصاد الإسلامي، أو في غير هذه المواقع من النشاطات الإسلامية المعاصرة، وإذا خوطب في أي موقع من تلك المواقع لإصلاح شيء من ذلك قوبل الناصح بالحدة المحيطة

إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق

بالذات والمحمية بقوانين الزملاء والأتباع، أو الذات التي هي فوق كل ذلك لأن كل ما يحيط بها من طاقات أو مصالح أو أتباع فإنما هي مسخرة لها ولما ترى وتريد.

ولكن ومع كل ذلك فإن على المسلم الحق أن يبقى متعلقًا بالأمل متشبثًا بالعمل صابرًا محتسبًا، وألَّا يغتر بشيء من المزاعم والمظاهر التي تُسخر الأموال والإعلام والأعمال العامة لخدمة الأغراض الخاصة، وأن يحرص على العمل الذي يخدم الدين والأمة، وألَّا يؤمن ولا يصدق إلا بالنتائج وثمار الأعمال. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] إذ إن قطار العمر سريع وهو مسؤول عن ذلك، فلا يصدق إلا ما يرى من جهود ونتائج، فمن زعم أنه يعمل للإسلام يحاسب على نتاجه بعدد السنين التي يزعم أنه عمل فيها، وينظر في ثمار عمله؛ وفي مكاسبه ومشاريعه ومبانيه ومخططاته وغيرها، ويعرض كل ذلك على عامة المسلمين وخاصتهم كما كان يفعل ذلك الراشدون، ومن تثاقل واشمأز من ذلك وواجه مراقبيه بالحدة واتهام النوايا، فهذا الصنف هو بيت الداء وموطن البلاء، وهو محل التهمة والريبة وأهلها؛ الذي لا يرتجى منه إصلاح أو نجاح أو فلاح، ومن لا يؤتمن على الدرهم والدينار لا يؤتمن على الدماء والأعراض، ومن يمتنع عن المحاسبة على الزهيد يكن أشد امتناعًا على الثمين.

فشتان بين حدة خليفة رسول الله التي يتخلق فيها حينما يرى تهاونًا عن الحق أو مهادنة للباطل أو تقاعسًا عن العمل وأداء الحقوق أو تثاقلًا عن نصرة الدين وتفريطًا بالهوية وغفلة عن حال المسلمين، أو هضمًا لحقوق الناس واستغلالًا للموقع أو احتكارًا أو انتماء لغير الإسلام.

وفيما سوى ذلك فهو سريع التأثر بالرحمة والرفق والتسامح وكرم النفس وزكاة القلب في جملة أحواله إن لم يعرض للدين عارض، وتلك هي الأخلاق التي تعلمها واكتسبها من رسول الله ﷺ فكان سلمًا للحق وأوليائه، وحربًا على الباطل وأشياعه، فأنجز في عامين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

ما لم تنجزه أمم في قرون من الزمان، ومع كل إنجاز ينجزه أو نجاح يحققه يزداد تواضعًا وزهدًا وورعًا وإصرارًا على التمسك بالحق كل الحق، فيخاطب أمته بكل ثقة وصدق بقوله: إن أصبت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني. رضي الله عنه فإذا كان هذا هو منهج الصديق رضي الله عنه فماذا يقول العجزة والمفرطون وعبيد الأهواء وأولياء الأقاليم والأحزاب على حساب الدين والأمة؟

وكان رضي الله عنه يميل إلى الحزن والأسى منذ أن فقد وجه رسول الله ﷺ، وكأنه يستطيل الحياة شوقًا وحنينًا إلى الذي آمن به وأحبه واختاره على ما سواه، وكان شديد الشوق دائم الحضور متفكرًا في أمور الخلق وما يصير إليه ويحاسب عليه، أو كما وصفته أم المؤمنين الطاهرة العالمة الجليلة عائشة رضي الله عنها بقولها: كان غزير الدمعة وقيذ الجوانح شجي النشيج. ولعل هذا هو ظاهر وصفها الذي عرفته عنه في حياة رسول الله ﷺ عندما كان آمنًا على الدين والأمة بيدي أمينها وقائدها، عندما اعتذرت عنه لرسول الله ﷺ حينما قدمه للصلاة بالمسلمين فقالت: إنه أسيف متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، وذلك لرقة قلبه وكثرة بكائه أثناء التلاوة، ولأنه كان أكثر المسلمين فهمًا للقرآن في أوامره ونواهيه واستغراقًا في التخطيط لتحقيق مراداته، ولأنه كان أكثرهم محاسبة لنفسه وتوجيهًا لخواطره الوجهة المرضية. أو كأنه كان يستجمع أفكاره وقواه لحمل أعباء رسول الله ﷺ في القيادة والتربية والمواجهة ونشر العدل والرحمة والمحافظة على روح الجهاد وحب الاستشهاد وكل ما يحبه ويصبو إليه نبيه وإمامه وقائده بعد رحيله ﷺ، وكل ذلك كان خلقًا ثابتًا في شخصه، وفطرة ربانية استقرت في نفسه، فقد كان وقورًا جميل السمت نقيًّا نظيفًا طاهرًا يغار على مروءته لا يغشى موقف ريبة. فلم يشرب الخمر قط لأنها مخلة بوقار مثله وذلك قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام فزاده مروءة على مروءة وفضلًا على فضل حتى أصبح فضلًا كله.

قيل لأبي بكر الصدِّيق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربتَ الخمرَ في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإنّ من

شرب الخمر كان مضيّعًا في عرضه ومروءته. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال: «**صَدَقَ أبو بكر، صَدَقَ أبو بكر**» مرتين[1]. وعن أم المؤمنين الطاهرة قالت: والله لقد ترك أبو بكر شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم[2]. وعنها رضي الله عنها قالت: حرم أبو بكر رضي الله عنه الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام[3].

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: والله لقد ترك أبو بكر شربَ الخمر في الجاهلية، وما ارتابَ أبو بكر في الله منذ أسلم. وقالت: والله ما قال أبو بكر شعرًا في جاهلية ولا إسلام، لقد ترك هو وعثمان شربَ الخمر في الجاهلية[4]. ومما تفرد به أبو بكر رضي الله عنه من المناقب: أنه أول من جمع القرآن وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام، وأول من تقيأ تنظفًا وتحرجًا عن المشتبهات[5].

فكان من أبرز السمات التي يجدها القارئ في سيرة خليفة رسول الله هو الحرص الكامل على تمام المروءة والبعد عن الريبة والشبهات، والتعامل مع جميع الأحداث والوقائع بمنتهى الصراحة والوضوح ورباطة الجأش والثقة والإقدام، فلا لبس ولا غموض ولا مداراة ولا مداهنة، وإنما هو طريق الحق المتعارف عليه في جميع المسائل ومع جميع الناس.

وفي هذا المعنى روى الزبير بن بكار: أن رجلًا دعا أبا بكر رضي الله عنه في الجاهلية إلى حاجة له فاستصحبه معه، لكنه سلك في طريق غير التي يمر منها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أين تذهب؟ هذه الطريق؟! قال: إن فيها أناسًا نستحي منهم أن نمر عليهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: تدعوني إلى طريق تستحي منها؟ ما أنا بالذي أصاحبك[6].

---

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٣).

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٠).

(٣) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٢).

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٥) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٩٧).

(٦) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧.

هذه المروءة التي تدل على كرم معدن خليفة رسول الله وعلى صفاء عقله وسلامة فطرته كانت تقوده دائمًا إلى مواطن الشرف ومنابع الخير ومواقف العزة والسؤدد، فرفعته إلى أقصى درجات السداد والنجاح والطهر البشري الذي يصل إليه الصديقون وأصحاب الأنبياء وخلفاؤهم.

وهذا ما يؤكد صفاء طبعه وحدة فؤاده الذي أوصله إلى التوافق مع الشرع وهو في الجاهلية قبل الإسلام ونزول الوحي، وإذا كان هذا ما أدركه خليفة رسول الله بفطرته قبل الإسلام، فكيف بأقوام في هذا العصر يستحلون هذه القذارة بعد أن حرمها الوحي وعاقب عليها الشرع؟! فمن يبيح ما حرم الله سوى سقيمي العقل ناقصي الفهم بهيميّي الشهوات.

ومما يؤكد صفاء فطرة خليفة رسول الله ونقاء روحه وطهر أخلاقه رضي الله عنه أنه كان مبغضًا لما ينافي سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد، فكان أقرب الناس إلى الإسلام وإلى رسوله ﷺ قبل البعثة وما بعدها، ففضلًا عن أن تحريمه للخمر خلق وسجية، فقد كرّم الله وجهه أن يسجد لصنم وهو رجل كبير ليس طفلًا أو صبيًّا نشأ في الإسلام وفي أحضان المؤمنين، بل كان يؤمر بتقديس الأصنام لكن فطرته ورعاية الله له تأبى عليه ذلك، مع أن أهله وعامة أقرانه يفعلون ذلك ويدعون إليه، قال خليفة رسول الله رضي الله عنه في مجمع من أصحاب النبي ﷺ: ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشمّ العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع، فأطعمني، فلم يجبني، فقلت: إني عارٍ فاكسني، فلم يجبني. فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه[1]. لهذا ما إن تشرف رسول الله ﷺ بتلقي الوحي حتى أجاب خليفة رسول الله إلى الإسلام، وكأنه شمّ عبق القرآن وطيب ما جاء به فكان أول من لبى وبأحسن تلبية واستجابة لم تتبدل ولم تتغير، وأول من أجاب وأول من أنفق وأول من دافع عنه وأصدق من دخل فيه وعاش من أجله.

---

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧. عن نجباء الأبناء، لابن ظفر.

ومن خصائصه الأخرى التي عرف بها بل ولعلها أشهرها، محضه النصح والصدق في كل ما يأتيه أو ينهى عنه، فقد اشتهر بالصدق في الجاهلية وزاده الإسلام تمسكًا وحرصًا على هذه الفضيلة، حتى كان علي رضي الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق[1]. فكان ضامن قريش المقبول الضمان. لا يَعِد أحدًا إلا وفَّى له وصدق الدائن والمدين. ووكلت إليه الديات والمغارم فلم يكن يحمل شيئًا منها إلا اطمأَنَّ إليه الناس، فإذا احتملها أعانوه وساندوه ثقة به وحبًّا له، وإذا قام بها غيره خذلوه ولم يصدقوه[2].

وصفاته الخُلقية كثيرة زاهرة ومباركة ستتضح أكثرها في طيات هذه الدراسة، فهو في القمة في كل ما يتخلق به الأخيار الأطهار. وهو سائر على خطى نبيه ﷺ وقائده وهاديه، فطريقه هو الطريق، والغايات والآمال هي هي، والجند هم الجند. فمن أحب رسول الله ﷺ أحب خليفته رضي الله عنه، ومن أبغض رسول الله ﷺ، أبغض خليفته رضي الله عنه فهو كاشف الزنادقة والرافضة والمرتدين. وكل من يزعم أنه مسلم ولا يستظل تحت رايات خليفة رسول الله فهو على غير طريق النبوة والقرآن، وأي فئة أو جماعة أو طائفة لا تهتف لخليفة رسول الله بالشكر والعرفان والتبجيل والإجلال على ما قام به من خدمة ونصرة لله عز وجل ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته، فهي بلا هوية وضالة عن طريق رسول الله ﷺ وإن رفعت الشعارات وسودت الرايات. إنّ خليفة رسول الله هو مفتاح الوصول إليه ﷺ وهو باب القبول بين يديه، وهذا ما عرف وعلم في حياة رسول الله ﷺ فكيف يزعم حب الإسلام ورسول الإسلام من يحارب ثاني رجل في أمة الإسلام، ويبغض من قاد الأمة على خطى نبيها ﷺ الذي ارتضاه في حياته إمامًا وقائدًا وخليفة له عليها! فلا نامت أعين المزيفين والمذبذبين والجبناء.

---

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (٥٩).

(٢) ينظر: العقاد: عبقرية الصديق. ٣٦.

وويل لمن اعتقد أو يعتقد أن مبغضي خليفة رسول الله يهمهم شيء من أمر الإسلام أو المسلمين، أو أنهم سيقفون يومًا واحدًا عن مواصلة العمل الآثم الذي باشره أبو لؤلؤة المجوسي لهدم الإسلام؛ ذلك اللعين الذي لا زال يمد أعداء الصحابة بكل ألوان البغض والكراهية، وأولئك هم يقدسونه ويطوفون حوله يستمدون منه الحقد والغدر ونكران الجميل[1].

ويا خيبة من لم يسلك مسلك خليفة رسول الله في جرأته ووضوحه وتمسكه بالسنة؛ للسير سالمًا آمنًا من مكائد ومكر وبهتان المرتدين وأعداء الصحابة في هذه الحياة الدنيا، وناجيًا فائزًا لاقتدائه بسنة رسول الله ﷺ في الحياة الآخرة، كيف لا وهو بتمسكه بالسنة سيكون على درب خليفة رسول الله وجنده الأكارم الذين كان في مقدمتهم عمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وطلحة والزبير وإخوانهم رضي الله عنهم، بل إن جند أبي بكر رضي الله عنه هم جند رسول الله ﷺ، وأعداؤه هم أعداء رسول الله ﷺ، فسحقًا لأعداء الصحابة والتائهين وبائعي الهوية ممن يرضون بالحيف والبهتان الذي ينشره أعداء خليفة رسول الله، فلا ينطقون بما يكشف زيفهم ويزيل تلبيسهم، بل يموهون على الأمة ويخدعون أبناءها بكتم كلمة الحق وعدم الغيرة على السنة النبوية وأهلها أو التحذير من شرّ أعدائها وأخبث خصومها على مر التاريخ الذين لم تخمد نيران مكرهم وحسدهم وتآمرهم على أمة السنة النبوية منذ أن أطفأ حملة السنة وحماتها نار المجوس وأزالوا بغيهم وظلمهم من على وجه الأرض التي أناروها بنور القرآن والسنة.

---

(١) أبو لؤلؤة المجوسي الغادر الآثم عابد النار قاتل أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه غدرًا، وهو يصلي بالمؤمنين في محراب مسجد رسول الله ﷺ، يقدسه أعداء الصحابة ويزورونه ويتبركون بنتن غدره وعفن جريمته في معبد بني له في مدينة كاشان، ويقدمون له التبرعات ويؤدون عنده الطقوس التي تغذي أحقادهم وكراهيتهم للصحابة والسنة المطهرة، وزيادة في تقديسه وتثمين غدره قاموا بطبع صور المشهد يستخدمونها في رسائلهم لتغذية بغضهم لحملة الكتاب والسنة وأهلهما. ينظر: الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٩٤.

علم أبي بكر رضي الله عنه وفهمه عن رسول الله ﷺ:

ومما اتسم به خليفة رسول الله من صفات لازمته طوال حياته وأخذت عنه بعد وفاته الفهم العميق لكل ما يجري حوله، والعلم الشامل بتطلعات أبناء عصره، والفقه التام في كل جوانب العقيدة الإسلامية فضلًا عن فقه القيادة والجهاد والسياسة وفقه الاقتصاد والشؤون المالية والإدارية والاجتماعية وفقه وفن إدارة الأزمات الهائلة بأعلى درجات الإدارة ومخاطبة النفوس وهي في أشد درجات التأزم أو التنافس أو الوجل أو التردد أو الخوف أو انعدام التكافؤ أو غير ذلك، وتحقيق النجاح في كل ذلك تامًّا كاملًا غير منقوص. وكان خليفة رسول الله أنسب قريش وأعلمها بها وبكل أسرارها وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وذلك منذ ما قبل الإسلام ولا يخفى أن قريشًا كانت هي قدوة العرب، وجاء الإسلام بقيمه وتقديمه لأهل العلم على من سواهم فكان خليفة رسول الله أول المجيبين لهذا الدين، فازداد علمًا على علم وسموًّا على سمو حتى بزّ جميع الصحابة في علوم الإسلام، فأصبح أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، وأفقههم في أمور الدين ومرجعهم في كل شؤونه بعد رسول الله ﷺ وتأكد ذلك لجميع الأمة حينما قدمه رسول الله ﷺ إمامًا للصلاة، وأوقفه في الموقف الذي كان يقف فيه هو ﷺ أمام المسلمين وبين يدي الله رب العالمين، وتحقيقًا لقوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم**» يؤكد ذلك رؤيا رسول الله ﷺ التي تدل على علم خليفته أبي بكر رضي الله عنه، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت كأني أعطيت عسًّا مملوءًا لبنًا، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر**» قالوا: يا رسول الله؛ هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه فضلت فضلة، فأعطيتها أبا بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أصبتم**»[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يفهم عن رسول الله ﷺ إشاراته وتلميحاته التي لا يقرنها بشرح أو تصريح من بين جميع الصحابة، عن ابن أبي المعلى عن أبيه أن رسول الله ﷺ

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٥/ ٢٦٩).

خطب يومًا فقال: **«إن رجلًا خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش، ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه، فاختار لقاء ربه»**. قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقال أصحاب النبي ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ يبكي أن ذكر رسول الله ﷺ رجلًا صالحًا خيره ربه بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه. قال: فكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: بل نفديك بآبائنا وأموالنا، فقال رسول الله ﷺ: **«ما من الناس أحد أمنّ إلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت ابن أبي قحافة خليلًا، ولكن ودّ وإخاء إيمان - ودّ وإخاء إيمان** - مرتين أو ثلاثًا - **وإن صاحبكم خليل الله»**[1].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر قال: **«إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده»**، فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر رضي الله عنه هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: **«إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»**[2].

وفي سنة عشر قدم وفد الأزد ورأسهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر رجلًا فأسلم فحسن إسلامه فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن، فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ في

---

(١) سنن الترمذي. كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ ٥/ ٥٦٧، حديث: ٣٦٥٩. وقال: حديث حسن غريب.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب. ح ٣٦٦٠ - ٥/ ٥٦٨ وهذا حديث حسن صحيح.

جيش حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وفيها قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين فحاصروهم بها قريبًا من شهر وامتنعوا منهم فيها، ثم إنه رجع عنهم قافلًا حتى إذا كان إلى جبل يقال له كشر ظن أهل جرش أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلًا، وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «**بأي بلاد الله شكر**» فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: جبل كشر، وكذلك تسميه أهل جرش، فقال: «**إنه ليس بكشر ولكنه شكر**» قالا: فما له يا رسول الله؟ قال: «**إن بدن الله لتنحر عنده الآن**»، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان فقالا لهما: ويحكما، إن رسول الله ﷺ الآن لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: «**اللهم ارفع عنهم**» فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة وللمثيرة تثير الحرث فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سحت[1].

فيتضح من هذا أن خليفة رسول الله كان شمولي الثقافة جامعًا لمعارف عصره ملمًّا بأطرافها ومقاصدها محسنًا لتوظيفها، فمن الأنساب إلى التجارة إلى الديات والمغارم والإصلاح بين القبائل والخبرات الاجتماعية التي يمتلكها من خلال أسفاره ومخالطته لقادة المجتمعات وسادات القبائل إلى غير ذلك إلى علوم الإسلام وكل ما فيها من آداب وأسرار وقيم، كل ذلك جعله يمتلك فكرًا عميقًا وعقلًا ملمًّا متدبرًا مستشرفًا لكل ما يجري في الأمة وفي العالم تعافت الأمة على وصفاته وقيادته بعد مصابها الأليم بوفاة رسول الله ﷺ وبعد

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ١٩٦، ١٩٧.

فتنة الردة الرافضية وما رافقها من أحداث مزلزلة؛ فقاد الأمة في تلك المراحل الحرجة إلى كل خير وباعدها عن كل شر وزاد عقيدتها رسوخًا وهويتها أصالة، فهذه الثقافة المتكاملة وذلك الأفق الواسع وتلك التجارب العميقة زادت من قدرة خليفة رسول الله ﷺ على تقدير الأحداث وقياس الأمور واستشراف النتائج على الوجه الصحيح، فلم يسجل عليه التاريخ كبوة أو نبوة أو مأخذًا واحدًا أو موقفًا لم يكن فيه محقًّا مصيبًا مسددًا، فقد تأكد سداده وحسن تدبيره وصحة تأتيه للأمور في كل مواقفه في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته.

ولعل من أجلى وأجل تلك المواقف ما وافق به رسول الله ﷺ يوم الحديبية حيث اتخذ الموقف ذاته ونطق بالألفاظ التي نطق بها رسول الله ﷺ دون أن يعلم بذلك، مما يؤكد القرب الروحي والتآلف النفسي ووحدة الرؤية الحاضرة والمستقبلية مع رسول الله ﷺ، يظهر هذا حينما أوشك أن يتم صلح الحديبية ولم يبق إلا كتابة شروط الصلح وما رأى فيها الصحابة من إجحاف مفاوض قريش سهيل بن عمرو بحق المسلمين وغلظته في الحوار، ولين رسول الله ﷺ معه وعدم إشراك الصحابة في المشاورة لذلك الصلح، لما كان يراه ﷺ من علامات وإشارات لم يتنبه لها كثير من الصحابة، مثل بروك الناقة حتى قال الناس: خلأت القصواء، خلأت القصواء! أي حرنت. فقال ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وليس ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»[1]. وظنهم أن لين رسول الله ﷺ الزائد في ذلك الموقف فيه مداراة لقريش أكثر مما تستحق، فوثب عمر رضي الله عنه حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: أولست رسول الله؟ قال: «**بلى**». قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «**بلى**»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «**بلى**»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ: «**أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني**». فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ فقال أبو بكر: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر: يا عمر الزم غَرْزَه - أي أمره - فإني أشهد أنه

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٢٨٩.

عبد الله ورسوله. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله[1]. فأجابه أبو بكر رضي الله عنه بمثل ما قاله رسول الله ﷺ دون أن يكون له أي علم بما قاله رسول الله ﷺ، فدل أن خليفة رسول الله، كان أكثر الصحابة قربًا روحيًّا وتجاوبًا قوليًّا وعمليًّا مع رسول الله ﷺ وإحساسًا بشعوره واتفاقًا مع رأيه وفهمه والتحامًا مع مواقفه واجتهاداته.

وظهر انفراد أبي بكر رضي الله عنه بفقه مراد رسول الله ﷺ مرة أخرى في آخر حياة النبي حينما خطب أصحابه فقال: «**إن عبدًا من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار العبد ما عند الله**» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا. فعجب الصحابة لبكائه، ولكنهم فهموا بعد ذلك أن رسول الله هو المخير وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله ﷺ[2].

وتتضح قوة علم الصديق وعمق فهمه في الدين من موقفه في حروب الردة، حيث انفرد عن جميع الصحابة بوجوب قتال مانعي الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[3]. فسلم الصحابة لقوة حجته وسعة علمه، ورجعوا عن رأيهم إلى رأيه وكان في ذلك كل الخير للإسلام والمسلمين إلى قيام الساعة، وكذلك موقفه يوم السقيفة وبيانه أن الخلافة في قريش، ومواقف الصديق التي تبين البون الشاسع بينه وبين قادة الصحابة وأئمتهم فضلًا عن عامتهم في تقدير الأحداث وفقه الوقائع، وتؤكد في الوقت ذاته قربه من رسول الله ﷺ وأهليته لسد مسد مراد رسول الله ﷺ الذي أشرف على تثقيف وتوجيه خليفته من أيام الصبا، قبل الوحي وقبل الهجرة، ثم استمر ذلك التوجيه والإعداد دون أن يعتريه أي انقطاع، ولعل من أهم تجليات تلك التربية النبوية وذلك الإعداد للخلافة ما اتضح لجيل القدوة في إنابته في الحج بالأمة والصلاة بأصحابه في حياته وبإشرافه ﷺ واستمر ذلك

(١) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ٢٠٠. ابن القيم: زاد المعاد، ٢٩٤.

(٢) البخاري: الصحيح، ٣/ ٣٢٧ (١٤٦٥). مسلم: الصحيح، ٢/ ٧٢٨ (١٢٣/ ١٠٥٢).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ح (١٣٣٥).

حتى ودع المسلمون حبيبهم الأعظم يوم وفاته، وحينها تبينت آثار ذلك الإعداد وآتت التربية النبوية ثمارها اليانعة المرجوة بما قام به خليفة رسول الله من مواقف جَلَت عن أصحاب النبي ﷺ الكروب وثبتت الإيمان ودفعت عنهم الشرور وثبتت التوحيد وأنجزت الوحدة والقوة والأمن والسلام.

عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: لما توفي النبي ﷺ اشرأب النفاق، وارتدّت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلَّا طارَ أبي بعنانها وفضلها. فقالوا: أين يدفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبيّ يُقبض إلَّا دُفِن تحت مضجعه الذي مات فيه**». وكان المسلمون اختلفوا في دفنه فقائل يقول: ندفنه في مسجده، وقائل يقول: ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض نبي إلَّا دفن حيث يقبض**». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه [١] تحته ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس[٢].

قالت الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: واختلفوا في ميراثه، فما وجدوا عند أحد من ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّا معشر الأنبياء لا نُورث، ما تركنا صَدَقة**»[٣]. وهذا ما أخذ به الخلفاء الراشدون من بعده بمن فيهم علي بن أبي طالب

---

(١) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري الخزرجي رضي الله عنه زوج أم سليم أم أنس بن مالك رضي الله عنه، وكان أبو طلحة من رماة المسلمين المعدودين. قال ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة**». ابن حنبل: المسند، ٣/ ١١٢ وهو حديث مرسل. وهو القائل لرسول الله ﷺ يوم أحد بعد أن وضع صدره أمام سهام المشركين، وقال: هكذا لا يصيبك بعض سهامهم؛ نحري دون نحرك. وهو صحيح الإسناد. وكان يرجز فيقول:

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد

ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٥٠٢. ابن خياط: الطبقات، ٨٨.

(٢) ابن حبان: السيرة ١/ ٤٢٠

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١١.

رضي الله عنه، وقد انقادت الأمة لخليفة رسول الله فسار خلفه أطهر جيل عرفته البشرية وأكثره علمًا وحرصًا على سلامة الدين ووحدة المسلمين، ومن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في الفجر بسورة البقرة حتى سلم منها قريبًا من طلوع الشمس، فقالوا: يا خليفة رسول الله كادت الشمس تطلع. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين[1].

ولعل هذا الموقف من أظهر الأمور التي تدل على انقياد أئمة الصحابة لعلمه وفقهه، فها هم ينقادون في هذه الصلاة دون أي اعتراض على طولها، أو على ما رد به خليفة رسول الله على من أخبره بأن الشمس أوشكت أن تشرق قبل فراغه من الصلاة، وبالتأكيد لو كان الإمام غير خليفة رسول الله لوجد الكثير من المعارضين تحت غطاء الكثير من الحجج، إلا أنّ مقام الصديق رضي الله عنه العلمي في حياة رسول الله ﷺ كان معلومًا، وكذلك ثقة الصحابة بعلمه وحفظه لكتاب الله تعالى كان يحول بينهم وبين التدخل في أي شأن يقرره ويرضاه. فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: رحم الله أبا بكر فهو أول من جمع ما بين اللوحين[2]. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قسم أبي الفيء عام أول: فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين[3]. فلم يسمع أحد من الناس بمعارض أو عائب لمواقف الصديق رضي الله عنه واجتهاداته وما ذلك إلا لأنه كان يستقي من منهاج النبوة الذي تشرّبه في دمه ولحمه. فأصبح بذلك يفهم مرادات رسول الله ﷺ وإشاراته من بين جميع الصحابة رضي الله عنهم، والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة وبيّنة لا تحتاج إلى مزيد من الإطناب والتفصيل لا ينكرها إلا من طمس على قلبه الحقد والجهل وموت الضمير. ومما يشهد لخليفة رسول الله بالتفوق العلمي والسمو الفكري والنباهة الفقهية والثقافة القرآنية النبوية أنه:

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ج ١ / ٢١٢.

(٢) البلاذري: الشيخان وولدهما: ٦٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٩٧٣.

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح(٦١٧٠).

أول من استشهد بالقرآن في دفاعه عن رسول الله ﷺ من المسلمين. ومما يشير إلى ذكاء الصديق الفطري وعميق فقهه أنه كان يستشهد بآيات القرآن ويحتج بها حتى على المشركين الذين لا يؤمنون بها، وما ذلك إلا لأنها أقوى في الدلالة وأبلغ في الحجة كما أنها تطبيق عملي للقرآن وتفعيل لمفاهيمه، وذلك من أيام الإسلام الأولى في مكة، فعن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر رضي الله عنه حتى دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[1]. وفي هذا الحديث من الفوائد: بيان شجاعة الصديق رضي الله عنه وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها ممن يؤذون رسول الله ﷺ، وهذا أحدهم عقبة بن أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده عنه إلا خليفته الصديق رضي الله عنه. وعميق إيمانه بحجج القرآن الكريم التي كان يحتج بها في دفاعه عن رسول الله ﷺ: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. والمعنى: يا أيها المشركون، هل تقتلون رسول الله ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربه سبحانه وتعالى، وقد جاءكم بالبيان على ذلك من خالقكم. ونظرًا لما يتمتع به خليفة رسول الله من مزايا فقد خصه ﷺ في كثير من الأمور. منها:

اختياره ﷺ لخليفته وحده دون سائر الصحابة ليصحبه في رحلة الهجرة وهي أخطر رحلة وأعظم محنة يتعرض لها رسول الله ﷺ، فقد عزمت قريش على قتله، بعد مشاورات وتآمر طويل وشرعت فعلًا في التنفيذ، فكانت الهجرة ليلة التنفيذ لمؤامرتها المجرمة واختيار الرسول ﷺ لخليفته رضي الله عنه في هذا الموقف واعتماده بعد الله تعالى عليه؛ فيه دلالة عظيمة على أنه كان أعظم الصحابة إيمانًا ونباهة وأكثرهم جرأة ورجولة وتحملًا للمصاعب ووقوفًا في وجه الشدائد، وكتمانًا للسر وحبًّا وفداء له ومحافظة عليه ﷺ.

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلًا»** (٣٤٧٥).

وفيه ظهر إشفاق أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وحدبه عليه وحرصه الهائل من أجل الحفاظ على سلامته بكل سبيل، وسعيه المتواصل لتحقيق آماله وتنفيذ مطالبه وإشاراته ﷺ.

ومن خلال هذا التلاحم بين رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه تستقي الأمة منهج نصرة الإسلام والعمل على إقامة دولته الموعودة، وعلى آثاره تشق الأمة طريقها المعبد لتحقيق الأمن والسلامة ولتحتاط من كل من يخالف ذلك الطريق على أمنها وسلامتها، إذ المخالفون إنما هم امتداد للمتآمرين على حياة رسول الله ﷺ يوم الهجرة، ولهذا هلك من هلك من الرافضة وورثة الأحقاد المجوسية حينما أعلنوا العداوة لخليفة رسول الله الذي استنفد كل طاقاته في سبيل نجاح هجرة رسول الله ﷺ ووصوله إلى المدينة سالمًا. مما أغضب هؤلاء الحاقدين الذين ساءتهم سلامة النبي ﷺ فبلغ بهم الحقد حدًّا جعلهم ينتقصون رسول الله ﷺ ويتهمونه بما لا يمكن النطق به من بهتان وإفك أقله ما يصمونه به من الغفلة وقلة الدراية - حاشاه ﷺ - وصناعة الافتراءات على خليفته واتهامه بالتآمر على حبيبه ﷺ الذي هو أعز عليه من نفسه ومن الناس أجمعين مما يعلمه عنه جميع المسلمين وتصدقه جميع أفعاله التي مارسها في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ولعل هذه الأباطيل التي ينسجها أعداء الصحابة تمثل الدليل الأوضح على بعدهم عن محمد ﷺ وعما جاء به من دين؛ ولكنها في الوقت ذاته كشفت عن حقيقة أحقادهم التي أصبح يحذرها كل عاقل حصيف من أمة محمد ﷺ مما نزع الثقة بانتمائهم إلى هذه الأمة التي طالما تحالفوا مع أعدائها على تشويه تاريخها وتدمير حضارتها واغتيال أخيارها كما هو حاصل الآن في العراق.

منهجه في التثبت من الأخبار:

لم يكن خليفة رسول الله يكتفي بالسؤال المجرد عن بعض المسائل النادرة التي لا يحفظ فيها نصًّا، بل كان يتبين من المسؤول عن الزمان والمكان الذي حدّث فيه رسول الله ذلك الحديث وعن الحضور من أصحابه في ذلك المكان والزمان، وكأن لسان حاله يقول: كيف

فاتني ذلك الخبر وأنا لم أغب عن رسول الله ﷺ؟ حتى إذا اطمأن إلى قول راوي الخبر أو علم أنه لم يكن شاهدًا في ذلك المجلس طلب من الراوي من يؤكد روايته من أصحاب رسول الله ﷺ، كل ذلك زيادة في التوثيق لأحاديث رسول الله ﷺ فكان أول من احتاط في قبول الأخبار هو رضي الله عنه روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئًا. ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه.

ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق رضي الله عنه جمع الناس بعد وفاة نبيهم ﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئًا فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه. فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية. ألا تراه لما نزل به أمر الجدة، ولم يجده في الكتاب، كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل: حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج؟! وحدث يونس عن الزهري: أن أبا بكر رضي الله عنه حدث رجلًا حديثًا فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر: هو كما حدثتك، أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب الإيمان. قال الذهبي قلت: صدق الصديق رضي الله عنه فإن الكذب رأس النفاق، وآية المنافق. والمؤمن قد يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب كما هو خلق أعداء الصحابة. فما الظن بالكذب على الصادق الأمين ﷺ وهو القائل: «**إن كذبًا علي ليس ككذب على غيري، من يكذب عليَّ بني له بيت في النار**». وقال: «**من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»؟ فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله، فكيف حال من تهجم على رسول الله ﷺ وتعمد

عليه الكذب وقوّله ما لم يقل؟ وقد قال ﷺ: «**من روى عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**».

قال الذهبي: فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة، المتهم نقلتها بالكذب. فحق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذًا إلا بإدمان الطلب، والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان. وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله عز وجل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] فإن آنست يا هذا من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًا وورعًا وإلا فلا تتعنَّ، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

نعم فرأس الصادقين في الأمة الصديق رضي الله عنه، إليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول وفي العلم والفهم، يتحرى كل هذا التحري، فأين أهل هذا العصر ممن يحدث بما شاء ويتكلم بما أراد دون أن يسند شيئًا من ذلك إلى آية أو حديث[2].

بل يتكلم الساعات ويؤلف المؤلفات ويقلب الأقوال تحت ما يسمى بالمسألة الفكرية

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) طاهر الجزائري الدمشقي: توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١/ ٦١.

وقضايا الفكر وإصلاح العقل وما إلى ذلك من حجج وأعذار. بل إن الكثير ممن يزعم أنه من أهل الإسلام وأنه غيور على موروث الفكر الإسلامي تجده يتمضمض بصديد أباطيل أعداء الصحابة الذي صنعته أقلامهم الفاجرة وأدمغتهم الحاقدة، فيطعن بهذا الصحابي القائد وبذلك الرباني المجاهد بنفسه وماله، فبأي ذوق يجتر هذه الشتائم والطعون من يزعم أنه مسلم؟ وتحت أي مظلة يحتمي من فحيح الرفض والردة؛ من يقبل بمجرد النظر فيمن يشك بإخلاص الصحابة؟ وإذا فقد الإخلاص عندهم فعند من يكون؟ وإذا كان من يلوك بهتان الرفض يعتقد أنه إنما هو في إطار البحث والنقد العلمي البحت، فإنما هذا يعلن عن غباء مركب؛ إذ كيف ينتقد من يمدحه الله تعالى، ويمجده رسوله ﷺ؟ ألا يعلم هذا المغفل أنه عندما يحمل أسفار الإفك الرافضة لعدالة الصحابة؛ إنما يصدق أكذب الخلق ألا وهم أعداء الصحابة؛ ويكذب أصدق النصوص ألا وهي نصوص الكتاب والسنة؟ فهل بعد هذا الغباء وهذه الغفلة غباء وغفلة؟ سوى السباحة في أوحال الرافضة أعداء الكتاب والسنة وخلافة النبوة!!

ومن هنا تتكون قاعدة نقاء الفكر الإسلامي وإصلاحه المبني على ذات الأساس الذي أثمر الحضارة التي قادها الصديق والفاروق ومن جاء بعدهم من السلف الصالح رضي الله عنهم، وكل كتاب أو مقال أو خطاب أو صحيفة أو مجلة أو مسلسل أو فضائية أو أرضية أو طائفة أو جماعة أو حزب أو غير ذلك؛ ينال من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ويطعن فيهم تحت أي مسمى كان؛ إنما هو معول هدم ودمار في حصن الأمة، وكل من يقبل النظر فيما ينفثه هؤلاء من السحر والوهم إنما هو معاون لذلك المخرب ومشارك له في غش الأمة وخداعها وتمزيق هويتها، وكل من يسكت عنه إنما هو أخرس عن الحق ومضيع للأمانة وخائن للثغرة التي هو عليها، وبائع لدينه مسوق لأحقاد أعداء الصحابة الرافضين للكتاب والسنة وخلافة النبوة، وعلى هدي هذه القاعدة يمكن لكل مسلم أن يعرف الحق من الباطل والعسل من البصل والعلم من الجهل؛ بالنظر إلى الصحابة وموقعهم من فكر الكاتب واعتقاده، فإن هو أنصف وقال بالحق فبها وأنعم، وقد نوافقه فيما سوى ذلك

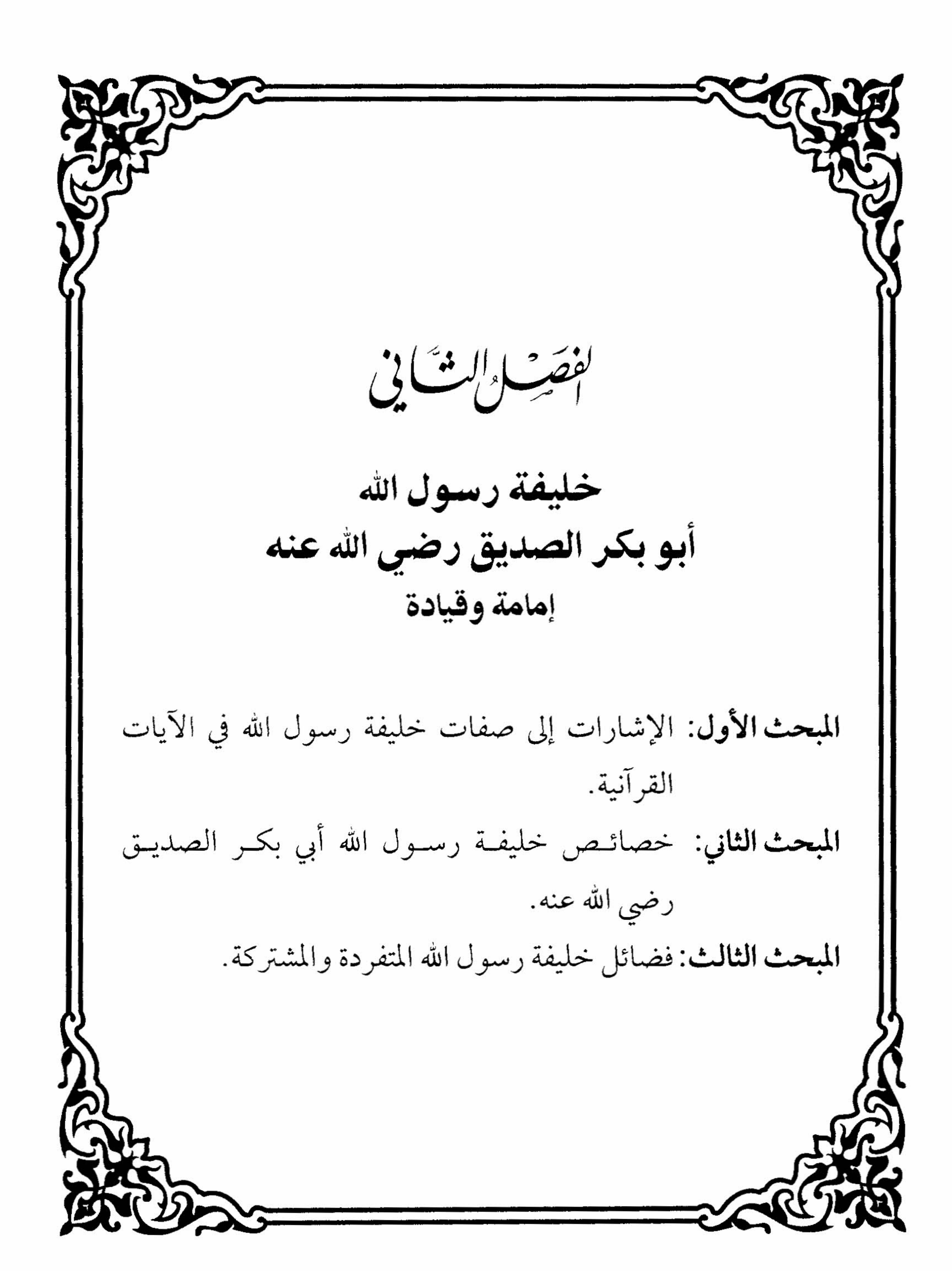
أو نخالفه ولكن لا يخرج ذلك عن الرأي والرأي الآخر المعتبر المقدر، أما أن يطعن بعقلاء البشر وحكماء الناس وإخوان الأنبياء؛ ونعتقد فيه الموضوعية أو الأمانة أو العلمية، فهذا ما لا يوافق العقل ولا الدين.

وبظلال هذه القاعدة العلمية تنتفي الحاجة إلى تجريد الأقلام والألسن وشغل المؤمنين وتضييع أوقاتهم بالرد على شبهات الرافضة وبغيهم، إذ إن العلامة واضحة في كشف زيفهم، فكل من يرعى حول حمى الصحابة وأمهات المؤمنين والصحيحين إنما يوشك أن يرتع في الحقيقة ويعمل على نسفها بالباطل والبهتان والتهم والشبهات، فالرد العلمي على هذه الحالة يتمثل في إلغاء هذا الصنف من دائرة الاهتمام بإصلاحه لفساد نياته المبنية على تكذيب الكتاب والسنة ورفضهما عمدًا مع سبق الإصرار والترصد، وتكذيب واقع الصحابة الحضاري الفريد الذي سطروه شامخًا في كل مفاصل الحياة.

فإذا فعلنا هذا نكون قد عملنا بوصايا السلف الصالح القائلة: أميتوا الباطل بعدم ذكره، وحفظنا أوقاتنا وسخرناها فيما ينفع في جوانب الحياة الأخرى، واحترسنا من مكر الرافضة القائم على قاعدة (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس)، ولم نجعل من كتبنا وأقلامنا وندواتنا وخطبنا ومجالسنا مطايا لنشر أباطيلهم باسم الرد عليها ومعالجتها؛ والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[1].



(١) سورة الإسراء، الآية: ١٩.



الفصل الثاني

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
إمامة وقيادة

المبحث الأول: الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية.

المبحث الثاني: خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشتركة.

المبحث الأول

الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية

(الإمامة والتمكين والبراءة من المرتدين ومواقف السبق واليقين)

تمهيد:

خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ كله فضائل وخصائص ومزايا ومناقب ومواقف تتجلى فيها مواصفات الإمامة والقيادة في أسمى صورها، في عطائه ومنعه، وسلمه وحربه، وقيادته وجنديته؛ وفي كل مواقفه في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ﷺ وفي جميع أيام خلافته؛ كان ينتقل من فضل إلى فضل، ومن نصر إلى نصر، فكل مسيرته ثمار يانعة وخصائص ناصعة، في فهمه وتخطيطه وعمله وتنفيذه، وفي إخلاصه لحاضر الأمة واستشرافه لمستقبلها، فمجمل حياته كانت صاعقة على المشركين والمرتدين، ووفاته أصبحت كاشفًا لأعداء الصحابة المزيفين للعقيدة وللدين، فمبغضوه هم أعداء المؤمنين وأولياء الظالمين، وهم العابثون بثوابت الأمة، والمتربصون بصالح المؤمنين، وهم الكافرون برب أبي بكر، الرافضون لخلافته وإمامته في الدين.

يتجلى ذلك في قول قائل أعداء الصحابة: إن الإسلام لم ينفع الصحابة وأهل السنة سوى في حقن الدماء والأموال في الدنيا، وإلا فاعتقاداتهم أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار، وحاصله أنا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفتَهُ أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب

ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا[1].
لكن المتابع لأحداث العراق الذي يقوده الرافضة مع أوليائهم الصليبيين وغيرهم في هذه الأيام يجد أن الإسلام لم يعصم دماء أهل السنة ولا أموالهم ولا أعراضهم ولا مصاحفهم ومساجدهم من التدمير والحرق، ولا قبور الصحابة من النبش والتخريب كما فعلوا في قبر أنس بن مالك رضي الله عنه وقبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مما يعني أن هذا القول ليس معتمدًا عندهم وأن الرافضة في عقيدتها تستبيح دماء وأموال وأعراض أهل السنة ومحبي الصحابة أحياء وميتين وأن الفتاوى التي تظهر في هذا الباب ليست إلا من باب التقية والتلبيس على المغفلين.

ولكن مع كل هذا الشر الذي تحمله مقاصد هذا القول فإنه أصدق قول يصرح به رافضي ويبين فيه حقيقة عقيدتهم التي لا يخرج عنها أحد منهم؛ ولا ممن في قلبه مثقال ذرة بغض لأحد من الصحابة من غيرهم؛ فضلًا عمن يشتم الصحابة ويدين بلعنهم والبراءة منهم ومن ربهم ونبيهم ﷺ، ولعل كل عاقل يؤمن بالله ربًّا وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالكتاب دستورًا وبالسنة النبوية منهجًا لا يستغرب أي لفظة من هذا القول، لأن الحقيقة فيه جلية ساطعة عارية.

ولكن الغرابة ممن يقال له: احذر الهاوية فيأبى إلا أن يقع فيها! أولئك المتفلسفون ممن يزعمون أنهم من أهل السنة ويرون أن رافضي دين الصحابة هم إخوانهم وأبناء ملتهم، فبأي عقول يفكر أولئك المفلسون؟ أم بأي عقيدة يعتصمون؟ فهم لا يأخذون بنصح المجربين ولا بأقوال علماء السنة المؤتمنين، ولا يعقلون ما يصرح به الرافضة علانية، ويدينون به صراحة، في البراءة من الصحابة ونبيهم ﷺ وخليفته رضي الله عنه ولا يُصدقون ما يرونه بأعينهم مما يجري لأهل السنة على أيديهم جهارًا نهارًا في هذا العصر ولا ما يقيمونه من

(١) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٧٨. ولا شك أن هذا واقع قائم في حال تمكنهم ولا يجوز لهم غيره، أما في حال ضعفهم فهم يأخذون بالتقية والنفاق وإن كانوا لا يدعون التدين بهذا في كل أحوالهم، ومن هنا حذر السلف الصالح من أخطارهم على الدين والأمة.

تحالف مع الغزاة المعتدين، ولا ما قرؤوه في التاريخ عن غدرهم ومكرهم بالمسلمين، وليس تحالفهم مع التتار المتوحشين؛ وقتلهم ما يزيد على مليون من أهل السنة؛ في بغداد الخلافة عام (٦٥٦هـ ١٢٥٨م) وما تبع ذلك من الدمار والقتل فيما اجتاحوه من بلاد المسلمين، ليس ذلك مما يجهله أحد قرأ شيئًا عن تاريخ هذه الأمة وما مرّ بها من غدر على أيدي أعداء الصحابة.

فالقول إذًا ما قاله هذا الرافضي، فهم لا يجتمعون مع أهل السنة على رب ولا نبي ولا خليفة أو إمام، وأهل السنة ربهم الله عز وجل، الذي نبيه محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي ﷺ وخليفته أبو بكر عبد الله بن عثمان التيمي القرشي العربي رضي الله عنه، وكل من لا يؤمن بهذا الرب وهذا النبي ﷺ الذي خليفته أبو بكر رضي الله عنه فلا نلتقي معه بدين ولا ملة.

والفيصل في كل هذا هو خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ومن بعده الصحابة رضي الله عنهم، فإسلامهم إسلامنا وقرآنهم قرآننا ودينهم ديننا ونبيهم نبينا وسنته هي منهجنا؛ وعدوهم عدونا ووليهم ولينا ومسالمهم مسالمنا ومحاربهم محاربنا ومحبهم محبنا ومبغضهم مبغضنا، ومن خرج عن هذه الثوابت فليس منا ولسنا منه.

فيتبين أن خصائص أبي بكر رضي الله عنه وفضائله ومناقبه الكبرى معين لا ينضب، فهي تمتد إلى ما بعد وفاته، ومنها كشف المتلبسين بعداء الصحابة الرافضين للكتاب والسنة المتآمرين على الأمة في حاضرها ومستقبلها، ليحذر ذلك المؤمنون ويتذكر الغافلون ويتنبه اللاهون العابثون بهوية الأمة وعقيدتها، المزيفون لتاريخها وثقافتها، ممن لا يميزون بين من يستبيح دماء أهل السنة وبين من يحميهم بدمائه وماله وأهله وكل ما يملك.

ولعل من أشهر خصائصه أيضًا، سعة العلم ودقة الفهم والفطنة، وعمق الفقه وشمول الإدراك، والجرأة والسبق والإقدام والاستعداد الدائم لمفاجأة الأحداث قبل أن تفجأه ومعالجتها قبل غشيانها؛ كما اتضح ذلك من فهمه لإشارات النبي ﷺ عن قرب وفاته،

كما روى ذلك أبو سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو عاصب رأسه، قال: فاتبعته حتى صعد المنبر. فقال: «**إني الساعة لقائم على الحوض**». ثم قال: «**إن عبدًا عُرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة**»؛ فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر. فقال: بأبي أنت وأمي، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا[1]. وهذه الرواية جاءت في **صحيح البخاري** بصيغة أتم من هذه، يظهر فيها فقه الصدّيق رضي الله عنه وفطنته وفهمه عن النبي ﷺ فيما يستنبطه مما يسمعه من رسول الله ﷺ متفردًا بذلك الاستنباط عن بقية السامعين. عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**». فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا! فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «**إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**»[2]. وقال أبو سعيد رضي الله عنه فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا، فقال ﷺ: «**يا أبا بكر لا تبك، إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر**»[3].

فهذا الفهم الذي كان يبديه أبو بكر رضي الله عنه في المواقف المستشرفة للقادم من

---

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١ / ١٦٥.

(٢) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب. هجرة النبي ﷺ ح (٣٩٠٤)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر**» ح (٣٦٥٤).

الأحداث، وهذه الفطنة لتلقي مرامي كلام رسول الله ﷺ ومراده الذي يتخلل خطبه في إشارات خفية ونبضات هادئة لا تثير انتباه الكثير من الناس؛ هذا هو الذي شق طريق المكانة السامية لأبي بكر رضي الله عنه في قلوب الصحابة وأبناء أمة محمد ﷺ وأثار عليه أعداء الإسلام ببهتانهم ورافضيتهم وغدرهم، وهذا التحفز الدائم للتلقي الصحيح والكامل عن رسول الله ﷺ هو الذي جعل رسول الله ﷺ لا يعدل به أحدًا من الناس، وهذا الإحساس والتحفز الذي تمتلئ به مشاعر خليفة رسول الله ﷺ هو الذي كان يقوده إلى العطاء الدائم والاستعداد المستمر لمفاجأة الأحداث قبل أن تفاجئ الأمة، وهذا ما تأكد في سيرته عندما تفرد في كثير من المواقف التي لم يصل إلى كثير من وجوه الصحابة وقادتهم إدراك أبعادها ومخاطر مهادنتها، ولم يقدر كثير منهم الثمار اليانعة لسرعة مواجهتها ومردود ذلك على وحدة الأمة وسلامة التوحيد وهيبة أهله، لكل هذا ولغيره كان رسول الله ﷺ يعلن أمام الأمة أن أبا بكر أمنّ الناس عليه بصحبته وبماله، وما ذلك إلا للتميز الذي اختص به أبو بكر رضي الله عنه في المؤازرة والنصرة والإسهام المباشر في تحمل الأعباء وتخفيف الأثقال الملقاة على كاهل رسول الله ﷺ فثبت أن صاحبًا واحدًا تجده في كل ساعات الشدة متيقظًا متأهبًا لن يعدله أحد من الأصحاب، كما أن درهمًا في ساعة العسرة خير من آلاف الدراهم في ساعات الرخاء واليسر، وهكذا في المشورة وفي إجابة الخصوم ومواجهة الملمات والبوائق ومنعطفات الأحداث، وكل هذه الخصائص كانت متأصلة في شخصية خليفة رسول الله ﷺ حتى سمت به تلك الخصائص إلى أن يقرنه الناس بصاحبه الأعظم رسول الله ﷺ ويعتقدوا فيه البديل الطبيعي عن نبي الأمة في حال غيابه ﷺ وفي كل ما حصل في الأمة من أحداث، وأكرم بذلك مقامًا وخصيصة لم تكن لغيره رضي الله عنه.

وهذا ما يؤكد أن روح الصديق ومشاعره وخواطره جميعها تدور في فلك رسول الله ﷺ، فإيمان أبي بكر ويقينه المطلق بكل ما قاله رسول الله ﷺ وعمله الدؤوب لتحقيق مرامي رسول الله ﷺ وأهدافه وإشاراته في حياته وبعد وفاته ﷺ؛ كل ذلك أسهم في خصائصه التي من أهم مفرداتها أن رسول الله يأبى أن يتقدم أحد على أبي بكر رضي الله عنه، بل لم

يخالف أحد أبا بكر إلا وكان رسول الله ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه ولم يثبت أنهما افترقا في موقف من المواقف، وهذا والله هو الشرف الباذخ والمجد الشامخ أن يوافق أبو بكر رضي الله عنه النبوة موافقة مطلقة فلا يوجد في سيرته أي موقف انفرد به عنها، وأن يوافقه النبي ﷺ في كل سيرته، فلم يثبت أن النبي ﷺ قدم عليه أو اختار على رأيه رأيًا أو استأنس بقرب أحد كأنسه وطمأنينته بقرب صاحبه رضي الله عنه، فأي خصيصة مثل هذه الخصيصة، وأي فضل مثل هذا الفضل.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: رآني رسول الله ﷺ أمشي أمام أبي بكر فقال: «**يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر**»[1]. لهذا كان السلف لا يداهنون ولا يمارون في مسألة تقديم الصدّيق كإمام مطلق للأمة بعد النبي ﷺ، قال جعفر بن محمد بن علي: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر. وسئل زيد بن علي عمن يتبرأ منهما؟ قال: أبرأ منه[2]. فهي دعوة صريحة إلى كل مغفل مغرَّر به ملبَّس عليه في عقيدته ودينه أن مفتاح الدين والعقيدة هم الصحابة وإمامهم خليفة رسول الله، فمن تبرأ منهم تبرأنا منه، ومن أحبهم أحببناه، ومن زعم أنه يحب الصحابة ويعتقد أخوة مبغضيهم والتقارب معهم بعد كل ما عرفناه عنهم كذبناه واتهمناه ورددنا قوله، لأن النور والظلمة لا يلتقيان، كما أن حب الصحابة وحب مبغضيهم ومكذبيهم لا يجتمعان في قلوب المؤمنين.

وما خوف السلف وآل البيت من وصمة الرفض أو عار التقارب مع الرافضة على حساب الدين أو أن يشوب أحدًا منهم شائبة في عقيدته تجاه خليفة رسول الله ﷺ أو أن يذكر في سيرته شيء من هذا التمرد على الله ورسوله ﷺ - إلا لأن حب الصديق رضي الله عنه واتباعه عقيدة ودين، وبغضه عقيدة ودين، فمبغضوه دينهم رفض النبوة وبغض أنصارها

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٥٥.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٦٠.

وموالاة أعدائها مطلقًا، وحبه عكس ذلك مطلقًا أيضًا، فلا يجتمع من يحب خليفة رسول الله مع من يبغضه في إله ولا نبي ولا خلافة ولا إمامة، فمن يرفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه فلا شك أنه يرضى بإمامة مسيلمة المتنبئ الكذاب وعبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق وأبي لؤلؤة المجوسي الحاقد وأولياء هولاكو ابن العلقمي والطوسي أئمة أعداء الصحابة وأمثالهم من مراجع الرفض والردة المعاصرين، وولاء أعداء الكتاب والسنة ممن يعظم أعداء خليفة رسول الله ويبغض أولياءه؛ وما ذلك إلا لأن ذلك الحب وذلك البغض دين يقرب إلى الله ورسوله ﷺ أو يبعد عن الله ورسوله ﷺ، وعلى هذا الميزان يقف أبو بكر رضي الله عنه ليكون فيصلًا بين أمة النبوة التي يؤمها بعد رسول الله ﷺ، وأمم الشرك والتمجس والرفض والردة والتغرب التي تؤمها الأهواء والشهوات وولاءات الجاهلية بكل أصنافها لانعدام اليقين بما جاء به رسول الله ﷺ وجاهد من أجله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم. فخصائص خليفة رسول الله صفحات عامرة بكل ألوان القيادة والسيادة واليقين والثقة.

والحاصل أن إمامة وقيادة وخصائص وفضائل ومناقب خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه لا تضبطها صفحة من صفحات النشاط البشري، فهي رياض مزهرة، وحقول مثمرة، تقطف منها الأمة ثمار التوحيد اليانعة وترتشف شهد الوحدة الناصعة وتتنسم أزاهير الحضارة الرائدة المشتملة على جميع جوانب الحياة، التي تؤكد في كل محاورها أصالة القيادة وروح الخلافة النبوية والإمامة المحمدية؛ ومزايا الاتباع الواعي والاقتداء الهادف، فهذه الآيات القرآنية يعبق شذاها بذكر خصائص خليفة رسول الله، وتلك الأحاديث النبوية تشدو بالتنويه بفضائل صاحب رسول الله، فحياته رضي الله عنه كلها عطاء وفداء وشفاء، ففي عصر الرسالة حدّث عن السمو والرقي والوفاء والفداء والإخاء والعطاء الذي لا تحده حدود، وأصغِ بالسمع والفؤاد إلى ثناء النبوة وإعلانها العاطر على صدق الصحبة وعميق النصرة وجميل المواقف وحميد الخصال، وبعد وفاة النبي ﷺ سل عمَّن حسم مسألة الخلافة على أتم وجه وأكمله؟ ومن أقام الحجة ودلل بالبرهان الساطع على إمامة الأمة؟ ومن زاد المهاجرين والأنصار تلاحمًا على تلاحمهم وأخوة على أخوتهم وتضحية من أجل

عقيدتهم؟ ومن ثبّت الأرض تحت أقدام المؤمنين بعدما كاد أن يزلزلها الرافضون لخلافة النبوة؛ المرتدون عن منهجها؛ سوى خليفة رسول الله؟ ومن تصدى للأخطار الخارجية، وجاهد لنشر الإسلام، ووضع أكبر وأجرأ خطة عسكرية في التاريخ، لمواجهة أعتى قوى الأرض وهزيمتها وتخليص الناس من جبروتها؟ ثم من جمع القرآن ووضعه بين اللوحين ونال شرف الدخول تحت ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1]؟ ومَن حسم مسألة الخلافة من بعده مع المحافظة على الأمن والاستقرار والوحدة ورضا المسلمين وسعادتهم وعزتهم، مع تحقيق مصالحهم وتلبية تطلعاتهم سوى خليفة رسول الله؟ إلى غير ذلك من المزايا والخصائص التي واجه بها مصاعب المراحل الداخلية والخارجية كافة، وتحمل مهام رسول الله ﷺ التي تنوء بحملها الجبال، وعلى منهجه ذاته ﷺ الذي يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ليتأكد من كل ذلك أنه المؤهل للإمامة والقيادة والخلافة على أتم وجه يحبه الله ورسوله ﷺ.

الإشارة إلى صفات خليفة رسول الله في بعض آيات القرآن الكريم

لا يماري مؤمن أن أفضل أصحاب النبي ﷺ وأعلاهم منزلة، وأكبرهم كرامة، وأعظمهم منّة على المسلمين وأقربهم مكانة من رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد شهد الله سبحانه وتعالى له، ثم شهد له النبي المعصوم ﷺ ثم شهدت له الأمة المعصومة أمة السنة النبوية التي لا تجتمع على ضلالة، بأنه هو إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ.

يظهر ذلك في إشارات آيات القرآن الكريم التي كانت تتنزل على رسول الله ﷺ ليخاطب بها الناس عامة والصحابة رضي الله عنهم خاصة الذين هم أعلم الناس به وبمقاصده، فالصحابة هم الذين تلقوا الوحي غضًّا كما أنزل على رسول الله ﷺ وأخذوه عن مصدر التلقي دون واسطة وحملوه إلى العالمين، كما أراد وأمر به رسول الله ﷺ؛ فأثبتوا في صفحات تنفيذهم لما في القرآن من الأوامر والنواهي أنهم هم النخبة البشرية المختارة لهذه

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

المهمة، وأنهم الأعمق فهمًا لما فيه من علوم، والأكثر حرصًا على أداء مفاهيمه والعمل بها كما أنزلت، أولئك القوم الذين تجسدت في قلوبهم عقيدة القرآن فحملوا روحها وثقافتها وفكرها؛ أصبحوا غرضًا لأعداء الصحابة يستهدفون خيارهم ويفترون على أعلامهم، كل ذلك للطعن بالقرآن وعقيدة السنة التي حملوها إلى العالمين بأمانة ونزاهة وقوة، فهؤلاء الأخيار قادة الإسلام ورموز حمايته هم الذين يفتري عليهم أعداء الإسلام ومجوس هذه الأمة افتراءات لا يبالون فيها بمناقضة القرآن الكريم ولا بمناقضة السنة الصحيحة، وبلغ بهم الحقد حدًّا أنساهم الحياء وأباح لهم البهتان، حتى لو كان ذلك البهتان مكشوفًا ولا يمكن ستره، وبلغ حقدهم على حملة القرآن والسنة حدًّا أصبح بابًا لولوج السيادة والقيادة عندهم، وعلامة على صحة العداوة واكتساب الثقة عند أئمة الرفض والردة، مما أوجد قاسمًا مشتركًا يجمع بينهم، وهو المبالغة في بغض الصحابة والسنة المطهرة، وأوجد لديهم رؤية موحدة عن أهل السنة، وهي رؤية سوداء حاقدة يغذيها الشحن الطائفي الدائم الذي تباح فيه دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم ومقدساتهم متى ما أصبح لهم شوكة[1] وتلك الشوكة مباح البحث عنها بكل الوسائل بما في ذلك التحالف والتعاون والتناصح مع اليهود والصليبيين والوثنيين والعلمانيين وغيرهم ضد أهل السنة والجماعة، كل هذا الكم الهائل من الأحقاد وثقافة الكراهية والضغينة التي يدين بها أعداء الصحابة والتي يصدقها الواقع القائم في هذا العصر، زادت من بعدهم عن إسلام المحبة والأخوة الذي حمله الصحابة وأوجدت لهم دينًا آخر، مصادر الحلال والحرام فيه أشخاص هي مراجعهم، وليس مرجعية كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ مما زاد في الشرخ، بل التقاطع في الفهم والمقاصد وباعد فرص اللقاء والتفاهم؛ لأنه لم تعد هناك أرضية مشتركة وكل ذلك مؤكد بأفعالهم في الأوقات العصيبة التي تجتاح أمة الإسلام، حيث إن رايات أعداء الصحابة ترفع مع رايات المعتدين،

(١) عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب أي السني؟ فقال: حلال الدم، ولكني أتقي عليك؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك. الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٥. وسائل الشيعة، ١٨/ ٤٦٣.

كما أن المبالغة الهائلة في تغذية الحقد على أهل السنة ورعاية ثقافة الكراهية ضدهم بلغت حدًّا أصمّ آذانهم وعقولهم؛ فلم يعودوا قادرين على التحرر من ذلك الموروث الأسود العقيم، الذي يتلقون ثقافته في كل مناسبة، ويرضعون أحقاده في المهد شتمًا وانتقاصًا وإفكًا واتهامًا لأصحاب رسول الله ﷺ. فلم يعد الرافضي قادرًا على تدبر آيات القرآن التي تتحدث عن الصحابة، ولا سيما الآيات التي تُحذر أعداء الصحابة وتتوعدهم وتشهد بكفرهم وخروجهم عن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وكذلك الآيات التي أثنى الله تعالى فيها عليهم ورضي عنهم ووعدهم الحسنى، فالناس في هذه المسألة على بينة من أمرهم لا لبس فيها ولا غموض؛ فإما الصحابة وقرآنهم وسنة نبيهم ﷺ وإما الردة والرفض والهرطقة والتنبؤ بأديان ومذاهب ضالة لتكون بديلًا عما جاء به رسول الله ﷺ. قال تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

ومعلوم لدى كل الأجيال أن سابق السابقين في الأمة وبكل ميادين السباق هو السبّاق الأكبر خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه، ومن هنا تتولد الخيارات بين اتباع القرآن الكريم ولا قرآن دون المرور بالتحية والمحبة والتبجيل بين يدي خليفة رسول الله ﷺ الناصر لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وأول من جمع ما بين اللوحين، وهنا تسقط خيارات المخلطين العابثين بعقيدة الأمة الذين يزعمون بأوهامهم وخيالاتهم أنهم قادرون على الجمع بين محبة الصحابة ومحبة من يدين ببغضهم ولعنهم ولعن من يحبهم، وهذه القاعدة تثبت أن الليل والنهار لا يجتمعان في وقت الظهيرة وأن من يقول بهذا فهو جاهل واهم فاسد القياس كفساد اعتقاد من يرى إمكانية اللقاء بين الرفض والسنّة المطهرة، ولو جعل هذا الصنف ممن لا زالوا يخدعون أهل السنة ويضلونهم لو جعلوا جهدهم في باب توعية أهل السنة بمن يمكر بهم ويفتري على أئمتهم لكان ذلك أجدى وأنفع لهم في دينهم ودنياهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

وإن كان لا بد من جهد في هذا الباب فإن الجهد الوحيد الممكن هو إقامة وسائل للتعامل بين أبناء دينين لا يلتقيان في إله ولا نبي ولا خلافة كما يعتقد الرافضة ذلك، وأن يكف أعداء الصحابة عن شتم أمهاتنا وأئمتنا أصحاب رسول الله ﷺ وعن بهتانهم والكذب عليهم واستفزاز أهل السنة المستمر؛ بغدرهم ومكرهم وتحالفاتهم الوثيقة مع الغزاة والمعتدين على أمة المسلمين، ويفعلوا بعدها ما شاؤوا من الطقوس والعبادات؛ ولكن الحقيقة أن أعداء الصحابة لن يكفوا عن بوائقهم وضغائنهم؛ ولو كفوا عن ذلك لهدمت عقيدتهم التي وضعت أُسسها على هدم السنّة النبوية ورد القرآن وتكفير الصحابة، هذا من جانب ومن جانب آخر؛ فإن صنف الرعاع المحسوبين على السنّة وأهلها، لن يتمكنوا من فهم تحايل وباطنية أعداء الصحابة ولن يفقهوا مدى عمق أحقادهم وكراهيتهم لأهل السنّة، ومبغضو الصحابة لن يقلعوا عن عملهم الرامي إلى تحريف السنّة واستباحة أهلها والطعن بأصحاب رسول الله ﷺ لإقصاء الإسلام وإبطال الشرع، وإن كان هناك من قول في هذه المعادلة فإن المفلسين الذين لا ينطقون بالحق صراحة من المحسوبين على السنّة أسهموا إسهامًا مباشرًا في تمدد دين الرافضة بين ظهراني المسلمين وشاركوا في منع التصدي له بجهلهم أو بتلبيسهم على المسلمين.

وفي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[1] وهنا لا يشك عاقل أن أشدّ الناس على الكفار والمرتدين هو خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه الذي لم يهادن من فرّق بين الصلاة والزكاة، ولا بين من زعم أنه مسلم وأعلن عداوته للصحابة، أو رفض الطاعة التامة لخلافة النبوة، ومعلومة أفعاله في جموع الرافضة المرتدين

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ومراجعهم المتنبئين الكذابين، كما أنه كان أرحمهم بأمة المؤمنين؛ وهذا ما ظهر بقوله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**»(1).

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وصف وتشخيص وحكم على من يبغض أحدًا من الصحابة، فلا حاجة للتأويل في مناطحة صريح القرآن الذي أصدر الحكم بأنه لا يغتاظ من الصحابة إلا الكافرون فكيف بمن يدين ببغضهم؟! فهل أبقت هذه الآية هامشًا لمن لا زال يخادع أهل السنة باسم التقريب بين السنة والردة؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(3). وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾(4).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(5).

وقوله تعالى في حق المهاجرين في سبيل الله تعالى وحماية الإسلام: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ

(1) الترمذي: سنن الترمذي، مناقب معاذ وزيد وأبي عبيدة (٣٧٩٠)، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، فضائل الصحابة، ح (١٥٤).

(2) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(3) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(4) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(5) سورة الحديد، الآية: ١٠.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1]. وقوله تعالى في حق من ناصر الرسول ﷺ والمهاجرين وآواهم وأيدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]. وقوله تعالى فيمن جاء من بعدهم وسار على سنتهم ومنهجهم من المسلمين والمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم ويستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلًّا عليهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء أي أنهم وحدهم الداخلون في دائرة الاتباع لرسول الله ﷺ ولا ريب أن الرافضة وكل من لا يحب الصحابة خارجون من هذه الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غل عليهم. وفي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم ويتبعونهم ويحبون كل من أحبهم من سلف هذه الأمة الماضين، وهذا مُخرج لأعداء الصحابة من جميع الحلقات والدوائر الموصلة إلى رسول الله ﷺ؛ لأن كل تلك الحلقات والدوائر يحيط بها أصحاب النبي ﷺ فلا يمكن الوصول إلى رسول الله ﷺ دون المرور بهم.

ومعلوم أن حلقتهم واحدة لا يمكن اختراقها لأنها تستند إلى مرجعية الكتاب والسنة لا إلى مرجعية الأهواء والأساطير، وهذا إسقاط لكل ما يتمسك به مجوس هذه الأمة من أنهم لا يناقضون القرآن في تدينهم ببغضهم لأصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، تلبية لأحقادهم الدفينة وكراهية لما جاؤوا به من الهدى والنور الذي ورثوه عن نبيهم ﷺ

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

عندما تمسكوا بكتابه وسنته ﷺ وإيغالًا في الباطل شرّع أعداء الصحابة الشرائع المضادة للكتاب والسنة، حتى أصبح شعار مبغضي الصحابة يقول: إنه كلما سلك الكتاب والسنة فجًّا سلك الرافضي فجًّا غيره. وقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. ثم قرأ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ وقال: أولئك الأنصار وتلك منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1] فقال بقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وأن تستغفروا الله لأصحاب رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة وتحبوهم وتوالوهم وتتبرؤوا من أعدائهم.

ولكن أعداء الصحابة لم يكفهم التمرد على هذه الآية ورفض الاستغفار للصحابة والسابقين بالإيمان، بل إنهم تجاوزوا البغض لمن أحبهم الله تعالى وأثنى عليهم إلى شتمهم وبهتانهم والافتراء عليهم والتدين ببغضهم وكراهيتهم وكراهية الأمة التي تدافع عنهم وتواليهم وتوالي قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ.

لهذا قال مالك بن أنس: من سبّ السلف فليس له في الفيء نصيب لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية. وهل هناك سلف أولى بالاتباع بعد رسول الله ﷺ من أصحابه وإمامهم الصديق رضي الله عنهم؟ وهذا معروف عن مالك وغير مالك من أهل العلم كأبي عبيد القاسم بن سلام، وكذلك أبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد، وغيره من الفقهاء.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾[1]. والذين بايعوه تحت الشجرة بالحديبية كانوا أكثر من ألف وأربعمائة بايعوه لما صده المشركون عن العمرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة وغزا بهم خيبر ففتحها الله عليهم في أول سنة سبع، وقسمها بينهم، ومنع الأعراب الذين رفضوا المشاركة في الحديبية من ذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2] فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه رضي عن الصحابة وأنه علم ما في قلوبهم، وأنه أثابهم فتحًا قريبًا. وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بعد موت النبي ﷺ لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم، لأن الله تعالى بين فضلهم بالقرآن بقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[3] ففضّل المنفقين المقاتلين قبل الفتح، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية، ولهذا لما سُئل النبي ﷺ: أوَفتح هو؟ قال: «**نعم**»[4]. وأهل العلم يعلمون أنّ فيه أنزل الله تعالى قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾[5]. فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، هذا لك فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٤) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهمًا، ح (٢٣٥٩)، ابن حنبل، المسند، ٣/ ٤٢٠، ٤٨٦.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١.

حَكِيمًا ﴾[1] وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين المقاتلين بعده أولئك الذين يأتي في مقدمتهم وقيادتهم وإمامتهم أبو بكر رضي الله عنه لأنه هو أول من أنفق وقاتل في سبيل الله.

ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[2] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة... وقد علم بالاضطرار أنه كان في مقدمة هؤلاء السابقين الأوّلين خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر وعثمان الذي بايع النبي ﷺ عنه بيده الشريفة يوم الحديبية لأنه كان غائبًا، أرسله ﷺ سفيرًا إلى أهل مكة ليبلّغهم رسالته، وحميّة وغيرة على عثمان رضي الله عنه بايع رسول الله ﷺ أصحابه على الموت وعلى ألّا يفرّوا؛ كل ذلك لمّا أشيع أن أهل مكة قتلوا عثمان رضي الله عنه؛ إذًا فكم كان عثمان رضي الله عنه عزيزًا عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه رضي الله عنهم وهم يبايعون على الموت لمقاتلة من اعتدى على سفير رسول الله عثمان الشهيد رضي الله عنه، بينما حقه ومقامه عند أعداء الصحابة أنهم يبايعون إمامهم ابن سبأ على قتله وهو يتلو كتاب الله تعالى وكافٌّ يده ولسانه عن كل من يزعم أنه مسلم وهو زوج ابنتي رسول الله ﷺ وهو خليفة المسلمين العادل الرحيم، فشتان ما بين الثرى والثريا، وما بين من يبايع له رسول الله ﷺ خير البشر وهم أهل بيعة الرضوان ليبذلوا دماءهم في سبيل نصرته؛ وبين الزنديق ابن سبأ الذي يبايعه المنافقون لقتله رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، وقد ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[3].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٣) ينظر: ابن حنبل، المسند، ٣/ ٣٥٠. النسائي: السنن الكبرى، ك: تفسير ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ح (١١٥٠٨).

﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١) فجمع بينهم وبين الرسول ﷺ في التوبة وبيّن سبحانه وتعالى أنه بهم رؤوف رحيم.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(٢) فأثبت الموالاة بينهم وأمر المؤمنين بموالاتهم، وأعداء خليفة رسول الله الرافضة يتبرؤون منهم ولا يتولونهم مضادة لكتاب الله ومفارقة لطاعته، وأصل الموالاة المحبة، وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضون الصحابة ولا يحبونهم ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون. مع كل تفاخرهم المعلن ولا سيما في هذه الأيام بموالاة الكفار من اليهود والصليبيين والمشركين والمنافقين، ومجاهرتهم ببغض المؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهذا أمر مشهور فيهم، فهم يعادون خيار عباد الله من المؤمنين، ويوالون اليهود والصليبيين والمشركين وغيرهم ضد السنة وأهلها.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) أي الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين فهو حسبكم، والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين، وأوّلهم وسيدهم هو خليفة رسول الله، فكيف يتبرأ منه من يزعم أنه مسلم وليس من المنافقين؟

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤) وإنما أيده ﷺ في حياته بالصحابة رضي الله عنهم وإمامهم أبو بكر رضي الله عنه الذي لم يخالف رسول الله ﷺ في موقف أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٥) وهذا الصنف

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

الذي يقول الصدق ويصدّق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو يُكذّب بالحق لما جاءه فهم لا يلتقون أبدًا، والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأن القرآن حق، هم أفضل من جاء بالصدق وصدّق به بعد الأنبياء وفي مقدمتهم خليفة رسول الله، والذي يبغضهم ويفتري عليهم هو شر من حارب أهل الصدق وناصبهم العداء. وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبًا بالحق من هؤلاء الذين يبغضون الصحابة ويرفضون قرآنهم وسنة نبيهم[1]، ولهذا لا يوجد الغلو المقرون بفساد الفكرة وفساد المقصد في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر وادعى النبوة في غير النبي ﷺ وادعى العصمة في الأئمة، ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف الضالة عن منهج النبي ﷺ واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه في أعداء الصحابة.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[2] ولا ريب أن أصحاب محمد ﷺ هم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[3] فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم: اليهود والنصارى، وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى. وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[4]. ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله وأبو بكر هو الذي اصطفاه رسول الله ﷺ من بين جميع أصحابه

---

(١) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة ٢/ ٣٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ح (٢٤٥٨) وكتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي ﷺ أو رآه، ح (٣٦٥١). مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ح (٤٥٩٩). سنن النسائي، كتاب: الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ح (٤٦٠٠).

الأكرمين ليكون صاحبه ووزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته، ومن ثم جاره في قبره، فهو أقرب الناس إليه في الدنيا، وأقربهم إليه في البرزخ، وأقربهم إليه في الجنة، فكل من يريد أن يفرق بين رسول الله ﷺ وبين صاحبه وخليفته فهو عدو لرسول الله ﷺ رافض لاختياره معترض على علمه وشهادته على الناس.

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]

فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرًا عظيمًا، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم مكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2]. وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، ولهم المغفرة والأجر العظيم، ومعلوم أن سيد المستخلفين في أمة محمد ﷺ وسيد الخلفاء هو أبو بكر، فبأي وجه بعد ذلك يتحدث أعداء خليفة رسول الله بالإسلام وهم أبعد الناس عنه؟ إذ إن مفتاح دخول الإسلام هو موالاة خلفاء رسول الله ﷺ الأربعة وأصحابه الأكرمين جميعًا ومن لا يدخل الإسلام من هذا الباب فلن يدخل الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أبدًا، إلا إذا تاب وآمن وعمل صالحًا وكفر بدين مبغضي الصحابة ومكذبي القرآن الموالين للكفار في كل موقف ومشهد، ومن المعلوم أن هذه الأوصاف منطبقة على زمن خليفة رسول الله وزمن عمر وعثمان رضي الله عنهم فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف، وتمكن الدين والأمن بعد الخوف لمّا قهروا فارس المجوس والروم الصليبيين، وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وإفريقيّة، ولما استشهد الخليفة

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

عثمان رضي الله عنه وحصلت الفتنة الرافضية السبئية لم يفتحوا شيئًا من بلاد الكفار، بل طمع الكفار بالشام وخراسان، وكان بعضهم يخاف بعضًا، وحينئذ فقد دل القرآن الكريم على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، وأدركوا زمن الفتنة كعليّ وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكّنوا وأمِنوا.

وأما الفِرَق التي حَدَثت في زمن الفتنة، كالرافضة الذين قتلوا عليًّا رضي الله عنه غدرًا؛ احتجاجًا على قبوله للصلح بين المسلمين ومسالمته لأبناء عمومته معاوية وعمرو بن العاص صاحبي رسول الله ﷺ، فهؤلاء لم يتناولهم النص فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية، لأنهم **أولًا**: ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا، ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة رضي الله عنهم، بل لا يزالون خائفين قلقين متآمرين غير ممكنين خارجين عن الكتاب والسنة حربًا على أهلهما سلمًا لأعدائهما. فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم ﴾[1] ولم يقل: وعدهم كلهم؟ قيل: كما قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[2] ولم يقل: وعدكم. و(مِنْ) تكون لبيان الجنس أي أن المقصود هو جميع الصحابة، وكل من يسير على هديهم هو من جنسهم؛ فلا يقتضي أن يكون المجرور بها شيئًا خارجًا عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[3] فإنه لا يقتضي أن من الأوثان ما ليس برجس، بل كل الأوثان التي تبغض رسول الله ﷺ وأصحابه هي رجس وقذر. وكقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٠.

مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1] فليس المقصود أن القرآن بعضه شفاء وبعضه غير شفاء، بل القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين.

وهذا كقول القائل ثوب من حرير، فهو كقولك: ثوب حرير. وكذلك قولك: باب من حديد، كقولك: باب حديد، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كليًّا، فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركًا فيه في الوجود، فإذا كانت (مِنْ) لبيان الجنس كان التقدير: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين. وكذلك إذا قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين... والمقصود أن لفظ (مِنْ) لا ينافي شمول هذا الوصف لها، فلا يقول قائل: إن الخطاب دل على أنّ المدح شملهم وعمهم بقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات؛ وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم، والركوع والسجود يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، والسيما في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع. والوعد بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنه لمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء، بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا عُلّق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم[2].

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا أعز المسلمين وأفقههم وكانوا أعظمهم إيمانًا، وأعظمهم في كل ذلك خليفة رسول الله، ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ٤٢.

والأنصار، الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعز الناس، مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين مما يبطل شبهات الرافضي بأن المنافقين كانوا في الظاهر مسلمين ليغمز بذلك في إيمان الصحابة رضي الله عنهم وعقيدتهم وعزتهم، حيث كان المنافقون أذلاء مقهورين، ولا سيما في آخر أيام النبي ﷺ وفي غزوة تبوك، لأن الله تعالى قال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] فأخبر الله تعالى أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعُلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم بسبب غشهم وخداعهم ورفضهم لما جاء به رسول الله ﷺ كما هو حال أعداء الصحابة في كل عصر ومصر لا قوة لهم إلا بالخيانة والجاسوسية للأعداء والغزاة، فلا يجوز أن يكون الصحابة الأعزاء رضي الله عنهم من هذا الصنف، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من رافضي السنة ومبغضي الصحابة الذين يمكرون ويعملون على هدم عزة الصحابة وخدش مكانتهم في الضمائر والقلوب.

والنفاق والزندقة من صفات أعداء رسول الله ﷺ وأعداء أصحابه الكرام، فأورث المنافقون والزنادقة هذه الأخلاق لأحفادهم رافضي السنة المطهرة، من الذين لا زالوا يرفضون قيادة أصحاب رسول الله ﷺ للأمة ويرفضون الاقتداء بهم فضلًا عن حبهم والعمل على إظهار فضائلهم ومناقبهم، فالنفاق والزندقة في مبغضي الصحابة أصل ثابت في كل ما يقومون به وعقيدة فاسدة راسخة في نفوسهم، لا تثمر إلا الفتن وثقافة الاستفزاز والكراهية، وما ذلك إلا لأن أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، كما أخبر الله تعالى عن أوصاف المنافقين. والتي هي مواصفات مبغضي الصحابة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون رفض القرآن ورفض السنة وتكذيب النبي ﷺ واتهامه في أهل بيته وأنصاره الصحابة رضي الله عنهم فضلًا عن تكفيرهم لحملة الكتاب والسنة تارة بالتصريح وأخرى بالباطنية والتلميح. قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[1].

لهذا كان الوعيد لمبغضي الصحابة واضحًا وصريحًا ومبينًا لأقرانهم وأبناء جنسهم الحقيقي الذي يجب أن يكونوا معه كثمرة لحبهم وتحالفهم معه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[2] والمنافقون هم أعداء الصحابة بنص القرآن يرفضون كل ما يأمر به رسول الله ﷺ؛ لذلك تمردوا على خليفته بعد وفاته ﷺ بعد أن قدمه ﷺ إمامًا للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام كما أن رفضه خروج وردة عن الإسلام.

وتقديمه ﷺ لأبي بكر في الإمامة دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سنًّا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلامًا**»[3]. قال ابن كثير: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات، كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة، لا ينافي ما روي في الصحيح أن أبا بكر ائتم به ﷺ لأن ذلك في صلاة أخرى، كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) صحيح مسلم: ك: المساجد، باب: من أحق بالإمامة، ح(٦٧٣) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب: ما جاء في حق الإمام، ح (٢٣٥) على اختلاف في بعض الألفاظ و«**أقدمهم إسلامًا**» ذكرها ابن كثير في السيرة، ٤/ ٤٦٧.

(٤) ابن كثير: سيرة ابن كثير، ٤/ ٤٦٧.

وقد فضّل الله النبيين بعضهم على بعض، وفضّل الرسل على غيرهم، وأولو العزم أفضل من سائر الرسل، وكذلك فضّل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على غيرهم، وكلهم أولياء الله، وكلهم في الجنة، وقد رفع الله درجات بعضهم على بعض، فكل من كان إلى الصدّيق أقرب، من المهاجرين والأنصار؛ كان أفضل، فما زال خيار المسلمين مع الصدّيق قديمًا وحديثًا، وذلك لكمال نفسه وتمام إيمانه رضي الله عنه.

وكان خليفة رسول الله من أعظم المسلمين رعاية لحق قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته؛ فإن كمال محبته للنبي ﷺ أوجب سريان حبه لأهل بيته، إذ كان رعاية أهل بيته مما أمر الله ورسوله به، وكان الصدّيق رضي الله عنه يقول: ارقبوا محمدًا في آل بيته[1]. وهو القائل: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي[2]. وهذا هو الحب الحقيقي لآل بيت النبي ﷺ بعكس ما تدين به الرافضة من بغض خليفة رسول الله بزعمهم الكاذب أنهم يحبون آل البيت ولكن لا يعلم أحد من الناس أي بيت يقصدون لعدم وجود أي شبه بين ما يزعمون وبين ما يدينون به من بغض الصحابة الذين نصروا بيت النبي محمد ﷺ وبغض العرب قوم النبي ﷺ الذين حملوا دينه يبلغونه إلى العالمين بعد وفاته ﷺ.

والحقيقة التي يعلمها جميع العقلاء أن كراهيتهم لأصحاب رسول الله ﷺ تأتي من أن الصحابة هم الذين حطموا المجوسية وأطفؤوا نارها، فهم يحملون الأحقاد الجاهلية ويرضعونها قبل البلوغ ويتدربون على عدم إعلانها أمام جماهير المسلمين في الوقت الذي يُعلمونها لأجيالهم ويربون أبناءهم بتقية وباطنية على العمل بها وعلى البراءة من السنة وأهلها وتصوير أهل السنة بأنهم هم عدوهم الأول والأخير وأن لا عدو للرافضة أعداء الصحابة من اليهود ولا من الصليبيين ولا من المشركين ولا من المرتدين ولا أحد من البشر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ح (٣٧١٣)، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب الحسن والحسين، ح (٣٧٥١) منهاج السنة، ٤/ ٢٥٤-٨/ ٥٨٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله، ح (٣٧١٢)، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ح (٤٠٣٦). ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٢٥٤-٨/ ٥٨٢.

سوى الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم المتمسكين بالسنة، وهذا ما أثبتته الأحداث في الماضي والحاضر بما لا يدع مجالًا للشك أو الريب، وبما يبطل كل الدعاوى الزائفة التي يطلقها بعض المغفلين أو المنتفعين تحت ستارة الاحتواء والتقريب، هذه الدعوة الماكرة الخبيثة التي لا تنطلق من قلب يعمره حب أصحاب محمد ﷺ إنما يراد منها أن تعترف السنة بأعداء الصحابة في جماعة المسلمين ثم يتنازل أهل السنة عن ثوابت عقيدتهم التي تلقوها عن أصحاب رسول الله وتابعيهم بإحسان، ولعل ما جرى في العراق على يد الصليبيين من تدمير لبعض المراقد التي يزعم أعداء الصحابة أنهم يقدسونها، ودخولهم الصحن الذي يسمونه الصحن الحيدري في النجف الذي يزعمون أنه أقدس مقدساتهم، لكنهم هناك انكشف زيفهم وأنه لا يوجد عندهم مقدس، وإنما هي شعارات يرفعونها لتضليل الناس والتعمية على هويتهم المعادية للسنة النبوية؛ فلم يصدروا أي أمر بمواجهة الصليبيين أو فتوى بالتظاهر والاحتجاج على ذلك، بينما لما دبر بعض دسائسهم تدمير قبة مرقد مسجد أهل السنة الذي فيه قبر علي الهادي في ٢٣ من محرم ١٤٢٧هـ قامت مراجعهم وآياتهم بذات الوقت بإصدار الفتاوى بالتظاهر ضد السنة وإحراق مساجد الله، وقتل الأئمة والخطباء والمؤذنين وحرق المصاحف وتمزيقها، وقتل كل من يدافع عن المساجد أو المصاحف من المصلين في أفعال تبين عقائدهم الحقيقية التي ما زال يجهلها عامة أهل السنة في مشاهد يقودها الغوغاء وهم يلبسون السواد وترعاهم قوات الشرطة والميليشيات الصفوية التي حكمت العراق تحت رايات الصليب؛ لتذكر أهل السنة باغتيالهم الشهيد عثمان رضي الله عنه بين صفحات القرآن وآياته، واغتيالهم لعلي رضي الله عنه في مسجده ومكرهم وغدرهم بالحسين رضي الله عنه.

وقد بلغ من أحقادهم المتراكمة أنهم أحرقوا ودمروا حوالي مائتي مسجد في يومين فقط، مما يثبت النية المبيتة والتآمر المسبق وأنهم هم الذين دمروا قبة المسجد الذي فيه قبر علي الهادي لكي يسوغوا قتل أهل السنة وحرق مساجدهم وقتل أئمتهم وتدنيس مصاحفهم وتمزيقها، مستغلين رعاية الصليبيين لهم وحماية الحكومة الرافضية التابعة لهم في بغداد

المنصور والرشيد، وغفلة علماء أهل السنة وحكامهم أو تغافلهم ومداهنتهم وفقدان الشعور بروح المسؤولية والإحساس بالخطر الداهم للجميع عند الكثير من أبناء عامتهم، الذين لا يبالون بعقيدة ولا سنة ولا فريضة، وهذا هو الداء العضال الذي لا علاج له إلا بمبادرة التوبة وتعميق الحب والولاء للسنة النبوية وللصحابة الكرام رضي الله عنهم والتمسك بمنهجهم وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم، ومن ثم فقه سيرة خليفة رسول الله الذي لا توجد آية في كتاب الله تبجل المؤمنين وتثني عليهم وتنوه بفضائلهم إلا وخليفة رسول الله ﷺ هو إمام المبجلين المنوه بفضلهم وأثرهم، وشهد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم للصديق أنه كان الصاحب الأمين والناصر الوحيد لرسول الله ﷺ بعد الله سبحانه وتعالى، فقد مدح الله نفسه في القرآن أنه نصر نبيه محمدًا ﷺ وأخرجه من بين ظهراني الكفار عندما أرادوا قتله، أو حبسه، أو طرده ونفيه، واختاروا قتله أخيرًا فنجاه الله وأخرجه من بين ظهرانيهم آمنًا معافى ومعه صاحبه الأمين رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1] فكان من مكره عز وجل بالكفار أن أخرج النبي محمدًا ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة، والكفار يحيطون به من كل جانب ولا ناصر له من الأصحاب والمسلمين إلا رجل واحد فقط، لم يترك النبي ﷺ في هذا الموقف العصيب. قال تعالى حاضًا المؤمنين على نصر رسوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] فأثبت الله هنا كرامة الصدّيق وأنه كان الناصر الوحيد لرسوله ﷺ يوم عز الناصر وقل المعين، وأن الصدّيق رضي الله عنه كان حزينًا خشية أن يبصر الكفار موقع الرسول ﷺ فيؤذونه ويعرقلون مسيرة الإيمان ويضيع الدين؛ فيلحظ النبي ﷺ ما في قلب صاحبه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

الشفيق وخاطره المتطلع إلى آفاق نصرة الإسلام وعزة أهله؛ فيبشره بأن الله معهما يرعاهما ويكلؤهما، ومعية الله هنا ثابتة للرسول ﷺ وللصديق؛ وهذه شهادة من الرسول ﷺ للصديق أقرها الله وأثبتها في كتابه الكريم، ناهيك أن أسرة الصديق كلها كانت في ذلك اليوم العصيب في خدمة الرسول ﷺ وهذه منقبة ليست بعدها منقبة وكرامة فوق كل كرامة، ويكفي هذه الكرامة أن الله أثبتها في كتابه وجعلها قرآنًا يتلى إلى آخر الدنيا.

وأما شهادة الله الثابتة للصديق رضي الله عنه فهي قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[1] قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: وقوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أي ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾، أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا؛ فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي طمعًا في أن يحصل له رؤيته ورضاه في الدار الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وهذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه أولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صدّيقًا تقيًّا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ؛ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها؛ بل كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف - يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد

(١) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

أغلظ له في القول، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وفي **الصحيحين** أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير**» فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[1]. وقال الشوكاني في هذه الآيات: إن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال، وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وزنيرة، وأم عبس، وأمة بني المؤمل. وفيه نزلت ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ إلى آخر السورة، وزاد فيه، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾: إلى قوله: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ قال: هو أبو بكر الصديق. وحسبك بهذه شهادة من الله سبحانه وتعالى لهذا العبد الكريم الذي بذل ماله في سبيل الله لا يبتغي بذلك إلا وجهه سبحانه وتعالى: ومعنى (من ضرورة) التي جاءت في الحديث: أي لا ضرر على من دخل الجنة وإن لم يُدع إلا من باب واحد ما دام قد دخلها، ولكن هل لأحد من كرامة عند الله حتى يدعى من جميع الأبواب ثم يدخل من أي باب يشاء؟ فأخبره النبي ﷺ: «**أن نعم يا أبا بكر وأرجو أن تكون منهم**»، ورجاء النبي ﷺ حق حتم لا شك فيه[2].

في سبق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجميع المؤمنين:

في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[3]

(١) البخاري: ك. الصوم، باب الريان، (١٨٩٦) مسلم: ك. الزكاة، باب جمع الصدقة (١٠٢٧) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٢١.

(٢) البخاري: ك. الصوم، باب الريان للصائمين، (١٧٩٨) مسلم: ك. الزكاة، باب: عن جمع الصدقة ح(٢٣٦٨)

(٣) سورة الشرح، الآيات: ١-٣.

وهي مكملة لسورة الضحى وتأتي بعدها حتى كأنهما سورة واحدة، وأنقض ظهر النبي ﷺ الحمل الثقيل الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] وهو الأمر بالدعوة والتصدي للناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يخفَّ هذا الحمل عنه ﷺ بأحد كأبي بكر رضي الله عنه، إذ كان ساعده الأيمن وظهيره الأقوى في كل شيء. وسخر لنصرته وخدمته نفسه وماله وأهله ومواليه. ولما كان أتباع النبي ﷺ يعذبون ويمتهنون ويفتنون كان أبو بكر يبذل ماله في خلاصهم وشرائهم، وذلك مما يفرج الضيق ويزيح الهمّ عن صدر رسول الله ﷺ ويخفف عنه أعباء المسؤولية.

وكان الصدّيق يتدارس أمور الدعوة والأمة مع رسول الله ﷺ ويشاركه الرأي والتدبير والمشورة ويغدو ويروح ويجلس ويسمر معه فيما يخفف عنه الأعباء، ويقدم الحلول حتى اختصه رسول الله ﷺ وأسرّ إليه وحده بالأمور الخطيرة[2]. وهذا كله مما يخفف الحمل ويضع الوزر ويزيح العبء الثقيل عن الصدر فينفسح وينشرح. ولا شك أن الهم والعبء لا يمكن أن يخف كما يزعم ذلك الرافضة ومبغضو خليفة رسول الله بصبي أو غلام في سن علي رضي الله عنه آنذاك لأسباب كثيرة منها:

- سقوط التكليف الشرعي عمن لم يبلغ الحلم ولم يتجاوز العاشرة من عمره.

- التفاوت الكبير في السن يكون سببًا آخر في تفاوت الاهتمام والإدراك والآمال والآلام إضافة إلى الأعباء الملقاة على كهل تجاوز الأربعين مكلف بمواجهة جميع بني البشر بدعوته التي يكرهها الملوك والظلمة وأهل الدنيا، ومن بعض مسؤولياته الأخرى الاهتمام بعلي رضي الله عنه ورعايته كما يرعى الأب أولاده.

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٥.

(٢) من ذلك قوله بعد القضاء على المرتدين: (واعلموا أن رسول الله ﷺ كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه واختار ما لديه. ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهاليهم ومالهم، فرسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته). ينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٩٥ فما بعدها. الكتاني: التراتيب الإدارية، ١/ ٤٨٠.

- وكون علي رضي الله عنه كان غلامًا لا يعد عيبًا فيه وإنما هذا هو حال الفطرة، فهذا رسول الله ﷺ لم يكلف بالدعوة حتى جاوز الأربعين ولكن الرافضة يريدون أن يضعوه ضدًّا وندًّا لرسول الله ﷺ من أجل أن يفتحوا ثغرة في جدار الإسلام للطعن بالكتاب والسنة ولا يعنيهم أمر علي رضي الله عنه في شيء أبدًا؛ إذ إن عامة ما يروونه ليس هو عن علي العربي ابن عم محمد ﷺ المؤمن المجاهد وإنما هو عن علي آخر مبغض للسنّة ومخاصم لإخوانه الصحابة وحاقد على العرب ولكل ما جاء به النبي ﷺ.

- وكذلك كون علي رضي الله عنه كان غلامًا لم تكن له المنزلة الاجتماعية المطلوبة، في مجتمع قبلي يقدر السن والعمر والتجربة، ويكف الغلمان والصبيان حتى عن مجالسة الكبار، فضلًا عن مشاركتهم في الرأي.

- انعدام القدرة المادية عند علي رضي الله عنه في مرحلة صباه حتى إنه كان لا يكفي نفسه، بل كان يرعاه رسول الله ﷺ لما كان يمر به أبو طالب من ضيق مادي، فكيف بمن هذه حاله يخفف عن رسول الله ما يعانيه من ضيق مادي وضيق اجتماعي وسياسي وفكري؟

- لذلك لم يذكر لعلي رضي الله عنه موقف عملي تطبيقي مهم إلى يوم الهجرة، ونومه في فراش رسول الله ﷺ يوهم المشركين أن النبي ﷺ لا زال في فراشه؛ ولم يبرز دوره المرموق إلا في المدينة بعد بدر. ولم يكن هو المقدم في حياة عمه الحمزة رضي الله عنه وكان المشركون يطلبون رأس الحمزة للثأر من قتلى بدر لأنه هو الشخصية البارزة المؤثرة من بين أهل بيت رسول الله ﷺ على عادة أهل الجاهلية في الثأر والانتقام الذي لا يكون إلا ممن يرونه مقدمًا عند الخصوم وبارزًا في المجتمع، وكل ذلك يبطل تلبيس الرافضة حينما يريدون أن يجعلوا من علي رضي الله عنه موازيًا لخليفة رسول الله بسبقه وعلمه وجهاده وإنفاقه وإمامته وقيادته.

- أما الزوجة فيمكن أن تخفف عن الزوج أعباء البيت ومسؤولياته، ويمكن أن تؤانسه وتصبر على ما يمر به من شظف العيش وضيق ذات اليد وما إلى ذلك، أما مكابدة أمور

الدعوة ومواجهة الناس فلا يمكن لها أن تقوم بما يقوم به الرجال في مجتمع المشركين آنذاك. وهكذا انطبقت سورة الشرح على ما كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه وحده دون سواه؛ فشرح الله به صدر نبيه ﷺ ووضع وزره الذي أثقل عليه أيامه ولياليه لعظم المسؤولية وقلة المعين من الناس حتى يسر الله ذلك بمساندة الصديق رضي الله عنه وإخوانه المؤمنين رضي الله عنهم.

أما ما تروج له الرافضة وعامة أعداء السنة فهو لا يعدو باب التشويش والتضليل لإرباك أهل السنة عن معرفة مواقع رجالهم الذين آزروا رسول الله ﷺ وأسهموا معه في إقرار الإسلام وإزاحة الشرك منذ اليوم الذي بعث فيه ﷺ إلى الناس. ويتجلى تقدم الصدّيق وسبقه لجموع المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(1)]. ففي هذه الآية الكريمة تتضح الأسس التي يقوم عليها التقديم والتفضيل بين المؤمنين في كتاب الله تعالى المبني على ثمار عطائهم وصبرهم. وهي:

- **الإنفاق في سبيل الله**: وقد ثبت لكل عاقل أن خليفة رسول الله أنفق جميع ماله على رسول الله ﷺ ونصرته، وإنقاذ المستضعفين من أتباعه، حتى قال ﷺ: «**إن أمن الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر**»[(2)].

- **القتال**: وكما جاهد أبو بكر رضي الله عنه بماله جاهد أيضًا بيده ولسانه، بل كان أول من أعلن الإسلام بين جموع المشركين في مكة يوم خطب في المسلمين قبل أن يبلغ عددهم أربعين رجلًا، فضرب من أجل ذلك حتى كاد أن يدفع حياته ثمنًا لذلك الموقف العظيم، واتضح في هذا البحث أيضًا أنه رضي الله عنه الوحيد الذي كان يدافع عن رسول الله

(1) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح(٤٦٦).

بيده ولسانه من بين المؤمنين، ويرد عنه عدوان المشركين، ولم يكن يمنعه عن حماية رسول الله ﷺ قوة قريش ولا بطشها وجبروتها في مكة.

والسبق في الإنفاق والقتال قد تبين لكل ذي لب أن ذلك مما اختص به أبو بكر رضي الله عنه واجتمعت فيه جميع فضائل السبق والمبادرة إلى كل خير من بين الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مما يعلمه عامة أهل الإيمان ولا يماري فيه إلا منافق أو مطموس على قلبه ببغض السنة والكتاب كما هو حال الرافضة الذين لا يدخرون فرصة إلا ولغوا في التشكيك والباطل في حرب لا هوادة فيها على الحقيقة وضوابط العقيدة. واتضح في هذا البحث كما في كتب السنة المعتمدة أن أبا بكر رضي الله عنه هو أعظم من أنفق من قبل الفتح، وما انتفع الإسلام بمال أحد من المؤمنين كما انتفع بماله رضي الله عنه كما جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي جاءت في هذا البحث.

أما علي رضي الله عنه فلم يكن عنده من مال ينفقه لا من قبل الفتح ولا من بعده، وكان في مكة في كفالة النبي ﷺ كما هو معلوم. وبقيت حال الفقر وضيق ذات اليد ملازمة له طيلة حياة النبي ﷺ؛ فلا يعرف عنه أنه تمكن من عون النبي ﷺ أو أحد من المسلمين أو جهز جيشًا أو حل معضلة مادية. وقدم الله تعالى الإنفاق على القتال لأن الدعوات إنما تقوم أولًا على مال المنفقين لا على قوة المقاتلين. فهذا العنصر الأول والأعظم من عناصر التفضيل كله لأبي بكر رضي الله عنه عملًا وسبقًا.

وأما القتال فلأبي بكر رضي الله عنه منه النصيب الأعظم والقدح المعلى؛ إذ كان قتاله قتال القادة المخططين الذين يرقبون ميدان المعركة يديرونه ويوجهونه ولا ينزلون لمباشرة القتال بأنفسهم إلا عند الحاجة القصوى، فكان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في مركز القيادة يخطط ويرقب مجريات المعركة ويوجهها. وهذا أعظم في الميزان من قتال الجندي الباسل في الميدان مهما بلغت درجة بسالته وفتكه بالأقران كما كان شأن علي رضي الله عنه في قتاله للمشركين. فضلًا عن سبق أبي بكر رضي الله عنه في الدفاع عن رسول الله ﷺ في

مكة بين صناديد الشرك وعتاة الجاهلية، حتى قبل أن يؤذن للمسلمين بالقتال، عندما لم يكن له نصير من المؤمنين سواه، فخليفة رسول الله سبق جميع الصحابة في الجهاد باليد وبالمال وبالفكر واللسان والقيادة والتخطيط والمشورة وتدبر مستقبل الأمة مع رسول الله ﷺ.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يستأذن النبي ﷺ في النزول للمبارزة ومباشرة القتال، كما حصل عندما برز ابنه عبد الرحمن في بدر - وكان مشركًا - فأراد أبو بكر أن يبرز له فمنعه النبي ﷺ قائلًا: «**متعنا بنفسك يا أبا بكر**». فكان يمنعه ويأذن لغيره لأن النبي ﷺ لا يجد من يقوم عنده مقام أبي بكر رضي الله عنه بينما يمكن أن يكلف أي رجل من أصحابه رضي الله عنهم ليقوم بمهام القتال المباشر كما هو ظاهر في السيرة وتاريخ الرسالة، كما انتدب محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي بعد أن حرّض قريشًا ورافضي الإسلام من الأعراب على غزو المدينة وبعد أن شبب بنساء المسلمين بأشعاره، ولم يقف عند تحذيرات المسلمين له وطلبهم منه كف بوائقه عن المسلمين؛ وكما انتدب عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري رضي الله عنه لقتل خالد بن سفيان الهذلي في وادي عرنة[1] وكما انتدب عليًّا رضي الله عنه لقيادة الكتيبة الاقتحامية في خيبر، فكان فتح الحصن على يديه، وأمثال ذلك مما كان يحصل في الغزوات والسرايا الأخرى، ومن بعد ذلك كثرت هذه النماذج أيام الفتوح حتى أصبح بالإمكان جعلها عنوانًا لرسالة دكتوراه أو بحثًا لكتاب مميز يرد على مروجي الفكر الانهزامي الذي يكاد أن يسود جميع المفاصل الرسمية في هذا العصر الذي كثرت عجائبه وغرائبه.

ودافع أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قبل الهجرة وبعد الهجرة بماله ونفسه، وضارب عنه بيده وضُرب من أجله حتى أدمي وأغمي عليه، وهو يصيح في المشركين: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[2] يقصد النبي ﷺ وذلك في مكة، وهو من جنس

(١) ينظر الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢١٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

القتال الممدوح، فكان رضي الله عنه سابقًا في هذا ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] وكذلك كان قتال النبي ﷺ هو قتال القادة، وهو لا يقاس بعدد من يقتل أو الجهد البدني الشخصي المبذول في ساحة القتال، إنما هذا هو شأن الجندي وعمله. ولذلك لا يعرف أن النبي ﷺ قتل إلا القليل النادر ولكنه أفضل وأعظم من قاتل وجاهد في سبيل الله، وبهذا يتضح أن كل من يريد أن يقول بأن هناك من أصحاب رسول الله ﷺ من تقدم على أبي بكر رضي الله عنه في باب من أبواب العمل الإسلامي في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ فإنما هو من باب الجهالة أو الضلالة والتضليل، من أمثال ما يفتريه الرافضة والمستشرقون وإخوانهم من العلمانيين الذين لم يرضهم دين محمد ﷺ الرباني الحضاري الإنساني العالمي؛ حتى استبدلوه بأباطيل ونتن الحضارة الغربية القائم على حرب الإسلام بمسميات وأشكال مختلفة، فارتضى كثير منهم أن يكونوا حصان طروادة الذي يخترق الأمن والفكر الإسلامي! واستسهلوا تبديل ثوابت عقيدتهم بسراب فكر الحضارة العلمانية والصليبية لكيلا يتحملوا مشقة تبعات الإصلاح والتضحية ومواجهة الطغيان في بلاد المسلمين، وتحرير فكر الأمة وهويتها وسيادة عقيدتها، فانقادوا لمن يسير بهم على طرق الوهم بقصد إرباك مسار الإيمان الذي سلكه أحرار المسلمين ودفعوا على جنباته ثمن إعزاز الدين وأهله، فكانوا بانحرافهم هذا شرّ مبعوث وشرّ وارد يستبدلون الأدنى بالذي هو خير.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] فاتضح فضل أبي بكر رضي الله عنه وتجاوزه عن حظوظ نفسه أو الانتصار لها، وظهر انقياده التام لما يأتي به القرآن وحرصه الدائم على السبق في ميادين المعالي بما في ذلك العفو والصفح عمَّن بادر بالأذى وانتهاك حرمة القرابة وأواصر الرحم، فقد كان له قريب اسمه

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

مسطحِ بن أثاثة ينفق عليه ويحسن إليه، فلما خاض المنافقون والذين في قلوبهم مرض في الباطل والبهتان والكذب والنميمة على أهل رسول الله ﷺ أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها، كان مسطح هذا من الخائضين معهم في عرض رسول الله ﷺ وعرض أبي بكر رضي الله عنه دون أن يرقب فيه إلًّا ولا يدًا، تأثرًا بإعلام أهل النفاق والرفض الذين كثيرًا ما يشككون المؤمنين بأنفسهم أو بإخوانهم. فلما أنزل الله جلّ وعلا براءة الطاهرة أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عائشة رضي الله عنها وفضح أعداء الصحابة المنافقين وأبان كذبهم في سورة النور، حلف أبو بكر رضي الله عنه ألَّا يصل مسطح بن أثاثة ولا ينفق عليه أبدًا. وذلك أقلّ ما يمكن أن يجازي به من طعن في عرضه الشريف الطاهر. ولا نعرف أحدًا يمكن أن تسخو نفسه فيستمر بالإنفاق والإحسان إلى من شارك مع من طعن في عرضه وشرفه! اللهم إلا إذا بلغ أعلى الدرجات في حسن الخُلق وكرم النفس، وأسماها في إنكار الذات من أجل عمل الخير للخير ذاته! فكانت هذه الدرجة العالية السامية هي التي أرادها الله تعالى أن تكون زينة وتاجًا على رأس محاسن أخلاق الصدّيق، فحببها إليه وزيّنها في عينيه ودعاه إليها بقول الله تعالى الرفيق الشفيق على عباده: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] وكان جواب أبي بكر رضي الله عنه حين سمع توجيه الله إليه بهذه الآية قال: بلى يا رب أحب أن تغفر لي. وعاد إلى مسطح يصله وينفق عليه!! وهذا الفضل لم يوفق إليه إلا طراز خاص من المؤمنين، قال الله عز وجل

(١) سورة النور، الآية: ٢٢. تأمل رحمة الله تبارك وتعالى ولطفه في خطابه لعبده أبي بكر ليخرج ما علق في قلبه على مسطح الذي آذاه، فيصفه تعالى بأنه من أولي قرباه المساكين ومن المهاجرين، رغم انخداعه بالمنافقين وخوضه معهم في الطعن في عرض رسول الله ﷺ، وفيه عظمة منزلة المهاجرين عند الله، وأنه يحبهم ويغفر لهم ما لا يغفر لسواهم، كما قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه في موقف مشابه مع حاطب رضي الله عنه: «**وما يدريك يا عمر! لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم!**».

عنهم: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[(١)] وما كان الله تعالى ليرضى لصاحب رسوله ﷺ وخليفته إلا أن يكون من هذا الطراز الخاص صاحب الحظ العظيم والخلق القويم! المتخلق بأخلاق الأنبياء في العفو والصفح، ولكي تظهر عليه آثار أخلاق صاحبه في ذلك؛ إذ إن للصحبة آثارها في أخلاق الأصحاب وسلوكهم نتيجة لتفاعلات تجاربهم وتمازج خواطرهم وآمالهم. وكلما كانت الصحبة أصدق، والنفس أصلح وأكثر استعدادًا للتأثر تجلت أخلاق الصاحب في صاحبه أكثر، حتى يمكن أن يكون صورة أخرى له تعكس ما في صورة الأصل من قسمات وملامح؛ لأن الأثر يعتمد على قوة المؤثر وعلى مدى صلاحية المتلقي للتأثر. قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٢)]. وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: اعتبروا الناس بأخدانهم. أي بأقرانهم وأصحابهم. قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي[(٣)]

وآثار صحبة الصديق رضي الله عنه واضحة في أخلاقه وعلمه وإيمانه وجهاده وولائه وبرائه، وكانت معالم هذه الآثار من الظهور والبروز والوضوح ما يشكل دليلًا قاطعًا على صدق هذه الصحبة وقوة عراها وسمو مقاصدها وعلو منزلتها التي قطف المؤمنون ثمارها اليانعة بإمامة وقيادة الصديق رضي الله عنه التي عليها مسحة من شمائل النبوة وعبقها بعد وفاة رسول الله ﷺ[(٤)].

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سنن أبي داود: ك. الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣) المستدرك، باب وكتاب البر والصلة، ح (٧٣١٩).

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول، ٥٨٣. مجموع الفتاوى: ٤/ ٤٢٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٣.

(٤) ينظر: الدليمي: إمامة أبي بكر الصديق من المنهج القرآني الفاصل. ٢٤ – ٣٤.

- في تصديق أبي بكر رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1] فالذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وأعظم من صدق به الصديق رضي الله عنه؛ فهو أول المقصودين بالآية وما بعدها، وقد سبق الكلام عن أن المقصود بذلك هو أبو بكر رضي الله عنه كما اتضح في شرح أسباب تسميته بالصديق رضي الله عنه، وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[2] إشارة إلى آية الغار: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فكما نصره بواحد كذلك صدّقه بواحد ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[3].

ولا شك أن المصدقين لرسول الله ﷺ كثير، ولكن أولهم وأعلاهم تصديقًا أبو بكر الصديق لشدة صدقه وقوة إيمانه وعميق يقينه. وقد ذكر الذهبي أن أبا بكر بن عبد العزيز غلام الخلال سئل عن هذه الآية فقال: نزلت في أبي بكر. فقال السائل: بل في علي. فقال: أبو بكر؛ اقرأ ما بعدها فقرأ إلى قوله: ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾[4] فقال: علي رضي الله عنه عندكم معصوم لا سيئة له فما الذي يُكفر عنه؟! فبهت السائل كما هو حال الرافضة في أباطيلهم وتزييفهم لمقاصد كثير من الآيات والأحاديث[5].

- آية الصادقين:

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[6] وأبو بكر الصديق أصدق الصادقين بعد رسول الله ﷺ هاجر مع رسول الله ﷺ وأُخرج من داره وماله وأنفق ما يملك ابتغاء

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢)، (٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦. (٤) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

(٥) الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ٤٧٠.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٨.

فضل الله ورضوانه، وهو أكثر الناس نصرة لله ولرسوله ﷺ، وقد أنزل الله تعالى فيه وفي المؤمنين هذه الآيات التي يستنفر بها همم المؤمنين جميعًا ويضرب لهم المثل بأبي بكر الصديق وكيف نصر الله رسوله ﷺ. فقال: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] فلم يستثن من هذا العتاب الموجه إلى جميع المؤمنين؛ إلا النبي ﷺ ومعه صاحبه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي ذلك إشارة بيّنة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه تظهر في قوله تعالى: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ لأن الخليفة لا يكون إلا ثانيًا وإنما استحق أن يقال ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي به أولًا وحتى أعاد المرتدين إلى ما كانوا عليه في حياة النبي ﷺ فاستحق بذلك أن يقال له ثاني اثنين[2].

فكان أبو بكر رضي الله عنه أفضل الصادقين الذين نصروا الله ورسوله، فهو الأولى بالإمامة؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[3] فأمر جميع المؤمنين أن يكونوا تبعًا للصادقين وهم تبع لأصدقهم وأفضلهم. وبهذه الآية احتج أبو بكر رضي الله عنه على الأنصار في أن المهاجرين أولى منهم بالإمارة وأن المهاجرين هم الأمراء. والأنصار هم الوزراء، فكان أبو بكر رضي الله عنه إمام الأئمة وقائد الأمة ولا إمام إلا هو في حياته وكل من يسمي أحدًا من الصحابة أو غيرهم إمامًا معتقدًا أنه أولى من أبي بكر رضي الله عنه في أمر من أمور الأمة فإنما هو مفترٍ على الله ورسوله ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار الذين اختاروه قائدًا وإمامًا لهم رضي الله عنهم.

في الاستخلاف والتمكين:

وهي قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]

وقد ظهر مصداق قوله تعالى في ذلك حين مكّن للمؤمنين وجعل منهم الخلفاء الراشدين، وأولهم خليفة رسول الله ومن بعده أمراء المؤمنين بالحق عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن سار على هديهم. ومكن الله للمؤمنين وحصل لهم من الأمان والاطمئنان والقوة والإيمان في زمن خليفة رسول الله ما استطاعوا به أن يزعزعوا كيان أكبر وأعتى إمبراطوريتين فارس والروم.

وكان نصيب أبي بكر رضي الله عنه من الاستخلاف والتمكين والأمن عظيمًا بينًا يُبطل كل تلبيسات الرافضة والمغرضين المُحرفين للكلم عن مواضعه عندما ينسبون التمكين إلى أخيه علي رضي الله عنه، بينما هم يعلمون يقينًا أن عليًّا رضي الله عنه لم يتمكن من بسط سلطان خلافته على جميع المسلمين أو بلادهم، ولم يبلغ من القوة والتمكين ما يستطيع به إخضاع مخالفيه أو حتى السيطرة التامة على من كان يزعم أنه من شيعته، ثم انقلب عليه كما فعل ذلك الشيعة الذين خرجوا عليه رضي الله عنه، بل طمع في عهده الروم بالمسلمين، وفكروا في غزوهم حتى هددهم معاوية رضي الله عنه بمصالحة ابن عمه علي رضي الله عنه والتفرغ لهم والمسير إليهم إن لم يكفوا، فرجعوا عما همّوا به وعزموا عليه.

آية التمكين:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أولى الأمة بهذه الآية الكريمة وعلى أهل السنة ألّا يتأثروا بتخليط أعداء الصحابة وبهتهم فيرددوا معهم ودون وعي أن فلانًا إمام والآخر إمام لخلط الحق بالباطل، وذلك لأسباب عديدة منها:

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

- أنه صلى بالنّاس إمامًا في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته. وكان غيره يصلي خلفه مأمومًا، منهم علي رضي الله عنه وبقية الصحابة. وصلاة الإمام أكمل من صلاة المأموم. وإلا لم ينبغ له التقدم عليه إلا لعذر، وتقدم أبي بكر لإمامة المسلمين في الصلاة كان بأمر النبي ﷺ وتزكيته وهو القائل ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**».

- أنه صلّى أول الإسلام وهو رجل بالغ. وصلاة البالغ أكمل وأوجب، فإن صلاة الصبي على سبيل الاستحباب وصلاة البالغ على سبيل الوجوب، والواجب أحب إلى الله ولذلك أوجبه على العباد، فكيف ينساق البعض ممن يحسب على أهل السنة للمقارنة بين خليفة رسول الله وإمام الأمة بغيره من إخوانه الصحابة الذين لم يبلغوا ما بلغه رضي الله عنه.

- أنه لما مكن الله له في الأرض قاتل من رفض الصلاة وأرجع المرتدين إلى الإسلام فأقاموا الصلاة، ونشر الإسلام خارج الجزيرة العربية فصار الناس يقيمون الصلاة في تلك البلدان فاكتمل في حقه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. وعلي رضي الله عنه لما مكن الله له، حكم أناسًا مسلمين يصلون ولم يتمكن لانشغاله بإخماد الفتن من نشر الإسلام وتحقيق الفتوح كما فعل الراشدون من قبله بل ابتلي بقتال المؤمنين! وبخيانة من كان يزعم أنه من شيعته، وتمردهم عليه وغدرهم به ورفضهم لأوامره واغتيال الرافضة له في مسجده كما فعلوا بأخويه عمر وعثمان رضي الله عنهما، وهم الآن من شدة مكرهم بالمسلمين وسخريتهم من الإسلام وأهله يتباكون على علي رضي الله عنه الذي قتلوه بأيديهم، وبالوقت ذاته يشتمون أخويه في الجهاد والسابقة زوج ابنته أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها عمر الفاروق رضي الله عنه وابن عمته زوج ابنتي رسول الله ﷺ عثمان الشهيد رضي الله عنه، كل هذا يفعلونه للتغطية على ما اقترفت أيديهم الآثمة، ولإبعاد الشبهة عن جرائمهم وغدرهم بآل بيت رسول الله ﷺ ومكرًا بأهل السنة النبوية المطهرة، ليشقوا صفوفهم ويمزقوا جماعتهم ويغتالوا أخيارهم فلا يدافع عنهم أحد، كما هو حاصل في هذا العصر من جمود وتبلد خطاب عامة أهل السنة الذي لا يميز بين من يناصبهم العداء

وبين من يدفع دمه دفاعًا عنهم، يظهر ذلك جليًّا في خطاب كثير من علمائهم المائع المخادع المدلس الذي أسهم في ذوبان هويتهم وتصدع جماعتهم.

- وأما الزكاة فقد أداها أبو بكر رضي الله عنه عن نفسه وعن عياله وأنفق ماله تطوعًا وجهادًا في سبيل الله ونصرة المؤمنين، ولم يفعل ذلك علي رضي الله عنه **أولًا** لصغر سنه وعدم قيامه بكفالة نفسه فضلًا عن أن يؤدي زكاة حال على نصابها الحول، **وثانيًا** لفقره بعد مرحلة بلوغه وعدم اكتمال النصاب الموجب للزكاة عليه، فاختص بأداء هذه الفريضة خليفة رسول الله قبل غيره من إخوانه الصحابة رضي الله عنهم توفيقًا من الله تعالى.

ولما مكن الله لأبي بكر رضي الله عنه قاتل الناس على الزكاة حتى صاروا يؤدونها، سواء منهم من كان مسلمًا فامتنع عن أدائها أم كان كافرًا فأسلم، وعلي لم يفعل ذلك في حال تمكينه لانشغاله بإخماد الفتن، وقد قتل فيها الألوف من المصلين والمزكين من الطرفين. ومن الطبيعي أن تستنزف الحروب الداخلية أموال الأمة ومواردها مما يؤدي إلى افتقار كثير ممن كانوا يؤدون الزكاة، ويجعلهم غير قادرين على أدائها! فخليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه لما مكن الله له في الأرض أقام الصلاة وآتى الزكاة، فهو أولى بالخلافة والتمكين لاستيفائه شروطه كاملة. وكل من الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين له من ذلك بقدر تمكنه في الأرض وإقامته لفرائض الإسلام وإعزازه للمسلمين وحفظ دمائهم وأموالهم.

في قتال أبي بكر رضي الله عنه لأولي البأس الشديد:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

وهذه الآية لم تكن إلا في حق أبي بكر رضي الله عنه لأن النبي ﷺ لم يقاتل بعد هذه الآية - أي بعد صلح الحديبية - قومًا أولي بأس شديد فأسلموا. فيهود خيبر لم يسلموا.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦.

ومكة فتحت بلا قتال أو بأس شديد. وأهل حنين ووادي أوطاس لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وإن كانت لهم جولة في بداية المعركة بسبب مفاجأتهم المسلمين في كمينهم وبسبب عدم وضوح الرؤية عند الفجر ووجود بعض الأعراب وجديدي العهد بالإسلام من أهل مكة وغيرهم الذين فاجأهم العدو بكثرة سهامه وتمويه مواقعه. وأهل الطائف أسلموا بعد ذلك طواعية ولم يسلموا بقتال. وتبوك لم يحصل فيها قتال ولم يسلم أحد. هذا كل ما حصل للنبي ﷺ بعد نزول الآية، فليس هو المقصود بها ﷺ.

وعلي رضي الله عنه لم يقاتل أحدًا في عهد خلافته على الدخول في الإسلام، بل قاتل أناسًا مسلمين قاتل أهل مكة والمدينة فيما يسمى بيوم الجمل ولم يكن قتالًا على الإسلام، فما كان أحد الفريقين يتهم الآخر بالخروج منه فهو يقاتله ليدخله فيه، ولم يحدث أي تحول في اعتقاد الفريق الذي قاتله.

والخوارج لم يكونوا كفارًا بل مبتدعين ولم يقاتلهم علي على بدعتهم للرجوع عنها، وإنما لأنهم حملوا السلاح وسفكوا الدم الحرام وقطعوا الطريق وأخافوا الناس بعد أن أقام عليهم الحجة وقال لهم رضي الله عنه: لكم علينا ألّا نمنعكم مساجدنا ولا نمنعكم فيئكم ما دمتم تقاتلون معنا ما لم تحدثوا حدثًا. وقاتلهم فلم يرجع أحد منهم عما هو فيه، بل ظلوا خارجين حتى قتل رضي الله عنه وهو يوصي بهم قائلًا: لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه[1]. ولو كانوا كفارًا أو مرتدين لما نهى عن قتالهم وجعلهم متأولين في ارتكابهم الباطل غير قاصدين إليه أصلًا. ورغب بالعفو عن قاتله فقال: إن أَبْقَ فأنا ولي دمي، وإن أَفْنَ فالفناء ميعادي، وإن أعفُ فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم[2]؟ والمرتد يجب قتله- إلا إذا تاب- فكيف وهو

(١) نهج البلاغة ١/ ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٢١. ومعلوم الدس والوضع والتلفيق في كتاب نهج البلاغة، وأن هذه الألفاظ لم ترد في الصحاح ولا في السنن، وإنما لفقت لمقاصد أخرى تخدم مخططات أعداء الصحابة والعمل على تأمين الحماية لهم أثناء أداء بوائقهم.

مصرّ، بل مرتكب لجريمة القتل مع سبق العمد والترصد والإصرار؟!

وقال رضي الله عنه: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي[1]. فسمى الخوارج مسلمين ونهى عن الخوض في دمائهم. إنما الذي قاتل القوم أولي البأس الشديد ممن ذكرتهم الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ قاتل الرافضة المرتدين الذين يقودهم مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنبئون الكذابون وكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد حتى انهزموا أو استسلموا أو أسلموا، والله تعالى دعا المخلفين من الأعراب إلى القتال معه ووعدهم بالأجر الحسن على ذلك، وهذا دليل على صحة إمامته وإلا لما رغَّب الرب في القتال تحت رايته ومع جنده رضي الله عنه، وهذا ما يفحم الغوغاء الذين يجترون إفك الرافضة دون أن يتفكروا بما يكتبون، وإلا فلم أنكر الرافضة والمتذبذبون أن المرتدين المتنبئين بالرفض والكذب هم أولو بأس شديد سحقه أبو بكر رضي الله عنه بقيادته لأصحاب رسول الله ﷺ؟ فإنه قاد جحافل المجاهدين في سبيل الله، لمجاهدة طغيان جاهلية الفرس والروم أولي القوة والبأس الشديد الذي لا زال يحالفه الرافضة لهدم السنّة واستباحة أهلها، جاهدهم وانتصر عليهم وأدخل الرعب في قلوب جبابرتهم حتى أخذت جيوشهم بأعدادها وعددها تفر من أمام جند خلافة النبوة، حتى طهر الصديق رضي الله عنه الأرض من طغيانهم ومن ظلمهم وبغيهم وعلى كل الجبهات؛ فهل ينكر هذا إلا غبي مفضوح بالكذب والنفاق لا قيمة لإنكاره وجحوده أمام قوة الحقيقة الناصعة؟! بل حتى لو أنكر أعداء الصحابة أن خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه هو الذي نال شرف سحق الردة الرافضة لخلافة النبوة فهذا هو القرآن يشهد له بذلك ويطمس بهتان أعداء الصحابة ومن اجترَّ باطلهم.

قتال أبي بكر رضي الله عنه للمرتدين:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٧٧.

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

لقد من الله تعالى بهذه الآية على خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم بصفات تؤكد حقيقة خلافة النبوة وحقيقة أهلها الذين جاءت بعض صفاتهم الكريمة بهذه الآية الكريمة التي لا يستطيع أحد أن ينكر أنها في أبي بكر رضي الله عنه وجنده الأبرار الأخيار الذين لا يحبهم إلا مؤمن تقي ولا يبغضهم إلا منافق شقي. وهذا ملخص قول الإمام الرازي في الآية:

إن هذه الآية يجب أن يقال: إنها نزلت في حق أبي بكر رضي الله عنه والدليل على ذلك أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين. وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي تولى محاربة المرتدين ولا يمكن أن يكون المراد بها رسول الله ﷺ لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين[2]... ولا يمكن أن يكون المراد عليًّا رضي الله عنه كما يفتري الرافضة؛ لأن عليًّا لم يتفق له قتال أهل الردة. ومن قال بمثل هذا من أعداء الصحابة ليشبه على المسلمين فإن شبهته باطلة من وجهين.

الأول: إن اسم المرتد إنما يتناول من كان مسلمًا ثم ترك الشرائع الإسلامية التي كان يؤمن بها وارتد إلى الوثنية أو المجوسية أو عبادة القبور أو الأشخاص الذين يشرعون من دون الله تعالى مثل من يبطل فريضة الزكاة ويشرع الخمس من أموال الناس، وليس من غنائم الجهاد المشروع في سبيل الله تعالى، والقوم الذين نازعوا عليًّا ما كانوا كذلك، وما كان أحد يقول: إنه إنما حاربهم لأجل أنهم خرجوا عن الإسلام، وعلي لم يسمهم بغير المسلمين، وكل لفظ مخالف للشرع فإنما هو من صناعة الرافضة أعداء علي والصحابة رضي الله عنهم وكان علي رضي الله عنه يقول: «إن قومًا زعموا أن البغي كان منّا عليهم وزعمنا أنه كان

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) الرازي: تفسير الرازي، ١٢/ ٢٧٦.

منهم علينا، وإنما اقتتلنا على البغي ولم نقتتل على التكفير»[1] والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[2] لكن الرافضة يردون قول الله تعالى وقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويصنعون أقوالًا مضادة للشرع ولما جاء به سيد المرسلين ﷺ. والغوغاء تردد ما تسمعه دون تمحيص أو تفكير، لموت حاسة الانتماء في زوايا عقولهم، فيسمعون كل ما يقال ويقولون كل ما يسمعون، ويجعلون قول الله عز وجل كقول العباد العصاة المفترين.

الثاني: أنه لو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويردونهم إلى الدين الصحيح، ولما لم يوجد ذلك البتة اتضح أن منازعة علي رضي الله عنه في الإمامة إنما هي اجتهاد مبني على تأويل معتبر؛ منه وجود قتلة الخليفة الشهيد عثمان رضي الله عنه في جيشه دون أن يقيم عليهم الحد. ولما لم تكن منازعته ردة اتضح أن الرافضة مفترون وأنهم يكذبون على المسلمين من أجل تسعير الفتن بينهم، وتأكدت صلتهم بالمرتدين ودفعهم عنهم وبهتانهم على خليفة رسول الله وجنده الطيبين الطاهرين؛ وتبين أن الآية الكريمة لا يمكن أن تحمل على حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بوجه من الوجوه؛ لأنها نزلت فيمن يحارب المرتدين ويقاتلهم على رفضهم لخلافة النبوة وكفرهم بأركان الإسلام، وهم القوم الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه ويجاهدون في سبيله لا يخافون لومة لائم بفضل الله الذي وفقهم إلى ذلك وهم جند أبي بكر رضي الله عنه بينما الرافضة الذين يدافعون عن المرتدين ويتحالفون مع المشركين والصليبيين هم أبعد الناس عن جند أبي بكر وجند علي، والرافضة ومن والاهم جنس آخر يوالي الكفر ويكره الصحابة ويعادي محمدًا ﷺ وأنصار دينه رضي الله عنهم، ومن هنا تأتي خطورة العالِم السني إذا زعم أن هؤلاء المحاربين للصحابة وللسنّة يمكن احتواؤهم أو التعايش معهم وهم لهم شوكة؛

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣/ ٣٤٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/ ٣٠٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٥١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

لأن ذلك يناقض الواقع الذي عاشوه مع الأمة في كل مراحلها، وأنهم إذا أصبحت لهم شوكة فإنه لا عدو لهم سوى أصحاب رسول الله وأهل السنة النبوية وأن من يهون من حال الرافضة المعلومة هذه ومن ثقافة الحقد على أهل السنة التي يتسلحون بها فإنما هو مدلس غاشٌّ لأهل السنّة وملبس عليهم دينهم ومعين عليهم عدوهم لاستباحتهم وهتكهم وردهم عن الإسلام.

وكلمة (مَن) في معرض الشرط للعموم فقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية، يدل على أن كل من صار مرتدًّا عن دين الإسلام فإن الله يأتي بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم. فلو كان الذين نصبوا أبا بكر حاشاهم كذلك كما يدين بذلك أعداء الصحابة، لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم. ولم يكن الأمر كذلك بل كان بالضد، إذ قهر الله خصومهم وقمع بهم المرتدين. وعلي رضي الله عنه لم يحارب أبا بكر رضي الله عنه بل حمل السيف وجاهد تحت لوائه في وجه المرتدين، وكان هو على رأس الكتيبة التي تولت حراسة المدينة حينما خرج أبو بكر بنفسه ليقود أول معركة معهم حول المدينة. ولما انتهت المعارك بدحرهم على يد أبي بكر أكرم عليًّا فزوجه بسبية من بني حنيفة ولدت له ابنه محمد ابن الحنفية. وهذا دليل آخر على ردتهم وكذبهم في دفاعهم عن المرتدين؛ لأن عليًّا رضي الله عنه قبلها من الصديق رضي الله عنه ونكحها نكاح ملك اليمين. وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه المرتدين تحت لواء جند أبي بكر رضي الله عنه حتى صُلمت أذنه، ويعيِّرُهُ يومًا رجل فيقول: ياذا الأذن فيجيبه عمار رضي الله عنه بقوله: خير أذنيَّ سببت. أي أن خير أذنيه هي التي فقدها وهو ينفذ أمر الصدّيق رضي الله عنه في قتال المرتدين. وفي الآية صفات الصدّيق وجنده الذين قاتلوا المرتدين الرافضين لخلافة النبوة:

أولها: أنه سبحانه وتعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فلما ثبت أن المراد بها هو أبو بكر رضي الله عنه ثبت أن قوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وصف لأبي بكر رضي الله عنه فدل ذلك على صحة

إمامته وفرضية مبايعته وأن الله تعالى يحب أبا بكر وجنده وهم يحبون الله تعالى، وأن من يبغضهم فهو مبغض لنبيهم ولربهم جلّ في علاه.

وثانيها: قوله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وهو صفة أبي بكر رضي الله عنه أيضًا لأنه هو المراد بالآية ويؤيده الخبر المستفيض أنه ﷺ قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**» فكان موصوفًا بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة على الكافرين كما أحرق الفجاءة السلمي حين ارتد وخدعه وغدر به وقتل المسلمين الذين لم يرتدوا ويرفضوا خلافة النبوة.

ألا ترى أنه في أول الأمر حين كان رسول الله ﷺ في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عنه، وكيف كان يلازمه ويخدمه وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وآخر الأمر في خلافته لم يلتفت إلى قول أحد وأصرّ على أنه لا بد من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى لو آل الأمر إلى أن يخرج إلى قتال القوم وحده، فكان أشد الصحابة في ذلك وأعزهم على الكافرين فكان قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لا يليق إلا به ولا ينطبق إلا عليه وعلى جنده رضي الله عنهم!

وثالثها: قوله: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي، إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل. وذلك أن مجاهدة أبي بكر الكفارَ كانت في أول البعثة عندما كان الإسلام في غاية الضعف، والكفر في غاية القوة، فكان أبو بكر رضي الله عنه يجاهد الكفار بمقدار قوته ويذب عن رسول الله ﷺ بغاية وسعه. وأما علي رضي الله عنه فإنما شرع في الجهاد يوم بدر وأحد، وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويًّا وكانت العساكر مجتمعة وكانت دولته ناشئة. فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي من وجوه:

الأول: أنه كان متقدمًا عليه في الزمان فكان أفضل بفضيلة السابقة التي لا يعدلها شيء آخر.

والثاني: أن جهاد أبي بكر رضي الله عنه كان في وقت ضعف الرسول ﷺ وحاجته الماسة

إلى المساندة والمناصرة، وجهاد علي رضي الله عنه كان في وقت تغيرت فيه الموازين وكثر فيه الأنصار، فهناك مع علي كان طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة، وكل هؤلاء أقران لعلي رضي الله عنه في الشدة على الكافرين والنصرة للمؤمنين.

الثالث: أن أبا بكر رضي الله عنه تفرد عن علي بالجهاد بالمال وهو النصف الأول من عناصر التفضيل التي جاءت في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[1].

الرابع: أن جهاد أبي بكر رضي الله عنه كان جهاد القائد المخطط المدبر الآمر، وجهاد علي رضي الله عنه كان جهاد الجندي الباسل المبارز، والفرق شاسع بين الموقفين وما يترتب على نتائج كل منهما في عوامل النصر أو الهزيمة.

والخامس: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهذا منطبق على أبي بكر لأنه متأكد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ ولما كان الأمر كذلك وجب القطع بأن المعني في كل هذه الآيات المباركة هو إمامة أبي بكر رضي الله عنه، وأنه الأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة وإمامتها، وأنه هو الذي اجتمعت به كل مواصفات خلافة النبوة، وأن كل من يزعم غير ذلك فإنما هو من بقية المرتدين وأذناب اليهود والصليبيين الرافضين لما جاء به سيد المرسلين ﷺ وأن كل ما يهذي به الرافضة في هذا الباب إنما هو مخالف لصريح القرآن ومكذب لما صدقه الواقع التطبيقي في الحياة، ومع كل ذلك يتمسكون بأباطيلهم الكاذبة من أجل التشكيك وإثارة الفتن لتفريق الصفوف ورد السنة، فهم لا يعتمدون على نقل صحيح ولا على منطق سليم؛ ولا يبالون إن كذبت أقوالهم القرآن أو السنة أو واقع الحياة، كما هو حاصل في تكذيبهم لما سبق من القرآن ولما جاء يصدق ذلك في مثل قوله تعالى في آية الولاية التي تصدق كل ما سبق، والحقيقة التي يجب أن تثبت في عقل القارئ المؤمن أنه لا عبرة بمواقف أعداء الصحابة لأنهم يدينون

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

بالتقية، فلا يجوز الثقة بموقف أو عهد أو وعد يقطعونه وكيف يوثق بهم والتقية تبيح لهم اجتياح الأيمان المغلظة، والبداءة تبيح لهم أن يعتذروا بكل ما يبعد عنهم الشبهات ويحفظ لهم أسرار التآمر على الأمة؟ ولكن البلاء ممن يزعم أنه من أهل السنة وهو غارق في أوحال الجهل وظلمة الغباء فيصدر الفتاوى ويجتر الخطب الطنانة التي ينخدع بها الغوغاء والبسطاء وتحفظ لأعداء الصحابة أسرارهم وتمرر كيدهم ومكرهم بالأمة، لهذا فالقاعدة القويمة التي تحفظ لأهل السنة صحة الفهم وسلامة الوحدة هي أن كل من لا يثق بأصحاب رسول الله ﷺ لا يثق بأهل السنة، وكل من لا يثق بالصحابة والسنة فإن أهل السنة لا يثقون به ولا يصدقونه ولا كرامة كائنًا من كان.

آية الولاية وبراءة علي من أعداء الصحابة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] وهذه آية عامة ولكن أوصافها لا تنطبق في كل المقاييس تمامًا إلا على أبي بكر رضي الله عنه الذي كان الأولى بأوصاف هذه الآية لأنه هو أول من أقام الصلاة وأعلن بها من المؤمنين بين ظهراني المشركين في مكة، وهو الذي أمّ المسلمين بها في حياة رسول الله ﷺ في المدينة وبأمره، وبصلاته إلى جنبه إمامًا بالمسلمين وبصلاته ﷺ خلف أبي بكر مأمومًا به وبحضور الصحابة المكرمين رضي الله عنهم وتمسكه به مع محاولات من أراد الاعتذار له عن الإمامة ولومه من فعل ذلك اللوم الشديد، ولم يجز الإمامة لسواه قبيل وفاته ﷺ فخليفة رسول الله هو الإمام الشرعي للأمة بأجمعها ولا إمام للأمة سواه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكل من يُطْلَقُ عليه اسم إمام من الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ فهو بغير أمر رسول الله ﷺ ولا بتسميته، وكل من تسميه الرافضة باسم إمام إنما هو من تخيلاتهم وتلبيساتهم لا يستطيعون أن يأتوا بنص واحد صحيح يثبت صحة ما يزيفون ويفترون، بينما النصوص الصحاح التي لا تُرَدُّ تنطق

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

بإمامة أبي بكر على لسان رسول الله ﷺ، فشتان بين من يسميه رسول الله ﷺ إمامًا وبين من يسميه من رفض سنة رسول الله ﷺ ودينه وشتم أهله وكفّر أصحابه رضي الله عنهم كما يفعل ذلك أعداء الصحابة ومبغضو السنة المطهرة.

وأبو بكر رضي الله عنه آتى الزكاة على المستويين الفردي والجماعي على أكمل وجه وأتمه؛ وكان خصومه من المشركين والمرتدين واليهود والصليبيين والمجوس والرافضين لسنة النبي الأمين ﷺ مكبوتين مغلوبين مقهورين مردود بغيهم وظلمهم إلى نحورهم. وتحقق لخليفة رسول الله الغلبة والتمكين في الأرض على كل من عبث بفريضة الزكاة أو من حاول أن يحولها عن الوجه الذي أراده الله تعالى لها، كما يفعل أعداء الصحابة الذين يسلبون من أموال الناس الخمس دون وجه حق ويصرفونه على شهواتهم وأهوائهم؛ فإن الله تعالى مكّن لأبي بكر رضي الله عنه في الأرض وبايعته الأمة جميعًا ونصره الله تعالى على المرتدين نصرًا حاسمًا، وما مات رضي الله عنه إلا وجيوشه المجاهدة تطارد جيوش أكبر دولتين في العالم آنذاك وتحرز النصر والغلب المتلاحق عليهم. بينما علي رضي الله عنه لم يكن سلطانه مبسوطًا، ولم يتغلب إلا على الشيعة الخوارج، وكان غلبًا جزئيًّا إذ ظلت فلولهم هنا وهناك تعيث فسادًا حتى تمكن أهل الكوفة بغدرهم وباطنيتهم وعداوتهم للصحابة وللعرب في نهاية المطاف من اغتياله وقتله رضي الله عنه وللتلبيس على الناس، وزيادة في مشاقة الله ورسوله تراهم يتباكون عليه ويقسمون باسمه بدلًا من القسم باسم الله تعالى، فضلًا عن عقائدهم التي تضلل أتباعها باعتقاد أن عليًّا رضي الله عنه هو قسيم الجنة والنار وهو الذي يدخل من شاء فيها ويمنع من يشاء[1] أما فتنة صفين التي صنعها وقادها زعماء الرفض قتلة الخليفة المظلوم الشهيد عثمان رضي الله عنه وأوقعوا أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه فيها بغشهم وخداعهم وبهتهم؛ فإن كفة أهل الشام كانت مهيأة عسكريًّا وسياسيًّا وأمنيًّا وانضباطًا ومسلكًا، فهم لم يبدؤوا بقتال ولم يكن مقصدهم

(١) الصدوق: علل الشرائع، ١٩٦.

سوى الدفاع عن أنفسهم ورد صيال قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه وأعوانهم الذين لا يردعهم شرع ولا يمنعهم نظام.

براءة علي رضي الله عنه من الرافضة:

لما كان علي رضي الله عنه حريصًا على وحدة المسلمين كان أول من أجاب إلى الصلح والاحتكام إلى المصحف، والبراءة من الرافضة الذين يعملون بكل مكرهم وكيدهم على هدم السنة النبوية؛ ومن ثم تفرّغ رضي الله عنه لشيعة الفتنة والرفض الذين خرجوا عليه فقتلهم في حروراء والنهروان وغيرهما، وقال علي رضي الله عنه واصفًا شيعة الكوفة ومن حولها، بعد أن انكشف له زيفهم وغدرهم وبان خذلانهم وكذبهم: «أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم ما بالكم؟ ما طبكم؟ أقولًا بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعًا في غير حق»[1] فهذه صفاتهم التي وصفهم بها أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو أعلم الناس بمن يسمون أنفسهم الشيعة وهم من يدين برفض كل ما يدعو إليه علي رضي الله عنه أو يأمر به حتى أبغضهم وملّهم وكرههم وتمنى فراقهم. فقال رضي الله عنه: أحمد الله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أَمَرتُ لم تُطع؛ وإذا دعوت لم تُجب؛ إن أُمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم لا أبا لكم... فأنا لصحبتكم كاره وبكم غير كثير، لله أنتم أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تشحذكم...!! إنه لا يخرج إليكم من أمري رضًا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاقٍ إليّ الموت. فشيعة الكوفة ومن معهم عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وَهْمٌ وسراب ومحنة له وبلاء ابتلي بهم رضي الله عنه وهم - كما قال رضي الله عنه - أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح، ونساك بلا صلاح، وتجار بلا أرباح، وأيقاظ نُوَّم وشهود غُيَّب، وناظرة

(١) نهج البلاغة المفترى أكثره على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخطبة، ٣٠، ص٦٥.

عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء[1]. أولئك هم من يزعمون أنهم الشيعة على لسان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن عجم عودهم وعرف معبودهم رضي الله عنه فهم فرقة العصيان والمعاصي وانعدام الطاعة وموت الإجابة والغش والخداع، فهم أشباح بلا صلاح ولا أرباح يرون ويتعامون ويسمعون فيعصون ويتكلمون بالباطل ويسكتون عن الحق ويوالون العدو ويخونون القريب، ولو تركهم علي رضي الله عنه وسكت عنهم لا يصمتون عنه؛ بل يخوضون في عرضه وعرض آل بيته وإخوانه الصحابة وأمهاتهم الطاهرات، حتى إنهم اتهموا عليًّا رضي الله عنه بالكذب، فقال لهم لما سمع غيبتهم وبهتانهم: «أما والله ما أتيتكم اختيارًا ولكن جئت إليكم سوقًا، ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب قاتلكم الله فعلى من أكذب؟»[2] ومن صفات الرافضة التي شخصها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للأمة كي تحذرهم؛ أنه لا يُعتمد عليهم في قتال عدو لخورهم وجبنهم وهلعهم، فإذا واجهوا الخصوم فرّوا وإذا سنحت لهم فرصة أو غفلة غدروا، لا يملكون شيم الرجال والفرسان الكرام، الذين إذا انتصروا عفوا وسامحوا وإذا امتحنوا ثبتوا وصابروا، لهذا أعلن رضي الله عنه كراهيته لهم وبراءته منهم وبغضه لصحبتهم؛ لأنهم عبء عليه، مهما كثروا لا قيمة لكثرتهم، لا يجمعهم دين وإنما هم أهواء وشهوات وتجمعات فاقدة للنخوة والحمية، ومع كل ماهم عليه من الدناءة وانعدام القيم فإنهم لا يرضون أمر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولا يغضبون لغضبه، حتى كان يدعو عليهم بقوله: أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر[3]. الآبر: الذي يأبر النخل ويصلحه أي لا بقي منكم مخبر. بل هم شر يتربص به رضي الله عنه وخطر محدق بأمته، لا مهرب منهم يهرب إليه لتداخل الأمور وتشابك الفتن التي يديرونها فلا رجاء في صلاحهم، ولم يعد أمامه إلّا انتظار الموت لعله يفرق بينه وبينهم، كل ذلك كراهية لشيعة الرفض والغدر الذين مزقوا

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة المفترى أكثره، ٧/ ١٨٧.

(٢) نهج البلاغة: خطبة (٧١)، ص ٩٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة (٥٨). ص ٨٧.

صف الأمة وغذوا الفتن فيها بكذبهم وبهتانهم وخياناتهم وتعاونهم مع اليهود والصليبيين والتتار والملحدين. فهم أهل الغدر والفتن، خاطب علي رضي الله عنه مركز رفضهم كوفة الفتن فقال رضي الله عنه: إن لم يكن إلا أنت - الكوفة - قبحك الله[١]. أي إذا لم يكن لي مقام إلا فيك ولا ناصر إلا ممن عاش فيك فسحقًا لذلك المقام وتلك النصرة وما ذاك إلا لأن مقامه بين رافضتها كان محنة لما أفسد عليه أهلها طاعة أصحابه المؤمنين وأخلاق إخوانه المتقين رضي الله عنهم.

لكل هذا ولغيره لم يقاتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهل الشام بعد صفين لما رأى من دينهم وورعهم وسمتهم واتباعهم وطاعتهم وأمانتهم، بعد أن زال عنه ما أوهمه به أعداء الصحابة، وما أوغروا به صدره عليهم زورًا وبهتانًا؛ فدعا إلى محبة أهل الشام وإلى مسالمتهم وأثنى عليهم؛ بل إنه مدح معاوية رضي الله عنه وأثنى عليه، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لأهل الكوفة: لا تكرهوا إمرة معاوية ولا تتمنوا موت معاوية؛ فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها[٢]. وقال أيضًا لأهل الكوفة شيعة الفتنة والخيانة: لأخرجن ما في عنقي لمعاوية، قد استكتبه نبي الله ﷺ وأنا جالس فعلمت أن ذلك لم يكن من رسول الله ﷺ ولكن من الله[٣].

فإذا اتضح هذا وتبينت خطورة أعداء الصحابة على الفكر والتاريخ الإسلامي وهوية الأمة ووحدتها وحاضرها ومستقبلها؛ فإن الموقف من خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه أوضح في كل شأن كما سبق وهو المنفق المعتق المجاهد في سبيل الله الراكع الساجد لله، أما قصة إنفاق علي رضي الله عنه خاتمًا وهو راكع التي يجترها الرافضة وعباد القبور فهي

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٣٢.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٥١. البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/ ٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٥١٩.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/ ١٢٩. الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٥١٩.

قصة موضوعة من صناعة أهل الفتنة والخيانة أعداء الصحابة، لم ترد بسند صحيح قط، ومما يدل على وضعها واختلاقها ما ثبت من فقر علي رضي الله عنه لا سيما عند نزول الآية فإنه كان فقيرًا لا يملك نصاب الزكاة، والآية في الذين يؤتون الزكاة، والزكاة مصطلح قرآني لا يطلق إلا على الفريضة المعروفة وعلي رضي الله عنه عند نزول الآية لم يكن ممن يؤتون الزكاة فكيف تصرف الآية إليه فضلًا عن تخصيصه بها دون سواه! ولكن كل ذلك من باب حرب الرافضة التي يشنها أفاكوهم على أركان الإسلام ولا سيما الزكاة التي أبطلوها ووضعوا بدلًا عنها الخمس مفترين بذلك على الله تعالى مغيرين للقرآن ومحرفين لأوامره.

والراجح مما ذكر من أسباب النزول أنها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه[1] حيث تبرأ من حلف اليهود وولايتهم إلى ولاية الله ورسوله والمؤمنين، في مقابل تمسك المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول بحلفه معهم فنزل فيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[3]. وفي عبادة رضي الله عنه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4] ثم عادت الآيات

---

(١) روى ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبَي ابن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبَي فخالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، وقال: يا رسول الله، أبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين. قال عبادة: ففيَّ وفي عبد الله بن أُبَي نزلت الآيات.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١. عبد الله بن أُبَي وأمثاله من الرافضة ممن يعادون أصحاب رسول الله ويكرهون العرب ويردون السنة ويكفرون بها.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

تنهى عن موالاة اليهود والنصارى وغيرهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١] وما بعدها. ومع أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه هو المعني في هذه الآية كما جاء في أسباب النزول[٢] إلا أن الآية ليست خاصة به، بل إنها عامة في كل من تبرأ من أعداء الله ووالى الله ورسوله ﷺ والذين آمنوا، وأبو بكر رضي الله عنه أفضل من تبرأ من أولئك وجاهدهم كما جاهد المرتدين وكل من رفض الكتاب والسنة؛ وهو خير من تولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وعمل في كل حياته من أجل نصرتهم وإقامة دولتهم حتى استقام أمر الدين؛ كما كان في حياة رسول الله ﷺ، فلم يعد مؤمن بالله ورسوله ﷺ على وجه الأرض وإلى قيام الساعة إلا ويحب أبا بكر رضي الله عنه ويوالي إمامته ولا منافق مرتد أو رافضي مبغض لله ولرسوله ﷺ إلا ويعادي خليفة رسول الله ويكفر بإمامته التي أمر بها النبي ﷺ وهيّأ أسبابها وأقرها له في حياته، تتويجًا لجهاده الدائم منذ اليوم الأول الذي نطق فيه بشهادة الحق وإلى اليوم الذي فارق فيه الدنيا، فهو أول من واجه طغيان قريش بيده وبقرآنه عندما تصدى لعقبة ابن أبي معيط وخلص رسول الله ﷺ من بين مخالبه ثم شهر عليهم قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٣] وهذه الرواية تبين شجاعة الصديق رضي الله عنه، اللا متناهية، وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها ممن يؤذون رسول الله ﷺ، في مكة قبل أن يكثر المسلمون أو تكون لهم شوكة، وهذا أحدهم عقبة بن

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٧.

(٢) على أنه ورد في بعض الروايات أن الآية نزلت في أبي بكر كما في أسباب النزول للثعلبي عن ابن عباس، الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ١/ ١٣٠ لأبي مريم الأعظمي، وفي الحلية ٣/ ١٨٥ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر الباقر عن الآية فقال: أصحاب محمد ﷺ، قلت: يقولون: هو علي؟ فقال: علي منهم. وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا. الحجج الدامغات، ١/ ١٣١، ١٣٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨. البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب. تفسير المؤمن (غافر) ح (٤٨١٥).

أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده إلا الصديق رضي الله عنه، وكذلك ظهر تمثل الصديق بالقرآن واستشهاده بآياته في دفاعه عن الرسول ﷺ، وهذا سلاح جديد أدخله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على مجتمع المشركين في مكة: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ والمعنى: يا أيها المشركون هل تقتلون الرسول ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربه سبحانه وتعالى أرسله إليكم، وقد جاءكم بالبيان والدليل على ذلك من ربكم الذي خلقكم.

ومن هذه المواقف الرائدة والتضحيات الفائقة يأتي بغض الرافضة لأبي بكر وكراهيتهم له، وما ذلك إلا لمنافحته عن رسول الله ﷺ بماله وبدنه ولسانه، ولرعايته له يوم الهجرة وحرصه على افتدائه بنفسه، وخدمته بيده وعمله على توفير كل ما يحتاجه في سفره وفي إقامته، حرصًا على سلامته وإسهامًا في تفريغه ﷺ لدعوته، دون أن يشغله عنها شاغل أو يرده عن تحقيق أهدافه عائق، فهو يقوم بكل ذلك وهو مشفق على رسول الله ﷺ حزين ألا يطيعه قومه الذين أخرجوه؛ فعرضوه لأخطار قطاع الطرق الباحثين عن المغانم الرخيصة والمكاسب التي يجنونها على حساب الدعاة والمجاهدين، كما حصل ذلك يوم الهجرة حتى قال له ﷺ حينما رأى شدة إشفاقه عليه ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا**»[1].

فيتضح أن اختيار النبي ﷺ لأبي بكر دون سائر الصحابة ليصحبه في رحلة الهجرة وفي أشد بلاء مرّ به ﷺ حينما عزم المشركون على قتله بعد مشورة وتآمر طويلين وما أعلنوه من مكافآت على من يأتي به ﷺ أو بصاحبه رضي الله عنه، وما يحمل ذلك من دلالات على أنه كان أعظم الصحابة إيمانًا وخبرة وقدرًا وتحملًا للمصاعب ووقوفًا في وجه الشدائد، وكتمانًا لسر رسول الله ﷺ وحدبًا عليه وسعيًا لحمايته وسلامته بكل سبيل، وأوسعهم خبرة ودراية بما يحيط بالنبي ﷺ وبدينه من أعداء متربصين أو أنصار مؤمنين، كل ذلك جلب على خليفة رسول الله بهتان الرافضة وتآمرهم على خلافته الراشدة، وذلك لفوزه بشرف

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ح (٣٦٥٢).

الاختصاص بصحبة النبي ﷺ ونصرته التي انفرد بها رضي الله عنه ولإسهامه في إنجاح الهجرة على أتم وجه وأكمله، ونجاة رسول الله ﷺ من كل مكروه، وهم لا يريدون سلامة رسول الله ﷺ لأنهم يرون أنه كان سببًا في عدم وصول الرسالة السماوية إلى من يزعمون بإفكهم أنه أولى بها منه ﷺ.

ويتبين أيضًا هلاك من هلك في الصدّيق رضي الله عنه من الرافضة وإخوانهم الذين زعموا ببهتانهم أن أبا بكر رضي الله عنه لم يصحب رسول الله ﷺ إلا ليطلع على عوراته، ويفشي أسراره للكفار! وهذا يدل على كفرهم ومروقهم من الدين، وطعنهم في سيد المرسلين ﷺ واتهامهم له أنه لم يكن يعلم حقيقة أقرب أصحابه وأصدقائه وأنصاره، وأنهم كانوا يضمرون له الشر وهو ﷺ لا يدري، وبذلك يتهمون رسول الله ﷺ بقلة المعرفة ويكذبون القرآن الكريم الذي شهد لأبي بكر رضي الله عنه بالنصرة والصحبة.

فغضب الله على أعداء الصحابة برفضهم وردتهم وتدليسهم وبهتانهم وطعنهم في أشرف خلق الله من عباده، وأخلص أصحاب رسول الله ﷺ وأكرمهم وأعظمهم مكانة في نفسه ومنزلة عنده ﷺ وسحقًا لمن يعتقد أن أعداء خليفة رسول الله إخوانه وبعدًا لتلك الأخوة القائمة على البهتان وحرب النبوة، وعلى الخلط بين دين الردة الرافضية ودين السنّة النبوية.

***

المبحث الثاني

خصائص خليفة رسول الله
أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعض خصائص خليفة رسول الله في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾:

إن قول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ وإن جاء في سياق الآية مقصودًا به النبي ﷺ ولكن مقتضى اللغة يجعله منطبقًا على أبي بكر رضي الله عنه أيضًا؛ لأن العرب إذا قالوا: ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة أو سابع سبعة لا يقصدون واحدًا بعينه وإنما القصد واحد من اثنين وواحد من ثلاثة... إلخ؛ أي أن كل واحد منهم ثاني اثنين وثالث ثلاثة.. إلخ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾[1] فالنبي ﷺ في الغار كان ثاني اثنين، وأبو بكر ثاني اثنين. ولا شك أن ترتيب النبي ﷺ من حيث المنزلة يأتي أولًا وأبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين لفظًا ومعنى. وقد تجلى كون خليفة رسول الله ثاني اثنين بعد رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة منها:

١- **ثاني اثنين في معية الله تعالى لهما المستمرة في الدنيا والآخرة** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢- **ثاني اثنين في الإيمان:** إذ هو أول من آمن وجاهد وأنفق ودعا الناس وأتى

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

بوجوه وشباب قريش لينطقوا بالشهادة مؤمنين بين يدي رسول الله ﷺ.

٣- **ثاني اثنين في الدعوة إلى الله**: إذ هو أول من دعا إلى الله بعد النبي ﷺ واهتدى بدعوته خيرة رجالات الإسلام وأعمدته التي قام عليها، منهم:

عثمان بن عفان: ذو النورين الذي أسهم إسهامًا مباشرًا في نصرة الإسلام بأمواله وجهاده، وعبد الرحمن بن عوف: ظهير عثمان في الإنفاق والجهاد، وسعد بن أبي وقاص الذي كان يلقب بالأسد عاديًا خال رسول الله ﷺ، وأول من رمى بسهم وأول من أراق دمًا من مشرك في سبيل الله، بطل القادسية وفاتح العراق ومحرره من الطغيان الفارسي المجوسي ممرغ كبر الأكاسرة وهازم جاهليتهم بكل أسلحتها وتحالفاتها وأذنابها من المنتسبين إلى العرب والناطقين بلغتهم.

وطلحة بن عبيد الله التيمي القرشي بطل يوم أحد الذي كان يلقب بطلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض لكرمه ومكارمه، وكان من الشجعان المعدودين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

والزبير بن العوام الأسدي القرشي حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، كان يعد بألف فارس لشجاعته وبلائه في الحروب! كان أشرف من حضر اليرموك من أشراف الأمة وأحد الذين أسهموا في فتح مصر، وهؤلاء مع علي وبعض وجوه الأنصار كانوا هم أهل الحل والعقد في الأمة ومستشاري الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وطلحة والزبير هما أقران علي الذين كانوا من جماعة الشورى المرشحين للخلافة بعد الشهيد المظلوم عثمان رضي الله عنه، وطلحة والزبير رضي الله عنهما وإخوانهما أولئك الدعاة المجاهدون الذين قادوا الأمة لملاحقة المجرمين الذين اغتالوا عثمان رضي الله عنه فتمكن طلحة والزبير من إنجاز

عامة تلك المهمة لولا أن الرافضة السبئية اغتالوهما في العراق غدرًا كما اغتالوا عثمان، ومن بعده عليًّا غدرًا!! فكم هي ملطخة أيادي الرافضة بدماء أطهر البشر وأعزهم وأشدهم نصرًا للإسلام وقربًا من رسول الله ﷺ ومحبة له؛ فقد اغتالت الرافضة السبئية المجوسية خمسة من المُبَشرين بالجنة وهم سادة الإسلام وأحرار البشرية «عمر الفاروق وعثمان ذو النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم وابن عمته، وعلي أبو الحسن زوج فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وابن عمه، وطلحة بن عبيد الله ابن عم الصديق، والزبير رضي الله عنه ابن صفية عمة رسول الله ﷺ» ولا زالوا يدينون ببغضهم والحقد على أمتهم أمة الكتاب والسنة؛ فهل هناك أمة على وجه الأرض أقذر وأظلم وأخطر على الإسلام والمسلمين من أمة اغتالت هؤلاء الأطهار الأخيار؛ ولا زالوا يزعمون أنهم من المسلمين مكرًا وباطنية لاقتناص المزيد ممن هم على منهج العشرة المبشرين بالجنة وعلى طريقهم وسنة نبيهم ﷺ؟! وهل هناك أشد مخادعة أو أكثر جهلًا وبلاهة وغباء لأمة الكتاب والسنة ممن لا زال يتمتم لأهل السنة النبوية أنه من الممكن التقارب مع قتلة الخلفاء وسافكي دماء الصحابة والتابعين غدرًا وغيلة ومحاربي السنة وحفظتها سرًّا وعلانية، ممن جعلوا أصل دينهم قائمًا على رفض دين الصحابة وعقيدتهم وبغضهم ومحاربتهم؟! ومعلوم أن موقف الرافضة السبئية في عداوة أبي بكر رضي الله عنه وابتكار الأباطيل لتأصيل مخالفته وتشويه سيرته والتعمية على إنجازاته تأتي في مقدمة اهتماماتهم وحربهم القائمة على السنة النبوية وحملتها. وهم يعلمون أن خليفة رسول الله هو أكبر داعية إلى الله ورسوله في الأمة، وهو أول من خطب في المشركين يدعوهم إلى الله تعالى بعد خطبة النبي ﷺ الشهيرة على الصفا في بداية البعثة المباركة[1].

---

(١) من الملاحظ في كتب التاريخ والسيرة أن عليًّا رضي الله عنه لم يسلم على يده أحد في زمن =

٤- وثاني اثنين في الغار في أحرج موقف مرّ به رسول الله ﷺ وأخطره لم يكن له فيه نصير ولا أنيس إلا صاحبه بعد الله. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

= ضعف الإسلام لا سيما في مكة، وقد يعتذر له بأنه كان صغيرًا. وقد فكرت في هذا الموضوع كثيرًا أقلبه وأناقشه وأحلله فوجدت أن عليًّا رضي الله عنه شخص تغلب عليه الطبيعة العسكرية القتالية أكثر من الطبيعة السياسية الدعوية. ولعل هذا هو السر الذي جعل النبي ﷺ يلفت نظره إلى أهمية الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ويرغبه فيها ويحثه عليها يوم أعطاه الراية في خيبر وقال له: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النَّعم». البخاري: ك. الجهاد، باب دعاء النبي إلى الإسلام، (٢٩٤٢) مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة، ح (٢٤٠٦). فالنبي ﷺ لاحظ عليه غلبة النزعة القتالية العسكرية على السياسية الدعوية مما دعاه للتأكيد على الجانب الآخر من أجل إحداث الموازنة في شخصيته وتصرفاته المنبعثة عنها. وكان للنبي ﷺ جهاز إعلامي من الخطباء والشعراء ينافحون بألسنتهم عن الدين، وإذا أقبلت الوفود قاموا ليباروا خطباءهم وشعراءهم، ولم يكن علي رضي الله عنه واحدًا منهم! ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٥٧.

ولعل ما يصدق ذلك سرعة خروجه رضي الله عنه من المدينة إلى البصرة وحصول موقعة الجمل؛ واتخاذ الكوفة عاصمة له بدلًا من المدينة، وعدم إرساله القادة والجيوش بدلًا من خروجه هو رضي الله عنه ومن ثم سيره إلى الشام وحصول موقعة صفين، والإصرار على الحل العسكري في وقت كان من الممكن أن تستمر المفاوضات حتى الوصول إلى حل يرضي الجميع، إذ لم يكن هناك سبب ملح للسرعة سوى تحريض قتلة الشهيد عثمان وامتداداتهم المشبوهة في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذين كان من مصلحتهم إشعال الفتنة بين المسلمين لكي ينشغلوا عن ملاحقتهم والقصاص منهم لقاء ما اقترفت أيديهم من قتل عثمان الشهيد المظلوم رضي الله عنه، ومن ثم الشهيدين المظلومين على أيدي الغادرين الرافضة السبئية (طلحة والزبير) فلما تنبه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمكرهم سارعوا إلى اغتياله رضي الله عنه وإقرار اغتيال معاوية وعمرو معه لكي تبقى أبواب الفتنة في الأمة مفتوحة وينشغل أهل الإسلام عن تبليغ الرسالة ولكن الله أحبط مكرهم وخيب تدبيرهم وسلط عليهم جنده قادة الجهاد في البر والبحر بقيادة معاوية رضي الله عنه حليم الأمة وقائدها بعد الراشدين رضي الله عنهم.

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

وقد روي عن النبي ﷺ أنه ضحك سرورًا عندما سمع ذلك منه حتى بدت نواجذه ثم قال: «**صدقت يا حسان هو كما قلت**»[1].

٥- وثاني اثنين في صحبة النبي ﷺ يوم الهجرة وثباته لمخاطرها وأهوالها وافتداؤه لرسول الله ﷺ بنفسه وعمله الدؤوب على إنجاح الهجرة المباركة، وحرصه اللا متناهي على راحة رسول الله في تلك المحنة من كل ما يؤذيه حتى من أشعة الشمس، وسعيه على إطعامه وسقايته وبما يناسب ذوقه من النظافة والظرافة في وجوه الحلال.

٦- وثاني اثنين في عريش بدر مستشارًا ومحاميًا ومؤانسًا ومشاركًا في إدارة أول معركة حاسمة مع رسول الله ﷺ ضد المشركين.

٧- وثاني اثنين في المشورة والرأي والمداولة في أمور الدين والأمة والسياسة والحرب والسلم على مدى زمن عصر الرسالة كله.

٨- وثاني اثنين في صحبة النبي ﷺ في إقامته وحله وترحاله وغزوه وقراره.

٩- وثاني اثنين في الصلاة: حيث كان هو المقدم إذا غاب رسول الله ﷺ، ومن ذلك ما كان في مرض وفاته ﷺ إذ قدمه رسول الله ﷺ يصلي بالناس بضعة أيام لم يرض غيره إمامًا حتى عمر الفاروق! وكان آخر ما ودع به ﷺ أمته أن نظر إلى صفوفهم في الصلاة وهم يؤدونها خلف إمامهم أبي بكر رضي الله عنه فجر اليوم الذي قبض فيه ﷺ، ومن فرحه ابتسم ابتسامة الرضا والسرور لما رأى من انقياد الأمة لخليفته حتى كاد أن يفتتن المسلمون عن صلاتهم من

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٧٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣/ ٩٠.

شدة فرحهم ظنًّا منهم أن رسول الله ﷺ قد تماثل للشفاء! إن إمامة أبي بكر الصديق هي الأمر الذي سرّ رسول الله ﷺ في يوم وفاته، وفرح له حتى تبسم وأشرق وجهه بالبشر كما جاء ذلك في حديث أنس الذي سبق ذكره، فكيف تغيظ هذه الصلاة التي سرت رسول الله ﷺ مسلمًا يؤمن بالله واليوم الآخر ويضيق لها صدره؟! كما هو في بهتان الرافضة الذين يعلمونه ويورثونه لأتباعهم من مبغضي الصحابة، الذين يغيظهم إلى حد السكتة القلبية والعقلية انقياد الأمة للراشدين ونجاحهم رضي الله عنهم في مواجهة المرتدين والمنافقين!!

١٠- وثاني اثنين في الزكاة: ظهر ذلك يوم امتنع المرتدون عن أداء الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ فأقسم أبو بكر: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة» وبرّ بقسمه، فكان أحق الناس بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

وكان مسيلمة الكذاب الرافض لخلافة النبوة المرتد عن سنة النبي ﷺ وجماعة المؤمنين قد اختصر الصلوات الخمس إلى ثلاث كما يفعل محبوه المعاصرون المحاربون لأصحاب رسول الله ﷺ، وقد كان إسقاط فرضين من فروض الصلاة مهرًا للمتنبئة سجاح عندما تزوجها مسيلمة الكذاب، فأعاد أبو بكر الصديق الصلاة إلى ما كانت عليه في عصر رسول الله ﷺ أما رافضة هذا العصر الذين استمروا على ذلك المذهب، فإنهم لما وجدوا من يتعاون معهم ويرضى بفعلهم ويقرهم على باطلهم ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، ازدادت فتنتهم وتأصل تمسكهم بمذهب من أسقط صلاة

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

العصر التي أمر الله تعالى المؤمنين بالمحافظة عليها في وقتها، قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[1] فأسقط أعداء الصحابة قول الله تعالى وأمره وأخذوا بتشريع مسيلمة الكذاب!!

فتأمل أيها العاقل إلى أي هاوية سقطت الرافضة بعدائها لأصحاب رسول الله ﷺ ومخالفتها الرضا باختيار رسول الله ﷺ وخروجها على خلافة النبوة وإمامة الصديق رضي الله عنه، وانظر التقابل بين «الكذاب» و«الصدّيق» وكيف سلط الله تعالى صدّيق الأمة على كذابها؛ وكيف أن أعداء الصحابة ما زالوا يدافعون عن المرتدين بغضًا وكراهية للمؤمنين؟ فكم هو الفرق بينهما وبين أتباعهما؟! وتفكر في مرجعية كل منهما ومن ثم إلى أين تصير الأمور.

وإذا كان بعض الرافضة المرتدين أسقط من الصلاة فريضتين أو أكثر أو أقل وما زال أتباعهم إلى هذا العصر يصلون في ثلاثة أوقات، فإن بعض القبائل ارتدت مطلقًا عن إقامة الصلاة فأرجعهم خليفة رسول الله إلى إقامتها كما أمر بها الله تعالى. وقام بنشر الصلاة والزكاة في ربوع الأرض التي كانت تحت سيطرة فارس والروم، ولم تكن تقام فيها صلاة من قبل، وبذلك أصبح رضي الله عنه ثاني اثنين في تثبيت شرع الله في أرضه وبين عباده.

١١- وثاني اثنين في الحج: تحقق ذلك لخليفة رسول الله حين أمّره النبي ﷺ على الحج في السنة التاسعة، وهي الحجة الوحيدة قبل حجة الوداع، والحجة الأولى في الإسلام التي أقامها أبو بكر رضي الله عنه بأمر من رسول الله ﷺ ورعايته وتوجيهه. وهكذا كان أبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين في أعظم أركان الإيمان والإسلام وهي الصلاة والزكاة والحج، ولهذا فإن أعداء أركان الإسلام يبغضون من أقامها وحماها وقاتل الرافضين لأي منها، ويكرهون من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

كان سببًا بتدين الأمة لله تعالى والتقرب إليه بأدائها، فسعد بالعمل بها كل من حافظ عليها كما تعلمها من رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان.

١٢- وثاني اثنين في جمع القرآن: وهذه من أعظم خصائص الصديق ومناقبه التي أفرده الله بها! يفوز بشرف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[1] فكان الذي قرأ القرآن وبلغه وكتبه رسول الله ﷺ، وكان الذي جمعه في مصحف واحد مرتبًا بين دفتين أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ إذ كان الجمع متعذرًا في عهد أولهما ﷺ لعدم اكتمال القرآن ونزوله مفرقًا لا مرتبًا، فلما اكتمل آخر حياته ﷺ قام بهذا العمل الثاني خليفته من بعده، فهو أول من جمع ما بين اللوحين كما قال علي رضي الله عنه، ولا شك أن الله تعالى لا يوفق لكرامة هذا الإنجاز العظيم إلا المصطفين الأخيار والمقربين من الصديقين والأبرار الذين كان في مقدمتهم خليفة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[2].

١٣- وثاني اثنين في قيادة الأمة: فكان خليفة رسول الله ﷺ متفردًا بهذا اللقب، فلم يُسم المسلمون به أحدًا من الخلفاء وهو من الموافقات التي تؤكد المكانة المتعارف عليها بين المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله وكان الصديق أحقهم بها لكمال متابعته لنبيه وسيره الكامل على نهجه في كل شؤون الدين والدنيا التي عاشها رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، بينما سُمي من جاء بعده بـ (أمير المؤمنين) وهو لقب مشترك وليس مختصًا بواحد ممن خلف أبا بكر في قيادة الأمة.

١٤- وثاني اثنين في دعوة العرب إلى الإسلام وجهاد من ارتد منهم وإدخالهم

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

أو إرجاعهم إلى الإسلام الكامل الصحيح الذي أراده رسول الله ﷺ ودعا إليه، إذ جاهدهم النبي ﷺ على الإسلام كافرين ومشركين، وجاهدهم الصديق رضي الله عنه مرتدين أو زائغين.

١٥- وثاني اثنين في تبليغ الإسلام للعالمين: فأول من خرجت جيوشه لمواجهة قوى ذات امتدادات خارج الجزيرة العربية هو رسول الله ﷺ في مؤتة وتبوك، لفتح الأبواب أمام تبليغ الدين وتأدية الرسالة إلى الناس أجمعين، وعقد ﷺ الراية آخر أيامه لأسامة بن زيد رضي الله عنه، ولكن الأجل عاجل رسول الله ﷺ قبل مسير جيش أسامة، فلما بويع الصديق رضي الله عنه كان من أهم ما يشغله هو تنفيذ أمر رسول الله في إنفاذ جيش أسامة إلى ما أمر به فأنفذه رضي الله عنه مع كل الظروف العصيبة المحيطة بالمسلمين آنذاك؛ حرصًا على تحقيق مراد رسول الله ﷺ دون أي تأخير أو توانٍ، ثم توالت من بعد ذلك جيوش خليفة رسول الله ﷺ تجوب الآفاق تدك عقبات الطغيان الفارسي والرومي ومن يدين بالولاء لهم أمام انتشار الإسلام بقيمه وسماحته.

١٦- وثاني اثنين في الصدق والتصديق: وهذه صفة اشترك فيها مع رسول الله ﷺ حيث كان المشركون في الجاهلية يسمون رسول الله ﷺ الصادق الأمين، بينما سمى رسول الله ﷺ صاحبه بالصديق؛ وهذا ما كان معروفًا عنه عند العرب حتى في الجاهلية فقد وصفه ابن الدغنة[1] وهو أحد شيوخ قبائل العرب لما رآه عازمًا على الهجرة من مكة إلى الحبشة بما كان يوصف به رسول الله ﷺ فقال: «ما مثلك يا أبا بكر يخرج، إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر». فوصفه بالصفات التي

(١) تاريخ الخلفاء، ١/ ٣١.

وصفت بها خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أول عهده بالوحي، وأولها الصدق: «**إنك لتصدق الحديث...**». ثم نزل الوحي ليصدق كل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

١٧- وثاني اثنين في منزلته في الأمة بعد الأول ﷺ: إذ تفرد بكثير من المنازل التي لم ينلها غيره مثلما تفرد في الأمة بلقب «الصديق» هكذا مطلقًا دون أي قيد، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2]. فكان محمد هو النبي الصادق ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه هو خليفته الصدّيق، ثم يأتي من بعدهم بقية الصحابة ما بين شهيد وصالح؛ فأمة الصحابة أمة الشهداء والصالحين، وصدّيقها أبو بكر ونبيها محمد رسول الله ﷺ، وهذا ما أكده ﷺ لما كان مع ثلة من أصحابه على جبل أحد ورجف بهم. فقال ﷺ: «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**»[3]. وكان معه أبو بكر الصديق الذي توفي على فراشه، وعمر وعثمان وعلي وطلحة وآخرون كلهم ماتوا شهداء! فأبو بكر أفضل صدّيق لأفضل نبي ﷺ في خير أمة، فهو خيرة البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن أولى منه بإمامة الأمة وقيادتها والسير بها على منهج رسول الله ﷺ؟ بالتأكيد لا أحد، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لن يكون في الوجود من هو أشر وأسوأ ممن يرفض ما يريده رسول الله ﷺ ويأمر به ويدعو له، ولا سيما فيما يوجب محبة ومناصرة صاحبه ونصيره وخليفته الصديق ولا يوجد أظلم وأكذب ممن يرفض أمر رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٣٦٧٥).

١٨- وثاني اثنين في التقوى: ففيه وفي رسول الله ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1]. وهل يوجد أتقى ممن جمعه الله تعالى مع نبيه ﷺ ووصفه بما وصفه به في تقواه! وأدل على ذلك قوله تعالى عنه: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾[2]. فأبو بكر رضي الله عنه هو الأتقى من بين الأمة وهو الأكرم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3]. وهذا ظاهر في صفات أبي بكر رضي الله عنه وفي ورعه وتقواه كما هو واضح في سيرته وموالاته وطاعته لله ولرسوله ﷺ.

١٩- وثاني اثنين في الإحسان: والإحسان أعلى درجات الإيمان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا ما تحقق به حال خليفة رسول الله طوال حياته رضي الله عنه، وهذا ما وصِف به مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] أما باب الإحسان المادي والكرم عند أبي بكر رضي الله عنه فهو الباب الذي لا يبارى فيه ولا يجارى بعد رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك عنه القريب والبعيد بشهادة القرآن الكريم له في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾[5].

٢٠- وثاني اثنين في الجزاء والرضا: قال الله تعالى في كتابه للنبي ﷺ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[6] وقال عن «صاحبه» وخليفته أبي بكر: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[7] في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[8]. ولم يَعِد الله تعالى

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الشمس، الآية: ١٨.
(٦) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٧) سورة الليل، الآية: ٢١.
(٨) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

أحدًا من عباده بعينه بذلك سوى نبيه ﷺ وصاحبه رضي الله عنه والتعبير عن الوعد لرسول الله ﷺ ولصاحبه جاء بتعبير واحد. فقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ وقال لخليفة نبيه رضي الله عنه ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وهذا لم يكن لأحد من الناس سوى أبي بكر إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ في توصيف خاص به يشهد بمكانته، شهادة يُلجم مقامها السامي المتألق إلى قيام الساعة كل من ينفخ في أنفه الشيطان ليسوّق كاذبًا بين المسلمين أن هناك إمامًا أو قائدًا للأمة بعد رسول الله ﷺ بمقام خليفته الصديق رضي الله عنه ولو تدبر القارئ معاني الألفاظ في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] لوجد أن الله تعالى شرّف خليفة نبيه بمشاركته فيما وصف به رسول الله ﷺ في نيل جزاء المحسنين بأحسن الأجر على أحسن العمل.

٢١- وثاني اثنين في التنويه بالذكر والفضل تشخيصًا في القرآن الكريم: إذ إن كل ما ورد في القرآن الكريم من فضائل في شأن الصحابة رضي الله عنهم جاءت في صيغة العموم، وليس في صيغة التخصيص التي يفهم منها تشخيص المراد بالذكر منهم دون الرجوع إلى علم معرفة أسباب النزول إلا رسول الله ﷺ فهو الأصل، والقرآن كله في كرم فضائله وفضائل صاحبه، فإن آية الغار قد تواطأت الروايات والقلوب والعقول على أنها في الصديق وحده دونما حاجة للرجوع إلى أسباب النزول لأن الأمة مجمعة على أنه إذا ذكر لفظ (صاحبه) أو (صاحب رسول الله) هكذا دون قيود؛ فمن المعلوم لدى كل مسلم أنه لا يخطر في البال ولا يرد على الذهن سوى خليفته الصديق، أما بهتان الرافضة الذي يدينون به ويروجونه في صفوف الجهلة وفاقدي الضمائر والعقول؛ فلا يلتفت إليه عاقل، ولا يسمعه إلا حاقد وحرب على الله ورسوله ﷺ، أما من يكتبه ويدونه كما هو

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

حاصل في كتب الكثير من غوغاء هذا العصر مرددًا لأقوال الرافضة ومُجمّعًا لإفكهم وطعنهم بأصحاب رسول الله ﷺ وهو يزعم أنه كاتب أو ناقد فهذا قد جمع الجهل وعداء الصحابة ورفض القرآن والسنة وحسبك بذلك سفهًا وإثمًا وانحطاطًا عندما يأتي من لا يميز بين الإفك والفلك ليجعل من نفسه المظلمة الظالمة ناقدًا لأصحاب محمد ﷺ ويرد سيرتهم الطاهرة وإنجازاتهم الباهرة وأيام عدلهم الزاهرة، وعدالتهم التي شهد بها القرآن والسنة المطهرة، ويدعو الناس إلى الأخذ بهذيانه وبهتانه!!

وأما ما ذكر بأن بعض الصحابة ذكروا في القرآن مثل اسم (زيد) الذي جاء ذكره في سورة (الأحزاب) فإنه قد ورد عرضًا دون إشارة إلى مدح أو ذم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[1] وأما ذكر الثلاثة الذين خلفوا وذكروا في سورة (التوبة) فهم قد ارتكبوا ذنب التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم تابوا من ذلك الذنب وصدقوا الله ورسوله ﷺ فتاب الله عليهم، ولا يمكن معرفتهم دون الرجوع إلى روايات أسباب النزول للوصول إلى أسمائهم وتفاصيل موقفهم وما حصل لهم جراء ذلك الموقف جر عليهم الكثير من الآلام ثم لما صدقوا وصبروا كان سببًا في توبة الله عليهم. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

٢٢- وثاني اثنين يوم الحديبية: في ذلك اليوم الذي لم تستطع نفوس الصحابة أن تبصر ما تبصره عين النبوة من مصالح الدعوة والنظر لمستقبلها، إذ حال بينهم وبين ذلك حبهم لنصرة رسول الله على من عانده وخذله وهجره ﷺ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧. (٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

وحماسهم لإعزاز دينه وجعل كلمة الله هي العليا وشوقهم إلى بيت الله الحرام وإلى الطواف في ربوعه الطاهرة والتعلق بأستار الكعبة المشرفة وتطهير البيت العتيق من رجس الأوثان وشرك الجاهلية، كل ذلك زرع في نفوسهم قوة الإرادة والاستعداد التام لاجتياح الشرك المهيمن على بيت الله الحرام، وقد زادهم إرادة على إرادتهم موقف قريش المتصلب وغلظة رئيس وفدهم المفاوض سهيل بن عمرو وموقفه الجاهلي من ولده المؤمن أبي جندل الذي تفلت من المشركين وجاء لائذًا بالمسلمين من ظلم المشركين، وإصراره على رده إلى المشركين، وأبو جندل يقول: يا معشر المسلمين أأُرَدُّ إلى المشركين أفتن في ديني؟! فضلًا عن جلافة تعامل مندوب ذلك الوفد الذي تعامل معه رسول الله ﷺ بمنتهى الرقة واللطافة واللين والتسامح طمعًا في نشر السلم ودخول قريش في الإسلام دون قتال[1] يضاف إلى ذلك شروط الصلح التي كان الصحابة يرون أن رسول الله ﷺ تساهل مع قريش أكثر مما تستحق، وأن ذلك قد يزيدهم كبرًا وتمنعًا أمام نشر الدين أو لعلهم يفسرون ذلك ضعفًا فيزيدهم طمعًا وجرأة على المسلمين، كل تلك العوامل كانت سببًا مباشرًا فيما اتخذه الصحابة من موقف متشدد تجاه قريش وجعل البعض منهم يزداد إلحاحًا على رسول الله ﷺ في ألا يمضي لقريش تلك الشروط التي كانوا يرونها مجحفة بحق المسلمين، فيما عدا خليفة رسول الله الذي لم يتزحزح عن موقفه المعهود في التوافق التام مع ما يتخذه رسول الله ﷺ من مواقف دون أن يكون على علم بتفاصيل ما يفعله أو يقوله رسول الله ﷺ، وهو الوحيد من الصحابة رضي الله عنهم الذي تابع المتابعة التامة «لصاحبه» في كل شيء دون تلجلج أو تردد أو توانٍ، بل كان منشرح الصدر إيمانًا ويقينًا وفهمًا

(١) البيهقي: السنن الكبرى، باب الهدنة على أن يرد الإمام من جاء بلده، ح (١٨٦١١) معرفة السنن والآثار، جماع الهدنة على أن يرد الإمام من جاء من بلده، ح (٥٥٧١).

واستشرافًا لمستقبل هذا الدين وأهله، والجمع المؤمن كله مغموم مكروب ومنهم عمر وعلي وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، لردهم عن البيت الحرام، ولما حصلت عليه قريش من شروط الصلح التي تغريهم وتسترضيهم في أكثر بنودها.

وعمر يقول: يا نبي الله ألست نبي الله حقًّا؟ فيجيبه ﷺ: «**بلى**» قال: فلم نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ: «**إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري**» ويذهب عمر رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه والموقف عصيب ليلقي عليه الأسئلة ذاتها فيتلقى الأجوبة ذاتها التي سمعها من رسول الله ﷺ قال عمر: فأخذ أبو بكر بيدي وجذبها بقوة وقال لي: أيها الرجل إنه رسول الله ولن يعصيه وإن الله ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. وبعد أن سمع عمر هذا الرد من رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه زال ما في قلبه من حرقة وألم على مسالمة قريش التي أخرجت رسول الله ﷺ وآذت المسلمين وعذبتهم وفتنتهم عن دينهم، وعلم أن ما يراه رسول الله هو الحق فأنزل الله السكينة على قلبه وعاد إلى ما كان عليه من العمل بين يدي رسول الله ﷺ والاستجابة التامة لكل ما يشير إليه دون توانٍ أو تأخير، ولم يكن عمر رضي الله عنه هو الوحيد الذي وصل إلى هذه الحال، ولكن هناك غيره ومنهم علي رضي الله عنه الذي رفض أن يمحو من كتاب الصلح كلمة «رسول الله» عندما اعترض عليها مبعوث قريش المفاوض عنها مع أن الذي أمره بمحوها هو رسول الله ﷺ نفسه، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه كان يرى أنها استجابة لمبعوث المشركين الجلف حتى اضطر رسول الله إلى محوها بيده الشريفة ﷺ بعد أن دله على موضعها في الكتاب علي رضي الله عنه![1].

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك. المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤) البخاري: ك. المغازي، باب عمرة الحديبية، ح (٤٢٥١). مسلم: ك. الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح (١٧٨٣).

٢٣- وثاني اثنين في الابتلاء: إن أخطر وأقذر وأسوأ مطعن وُجه إلى رسول الله ﷺ كان في عرضه وإلى أهل بيته وأحب الناس إليه زوجته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها. والطاهرة عائشة ابنة أبي بكر فكان أبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين في أخطر المطاعن التي قادها المنافقون ومرجعهم ابن أبي ابن سلول الذي كان ينفث سمومه في المجتمع الإسلامي بمكر وباطنية وخبث ورثه عن حلفائه وأصدقائه وجيرانه اليهود! ولما فضح الله تعالى المنافقين ومن ردد بهتانهم بقصد أو غير قصد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

فنالوا جزاءهم العادل بالتعزير في الدنيا فيما سوى مرجعهم الذي لج بالنفاق والتدليس، وجاء التحذير القرآني الواضح بأن كل من يعود للحديث بتلك الفرية، فإنه من المنافقين وليس من المؤمنين. قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] فأصبحت براءة الطاهرة أم المؤمنين دينًا يدين به المؤمنون في قرآن خالد يتلونه ويترنمون به فخارًا واعتزازًا وإيمانًا إلى قيام الساعة، وفي الوقت ذاته أصبح بهتانها الذي لا زال يدين به الرافضة جريمة تجمع على صاحبها كل رذائل هذا الكون من الكذب والبهتان والنفاق والكفر وكراهية رسول الله ﷺ وبغضه وبغض أهل بيته الطاهرة المبرأة رضي الله عنها وأرضاها، وعلى هذا فإن أي دارس أو باحث في التاريخ الإسلامي إذا أراد أن يعلم أشد الناس نفاقًا وبغضًا لرسول الله ﷺ ولأهل بيته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها؛ فإنما عليه أن يعرف من يرفض نصوص القرآن

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) سورة النور، الآية: ١٧.

ويردها عمدًا وعنادًا وإمعانًا في الإعلان عن الحقد والكراهية لرسول الله ﷺ ولصاحبه الصديق ولأم المؤمنين الزكية التقية الرضية عالمة الإسلام بلا منازع، الفقيهة الخطيبة اللبيبة العاقلة المؤمنة الصدّيقة، مزيلة هموم رسول الله ﷺ في بيته ومدخلة السرور والحبور والهناءة إلى نفسه الطاهرة ﷺ، أولئك هم أعداء رسول الله الرافضون لسنته، أشد الناس خطرًا وأكثرهم شرًّا وضُرًّا لدين محمد ﷺ وحقدًا وبغضًا لأصحابه ولأبناء أمته وولاء لأعدائهم.

٢٤- وثاني اثنين في مواجهة أهل بيته للمخاطر: مثلما تعرض رسول الله ﷺ لأخطار المشركين وأذاهم الذي طال حتى بناته الطاهرات المؤمنات المجاهدات رضي الله عنهن وأرضاهن، فكذلك صاحبه الصديق تعرض بيته يوم الهجرة لأذى عتاة المشركين وزعماء مكة الذين كانوا يطلبون معرفة مكان رسول الله ﷺ وصاحبه الأمين، من ابنتيه الطاهرتين أسماء ذات النطاقين وعائشة الطفلة المؤمنة البريئة المبرأة، فكان الكفار يترددون بين بيت النبي ﷺ وبيت أبي بكر رضي الله عنه حتى إن أبا جهل تجاوز كل قيم العرب آنذاك في العدوان على ابنة الصديق أسماء رضي الله عنها حين لطمها على وجهها الشريف فأطار قرطها من أذنها وأدمى وجهها وهي فتاة يانعة، إمعانًا في إيذاء أبي بكر رضي الله عنه الذي كان يحنو على رسول الله ﷺ أكثر من حنو الأم على وحيدها، وإرهابًا لذلك البيت المؤمن المتعاون مع رسول الله إلى أقصى حدود التعاون والطاعة؛ بما فيه من رجال ونساء وبنين وبنات وموالٍ، خدمة لرسول الله ﷺ وإنجاح مشاريعه الإيمانية العظيمة! وبذلك وضع خليفة رسول الله كل إمكاناته منذ ما قبل الهجرة في خدمة رسول الله ﷺ ودعوته، ولم يبالِ بالأخطار التي كان يمكن أن تعرضه للمحو والاجتثاث على أيدي عتاة المشركين، انتقامًا من ذلك الدور الرائد في العطاء والتضحية لولا لطف الله تعالى، ومن ثم نباهة أبناء

وبنات خليفة رسول الله المجاهدين الصابرين المحتسبين الذين أصبحوا بتلك التضحيات من أكثر الناس خدمة للإسلام والمسلمين ومن أحب الناس إلى أمة محمد ﷺ وأبغضهم إلى المنافقين والمرتدين الرافضين لسنة رسول الله ﷺ والمحاربين لأهلها!

٢٥- وثاني اثنين بعد وفاته رضي الله عنه: وكما كان خليفة رسول الله في حياته ملازمًا لنبيه ﷺ في كل الأوقات والظروف مؤمنًا ومصدقًا ومساندًا ومناصرًا ومتعلمًا وعالمًا؛ فكذلك بعد وفاته بقي ملازمًا لرسول الله ﷺ حريصًا على القرب والجوار حتى تحقق له ذلك بعد وفاته كما تحقق له في حياته، فأصبح خليفة رسول الله أقرب الناس إليه في إشارة إلى حاله في الدنيا وعلى حاله مع رسول الله في الآخرة! فكان قبره بجوار قبر «صاحبه» ليتفرد أبو بكر رضي الله عنه بالصحبة والجوار ويفوز بهما حيًّا وميتًا!! وليتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] لتتجلى لخليفة رسول الله بركات هذه الآية الكريمة بعد موته، كما تجلت له بركاتها أيام حياته في معية أبدية سرمدية، وجوار دائم لا فراق فيه، وصحبة لا تنقطع، في جنة عرضها السماوات والأرض، ولمثل ذلك فليعمل العاملون.

ومن خصائصه الأُخرى:

أول الناس إسلامًا:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن قدم إسلام الصديق: قال أبو بكر: ألست أول من أسلم؟ ألست أحق بهذا الأمر؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا[2]؟ كل ذلك

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ابن حبان: ك. مناقب الصحابة، ح (٦٨٦٣) البزار: مسند البزار، مسند أبي بكر، باب أبي سعيد الخدري، ح (٣٥).

بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا، فلم يتفوه أحد بكلمة تساؤل أو استفسار لأن كل ذلك كان معلومًا عند الجميع رضي الله عنهم، قال يوسف بن الماجشون: أدركت مشيختنا ابن المنكدر وربيعة وصالح بن كيسان وعثمان بن محمد لا يشكون أن أبا بكر أول القوم إسلامًا. وقال ميمون بن مهران مؤكدًا ذلك السبق إلى آماد بعيدة تزيل كل شك وتنفض كل غبار يثار على خصائصه رضي الله عنه: لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ من زمن بحيرى الراهب واختلف بينه وبين خديجة حتى تزوجها ﷺ، وذلك قبل أن يولد علي رضي الله عنه!! وكانت تساق إليه الأشناق في الجاهلية وهي الديات التي يتحملها من يحب قومه وعشيرته ويحب السلم والعافية والإصلاح بين الناس، فكان إذا تحمل شيئًا من ذلك فسأل فيه قريشًا مدحوه وأعانوه وأمضوا إليه حمالته، فإن احتملها غيره لم يصدقوه، وروي بسند جيد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحم بنا وأحناه علينا[1]. وقال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر رضي الله عنه يسمى الأواه لرأفته[2] وما ذلك إلا لتبجيله لأهل الإيمان بعد أن كابد أهل الشرك بطغيانهم وكثرتهم وضعف المؤمنين وقلتهم، يضيقون على المؤمنين بكل شيء في حياتهم، لهذا كان رؤوفًا بالمؤمنين شديدًا على الكافرين والمنافقين الرافضين لسنة رسول الله ﷺ لما يعرف من مكرهم وكيدهم وحقدهم على الإسلام وأهله، ومن لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام.

فلا شك أن السبق المجرد لا مزية له ما لم يقترن به المقصود منه ألا وهو استغلال وقت السبق في الجهاد والعمل النافع مما يعطيه الأولوية عند المقارنة بمن تأخر، فإذا عمل المتأخر أكثر وأنفع كان له الفضل وإن تأخر زمن نزوله إلى الميدان، لذلك قد يتخلف السابق ويتقدم اللاحق، والصادق في الطلب قد يسبق المتقدم في الزمن، أما خليفة رسول الله فقد سبق في الزمن والطلب وثبت على ذلك إلى نهاية مشوار الحياة حتى لقي ربه عز وجل.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٨٦. ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٧٤. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٩٧٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٧٠. ابن حجر: الإصابة، ٤/ ١٧٤.

فالقول بأن عليًّا رضي الله عنه أسلم قبل أبي بكر رضي الله عنه أو أن أبا بكر أسلم قبل علي، وبعضهم يلجأ إلى حل وسط فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأول من أسلم من الصبيان علي لا معنى له، وما هو إلا من الجدل الفارغ ولا قيمة له في ميزان النتائج، لأن الأفضلية والقيمة للعمل لا للزمن المجرد. ولذلك حينما ذكر الله تعالى فضل من آمن قبل الفتح على من تأخر من بعده لم يعلق الفضل بمجرد السبق في الزمن، وإنما علقه بالعمل الذي هو الإنفاق والقتال. فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] وإلا فإن بعض المسلمين سبق في إسلامه الفتح لكنه لم يهاجر ولم ينفق ولم يقاتل. وهؤلاء قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾[2].

فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول الناس إسلامًا سرّ رسول الله ﷺ وآنسه ونصره ونفع الدين والأمة أعظم النفع، فكان أولَ داعٍ في الإسلام بعد رسول الله ﷺ أسلم على يديه وجوه المجتمع وقادته، وهو أولُ خطيب أفصح عن مقاصد الدين في وجوه عتاة الجاهلية وفراعنتها، وأول من دافع عن النبي ﷺ من المسلمين بيده ولسانه، وأول من ضُرب من أحرار المسلمين ووجوههم ضربًا شديدًا حتى حمل مغشيًّا عليه لا يشك أحد في موته، وليس ذلك جرأة عليه أو حبًّا في إيذائه لما له من مكانة في نفوس الناس آنذاك، ولكن لما أبداه من حدب على رسول الله ﷺ وحب له ولما جاء به، ولما يحمله إيمانه من غيرة عليه وعلى دينه، كان خليفة رسول الله يسعى أن يحول بها بين قريش وبين النفاذ إلى رسول الله ﷺ في شيء يؤذيه أو يقف أمام تحقيق أهدافه. وهو أول من بذل ماله كله في نصرة الإسلام والمسلمين وفي قضاء حوائج رسول الله ﷺ ليكون سببًا في تفرغه للدعوة وتبليغ الناس ما جاءه عن ربه، فكان هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾[1] وأحق الناس بموضع منة الله تعالى على النبي ﷺ وهو يخاطبه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[2] ففي مواقف خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه المتفانية في خدمة النبوة والمنافحة عنها بعد رعاية الله تعالى لها شرح الله صدر نبيه ﷺ وخفف عنه حمله في تبليغ الرسالة ومواجهة الجاهلية وبغيها وصلفها الذي أنقض ظهره ﷺ.

فشتان بين أولية إسلام أبي بكر رضي الله عنه وسبقه في كل شيء وبين من أسلم لدعوة النبي ﷺ وهو صبي ما بين الثامنة والعاشرة من عمره رضي الله عنه لا يستطيع أن يشارك النّبي ﷺ في تحمل ما كان يعانيه من هموم الدعوة أو يشاركه في رأي، ولم يكن يستطيع أن يعلن إسلامه ويظهر به بين المشركين، فضلًا عن أن يجاهدهم عليه أو يدعوهم إليه كما كان أبو بكر يدعو إلى الإسلام ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، ولم يكن قادرًا أيضًا على الدفاع عنه بيده أو لسانه، وليس عنده من مال يكفي به نفسه فضلًا عن أن يبذله على رسول الله ﷺ أو دعوته أو على أحد من ضعفة المسلمين كما كان يفعل خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه، بل كان علي رضي الله عنه نفسه في كفالة النبي ﷺ ماديًّا ومعنويًّا يأكل في بيته ويأوي إليه ويلبس مما ينفقه عليه ﷺ فهو أحد هموم النبي ﷺ ولذلك نزل في حق الصديق رضي الله عنه من الآيات ما لم ينزل في حق غيره من المؤمنين. وهذا ما كان علي رضي الله عنه يطريه وينوِّه به في كل مجلس تُذكر فيه التضحية والفداء أو البذل والعطاء؛ ولكن أعداء الصحابة قوم يجحدون أهل الفضل ويبهتونهم، ويرفضون الحق ويردونه، والغوغاء التي تتبع كل ناعق لا تتفكر ولا تتدبر في كثير مما تسمعه أو تراه أو تقرؤه.

ومن خصائصه وصفه بما وصف به رسول الله ﷺ:

مما يؤكد علو منزلته التي امتاز بها، فقد وصفه ابن الدغنة سيد قبيلة القارة بنظير

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الشرح، الآيات: ١-٣.

ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما بُعث فتواردا فيهما على نعت واحد من غير أن يتواطأا على ذلك، وهذا غاية في مدحه لأن صفات النبي ﷺ منذ نشأ كانت أكمل الصفات، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرًا قِبل أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، فقال له: أين تريد يا أبا بكر؟! فقال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ولا يَخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك، فارتحل ابن الدغنة ورجع مع أبي بكر[1].

فلا شك أن وصف أبي بكر بما يوصف به رسول الله ﷺ يعد خصيصة عظيمة انفرد بها من بين جموع المؤمنين على مر الدهر، وكان أبو بكر لا يتهم في حياته بخيلاء أو كبر أو شيء من أخلاق الجاهلية لبراءته منها، وكل ذلك بشهادة رسول الله وتزكيته له حين قال ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**». قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال ﷺ: «**لست ممن يصنع ذلك خيلاء**»[2]. وقوله ﷺ: «**إنك لست تصنع ذلك خيلاء**»[3].

ومن خصائصه الصحبة الخاصة الزاهرة المنيرة التي أشرقت بها سيرته رضي الله عنه التي لا يجحدها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾[4] وتأكيد تلك الصحبة الخاصة بكتابه العزيز لتبقى شاهدًا على الإخلاص والفداء والتضحية

---

(١) الصنعاني: المصنف، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) البخاري: ك: الكفالة، باب: جوار أبي بكر، ح (٢١٧٥).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، حديث رقم (٥٧٨٤).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**» ح(٣٦٦٥).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

التي كان يبذلها خليفة رسول الله في كل مراحل حياته العامرة بالإيمان والعطاء والفداء والتضحية؛ لتبقى نبراسًا يهتدي به المؤمنون ونارًا تحرق الزنادقة الرافضين لخلافته ولصحبته التي يشهد بها كتاب الله لكيلا يبقى مكان لأعداء الصحابة والمنافقين يُلَبِّسون فيه على الأمة، فليس أمامهم ملجأ ولا مغارات يولون إليها، فلا بد من امتحانهم واختبارهم على ما يكشف حقيقتهم فإما القرآن وفيه صحبة الصديق رضي الله عنه وخلافة رسول الله ﷺ وإما الرفض وفيه الردة وتكذيب كتاب الله تعالى، وبهذا الجلاء والوضوح يكون الموقف من أدعياء السنة ممن يريدون أن يجمعوا الخير المتمثل في الإيمان بالله ورسوله وصحبة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ كما هي في كتابه العزيز؛ والشر المتمثل في تكذيب القرآن ورفضه وجحود إمامة خليفة رسول الله التي أجمع عليها المهاجرون والأنصار وقاتلوا من جحدها أو رفضها أو شكك بها أو خرج عليها أو فضل غيرها ممن جاء بعدها عليها، كل ذلك قاتل عليه حملة القرآن والسنة لكيلا يأتي في هذا العصر أبله أو مدسوس فيلبس على أهل السنة دينهم فيخلط الحق بالباطل رادًّا لصريح القرآن وإجماع الأمة فينادي بالتقريب بين الخير والشر وبين الحق والباطل، فمن لا يؤمن بصحبة خليفة رسول الله لا مكان له بين أتباع رسول الله ﷺ في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن خليفة رسول الله لم يفارق صاحبه في الدنيا ولم يفارقه في حياة البرزخ ولن يفارقه على الحوض، صحبة وضعت أسسها في أباطح مكة وجبالها وحول زمزم وأركان الكعبة فشيد بنيانها حتى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»[1]. فلا مكانة ولا إمامة إلا على منهج رسول الله ﷺ وسنته، ومن ثم على طريق خليفته رضي الله عنه قال ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[2]. فصحبة خليفة رسول الله خاصة امتازت بكثير من جوانبها عن صحبة غيره من الأكرمين.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٠) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٣).

خاصية شرف إعلان ظهور الإسلام:

كان أبو بكر رضي الله عنه أول من ألح على رسول الله ﷺ لإظهار الدين وإعلان الإسلام. فلما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلًا قال رسول الله: «**يا أبا بكر إنا قليل**». فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، فقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا ورسول الله جالس في المسجد فكان خليفة رسول الله أول خطيب دعا إلى الله ورسوله جهارًا. فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم في نواحي المسجد، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا... إلخ[1].

هذه صورة لصحابي أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من حبه نفسه، ولم يعد يهمه بعد إسلامه إلا أن تعلو راية التوحيد ويرتفع النداء: لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كان الثمن حياته وكاد أبو بكر رضي الله عنه فعلًا أن يدفع حياته ثمنًا لعقيدته. فأين حسابات الدنيا والمغانم في حياة خليفة رسول الله؟[2] وأين المنهج الذي كان يسلكه هذا الداعية العظيم والأهداف التي يصبو إليها من وراء دعوته، أين ذلك من المناهج التي يسلكها الكثير من دعاة هذا العصر ومن الأهداف التي يصبون إليها، ممن خلط في دعوته بين الدنيا والآخرة فهو يريد أن يتحدث باسم الإسلام ويدعو إلى الإسلام، على ألَّا يصاب بأي أذى وألَّا يقدم أي تضحيات ولا يبتلى ولا يمتحن، فمنهم من يُقسم الإسلام فيسقط كل ما يكرهه السلاطين والمتنفذون في العالم، فلا يتعرض لشيء من ذلك ولا يباشر دعوتهم ولا نصحهم، فضلًا عن نقدهم أو توضيح ظلمهم وحربهم على الإسلام ومخالفاتهم

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣ / ٣٠.

(٢) هذه الواقعة بيان عملي من رسول الله ﷺ لأصحابه بألا يظهروا نظرًا لقلة عددهم ولضعف شوكتهم حتى لا تنقض عليهم قوى الجاهلية فتئد الدعوة الوليدة في مهدها، كما تبين لنا أن الجاهلية لا يزعجها سوى ارتفاع الأصوات بنداء التوحيد، كما تبين لنا قيمة الانضباط والجندية والتكتم في موقف أم الخير وموقف أم جميل بنت الخطاب.

ما أمره به مرسله عز وجل لا يفعل من تلقاء نفسه وأخبر أنه لا يعصيه، كما يفعل المتّبع لرأيه وهواه وأخبر أنه ناصره، فهو على ثقة من نصر الله، فلا يضرّه ما حصل، فإن في ضمن ذلك من المصلحة وعلو الدين ما ظهر بعد ذلك، وكان هذا فتحًا مبينًا في الحقيقة، وإن كان فيه ما لم يَعلم حُسن ما فيه كثير من الناس، بل رأى ذلك ذُلًّا وعجزًا وغضاضة وضيمًا.

ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك رضي الله عنهم كما في الحديث رجوع عمر رضي الله عنه، وكذلك في الحديث أن سهل بن حنيف اعترف بخطئه، حيث قال: والله ورسوله أعلم، وجعل رأيهم عبرة لمن بعدهم، فأمرهم أن يتّهموا رأيهم على دينهم، فإن الرأي يكون خطأ، كما كان رأيهم يوم الحديبية خطأ، وكذلك عليّ الذي لم يفعل ما أمره به حين قال له ﷺ: «**امح رسول الله**» والذين لم يفعلوا ما أُمروا به من الحلق والنحر، حتى فعل هو ﷺ ذلك قد تابوا من ذلك والله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات.

والقصة كانت عظيمة، بلغت منهم مبلغًا عظيمًا لا تحمله عامة النفوس، وإلا فهم خير الخلق، وأفضل الناس، وأعظمهم علمًا وإيمانًا، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت أو النصر عندما أشيع أن قريشًا قتلت سفير رسول الله ﷺ إليهم عثمان رضي الله عنه قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1] وقد رضي الله عنهم وأثنى عليهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. والاعتبار في الفضائل بكمال النهاية لا بنقص البداية. وقد قص الله تعالى علينا من توبة أنبيائه، وحسن عاقبتهم وما آل إليه أمرهم، بعد أن جرت لهم أمور. ولا يجوز أن يُظن أن هناك مؤمنًا يبغضهم لأجلها، إذ كان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية. فالصحابة هم الذين نص القرآن على رضا الله تعالى عنهم، فمن يبغضهم إنما يبغض القرآن الذي رضي عنهم ويبغض النبي الذي بشرهم بذلك ﷺ.

ولما أكد القرآن الكريم أن الله تعالى بشر الصحابة بأنه راضٍ عنهم في يوم الحديبية

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

مع تثاقلهم في بداية الأمر عن قبول الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش لظنهم أنه مجحف بحق المسلمين، فمن باب أولى أن يتأكد للعالم والجاهل أن خليفة رسول الله كان هو الأول في نيل ذلك الرضا والتحلي بذلك الوسام الرباني لما أبداه من موافقة إيمانية فطرية تامة ثابتة لرسول الله ﷺ دون أي تردد أو تأفف، مما يعلن لكل عاقل أن الصدّيق رضي الله عنه أكمل القوم وأفضلهم وأسبقهم إلى الخيرات، وأنه لم يكن فيهم من يساويه في علمه وصبره وتحليله للعواقب وسياسته للأمور، وأنه كان أكثرهم موافقة لرسول الله ﷺ وفهمًا عنه. وأن أسوأ الناس وأحطهم منزلة من يبغض من رضي الله عنه.

يؤكد ذلك قول خليفة رسول الله رضي الله عنه بعد ذلك: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عمّا كان بين رسول الله ﷺ وبين ربه، والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لعجلة العبد حتى تبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو - سفير قريش المفاوض عنها بغلظة وصلافة يوم الحديبية - في حجة الوداع قائمًا عند المنحر يقرب لرسول الله ﷺ بُدنَهُ ورسول الله ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحلاق يحلق رأسه فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) فحمدت الله تعالى الذي هداه للإسلام[1].

وامتياز أبي بكر رضي الله عنه بالموافقة التامة لرسول الله ﷺ في المواقف والأحداث كافة، أمر بيّن لا يشك فيه إلا من كان جاهلًا بحالهم مع رسول الله ﷺ أو كان صاحب هوى صده اتِّباع هواه عن معرفة الحق. وإلا فمن كان له علم وعدل لم يكن عنده في ذلك شك، بل كانوا مطبقين ومجمعين على تقديم الصدّيق وتفضيله على من سواه منهم، كما اتفق على ذلك علماء المسلمين وخيارهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وسائر العلماء الذين لهم في الأمة لسان صدق، وهكذا من تبعهم بإحسان على مر العصور إلى يوم الدين، لم يشذ

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٦٤.

عنهم إلا هالك مختلط في عقله مخلط في عقيدته[١].

دوام صحبته:

ومن خصائصه طول صحبته وإجماع الأمة على حسن إسلامه وعميق إيمانه، فهذا رسول الله ﷺ يشهد له بالإيمان في مجالس الصحابة رضي الله عنهم وهو ليس موجودًا بينهم، كما في حديث استقائه من القليب، وحديثه عن الذئب الذي كلم الراعي والبقرة التي كلمت صاحبها. وقوله ﷺ: «**أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر**»[٢]. وهذا علي رضي الله عنه يشهد له أنه سيبقى مع رسول الله ﷺ في الحياة الآخرة كما كان دائمًا معه في الحياة الدنيا. فيقول: كثيرًا ما كنت أسمع النبي ﷺ يقول: «**خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر**»[٣] وأمثال ذلك. ومناقبه وخصائصه ومزاياه محل إجماع لدى جميع علماء الأمة المؤتمنين، وإن كان هناك من يردد أن عليًّا رضي الله عنه له من المناقب والفضائل ما لأبي بكر رضي الله عنه، فهؤلاء ما بين جاهل في فقه سير الصحابة رضي الله عنهم وما بين مصاب بجرب الرفض وداء الشعوبية الخبيث، أو بأهواء المستشرقين عملاء الغزاة وأدلاء المحتلين الذين لا يميزون بين القعقاع بن عمرو رضي الله عنه وبين الكعكة[٤] وما بين فهم شذاذ العلمانيين الذين أسقطوا الهوية وتلبسوا بالأهواء، وكل هؤلاء لا قيمة لأقوالهم ولا لكتاباتهم؛ لأنها مجردة عن الحد الأدنى من الموضوعية وفاقدة للفهم الصحيح الذي يتساوى فيه عندهم قول الله تعالى وأمانة المؤمنين؛ بأقوال المتنبئين الكذابين والرافضة المرتدين، ولكن لا بد من وقفة لمن لا علم له في هذه المسائل نقول فيها: إن ما جاء في كتاب الله من خصائص لخليفة رسول الله كافٍ لإزالة أي شك عند العقلاء؛ فإذا أضفنا

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٦٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**». ح (٣٣٩٠).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**». ح (٣٤٠١)

(٤) الخليفة: الموقف من التاريخ الإسلامي، ١٢٧. العظم: تاريخنا، ٢٢.

إلى ذلك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري، وقوله: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وأمثال هذه الأقوال التي فصلت في هذا البحث، ثم نقف وقفة أخرى نشير فيها إلى أهم وأشهر مناقب علي رضي الله عنه التي من أصحها قوله ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»(١)، وقوله في غزوة تبوك: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»(٢)، ومنها دخوله رضي الله عنه في المباهلة وفي الكساء ومنها قوله: «**أنت مني وأنا منك**»(٣). وليس في ذلك خصائص وإنما هذه مناقب لعلي رضي الله عنه كما لغيره من الصحابة مناقب، كل منهم بحسب سابقته وطبقته. وحديث علي رضي الله عنه: لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق(٤) كقوله ﷺ في الأنصار: «**علامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار**»(٥). ومنها حديث الشورى، وإخبار عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ توفي وهو راضٍ عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن(٦) فمجموع ما في الصحيح لعلي نحو عشرة أحاديث، ليس فيها ما يختص. ولأبي بكر في الصحاح نحو عشرين حديثًا أكثرها خصائص.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه، ح (٣٤٢٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه ح (٤٤٢٢).

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٤٢٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، ح (٢٥٠). سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب علي، ح (٣٦٤٩). ابن ماجه، فضل علي، ح (١١٦). المحب الطبري، الرياض النضرة، ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ح (١١٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، مناقب علي، ح (٣٦٦٩). سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، ح (١١١).

(٥) البخاري: صحيح البخاري، ك. الإيمان، باب مناقب الأنصار، ح (١٧).

(٦) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٥/ ٥٩ – ٨/ ٤٢٠.

وقول من قال: صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، كذب لا يقوله أحد من أئمة الحديث، لكن قد يقال: رُوي له ما لم يرو لغيره على أن من يقول ذلك هو مَنْ عُلِمَ كَذِبُهُ وزيفه وخطؤه. ودليل واحد صحيح المقدمات سليم عن المعارضة، خير من مئات الأدلة بمقدمات ضعيفة، بل باطلة وهي معارضة بأصح منها وما يدل على نقيضها، وكثير منها من صنع أعداء الصحابة وبهتانهم على رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وكل هذا الكذب على النبي ﷺ بنسبة الأحاديث إليه أو هذا الغلو في علي رضي الله عنه لا يرجع ضره إلا على من افتراه، ولا يضر إلا من يعمل على إيجاد دين بديل لدين محمد ﷺ بغضًا للصحابة ورفضًا لقرآنهم وكراهية لسنة نبيهم ﷺ، وكأنهم بحملهم لهذا الدين وجهادهم في سبيل حمايته أصبح دينًا لهم وليس دينًا ربانيًّا تكفل الله تعالى بحفظه وتبليغه للعالم كافة!

والمقصود هنا بيان اختصاص خليفة رسول الله في الصحبة الإيمانية بما لم يشركه فيه أحد، لا في قدرها ولا في صفتها ولا في نفعها، فإنه لو أُحصي الزمان الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي ﷺ والزمان الذي كان يجتمع فيه عثمان رضي الله عنه أو علي رضي الله عنه أو غيرهما من الصحابة مع رسول الله ﷺ لوُجد ما يختص به أبو بكر رضي الله عنه أضعاف ما اختص به واحد منهم، فضلًا عن أن ذلك لم يكن مقيدًا بوقت أو حدث وإنما هو باب مفتوح لخليفة رسول الله مع النبي ﷺ، وأما المشترك من وقت رسول الله ﷺ فلا يختص به واحد من الصحابة، بل هو لعامة من اشترك فيه منهم رضي الله عنهم، وأما كمال معرفة أبي بكر رضي الله عنه ومحبته للنبي ﷺ وتصديقه له، فهو متقدم في ذلك على سائر الصحابة تقدمًا باينهم فيه مباينة لا تخفى على أحد ممن كان له معرفة بأحوال الصحابة رضي الله عنهم ومن لا معرفة له بذلك لا تُقبل شهادته فيهم ولا روايته عنهم.

فهذه الأمور التي هي مقاصد الصحبة ومحامدها، التي بها استحق الصحابة رضي الله عنهم أن يفضلوا على غيرهم، لأبي بكر رضي الله عنه فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد. ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم:**

كذبت. وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» مرتين. فما أوذي بعدها[1]. وفي رواية: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يغفر له، فلم يفعل حتى أغلق الباب في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ... الحديث. قال: وغضب النبي ﷺ. وفيه: «**إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت**»[2].

فهذا الحديث الصحيح فيه تخصيصه بالصحبة في قوله ﷺ: «**هل أنتم تاركو لي صاحبي؟**» وفيه يتبين أنه لم يكذّبه قط، وأنه صدّقه حين كذّبه الناس طُرًّا. بل ظاهر في أنه صدّقه قبل أن يصدّقه أحد من الناس الذين بلّغهم الرسالة، وهذا حق؛ فإنه آمن أول ما بُلِّغ الرسالة. وفيه أن من يتعرض لأبي بكر إنما يتعرض لرسول الله ﷺ صاحبه المدافع عنه في حضوره وغيابه فلا يعادي أبا بكر رضي الله عنه إلا من يعادي رسول الله ﷺ؛ فإذا أردت أن تعرف المرتدين وتحذر رفضهم للإسلام ومكرهم بالمسلمين فامتحنهم على حب خليفة رسول الله أو أي من الصحابة، فهناك سيظهر الحق من الباطل، وأن من يعادي الصحابة عامة أو أفرادًا فإنما هو عدو لنبيهم ومربيهم ﷺ. قال عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: «**حرٌّ وعبد**». ومعه يومئذ أبو بكر وبلال[3].

وأما أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وعلي وزيد رضي الله عنهما فهؤلاء كانوا من عيال النبي ﷺ وفي بيته وخديجة عرض عليها أمره لما فجأه الوحي، وصدّقته ابتداءً قبل أن يُؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة، فأول من صدّق

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٨٨٨) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ٦/ ٥٩، ٦٠. ينظر: منهاج السنة، ٨/ ٤٢٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح (١٣٧٤). سنن النسائي، كتاب مواقيت الصلاة، باب إباحة الصلاة إلى أن يصلي الصبح، ح (٥٨٠). سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، ح (١٣٥٤).

به بعد وجوب الإيمان به أبو بكر رضي الله عنه فإنه لم يجب عليه أن يدعو عليًّا إلى الإيمان، لأن عليًّا كان صبيًّا لم يبلغ الحلم بعد.

ولم يُنقل أن النبي ﷺ أمره بالإيمان وبلّغه الرسالة قبل أن يأمر أبا بكر ويبلغه، ولكنه كان في بيت النبي ﷺ فيمكن أنه آمن به من خلال ما كان يسمعه يتحدث به مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وإن كان لم يُبلغه، فإن ظاهر قوله ﷺ: «**يا أيها الناس إني أتيت إليكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كَذَبت. وقال أبو بكر: صدقت**»[1]. يدل على أن كل من بلّغه الرسالة كذّبه أولًا إلا أبا بكر رضي الله عنه، ومعلوم أن خديجة رضي الله عنها وعليًّا وزيدًا رضي الله عنهما كانوا في داره، وخديجة رضي الله عنها لم تكذبه، فلم تكن داخلةً فيمن بُلِّغ. وقوله في حديث عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: «**حر وعبد**»[2] ثم ذكر قوله: «**وواساني بنفسه وماله**»[3]. وهذه خاصّة لم يشركه فيها أحد بهذا الأداء التام بالنفس وما تملك وما يتبعها من الأهل والولد والمال وما يتبعه من الأملاك والأرباح والوقت والجهد.

وقد ذكر هذا النبي ﷺ في أحاديث المخالّة التي هي متواترة عنه. كما روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إن عبدًا خيره الله...**» وقوله ﷺ: «**إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر...**» وقوله ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته**» وفي رواية: «**إلا خلة الإسلام**» وفيه: «**لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر**»[4].

---

(١) البخاري: ك. التفسير، باب ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، ح(٤٣٦٤).

(٢) صحيح البخاري: ك. أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٥٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٣٨٨). وقد سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٤٦). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، =

وعن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**إنه ليس أحدٌ من الناس أمنّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر**» وفي رواية أخرى: «**لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلًا لاتخذته، ولكن أخوة الإسلام أفضل**» وفي رواية: «**ولكن أخي وصاحبي**» وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخي وصاحبي**» وفي رواية: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت ابن أبي قحافة، ولكن صاحبكم خليل الله**» وفي رواية أخرى: «**ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله**»[1].

فهذه النصوص الصحيحة تبيّن اختصاص أبي بكر بفضائل الصحبة ومناقبها والقيام بها وبحقوقها بما لم يشركه فيه أحد، حتى استوجب أن يكون خليله ﷺ من دون الخلق، لو كانت المخالّة ممكنة. وهذه النصوص صريحة بأنه أحب أصحابه إليه، وأفضلهم عنده. كما صرّح بذلك في حديث عمرو أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**».

ومما يبيّن من القرآن فضيلة أبي بكر رضي الله عنه في الغار أن الله تعالى ذكر نصره لرسوله ﷺ في هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾[2] أي أخرجه في هذه القلة من العدد، لم يصحبه إلا الواحد، فإن الواحد أقل ما يوجد. فإذا لم يصحبه إلا واحدٌ دلّ على

= باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٥٨٨)، (٤٣٩١)

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب من صفته وأخباره ﷺ، ح (٦٤٢٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

أنه في غاية القلّة. ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] وهذا إخبار الله تعالى على أن صاحبه كان مشفقًا عليه محبًّا له ناصرًا له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبّه، وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه. ولكن الرافضة المفترين يكذبون قول الله تعالى ويتصورون ما في أنفسهم من بغض لرسول الله ﷺ الذي اجتبى أبا بكر رضي الله عنه فيحدثون به، ويقولون: إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن حزينًا، تكذيبًا لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وإمعانًا في البهتان يقولون: إنه كان يضمر الفرح والسرور، وهذا ما يعكس ما في نفوسهم الحاقدة، كما هو حالهم من السرور عندما يصاب المسلمون بمصيبة أو يسقط بلد من بلادهم بأيدي أعدائهم.

فيتبين أن الرافضة حين يفترون على أبي بكر رضي الله عنه إنما هم يفترون على الله ويكذبون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فالرافضون لهذه الخصيصة من أعداء الصحابة إنما هم مكذبون للقرآن لا يوثق بقولهم ولا يركن إلى زعمهم الإيمان، وكيف يكون مؤمنًا من يكذب القرآن؟

وهذا ما لم يقل به حتى اليهود ولا المشركون. ولكن قاله أعداء الصحابة رافضو القرآن والسنة، الذين يدينون به ويتعلمونه ويُعلمونه لأتباعهم حقدًا على الإسلام ومكرًا بأهله وبغضًا لرسول الله ﷺ وصاحبه.

قال أبو العباس: ولقد بلغني عن ملك المغول خدا بنده[2] الذي صنَّف له ابن المطهر

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) خدا بنده هو أحد أحفاد جنكيز خان واسمه الجايتو أو أولجايتو خدا بنده غياث الدين محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيز خان، وهو الذي ألف ابن المطهر الرافضي كتابه (منهاج الكرامة) من أجله، تولى الحكم عام ٧٠٣هـ بعد وفاة أخيه الملك قازان الذي كان يميل لأهل السُّنة إلى أن كانت سنة ٧٠٩هـ بعد أن أفتى له الرافضي ابن المطهر ببطلان طلاق خدا بنده لزوجته وجواز مراجعته لها، فتشيع الملك بعد ذلك للرافضة، ينظر: منهاج السنة، ١/ ٩٦، ٨/ ٤٣٠. الخواساري، روضات الجنات، ٧٥.

الحلي الرافضي كتابه في الإمامة أن الرافضة لمّا صارت تفتري له مثل هذا الكلام: إن أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ وكان عدوه، ويقولون مع هذا: إنه صحبه في سفر الهجرة، الذي هو أعظم الأسفار، خوفًا. قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برَّأ الله رسوله منها، لكن ذكرها على من افترى الكذب أوجب أن يُقال في الرسول مثلها، حيث قال: «**كان قليل العقل**» حاشاه ﷺ ولكن هذا حقيقة ما يعتقده فيه أعداء الصحابة. ولا ريب أن من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل ساقط الفهم لا دين ولا حياء. وقد برأ الله رسوله ﷺ وصدّيقه رضي الله عنه من كذبهم، وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول ﷺ، وأن هذا اعتقادهم الذي يدينون به ويُعلمونه لأتباعهم، وهذا ما يناقضون به الكتاب والسنة وصحيح الأخبار المتواترة ويجعلهم في وادٍ والإسلام في وادٍ آخر، ويجعل كل من لا يتحسب لمكرهم وكيدهم ويحذر منه مفرطًا وجاهلًا أو متهمًا على الدين والسنة والأمة.

ومما يبيّن أن الصحبة فيها خصوص وعموم، كالولاية والمحبة والإيمان وغير ذلك من الصفات التي يتفاضل فيها الناس في قدرها ونوعها وصفتها، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه**»[1] فكيف بمن ينفق الذهب والفضة على محاربة أصحاب رسول الله ﷺ ومن يواليهم من أهل السنة والجماعة، وكم سيكون رافضًا لما يأمر به رسول الله ﷺ ويدعو إليه، وكم هو معاند مارق رافض لدين رسول الله ﷺ من يجترئ على أحد ممن صحب رسول الله ﷺ وجاهد معه المشركين والمجوس حتى قام الدين وانتصر أمر الله، إن أعداء الصحابة هم شر البشر لزيف دعاواهم وبطلان حججهم وبهتانهم على المؤمنين، ولا يشاركهم في ذلك السوء وتلك المخازي إلا من ظن فيهم خيرًا وهو يعلم أنهم يعادون ويبغضون ويفترون على خير البشر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٣٩٨) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ح (٤٦١٠)، (٤٦١١)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، ح (٤٠٣٩).

ومنها تفرده بالمعية الخاصة:

إن من أجلّ خصائص أبي بكر رضي الله عنه اختصاصه بمعية الله له مع رسول الله ﷺ في الغار في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] فلما كان خليفة رسول الله أعظم رجل بعد نبيه ﷺ خدم الأمة ودينها وعقيدتها، حتى قطف المسلمون ثمار ذلك عزًّا وأمنًا ووحدة؛ تعرض لأكبر هجمة من البهتان والتزوير والنكران والرفض؛ على أيدي أعداء الصحابة من مجوس هذه الأمة الذين لا هم لهم سوى محاربة الإسلام، من خلال حربهم على حمَلته الذين نشروه في العالمين، وقد بلغ بهم حقدهم أن جعلهم ينكرون صريح القرآن وصحيح السنة دون حياء أو وجل؛ كل ذلك لإحداث ثغرات في صفوف حماة الإسلام من الصحابة والتابعين وعلماء السنة في كل العصور؛ للنفاذ إلى العقيدة السليمة وتحويلها من عبادة الله إلى عبادة القبور وحرفها عن شرع الله إلى تشريع المراجع والآيات التي تشرع من دون الله ما يناسب أهواءها وأمانيها، فهم يغتالون حمَلة التوحيد ودعاته كلما سنحت لهم سانحة، ويستعينون على ذلك بالكفار والملحدين، ويكذبون ويطعنون برواة الكتاب والسنة لإبطال ما جاؤوا به عن رسول الله ﷺ حتى تطلب الأمر الخوض في بعض هذا؛ لتنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين والصراخ في آذان المغفلين أن حب أبي بكر رضي الله عنه هو معيار الولاء لله ولرسوله ﷺ وبغضه هو معيار الردة والنفاق، فقيسوا أيها المسلمون على هذا المقياس وسيروا على ما سار عليه السلف وتحصنوا بهذا الحصن واقطفوا بعد ذلك ثمار الوحدة والعافية ودحر الردة والرفض والغزاة.

وكيف لا يكون ذلك وخليفة رسول الله قد تفرد بالمعية الخاصة في قول النبي ﷺ الذي حكاه القرآن بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ خطابًا لأبي بكر رضي الله عنه فيه إخبار من النبي ﷺ موثق من الله تعالى بأن القائل وهو رسول الله ﷺ وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه محفوفان بمعية الله التي تحوطهما في وسط الأخطار وترشدهما إلى السداد

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

في المدلهمات. وهذا لم يرد في القرآن عن أحد من الأمة غير أبي بكر رضي الله عنه ولم يرد لاثنين بخصوصهما من دون قومهما إلا لمحمد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ومن قبلهما لموسى وهارون عليهما السلام. إلا أن هناك فرقًا بين المعية الخاصة والمعية العامة؛ فالعامة كما في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[1] وهذه شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وهي معية علم الله تعالى بخلقه لا فضل فيها لأحد على أحد. لأن الفضل يأتي في المعية الخاصة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3].

وهي معية التأييد والحب والرعاية والحفظ. وهناك معية من الله لعباده أخص من معية الرعاية، وهي أدل على الفضل من المعية الخاصة، لأن الفضل كلما كان أخص كان أدل على أفضلية من اختص به على غيره، فقوله تعالى توثيقًا لما أخبر به نبيه ﷺ صاحبه أبا بكر رضي الله عنه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[4] لم يكن لأحد سواهما. فهذه المعية كانت لاثنين فقط هما النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه فهو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأولاها بالإمامة والخلافة والقيادة والاتباع والدعوة والعلم والتعليم لأنها معية دائمة.

وهناك في الأمم السابقة حالة مماثلة في بعض جوانبها لما خاطب الله تعالى به رسوله ﷺ، فقد تعرض نبي الله موسى والمؤمنون من قومه إلى موقف عصيب مشابه لموقف النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه في الغار. لقد طاردهم فرعون وجنوده حتى حصروهم أمام البحر وألجؤوهم إليه، فلم يكن لهم من منفذ إلا اقتحام البحر! قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[5] فموسى عليه السلام وقومه محصورون؛ أمامهم البحر

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٦١.

وخلفهم فرعون وجنوده، ومحمد ﷺ وصاحبه رضي الله عنه محصوران في الغار وفرعون هذه الأمة أبو جهل وجنوده محيطون بهما. إلا أن القرآن الكريم بين أنّ موسى عليه السلام كان معه أصحاب كثيرون وليس صاحبًا واحدًا. قال تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ ولم يكن مع النبي محمد ﷺ إلا صاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وصاحب محمد ﷺ هادئ مطمئن، سوى أنه حزين على سلامة نبيه ﷺ ومستقبل دعوته لا يشغله سوى ذلك في تلك الساعات الرهيبة فيواسيه صاحبه رسول الله ﷺ ويخفف من حزنه قائلًا: ﴿ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] فلم يصبه حزن على أمر منذ تلك الساعة سوى حزنه على فراق صاحبه ﷺ بعد وفاته، أما أصحاب موسى عليه السلام فكانوا خائفين هلعين لا أمل عندهم في النجاة يقولون: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فيجيبهم صاحبهم نبي الله موسى عليه السلام: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾.

والفرق الآخر ما بين الصحبتين قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ مَعِىَ ﴾ ولم يقل: ﴿ مَعَنَا ﴾ كما قال النبي محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فنجاة أصحاب موسى عليه السلام لم تكن لمعية الله تعالى وإنما إكرامًا لموسى عليه السلام وتبعًا له، بينما كانت نجاة الصديق رضي الله عنه صاحب النبي محمد ﷺ بالمعية الإلهية لا بالتبعية النبوية فقط، فالله تعالى مع النبي محمد ﷺ ومع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه بينما هو مع موسى عليه السلام دون أصحابه؛ وهذا فرق شاسع يوضح المكانة العلية لصاحب رسول الله وخليفته أبي بكر رضي الله عنه، وهناك ما يؤكد ذلك ويجلي تلك المكانة أكثر فأكثر. قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى ﴾ بينما قال النبي محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فمعية موسى عليه السلام معية ربانية، ومعية محمد ﷺ وصاحبه معية إلهية، ومعية الربوبية فيها تعلق والتجاء وطلب مع خوف وقلق؛ ومعية الألوهية أكمل وما تعلق بها كذلك أكمل وأشمل وفيها تفويض الأمور إلى الله تعالى مع الطمأنينة والثقة

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

واليقين به سبحانه وتعالى. ومعية موسى عليه السلام تقدم فيها ذكر ما للنفس على ذكر الرب عز وجل ﴿ مَعِيَ رَبِّي ﴾ ومعية محمد ﷺ وصاحبه تقدم فيها ذكر الله تعالى على ما للنفس ﴿ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾. وهذا أقرب للطمأنينة والثقة واليقين والتعلق الخالص بالله تعالى من كل حظ للنفس وإن كان مشروعًا. والأداء أبلغ وأدل على الفضل، والنبي ﷺ وصاحبه يشتركان فيه.

وأعداء الصحابة لا يريدون أن يعرف المسلمون تنويهات القرآن الكريم عن عظمة خليفة رسول الله ودوره الرائد في قيادة الأمة على مسار نبيها ومنهجه الذي خطط له وأسس بناءه في حياته ﷺ؛ لأن ذلك يبطل سحرهم ويسقط مكرهم ويحذر من نياتهم المتربصة بالسنة وأهلها، فيشوشون على فضائله رضي الله عنه ويفترون عليه للتلبيس على عامة الناس والغوغاء ممن يسمع لهم ويصدق هذيانهم.

ومنها نزول السكينة والتأييد عليه حين أخبر النبي ﷺ صاحبه بأن الله معهما جميعًا. والمعية هنا معية الحفظ والسكينة والتأييد، وعلى هذا فلا يعقل أن يكون ما بعدها نافيًا لما قبلها وإلا حصل التناقض، وهذا ما يريده الرافضة في سبيل الوصول إلى ما ينتقص الصديق رضي الله عنه حتى لو كان ذلك بتكذيبهم للقرآن الكريم، وهذا مستحيل في كلام الله سبحانه وتعالى، وكذلك يكون النبي ﷺ- وحاشاه- كاذبًا في الإخبار وهو ممتنع أيضًا! فلم يبق إلا تصديق النبي ﷺ في إخباره أن الله تعالى مع أبي بكر رضي الله عنه كما هو مع نبيه ﷺ، فالسكينة والتأييد لكليهما معًا، وشمول الصاحب بما يكرم الله به صاحبه محسوم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فهو معه في كل شيء، وكما أنه شاركه في المخاطر والغرم فهو شريكه في المكارم والغنم. وهذه المعية أبدية دائمة سرمدية لن تنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل هذا الوجود، فها نحن لا نذكر الصديق رضي الله عنه حتى يذكر معه الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ في قولنا: خليفة رسول الله.

ومن خصائصه تفرده بمواساة النبي ﷺ:

إن الصديق بذل من الجهود وأظهر من التضحيات ما فاق به كل التصورات، وأثبت أنه

الصاحب الذي تأهل أن تذكر صحبته في كتاب الله تعالى نظرًا لرسوخها وقوتها وعميق تواصلها، ونظرًا لذلك الإخلاص وتلك الشفقة التي كانت تظهر منه تجاه رسول الله ﷺ حتى أَنْسَتْهُ نفسه وتفقد أحواله، فلم يعد له اهتمام سوى سلامة رسول الله ﷺ الذي أحس منه كل ذلك مما دفعه ﷺ إلى مواساته والتخفيف عنه وإدخال السرور إلى نفسه لكي تقر عينه بما قدم من تضحيات، ولكي يعلم الناس جميعًا أن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، فكان ذلك الوسام الأبدي الخالد الذي قدمه رسول الله ﷺ إلى صاحبه لكي تكون كرامة مقدمة تزيل عنه كل خوف في الدنيا وتدخل عليه السكينة والثبات في أحرج المواقف وأصعب الساعات، وهذا ما تحقق في سيرة خليفة رسول الله بعد قوله ﷺ لصاحبه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] وهذه المعية أصبحت من خصائص الصديق رضي الله عنه حتى كأن الله تعالى هو المواسي؛ لأن ذلك من جنس مواساة الله لرسوله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[3] وقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4] ومواساة المؤمنين بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5] ولكن مواساة أبي بكر خاصة، ومواساة المؤمنين عامة. ومواساة الله تعالى لأم موسى وتطمينها بقوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[6] ومواساة عيسى عليه السلام لأمه أو جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧.

تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[1] ومواساة الملائكة لنبي الله لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[2] وتطمينهم للمؤمنين عند الموت كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[3] فإذا كان هذا حال من تطمئنه الملائكة فكيف بمن كان الله الخالق البارئ المصور معه دائمًا وأبدًا؟!

ومن خصائصه رضي الله عنه أنه نائب النبي ﷺ في مهمات الشرع وأركان الإسلام:

فكان رضي الله عنه ينوب عن النبي ﷺ في كل موقف مهم بلا منازع. وأعظم موقفين مهمين تقدم فيهما الصديق رضي الله عنه عند غياب النبي ﷺ في حياته هما الحج والصلاة ثم ناب عنه في أداء الزكاة بعد الوفاة، وهذه المسائل من خصائص أبي بكر رضي الله عنه لم يشركه فيها أحد من المؤمنين؛ ففي السنة التاسعة لم يحج النبي ﷺ فأناب عنه أبا بكر يحج بالناس في أول حج يحجه المسلمون، ولم تكن في عهد النبي ﷺ إلا حجتان؛ قاد المسلمين في إحداهما أبو بكر رضي الله عنه، وفي الأخرى رسول الله ﷺ، وهذه خصيصة عظيمة ومرتبة سامية، أما ما يردده أهل الرفض وأهل البلاهة ممن يزعم أنه باحث أو مفكر ممن يحسب على أهل السنة في مسألة تلاوة علي لسورة (براءة) في الحج فهذا أمر لا صلة له بمهمة خليفة رسول الله وقيادته المتفردة بأمر رسول الله ﷺ ورعايته، فعلي إنما ذهب بسورة (براءة) بعد نزولها خلف أبي بكر رضي الله عنه تابعًا ومأمورًا يحج بحجه ويصلي بصلاته، وليس له إلا قراءة سورة (التوبة)، وكان فيها حلّ بعض العقود وإتمام بعضها،

(1) سورة مريم، الآية: ٢٤.

(2) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.

(3) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

ويروى أن العرب من عادتهم في الجاهلية ألَّا يحل العقود ولا يعقدها إلا الأمير أو أحد أهل بيته، فكان رضي الله عنه هو الأمير على الحج يأتمر بأمره وينتهي بنهيه علي رضي الله عنه وعامة الصحابة[1].

ولما مرض النبي ﷺ أناب عنه خليفته رضي الله عنه يصلي بالناس؛ والصحابة جميعًا متوافرون وفيهم علي وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولما تقدم عمر رضي الله عنه في أحد أوقات الصلاة وكان الصديق رضي الله عنه غائبًا وسمع النبي ﷺ صوته يصلي بالناس صاح مغضبًا يُسمع الناس: «**أين أبو بكر؟! أين أبو بكر؟! يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر!**» فأي شرف بعد هذا وأي إمامة بعد هذه الإمامة التي يعلنها رسول الله ﷺ بهذا الحزم وذلك الوضوح، ثم أي غباء يعتور عقول من يقارن بين أبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة بعدما سمع موقف رسول الله ﷺ من صاحبه الثاني عمر رضي الله عنه، وكيف رد عليه وأمام المسلمين ذلك الرد، فكيف بمن هو غيره؟! لا شك أن موقف النبي سيكون أشد صرامة وقوة عما اتخذه من موقف تجاه عمر الفاروق رضي الله عنه، وفي هذا رد ساحق يمحق كل أباطيل أعداء الصحابة التي يعملون لها جاهدين وبجلد الفجار ووسائل المنافقين، لإيجاد صدع بالأمة يفرق وحدتها ويمزق صفها، حين يزعمون كاذبين مفترين أن الإمامة في الأمة لغير أبي بكر رضي الله عنه، والذي يشارك الرافضة آثامهم فيما يفترونه في هذا الباب أولئك الصامتون الخرس على هذا الباطل ممن يحسبون على علماء السنة، أولئك الذين أسهموا إسهامًا مباشرًا في تمدد الرفض وبغض الصحابة وكراهية السنة في أكثر من مصر وعصر، حتى تلبس به كثير من الغوغاء الذين لا علم لهم ولا تجربة ولم يرشدهم أحد إلى الحقيقة الناصعة، فباء بإثم التفريط وتقوية الباطل وإضعاف الحق كل من لديه علم من أهل السنة وليس له مشاركة وإسهام أي إسهام في التصدي لأعداء الصحابة ورد بغيهم وكشف زيفهم وباطلهم الذي يسعون به لتطويق السنة وطمس علومها النيرة وسحق أهلها

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٥٦ فما بعدها.

الأبرار الكرام، ولا سيما في هذه المرحلة التي عبثت فيها العلمانية بعقول الكثير من أهل السنة فأفرغت فكرهم من الولاء للسنة ومحبة الصحابة وتركتهم كالريشة في مهب الريح، فاجتالتهم شياطين الرفض والردة واغتالت ولاءهم وفهمهم وطهارة نفوسهم على موروث الأمة وأعلامها وأئمتها الصالحين المؤتمنين.

ومن خصائصه أنه أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ:

أما محبة رسول الله ﷺ لصاحبه فقد كانت معلنة على الملأ كافة يجيب عنها ﷺ دون أي تردد أو توقف أو تمويه أو غموض. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قلت: من الرجال قال: «**أبوها**»[1]. ومن هنا تأتي أهمية فقه مقام خليفة رسول الله ﷺ ووجوب موافقة حبه وبغضه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[2] فمن أحب رسول الله ﷺ لا بد أن يظهر ذلك بموافقته لما يحبه رسول الله ﷺ؛ لأنه لا يوجد مؤمن عاقل يزعم أن رسول الله ﷺ يحب ما لا يحبه الله تعالى مما يجعل من حب أبي بكر ميزانًا يشهد به المسلمون على تمام إيمان من يزعم أنه مؤمن؛ ونفاق من يزعم أنه مؤمن وهو يبغض خليفة رسول الله إمام الأمة وقائدها الأكبر بعد نبيها ﷺ.

ومن هنا أيضًا تأتي المفاصلة مع من يرفض إمامة الصديق ومتابعته، لأن كل من يرفض هذه الإمامة سيكون خارج إطار السنة وفي مواجهة معلنة مع رسول الله ﷺ الذي كان يغضب لغضب أبي بكر ويرضى لرضاه، وما ذلك إلا لأن محبته علامة الإيمان وبغضه علامة الرفض والردة، فكل من يتعامل مع مبغضي خليفة رسول الله ويبايعهم ويشاريهم إذا لم يكن مضطرًّا؛ فإنما هو مداهن في إيمانه ومعارض لهوى رسول الله ﷺ ومراده الذي لا ينطق عن الهوى، وهذه خصيصة لأبي بكر من دون أصحاب رسول الله ﷺ توصل المؤمن بها إلى بحر رسول الله ﷺ

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٤٦٢).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

وسواحله المزهرة؛ وتخرج الرافض لها إلى تيه وردة مسيلمة وأبي لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وإخوانهم أهل الغدر والخيانة أعداء أصحاب رسول الله ﷺ الذين يمدونهم بغيهم ويؤمنون بما ارتكبوه من الإثم والجريمة بحق أصحاب رسول الله ﷺ.

ففي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من أكابر الصحابة إلا واحد كان أبو بكر يكون هو ذلك الواحد، مثل يوم هاجمه المشركون في الحرم وحاول بعضهم خنق رسول الله ﷺ وفي يوم الغار، وفي العريش يوم بدر، وفي تشاوره معه عن مستقبل الدعوة ووسائل تسييرها، ومثل اصطحابه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فهذا الاختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي ﷺ، وأما من كان جاهلًا بأحوال النبي ﷺ أو كذّابًا، فذلك يخاطب خطاب مثله. فقوله تعالى في القرآن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] لا يختصّ بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق، الذي كمل في الصحبة كمالًا لم يشركه فيه أحد فصار مختصًّا بكمال الصحبة.

كما في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقَّه؛ فإنه لم يسؤني قط**»[2]. ومن تأمل هذا وجد فضائل الصدّيق التي في الصحاح كثيرة، وهي خصائص ومزايا له وحده رضي الله عنه لم يصل إلى آفاقها أحد من الناس مثل حديث المخالّة، وحديث: إن الله معنا، وحديث: إنه أحب الرجال إلى النبي ﷺ، وحديث الإتيان إليه إن لم يكن النبي موجودًا كما سبق ذكره، وحديث كتابة العهد إليه بعده: عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[3]. وحديث تخصيصه بالتصديق ابتداءً والصحبة الخاصة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/ ٤٢٦. ينظر: منهاج السنة، ٨/ ٤١٧.

(٣) مسلم: صحيح مسلم. ح (٦١٨١)

به ﷺ، ومطالبته المسلمين بتركه له ﷺ في قوله: «**فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»[1] ذلك الحديث الذي ظهرت فيه غيرة رسول الله ﷺ على صاحبه رضي الله عنه ونصرته له بما أدخل الفزع والروع على كل من يتعرض لأبي بكر رضي الله عنه بأي صغيرة أو كبيرة، فإذا كانت هذه غيرة رسول الله على صاحبه أبي بكر رضي الله عنه من الصحابة الكرام، فكيف تكون غيرته عليه وحميته له ﷺ من مجوس هذه الأمة الذين رفضوا خلافة النبوة وأعلنوها حربًا شعواء سوداء على سنة رسول الله ﷺ ؟! فهل يقتدي أهل السنة بنبيهم ﷺ في غيرته على أصحابه فتثور فيهم حمية الإيمان فتتلاحم الصفوف لتكوين حصون المنعة وصد الرفض والردة التي بلغت مبلغًا لم تصله من قبل في وقت لا تزال ترى كثيرًا من أهل السنة نيامًا لا تنبض فيهم حمية الإيمان وأخوة الدين؟ وحديث التصدي لعقبة بن أبي معيط لمّا وضع الرداء في عنقه ﷺ ودفعه عن رسول الله ﷺ مفتديًا لصاحبه وحبيبه ﷺ بنفسه وحياته وهو يصيح في عتاة قريش وفراعنة الشرك: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[2]! وحديث استخلافه في الصلاة وفي الحج، وصبره وثباته بعد موت النبي ﷺ وانقياد الأمة له، وحديث الخصال التي اجتمعت فيه في يومٍ واحد، وما اجتمعت في رجل إلا وجبت له الجنة، وأمثال ذلك من الخصائص التي انفرد بها خليفة رسول الله عن بقية الصحابة الكرام التي جاءت في مواضعها من البحث، ووجب التأكيد عليها والتذكير بها لكيلا يرد خاطر على قلب أحد بأن هناك من وصل إلى ما وصل إليه خليفة رسول الله ﷺ من السبق والبذل والفداء والتضحية.

ومن خصائصه ثباته الراسخ يوم وفاة النبي ﷺ:

عن أنس قال: لما توفي رسول اللّه ﷺ بكى الناس بكاءً شديدًا فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيبًا فقال: لا أسمعن أحدًا يقول إن محمدًا قد مات، ولكنه أرسل إليه كما أرسل

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٨٨٨).

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة، واللّه إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات. وقال عكرمة: ما زال عمر رضي الله عنه يتكلم ويوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه فقال له العباس: إن رسول الله ﷺ يأسن كما يأسن البشر وإنه قد مات فادفنوا صاحبكم أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين هو أكرم على الله من ذلك؟ وعن أبي سلمة أن أم المؤمنين عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم من الناس أحدًا حتى دخل على عائشة فتيمم رسول اللّه ﷺ وهو مغشى بثوبٍ حِبَرَة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى. ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فَقَدْ مِتَّهَا. وحدثني أبو سلمة عن عبد اللّه بن عباس: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر رضي الله عنه فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1] قال: واللّه لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية إلا حين تلاها أبو بكر. فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا إلا يتلوه. وأخبر سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: واللّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول اللّه ﷺ قد مات[2].

لقد حصل ما حصل من المحنة يوم وفاة النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ثابت الجأش قوي القلب لم يتزعزع ولم تَخُرْ قواه ولم تتثبط عزيمته عن مكافحة ذلك التيار الهائل الذي كاد يجترف الإسلام والمسلمين، كان موقف خليفة رسول الله ﷺ من أشد المواقف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب وفاته ﷺ، ح (٦٦٢٠).

خطرًا وحراجة، لكنه أثبت أنه أهل لمواجهة الأخطار والأهوال مهما بلغت من الخطورة دون أن يلحظ عليه أحد أي بادرة تردد أو مداهنة حتى أدهش قادة الصحابة بجرأته، وأهالهم بقوة إقدامه، وأثبت بكل جدارة وباتفاق جميع الصحابة أنه الثاني بعد رسول الله وأنه هو المتقدم في فهمه وإدراكه لما يحيط بالإسلام من تحديات وأنه الأفضل من الوجهة السياسية والإدارية والاجتماعية على عموم الصحابة من مهاجرين وأنصار وإن كانوا هم أجنحته التي يطير بها وقوته التي يستند إليها وعدته التي قاوم بها تيار الردة الجارف.

إلا أن كل ذلك لم يكن مستغربًا من خليفة رسول الله ﷺ وهو الذي عرف الناس مقدرته وفضله ومواقفه كلها متفردة من بدء إسلامه إلى وفاة النبي ﷺ ويوم الوفاة وفي يوم السقيفة والبيعة بالخلافة، وبعث جيش أسامة، وخروجه بنفسه لقتال من أغار على أطراف المدينة من المرتدين، وفي هذا الموقف الذي بعث فيه الجيوش الإسلامية لإخضاع المرتدين الرافضين لخلافة النبوة، وهو من أشدها هولًا ومغامرة في رأي العجزة والمترنحين، وإقدامًا عند أهل العزائم والبصائر من المؤمنين، حيث كان هذا الموقف وهو الموقف الذي يريد به إعادة مجد الإسلام إلى ما كان عليه في اليوم الذي وقف فيه رسول الله ﷺ في عرفة في حجة الوداع وخطب خطبته التي أبان فيها محو كل مأثرة من مآثر الجاهلية، وتلا فيها قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] ذلك اليوم الذي علمت فيه العرب أن لا دين غير دين الإسلام ولا مجد غير مجد الإسلام، ولا تشريع غير التشريع الإسلامي، هكذا كانت إرادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إخضاع العرب إلى سلطان الإسلام، فكان هو بطل هذا الموقف المغوار، وفارسه الكرار، وسيفه البتار، وسهمه الصائب، وصاحب الجرأة الفائقة، والمقدرة العظمى، والإقدام الهائل، والبأس الشديد. هكذا يكون الأبطال وبهذه المواقف تعرف الرجال، ولا يكون التفاضل بين أصحاب المزايا إلا بعد خوضهم في المعارك الدامية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أثبت له التاريخ هذه المواقف الكبرى المفعمة بالسياسة الفكرية والدعوية، والاقتصادية، والحربية، والاجتماعية، والإدارية، التي لا نظير لها ولم يحدثنا التاريخ بمثلها لغيره من العالم أجمع.

وعن الشعبي قال: خصّ الله تبارك وتعالى خليفة رسول الله ﷺ بأربع خصال لم يَخُصّ بها أحدًا من الناس:

١- سمّاه الصّدِّيق ولم يسمّ أحدًا الصّدِّيق غيره. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

٢- وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ الذي ذكره الله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2].

٣- ورفيقه في الهجرة الذي خصه الله تعالى بها مع نبيه ﷺ من دون الناس. ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[3].

٤- وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود وهو بين أظهرهم ﷺ يسمعه ويراه ويسره انقياد المسلمين له ورضاهم بإمامته وفرحهم بقيادته. قال ﷺ: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[4] فتحقق ذلك كاملًا كما أخبر رسول الله ﷺ فلم يخالف أحد من المسلمين أمرًا لخليفة رسول الله ﷺ وإرغامًا لأعداء الصحابة. أقول: لا يستطيع أحد من الرافضة ولا غيرهم أن يثبت أن عليًّا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٤) مسلم: صحيح مسلم. ح (٦١٨١). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٦.

رضي الله عنه أو سعد بن عبادة رضي الله عنهما قد خالفا أمرًا واحدًا لخليفة رسول الله ﷺ أو تخلفًا عن موقف واحد من مواقف الجهاد الذي قاده أو أمر به خليفة رسول الله فلطالما افترت الرافضة والغوغاء التي تجتر بهتانهم على هذين الكريمين المؤمنين المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ ومن ثم بين يدي خليفته أبي بكر رضي الله عنه، وهذه الكتب الصحيحة والكتب المزيفة بإفك الرافضة بين أيدي الناس فليثبت الرافضون لخلافة النبوة موقفًا واحدًا لأي منهما يبين ما يقولون!! وإذا لم يثبتوا ولن يثبتوا؛ فليعلم كل محب لرسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم أنه لا يخرج عن طاعة خليفة رسول الله ومحبته سوى من رفض النبوة وسنة النبوة ورد أمر رسول الله ﷺ وخرج من الملة ممن لا قيمة لرفضه ولا لقبوله، وكما ثبت ذلك على مر الأيام بأنه لم يخالف أمر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إلا الذين رفضوا دين رسول الله ﷺ من المرتدين والمشركين وإخوانهم من أهل النفاق والباطنية ومن تحلل من الإسلام ودان بالعلمانية. مصداقًا لقوله ﷺ: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»** وليَنظر بعد هذا كل امرئ أين موقفه وتحت أي راية يقف؟ قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1].

***

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

المبحث الثالث

فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشتركة

من أخلاقه وفضائله التي جُبِل عليها:

ثقته التامة بموعود الله تعالى لأهل الإيمان[1] في مثل موقفه أمام المشركين من قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[2] قال المشركون لأبي بكر: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فارس. قال: صدق صاحبي. وقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا ولا يقر الله أعينكم؛ فوالله ليظهرن الروم. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] أي يوم يغلب الروم ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ ﴾[4] إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر ونزول جبريل بذلك، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ نصرته وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب للكافرين والمشركين، الرحيم بالمؤمنين ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ بنصرهم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ كفار مكة ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] وعده تعالى بذلك على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ج: ٢ / ٣٧١.

(٢) سورة الروم، الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥.

(٥) سورة الروم، الآية: ٦.

إليه أُبي بن خلف فقال: كذبت. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله. قال: أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين. ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل**». فخرج أبو بكر رضي الله عنه فلقي أُبيًّا فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا. قال: تعال أزيدك في الخطر وأمادُّك في الأجل فأجعلها مائة قلوص بمائة قلوص إلى تسع سنين. قال: فعلت. وذلك قبل تحريم الرهان[1] وقد أتم الله تعالى موعوده بنصر المؤمنين لتتجلى ثقة الصديق بينة واضحة لا يجحدها إلا هالك.

عميق ثقته بأهل الدين وغيرته على السنة وشدة تمسكه بما سمعه أو تعلمه من رسول الله ﷺ دون أي تعديل أو تبديل أو تفريط، فقد قام يومًا رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[2] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»[3]. فمواقف فقه ويقين خليفة رسول الله لم تكن عارضة في سيرته وإنما كانت أخلاقًا متأصلة في ضميره وثابتة في سيرته حتى أصبحت جزءًا من شخصيته يعرفها عنه أصحاب رسول الله، وكان يرى أن كل خطاب للمؤمنين في كتاب الله إنما هو موجه إليه قبل أي مؤمن آخر فكان ذلك يولد عنده الإحساس الدائم بالمسؤولية والتحفز الدائم للأداء الأمثل والأكمل فيما يخدم الدين. قال علي رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته،

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٤٢٧. والقلائص: مفرده قلوص، وهي الناقة الشابة. المعجم الوسيط، ٢/ ٩٥. مسند أحمد: كتاب: مسند أبي بكر. باب: مسند أبي بكر الصديق. حديث: ١-١/ ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٣) مسند أحمد كتاب: مسند أبي بكر، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢) ١/ ٥.

فإذا حلف لي صدقته، وإنّ أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له**»[1]. فخليفة رسول الله فوق المساءلة وفوق العلماء لأن سيرته مدرسة يتعلم الناس فيها علم اليقين ونبع يستقون منه الفهم والإخلاص والفقه في الدين.

وكيف لا تكون حياة خليفة رسول الله ﷺ مدرسة تتعلم منها الأجيال فنون التعامل والقيادة وصناعة النجاح؛ ورسول الله ﷺ يقول له: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[2] فكيف وهو يتلقى اليقين من رسول الله ﷺ بهذه الصراحة، وهو الذي لديه القدرة على استنباط مقاصد أحاديث رسول الله ﷺ فهذه المعية الربانية لخليفة رسول الله نبع يولد المواقف الإيمانية المتفردة في مسيرة أبي بكر رضي الله عنه، وتؤكد عمق يقينه وثقته المطلقة بكل ما وعد به ﷺ من مبشرات تؤكد ظهور الإسلام وانتصار أهله على من سواهم من الأمم المعاندة لرسالة محمد ﷺ، فأورثه هذا اليقين الحرص الشديد على اقتناص الفرص وأوقات الفراغ عند رسول الله ﷺ ليبادره بالسؤال عمّا يجول في خاطره من تساؤلات علمية وأمور فقهية، فينهل من علوم رسول الله ﷺ وتوجيهاته وإشاراته علومًا لا توجد عند غيره حتى أصبح المرجع لأصحاب النبي ﷺ يجدون عنده حلول معضلاتهم التي يواجهونها في حياتهم اليومية.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ حين توفي النبي ﷺ حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس، فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[3] قال عثمان رضي الله عنه: وكنت منهم، فبينا أنا جالس في ظل أطم من الآطام أي حصن، مرّ عليّ عمر

---

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٥ - ١/ ٧.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه. باب: مسند أبي بكر، ح ١٢، ١/ ٨.

(٣) ابن رجب: لطائف المعارف، ١١٤. الخليفة: الإنصاف، ٩٧.

رضي الله عنه فسلم عليّ فلم أشعر أنه مرّ ولا سلّم، فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه فقال له: ما يعجبك أني مررت على عثمان رضي الله عنه فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، وأقبل هو وأبو بكر في ولاية أبي بكر رضي الله عنه حتى سلما عليّ جميعًا، ثم قال أبو بكر: جاءني أخوك عمر فذكر أنه مر عليك فسلم فلم ترد عليه السلام، فما الذي حملك على ذلك؟ قال: قلت: ما فعلت، فقال عمر: بلى والله لقد فعلت ولكنها عبيتكم يا بني أميّة. قال: قلت: والله ما شعرت أنك مررت ولا سلمت، قال أبو بكر: صدق عثمان، وقد شغلك عن ذلك أمر؟ فقلت: أجل. قال: ما هو؟ فقال عثمان رضي الله عنه: توفى الله عز وجل نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، قال: فقمت إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها، قال أبو بكر: قلت يا رسول الله، ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها عليّ فهي له نجاة**»[1]. أي كلمة لا إله إلا الله التي عرضها على عمه أبي طالب فلم يقلها ومات على ملة عبد المطلب، وليس على ملة رسول الله ﷺ.

فكانت مجالس خليفة رسول الله ﷺ تتفجر بالحكمة والعلوم النافعة والوصايا الحكيمة التي تنم عن مدى قربه من رسول الله ﷺ؛ حيث لم يكن يحمل همًّا سوى همّ الدين ومستقبل الدين والتحذير من التفريط في رعايته أو مهادنة أعدائه الماكرين بأهله والكائدين لمستقبله. عن عمرو بن حريث: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفاق من مرض له، فخرج إلى الناس فاعتذر بشيء وقال: ما أردنا إلا الخير ثم قال: حدثنا رسول الله ﷺ أن الدجال يخرج من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة[2]. فهذا الاستشراف الدائم للمستقبل هو الذي يميز خليفة رسول الله عن غيره من القادة، فهو يحدث عن الواقع

(١) ابن حنبل: المسند كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر، ح٢١-١/ ١١.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر، ٣٤-١/ ١٤.

الذي يعيشه مع أصحابه لكنه دائمًا يوجه أفكارهم ومشاعرهم لاستشعار الخطر القادم في المستقبل ولا سيما من تلك البلاد التي ينبت فيها بغض السنة وكراهية الصحابة.

وخطب أبو بكر رضي الله عنه المؤمنين يومًا. فقال: قام رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول وبكى أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: سلوا الله المعافاة. أو قال: العافية، فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة، عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا إخوانًا كما أمركم الله تعالى[1] فهو مرشد لأصحابه وأبناء أمته إلى السبل المُمكنة للمجتمعات والمثبتة لأركان الأمم وصفاء علاقاتها وقوة روابطها، فما أحوج الأمة في هذا العصر إلى هذه المرامي التي يرمي إليها إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه فهو يدعو إلى إقامة مجتمع العافية والأمن وقد فعل الصحابة ذلك، بينما نرى في هذا العصر الفاقد للإيمان ما يبذل أهله من الثروات والأموال الهائلة بحثًا عن العافية وطلبًا للسلام فلا يزداد الحال إلا سوءًا والأمن إلا تخرّقًا؛ وما ذاك إلا لأن الأسس التي يقيم أهل هذا العصر بنيانهم عليها تفتقد لأسس العدل والرحمة التي أسس الصحابة بنيان حضارتهم العالمية عليها.

ومن أخلاقه رضي الله عنه تواضعه الجم. قال ابن أبي مليكة: قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله. فقال: أنا خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضٍ به، وأنا راضٍ به، وأنا راضٍ به[2] فيستفاد من هذه اللفتة أنه لا مكانة عنده رضي الله عنه لأصحاب الأهواء فهو أدرى بنفسه وبمقامه.

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، الزجر عن الكذب، ح (٥٧٣٤) سنن ابن ماجه: ك. الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، (٣٨٤٩).

(٢) ابن حنبل، المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق، ح٦٠- ١٩/١.

ولعل هذا ما يلمس الناس في هذا العصر نتائجه الوخيمة على العدل وسير القوانين وحفظ مقامات الناس الطبيعية في مجتمعاتهم، فكم من همام وسيد وعالم أصبح لا قيمة له في بلاد المسلمين في هذا العصر، يسوسه ويسوده الهمج والجهلة والغوغاء، كل ذلك لغياب الموازين التي كان يكيل بها المؤمنون الحقوق ومنازل الناس بالعدل والإنصاف، وفي عصر الفرقة والهوان هذا، حيث فتحت الأبواب للمصفقين من الغشاشين والنمامين الذين يخدعون الناس عن أنفسهم، تغيرت المواقع ففسدت الثمار وتعطل الحصاد، فكم من جبان قتات دنيء في أمتنا يصفق له المراؤون بأنه هو نبع الشجاعة!! فينطلق بجنده المتسلحين بالنميمة والجاسوسية وبغض السنة النبوية؛ على كل حر في الأمة يقتلون ويسجنون ويشردون، فيسطر له المنافقون البطولات الكاذبة على شعبه وأبناء بلده المؤتمن على حرياتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، بينما أرض البلاد المسلمة وثرواتها نهب للغزاة واللصوص، بمرأى ومسمع من أهل النياشين والأوسمة الزائفة، ممن جعلوا من أنفسهم حرسًا وخولًا للمعتدين الظالمين وأعوانهم أعداء الصحابة، كل هذا حاصل في بلاد حررها وطهرها خليفة رسول الله رضي الله عنه وإخوانه الأكرمون من كل رجس وشَين، بينما كان يسير رضي الله عنه على قدميه في ثياب رثة لا تزيد عن ستر العورات بلا مراكب ولا حراسة ولا نياشين، فإذا ذكر في مجالس القياصرة والأباطرة اهتزت عروشهم وتصدعت قلوبهم المشربة بالظلم والكبر وهضم الناس، وإذا سمع بذكره الضعفاء والمظلومون والفقراء والمساكين استبشروا وهشوا وتطلعوا إلى حقوقهم وكرامتهم كاملة غير منقوصة.

لكل ماسبق فإن الأمة الآن ولا سيما في هذه المرحلة أصبحت على مفترق من الخيارات؛ فإما السنة النبوية وسيرة الصديق رضي الله عنه وإخوانه الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم والعزة والأمن والرفاه؛ وإما مزيد من الذل والتمزق والمآسي وهيمنة الغزاة والرعاع وأعداء الصحابة، وما يتسلحون به من محالفة الباطل والغزاة والمعتدين وأخلاق السوقة وانحطاط السفهاء وقذارات الآثمين، وما يحملونه في صدورهم من الأحقاد والبغض وثقافة الكراهية للسنة المطهرة وأهلها المؤمنين وقيمهم ونبلهم وسماحتهم!

ومنها أنه كان كتومًا للسر حافظًا لأسرار رسول الله ﷺ يتعامل معه في منتهى الأدب والتبجيل والإجلال. عن عمر رضي الله عنه. قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس أو حذيفة بن حذافة - شك عبد الرزاق - وكان من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرًا رضي الله عنه فتوفي بالمدينة، قال: فلقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، قال: سأنظر في ذلك فلبثت ليالي فلقيني فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا، قال عمر رضي الله عنه: فلقيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنة عمر، فلم يرجع إليّ شيئًا، فكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي فخطبها إليّ رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا، قال: قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا حين عرضتها علي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتها[1]. نعم لم يفش سر رسول الله لأنها التربية النبوية والجندية التي تخرجت في المدرسة المحمدية علم وفهم وترفع وعفاف، فبينما يهذي الكثير ممن يحسبون على القيادات العربية والإسلامية في هذا العصر بأسرار بلادهم وما لديها من ذخائر أو خطط وتوجهات نجد جند رسول الله ﷺ يتنبهون حتى على ما ينطق به من الأمور الاجتماعية والعلاقات الأسرية فيحفظون كل ذلك على أقرب الناس إليه ﷺ لا ينطقون بأي حرف لكيلا يؤول عن طريقه ذلك المنطق أي حرف قد يقود إلى كشف سر لرسول الله ولو في مثل هذه المسائل الاجتماعية العائلية، فأين ما تحياه الأمة اليوم في أمنها وأسرارها وبين ما كان يحياه أئمتها الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إضافة إلى ما تحمله وسائل الإعلام من أسرار الأمة بكل طبقاتها في هذا العصر فإن كثيرًا ممن يتولون مسؤوليات في الأمة وظفوا الكثير من الناس للتجسس والتلصص على أبناء الأمة خشية من أن يكون أحد من أبنائها قد أسرّ ما ينفعها أو يدفع عنها في ساعة من ساعات الشدة،

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق. حديث ٧٥- ١/ ٢٢

فينطلق جند النميمة الذين هم أخس طبقات المجتمعات الإسلامية في هذا العصر إلا من رحم الله منهم ببقية دين أو تربية طيبة أو صحبة صالحة، لأنهم لا يشغلهم سوى كشف أسرار المؤمنين وهتك أستار المتقين، والتقرب بذلك إلى أعداء الأمة والدين.

شدة الحرص على تنفيذ مراد الله ورسوله ﷺ بأعلى درجات التنفيذ والقبول. قال أبو بكر رضي الله عنه: لما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] قال رضي الله عنه: فآليت على نفسي ألّا أُكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار[2] مبالغة في الطاعة والجندية بين يدي رسول الله ﷺ وحفظًا لما يأمر به رسول الله ﷺ وخشية من أن يكون سببًا في إفشاء كلمة مما لا يريد رسول الله ﷺ إفشاءها، وبعدًا عن أي تشويش أو ضوضاء في مجلس رسول الله ﷺ ليزداد الناس له إجلالًا وتبجيلًا واقتداء واتباعًا.

أما عن شجاعته وفقهه فالمواقف أكثر من أن تعد وتحصى، إذ كانت حياة خليفة رسول الله حافلة بكل ذلك، وإن كان من أشهرها موقفه يوم الردة؛ حيث كثر الأعداء وقل الأنصار وقد غاب وجه رسول الله ﷺ الذي كان يجلو عنهم الهموم والمدلهمات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى**»، قال: فلما كانت الردة قال عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه: تقاتلهم وقد سمعتَ رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟! قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشدًا[3] نعم إن الوقوف مع أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤٩) ٣/ ٧٨. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق حديث: ٦٨- ١/ ٢٠. البداية: ٥/ ص ٢١٨

ونصرته ومحبته هي الهدى والرشد، وبغضه ومخالفته هو الضلال والبغي والظلم، ولا أدل على ذلك من موقفه الشامخ بالفخار والعز والمجد وما جناه المؤمنون من ذلك الموقف من ثمار طيبة مباركة في كل صفحات حياتهم فضلًا عن سلامة الدين وثبات أحكامه والعمل بأوامره واجتناب نواهيه.

وقد كانت صحبته رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ولأمة رسول الله ﷺ كلها خصائص ومناقب، وكان في كل ذلك ينحت في مجرى الأيام والتاريخ فضائل لا تمحى مهما حاول أعداء الصحابة إزالتها بالبهتان والغدر والعدوان، بل إنها تتجدد في كل أزمة تمر بها الأمة إذ تعود في كل ذكرياتها إلى سيرة خليفة رسول الله ﷺ لتستقي العبر في حسن التعامل مع الآخرين. واجتهاده في تحقيق كل عمل يقربه إلى الجنة وما يرضي الله رب العالمين حتى شهد له رسول الله ﷺ بأنه قد جمع أعمال الخير الموجبة لدخول الجنة بإذن الله تعالى، فقد سأل ﷺ أصحابه يومًا فقال: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟**». قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**»[1]. وعلى هذا الاستعداد الذي تحوطه الرعاية الربانية كان خليفة رسول الله يبني أعماله ويستحضر نياته، فلا يسأل أحد عن فضيلة إلا وأبو بكر قد تلقفها قبل الناس ولا عن منقبة إلا وهي بعض سيرته ولا عن سباق إلا وهو رائده ولا ميدان إلا وهو سيده، ويجعل من نتاج كل ذلك ثمارًا يضعها بين يدي رسول الله ﷺ ليتعلم الناس فنون الإيمان وخدمة الأمة وفهم العقيدة ونصرتها والبذل والعطاء من أجل عزها وسلامتها.

ويوم الهجرة قال أبو بكر رضي الله عنه: ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله،

(١) مسلم: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ح (٦١٨٣). مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح (٢٣٧٤).

فقال: **«لا تحزن إن الله معنا»**[1] فأثمر خوفه على رسول الله وحزنه على ما هو فيه من قلة المعين والنصير، أثمر أمنًا مطلقًا لخليفة رسول الله ﷺ وثقة لا حدود لها وإيمانًا لا ساحل له حتى أصبح ينظر إلى الأحداث وما يجري في الأمة بمنظار رسول الله ﷺ الذي لا تردد فيه ولا خور، وإنما هو الإقدام والنصر والظفر، كيف لا ومنحته من رسول الله ﷺ وهو في الغار أنه أصبح (ثاني اثنين الله ثالثهما)، ويوم الهجرة جائزته أن ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؟ وكل ذلك خصائص لا يشركه فيها أحد من أصحاب رسول الله وهو يزداد بينهم فضلًا على فضل وشرفًا على شرف.

ومن فضائله أنه لم يكتف بنصرة رسول الله ومؤازرته ومشاركته حمل أعباء الهجرة، بل كان يسعى على خدمة رسول الله وعلى توفير كل ما يسعده من المكان الفسيح والظل المريح والطعام الهنيء، فبعد أن وفر المكان والظل أخذ يسعى حتى نال شرف إطعام رسول الله ﷺ في ساعة الشدة والخوف والتعب. قال رضي الله عنه: انطلقت، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه، فقلت: لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ فقال: نعم، فقلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته، فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة، على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانتهيت إلى النبي ﷺ فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت[2]. كل هذا يفعل رضي الله عنه حبًّا لرسول الله وسعيًا وراء راحته، حبًّا أنساه ذاته وما فيه من التعب والخوف إذ إن راحته بسلامة رسول الله وأمنه ونجاته من شراك المشركين.

وعن سبقه إلى الإسلام قال عمار رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ح (٣٦٥٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللقطة، باب من عرف اللقطة، ح (٢٤٣٩). ح (٣٦٥٢).

أعبد وامرأتان، وأبو بكر رضي الله عنه[1]. قال في **فتح الباري**: أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة، وقيل: الخامس شقران مولى رسول الله ﷺ، وقيل: عمار، والله أعلم، وأما المرأتان فهما خديجة وأم أيمن أو سمية رضي الله عنهم[2].

ومن خصائصه أن رسول الله ﷺ كان دائمًا مساندًا له غيورًا عليه نصيرًا له، وقد بلغ من غيرته عليه رضي الله عنه أمام الصحابة رضي الله عنهم دون أي تحفظ ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: **«أما صاحبكم فقد غامر»**. فسلم. وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال ﷺ: **«يغفر الله لك يا أبا بكر»** ثلاثًا، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: **«إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي»**؟ مرتين، فما أوذي بعدها رضي الله عنه[3] فإذا كان هذا الموقف الحاسم مع عمر الفاروق ذي المكانة العلية عند رسول الله ﷺ فكيف موقفه ﷺ مع من هو دون عمر، وفي مسألة خلافية كان البادئ فيها خليفة رسول الله ثم إنه آب إلى التوبة وسعى بكل وسعه إلى رد الحق لصاحبه رضي الله عنهما.

والسؤال الذي يجب أن يفقهه من يزعم أنه من أهل السنة ويحمل في قلبه الود لأعداء أبي بكر رضي الله عنه ومبغضيه، بأي وجه يلقى رسول الله ﷺ ؟ وبأي عذر يعتذر عن

---

(١) البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي: **«لو كنت متخذًا خليلًا»**، ح (٣٦٦٠).

(٢) شرح فتح الباري: ك. فضائل الصحابة شرح الحديث (٣٦٦٠).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلًا»**. ح (٣٦٦١).

تلك المودة أو الموالاة بعد معرفة موقف رسول الله ﷺ مع عمر الفاروق رضي الله عنه حين اختلف مع أبي بكر رضي الله عنه؟ أما موقف رسول الله ﷺ من رافضي خلافة النبوة ومكذبي السنة ومستبيحي أهلها والموالين لأعدائها الكاشفين لهم كل عورات المسلمين والبائعين للأرض والعرض والدين، فإنه لن يكون أقل من موقفه من بني قريظة الخائنين الغادرين، ذلك الحكم الذي نطق به سعد بن معاذ رضي الله عنه.

ومن فضائله أن بركته وبركة آله رضي الله عنه على المسلمين كانت ظاهرة معلومة، فخليفة رسول الله كان وجيه الأمة بين يدي رسول الله ﷺ لا يُرد له قول ولا يستبدل برأيه ومشورته رأي أو مشورة، وهو الذي كان رحيمًا بالمؤمنين محبًّا لهم متمنيًا لهم كل خير، فكان وجوده بين ظهرانيهم خيرًا على خير، وهكذا كان يوم وفاة رسول الله ﷺ ببصيرته وثباته وفهمه وعلمه ووزنه للأمور والأحداث الداخلية والخارجية بما كان يزن به رسول الله تلك الأحداث، فكانت نتيجة مواقفه بركة ووحدة وقوة ورفعة على أبناء أمته، وبعد وفاته كان بركة على أمة محمد ﷺ بأجمعها وليس على الصحابة والتابعين فقط؛ إذ إن مواقفه المتفردة وخصائصه التي لا يشركه فيها أحد كانت بعامتها خيرًا ونورًا وسعادة لأجيال الأمة، لما حملته من الإخلاص والتفاني المطلق في سبيل خدمة الأمة ودينها، حتى أصبحت مواقفه أركانًا مشيدة يبني عليها البناة المخلصون للدين والأمة، بل إن اسمه بركة على العقيدة والثقافة الإسلامية؛ إذ إن بإمكان كل مسلم أن يعرف المؤمنين بما جاء به محمد ﷺ من النور والهدى، ويعرف الرافضين لذلك النور والهدى، كل ذلك من خلال محبة أبي بكر وبغضه، فمن أحبه رضي الله عنه فقد أحب محمدًا ﷺ وما جاء به، ومن أبغضه فقد أبغض محمدًا ﷺ وما جاء به؛ فأصبح اسمه رضي الله عنه بركة يحرس عقيدة الأمة وهويتها.

ويمتد ذلك الفضل وتلك البركة لتشمل أسرة الصديق رضي الله عنه بأجمعها؛ فتلك زوجته أم رومان ورعايتها لرسول الله وأبنائه وبناته ومشاركتهم رسول الله ﷺ كل همومه، ولا سيما محنته في يوم الهجرة، ثم هذه الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورعايتها

لرسول الله ﷺ وسعادته وسروره معها في بيته وفي سفره وإقامته ﷺ، فضلًا عما أفادت به الأمة بأجمعها بما تعلمته من رسول الله ﷺ من فقه وعلم وحِكم.

قالت الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش انقطع عِقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام. فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير الأنصاري رضي الله عنه: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليها، فأصبنا العقد تحته[1]. وهكذا يتضح أن بيت الصديق رضي الله عنه بيت خير وفلاح وصلاح وعلم وإيمان وبركة على المسلمين، وأي بركة أكبر من أن يقوم التراب مقام الماء في طهارة المؤمنين؟ ومفتاحًا لوقوفهم بين يدي الله تعالى يناجونه ويسألونه ويؤدون طاعته وفرائضه.

ومن فضائله بركة الطعام؛ فإذا كانت بركة آل الصديق رضي الله عنهم قد ثبتت في أن يقوم التراب مقام الماء فإن لهم أمثالها في الطعام، قال عبد الرحمن بن أبي بكر: إن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وإن النبي ﷺ قال: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس**». وإنّ أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي ﷺ بعشرة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، فلا أدري قال: وامرأتي وخادم، بيننا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما

(١) البخاري: كتاب الحيض، باب الصلاة على النفساء وسنتها، حديث رقم (٣٣٤).

مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك، أو قالت: ضيفك؟ قال: أوما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عُرِضُوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غنثر، فجدع وسبّ، وقال: كلوا لا هنيئًا، فقال: والله لا أطعمه أبدًا، وايم الله، ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر، فإذا هي كما هي أو أكثر منها، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عقد، فمضى الأجل، ففرّقنا اثني عشر رجلًا، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون. أو كما قال[1] وما هذه المواقف إلا إشارات على ما كانت عليه أسرة الصديق من الفضل والبركة والقبول وحسن التوكل والثقة بالله تعالى.

ومنها تقديمه واستشارته: عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل عليه الصلاة والسلام: «**من يهاجر معي؟**» قال: أبو بكر الصديق[2]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريل. فقال: يا محمد، إن الله تعالى أمرك أن تستشير أبا بكر**»[3]. وعن حفصة رضي الله عنها. قالت: يا رسول الله، إذا اعتللت قدمت أبا بكر؟ فقال: «**ليس أنا الذي قدمته، ولكن الله تعالى قدمه**»[4]. وفي الأحاديث التي جاءت في تقديم أبي بكر رضي الله عنه حصرًا دون غيره في الصلاة بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ ما يوضح هذه المعاني ويؤكدها، وكذلك في سيرة رسول الله ﷺ واستشاراته الدائمة لصاحبه وخليفته ما يبين ذلك

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، ح (٦٠٢)

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب وباب الهجرة، ح (٤٢٦٦). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب، ح (١٦٣١).

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٥٢.

ويغني عن الأحاديث الضعيفة التي ترد في هذا الباب وتلغي أي حاجة إلى الاستشهاد بها لإثبات ما هو معلوم من سيرة خليفة رسول الله ومواقفه رضي الله عنه.

ومن القصص التي يتضح فيها تقديم رسول الله ﷺ لصاحبه الصديق رضي الله عنه ويظهر فيها إنكاره ﷺ لأي اعتراض عليه يبديه أي كائن من الناس. ما حدّث به ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه حين قال: إن رسول الله ﷺ أعطاني أرضًا وأعطى أبا بكر رضي الله عنه أرضًا، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة. فقلت أنا: هي في حدّي، وقال أبو بكر رضي الله عنه: في حدي. فكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر رضي الله عنه كلمة كرهتها وندم. فقال لي: يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصًا. قال: قلت: لا أفعل. فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ؟ قال: فقلت: ما أنا بفاعل. قال: فرفض الأرض، وانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم، فقالوا لي: رحم الله أبا بكر؛ في أي شيء يستعدي عليك رسول الله ﷺ، وهو الذي قال لك ما قال؟ قال: فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصدّيق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، قال: وانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فتبعته وحدي حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليّ النبي ﷺ رأسه فقال: «**يا ربيعة، ما لك والصديق؟!**» قلت: يا رسول الله كان كذا، فقال لي كلمة كرهها فقال لي رضي الله عنه: قل كما قلت حتى يكون قصاصًا، فأبيت، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر**». فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر، قال الحسن: فولّى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي[1]. والملاحظ لموقف أبي بكر رضي الله عنه من هذه الكلمة التي صدرت منه؛ ولعلها كلمة تدور حول مسألة تأكيد ملكية تلك الأرض أو ما شابه ذلك مما كان يدور الكلام حوله ولكن أبا بكر إمام الأمة وصاحب رسول الله

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١١٤.

لا تقبل تربيته النبوية ومنهجيته الإيمانية أن يكون سببًا في تكدر خاطر أخ من إخوانه من أجل أمر دنيوي، لذلك سارع بالإنابة والخضوع الكامل للحق المتمثل في قيم القصاص الذي يمنح الحياة الروح الملائكية، ولكن ربيعة الأسلمي خادم رسول الله ﷺ كان يعلم مقام الصديق رضي الله عنه ومكانته في نفس رسول الله ﷺ، ومكانته في نفوس المؤمنين فلم يرد على أبي بكر ما يكرهه، بل لم يرض أن يقف قومه معه يسائلونه عما جرى بينهما، خشية من أن يُظن به أنه امرؤ فيه جاهلية! لذلك سرعان ما صرف قومه، لأن مقام الصديق في الأمة مقام المربي القائد والمعلم، فكيف يستطيل التلميذ على أستاذه؟! وهذا ما أقرّه رسول الله ﷺ حين قال: «**أجل، لا ترد عليه بل قل: غفر الله لك يا أبا بكر**». فقال ذلك ربيعة، فسري عن رسول الله ﷺ الذي كان لا يجامل من ينال من صاحبه أي نيل تحت أي ذريعة، وهذا ما عرفه المؤمنون فأجلّوا أبا بكر رضي الله عنه حيًّا وميتًا رضي الله عنه في حين أن أعداء الصحابة بعد أن علموا مكانته في قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين أخذوا يقيمون الاحتفالات والطقوس التي تنال منه وتطعن فيه رضي الله عنه، انتصارًا للجاهلية ومضادة لمراد رسول الله ﷺ وأمته وسنته المطهرة، وتأكيدًا لرفض خلافة النبوة وموالاة الردة.

ومن شيمه الاجتماعية رضي الله عنه التفاعل التام مع كل ما يجري حوله، فمن غير الممكن أن يقف رضي الله عنه متفرجًا على حدث يجري من حوله دون أن يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، فإن وجد صوابًا آزره وإن وجد خللًا أصلحه وإن وجد خروجًا ورفضًا جاهده، فكل ما في خليفة رسول الله ﷺ كان ينطق بفاعليته في مجتمعه وحركيته في دعوته وعمله الدائم على توظيف كل ما يشهده توظيفًا إسلاميًّا يخدم الدين والمجتمع، فقد دخل على النبي ﷺ يومًا فسمع صوت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها عاليًا، فلما اقترب منها تناولها ليلطمها وقال: أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبًا فقال النبي ﷺ لعائشة حين خرج أبو بكر: «**أرأيت كيف أنقذتك من الرجل؟**» فمكث أبو بكر أيامًا، ثم استأذن رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: أدخلاني في سلمكما، كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ:

«قد فعلنا»[1]. فحياته حياة حركية حيّة هادفة مدركة لكل صغيرة وكبيرة، ولا تشغله عظائم الأمور عن صغائرها، بل يرى أنه مطالب بمعالجة كل ما يراه على غير الوجهة المرضية، فكأنما خلق رضي الله عنه للإصلاح والنفع والخير أينما حل وأينما نزل.

ودخل مرة إلى بيت رسول الله ﷺ في أيام عيد فكان عند الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها جاريتان من جواري الأنصار تغنيان فقال أبو بكر رضي الله عنه: أبمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ في البيت معرضًا بوجهه عنهما، مقبلًا بوجهه إلى الحائط، فقال ﷺ: **«يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا»**[2] فسكت عنهم رضي الله عنه بعد أن سمع إقرار النبي ﷺ لهم.

فهذه المواقف من أبي بكر رضي الله عنه تشهد له بالتفاعل مع الأحداث وعدم الوقوف عند بعض العقبات انتظارًا للنتائج ومن ثم الوصايا والإرشادات، بل كان يلج الأحداث بعلم وفهم وقوة حتى يصل فيها إلى الأحكام الصحيحة، لا يحجزه عن ذلك حاجز فهو يتفاعل مع من حوله في كل شيء، ومنهجه دائمًا هو الوصول إلى الأصح والأكمل، وهذا ما اتضح في أكثر من موقف في هذا البحث حتى شهد له كبار الصحابة بأنه هو السباق المبرز الذي لا يُسبق إلى خير أبدًا.

وقد رخص النبي ﷺ لأم المؤمنين بذلك اللعب وسماع غناء الجواري اللواتي لعبن معها في يوم العيد حين قال ﷺ: **«وهذا عيدنا»** وقد يكون ذلك لصغرهن وأن أمثالهن يلهون بألعابهن أو ببعض الأناشيد في الأعياد، وأن ذلك ليس خلقًا من أخلاق المسلمين في غير أيام الأعياد، يبين ذلك قول النبي ﷺ: **«ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة»**[3] وبالتأكيد فإن هذه

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ك. الأدب، باب ما جاء في المزاح (٤٩٩٩) ضعفه الألباني.

(٢) البخاري: ك. العيدين، باب سنة العيدين، ح (٩٠٩). مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة العيدين، ح (٢٠٥٨).

(٣) ابن تيمية: الفتاوى، ١١/ ٣٠٨.

الفسحة لا تجيز سماع المزامير ولا استئجار المغنيات أو المغنين ودفع الأموال لهم لإقامة الحفلات بما يخالف الشرع، بل إن بعض البلاد تأتي بالمغنيات بعد دفع أموال مقطوعة وحين يصلن موقع الحفل لا يغنين حتى يدفع لهن الحضور أموالًا أخرى، فيكون ذلك سببًا للتنافس على الباطل بين الحاضرات وأيهن تدفع أكثر، وكل ذلك يذهب إلى جيوب المغنيات مذهبًا باطلًا لا مسوغ له، حيث لا يعد ذلك من أعمال البر والمعروف ولا يعد من الواجبات الاجتماعية، ولا يذهب عونًا للأسرة الناشئة التي أقيم الحفل من أجلها، فتصرف الأموال وتكون حسرة على أصحابها لأنها لم تنفق في وجوه الخير، بل إنها تكون عونًا لمن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وكما أن هذه الأمور لم يقرها الشرع كذلك لا يقر اختلاط الرجال بالنساء ولا تبرج النساء وإظهار زينتهن لغير بعولتهن في أيام الأعياد أو المناسبات الاجتماعية؛ وما يترتب على ذلك من مفاسد وتخلق بأخلاق المشركين كما هو حاصل في هذا العصر مما لا يقره شرع ولا ترضاه كرامة ولا يقبله أصحاب الفطرة السليمة والشرف الرفيع ممن يخشون الله والدار الآخرة.

ومن أخلاقه رضي الله عنه الحلم وكظم الغيظ؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رجلًا شتم أبا بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويبتسم فلما أكثر الرجل رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله، غضبت وقمت!! فقال ﷺ: **«إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»** ثم قال: **«يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعزّ الله بها نُصْرةً، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة»**[1].

وفي هذا الحديث تظهر أسرار ومقامات صحبة النبي ﷺ وملازمته، وكيف يسمو ﷺ

(١) الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، ح (٧٢٣٩).

بمن يصحبه ويلازمه إلى آفاق النبوة وأخلاقها التي لا تنظر بمنظار الفعل ورد الفعل، بل تنظر بموازين التسامح والعفو والرفق وتجاوز الحقوق لسد كل منفذ يريد الشيطان أن ينفذ منه إلى نفوس المؤمنين، ومع أن الموقف يُظهر كم كان أبو بكر متخلقًا بذلك الخلق حيث شُتم رضي الله عنه مرارًا وهو ساكت مسامح لعل الآخر يرعوي إلى رشده فيسكت أو يخجل من سماحة الصديق رضي الله عنه، لكنه لم يفعل ولم يرعَ حضور النبي ﷺ لتلك الواقعة، ولعل هذا أحد الدوافع التي جعلت الصديق يرد عليه شتمه ما دام لا يُجل رسول الله ﷺ ولا يستحيي منه ولا يقيم وزنًا للسماحة والتسامي عن السفاسف، ولكن بعد أن رأى الصدّيق أن دفاعه عن نفسه في ذلك الموقف لا يرضي رسول الله ﷺ سارع إلى التمسك بأذيال رسول الله ﷺ يستفسر ويبحث عمّا يرضيه ﷺ ليأخذ به فكان أن علمه رسول الله ﷺ تلك القواعد الملائكية في التعامل بين الإخوان وأبناء الملة الواحدة، وهذا ما فعله الصديق رضي الله عنه راضيًا بدفاع الله تعالى عنه وبالعمل على إغلاق كل المنافذ أمام شياطين الفتن والشحناء، وبإهدار كل حقوقه وما يحق له على من شتمه لكي يتعلم المسلمون من رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه مكارم الأخلاق ومعالي الشيم والرفق والحلم والأناة وكظم الغيظ.

فيتأكد مما سبق أن من فضائل خليفة رسول الله ما هو فطري جُبل عليه، ومنها ما حققه بجهده وبذله وصبره، حتى شهد له النبي ﷺ بالفضل في أبواب السيادة والقيادة والإمامة والإخلاص والتضحية، فكان من فضائله المجمع عليها سبقه إلى الإسلام، وحرصه الدائم على أن يكون المؤمن سباقًا إلى ميادين الخير والفضل، ومنها اليقين والثقة المطلقة بعقيدته وانتصارها على ما سواها، فلم يشك ولم يتردد في موطن من المواطن، فكان على يقين بتحقق كل بشارة أو موعود كتب لأهل الإيمان، وعلى هذا المنهج الواثق سار في قيادته وإمامته، فكان جازمًا بأن المؤمنين لا يعجزون، وأنهم قادرون على مواجهة الطغيان والباطل مهما بلغ شأنه من الجبروت، فتحقق له جميع ذلك واقعًا حيًّا في سيادة الدين وعز المؤمنين، وسحق الطواغيت وأعوانهم، وسيادة الإيمان وأهله. فكان رضي الله عنه في ذلك مدرسة

فريدة ما زالت تتعلم منها الأجيال فنون التعامل مع الأزمات، وحسن القيادة وصناعة الانتصارات. فأصبح في ذلك مرشدًا لأصحابه وأبناء أمته إلى السبل القادرة على اختراق سدود الباطل مهما بلغ عتوها، ومهندسًا للوسائل المثبتة لأركان الأمة وصفاء علاقاتها وتمتين روابطها، وكل ذلك كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه بتواضع جم وعمل دؤوب، أثمر كل ما يطمح له المؤمنون ويخشاه الرافضة المرتدون، لما كان يفاجئهم به من إحاطة بكل مؤامراتهم ومكائدهم، في إتقان تام لفنون وأسرار العمل الصامت البعيد عن الحظوظ والمظاهر وإبراز الذات على حساب الأمة ومصالحها.

وكل ذلك كان يجري بضوابط العقيدة وميادين مراد الله ورسوله ﷺ وبشجاعة مطلقة تسهل أمامها كافة الصعاب، وعلى قواعد من العلم والفقه الشامل المحيط بجوانب الأحداث ونتائجها ومع كل ما يقوم به رضي الله عنه من مهام سياسية وعسكرية وغيرها؛ كان يبذل كل ما في وسعه من جهد لخدمة رسول الله وأداء ما يمكن تجاه حاجاته الخاصة التي لا تقوم الحياة إلا بها، وكان هو المقدم والمستشار في عامة ما يجري من أمور على مستوى دولة الرسول الناشئة وعلى الصعد كافة. ولم يكن خليفة رسول الله ممن يعتزل إخوانه وأبناء عقيدته كبارًا وصغارًا أو ينشغل عنهم بمهامه الكثيرة، بل كان مشاركًا لهم متفاعلًا مع كل قضاياهم الاجتماعية والحياتية في الآلام والأفراح، وكل ذلك يؤديه بنفس راضية تنبثق مواقفها عن معدن الشيم والغيرة العظيمة على المسلمين متناسيًا حظوظ نفسه وتلبية حاجاته إلا بما يقيم الأود ويساعد على ديمومة العطاء، حتى نال رضا رسول الله ﷺ ورضا جميع المؤمنين الذين عرفوا له إخلاصه وحبه وتفانيه من أجل أبناء عقيدته الذين ارتفعت أيديهم دعاء له، وامتلأت قلوبهم محبة له، فأصبحت حياته وآله بركة على أمته وعلى أبنائها، حتى جمع في سيرته جميع خصال الخير الموجبة لدخول الجنة، وذلك بشهادة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] وتلك هي صفات القادة الربانيين الذين

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤.

سلكوا سبل التفاني والعطاء المستمر لخدمة الأمة ونصرتها والغيرة والحمية عليها وعلى عقيدتها، وبهذه السيرة وسماتها العبقة تتوسم الأجيال صفات القادة المنصورين، وعليها تقاس دعاوى المصلحين في هذا العصر، فمن كان داخل الصف وبين أبناء الأمة يشاركهم همومهم ويعمل على تحقيق آمالهم وهو منهم وهم منه، فهذا على منهج الصديق رضي الله عنه، وهو ممن تأمل الأمة على يديه الخير والسداد، أما من أعز نفسه وأشبع من حوله وجعل دعوة الإسلام سلمًا لتحقيق آماله وتكثير أتباعه الذين يسبحون في شهواته، فإن هذا الصنف هو البلاء والشر وهو العقبة الكؤود أمام مسار الأمة إلى آفاقها السامية، ومواقعها الأولى التي حققها الصديق وإخوانه الأكارم بتفانيهم في خدمة أمتهم.

ومن الفضائل المشتركة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

من ذلك شهادة رسول الله ﷺ لهما بالإيمان بالله تعالى والإيمان بالغيب الذي يؤمن به رسول الله ﷺ دون تعجب أو تردد أمام جمهور الصحابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: **«بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث»**. فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال ﷺ: **«فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثَمّ - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذه استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري»**. فقال الناس، سبحان الله ذئب يتكلم، قال: **«فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثَمّ»**[1]. أي لم يكونا في ذلك المجلس.

وقال رسول الله ﷺ: **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والمرسلين»**[2] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، ح (٣٤٧١)

(٢) ينظر: الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٤٤.

طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: **«هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»**[(١)] وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي»**[(٢)].

وقال النبي ﷺ: **«أبو بكر وعمر من هذا الدين - وفي لفظ: مني كمنزلة - وفي لفظ: بمنزلة - السمع والبصر من الرأس»**[(٣)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أبو بكر وعمر خير أهل السماوات وأهل الأرض، وخير من بقي إلى يوم القيامة»**[(٤)]. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: **«هكذا نبعث يوم القيامة»**[(٥)].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«رأيت البارحة كأني دخلت الجنة، فخرجت من إحدى أبوابها الثمانية فإذا أنا بأمتي عرضوا علي قيامًا رجلًا رجلًا، وإذا الميزان منصوب فوضعت أمتي في كفة الميزان ووضعتُ في الكفة الأخرى فرجحتهم، ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع أبو بكر في الكفة الأخرى فرجح بهم»**. وفي لفظ: **«أتيت بكفة ميزان فوضعت فيها، ثم جيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى فرجحت بهم ثم رفعت فجيء بأبي بكر فوضع في كفة الميزان فرجح بأمتي ثم رفع أبو بكر وجيء بعمر بن الخطاب**

(١) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٥) قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه. وفي الباب عن أنس وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٦).

(٣) الطبراني: المعجم الأوسط، باب من اسمه قيس، ح (٤٩٩٩).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٤.

(٥) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٩) وروي هذا الحديث أيضًا من غير هذا الوجه عن نافع عن ابن عمر.

فرجح بأمتي، ثم رفع الميزان إلى السماء وأنا أنظر»[1].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي؛ وأشار إلى أبي بكر وعمر**»[2]. وقال ﷺ: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان**»[3]. وكان الصدّيقُ المعنيُّ بقوله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا** - وأخرج السبابة والوسطى والبنصر - **ونحن مشرفون على الناس**»[4]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**متى توتر؟**» قال: أول الليل بعد العتمة، قال: «**وأنت يا عمر**» قال: آخر الليل، قال: «**أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة، وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة**»[5]. وقال عمر رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه حين أمرهم رسول الله بالنفقة في سبيل الله، فجاء الصدّيق بكل ماله: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا[6]. أي ولا يمكن لأحد أن يسبقه في خدمة الدين ونصرة رسول الله ﷺ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**أن أهل الدرجات العلا يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»[7]. وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم،**

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٧٨٦٤). الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٤.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٦٣).

(٣) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٤٧٢). الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٤.

(٤) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٥.

(٥) سنن أبي داود، ك. الوتر، باب في الوتر قبل النوم (١٤٣٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. الصلاة، باب الوتر، ح (٢٤٤٦).

(٦) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٥). قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب، أبي سعيد الخدري، ح (١٢٩٩).

كما ينظر أحدكم إلى الكوكب الدري الغائر في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[1].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا، وإن أبا بكر وعمر منهما وأنعما**»[2]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل نبي خاصة من قومه، وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر**»[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر**»[4]. وعن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما**»[5]. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ. قال: «**إني لأرجو لأمتي بحب أبي بكر وعمر، كما أرجو لهم بقول لا إله إلا الله**»[6].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل أبي بكر وعمر مثل نوح وإبراهيم في الأنبياء، أحدهما أشد في الله من الحجارة وهو مصيب، والآخر ألين في الله من اللبن وهو مصيب**»[7]. وعن أنس وجابر: أن رسول الله ﷺ قال: «**حب أبي بكر وعمر سنة،**

(١) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب، أبي سعيد الخدري، ح (١٢٩٩) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٦.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه أحمد، (١٧٩٩).

(٣) ينظر: مجمع الزوائد: ٩ / ٥٥. وينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٦.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٦.

(٥) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٨٠). هذا حديث حسن غريب. وأبو الجحاف اسمه داود بن أبي عوف، وكان مرضيًا وتليد بن سليمان يكنى أبا إدريس، وهو شيعي. والحق ما شهدت به الأعداء.

(٦) أحمد: المسند، ٦ / ٣٠٩. ورواه أبو داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن ماجه والطحاوي.

(٧) ابن طاهر المقدسي: ذخيرة الحفاظ، ح (٤٩٢٩).

وبغضهما كفر - وفي لفظ: نفاق - **وحب الأنصار إيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان، وبغضهم كفر**»، وفي لفظ: «**من سب أصحابي فعليه لعنة الله، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة**»[1]. وقال ﷺ: «**حب قريش إيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان، وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر**»[3]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صالح المؤمنين أبو بكر وعمر**»[4]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحب أبا بكر وعمر إلا مؤمن، ولا يبغضهما إلا منافق**»[5]. وقال: علي رضي الله عنه: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر[6].

في بعض فضائل أبي بكر وعمر وعثمان مشتركين:

عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت: لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله ﷺ فقال: «**هذا أمر الخلافة بعدي**»[7]. وذكر أن ذلك في مسجد قباء، وأن النبي ﷺ أمر الثلاثة بوضع الحجر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان يعني في الخلافة، وهو

---

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٧.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ك: من اسمه إبراهيم، باب: أبو مسلم إبراهيم، ح (٢٥٥٨).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، حرف الخاء، ١/ ٥٢٩.

(٤) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٦.

(٥) التدوين في أخبار قزوين، ٣/ ٤٦.

(٦) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٤٨.

(٧) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، مسند عائشة، ح (٤٨٨٤).

في **الصحيح** خلا قوله: في الخلافة[1]. وقال: كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: أبو بكر، ثم نقول: أرأيتم إن قبض أبو بكر، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: عمر بن الخطاب، ثم نقول: أرأيتم إن قبض عمر، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: عثمان[2]. وقال النبي ﷺ: «**رأيت كأن ميزانًا أدلي من السماء فوزنت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر** - وفي لفظ: **وزنت في كفة**، أو **وضعت في كفة** - **فرجحت بأمتي، ثم وضع أبو بكر** - وفي لفظ: **ثم وزن**، وفي لفظ: **ووضع أبو بكر** - **مكاني فرجح بأمتي، ثم وضع عمر مكانه فرجح، ثم وضع عثمان مكانه فرجح، ثم وضع الميزان**». وفي لفظ: «**ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر بعثمان فرجح الميزان**» فاستهلها رسول الله ﷺ بقوة الخلافة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء[3]. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أبو بكر وزيري يقوم مقامي، وعمر ينطق بلساني، وأنا من عثمان وعثمان مني، كأني بك يا أبا بكر تشفع لأمتي**»[4]. وقال ﷺ: «**اثبت** - وفي لفظ: **اسكن** - **أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[5]. وما كان عليه إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ: «**هؤلاء ولاة الأمر من بعدي**»[6].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون من بعدي اثنا عشر خليفة منهم أبو بكر الصديق لا يلبث بعدي إلا قليلًا، وصاحب رحى**

---

(١) ينظر: الصالحي: ١١/ ٢٤٩. الطبراني: ك. باب العين، باب عبد الله بن عمر، ح (١٣٣٩١).

(٢) الطبراني: ك: العين، باب: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح (١٣٣٩١).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ما ذكر في أبي بكر الصديق، (٣٦٩٦١).

(٤) ينظر: مجمع الزوائد، ٥ / ١٧٩. وكنز العمال (٣٣٠٦٣). ينظر: الصالحي: ١١/ ٢٤٩. وقال: رواه ابن النجار.

(٥) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب «لو كنت متخذًا خليلًا»، ح (٣٤٧٢).

(٦) الحاكم: المستدرك، كتاب وباب الهجرة، ح (٤٢٨٤).

دارة العرب يعيش حميدًا ويموت شهيدًا»، فقال رجل: من هو يا رسول الله؟ قال: **«عمر بن الخطاب»**، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: **«يا عثمان، إن ألبسك الله تعالى قميصًا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»**[1]. حدثني محمد بن بشار: حدثني يحيى، عن سعيد، عن قتادة، أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: **«اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان»**[2].

وعن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره، أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن. فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا - يُريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**. فجئت فقلت: ادخل، ويبشرك

---

(١) ينظر الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٥٠. وقال: رواه الطبراني برجال وثقوا غير مطلب بن شقيب.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٥).

رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه**». فجئته فقلت له: ادخل، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم[1]. فقبر عثمان مقابل لهم في موضعه الذي دفن فيه بعد أن غدر به أعداء الصحابة واغتالوه في بيته وهو يتلو كتاب الله تعالى رضي الله عنه.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «**ألا أخبركما بمثلكما في الملائكة ومثلكما في الأنبياء؟ مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم إذ كذبه قومه فصنعوا به ما صنعوا قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] **ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالبأس والشدة على أعداء الله، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾»[3].

وقام رسول الله ﷺ مرجعه من حجته فاجتمع الناس إليه فقال: «**يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني طرفة عين، فاعرفوا ذلك له، يا أيها الناس إن الله راضٍ عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، فاعرفوا ذلك لهم، يا أيها الناس دعوا لي أحبابي وأصحابي وأصهاري لا يطلبنكم الله بمظلمة أحد منهم، فيعذبكم بها، فإنها مما لا توهب، يا أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منكم فاذكروا**

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٤).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٢١.

منه خيرًا»[1]. وعن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو متكئ على علي رضي الله عنه فلقيه أبو بكر وعمر فالتفت ﷺ إلى علي رضي الله عنه فقال: «**يا علي أتحب هذين الشيخين؟**» قال: نعم يا رسول الله. قال: «**حبهما يدخل الجنة**»[2]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، وحب الأنصار من الإيمان، وبغضهم من الكفر، وحب العرب من الإيمان، وبغضهم من الكفر**»[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبهما منافق**»[4]. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لحوضي أربعة أركان، فأول ركن منها في يد أبي بكر، والثاني في يد عمر، والثالث في يد عثمان، والرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض عليًا لم يسقه عثمان، ومن أحب عليًا وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق**»[5]. ولا شك أن مقاصد هذا الحديث مهما كانت درجته من الصحة لا تبعد عما في الأحاديث الصحيحة وعما كان عليه واقع حال المسلمين قبل أن يملأ أعداء الصحابة كتب الأدب والتاريخ من أباطيلهم ومفترياتهم التي تكدر النفوس وتعكر صفاء القلوب على أصحاب رسول الله ﷺ وتشوه سيرهم وتزيف حقيقة علاقاتهم الأخوية التي نزع الله منها الغل والبغض والتحاسد والتنافس على الدنيا، وإنما كل الذي قام

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٣١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٤١.

(٣) ابن عساكر: ٣٠/ ١٤٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٤٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٥٧.

بينهم كان باجتهادات منضبطة بأدلتها الشرعية التي تبيح لهم كل ما اتخذوه من مواقف يحيط بها الصفاء والنقاء من كل جانب، لا يعكرها سوى بهتان مبغضي الصحابة وأعداء السنة المطهرة، الذين لا زالت مدارسهم تصنع الإفك وتشيع الباطل لتقبيح محاسن أصحاب رسول الله ﷺ وتزييف مواقفهم النبيلة السامية، وإشاعة ثقافة الكراهية والحقد عليهم وعلى تابعيهم بإحسان.

قال الحسين بن زيد بن حسن: جاء نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا محمد حديث بلغنا أنك تحدثه عن علي رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال: نعم، حدثني أبي عن أبيه، عن علي قال: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال: «**يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين**»[1]. فهذه النصوص الصحيح منها وغيره إذا قورنت بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من الألفة والتعاون والتناصح والمودة، إذا عرف ذلك من سيرهم بطل ما يقوم به أعداء الصحابة من تلبيس على الأمة، وصناعة الأحاديث ونشرها في عقول الناس وكتبهم، دون أي وازع من دين أو حياء، ليقرأها المغفلون والغوغاء فيتحولون إلى أبواق لنشر البهتان والكذب على أصحاب رسول الله ﷺ دون أن يكلف أحدهم نفسه أي عناء للتثبت أو التأكد مما ينسب إلى أولئك الأطهار الأبرار، وبالطبع فإن كل هذا الزيف الذي يمتد في بلاد المسلمين جاء بجهود أعداء الصحابة وبغيهم ومكرهم، ولكنه ما كان له أن ينتشر لولا غفلة علماء أهل السنة وجهلهم في فقه مكر أعداء الصحابة، وعملهم المتواصل على نشر ثقافة الكراهية ضد سلف الأمة وسنة نبيها ﷺ ومن يعتقد بها الخير والمصداقية.

من فضائل خليفة رسول الله الأخرى:

أثبت علماء السنة بالإجماع أن أبا بكر أفضل الصحابة على الإطلاق، وأفضل أمة محمد ﷺ وأفضل الناس عمومًا بعد الأنبياء والمرسلين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٦٥.

العظيم. وهذا ما يؤكده حديث ابن عمر، قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت[1]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا، ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»[2]. وشهادة رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر بالإيمان وهما غائبان في مجلس يشهده جمهور الصحابة رضي الله عنهم معلوم في كتب السنن والصحاح لا يجهله إلا قليل العلم قاصر الفهم[3].

وعن ابن عباس قال: لما وضع عمر على سريره، اكتنفه الناس يصلّون عليه ويدعون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ منكبي من ورائي، فالتفت إلى علي رضي الله عنه يترحم على عمر، ثم قال: ما خلفت أحدًا أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأرى أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[4]. هذه هي حال عمر وعلي رضي الله عنهما في حياتهما وبعد وفاتهما ودّ ووفاء وأخوة ونصرة، وأعداء الصحابة - سخط الله عليهم - يفترون عليهما ويقلبون كل ذلك زورًا وبهتانًا دون وازع من دين أو حياء ولا غرابة فيما يتخذه أعداء الصحابة من رفض كل مظهر مشرق من مظاهر أخوة الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الغرابة فيمن يزعم أنه من أهل السنة ويصدق بهتانهم مع كل ما يرى

---

(١) صحيح ابن حبان. ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. ح (٧٢٥١).

(٢) صحيح ابن حبان. ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. ح (٧٢٥٢).

(٣) النسائي: السنن الكبرى، كتاب المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٤).

(٤) النسائي: السنن الكبرى. كتاب المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٥).

ويسمع من حقدهم على السنة وأهلها، ولا تتحرك فيه الغيرة على الصحابة ولا على السنة المطهرة ولا على أهلها، فما فائدة انتماء من لا علم له ولا غيرة على السنة وأهلها الأبرار؟!

وقال ﷺ: «**بينا أنا نائم، رأيتني على قليب، وعليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له...**»[1]. فأول ذلك بفترة خلافته القصيرة بعد رسول الله ﷺ وخرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة. فقعد على المنبر ثم حمد الله عز وجل، وأثنى عليه ثم قال: «**إنه ليس من الناس أمنّ علي بنفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خلّة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في المسجد، غير خوخة أبي بكر**»[2]. وقال النبي ﷺ: «**لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي**»[3]. ولما قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، قال عمر: سيفان في غمد واحد إذًا لا يصلحان، ثم أخذ بيد أبي بكر، فقال: من له هذه الثلاث؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾: من صاحبه؟ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، من هما؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ مع من؟ ثم بايعه، ثم قال: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها[4]. وقال ﷺ: «**ما نفعنا مال ما نفعنا مال أبي بكر**». قال: فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك[5]؟!

وعن الحسن بن علي قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام متعلقًا بالعرش، ثم رأيت أبا بكر آخذًا بحقوي رسول الله ﷺ ثم رأيت عمر آخذًا بحقوي أبي بكر، ثم رأيت عثمان آخذًا بحقوي عمر، ثم رأيت الدم منصبًّا من السماء إلى الأرض، فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده ناس

---

(١) البخاري: كتاب التعبير، باب نزع الذنوب والذنوبين بضعف، ح (٧٠٢١) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٦).

(٢) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٢).

(٣) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٤).

(٤) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٩).

(٥) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١١٠).

من الشيعة فقالوا: ما رأيت عليًّا؟ قال: ما كان أحد أحب إليَّ أخذًا بحقوي رسول الله ﷺ من علي، ولكن إنما هي رؤيا، فقال عقبة بن عمرو أبو مسعود البدري: وإنكم لتجدون على الحسن في رؤيا رآها لقد كنت مع رسول الله ﷺ ونحن غزاة قد أصاب المسلمين جهد شديد حتى عرفت الكآبة في وجوه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «**والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق**»، فعلم عثمان أن الله ورسوله سيصدقان، فوجه راحلته فإذا هو بأربع عشرة راحلة فاشتراها وما عليها من طعام، فوجه منها سبعًا إلى رسول الله ﷺ، ووجه بسبع إلى أهله، فلما رأى المسلمون العير قد جاءت عرف الفرح في وجوه المؤمنين والكآبة في وجوه المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما هذا؟**» قالوا: أرسل بها عثمان هدية لك، قال: فرأيته رافعًا يديه يدعو لعثمان رضي الله عنه ما سمعته يدعو لأحد قبله ولا بعده: «**اللهم أعط عثمان وافعل بعثمان**» رافعًا يديه حتى رأيت بياض إبطيه[1]، وقال رسول الله ﷺ لأعرابي: «**إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت**»[2]. وعن علي قال: رحم الله أبا بكر هو أول من جمع ما بين اللوحين[3]. وقال إبراهيم النخعي: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ أبو بكر. وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: سمعت مشيختنا أهل الفقه، منهم سعد بن إبراهيم وصالح بن كيسان وربيعة بن أبي عبد الرحمن وعثمان بن محمد الأخنسي وغير واحد يذكرون أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال[4]. وقال محمد بن كعب: أول من صلّى أبو بكر[5]. وقال ابن عباس: أول من صلى أبو بكر، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت الأنصاري المشهورة:

إذا تذكـرت شـجوًا من أخـي ثقة ... فاذكـر أخاك أبـا بكر بمـا فعلا

---

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٤.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٥.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٠.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٢٤.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٢٥.

خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التاليَ المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا[1]

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت تعجبه الرؤيا الحسنة، ويسأل عنها فقال ذات يوم: «**أيكم رأى رؤيا؟**» فقال رجل: أنا يا رسول الله؛ رأيت كأن ميزانًا دُلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان، فاستاء لها رسول الله ﷺ فقال: «**نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»[2]. وقال سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وجعفرًا عن أبي بكر وعمر، فقالا لي: يا سالم، تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى. قال: وقال لي جعفر: يا سالم، أبو بكر جدي أيسب الرجل جده؟ قال: وقال: لا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[3]. وعن أبي الجحاف داود بن أبي عوف قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه أغلق بابه ثلاثًا، يقول: أيها الناس أقيلوني بيعتكم، كل ذلك يقول له علي: لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك[4]؟ وقال ﷺ: «**إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»[5].

وقال عبد الرزاق: والله ما انشرح صدري قط أن أفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على عثمان، ورحمة الله على علي ومن لم يحبهم فما هو بمؤمن، وإن أوثق أعمالنا حبنا إياهم أجمعين رضي الله عنهم ولا جعل لأحد منهم في أعناقنا تبعة، وحشرنا في زمرتهم ومعهم آمين رب العالمين. وقال بكر بن

---

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٤٢.
(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٨٤.
(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٨٥.
(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٥١.
(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٤٩.

عبد الله: إن أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصومًا، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه[1].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يدخل بيت أبي بكر كأنه يدخل بيته، ويصنع بمال أبي بكر كما يصنع بماله[2]. عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر ومنه أعتق بلالًا»**. وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي الرجل في مال نفسه[3].

وقال إبراهيم ابن شكلة بن المهدي: أتدرون لم خصصت ولد أبي بكر من ثلثي؟ لأنه لم يعرف عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد خلف لعياله إلا الصدّيق رضي الله عنه فإنه آثر الله ورسوله ﷺ بماله كله فأحببت أن أكافئ ولد أبي بكر رضي الله عنه من مالي دون من هو أقرب إليَّ رحمًا[4]. وقال ابن شهاب: من فضل أبي بكر أنه لم يشك في الله عز وجل ساعة قط[5].

وقام علي على المنبر فذكر رسول الله ﷺ فقال: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمله وسار بسيرته حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله على ذلك[6]. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا أصلي فقال: **«سل تعطه يا بن أم عبد»** فقال عمر: فابتدرت أنا وأبو بكر فسبقني إليه أبو بكر وما استبقنا إلى خير إلا سبقني إليه أبو بكر، فقال: إن من دعائي الذي لا أكاد أن أدع: اللهم إني أسألك نعيمًا لا يبيد وقرة عين لا تنفد، ومرافقة النبي

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٤٦.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٤.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٧٢.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٢٥.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٢٦.

(٦) ابن حنبل: فضائل الصحابة: ١/ ١٠١.

محمد ﷺ في أعلى الجنة جنة الخلد[١].

وعن ابن عمر قال: ما كنا نختلف في عهد رسول الله ﷺ أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وأن الخليفة بعد أبي بكر عمر، وأن الخليفة بعد عمر عثمان[٢].

وعن عبد الله بن عمر قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان، فتكلم كلامًا طويلًا وهو امرؤ في لسانه ثقل، فلما قضى كلامه قلت له: إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسًا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئًا، ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرًا إلا قتلوه[٣].

وعن ابن عمر قال: كنا نفضِّلُ على عهد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان ثم لا نفضل أحدًا على أحد[٤]. عن الحكم بن حجل قال: سمعت عليًّا يقول: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٥]. وعن وهب السوائي قال خطبنا علي فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلنا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها التي انفرد بها وعادت على الأمة بكل خير؛ ما كان من إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، ومخالفته لكافة أبناء الأمة آنذاك ورغبتهم في استبدال أسامة بقائد أكبر منه سنًّا وأكثر تجربة أو بإلغاء تلك الحملة المباركة التي عقد لواءها رسول الله ﷺ،

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٠٠.
(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٣.
(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٤.
(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٨٦.
(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٨٣.

وقوله رضي الله عنه: لأن أخرّ من السماء فتخطفني الطير، وتنهشني السباع أحب إلي أن أكون حالًا لعقد رسول الله ﷺ، وهو يقول عند موته ﷺ: «**أنفذوا جيش أسامة**». وهذا سيتضح أكثر في موضعه من البحث.

ومنها وصيته لعمر رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة، وقوله له: اتق الله يا عمر! واعلم أن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي لها فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألَّا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو ألَّا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبًا وراهبًا، ولا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته، فإن أنت حفظت وصيتي فلا تكن الدنيا أحب إليك من الموت[1].

أبو بكر أفقه الصحابة وأعظمهم منة في المال والصحبة:

يتضح ذلك في كثير من المواقف والفتاوى والمشاورات التي كان يعتمدها رسول الله ﷺ ومن ذلك قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا[2]. فهذا الحديث الصحيح يبين أن أبا بكر رضي الله عنه كان أفقه الصحابة وأعلمهم بمرامي كلام رسول ﷺ وفحواه، وكان رسول الله هو أعلم الناس بصاحبه وبعلمه وإخلاصه وبما يعتلج في نفسه من حب وحنان وتعلق برسول الله ﷺ، ولذلك حفظ له ﷺ هذه المواقف والمناقب والخصائص فأعلنها على الملأ في آخر حياته ﷺ شهادة طرقت أسماع الجميع بأن

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٦٢.

(٢) البخاري: كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٦٦).

أبا بكر رضي الله عنه أعظم الصحابة منّة على رسول الله ﷺ في النصرة والمال والصحبة، وأن صحبته ارتقت إلى أكمل ما تكون عليه الصحبة، وهنا يعلن الرسول ﷺ أن الصديق رضي الله عنه في مكان الخلة من الرسول ﷺ لولا اشتغال قلب الرسول ﷺ بخلة الله سبحانه وتعالى، وأنه إن لم يكن خليل النبي ﷺ فإنه أخوه في الدين وصاحبه في الدنيا والآخرة. وحفظًا من النبي ﷺ لهذه الكرامة أمر جميع من له باب نافذ من منزله إلى المسجد أن يغلقه إلا باب الصديق رضي الله عنه؛ فإن النبي ﷺ أمر ببقاء خوخته وباب بيته مفتوحًا إلى المسجد حفاظًا لمودته، وإكرامًا لعهده، وبيانًا لفضيلته، وإشارة مع الإشارات الكثيرة البينة على خلافته، وإقرارًا لإمامته وقيادته للأمة من بعده ﷺ، وكل ذلك حصل جهارًا يعلنه رسول الله ﷺ من على المنبر والصحابة جميعًا يسمعون ذلك بما فيهم علي والعباس وغيرهما رضي الله عنهم، وكما هو تبليغ الأنبياء دون لبس أو غموض أو احتمالات في التأويل كما تريد أن تشيعه الرافضة من البوائق والبهتان على رسول الله ﷺ بأنه أوصى إلى علي رضي الله عنه أو أن حديث غدير خم[1] يحتمل أن يكون فيه وصية يخلطون ذلك بهمهمات وأباطيل يلبسون فيها على الغوغاء من الناس، أما منهج رسول الله ﷺ في تبليغ الناس بإمامة أبي بكر رضي الله عنه فواضح وضوح الشمس بلا تأويل ولا مداهنة لأحد من الناس أداء للأمانة وحفظًا للرسالة، فهل هناك منزلة لأحد من الناس تقارب هذه المنزلة أو تدانيها؟! وهل هناك أظلم ممن يريد أن يزيف سنة رسول الله ﷺ ويعمل على تغيير مواقع قادتها وأئمتها الذين صنعهم رسول الله بطول تربيته ورعايته لهم على عينه، حتى تبوؤوا تلك المكانة العلية، موكلًا لهم مهمة تبليغ الإسلام وحمايته بكل ما فيها من تكاليف وآمال وآلام تحت ظلال رايات صاحبه وخليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخفاقة المنصورة؟

ومما شهد به ﷺ للصديق ومعه الفاروق وعثمان رضي الله عنهم بالجنة: ما رواه أبو موسى

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب مناقب الصحابة (٦٩٣١). المحب الطبري، الرياض النضرة، ١/ ٢٤٧. الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢١٦. وكذلك ٢٠٨ فما بعدها. الخليفة: الإنصاف، ١٢٩.

الأشعري رضي الله عنه: أنه توضأ في بيته ثم خرج، قال: فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن؟ فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**. فجئت فقلت: ادخل، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله في القف عن يساره، ودلّى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»** فجئته فقلت له: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم[1].

وفي هذا الحديث تظهر الإشارة إلى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وترتيب خلافتهم تمامًا، وهذا من غرائب الوقائع، ومما جعله الله مُصدقًا على واقع الحياة يؤكد

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٤).

ترتيب خلافتهم ودرجات منازلهم، بل يؤكد حتى مواقع قبورهم بعد وفاتهم رضي الله عنهم وليس في هذا الحديث الصحيح ذكر لعلي رضي الله عنه مما يؤكد زيف من يشكك في خلافة الثلاثة، وأنها خلافة النبوة التامة المتممة، وأن كل ما يروى في كتب التاريخ والأدب وبعض التراجم والسير مما يخالف هذه الحقيقة إنما هو من زيف الرافضة ومن يمدهم بالغي، كما يؤكد هذا الحديث ضلال أعداء الصحابة وعملهم الدؤوب على رد أحاديث رسول الله ﷺ وتعاليمه وإجماع الأمة على ذلك، وتكذيب واقع الحياة الذي قامت أحداثه على هذه الأسس وتزييف التاريخ الحق الذي دون ذلك وترويج أباطيل المنافقين وورثة المجوس الذين يتظاهرون بالإسلام وهم يسعون إلى هدم أركانه وتغيير سننه وتعاليمه وهديه التي نفذها الصحابة الكرام رضي الله عنهم بكل أمانة ونزاهة وإخلاص وتفانٍ، حتى أصبحوا الشاهد والعلامة التي تهتك أستار المنافقين وتنزع أقنعة المخادعين فبحُبهم يُعرف المؤمنون وببغضهم يظهر رافضة الإسلام السبئيون الحاقدون.

وقد أصّل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هذه المعاني وبين أن صحبة الراشدين كما هي قائمة في الدنيا فهي قائمة بإذن الله في الآخرة. في شهادته التي أدلى بها لولده محمد ابن الحنفية حينما سأله: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر...[1] قال ابن عباس: إن عليًا رضي الله عنه لما شهد جنازة الفاروق رضي الله عنه كان يرجو له أن يدفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه لأنه كان كثيرًا ما يسمع النبي ﷺ يذكر نفسه ثم أبا بكر وعمر، فيقول: «**خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر**». فاستنبط علي رضي الله عنه من ذلك أنهما لا بد وأن يكونا أصحابًا لرسوله ﷺ في الآخرة، وفي البرزخ كما جعلهم الله أصحابًا في الدنيا، وهذا من فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهذه شهادات خالدة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأخويه تظهر فيها المودة وصدق المحبة والوفاء، وأن أبا بكر هو خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وأن عمر هو خير

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧١)

الناس بعدهما، فتبًّا وسحقًا وخزيًا لمن اعتقد أن عليًّا رضي الله عنه كان يبغض الصديق أو الفاروق أو لا يواليهما أو لا يتبرأ ممن يتبرأ منهما. ألا لعنة الله على الظالمين الكاذبين مسعري الفتن المبغضين لأصحاب رسول الله ﷺ وأنصاره الأبرار.

وأيضًا فإنّ نبوءة النبي ﷺ في عثمان رضي الله عنه قد تحققت تمامًا، وهذا من دلائل نبوته ﷺ وعلامات صدقه ﷺ، فقد أصيب الشهيد عثمان رضي الله عنه ببلوى عظيمة عندما خرجت عليه الرافضة السبئية فقتلوه غيلة في بيته بين أوراق مصحفه وهو إمام المسلمين وخليفتهم، وكاف يده ولسانه عن رعيته مؤدٍّ لكل ما عليه ومنفق كل ما لديه في سبيل الله.

ولا أعجب بعد هذا إلا ممن يزعم أنه من أهل السنة المطهرة ويعجب من جرأة الرافضة السبئية على إحراق المساجد وتمزيق المصاحف وتدنيسها وقتل الأئمة والخطباء والمؤذنين السنة في العراق وغيرها، لأن كل من يجهل غدرهم بالفاروق عمر رضي الله عنه في محرابه وبذي النورين عثمان رضي الله عنه بين أوراق وآيات مصحفه؛ إنما هو مغفل معدوم الحمية على سنة النبي ﷺ، فاقد المعرفة بمن يوالي النبي ﷺ وبمن يعاديه ويعمل على هدم سنته وقتل أهلها، ولا أحسب أن أعداء الصحابة أخطر من هذا الصنف؛ لأن هؤلاء المبغضين للصحابة إنما يُلبّسون على الناس بزعمهم الكاذب أنهم من أهل الإسلام ليتسنى لهم تنفيذ مكرهم، أما صنف أبواق الرافضة الذي يُلبس على أهل السنة بأباطيل الاحتواء والتقريب وأهل القبلة والسياسة والتحالفات وما إلى ذلك؛ فإنه من الخطر الذي يتساوى عنده الخوض في الطين مع تحريف الدين، ورفض القرآن وقتل الراشدين، فالذي لا يفرق بين هذا وذاك هؤلاء هم الأشباح الذين ليس لهم أرواح، والنساك بلا صلاح، والتجار بلا أرباح، والأيقاظ النوم والشهود الغيب، وهم الناظرة العمياء والسامعة الصماء والناطقة البكماء، الذين يرون دماء أهل السنة تجري على أيدي أعداء الصحابة، وأعراضهم وأموالهم تستباح، وهم يلوكون الباطل ويغشّون الأمة ويكذبون على الله، وقبلوا أن يكونوا أبواقًا لتزييف الحقائق وتزوير التاريخ ومخادعة الأمة ومداهنة الرفض والردة.

وعلى هذا فإن علامة صحة الانتماء إلى الإسلام، هو تشخيص ومعرفة أعداء الصحابة ومبغضي السنة المجاهرين برفضها والكفر بها، والبراءة منهم ومن ثقافتهم، وكل كتاب أو مكتبة أو جامع أو جماعة أو جمعية أو جامعة أو كلية أو إذاعة أو فضائية أو صحيفة أو دولة أو أقلية أو قلم أو مقال أو كتاب أو لسان معقود عن النطق بهذه الحقيقة والإفصاح عنها؛ فهو لسان أخرس لا ينطق بالصدق فاقد للهوية، يسبح في الوحل، علمه جهل وفكره ضحل ورأيه وهل وقوته وهن، كيف لا والفيصل بين الإسلام والردة هم الصحابة رضي الله عنهم حملة الرسالة وحماتها؛ فمن قال بأنه مسلم تمتحن غيرته وحميته وانتماؤه، على ولائه وثقته بمن حمل الإسلام وحماه، بجناحيه الكتاب والسنة وجاهد من أجله وهم الصحابة رضي الله عنهم، فإن كانت غيرته قائمة على السنة النبوية وأهلها، وولاؤه لا لبس فيه، ويقينه ثابت وأمله قائم فأنعم وأكرم بتلك الغيرة وذلك الولاء، وإن كان لا يبالي بين من حمل القرآن والسنة، ومن حمل البهتان والردة، فهذا ليس من أهل السنة النبوية ولا كرامة، وإن زعم ذلك.

وكيف يكون من أهل السنة من دينه تكذيب رسول الله ﷺ الذي شهد لأبي بكر وعمر بالإيمان بالغيب الذي يؤمن به ﷺ وبأنهما سيدا كهول أهل الجنة، وأنهما عنده بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وأنه ﷺ شهد أنهما يبعثان معه يوم القيامة وأن خليفته أبا بكر يرجح بجميع الأمة بمن فيها عمر وغيره، وأن عمر يرجح بالأمة من بعد أبي بكر، وكيف يكون مؤمنًا من يكفر بأمر رسول الله للمؤمنين بأن يقتدوا بأبي بكر وعمر؟! وشهادته ﷺ للراشدين بأنهم ما بين صدّيق أو شهيد؟! وكيف يكون مؤمنًا من يستثير الناس على خاصة رسول الله ﷺ ووزيريه القائل عنهما: **«خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر»** و**«وزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر»**؟! وكيف يقبل مؤمن أخوة الرافضة المحاربين لأمة ترتجي بحب أبي بكر وعمر ما ترجوه بقول لا إله إلا الله وتعتقد أنهما هما صالح المؤمنين؟! وكيف يكون من أمة محمد ﷺ من يدين بمخالفته ﷺ في مثل قوله: **«يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني طرفة عين فاعرفوا ذلك له»**؟! فيجعل من دينه الطعن بأبي بكر رضي الله عنه تكذيبًا لرسول الله ﷺ.

وعلى هذه القواعد الثابتة فإن رسول الله ﷺ حَكَم على مبغضي خلفائه وأصحابه وأمتهم من العرب السائرين على منهجه ﷺ بأنهم من المنافقين والكفار، بل إنه ﷺ نصح من أراد أن يعرف معنى الحياة بعده وبعد خلفائه بقوله: «**إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت**» أي إن حياة ينال أهلها من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا يسيرون على هديهم إنما هي حياة سوء لا خير فيها، بل إن الموت خير منها، لما سيلحق الأمة من الفتن والحروب، ولعل في إشارات هذا الأثر وإرشاداته وما يستنبط من خفاياه تتولد دعوة صريحة لنصرة خلفاء رسول الله ﷺ ومجاهدة أعدائهم الرافضين لدين الإسلام وسنة النبي ﷺ وأن ذلك خير من الخنوع لأعداء الصحابة وتمكينهم من التسلط على المسلمين والعبث بعقيدتهم وتزييف ثوابتها، وهذا ما يصدقه الواقع الذي تعيشه الأمة في مرحلة استعلاء الرافضة بتحالفهم مع أعداء الأمة وعقيدتها وعملهم كخدم وجواسيس على حساب الأمة التي احتضنتهم والعقيدة التي حمتهم، وتفريطهم بالمصلحة العامة ومشاركتهم في خراب البلاد ودمارها دون أي شعور بالمسؤولية أو الانتماء، وإيغالهم إلى أبعد الأعماق في عداوة السنّة النبوية والتنكيل بأهلها بأسوأ وأبشع ما يقوم به الحاقدون المتسلطون على الآمنين العزل في ديارهم وأوطانهم، مع التدليس والتلبيس على الناس، وقلب الحقائق وإلصاق التهم وملء الأرض بالشائعات والأكاذيب والروايات الباطلة عن كل ما يصيب أهل السنة وعامة العرب، من مآس ومصائب على أيديهم يشيب لهولها الولدان. والله المستعان وإليه المصير. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].



(١) سورة سبأ، الآية: ٣.



الفصل الثالث

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
في عصر الرسالة

المبحث الأول: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة

المبحث الثاني: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة

المبحث الثالث: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة

المبحث الأول

من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة

من جهاده في نشر الدعوة الإسلامية وإسلام قادة الأمة على يديه:

لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلًا مؤلفًا لقومه محبًّا لهم سهلًا عليهم، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وهو تاجر ذو مكانة مرموقة يتسم بخلق رفيع ومعروف واسع. فكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فسخر هذه الخصائص لخدمة عقيدته، وأخذ يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه رضي الله عنه.

فأسلم على يديه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر رضي الله عنه فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا وصلوا وصدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى.

ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة بن عبد الأسد،

والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم[1] فأي مكرمة أكبر من هذه المكرمة؟! وأي ثمرة أنضج من هذه الثمرة التي قطفها أبو بكر رضي الله عنه وقدمها هنية مرية لرسول الله ﷺ؟! وأي كوكبة قدمت للدين وللمسلمين مثل ما قدمته هذه الكوكبة المباركة التي تنطق بكل جوانب عظمتها بأهمية ما قام به الصديق رضي الله عنه في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله ﷺ وفي جميع مراحل حياته قبل الفتح وبعده وفي حال جنديته وحال خلافته، فلم يكن له همّ سوى خدمة الدين ونصرته وحماية الأمة وسيرها على هدي نبيها ﷺ؟!

ومن مشاركاته في الدعوة:

عرض النبي ﷺ نفسه على بني شيبان، فكان بينه وبينهم محاورات قارب فيها القوم من رسول الله ﷺ، وفي طريق الوصول إليهم ومحاولاته فتح أبواب قادة بني شيبان للحوار مع سيد الدعاة رسول الله ﷺ كان لأبي بكر رضي الله عنه موقف ينبئ عن عظيم فهمه وجليل علمه ومعرفته بالعلوم الاجتماعية وقيم الناس ومنازلهم وأعرافهم وعاداتهم والقواعد التي تنظم حياتهم وتؤصل ضوابط مجتمعاتهم، ومنهجه الراقي في طريقة عرض دعوة رسول الله ﷺ وتقديمه لها وترغيبه فيها، ومن ثم تعريف القوم برسول الله ﷺ وبمقامه العظيم ومنزلته الكبرى، وكل ذلك بفهم خاص كان يستقيه أبو بكر رضي الله عنه من تجاربه ومعرفته بطريقة تفكير الزعماء والقادة أيام الجاهلية ونظرتهم إلى الأمور وتفكرهم في عواقبها، وفي كل ذلك جاء الصديق رضي الله عنه بالعجائب وبما أثلج صدر النبي ﷺ.

روى ابن عبّاس عن علي رضي الله عنهم قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى مِنًى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدّم أَبو بكر رضي الله عنه فسلّم، وكان رجلًا نسّابة فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة،

---

(١) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٧. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٢٨٧. وذكر الصالحي في سبل الهدى والرشاد أن أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه هو أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر في اليوم الأول، وذكر مع من أسلم من الغد: عيينة بن الحارث. الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٣٢٢.

قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها؟ قالوا: بل من هامها العظمى. قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى؟ فقالوا: ذهل الأكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال له لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جسّاس بن مرّة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر...

قال علي رضي الله عنه ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدّم أبو بكر فسلّم، قال علي: وكان أبو بكر مقدّمًا في كل خير. فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عزّ في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قُبَيْصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانًا ولسانًا، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره. فكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشدّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرّة ويديل علينا، لعلّك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر رضي الله عنه يظلّه بثوبه، فقال ﷺ: «**أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُؤْوُونِي وَتَنْصُرُونِي حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى**

أَمْرِ اللَّهِ وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الحَقِّ، وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ» فقال له: وإلامَ تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]. فقال له مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]. فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدّقت قولك، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه - زلّة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلّة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلّمت به. والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وإنا إنما نزلنا بين صَرِيَّيْنِ أحدهما اليمامة، والآخر السماوة. فقال له رسول الله ﷺ: «**وَمَا هَذَانِ الصَّرِيَّانِ؟**» فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألّا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا. ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأمّا ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا.

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَسَأْتُمُ الرَدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ إِنَّهُ لاَ يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ إِلّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَمْنَحَكُمُ اللَّهُ بِلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفْرِشَكُمْ بَنَاتِهِمْ أَتُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ؟**» فقال له النعمان بن شريك: اللهمّ وإن ذلك لك يا أخا قريش. فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضًا على يدي أبي بكر رضي الله عنه. قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**أية أَخْلاَقٍ لِلْعَرَبِ كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَا أَشْرَفُهَا بِهَا يَتَحَاجَزُونَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**» قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ. قال علي: وكانوا صدقاء صبراء فسرّ رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إلّا يسيرًا حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «**احْمَدُوا اللَّهَ كَثِيرًا فَقَدْ ظَفَرَتِ اليَوْمَ أَبْنَاءُ رَبِيعَةَ بِأَهْلِ فَارِسَ، قَتَلُوا مُلُوكَهُمْ وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ وَبِي نُصِرُوا**». قال: وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى:

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... وَرَاكِبُهَا عِنْدَ اللّقَاءِ وَقَلَّتِ
هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنو حِنْوِ قَرَاقِرٍ ... مُقَدِّمَةَ الهَامُرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ
فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالمَوَدَّةُ بَيْنَنَا ... وَكَانَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ[2]

وقد اتضح في تلك المواقف وما جرى فيها من حوار سمو الدعوة الإسلامية وعظيم

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) قال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًّا كتبناه لما فيه من دلائل النبوّة، ومحاسن الأخلاق، ومكارم الشيم، وفصاحة العرب، وقد ورد هذا من طريق أخرى، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - فجعلوا شعارهم اسم محمّد ﷺ فنُصِروا على فارس بذلك، هذه هي موقعة ذي قار التي انتصف فيها العرب من الفرس قبل الإسلام، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٨٦. الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٤٥٣، ٤٥٥. أبو نعيم: دلائل النبوة، ٢٣٧.

ما كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ من التقديم والتعريف وتذليل الصعاب وفسح المجال أمام رسول الله ﷺ ليعرض دعوته المباركة بأسلوبه الرائع الذي يأخذ بألباب عقلاء الناس فلا يرده إلا فاقد الرشد خالي الوفاض من كل فضيلة.

وقريب من ذلك ما رواه وابصة العبسي قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف بمنى، ودعوة مَيْسرة بن مسروق العبسيّ قومه لحماية رسول الله ﷺ وامتناعهم من ذلك وقولهم له: لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. ثم إسلامه فيما بعد، ولما كان أبو بكر رضي الله عنه معايشًا لتلك الأحداث ومعرفته تامة بقيمة المواقف المساندة للمسلمين في تلك السنين، كان يرعى له ذلك الموقف، فكانت له عند أبي بكر مكانة. وفي مسيرة الدعوة وعرض الإسلام على القبائل في كل ذلك كان وزير رسول الله ومستشاره ومعاونه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ذكر ابن كثير تلك القبائل مفصلة كما استقصاها محمّد بن عمر الواقدي[1] ومن تتبعها يجد الأهمية الخاصة لأبي بكر رضي الله عنه ودوره المؤثر في تلك المرحلة لمعرفته بأنساب العرب ومكانة الرجال في قبائلهم وقوة كل قبيلة وإمكانية اعتماد أقوال سادة تلك القبائل أو الإعراض عنها.

ومثل هذه المواقف ما كان يقوم رضي الله عنه به من مواجهة الحرب الإعلامية التي يشنها المشركون لزعزعة الثقة في نفوس المؤمنين مثلما فعلوا حينما فرحوا وروجوا لانتصار الفرس الوثنيين المجوس على الروم من أهل الكتاب ونزول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٨٦.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١-٥.

لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر رضي الله عنه فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «**أما إنهم سيظهرون**» فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلًا، إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا. فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «**ألا جعلته أداة**». قال: دون العشر. فظهرت الروم بعد ذلك. وكان المراهن لأبي بكر رضي الله عنه أمية بن خلف، وأن الرهن كان على خمس قلائص، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر، أو كان يوم الحديبية، فالله أعلم[1].

وكان العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين الفرس والروم، وظهورهم على الشام والعراق. كل ذلك في خمسة عشرة سنة![2].

وفي كل صفحات الرسالة في مكة يجد المتابع أن عامة عناوينها لأبي بكر خليفة رسول الله، وكلها آثار أطيب من المسك وأحسم من السيف، توحي بعظمة الروح وقوة الشكيمة وعمق اليقين والثقة المطلقة بكل ما يأتي به رسول الله ﷺ، والاستعداد الدائم للمواجهة بكل ألوانها وتحمل التبعات بكل أشكالها وبكامل السرور والرضا مع التحفز التام للعطاء والتضحية والإقدام إلى كل موقع يخدم الإسلام والمسلمين، وهذه الروح المتوثبة التي تريد أن تزيل كل الحواجز والعقبات من طريق المؤمنين هي التي جعلت من أبي بكر رضي الله عنه أقرب الناس إلى نفس وقلب رسول الله ﷺ من بين جميع أصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب مسند عبد الله بن العباس، ح (٢٧٦٥) الحاكم: المستدرك، ك. التفسير، باب تفسير سورة الروم، ح (٣٥٤٠). الطبراني: المعجم الكبير، باب العين، باب أحاديث عبد الله بن العباس، ح (١٢٣٧٧).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٢/ ٩١.

قيادة أبي بكر رضي الله عنه المواجهة الأولى بين المؤمنين والمشركين في مكة:

قاد أبو بكر رضي الله عنه أول مواجهة بين المؤمنين والمشركين فكانت ثمرة ذلك فوزه رضي الله عنه بشرف الإعلان الرسمي للإسلام، وبإسلام والدته بعد تلك الجولة، فقد أسلمت أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها قديمًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، بعد إلحاح من أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ لإعلان الإسلام بين ظهراني المشركين وكسر الأطواق التي تكمم الأفواه وتصنع الإرهاب ضد كل من يتحدث باسم الدين ويدعو إلى قيمه الراقية، في وقت تصنع فيه الجاهلية مناخًا آمنًا لكل ألوانها فتقيء كل ما في أحشائها من أنواع الموبقات والكبر والتسلط والعنصرية ومصادرة حريات المؤمنين!! وكان المسلمون آنذاك تسعة وثلاثين رجلًا فقام أبو بكر رضي الله عنه بين جموع المشركين وثلة المؤمنين هذه المحيطة به ليسجل له التاريخ أنه أول خطيب يدعو إلى الله وإلى رسوله جهارًا نهارًا في وسط قريش وعقر دار الشرك، وأنه وحده القادر بعد رسول الله ﷺ أن ينفض الجاهلية لتدور حول نفسها حتى تفقد كثيرًا من ثوابتها وتسقط قيمها وأخلاقياتها التي تتباهى بها رياء في ساعات الرخاء، فثار المشركون بحمية الجاهلية وبغيها على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد؛ ودنا عتبة بن ربيعة بمساندة عتاة المشركين من أبي بكر رضي الله عنه فضربه حتى لم يعد يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم قبيلة أبي بكر رضي الله عنه فأجلوا المعتدين عن أبي بكر رضي الله عنه وحملوه في ثوب حتى أدخلوه بيته لا يشكون في موته؛ ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة. ثم رجعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فجعلوا يكلمونه حتى أجابهم آخر النهار، فكان أول ما قاله رضي الله عنه: ما فعل رسول الله ﷺ؟!

أي أنه لم يألم لما أصابه ولم يكن همه نفسه حتى وهو في تلك الحال، ولم يأسف على ذهاب هيبته بين قريش المشركة بجرأتهم عليه، في سبيل عقيدته وعدم مبالاته بتقاليد الجاهلية وكبرها، وإنما كان همه سلامة رسول الله ﷺ واستمرار رسالته.

فلما سمع مشركو بني تيم ما نطق به أبو بكر رضي الله عنه نالوا منه بألسنتهم؛ ثم قالوا لأم الخير أمه: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه فلما خلت به وألحت عليه جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك! قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن شئت ذهبت معك إليه. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا في جسده، طودًا شامخًا في إيمانه وإخلاصه وحبه وإشفاقه على رسول الله ﷺ فدنت منه أم جميل رضي الله عنها وأعلنت بالصياح وقالت: إن قومًا نالوا منك لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله لك. قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟

فيا للعجب! ولا عجب من إيمان أبي بكر رضي الله عنه وشدة حبه لرسول الله ﷺ، ذلك الحب الذي أصبح له دواءً وبلسمًا شافيًا، فهو في دوحة حب رسول الله ﷺ حتى إن ضُرب جسده وأغمي عليه وضعفت حركته إلى حين، فما إن يفيق ويعود إليه وعيه حتى يقذف بنفسه إلى وسط ذلك الروض الذي لا ألم فيه ولا أسى، فهو الذي يوافق حاله في حب رسول الله ﷺ قول القائل:

إذا صح منك الوصل فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب[1]

فحاله السباحة الدائمة في بحر رسول الله ﷺ ذلك البحر الذي يزيل عنه كل عناء، فإن سلم ﷺ سلم الدين وسلمت الدنيا. فقالت له أم جميل: هذه أمك تسمع! قال: لا عين عليك منها. قالت: سالم صالح ﷺ. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله عليّ ألّا أذوق طعامًا ولا شرابًا أو آتي رسول الله ﷺ؛ وكيف يذوق ذواقًا وهو يعرف أن شفاءه في كل ملمة ومن كل ألم يتجلى برؤيته لرسول الله ﷺ سالمًا معافًى، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا به على رسول الله ﷺ فانكب عليه فقبله

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، ٢/ ٣٠١.

وانكب عليه المسلمون يقبلونه ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فلما رأى أبو بكر ما في رسول الله ﷺ من التألم لحاله خشي أن يكون سببًا في إيذاء مشاعر رسول الله ﷺ، فقال رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي، ليس بي إلا ما نال الفاسق عتبة بن ربيعة من وجهي. وأراد أن يغتنم تلك الرقة والرحمة التي في قلب رسول الله ﷺ عليه في أمر يفيد الدين والدنيا، وبذات الوقت يصرف الهمّ عن رسول الله ﷺ فقال رضي الله عنه: وهذه أمي برة بولدها وأنت يا رسول الله مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها فأسلمت[1] لتقر عين ولدها الصديق بإسلام والدته وطمأنينة نفسه وقرار مشاعره بأنه قد أجزل برها وأخلص في نصحها حين اختار لها الإسلام منهج حياة وسبيل مسار إلى جنتي الدنيا والآخرة.

تحمله الأذى من أجل إظهار الإسلام:

إن ما أنجزه أبو بكر رضي الله عنه في هذه الجولة الأولى من جولات المواجهة الجماعية الكبرى مع الشرك يعد من أبرز الدلائل على مشاركته في ترسيم سياسة الدعوة في ظل تلك الظروف القاهرة التي تتحكم فيها قريش بكل القرارات الرسمية داخل مكة، فقد استطاع أبو بكر بواسع رؤيته وحسن تدابيره أن يحشد الإيمان كله لمواجهة الشرك كله مواجهة إيمانية فطرية عقلية فكرية حوارية بالكلمة والحجة بوضوح وجلاء لا لبس فيه ولا غموض، فهذا سيد المسلمين ونبيهم ورسول البشرية بأجمعها ﷺ يجلس في أعظم بقعة وأقدس مكان على وجه الأرض حول الكعبة المشرفة، فأبو بكر رضي الله عنه جمع لهم شرف المكان وشرف الداعية لعلهم يعودون إلى رشدهم ويثيبون إلى عقولهم ولكن هيهات للشرك أن يتنازل عن كبره وريائه وعنجهيته وبهتانه، وأنّى له ذلك وقد أسقط من حساباته الله والدار الآخرة؟

فأثبتت تلك الجولة وكما هو في كل الأحداث أن المسلمين دائمًا هم أهل الحكمة والعقل والحلم والعفو وسعة الصدر، وأن الجاهلية في كل عصورها هي الظالمة الباغية

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٩. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٥٩.

المعتدية على الحريات والطهر والخيارات الراشدة، والحال ذاتها تتكرر، فكما صادرت جاهلية المشركين حريات المسلمين وحالت دون دخول الناس في عقيدتهم، كذلك الجاهلية العلمانية المعاصرة صادرت حريات المسلمين وخياراتهم وحاربتهم في أفكارهم وأقصت عقيدتهم، ومثلما رفض المشركون الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة؛ كذلك جاهلية هذا العصر رفضت الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة، والجاهلية الهالكة كما هي الجاهلية المعاصرة لم تدع المسلمين وخياراتهم، بل وقفت على طريقهم تدعوهم إلى تبني انحلالها وسقوطها الأخلاقي في الإباحية والظلم والاحتكار والتحالف على الباطل وفي الربا والقمار والخمرة والمخدرات والتزوير وهضم حقوق الضعفاء، وإن لم يفعلوا أقامت عليهم الحصار وسلطت عليهم الإعلام الهابط في قيمه وأهدافه، وأطلقت عليهم أيدي الطغاة تمدهم بجبروتها وتسوغ لهم جرائمهم وبغيهم، وأمدت من يناصب السنة المطهرة بالعداء والبغض والاستهانة بكل ما تملكه من أدوات الإغراء والبطش والتزوير وتكذيب الحقيقة، أي أنها تقوم بدور الدجال في الأرض تمامًا.

لكن الصدّيق رضي الله عنه بما أوتي من الحكمة والحلم والصبر والفصاحة والشجاعة استطاع أن يقيم الحجة على قريش وجاهليتها المهيمنة، بالكلمة والموعظة الحسنة، حينما جاءهم ومعه رسول الله ﷺ بطلعته وبهائه وحلمه ووقاره وصدقه وأناقته وطهره ورفقه وحسن منطقه وقوة حجته، وقام هو يشرح الإسلام ويبين فضائله وضرورة كسر القيود التي تحول بينه وبين الوصول إلى الناس، لكن موقف المشركين كان عدوانيًا فجًا غليظًا مع ذلك المنهج الشرعي المنصف العادل الرقيق الرفيق؛ فلم تقبله جاهلية المشركين؛ ولم تواجهه بالسلاح ذاته من الحوار والنقاش ومقارعة الكلمة بالكلمة والحجة بالحجة، وإنما استخدموا سلاح الطغاة والجبابرة فاستقبلوا المسلمين ببطشهم وأذاهم وشتائمهم وسفاهتهم حتى نالوا منهم جميعًا، إلا أن هدفهم الأول كان أبا بكر ذلك العملاق الذي أخذ يزلزل جاهليتهم من جذورها بعلمه وصدقه وفصاحته وحلمه وصبره، فلا بد من إسكاته رضي الله عنه وإطفاء نوره؛ لكن الله تعالى نجاه من كيدهم ليبقى شوكة في حلوقهم ونورًا يمزق ظلمة جاهليتهم

وعونًا لنبيه ﷺ يشد أزره في كل ملمة ويناصره ويؤازره ويتقدم بين يديه جنديًا مخلصًا لا يبتغي جزاءً ولا شكورًا إلا من الله تعالى.

وقد أظهرت هذه الجولة بين الإيمان والشرك البون الشاسع بين منهج الإيمان المسالم العلمي العادل، ومنهج الشرك الباغي المعرض المعاند المعتمد على القوة المادية فقط، وقد كشفت تلك الجولة أن القوة لم تكن يومًا مادية فقط، كما أثبتت للمسلمين أن الكلمة إذا لم تكن محمية بالقبضة فإنها تُخمد وتُسكت ولا يباح لها أن تشارك في أي أمر، وكانت تلك القيم الظالمة هي المحرض الأول على البحث عن أرض أخرى لا تكتم الكلمة ولا تمنع خيارات الناس، فكانت الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

كذلك اتضح في جولة الإيمان الأولى مع المشركين حرص أبي بكر رضي الله عنه على إعلان الإسلام وإسماعه لعتاة قريش وإقامة الحجة عليهم مهما كانت نتائج تلك المواجهة.

واتضحت قوة الصديق رضي الله عنه الإيمانية التي لا يوقفها خطر ولا يعوقها عائق، كما تبينت قدرته على جمع المسلمين وتوجيههم وجهة واحدة تحت راية رسول الله ﷺ في جرأة وشجاعة لا يقف أمامها شيء، مما مكنه من إسماع صوت الإيمان للمشركين رغمًا عنهم.

وتبين في تلك الجولة قدرة أبي بكر رضي الله عنه الخطابية وجرأته الهائلة التي وقف فيها معتزًا بإيمانه أمام فصاحة قريش وقدرتها على النقد واعتدادها بأصالتها وكثرة جموعها وقوة شكيمتها وتنافس بيوتاتها على خدمة آلهتها ومحاربة من يتعرض لها بنقد أو تشكيك، ومع أنها أول مواجهة بين الإيمان والكفر على وجه الأرض فقد كان أبو بكر رضي الله عنه هو المخطط الأول لهذه المواجهة التي لا يوجد أي تكافؤ مادي بين أطرافها، كما أنه لا يوجد تكافؤ أخلاقي أو علمي بين قيم الإسلام السامية، وبين قيم الجاهلية الهابطة.

حيازة أبي بكر رضي الله عنه على شرف إعلان مواجهة الباطل الوثني بصورة شرعية أقرها رسول الله ﷺ وشارك فيها، وحيازة شرف تلقي ضربات المشركين الحاقدة دون أن تترك في نفسه أي أثر من آثار الوهن أو التباطؤ على أن يكون هو الأول في كل المواقف،

كما أثبتت هذه المواجهة أن أبا بكر رضي الله عنه هو الهدف الأول لقريش من بين أصحاب رسول الله ﷺ لما يمثله من خطر على دينها وآلهتها بحسن دعوته وشدة شكيمته وحلمه وصبره وكرمه رضي الله عنه.

أراد المشركون من استهدافهم لأبي بكر رضي الله عنه أكثر من أي مسلم آخر إيذاء رسول الله ﷺ في نفسه لما يمثله له أبو بكر رضي الله عنه من مكانة الصحبة والألفة والمؤانسة والمكانة في العشيرة ولما له من الخبرات والمواقف الاجتماعية التي تفتح آفاق الدعوة ومخالطة القبائل على علم وبينة من أخلاقهم وعاداتهم وتحالفاتهم، ولما يمتلكه أبو بكر رضي الله عنه من معرفة واسعة في علم الأنساب الذي كان مهمًّا عند العرب في ذلك العصر، ولما يمتلكه أبو بكر رضي الله عنه من وسائل دفاعية وإنقاذية للمستضعفين من أصحاب رسول الله ﷺ، لكل ذلك استهدف المشركون أبا بكر رضي الله عنه لما يرون أن في ذلك إيذاء لرسول الله وضربًا للدعوة في سمعها وبصرها.

الإعلان في تلك المواجهة الأولى عن تسجيل أول انتصار أخلاقي علمي جماعي لجماعة المؤمنين على المشركين، حيث ظهرت هزيمة الشرك الذي لجأ أتباعه إلى العنف البدني والمناطحة، عندما عجزوا عن مواجهة ما جاء به رسول الله ﷺ من قيم وقواعد حياتية حضارية عادلة، وما أعلنه أبو بكر رضي الله عنه في تلك الخطبة من دعوة للرشد والتعاون على فعل الخير، ولكن لم يستطع أعداء الإسلام، وكما هو حالهم في كل العصور إذا امتلكوا القوة أن ينتقلوا إلى مرحلة الانقياد للشرع الرباني الذي يرعى الجميع، فهم في تلك الحال لا يعرفون سوى السجون والتعذيب والأذى لمواجهة دعوة الطهر والعفاف والعدل والحرية.

وتبين في تلك المواجهة أيضًا الفرق بين أخوة الإيمان وأخوة القبيلة، فقد انتفضت روابط بني تيم حينما اعتدى عتبة بن ربيعة على أبي بكر رضي الله عنه وهددوه بالقتل إن حصل لأبي بكر مكروه وانتظروا حوله حتى ثاب إليه وعيه الذي فقده وهو ينافح عن نبيه ﷺ ودينه وعقيدته، لكنهم سرعان ما انفضوا عندما كان أول ما نطق به الصديق رضي الله عنه أن قال:

ما فعل رسول الله، فلم يكن همه في نفسه أو في أهله أو قبيلته وإنما كان همه الذي أخذ عليه كل مشاعره هو حال رسول الله ﷺ الذي يرتبط بإجابته ونصرته سعادة الدنيا والآخرة، وبمعارضته فساد الدنيا والآخرة، إضافة إلى أنه أصبح السمع والبصر والماء والضياء في حياة أبي بكر رضي الله عنه، ونظرًا لهذه الحال التي كان يعيشها الصديق لم يلق أي بال لموقف قومه فأصبح الانتماء عنده ومنذ ذلك التاريخ هو انتماء ونسب العقيدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] فأصبحت هذه الآية هي شعار حياة الأمة وعنوان مجدها، فإذا كانت الأخوة مبنية على العقيدة فهذا علامة الإيمان والحياة والتلاحم أمام كل المواقف، وإذا كان العكس فإنما هي المصالح والمنافع، فتقوى الصلات وتضعف بقدر ذلك.

وفي تلك المحنة اتضح دور المرأة المسلمة التي شاركت أخاها الرجل في كل ما يتحمله من تبعات حصار الشرك وكبره وسفهه وصلافته التي لا تقيم وزنًا لشيء، وقد كانت أم جميل مثالًا للمرأة المؤمنة الحصيفة التي تقدر الأمور بأشباهها؛ فما دام الشرك يجترئ على رسول الله وعلى أبي بكر فإنه لن يقيم وزنًا لأحد لهذا كان عليها أن تحتاط للأمر وأسرار الجماعة حتى لو كان ذلك من أقرب المقربين وهي أم أبي بكر رضي الله عنه، فما دامت ليست من أصحاب محمد ﷺ فلا أمان لها، فاحتاطت للأمر أجمل احتياط ولم تتقوقع في بيتها، بل احتالت حتى وصلت إلى هدفها المتمثل في الاطمئنان على أبي بكر رضي الله عنه ثم وصله مع رسول الله ﷺ فنجحت في ذلك أيما نجاح، وإن كانت غلبتها عاطفة الأخوة في الله فصرخت من هول ما رأت من معاناة صاحب رسول الله العزيز الكريم ودعت الله أن ينتقم من المشركين الذين اعتدوا على نصير المستضعفين وسيد أتباع رسول رب العالمين. قال تعالى عن أم موسى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

بعد هذه المحنة بلغت مكانة أبي بكر رضي الله عنه في نفوس المؤمنين النهاية من الاعتزاز والمحبة والإجلال، لما قام به من دور رائد، حيث كسر أطواق الرهبة من قريش وفتح أبواب الدعوة العلنية وأن المسلمين كيان لا يقهر وسيعلو على جميع العقبات التي يضعها المشركون في طريقه، وكذلك بلغت مكانته من الإشفاق عليه لما ناله من العدوان والأذى الذي تبدو آثاره جلية على جسده، مما كان سببًا فيما أصاب رسول الله ﷺ من الإشفاق والرقة عليه وتقبيله وحنو المسلمين عليه وتقبيله قبلات أرادوا أن ينشروا بها أقوى وأمتن روابط الود والإكبار لكل من يعطي في سبيل دعوته وعقيدته على مر السنين.

لقد فجرت تلك المواجهة ينابيع العطاء والتضحية في نفوس المسلمين وأظهرت لهم مكانة رسول الله ﷺ بين أصحابه واستعدادهم لبذل دمائهم بين يديه ولكل ما يقره أو يأمر به ومع ما نال المسلمين من أذى جسدي في تلك الملحمة الدعوية العقدية فإنهم أرغموا أنوف المشركين بما أظهروه من تلاحم وأخوة وعلم وصبر وانضباط.

ومع كل الذي حصل لأبي بكر رضي الله عنه من أذى جسدي ونفسي في تلك المواجهة فإنه لم ينس مهمته الأساسية التي كان يعمل من أجلها في كل أوقاته ألا وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد اغتنم في تلك الساعة التي لاحظ فيها حنان رسول الله ﷺ ورقته عليه تلك اللحظة ليستعين برسول الله ﷺ على دعوة والدته إلى الإسلام والطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لها فاستطاع آنذاك أن يحقق رغبته بإسلام والدته حينما قال: يا رسول الله إنك رجل مبارك، وهذه والدتي بارة بولدها فادع الله لها أن يهديها للإسلام، ففعل النبي ما يقر عين صاحبه ليفوز بعد إسلام والده بلقب الأول من بين المهاجرين ممن أسلم أبواه في حياته. وما هذه المواجهة إلا صورة من صور المواجهة المستمرة والدائمة بين الحق والباطل، وقد تمكن أبو بكر أن يقدم فيها أروع صور التخطيط والتدبير والقيادة واستثمار النتائج، وما هذه إلا صورة لأول ما حصل في مكة بين المسلمين والمشركين ستتضح في فصل جهاد أبي بكر في حياة رسول الله ﷺ. الذي لم يتوقف بعد الهجرة وإنما مر بأطوار أخرى تلونت فيها الأعباء الملقاة عليهم، بل إن

الامتحانات التي كانت تواجههم في مكة تحولت إلى المدينة ولكن بصورة أخرى؛ حيث كان على المسلمين أن يواجهوا مكر اليهود وفتنهم وتشويشهم وإجلابهم الدائم على المسلمين، وعليهم كذلك أن يواجهوا غلظة المشركين وكبرهم وطغيانهم، وفي ذات الوقت أن يكونوا على حذر دائم من تلبيس المنافقين وشائعاتهم وأباطيلهم فضلًا عن الأخطار الخارجية المحدقة بهم، ولكن من أهم ما واجههم في بداية الهجرة هو ذلك العدو الذي لا يرحم صغيرًا ولا كبيرًا، فكان عليهم أن يواجهوا الجوع وضيق ذات اليد أمام سيول المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم ليشاركوا في بناء دولة الإسلام، ولم يكن ذلك مقصورًا على فئة من الناس، بل كانت المدينة مفتوحة لكل مسلم مثلما كانت الهجرة إلزامية لبناء دولة الإسلام والانطلاق بها نحو آفاق العالمية؛ والانعتاق من أسوار القبيلة والمدينة والإقليم، إلى صناعة الأمة الواحدة الموحدة لله رب العالمين، لهذا كان امتحان الجوع يطال الجميع بما فيهم رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس ما يوضح ذلك ويظهره. فقال: خرج أبو بكر رضي الله عنه في الهاجرة إلى المسجد فسمع بذلك عمر رضي الله عنه فخرج، فقال: يا أبا بكر، ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: لا، والله ما أخرجني إلا الجوع، فقال: أنا والذي نفسي بيده، ما أخرجني غيره، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» فقالا: الجوع. فقال: «**أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره**» فقاموا، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري، فذكر الحديث في إتيان رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذبحه لهم شاة، وطبخه لها، قال: فأخذ رسول الله ﷺ من الشاة، ووضعه على رغيف، وقال: «**يا أبا أيوب أبلغ هذا فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام**»[1].

وبهذا يتضح أن هذا الدين السمح الحنيف لا يمكن نشره في العالمين كما أمر الله تعالى

---

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. الأطعمة، باب آداب الأكل، ح ٥٢١٦. الطبراني، المعجم الصغير، ك. الألف. باب من اسمه أحمد، ح (١٨٥) مسلم: ك. الأشربة، باب، جواز استتباعه غيره، ح (٢٠٣٨) الترمذي، الزهد. باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٦٩).

به دون تضحيات وجهاد وصبر وألم ومشقة وجوع وعطش وهجرة وغربة، وما ذلك إلا لأن أهل الأهواء وعبيد الشهوات وإخوان الشياطين والظلمة والمتجبرين لا يقبلون بما فيه من العدل والمساواة والسماحة والتوحيد والاعتراف بحقوق الآخرين ولا سيما من الضعفاء والمساكين، ولما لم يقبلوا من رسول الله ﷺ ولا من أصحابه رضي الله عنهم من بعده أن ينساح الدين في الأرض دون عوائق وعقبات يصنعها أعداؤه، كان لا بد من هذه الدروس التي قدمها أصحاب رسول الله ﷺ لكي يرسموا الطريق لمن يأتي بعدهم فيتعلموا الثبات والصبر والاستعداد الدائم لدفع ثمن إعزاز هذا الدين من كل ما يملكون في الجانب المادي والجانب الروحي، وأما القول بالحوار والتفاهم فهذا سلاح مشهور دائمًا؛ فمن قبل بالحوار فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وأما أن يستخدم الحوار للمساواة بين الحق والباطل والشرك والتوحيد والصدق والكذب والإسلام والجاهلية فهذا ليس بحوار، بل تدليس وتلبيس ورضا بالدونية وأن يتساوى دين الله تعالى المنزه عن الحظوظ والأهواء مع أديان البشر وأن تكون كلمة الله وكلمة عبيده أهل الأهواء والآثام والظلم سواء بسواء، ومن هنا لو كان الدين من الممكن أن يُنشر في العالمين دون قوة ترعاه لانتشر على يدي رسول الله ﷺ الحليم الرؤوف لأنه هو الأقدر والأعلم والأرحم في وسائل تبليغه للناس، ولما لم يحصل هذا لرسول الله ﷺ كان لا بد من الإعداد الدائم كما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1] ولأن الله تعالى أخبر أن الشر سيبقى في صراع دائم مع الخير مهما تسامح الحق وغفر. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[2].

دفاعه عن رسول الله في مكة:

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أشد ما صنع

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون[2]. لقد بلغ من كمال حب أبي بكر لرسول الله ﷺ وإشفاقه عليه أنه لم يعد يرى لنفسه أي حق في العيش إن نال أحد من رسول الله ﷺ، وهذا ما لاحظه عليه مشركو قريش حتى وصفوه بهذا الوصف الذي يريدون أن يعيبوه به؛ بينما هو وسام شرف لأبي بكر رضي الله عنه يراه كل مسلم يزين صدره في حياته ويعطر سيرته بعد وفاته رضي الله عنه، وبالتأكيد فإن المشركين اكتشفوا أن أبا بكر كان يمسك بناصية العقل والحكمة حينما جعل من جسده سورًا يحمي به رسول الله ﷺ، وأن الجنون الفعلي هو فيما كان يقوم به المشركون من عدوان دائم لا مسوغ له سوى الانسياق وراء الشهوات والأهواء وحب الذات على حساب الخير والعدل.

وروي أنه بينما النبي ﷺ في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾. وقال عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه على أمر عظيم، قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨. صحيح البخاري ك: فضائل الصحابة. باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلًا»** ح (٣٦٧٨) (٣٤٧٥).

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٤) ٣/ ٧٠. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى، فمرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال: «**أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**». فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلَّا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم راشدًا فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه. حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لِمَا كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ**» ولقد رأيت رجلًا منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشًا بلغت منه قط ﷺ[1].

وهذا ما كان عايشه علي رضي الله عنه عندما كان في مرحلة شبابه الأولى دون أن يتمكن من التدخل لنجدة رسول الله ﷺ لا بالقول ولا بالفعل نظرًا لصغر سنه وأعراف الجاهلية التي كانت لا تقيم وزنًا إلا لكبار القوم. قال علي رضي الله عنه: لما كان بعد وفاة أبي بثلاثة أيام اجتمعت قريش تريد قتل رسول الله ﷺ فلم يُعنه يومئذ إلا أبو بكر رضي الله عنه ولأبي بكر يومئذ ضفيرتان، فأقبل يجادل هذا ويدفع هذا ويقول: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ والله إنه لرسول الله ﷺ، وتقطعت في ذلك اليوم إحدى ضفيرتي أبي بكر رضي الله عنه وقال علي رضي الله عنه يومًا لأصحابه: ناشدتكم الله، أي يوم الرجلين خير: مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٩٥، ٩٦.

وهذا بذل لله نفسه ودمه[1]. كل هذه الروايات تؤكد الدور الرائد الذي كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه في الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته بعد أن عز النصير فكان الصدّيق كالأم الرؤوم يدور حول رسول الله ﷺ يفتديه بنفسه من وحشية الجاهلية وجبروتها، فكان رضي الله عنه جيشًا لجبًا وحده بين يدي رسول الله ﷺ لا يبالي بالطغاة ولا يحرص على غير سلامة النبي ﷺ، وهذا ما أدركه المشركون وعرفوا من خلاله المكانة العلية لأبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ كما أدركوا مدى إخلاصه للإسلام وخطورته على الشرك حتى إنهم أخذوا يجعلونه في موازينهم ومخططاتهم مع رسول الله ﷺ؛ إذ إنهم كانوا يدركون أنه هو الوحيد الذي يسد مسد رسول الله ﷺ إذا غاب عن المسلمين، قال سراقة ابن جعشم المدلجي: جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر دية، ولمن قتلهما في كل واحد منهما دية أو أسرهما[2]. وهذا النص يؤكد مكانة أبي بكر رضي الله عنه في أمة رسول الله ﷺ بل هذا ما أدركه أعداء الصحابة رافضو السنة وخلافة النبوة، حيث جعلوه هدفًا لبهتانهم وتزييفهم يعملون بكل وسعهم لتشويه سيرته وصرف المسلمين عن تلقي الدروس والعبر من مواقفه وتضحياته، وهذا ما أدركه المؤمنون أيضًا على مرّ العصور فأصبح عندهم الصدّيق هو الميزان الذي يتضح في كفته المؤمنون من المنافقين، فكل من في قلبه ذرة حقد أو شك أو تشويش إنما هو امتداد للمرتدين تلامذة مسيلمة الكذاب فلا قيمة لوجودهم بين المؤمنين، بل إنهم خطر وبلاء وفتنة وشر في أي تجمع يكونون فيه مع المؤمنين لأنهم لا يجيدون سوى الدس والوقيعة وإشاعة الإفك، فما أعظم دور الصدّيق وما أعمق أثره في الإسلام حيًّا وميتًا، ففي حياة رسول الله ﷺ صدح بالإسلام وعلم المسلمين كيف يفعلون ذلك، وفي خلافته سحق الرفض والردة وأزهق

---

(١) البزار: مسند البزار، مما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه ٥/ ٥٦١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٨٢.

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٥) ٣/ ٧٠. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

روح النفاق وأطاح بعروش الطغاة والجبابرة، وحمى الدين وافتدى السنة بكل ما يملك وما يستطيع حتى أقر من رفض ركن الزكاة أن يؤديها ويؤمن أن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وبعد وفاته رضي الله عنه بقي نورًا كاشفًا يُظهر زيف المنافقين وغش وخداع ومكر الرافضين للسنة الحاقدين على أهلها.

الإسراء:

ومن مواقف الصديق رضي الله عنه الشهيرة المتفردة في الإيمان والتصديق والرعاية والنصرة ما قام به من مؤازرة رسول الله ﷺ يوم الإسراء، حيث كان يشد من أزره فيفصح ﷺ عن كل ما يريد قوله في وسط جموع الشرك المتشككة المكذبة، وبين يديه صاحبه ينافح عنه ويشهر كل ما يريد ﷺ قوله فيتلقفه بالتصديق لا يسأل عن بينة ولا عن حجة، فإذا ثبت عنده أن رسول الله ﷺ قال قولًا فقوله هو الحق والصدق أي قول كان. وقد ثقل على رسول الله يوم الإسراء كيفية إخبار قريش برحلة الإسراء وهو يعلم غلظتهم على المؤمنين وشدة عنادهم وتكذيبهم له ﷺ، فتلطف بإخبارهم أنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة؛ وذلك أن أبا جهل، رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خبر؟ فقال ﷺ: «**نعم**». فقال: وما هو؟ قال ﷺ: «**إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس**». قال: إلى بيت المقدس؟! قال ﷺ: «**نعم**». قال: أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم، أتخبرهم بما أخبرتني به؟ قال ﷺ: «**نعم**». فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك، وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم. فقال أبو جهل: هيا معشر قريش، وقد اجتمعوا من أنديتهم. فقال: أخبر قومك بما أخبرتني به. فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلّى فيه. فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيبًا له واستبعادًا لخبره، وطار الخبر بمكة. وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمدًا ﷺ يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركو قريش، فسأله عن ذلك، فأخبره،

فاستعلمه عن صفات بيت المقدس، ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفي **الصحيح**: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: «**فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس عليّ بعض الشيء، فجلّى الله لي بيت المقدس، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم**». فقالوا: أما الصفة فقد أصاب. وأخبرهم بمروره ببعيرهم وقافلتهم وما كان من شربه ﷺ لمائهم. فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة، فآمن من آمن على يقين من ربه، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[1] أي اختبارًا لهم وامتحانًا[2] حيث كان تصديق أبي بكر المطلق لكل ما قاله النبي ﷺ حجة على كل مكذب بالإسراء الذي جاء نصه صريحًا في كتاب الله. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

موقف أبي بكر رضي الله عنه من الإسراء وتسميته بالصديق:

ولما انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة وأصبح فيه بعد تلك الرحلة العجيبة، غدا إلى قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثرهم: هذا والله الأمر البين، تالله إن العير لتطرد شهرًا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرًا مقبلة، أفيذهب محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة! فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك؟! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أحدثت القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «**نعم**»، قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته. قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «**فرفع لي حتى نظرت إليه**». فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئًا، قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**وأنت يا أبا بكر الصديق**»، فيومئذ سماه الصديق. قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[1].

وروي أن أبا جهل مرّ على رسول الله ﷺ فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: «**نعم**»، قال: ما هو؟ قال: «**أسري بي الليلة**». قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**». فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: «**نعم**»، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي. فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدث قومك بما حدثتني. فقال النبي ﷺ: «**إني أسري الليلة بي**» قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**» فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا، وضجوا وأعظموا ذلك. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أممًا غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس مصعدًا شهرًا ومنحدرًا شهرًا، أتدعي أنت أنك أتيته في ليلة؟ واللات والعزى لا أصدقك[2].

فقال أبو بكر رضي الله عنه لمطعم: بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذّبته، أما أنا فأشهد أنه صدّيق صادق. فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٢.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٩٤.

وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا، وقربه من الجبل كذا، فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربًا ما كرب مثله، فجيء بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فقالوا: كم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدها، فجعل ينظر إليه ويعدها بابًا بابًا، ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، أشهد أنك رسول الله. فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. ثم قالوا لأبي بكر: أفتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر الصديق[1]. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة:

ومن مواقف الصديق الأخرى قبل الهجرة إلى المدينة محاولته الهجرة إلى الحبشة ومن ثم رده جوار ابن الدُّغنة[3] الذي زعم أنه يجير أبا بكر في مكة حتى يعبد ربه ولكنه سرعان ما استجاب للمشركين ومكرهم حتى اضطر أبا بكر أن يرد عليه جواره، ويستغني بجوار الله تعالى- كما سيتضح ذلك مفصلًا بعد قليل - ويتحمل تبعات ذلك ومخاطره مما جرأ عليه سفهاء المشركين حتى تطاول أحدهم وذر على رأسه التراب وهو في طريقه إلى الكعبة

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٩٣. (٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٣) واسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد قبيلة القارة. وقال السهيلي: اسمه مالك. والدُّغُنّة: وهي أمه، وقيل: أم أبيه، ومعنى الدغنة: المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر، القارة، وهي قبيلة مشهورة من بني الهون، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي. قال الشاعر:

قد أنصف القارة من راماها

والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعًا فسموا الأحابيش (لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأحبش بأسفل مكة). السهيلي: الروض الأنف، ٢/ ١٥٨. ابن كثير: السيرة النبوية، ١/ ٤١٠. الصالحي: سبل الرشاد، ٢/ ٤١١.

المشرفة، فلما عرض ذلك على زعماء المشركين رد عليه قائلهم: أنت فعلت ذلك بنفسك، أي بسبب إسلامك. فذهب أبو بكر وهو يقول: أي ربّ ما أحلمك، أي ربّ ما أحلمك أي رب ما أحلمك[1]! والملاحظ لمنطق زعماء قريش عندما عرض عليهم الصديق أفعال سفهائهم وخروجهم على كل الضوابط والقيم، يشتمّ فيها منطق الجاهلية المعاصرة وتعاملها مع المسلمين، هذا المنطق الظالم المتغابي الذي يُحمّل المسلم تبعات اختياره للإسلام، فيشرع لأعداء الإسلام فعل كل ما يحول بين المسلم وبين القيام بشعائره وما في عنقه وضميره من ضوابط شرعية يعتقدها ويؤمن بها، في الوقت الذي يبيح فيه للكافرين بشرائع الإسلام القيام بكل ما ترشحه أهواؤهم وتخيلاتهم من طلاسم وطقوس واعتقادات باطلة لا يسندها عقل ولا واقع، هذا هو الحال لم يتغير، فالناظر إلى ما يعانيه المسلمون في هذا العصر يجد أن المسارات لم تتبدل، فمسارات الإيمان هي هي، ومسارات الشرك والكفر والنفاق والرفض والردة أيضًا هي لم تتبدل، والذي تغير فقط أن المشركين أيام أبي بكر رضي الله عنه كان فيهم نوع من الاعتداد بالذات والخوف من أن يتهم أحدهم بالكذب أو العدوان على الطفل والمرأة والضعيف بينما أعداء الإسلام ومبغضو الصحابة في هذا العصر لم يبق بين أيديهم ما يستر فضائحهم الأخلاقية والإنسانية، فمسيرتهم مع أهل الإيمان مكشوفة واعتناقهم للعقائد الفاسدة والمحاربة للإسلام ثابتة معلومة، وستأتي الهجرة إلى الحبشة مفصلة أكثر في المبحث الثاني من هذا الفصل إذ إنه لا يمكن الفصل بين الحديث عن هجرة الحبشة وهجرة المدينة لأن معاني الهجرة مترابطة ومقاصدها متشابهة، وإن كان كل منهما لها ظروفها وأسبابها ووسائلها وأهدافها. ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

***

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٤١. السيرة، ٢/ ٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

المبحث الثاني

من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة

الهجرة [1]لها وجهان في حياة المهاجرين، **أولهما** أنها شرف وعز لأهلها في الدنيا والآخرة، ومنزلة ربانية وهبها الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ ووهبها جلّ وعلا لكثير من المؤمنين ممن جاء بعدهم واهتدى بهديهم، ومن جانب آخر هي جرح دائم النزيف إن اندمل يومًا انتقض على صاحبه أيامًا، يرتشف فيه المهاجرون ألوانًا من التجارب المرة والحلوة، ويُمتحنون فيها بما يحملون من عقيدة ومبادئ وقيم، فتظهر فيها معادن الناس على حقيقتها وتتبلور فيها التجارب، ويتزلزل فيها المنتفعون وأهل الأهواء، فتميل المنافع بأصحابها على حساب العقيدة، فتُنسج التحالفات وتتوثق الصداقات على حساب المبدأ والمصلحة العامة، فتفتح عندها الثغرات في الأسوار وتتصدع بأسباب ذلك الجماعات وتتجلى كل الخيارات ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[2] فيُعرف المخلصون لعقيدتهم

---

(١) كل من فارق بلده من بدوي أو حضري وسكن بلدًا آخر فهو مهاجر. والمهاجرون هم الذين هاجروا بأمر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، أو من مواطن القبائل العربية إلى المدينة، ومنهم مهاجرو الحبشة. ينظر: الخليفة، مهاجرة الحجاز، ٧٣. وعن المعاني اللغوية للهجرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٢٥٠. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ٣/ ١٦٣. الرازي: مختار الصحاح، ٥٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

الذين لا تزيدهم المحن والتجارب إلا تمسكًا بهويتهم وعطاءً لعقيدتهم على مرّ الأجيال والدهور، كما يعرف المساومون على الدين والسنة المزايدون على العقيدة.

فالهجرة أحد الحلول التي يلجأ إليها المؤمنون بالله تعالى لحماية إيمانهم وسلامة عقيدتهم ولتجاوز ما يحيق بهم من عدوان الجاهلية وأزمات المجتمعات الفاسدة والمترهلة التي لا يحكمها شرع ولا يضبطها قانون، ففي الوقت الذي تبيح فيه المجتمعات والنظم الجاهلية عبادة الذات وعبادة السلطات وعبادة المال والشهوات، والتعبد بالرشوة والنميمة والجاسوسية والنفاق ونشر الرذيلة، في الوقت الذي تبيح فيه كل ذلك فإنها تُحرّم على المؤمنين عبادة ربهم وخالقهم عبادة حقة، تحل الحلال وتحرم الحرام وتنصر الضعفاء وتواسي المحتاجين، والناظر في مسيرة الإيمان يجد أن الهجرة كانت ثمنًا ملازمًا لكل صفقة تعقد بين المؤمنين وربهم سبحانه وتعالى، لذلك هاجر الأنبياء وهاجر الصدّيقون وهاجر الصحابة والتابعون، واستمرت كواكب الأخيار في كثير من الأعصار والأمصار تجدد هذه الصفحة الإيمانية ليتعلم الناس أن كل شيء يجب أن يخدم الإسلام حتى تتوثق روابطه ويسود سلطانه فيعم عدله ورحمته الإنسانية جمعاء، وهذا ما أرشد إليه رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث التي أوضح فيها أن الهجرة تشريع إسلامي يدفع فيه المؤمنون وسائل الحصار ويتجاوزون شراك الإذلال والاستضعاف التي ينصبها لهم أعداء الدين والحرية والعدل والمساواة، فقال ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل... ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[1]. وقوله ﷺ: «**ستكون هجرة بعد هجرة**»[2]. وقد مرت الهجرة في الإسلام بأطوار متعددة؛ فقد كانت إلى أرض الحبشة اختيارية في الرحيل وفي الإقامة وحتى في العودة، ثم مرت فترة من الزمن أصبحت الهجرة فيها إلى المدينة فريضة على كل مسلم، ومن لم يهاجر فهو خارج إطار مهام ومسؤوليات

(١) الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني، (٢٠/ ٢٩٥). الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٧٥.

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣/ ١٢٣.

المجتمع الإسلامي. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾[1] فالهجرة مستمرة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بقوله ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح»**[2]. أي بعد فتح مكة إنما هي القصد إلى النبي ﷺ؛ فبعد الفتح أصبح الإسلام ظاهرًا ولم يعد هناك ضرورة للهجرة إلى المدينة، ولكن من بقي في دار الحرب أو في أي مكان لا يستطيع أن يمارس فيه الفرائض والشعائر والأحكام الإسلامية الظاهرة وبإمكانه الهجرة، فمن لم يفعل ذلك فهو الذي ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3] ومثلما أن الهجرة وولاية المسلمين واجبة، كذلك النصرة لهم بالمال والنفس واجبة[4] ولما واجه رسول الله ﷺ صلف الجاهلية وبغيها وظلمها وكِبرها؛ لم يعد أمامه وأمام المؤمنين من حل للخروج مما هم فيه من التضييق والضنك سوى التفكير بالهجرة ومغادرة أرض الظلم والشرك، لهذا أذن ﷺ لأصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة في بداية الأمر فهاجر من هاجر إليها تخلصًا من ظلم المشركين وفرارًا بالدين الذي يرتضيه الله رب العالمين سبحانه وتعالى ويرفضه الطغاة والوثنيون، وهكذا فعل أصحاب محمد ﷺ فتركوا الأهل والدار والوطن من أجل نصرة الدين، ولكنهم لم يجدوا في أرض الحبشة الأنصار، كما وجدوا ذلك عند الذين قال الله تعالى فيهم ممجدًا نصرتهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5] فلولا أن الله تعالى هيأ هذه النصرة لما أثمرت الهجرة هذه الثمار اليانعة،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، ح (٢٦٣١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٤) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٨٧٦، ٥/ ٣٥٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

فكم من المهاجرين هاجروا من أجل دينهم ولكنهم لم يجدوا النصير، فما أثمرت جهودهم إلا بالقليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

الصديق والهجرة إلى الحبشة:

ولما كان الصديق رضي الله عنه في موقع الصدارة من الدين والأمة كان المشركون أشد حرصًا على تقييد طاقاته وكبت إيمانه وتكميم منطقه الحصيف وإسكات صوته القوي لإبطال حجته وتمزيق هويته، وقد حاولوا مرارًا استهدافه من بين الصحابة لكن الله تعالى سلم، ولما كان رضي الله عنه لا يبالي بطغيان الشرك والجاهلية ويصر دائمًا وأبدًا أن يكون الإسلام هو الأعلى سهمًا والأسمى كلمة ومقامًا، ازداد التضييق عليه والتعرض له بالأذى، فحين ضاقت عليه مكة ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرًا حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قال الواقدي: واسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوْني وضيّقوا عليّ. قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزِين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف وتُكْسِب المَعْدوم. ارجع فإنك في جواري. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلّا بخير. فكفوا عنه. وكان لأبي بكر مَسْجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلًا رقيقًا، إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، فمشى رجال من قريش إلى ابن الدُّغُنَّة. فقالوا له: يا بن الدُّغُنَّة، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليُؤْذينا إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمّد يرقّ ويبكي وكانت له هيئة، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأْتِه فمُرْه بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أُجِرْك لتؤذي قومك، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به

وتأذَّوا بذلك منك، فادخل بيتَك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أوَأَرُدُّ عليكَ جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردد عليّ جواري. قال: قد رددته عليك. فقام ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أَبي قحافة قد ردّ عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم[1].

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فلمّا ابتُلي المسلمون خرج أبو بَكْر الصديق رضي الله عنه مهاجرًا قِبَلَ أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بِرْك الغماد[2] لقيه في الطريق سيد قبيلة القارة ابن الدُّغُنة، فقال ابن الدُّغُنة: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال رضي الله عنه: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، فقال له ابن الدغنة: فإنّ مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا تخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرّحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق فأنا لك جارٌ، فارجع فاعبد ربك في بلدك[3].

وبقي أبو بكر رضي الله عنه آمنًا حتى خرج من جوار ابن الدُّغُنَّة، فلقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة رضي الله عنه فحثا على رأسه ترابًا، فمر بأَبي بكر رضي الله عنه الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال له أَبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. فولى أبو بكر وهو يقول: أي ربّ ما أحلمك، أي ربّ ما أحلمك، أي رب ما أحلمك[4].

وروي أنه كان مع أبي بكر حين خرج الحارث بن خالد، فقال أبو بكر لابن الدغنة: فإن معي رجلًا من عشيرتي. فقال له ابن الدُّغُنّة: دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك. فقال له أبو بكر: فأين حق المرافقة؟ فقال الحارث: أنت في حِل، فامض فإني سأمضي

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٤١. السيرة النبوية، ٢/ ٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤١٠. البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة. ح (٣٩٠٥).

(٢) برك الغماد: موضع على خمس ليالٍ من مكة، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣١٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٧٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٤١. السيرة النبوية، ٢/ ٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤١٠.

لوجهي مع أصحابي. فمضى حتى صار إلى الحبشة، وبقي أبو بكر حتى نكص ابن الدُّغُنة عما تعهد به أمام ضغوط المشركين ومكرهم، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى[1]. فلما رد الصديق جوار المشرك ابن الدُّغُنة بعد أن ظهر انحيازه إلى الجاهلية على حساب قيم مجتمع المشركين، الذين ضاقت صدورهم من أن يعبد أبو بكر ربه في فناء بيته وما يحيط بمنزله من مساحة فقط، فتحمل تبعات ذلك كاملة دون أن يبدي أي أسف على راحة بدنية تورثها الجاهلية لحلفائها، وظهر في موقف الصديق ذلك عز الإيمان وحمية المؤمنين وقوة ثقتهم بالله تعالى، لكنه ضيق عليه أكثر فأكثر وعانى من سفاهات المشركين ما لا يطاق وبما أوجد أمامه العقبات الهائلة التي تحول بينه وبين ممارسة الشعائر التعبدية على الوجه الصحيح، وأغلقوا أمامه منافذ الدعوة إلى الله تعالى مما اضطره أن يستأذن رسول الله في الهجرة إلى المدينة بعد أن أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بذلك، حين قال لهم: «**إني أُريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين**»[2]. وهما الحرتان[3] فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يبق معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أقاما بأمره لهما، وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا**»،

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٦٨٦٨) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٤١٠.

(٢) البخاري. باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، ح (٢١٧٥) صحيح ابن حبان: ك. وباب مناقب الصحابة، ح (٦٨٦٨) الصنعاني، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ١٨٤.

(٣) الحرتان: مثنى حرة، والحرة أرض غليظة تركبها حجارة سود، والمدينة فيها حرتان؛ حرة واقم، والحرة الشرقية. ينظر: الخليفة، مهاجرة الحجاز، ٥٢. ابن دريد: الاشتقاق، ١٣٥.

فيطمع أبو بكر أن يكونه[1]. ويقول له ﷺ: «**على رسلك**[2] **فإني أرجو أن يؤذن لي**». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «**نعم**»[3]. فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في أعظم رحلة في التاريخ البشري أنتجت هذا الدين الخالد وهذا التراث الإسلامي التالد، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بحصافته المعهودة ونباهته المعروفة يعد متطلبات الهجرة لكي يكون على أتم الاستعداد للتنفيذ عند تلقي أي إشارة من رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله رضي الله عنه فسارع إلى شراء راحلتين من أجود ما تملكه العرب وباشر يعلفهما ورق السمر - وهو الخبط[4] - أربعة أشهر، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر[5]. فأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظرًا حتى يأذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في الخروج.

فلما كانت ليلة همّ المشركون بالغدر والفتك برسول الله ﷺ فأرصدوا على الباب أقوامًا، حتى إذا خرج ﷺ عليهم قتلوه، ولكن الله تعالى خيب سعيهم، فلما خرج عليهم ﷺ لم يره منهم أحد، وقد جاء في حديث أنه ذرّ على رأس كل واحد منهم ترابًا ثم خلص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلًا[6] بعد أن بشر رسول الله ﷺ صاحبه بقوله: «**يا أبا بكر، ألم ترني كنت أستأذن الله في الخروج**» قال: أجل، قال: «**فقد أُذن لي**» قال أبو بكر: الصحبة؟ قال: «**الصحبة**» فقال أبو بكر: عندي راحلتان قد علفتهما منذ ستة

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢١٨.

(٢) على رسلك: أي على مهلك، والرسل: السير الرفيق. الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٤١١.

(٣) البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر رضي الله عنه ح (٢١٧٥). ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٤١١.

(٤) السمُر هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة، ينظر النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٩٩. وهو الخبط، والخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خَبَط بالتحريك، وهو من علف الإبل. ابن الأثير: النهاية، ٢/ ٧.

(٥) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٤٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٧.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ١١٤. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨

أشهر لهذا، فخذ إحداهما، قال ﷺ: «**بل أشتريها**» فاشتراها منه بعد أن حاول الصديق هبتها لنبيه ﷺ ولكن الهجرة أمرها عظيم أراد رسول الله ﷺ أن يكون له مشاركة في تبعاتها ليتعلم المسلمون وسائل الإعداد والاعتماد على الله تعالى ثم على جهودهم وإمكانياتهم في بناء دولة الإسلام وإلا فإن رسول الله ﷺ قد قبل أن ينفق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماله في سبيل الله فخرجا إلى الغار[1].

الهجرة إلى المدينة:

وفي هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة إلى المدينة نزل من الآداب الربانية والآيات القرآنية قول الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنه عنهما: كان رسول الله ﷺ بمكة فأُمر بالهجرة من مكة وأُنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي الهجرة إلى المدينة ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾: كتاب الله عز وجل، وفرائضه وحدوده. وروى الحاكم وصححه عن قتادة في الآية قال: ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يعني المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ يعني مكة. وروى الزبير بن بكار عن زيد بن أسلم في الآية قال: جعل الله تعالى لنبيه ﷺ مدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة، وسلطانًا نصيرًا[3] كتاب الله تعالى، والله أعلم.

مقدمات الهجرة إلى الأنصار:

وكان أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة كما سبق بيان ذلك، والنبي ﷺ كما يبدو كان يصرفه عن ذلك ليكون معه من غير أن يصرح له، قالت الطاهرة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٨٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٣٨. البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ح (٤٥).

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: استأذن أبو بكر رضي الله عنه في الخروج من مكة حين اشتد عليه الأذى، فقال له رسول الله ﷺ: «**أقم**». فقال: يا رسول الله! أتطمع أن يؤذن لك؟ فيقول ﷺ: «**إني لأرجو ذلك**». فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ في موقف من مواقفه التي تؤكد فطنته وحزمه واستعداده للأحداث بأعلى درجات الاستعداد، فلما قال له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا**»، طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فلم يجلس ينتظر حتى يعلمه رسول الله ﷺ بيوم الهجرة ثم يذهب فيعد لذلك اليوم ما يناسبه من إعداد، بل إنه باشر من تلك اللحظة التي التقط فيها تلك الإشارة بالتجهز وتأمين المتطلبات استعدادًا لذلك اليوم المنتظر ولم ينشغل بالإعداد لنفسه فقط، بل كان يحمل همّ رسول الله ﷺ قبل همّ نفسه ويحرص على إنجاز متطلباته بأعلى درجات الحرص، ولعل في مثل هذا الموقف المشتمل على النباهة والحزم والأريحية ما يوحي بخصال أبي بكر رضي الله عنه المتفردة التي جعلت رسول الله ﷺ يحرص على اجتبائه من بين أصحابه الكرام. ثم أتى رسولَ الله ﷺ ذات يوم ظهرًا، فناداه، فقال: «**أخرج من عندك**». فقال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي. قال: «**أشعرت أنه قد أُذن لي في الخروج؟**» فقال: يا رسول الله! الصحبة؟ فقال: «**الصحبة**». قال: يا رسول الله، عندي ناقتان قد أعددتهما للخروج، فأعطى النبي ﷺ إحداهما وهي الجدعاء[1]. وعن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها لما قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «**نعم**» موافقًا على الهجرة، فرح أبو بكر بهذه النعمة فرحًا عظيمًا، قالت: فوالله ما علمت أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ[2]. وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين، فقال ﷺ:

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٢٩٦. وقال: فركبها ﷺ فانطلقا حتى أتيا الغار، وهو بجبل ثور، فتواريا فيه، وهذا مخالف للمشهور بأن الناقتين كانتا عند دليلهما الذي جاء بهما بعد اليوم الثالث لهما في الغار ثم باشرا الهجرة إلى المدينة، وهذا يوحي بأن الاتفاق مع ابن أريقط كان قبل يوم الهجرة، والله أعلم.

(٢) وقد أصبحت هذه الكلمة من أم المؤمنين رضي الله عنها ملهمة للشعراء، وهي: ما كنت أرى=

«بالثمن، لا أركب بعيرًا ليس هو لي» قال: فهو لك. قال: **«لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به»**. قال رضي الله عنه: أخذتها بكذا وكذا. قال ﷺ: **«أخذتها بذلك»**. قال: هي لك[1]. وعند البخاري في غزوة الرجيع أنها الجدعاء، وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة[2] أي لكلا الراحلتين.

تاريخ الهجرة:

كانت هجرة النبي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من النبوة، وذلك يوم الإثنين. قال ابن عباس: ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين ﷺ[3]. وكان ذلك بعد الحج الذي بايع فيه الأنصار رضي الله عنهم رسول الله ﷺ بقية ذي الحجّة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ أو يحبسوه، أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[4] قال ابن سعد: إن رسول الله ﷺ لما خرج من بيته أتى بيت أبي بكر بمكة فكان فيه إلى الليل، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه.

= أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي من الفرح. قال في الروض: قالت ذلك لصغر سنها وأنها لم تكن علمت بذلك. وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحسانًا له، فقال الطائي يصف السحاب:

دُهم إذا وكفت في روضة طفقت ... عيون أزهارها تبكي من الفرح

وقال بعض المحدثين:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه ... سيزورني فاستعبرت أجفاني

غلب السرور عليّ حتى إنه ... من فرط ما قد سرني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين في فرح وفي أحزان

ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٣.

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣٨، ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٢٩٦

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣٩. ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٢.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

وعن الطاهرة عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة أو عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أُذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه؛ أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل، تأخر له أبو بكر رضي الله عنه عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**أخرج عني من عندك**». فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فقال: «**إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة**». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ فقال: «**الصحبة**». قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتين قد كنت أعددتهما لهذا[1].

وروي أنهما خرجا ليلًا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر. وروى أبو نعيم أن النبي ﷺ قال: «**لقد خرجت من الخوخة متنكرًا فكان أول من لقيني أبو جهل فأعمى الله عز وجل بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا**»[2].

الدليل:

وقد استأجرا عبد الله بن أريقط، رجلًا من الدئل بن بكر من بني عبد بن عدي، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش - وأسلم بعد ذلك - وكان هاديًا خريتًا، ماهرًا بالدلالة إلى أرض المدينة، وأمناه على ذلك مع أنه كان على دين قومه، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما[3].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨ (٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ١١٤. السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٣. الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٣٩.

ولعل هذه إحدى المفارقات التي شهدها رسول الله ﷺ وصاحبه يوم الهجرة، إذ أخرجهما المشركون وهم من أقاربهما وأبناء بلدتهما، ولكن الله تعالى هيأ لهما ابن أريقط وهو من المشركين ومن حلفاء بني سهم القرشيين، فوفى لرسول الله ﷺ ولصاحبه مع أن قريشًا كانت قد عرضت لمن يأتي بأخبارهما مائة ناقة عن كل منهما بينما رضي ابن أريقط بأن يأخذ ناقتين فقط لقاء تعبه ودلالته ومخاطرته بحياته، وإن دل هذا على شيء فإنما هو رعاية الله تعالى أولًا ومن ثم أخلاق العرب حتى في الجاهلية؛ حيث كانوا يحتقرون الكذاب ويأبون أن يرتكبوا جريمة الكذب والغدر ويحرصون على الوفاء بكل صوره مهما قدمت لهم من الإغراءات والمكاسب مقابل الوفاء بالكلمة والموقف، وهذا ما تمتاز به أمة العرب عن باقي الأمم آنذاك مما جعلها أهلًا لحمل أعظم أمانة تعرض على البشرية ألا وهي أمانة الإسلام بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وسبحان مقلب القلوب والأبصار ومغير الأحوال من حال إلى حال.

من كان يعلم بهجرة الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج، إلا أبو بكر الصديق وآل أبي بكر وعلي رضي الله عنهم. أما علي رضي الله عنه فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، ولم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ [١] وذكر الحاكم عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال لجبريل: «**من يهاجر معي؟**» قال: أبو بكر الصديق[٢].

داخل الغار:

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر رضي الله عنه فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بجبل ثور وهو جبل أسفل مكة فدخلاه، فلما حصلا في الغار

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٠. السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٣.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٠.

عمّى الله على قريش خبرهما، فلم يدروا أين ذهبا. وجاء المشركون في طلبهما إلى غار جبل ثور، وما هناك من الأماكن، حتى إنهم مروا على باب الغار، وحازت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه. قال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثُهما**»[1]. وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لشدة حرصه على رسول الله ﷺ بكى حين مرّ المشركون قريبًا من رسول الله ﷺ، فطمأنه النبي ﷺ بأن الله تعالى معهما فلا يبالي بمكر البشر وكيدهم الضعيف.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلًا، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، يقي رسول الله ﷺ بنفسه رضي الله عنه[2].

وقال أنس رضي الله عنه: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني! فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى جُحرًا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجُحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «**أين ثوبك يا أبا بكر**» فأخبره بالذي صنع فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «**اللهم اجعل أبا بكرٍ معي في درجتي في الجنة**» أو قال: «**يوم القيامة**» فأوحى الله عز وجل إليه أن قد استجاب لك[3].

وعن ابن أَبي مليكة: أن النبي ﷺ لما خرج هو وأَبو بكر إلى غار ثَوْر، فجعل أَبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرّة، وخلفه مرّة. فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن

---

(١) البخاري، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ح ٣٦٥٣. مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٣٦٥٢)، (٦١٦٩).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٤٠. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٣٣. السيوطي: الجامع الكبير (٩٣٣٨).

تؤتى من أمامك؛ وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثَوْر قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه، فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك. وروي أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رضي الله عنه رجله ذلك الجحر تخوفًا أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ[1] وجاء في بعض الروايات أن أبا بكر لدغ من ذلك الجحر فدعا له رسول الله ﷺ فشفي وعوفي رضي الله عنه ولكن أعداء الصحابة يقدسون تلك الأفعى المزعومة ويلبسون أزياء تخلد تلك الواقعة تقديسًا لها وتشفيًا فيما يؤذي أصحاب رسول الله ﷺ والسر في اتخاذ رافضة العجم اللّبد المقصصة على رؤوسهم هو التعظيم للحيات للدغهن أبا بكر رضي الله عنه ليلة الغار[2]. ورافضة العرب تلبس العقال مفتوحًا على مقدمة رؤوسهم تقديسًا لفم الحية التي لدغت الصدّيق كما يزعمون، وتعظيمًا لها وكرهًا لخليفة رسول الله وبغضًا له وللصحابة المكرمين رضي الله عنهم، وكل ما يقوم به أعداء الصحابة من أفراح وأحزان وقبول ورفض وحب وبغض له أبعاد وأهداف عقائدية جاهلية، صنعها لهم مراجعهم لتأصيل الأحقاد في نفوسهم على الصحابة والسنّة النبوية المطهرة وأهلها، وتأمين استمرارية تغذية البغض وإمداد ثقافة الكراهية في نفوسهم للسُنّة وأهلها على مرّ السنين، في ثقافة حاقدة يتشربها كل رافضي، ويرضع صديدها مع اللبن الذي يتناوله في مهده، مما سمح لهم في التمدد والانسياح داخل الكيان الإسلامي، وقد أعانهم على ذلك أيضًا غفلة عامة أهل السنّة وبلادة تفكير الكثير منهم وانعدام الإحساس بالهوية السُّنية عند طبقات هائلة من أجيالهم، وصمت مريب من عامة علمائهم وتزييف ظاهر للأحداث من أكثر كتابهم، وفتاوى آثمة مضللة لكثير ممن يتصدر بين الناس من علمائهم، تدعو إلى نصرة أعداء السنة وموالاتهم في الوقت الذي يستبيحون فيه كل محرمات أهل السنة، وفي وقت يتوجب فيه على العقلاء من أهل السنة المباشرة في إيجاد ثقافة عقائدية

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٣. وقال: هذا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

(٢) ينظر الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٥٣.

تقدس السُّنة المطهرة وتتبرأ من كل من ينالها بقول أو فعل أو كتابة أو شتائم شركية تنال من حملتها رضي الله عنهم والإسهام في مد ثقافي دائم يفصل بين الصحابة وأعدائهم وبين السنة وأعدائها، وردع علماء الفتنة الغوغاء المضللين لأهل السنة ممن يدعون إلى محبة أعداء القرآن والسنة وحملتهما، ونزع الأقنعة التي يتلبس بها أعداء الصحابة للتمويه على البسطاء من أهل السنّة، والتظاهر أمامهم بأنهم لا يعملون على هدم الإسلام والمشاركة في تدميره وقتل أخياره مع كل عدو حاقد أو غاز لديار المسلمين على مر السنين.

وإن لم يسهم في تكوين هذه الثقافة جميع علماء السنة المخلصين فإنهم سيشاركون في توفير الفراغ العقدي الذي يتمدد فيه سرطان الرفض والهدم والتخريب لدين الإسلام والقتل لأهل السنة والدمار لبلادهم، ولا سيما أنهم يمدون ثقافة مضادة للإسلام الحنيف من خلال ما يحيونه من أعياد يصطنعون فيها مناسباتهم مثل عيد مولد السيد وعيد وفاة الإمام، ومن ثم مرور سبعة أيام على موت المرجع والأربعين والسبعين ومرور السنة، وهكذا يخرجون من جاهلية إلى جاهلية، كل ذلك في سبيل تأصيل الدين البديل عمّا جاء به رسول الله ﷺ ولإبقاء الرافضة في استنفار دائم ضد ما جاء به الشرع، لذلك تبقى السنة النبوية مقياسًا يظهر على أركانه المتبع لمحمد ﷺ وأصحابه من المحارب لهم أو المنافق لأعدائهم.

فكل عالم يزعم أنه من أهل السنة ليس له مشاركة في صد عدوان أعداء الصحابة على عقيدة ودماء أهل السنة وبلادهم وأعراضهم وأعلامهم؛ مشاركة مباشرة بأي شيء يسهم في فضح باطنيتهم وإسقاط أقنعتهم التي يتلبسون بها لمحاربة الإسلام؛ ويشارك في استنفار أهل السنّة للدفاع عن عقيدتهم وهويتهم وثوابتهم - فإنه متهم لا تشفع له الغفلة ولا تسعفه الأعذار، لأن كل شيء أصبح واضحًا جليًّا في هذا العصر، أعداء الصحابة يشاركون بكل طاقاتهم ومجالسهم وندواتهم ومحاضراتهم وفضائياتهم في دمار السنّة والعمل على تمزيقها وسحق أهلها، فبأي عذر يصمت علماء السُنّة عن الإسهام في صد هذا الخطر المحدق، وتحت أي عباءة يختفي المفلسون من شرف العمل على حماية السنّة.

وأمام هذا التقاعس المشبوه أصبح من حق كل فرد من أهل السنّة أن يسأل أي عالم من أهل الفقه أو الحديث أو التاريخ أو التفسير أو الشعر أو الأدب أو أي فرع من فروع الفكر والمعرفة ويزعم أنه من أهل السنة. فيقول: أين رصيدك في الدفاع عن الصحابة وميراثهم الطاهر؟ وأين إسهامك في رد العدوان المستمر على السنة؟ هل لك محاضرة عن ذلك بيّنة صريحة أو لك مقال أو ندوة أو كتاب أو دعاء أو أي إسهام آخر؟ فإن كان الجواب بـ(لا)، فإن النتيجة ستكون بأن لا مكان لك بين حُماة السنة وأهلها، وأن الغيرة على السنة وأهلها عند هذا الصنف معدومة وأن ما يتلبسون به بما يسمى بالحكمة والعقلانية وما إلى ذلك إنما هو تزييف للحق وشك بالسنّة، وأن التهمة والريبة بهم وبولائهم قائمة حتى يتداركوا هذا التفريط الذي لا تسوغه الأعذار ولا تغسل عاره الأنهار، ولا يشفي منه سوى المباشرة بالمشاركة العملية الظاهرة في مواجهة أحقاد الرفض وتمدده وبغض السنة وأهلها، والإسهام في عمل دؤوب على إيقاف هذا البغي المظلم على عقيدة السُنّة وأمة القرآن، والانتفاض على هذا الوهن والترهل والتقاعس القائم في نفوس الكثير ممن لا يفرق بين أهل السنة، وبين من يقتل أهل السنة، ويعمل على دمار عقيدتهم وليس فقط إقصاؤهم والتعاون مع كل من يضربهم ويهاجمهم وبكل أنواع التحالف، دون أن يحس بأي خطر أو ردة فعل أو خسارة؛ فتجارته رائجة بين أهل السنة وأرباحه هائلة ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، وهو آمن بين جموع أهل السنة لا يكلفه ذلك سوى الزعم بأنه مسلم، إذ إن دين الإسلام عند الصامتين الخرس وفي قواميسهم لا يوجد ما ينقضه، فمن يتهم القرآن بالتزييف والنبي ﷺ بعدم التبليغ والصحابة بالردة وأمهات المؤمنين بالفحشاء - حاشاهن - والبخاري ومسلمًا بالكذب والسنّة النبوية بالبهتان، ويرفض خلافة النبوة، ويكفر بكل إنجازاتها وتشريعاتها، ويستبيح دماء الخلفاء الراشدين، ويرى أن كل من يسير على نهجهم مستباح الدم والمال والعرض، وكل من لا يشارك بلعن الصحابة رضي الله عنهم وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ فهو غير مؤمن ومن لا يعتقد بأن هناك شيئًا اسمه أئمة هم فوق الأنبياء والملائكة، وأن لهم وكلاء في الأرض يحلون ويحرمون من دون الله تعالى وقولهم فوق كل قول، من لم يفعل هذا وغيره الكثير والكثير من أهل السنة فإنه مستباح

ولا تجوز رحمته أو مساكنته إن تمكن أعداء الصحابة منهم كما هو في عقيدتهم وكما هو قائم على كل أرض وفي كل عصر يتمكنون فيه من أهل السنة، ومع كل هذا فإن إخوانًا لهم يزعمون أنهم من أهل السنة يعتقدون أخوتهم ويعملون من أجلها ولا يقبلون أن يبني أهل السنة جدارًا يحتمون به من بوائقهم ورفضهم وبغضهم ومكرهم وشتمهم وغدرهم وتحريضهم.

وهذه هي المفارقة بين أعداء الصحابة وإجماعهم على عداء أهل السنة واستباحتهم، وبين غباء وغوغائية كثير من علماء السنة وسياسييهم، وسقوطهم في هذه المعادلة وانكشاف جهلهم وحماقة الكثير منهم، وانعدام الغيرة والحمية عند آخرين، مما أسهم بشكل ظاهر بتمدد سرطان الرفض وجَرَب الردة والشك بالكتاب والسنة في الكثير من بلاد المسلمين، والخطر لا زال في ازدياد إن لم يكن هناك ثقافة متبصرة تستمد توجهاتها من العقيدة المباركة ومن مواقف أصحاب رسول الله ﷺ في تطبيقها وتعاملها مع الرفض والردة كما حصل مع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وأمثالهم من المتنبئين المشرعين لأنفسهم ولأتباعهم ما لم يأمر به الله تعالى، وإن لم يُسهم الجميع في إقامة هذه الثقافة بأدلتها الشرعية فإن حركات هدم عقيدة التوحيد والتحريض على أهلها ستمضي تزحف بزيفها أكثر فأكثر لطمس معالم الكتاب والسنة، وما أثمرا من العدل والأمن والعز والشرف الذي سطره السلف في مسيرة إيمانهم وقيادتهم لهذه الأمة، وفي مقدمتهم خليفة رسول الله الذي كان موقفه المتفرد الخالد الذي أسهم في سلامة رسول الله ﷺ يوم الغار أحد الأسباب التي تجدد عليه أحقاد الرافضة، لا لشيء إلا لأن الأمة تتعلم منه حب النبي ﷺ والتمسك بسنته المطهرة وهذا ما يغيظ أعداء السنة ومبغضي الصحابة.

وبعد هذا التوضيح الذي تمليه الظروف المأساوية التي يعيشها أهل السنة في هذا العصر وتفرضه منهجية الربط بين الماضي والحاضر للتبصر والاعتبار؛ نعود لمتابعة حديث الهجرة والغار. فلما كان أَبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في الغار، أصاب يده حجر فقال رضي الله عنه:

إِنْ أَنْتِ إِلَّا أُصْبَعٌ دَمِيتِ   وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ[1]

وفي ذلك اليوم الخالد كان أبو بكر رضي الله عنه وأهله وبنوه ودماؤهم وأموالهم وأوقاتهم وأمنهم وكرامتهم بين يدي رسول الله ﷺ نصرة وخدمة ومؤازرة وحبًّا ووفاء وفداء، وهذا هو الذي يغضب أعداء رسول الله ﷺ ومبغضي أصحابه رضي الله عنهم ويؤجج في قلوبهم الأحقاد والكراهية التي يشاهد أهل السنة ثمارها وأخطارها وهم يتفرجون جحظ العيون غلف القلوب إلا من رحم الله تعالى، وليتهم يكتفون بذلك ولكن المأساة أن أموالهم وإعلامهم تغذي وتناصر من يعمل لإبادتهم ونزع هويتهم وسحق عقيدتهم!!

وقد أمر أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ابنه عبد اللّه وهو غلام شاب ثقف فطن لقن، أن يتسمّع ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد اللّه بن أَبي بكر، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، لا يسمع أمرًا يكاد به رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه إلَّا وعاه وعلمه وحفظه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

وأمر أبو بكر رضي الله عنه أيضًا مولاه عامر بن فُهَيرة أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار. فكان عبد اللّه بن أَبي بكر رضي الله عنهما يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأنهما ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أَبي بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد اللّه بن أَبي بكر من عندهما إلى مكّة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه[2]. ثم يريحها عليهما في اليوم الثاني حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما[3] حتى ينعق بهما عامر بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٢.

(٣) الرضيف: اللبن المرضوف، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه. ينظر النهاية، ٢/ ٢٣١.

من تلك الليالي الثلاث[١].

وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تجعل لهما طعامًا فتبعث به إليهما، قالت أسماء رضي الله عنها: صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر رضي الله عنه حين أراد أن يهاجر إلى المدينة قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئًا أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنتين فاربطي بواحد السقاء وبالآخر السفرة، ففعلت، فلذلك سميت ذات النطاقين[٢]. وكان عبد الله بن أبي بكر هو الذي يختلف بالطعام إلى النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار[٣].

وأفاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة. قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة: فشقت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاق - وفي لفظ: النطاقين[٤]. ولا شك أن هذه الحادثة تكررت في تلك الأيام الثلاثة العصيبة من شدة رقابة قريش وعيونها التي ترصد تحركات المؤمنين ولا سيما آل أبي بكر رضي الله عنهم.

وقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نتزود لحوم الأضاحي على عهد النبي ﷺ إلى المدينة[٥]. وهذا يشير إلى أن رواية الواقدي ليست غريبة عما كان يفعله الناس في تلك الأيام ويقوي ذلك أن النبي ﷺ وصاحبه لما عرض عليهما سراقة الطعام لم يأخذا منه شيئًا مما يشير إلى أنهما قد تزودا بزاد يكفيهما والله أعلم. وروي أن

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٧.

(٢) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الجهاد والسير، باب حمل الزاد في السفر، ح (٢٩٧٩).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٧.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٣٩.

(٥) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الجهاد والسير، باب حمل الزاد في السفر، (٢٩٨٠).

رسول الله ﷺ قال: «**إن لها نطاقين في الجنة**»[١].

قال البلاذري: وكان مال أبي بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة، فبعث ابنه عبد الله فحملها إلى الغار[٢].

وروي أن الله تعالى عمّى على المشركين باب الغار، ويقال: إن العنكبوت نسجت على باب الغار، وإن حمامتين عشّشتا على بابه، وذلك يرد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾[٣] والله تعالى أعلم. وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه رأى رجلًا من المشركين مواجهًا الغار فقال: يا رسول الله إنه يرانا. قال: «**كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها**». فلم ينشب أن قعد المشرك يبول مستقبلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا**»[٤]. وقال البوصيري واصفًا الحال يوم الهجرة:

ويح قوم جفوا نبيًّا بأرض ... ألفته ضبابها والظباء

وسَلَوه وحنّ جذع إليه ... وقلوه ووده الغرباء

وقال أيضًا يصف الغار الذي آوى رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه:

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عم

فالصدق في الغار والصدّيق لم يردا ... وهم يقولون ما بالغار من أرم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأُطم[٥]

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٣٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٠.
(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٤٢. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٢٩٧.
(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٤٢.

وقال الحسن البصري: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد. وكان النبي ﷺ قائمًا يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أسأل ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «**يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا**». قال ابن كثير: وهذا مرسل وهو حسن بحاله من الشاهد. وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان ﷺ إذا أحزنه أمرٌ ﷺ صلّى. وقد نظم بعضهم هذا في شعر فقال:

نسج داود ما حمى صاحب الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت

وعن الحمامتين اللتين روي أنهما عششتا على باب الغار، نظم بعضهم في ذلك شعرًا فقال:

فغمى عليه العنكبوت بنسجه ... وظل على الباب الحمام يبيض[1].

وروي أن القائف الذي كان يقفو أثر النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه للمشركين هو سراقة بن مالك المدلجي. وروى الواقدي أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة. قال ابن كثير: ويحتمل أن يكونا جميعًا اقتفيا الأثر. والله أعلم[2].

وذُكر أن المشركين استأجروا علقمة بن كرز بن هلال الخزاعي - وأسلم عام الفتح - فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور وهو بأسفل مكة فقال: ههنا انقطع أثره ولا أدري أخذ يمينًا أم شمالًا أم صعد الجبل؟ فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خلف: ما أربكم في الغار إن عليه لعنكبوتًا كان قبل ميلاد محمد. ثم جاء فبال كما في الرواية السابقة. والمشركون لما فقدوا رسول الله ﷺ ركبوا في كل وجه يطلبونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم وأتوا إلى الغار في جبل ثور الذي فيه النبي ﷺ وصاحبه حتى طلعوا فوقه،

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٩.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٤٠.

وسمع رسول الله ﷺ وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر رضي الله عنه وبكى، فعند ذلك قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1] ودعا رسول الله ﷺ فنزلت السكينة من الله تعالى[2]. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قال: على أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن النبي ﷺ لم تزل السكينة معه[3].

قال السهيلي: انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية، كيف كان سبحانه وتعالى معهما بالمعنى وباللفظ؟ أما المعنى: فكان معهما بالنصر والإرفاد، والهداية والإرشاد. وأما اللفظ: فإن اسم الله تبارك وتعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ﷺ، وإذا دعي فقيل: يا رسول الله أو فعل رسول الله. ثم كان لصاحبه كذلك، يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يذكر معهما بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون[4].

ولما كان بعد الثلاث أتى الدليل عبد الله بن أريقط بالراحلتين إلى النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه فقرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ وقدم له أفضلهما ثم قال: اركب فداك أبي وأمي، فأخذ ﷺ القصواء، قال: وهي الجدعاء، وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم[5] فركباهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الديلي أمامهما على راحلته[6]. وانطلقوا راشدين يضعون في كل خطوة يقطعونها باتجاه المهاجرين والأنصار في المدينة لبنة في أساس دولة الرسول ﷺ ومسمارًا في نعش الجاهلية ببغيها وظلمها. وبعد أن غادر رسول الله ﷺ الغار وسلك طريق المدينة في قرار لا رجعة عنه أبدًا التفت ﷺ إلى مكة

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤١.
(٣) المتقي الهندي: كنز العمال، (٤٦٢٨١).
(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٥.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٠.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ١١٤.

كالمعتذر لها فقال ﷺ مودعًا: **«والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك»**[1].

قال ابن إسحاق: وسمع أهل مكة شعرًا منه:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلَّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلَا بِالبِرِّ ثُم تَرَوَّحَا ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

قالت أسماء: فلما سمعنا هذا عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعة؛ رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أَبي بكر، وعبد اللّه بن أريقط الدئلي. وكان إذ ذاك مشركًا[2]. وكانت قريش قد جعلت لمن جاء بواحد من محمد ﷺ أو أبي بكر رضي الله عنه مائةً من الإبل لكل واحد منهما، فأصبح ذلك ميدانًا لتسابق المنتفعين وفاقدي الفهم والمروءة من الناس لقطع الطريق على رسول الله ﷺ وصاحبه الكريم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

معاناة أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة:

وكان من معاناة أسماء بنت أبي بكر والطاهرة أم المؤمنين التي كانت تساندها وهي ابنة ست سنين رضي الله عنهم أن أبا بكر رضي الله عنه لما هاجر احتمل معه ماله كله وهو خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لا أراه إلا قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٢٩٦

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٠.

يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أُسكن الشيخ بذلك[1]. وفي رواية قالت: أخذ أبو قحافة يلتمس ولده ويبحث عنه ويقول: أقد فعلها؟! خرج فترك عياله علي؟ ولعله قد ذهب بماله؟! وكان أبو قحافة قد عمي آنذاك. قالت أسماء: فقلت: لا، أي لم يأخذ ماله، فأخذت بيده، فدنوت به إلى جلد فيه أقط، فمسسته فقلت: هذا ماله[2] فعندما اطمأن الشيخ على ما يعين أبناء ولده على الحياة الكريمة سكت عنهم وسكن عمّا كان فيه من هم فراق ولده والخوف عليه والشعور بالمسؤولية تجاه عائلته التي تركها وراءه في مكة، وشتان بين تفكير الصديق رضي الله عنه بإيمانه وتوكله ويقينه وهمه الأكبر المتعلق بنجاة رسول الله ﷺ وسلامته؛ وبين تفكير الشيخ الكبير الذي لا زال ينظر إلى الدنيا بمنظار الجاهلية وتنافسها المادي وتفاخرها بالأموال والبنين حيث إنه لم يكن أسلم بعد.

ومن معاناة أسماء والطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنهما مواجهة فرعون المشركين الذي أحس بالخطر يحدق به بعد هجرة النبي ﷺ، وأحس أيضًا بمرارة فشل الكيد والمكر والغدر الذي كان يرعاه ضد رسول الله ﷺ، فجاء ومعه نفر من المشركين إلى بيت الصديق رضي الله عنه فلم يجد إلا أسماء والطاهرة عائشة، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشًا وخبيثًا، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي[3].

ومع أن هذا الذي فعله أبو جهل قبيح ومخالف حتى لأعراف الجاهلية التي كانت ترعى الجوار وترحم الضعيف وتدين التطاول على المرأة أو الفتاة ولكن مع كل هذه السوءات التي تلبّس بها أبو جهل لو قورنت قبائحه تلك بكثير من مواقف جاهلية هذا القرن وحربها

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٢

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٨٠.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٠.

المعلنة على الإسلام لتبين أن البون شاسع بين حرب أهل هذا العصر على الإسلام واستباحتهم قتل المسلمات والأطفال والشيوخ وسجنهم وإذلالهم في مواقف يندى لها جبين كل شريف حر، فلو قورن هذا بذاك لتبين أن جاهلية أبي جهل ما هي إلا وجه مخفف من وجوه الجاهلية المعاصرة؛ إذ إن ذلك الفرعون لم يسجن أبناء الصديق ويصادر أملاكه ولم يقيد والده الأعمى أو والدته العاجزة كرهائن كما تفعل الجاهلية المعاصرة مع المؤمنين وهم أقل أثرًا من أبي بكر في مجتمعاتهم وعصورهم، قياسًا على عصر أبي بكر رضي الله عنه ومجتمعه، فشتان بين جاهلية تعيب الكذب والنميمة والزيف والتطاول على الضعيف والأسير والجريح وبين جاهلية تعتقد وتفعل كل هذه الموبقات بوحشية غليظة فجة.

استراحة على الطريق:

ومما يصور حال رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه على طريق الهجرة وما حصل لهم من أحداث ومتاعب ومخاطر ما رواه البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلًا بثلاثة عشر درهمًا، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إليّ رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة، والمشركون يطلبونكم؟ قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا، أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة، أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام، فقال: لرجل من قريش، سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لبنًا لنا؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاةً من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله،

فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله؟ قال: «**بلى**»، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]. وبعد أن قضى رسول الله وصاحبه ساعة استراحة على طريق الهجرة تابعا سيرهما، وأثناء ذلك لحق بهما سراقة بن مالك المدلجي يبتغي الفوز بجائزة قريش لمن يقطع الطريق على الدعاة إلى الله تعالى، ومعلوم أن هذا صنف من الناس لا يقيم وزنًا لقيم أو مبادئ لا يرى سوى مصالحه الآنية الحاضرة فهو يسعى للوصول إليها بأي طريق أو منهج حتى لو كان ذلك بقطع الطريق والعمل في الجاسوسية ضد أقوام لا يحملون حقدًا على أحد ولم يباشروا أي استفزاز لأحد من الناس، وللأسف فإن قطاع الطريق وبائعي الذمم ما زالوا يتكاثرون بين صفوف المؤمنين لا صنعة لهم سوى الجاسوسية على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والمشاركة في أي عمل يحاصر أهل الإيمان حتى لو كانوا من الأنبياء والصديقين، وهذا ما ينطبق على سراقة بن مالك قبل أن يعلن توبته ويغير وجهته من جاسوس للباطل على أهل الحق إلى منافح عن الحق ضد الباطل.

سراقة وطلبه للرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه:

قال أبو بكر رضي الله عنه: وتبعنا سراقة بن مالك ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. فلما دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. قال ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قلت: أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك. فدعا عليه

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠. البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ح (٣٦٥٢)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث الهجرة، ح (٧٤٣٨).

رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اكفناه بما شئت**» قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمّين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهمًا فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا حاجة لنا في إبلك وغنمك**» ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعًا إلى أصحابه لا يلقى أحدًا إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، ولا يلقى أحدًا إلا رده، ووفى لنا[1]. وكان سراقة يحدث بذلك فيقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة من الإبل لمن قتله أو أسره[2] قال: فكنت أرجو أن أرد رسول الله ﷺ إلى قريش، فآخذ المائة ناقة. فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه، قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره لا يضره. قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره، فبينا فرسي يشتد بي، عثر بي، فسقطت عنه. فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره. قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سراقة ابن جعشم: انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «**قل له: وما تبتغي منا؟**» قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: فقلت: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك. قال: «**اكتب له يا أبا بكر**»[3]. سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأمر ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فكتب له كتابًا ثم ألقاه إليه، وروي أن عامر بن فهيرة هو الذي

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٠.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٨. البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ، ح (٣٦٩٣).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٠.

كتب الكتاب، قال ابن كثير: فيحتمل أن أبا بكر رضي الله عنه كتب بعضه ثم أمر مولاه عامرًا فكتب باقيه. والله أعلم[١] وعرض عليهما الزاد والحملان فقالا: لا حاجة لنا به، ولكن عمِّ عنا الطلب، فقال: قد كفيتم. ورجع فوجد الناس في الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما ههنا وكان أول النهار جاهدًا عليهما وآخره حارسًا لهما[٢].

قال سراقة: ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف خرجت لألقاه ومعي الكتاب الذي كتب لي لقيته بالجعرانة[٣]. قال: فبينا أنا عامد له دخلت بين ظهري كتيبة من كتائب الأنصار، فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، قال: فرفعت يدي بالكتاب. ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لي وأنا سراقة بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**يوم وفاء وبر، ادنه**»، فدنوت منه فأسلمت، ثم تذكرت شيئًا أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «**نعم، في كل ذات كبد حرّى أجر**». قال: ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي[٤] وهكذا قبض سراقة ثمرة توبته عن معاونة الباطل، ومساندته للحق حيث منّ الله تعالى عليه بالإيمان ومنّ عليه

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٤/ ٦٩٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٥٥.

(٣) الجِعْرَانة: وهي ماء بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن بين المسلمين، مرجعه من غزوة حنين منتصرًا على المشركين، أحرم منه ﷺ وله فيه مسجد. قال الشاعر:

فيا ليت في الجعرانة اليوم دارها ... وداري ما بين الشآم فكبكب
فكنت أراه في الملبين ساعة ... ببطن منى ترمي جمار المحصب

ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٦٠.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٨. الطبراني: المعجم الكبير، ك. السين، باب سراقة بن مالك، ٦٦٠٢.

رسول الله ﷺ بمكافأته على تلك التوبة بقوله ﷺ: «**إن توبته ووفاءه لها آنذاك أهل للبر والصلة والترحيب عند رسول الله ﷺ**».

ومن دعائه ﷺ يوم الهجرة:

ومما روي من دعاء رسول الله ﷺ يوم الهجرة قوله: «**الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئًا، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذللني، وعلى صالح خُلُقي فقومني، وإلى ربي فحببني، وإلى الناس فلا تكلني، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض فكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل بي غضبك أو ينزل عليَّ سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك وفُجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك، لك العتبى خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[1].

استضافة على طريق الهجرة:

قصة أم معبد، واسم أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعية. عن حبيش بن خالد الأشعر الخزاعي القديدي[2] أخي أم معبد رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط، مروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وهي لا تعرفه، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وإذا القوم مرملون مسنتون. فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم[3]. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة وفي لفظ في كفاء البيت فقال: «ما

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٣. ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٤.

(٢) يكنى أبا صخر، وهو أخو أم معبد، وصاحب حديثها. أسد الغابة ١/ ٤٥١.

(٣) الصالحي: سبل الهدى ٣/ ٢٤٤. والحاكم: المستدرك، كتاب وباب الهجرة، ٤٢٧٤.

هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم. قال: «**هل بها من لبن؟**» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «**أتأذنين لي أن أحلبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي نعم، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض[1] الرهط فحلب فيه ثجًا حتى علاه البهاء - وفي لفظ الثمال - ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب ﷺ آخرهم، وقال: «**ساقي القوم آخرهم شربًا**»[2]. ثم حلب فيه ثانية بعد بدء، حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها. فبايعها وارتحلوا عنها. والله أعلم[3].

فقلّ ما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا حيالًا - جمع حائل - عجافًا يتساوكن هزالًا مخهن قليل. فلما رأى اللبن عجب، فقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه

---

(١) يربض الرهط: أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. من ربض في المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازمًا له. ينظر: النهاية ٢ / ١٨٤.

(٢) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في الساقي متى يشرب، ح (٣٧٢٥) والترمذي: سنن الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء أن ساقي القوم آخرهم شربًا، ح (١٨٩٤) وقال: حسن صحيح.

(٣) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٥. وقالت أم معبد: بقيت الشاة التي لمس رسول الله ﷺ ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكنا نحلبها صبوحًا وغبوقًا، وما في الأرض قليل ولا كثير. وقال هشام بن حبيش: أنا رأيت الشاة وإنها لتأدم أم معبد وجميع صرمتها. أي أهل ذلك الماء يوم هجرته ﷺ. والحاكم: المستدرك، كتاب وباب الهجرة، ٤٢٧٤. ولكن لا يوجد ما يثبت أنها بايعت رسول الله، ولو كانت من السابقات المبايعات لما خفي ذلك، ولا سيما أن القصة المتممة لهذه تذكر أنها لم تكن تعرف رسول الله ﷺ عندما أضافته هو وصاحبه ومن معهما يوم الهجرة في حين قال زوجها بعد أن وصفته له: هذا صاحب قريش.

ثجلة ولم تُزْرِ به صعلة- صغر الرأس - وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل أو قالت صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود - كناية عن خدمة أصحابه له - لا عابس ولا مفند. فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره بمكة ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا[1].

ورويت هذه القصة بوجه آخر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة، فانتهينا إلى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحيًا فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبدي الله، إنما أنا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى. قال: فلم نجبها، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها. فقالت له: يا بني انطلق بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكم أمي: اذبحا هذه وأطعمانا. فلما جاء قال له النبي ﷺ: «**انطلق بالشفرة وجئني بالقدح**». قال: إنها عازب وليس لها لبن، قال: «**انطلق**» فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب ملء القدح ثم قال: انطلق به إلى أمك. فشربت ثم رويت ثم جاء به. فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك. ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي ﷺ. فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا، وكانت تسميه المبارك، وكثرت غنمها حتى جلبت جلبًا إلى المدينة، فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين؟ قالت: لا. قال: هو نبي الله ﷺ. قالت: فأدخلني عليه. قال: فأدخلها فأطعمهما

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٤٥.

وأعطاها. وفي رواية: فأهدت إليه شيئًا من أقط ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال: «**أسلمَتْ**». قال البيهقي في **الدلائل**: وهذه القصة وإن كانت تنقص عما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها، فهي قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة، وقد ذكر ابن إسحاق في قصة أم معبد شيئًا يدل على أنها وهذه القصة واحدة[1]. وهذه الرواية تثبت أنها لم تسلم يوم هجرة النبي ﷺ، بل إنها لم تكن تعرفه آنذاك ﷺ.

ومما روي من أحداث يوم الهجرة عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر مستخفيين مروا بعبد يرعى غنمًا فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقًا حملت أول الشتاء وقد أخدجت وما بقي لها من لبن فقال: «**ادع بها**» فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها حتى أنزلت. ودعا أبو بكر رضي الله عنه بمجن، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب ﷺ فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: «**أوتراك تكتم علي حتى أخبرك؟**» قال: نعم. قال: «**فإني محمد رسول الله**». قال: أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ؟ قال: «**إنهم ليقولون ذلك**». قال: فأشهد أنك نبي الله وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي[2].

طريق الهجرة:

ولما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان[3] ....

(1) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٧. (2) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٢.

(3) عُسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلًا من مكة، وهي حد تهامة ومن عسفان إلى ملل يقال له الساحل، وملل على ليلة من المدينة وهي لخزاعة خاصة ثم البحر وتذهب عند الجبال الغرف، وقد غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يومًا. وقال أعرابي:

لقد ذكرتني عن حباب حمامة ... بعسفان أهلي فالفؤاد حزين

ياقوت: معجم البلدان، ٦/ ٣٢٧.

ثم سلك بهما على أسفل أمج[1] ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدًا[2] ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار[3] ثم أجاز بهما ثنية المرّة ثم سلك بهما لقفا[4] ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين، ثم بطن ذي كشد، ثم أخذ بهما على الجَداجد[5] ثم على الأجرد[6] ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تِعْهن[7] ثم على العبابيد[8] ثم أجاز بهما القاحة[9] ثم هبط بهما العرج[10] وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ

---

(١) أَمَج في اللغة العطش. وهو بلد من أعراض المدينة، وقيل وادٍ منها حميد الأمجي. قال الشاعر:

حميد الذي أمج داره ... أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٠٠.

(٢) قديد: تصغير القد، من قولهم: قددت الجلد أو من القِد وهو جلد السخلة اسم موضع قرب مكة، قال ابن قيس الرُّقيات:

صادراتٍ عشيةً عن قديدٍ ... وارداتٍ مع الضحى عُسفانا

(٣) الخرار: موضع في الحجاز، يقال قرب الجحفة، وقيل وادٍ من أودية المدينة، وقيل ماء بالمدينة، وقيل موضع بخيبر. معجم البلدان، ٣/ ٢١٨.

(٤) لقف: ماء آبار كثيرة عذب، ليس عليها مزارع ولا نخل فيها لغلظ موضعها وخشونتة، وهو بأعلى قوران وادٍ من ناحية السوارقية على فرسخ. ياقوت: معجم البلدان، ٧/ ١٨١.

(٥) الجَداجد وهي الأرض المستوية الصلبة، وهي بئر قديمة في طريق ليس يعلم. معجم البلدان، ٣/ ٣٧.

(٦) الأجرد: اسم جبل من جبال القبلية، وهو من جبال جهينة بين المدينة والشام. معجم البلدان: ١/ ٩٠.

(٧) تعهن: اسم عين ماء سمي به موضع على ثلاث أميال من السقيا بين مكة والمدينة. معجم البلدان: ٢/ ٤٤٧.

(٨) العبابيد: اسم موضع على طريق الهجرة كأنه اسم مياه. معجم البلدان: ٦/ ٢٩٠.

(٩) القاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل، وقيل موضع بين الجحفة وقديد. معجم البلدان، ٧/ ٦.

(١٠) العرج: وهي قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف وإليها ينسب العرجي الشاعر، وهي أول تهامة، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلًا وهي في بلاد هذيل. معجم البلدان: ٦/ ٣٠٩.

رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة، وبعث معه غلامًا يقال له مسعود بن هنيدة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر[١] عن يمين رَكُوبَة ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام. حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما قباء[٢] على بني عمرو بن عوف من الأوس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل[٣].

وقد روى أَبو نعيم من طريق الواقدي نحوًا من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها والله أعلم. قال أَبو نعيم: عن إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأَبو بكر مرّوا بإبل لنا بالجحفة، فقال رسول الله ﷺ: **«لِمَنْ هَذِهِ الإِبِلُ؟»** فقالوا: لرجل من أَسلم، فالتفت إلى أَبي بكر فقال: **«سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»** فقال: **«مَا اسْمُكَ؟»** قال: مسعود، فالتفت إلى أَبي بكر فقال: **«سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**. قال: فأتاه أَبي فحمله على جمل يقال له ابن الرداء[٤]. ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفت رسول الله إلى أَبي بكر فقال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا المَنْزِلُ. رَأَيْتُنِي أَنْزِلُ إِلَى حِيَاضٍ كَحِيَاضِ بَنِي مُدْلِجٍ»**[٥].

قُبيل المدينة:

وعلى طريق الهجرة لقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين

---

(١) وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج صعبة قرب جبل ورِقان وقدس الأبيض. معجم البلدان: ٤/ ٤١٨.

(٢) وهي في أعلى المدينة فيها منازل بني عمرو بن عوف من الأنصار الأوس، نزل فيها رسول الله أول هجرته إلى المدينة وبنى فيه مسجد قباء، وأهل قباء يقولون: هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم. معجم البلدان: ٧/ ١٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٢.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٥.

من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ ثيابًا بيضًا ثم استقبلتهما هدية من الشام من طلحة بن عبيد الله إلى أبي بكر رضي الله عنه فيها ثياب بياض من ثياب الشام، فلبساها فدخلا المدينة في ثياب بياض.

وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ لما دنا من المدينة هو وأبو بكر وقدم طلحة بن عبيد الله من الشام خرج عامدًا إلى مكة لما ذكر له رسول الله ﷺ وأبو بكر، خرج إما متلقيًا لهما وإما عامدًا عمرة بمكة ومعه ثياب أهداها لأبي بكر رضي الله عنه من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه الثياب، فلبس رسول الله ﷺ منها وأبو بكر رضي الله عنه[1].

ومما حصل على طريق الهجرة أنه لقيهم بريدة بن الحُصَيب الأسلمي: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ كان لا يتطير وكان يتفاءل وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبي اللّه فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بريدة في سبعين راكبًا من أهل بيته من بني سهم فتلقى نبي الله، فقال نبي الله: «**من أنت**»؟ قال: أنا بريدة. فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال: «**يا أبا بكر بَرَدَ أمرُنا وصلح**». ثم قال: «**وممن أنت**»؟ قال: من بني أسلم. قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**سلمنا**». قال: «**ممن أنت**»؟ قال: من بني سهم. قال: «**خرج سهمك**». فقال بريدة للنبي ﷺ: مَنْ أنت؟ قال: «**محمد بن عبد اللّه رسول الله**». فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول الله. فأسلم بُريدة وأسلم من كان معه جميعًا. فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة[2].

عند دخول المدينة:

وعند دخول رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة كان الأمر بعكس خروجهما من مكة،

---

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥١. البخاري: ك. مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ (الحديث الثالث عشر).

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥١.

فبقدر ما كانا يخفيان الأمر ويأمران بإخفائه أصبحا لا يمانعان من استقبال أكبر عدد من الناس وإعلان وصولهما إلى المدينة، فسبحان مغير الأحوال، ونظرًا لكثرة المستقبلين لهذا الوفد المبارك الفريد قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه حين مدخلهما المدينة: «**أَلْهِ عني الناس، فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب**». فكان أبو بكر إذا سئل: من أنت؟ قال: باغٍ، وإذا قيل: من الذي معك؟ قال: هادٍ يهديني[١].

وجاء في **المسند**: أن أبا بكر كان رديف رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، وكان يعرف وكان النبي ﷺ لا يعرف، فكانوا يقولون: يا أبا بكر، ما هذا الغلام بين يديك؟ قال: هذا يهديني السبيل، فلما دنوا من المدينة نزلا الحرة، وبعثا إلى الأنصار فجاءوا فقالوا: قُوما آمنين مطاعين، قال- أنس -: فشهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات فما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه ﷺ[٢].

وعلى طريق المدينة لقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بياضًا، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أُطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٢. ابن حنبل: المسند، كتاب وباب مسند أنس، ح (١١٨٢٥).

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب مسند أبي بكر، باب مسند أبي بكر، ح (١٣٦٤٩) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٢.

وجلس رسول الله ﷺ صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائه[1].

استقبالهما في المدينة:

وعن عبد الرَّحمن بن عُوَيْم بن ساعدة قال: لمّا بلغنا مخرج النبيّ ﷺ من مكّة وتوكّفنا قدومه كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر النبيّ ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا، وذلك في أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلَة، هذا جدّكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أَبو بكر في مثل سنّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك. ورَكِبه الناس وما يعرفونه من أَبي بكر حتى زال الظلّ عن رسول الله ﷺ فقام أَبو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك.

وقد تقدّم مثل ذلك في سياق البخاري، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه. وقال الإمام أَحمد: حدّثنا هاشم، حدّثنا سليمان عن ثابت، عن أنس بن مالك. قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئًا، ثم يقولون: جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئًا، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلًا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيّهم هو، أيّهم هو؟ فما رأينا منظرًا شبيهًا به.

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢١٨. البخاري: ك. مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ (الحديث الثالث عشر).

قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أرَ يومين شبيهًا بهما. ورواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن محمّد بن إسحاق الصَّنعاني، عن أَبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس بنحوه أو مثله.

وفي **الصحيحين** من طريق إسرائيل عن أَبي إسحاق، عن البراء، عن أَبي بكر في حديث الهجرة قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمّد، الله أكبر جاء محمّد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر. وقال البيهقي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاع

قال محمّد بن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون، يعني حين نزل بقباء على كُلْثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثمة، ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن الهِدْم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم، جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزبا لا أهل له، وكان يقال لبيته بيت العزاب، والله أعلم.

ونزل أَبو بكر رضي الله عنه في قباء على خُبَيْب بن إِساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح، وقيل على خارجة بن زَيْد بن أَبي زُهَير من بني الحارث بن الخزرج[1]

ما بين قباء والمدينة:

وركب رسول الله ﷺ وأَبو بكر رضي الله عنه وحفت الأنصار حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبيّ الله. قال:

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٨.

فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أَبي أيوب. وقال نبي الله ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟**» فقال أَبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي، قال: «**فَانْطَلِقْ فَهَيِّئ لَنَا مَقِيلًا**»، فذهب فهيأ لهما مقيلًا، ثم جاء فقال: يا رسول الله قد هيأت مقيلًا، قوما على بركة الله فقيلا[1].

في دخوله المدينة ومنزله بها ﷺ:

جاء عن أَبي بكر رضي الله عنه في حديث الهجرة. قال: فقدمنا ليلًا فتنازعه ﷺ القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ المُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**»[2]. وذكر البخاري أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، وأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس، حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مربدًا لغلامين يتيمين، وهما سَهْل وسُهَيْل، فابتاعه منهما واتخذه مسجدًا. وذلك في دار بني النجّار رضي الله عنهم [3].

أول جمعة في المدينة:

خرج رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه من مكة يوم الإثنين في شهر ربيع الأول وقيل: في صفر، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، فلما انتهوا إلى المدينة وذلك يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل غير ذلك نزل بقباء في أعلى المدينة على بني عمرو بن عوف، وقيل: نزل على كلثوم بن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، والأول أشهر، فأقام عندهم أربعة عشر يومًا وأسس مسجد قباء ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم فجمع بهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة ثم ركب ناقته ﷺ وسار وجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة فيقول ﷺ: «**خلوا**

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٨.

سبيلها فإنها مأمورة» فبركت عند مسجده اليوم، وكان مربدًا لسهل وسهيل غلامين من بني النجار فنزل عنها على أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ثم بنى مسجده موضع المربد بيده هو وأصحابه بالجريد واللبن، ثم بنى مسكنه ومساكن أزواجه إلى جنبه وأقربها إليه مسكن عائشة ثم تحول بعد سبعة أشهر من دار أبي أيوب إليها وبلغ أصحابه بالحبشة هجرته إلى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلًا فحبس منهم بمكة سبعة وانتهى بقيتهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ثم هاجر بقيتهم في السفينة عام خيبر سنة سبع(1). وقال حسان يهنئ أبا بكر رضي الله عنه بتفرده بصحبة رسول الله ﷺ وخدمته ونصرته.

ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد(2)

حُمّى المدينة:

وقد سَلم رسول الله ﷺ منها بحول الله وقوّته، ثم دعا ربّه فأزاحها الله عن مدينته. عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وعكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبه، كيف تجدك؟ ويا بلال، كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امرئ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»**. وفي رواية البخاري قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَفِي مُدِّهَا وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ»**. قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان وادي بُطحان يجري نجلًا يعني ماء آجنًا(3).

---

(1) ابن القيم: زاد المعاد: ١ / ١٠١.

(2) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٣٠٦.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٦٠. البخاري: ك. أبواب فضائل المدينة، باب كراهية أن تعرى

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحُمّى، وكان واديها يجري نجلًا، يعني ماء آجنًا فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه. قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر رضي الله عنه في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر رضي الله عنه فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي جلده بروقه

وقد تكون هذه الحمى أصابت أبا بكر رضي الله عنه ومواليه بعد فترة من دخول المدينة لأن الطاهرة عائشة رضي الله عنها لم تهاجر إلا بعدهم بزمن ثم لم يدخل بها رسول الله ﷺ إلا بعد ذلك بزمن آخر من دخولهم المدينة.

إقامة النبي ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه والقدوم بعيال النبي ﷺ وعيال الصديق رضي الله عنه:

فأقام ﷺ في منزل أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري رضي الله عنه حتى بنى حُجَرَهُ ومسجده ﷺ وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيدَ بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه رضي الله عنهما، وسودة بنت زمعة زوجته رضي الله عنها، وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن رضي الله عنهم

المدينة، ح (١٧٩٠).

وأما زينب بنت رسول الله ﷺ فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر، ومنهم الطاهرة عائشة رضي الله عنها فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان[1]. أما أبو بكر فإنه نزل على خبيب بن إساف. وروي أنه نزل على خارجة بن زيد بن أبي زهير وتزوج ابنته كما اتضح ذلك في الفصل الأول، ولم يزل في بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح حتى توفي رسول الله ﷺ[2]. وقد جاءه الصريخ بوفاة رسول الله ﷺ وهو لا يزال في مسكنه في السُّنح، ومن هناك نزل إلى المدينة وخطب خطبته الشهيرة التي أقر فيها وفاة رسول الله ﷺ ثم حدّث الناس وخطبهم وحثهم على التمسك بسنة رسول الله والسير على خطاه ﷺ، وبذلك يتضح دور صاحب رسول الله وأمينه في كل ملمة، في نجاح الهجرة وبلوغ رسول الله ﷺ هدفه في ذلك ودخوله إلى وسط فيه المهاجرون والأنصار ومن إذا أمرهم ﷺ استرخصوا المهج والأموال في سبيل تحقيق ما يأمر به ﷺ وفي أي مكان وأي وقت كان، ومنذ تلك الساعة باشر ﷺ عمله في بناء دولة الإسلام التي ما زالت قائمة وستبقى كذلك إلى قيام الساعة وإن ضعفت أحيانًا أو بدا للبعض أنها غائبة.

أبو بكر رضي الله عنه وفنحاص اليهودي في المدينة:

وبعد الهجرة النبوية المباركة دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس الذي يتدارس فيه اليهود دينهم، وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[3] فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٦١.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٠٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا، قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك، أي عدو الله. قال: فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: **«ما حملك على ما صنعت؟»** فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولًا عظيمًا، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًّا عليه، وتصديقًا لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1].

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما بلغه في ذلك الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

ثم قال تعالى فيما قال فنحاص والأحبار معه من يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[3]. وهم على الأحبار الذين يكتمون الحق والعلم، وكتمهم محاربة للحق وأهله، أولئك الذين يفرحون بما يصيبونه من الدنيا وعلى ما زينوا للناس من الضلالة وطمس الحق ومؤازرة الباطل، وحبهم للشهرة وأن يحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يقول الناس

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

عنهم: إنهم علماء، وهم ليسوا بأهل علم، ولم يحملوهم على هدًى ولا حق، ويحبون أن يقول الناس: قد فعلوا ما لم يفعلوه[1]، قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يتغير منهجه في المدينة عما كان عليه في مكة، فهو حرب على الباطل سلم للحق، يجاهد في سبيل الله بالكلمة واللسان والمال واليد وبكل ما يملك، لم يغيره المكان ولا الزمان واستمر على ذلك حتى فارق هذه الدنيا؛ بعد أن قدّم دروسًا عميقة لكل مؤمن في كيفية الثبات على المبدأ والاعتزاز بالحق والصبر من أجل انتصار العقيدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3].

***

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٧١. الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٤٠٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

المبحث الثالث

جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة

خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه شهد المشاهد التي شهدها رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم جميعها، ولم يتخلف عن أي منها، وشهد مشاهد مع رسول الله ﷺ لم يشهدها معه أحد من الصحابة، فهو عَلم متفرد في كثير من المواقف لا يشركه فيها أحد؛ فضلًا عما يُجمّلها ويسبغ عليها خصوصية السبق التي لا يدركها إلا من شهدها. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1]. وكما هو شأن خليفة رسول الله ﷺ في السبق والريادة في كل وجوه الخير والعطاء والتضحية فهو يأتي في مقدمة الشجعان الذين ذبوا عن حمى الدين وعرين المسلمين، حتى شهد له بذلك عمالقة هذا الشأن البارعون في ميادين النزال، ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل، فهذا علي رضي الله عنه في فترة خلافته بعد عشرات السنين من وفاة أبي بكر رضي الله عنه يسرح خياله إلى أيام خلت قدم فيها من قدم وجاهد فيها من جاهد حتى انقضت تلك الشدائد وزالت كرباتها وأصبح المسلمون يقطفون ثمار جهاد السابقين؛ فأراد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يسطر شهادة لإمام الأمة وقائدها رضي الله عنه، فانفتل إلى أصحابه يسألهم سؤالًا أراد أن يبث به علمًا قد يجهله بعض المتأخرين فقال رضي الله عنه: من أشجع الناس؟ فقال من لم يشهد مشاهد خليفة رسول الله: أنت يا أمير المؤمنين. فقال رضي الله عنه: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر رضي الله عنه إنا جعلنا لرسول الله ﷺ يوم بدر عريشًا فقلنا: من

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان، ١٠، ١١.

يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه. فهذا أشجع الناس(١).

وبعد أن أدى رضي الله عنه هذه الشهادة التي ترد على أعداء الصحابة كل مكرهم الذي تحبكه أقلامهم المسمومة وتدسه كتاباتهم الموبوءة، أراد أن يؤكد لكل مؤمن أن هذه الشجاعة ليست عارضة في سيرة الصديق رضي الله عنه أو أنه يتخلق بها عندما يكون بين كتائب المؤمنين، ولكنها خلق ثابت وخصيصة أصيلة في شخصيته لا ينفك عنها ولم يفته شرفها في موقف من المواقف، فضرب لهم مثلًا يؤكد ذلك عندما كان المؤمنون في حالة الاستضعاف بين المشركين في مكة. فقال علي رضي الله عنه: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلتله، يقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا! فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه يضرب هذا ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر رضي الله عنه خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه. وقال: ألا تجيبونني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثلي مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه(٢).

فالجهاد هو سمة أصحاب رسول الله ﷺ وهو قدرهم الذي تخلقوا به حتى أزالوا بذلك كل عقبة تقف عثرة في طريق نشر الإسلام وتبليغه للعالمين كما أمر رسول الله ﷺ، ولكن خليفة رسول الله رضي الله عنه لم يرض أن يكون مع عامة المجاهدين من أصحاب

(١) البزار: البحر الزخار، ومما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه (٧٦١).

(٢) ابن كثير: السيرة، ٢/ ٤١١. البزار: البحر الزخار، محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه (٧٦١). الصالحي: سبل الهدى، ٢ / ٤٣٧.

رسول الله ﷺ حتى امتاز عن الجميع بجهاده وصبره وثباته وتضحيته، وحتى شهد له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه أشجع الناس بما فيهم من شهد له القرآن الكريم بالشهادة في عصره ألا وهو مؤمن آل فرعون الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾[2] فهذه الروح الإيمانية روح التحدي والسمو التي يتسلح بها أئمة الجهاد والإيمان تفجر فيهم روح الإقدام ومباشرة العطاء دون أي تردد أو وجل أو حساب لقوة جبارة، وهذه الروح هي التي كانت تمد خليفة رسول الله بمواقفه التي لو وزنت بمواقف الأمة مجتمعة لرجحتها، ولهذا كان علي رضي الله عنه إذا ذكره أجهش في البكاء ليس لآلام الفراق والشوق فقط؛ بل لعدم وجود رجل بعد أبي بكر رضي الله عنه يحمل ذات المواصفات التي سدت على أعداء الصحابة كل منافذ المكر وتسعير الفتن، ولحاجة الأمة في أيام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمواقف رجل من طراز خليفة رسول الله يجلب الشفاء والعلاج لكل ما كانت تعانيه الأمة من التمزق والتناحر وشتات الكلمة الذي أسهم في صناعته خلافة رافضي النبوة ببغيهم وكيدهم.

ولقد صبر الصدّيق رضي الله عنه على الابتلاء واحتسب لأجل دينه وعقيدته، ودافع عن رسول الله ﷺ دفاع الأبطال وأنفق أمواله في سبيل الله، وعرض نفسه على مواطن الخطر قبل أن ينزل الإذن بالقتال، ولما اشتد أذى قريش على المسلمين في مكة وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان صاحبه الوحيد في الغار وعلى طريق الهجرة، فهو (ثاني اثنين) وفي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ فيها إلا واحد يكون ذلك الواحد هو أبا بكر رضي الله عنه وهو صاحبه المطلق. قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ المشارك في معيّة الاختصاص في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ وهو صاحبه ﷺ في نزول السكينة

(١) سورة يس، الآية: ٢٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٢٥.

والنصرة قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1] ونظرًا لهذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الصدّيق عن غيره، ونظرًا لفقهه وعلمه وشدة تمسكه بالسنة وعزة أهلها، وإصراره على إنفاذ كل ما أمر به رسول الله ﷺ دون أي تفريط؛ وأنه الحربة في عيون المنافقين، والشوكة في حلوق الرافضة المرتدين، أصبح الهدف الأول لأعداء الصحابة ومبغضيهم؛ فصنعوا له التهم ولفقوا له العيوب ودانوا بكراهيته وتشويه سيرته وتقبيح محاسنه، ولا سيما بعد ثباته الراسخ ونظره الثاقب وحرصه الكامل ألَّا يخدش الإسلام خادش، وألَّا يحول أمام انطلاقته حائل في الانتشار والفتوح بعد وفاة رسول الله ﷺ فاستمر الإسلام عزيزًا في سموّ وانطلاق كما كان في عصر رسول الله ﷺ، ولكل هذه الأسباب ولغيرها كان لا بد من تجلية الحقيقة وإظهار جوهر وكنوز تاريخ الصدّيق الحافل بالأمجاد والمواقف السامية التي أسهمت في بناء ورعاية الجهاد حتى استقر علم الدين عاليًا على وجه الأرض، وأذل رافضي خلافة النبوة وجبابرة الأرض وطغاتها، فسادت السنة النبوية وصدع أئمتها بالحق وأعلنوا فضيلة الصديق رضي الله عنه على من سواه حتى أصبح رضي الله عنه علمًا فاصلًا بين علماء السنة النبوية وعلماء البدع والرفض والجاهلية، فكل من ينال من الصديق رضي الله عنه فهو جندي من جند مسيلمة الكذاب الذين حاربوا خلافة النبوة، متهم في دينه وأمانته وولائه لله ورسوله ﷺ وحرب على الفضيلة والرحمة وكل القيم النبيلة، إذ إن من قيم الصديق ألَّا يقتل طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا من أي ملة كانوا، في وقت نرى فيه أعداء الصديق من اليهود والصليبيين وإخوانهم الرافضة يتشفون بقتل الأطفال والنساء والعجزة والعزل من أهل السنة كما هو حاصل في فلسطين ليلة أمس حيث شاهد العالم أجمع جثث الأطفال تنتشل من بين أنقاض البيوت، أما في العراق فإن الكلام بكل مفرداته لن يتمكن من وصف ما يجري على أيدي الصليبيين وشيعتهم أعداء أبي بكر رضي الله عنه حيث أعلنت الفضائيات في هذا اليوم الأحد ٦/١٣ جمادى الآخرة / ١٤٢٧هـ ٩/ ٧/ ٢٠٠٦م

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

أن مليشيات أعداء الصحابة قد هاجمت بيوت أهل السنة في مدينة بغداد، ولا سيما في حي الجهاد فقامت بإخراج النساء والأطفال والشيوخ وقتلهم داخل بيوتهم وعلى أبوابها في مذبحة رهيبة قذرة ولا مذبحة دير ياسين التي اقترفتها أيدي اليهود في فلسطين، في حالة من غرق عامة أهل السنة في اللهو وبلادة الفهم وتيه الخطاب، حالة لا تشبهها حالهم حتى أيام موتتهم في عصر هولاكو الأثيم وجاسوسه الخبيث ابن العلقمي الرافضي حين قتلت التتار وإخوانهم الرافضة ما يزيد على المليون من أهل السنة، وكل هذا وغيره الكثير يؤكد أن كل من يحمل ذرة من العداء لأي من أصحاب رسول الله ﷺ إضافة إلى الصدّيق رضي الله عنه فإنما هو والغ في دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم، وكل من يصمت على من ينال من الصديق رضي الله عنه ولا يرد عنه الزيف والبهتان ويتبرأ ممن يدين به من الرافضة فهو شيطان، أخرس عن قول الحق، وكل من يحسن الظن فيمن ينال من الصديق رضي الله عنه بالقول أو بالتعامل؛ فهو غاش للأمة مخادع للمؤمنين فاقد للغيرة مخروم الولاء وفاسد الطوية أعمى البصر والبصيرة، يدين بمخالفة ما جاء في الكتاب والسنة وإنكار كل ما جرى للمؤمنين على أيدي أعداء الصحابة على مر التاريخ الذي علّمنا أنه لن يجاهد في سبيل الله ويعمل على نشر العدل والتوحيد سوى أصحاب رسول الله ﷺ ومحبيهم من الأمم المؤمنة.

فالصدّيق رضي الله عنه كان كظل رسول الله ﷺ في سلمه وحربه قبل البعثة وبعدها حتى أضيف إلى رسول الله ﷺ في حياته، فقد خاطبه القرآن باسم صاحبه ﷺ، وبعد وفاته أجمع المؤمنون على تسميته بخليفة رسول الله فقد أصبح مضافًا إلى رسول الله ﷺ ومقرونًا اسمه باسمه ﷺ إلى الأبد، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار تلك الصحبة التي بدأها أبو بكر رضي الله عنه صغيرًا وأخلص لها وتفانى من أجلها كبيرًا، ولما ضاقت مكة على المسلمين وأذن الله تعالى بالهجرة حمل النبي ﷺ إلى المدينة براحلته وزاده ومواليه، ولم يزل ينفق عليه ماله ويقوم على خدمته بنفسه ويجاهد بين يديه في حياته، ولم يزل ملازمًا له سفرًا وحضرًا حتى توفي ﷺ فدفنه في حجرة ابنته الطاهرة عائشة التي كانت أنسه ومستراحه، ثم حمل الراية من بعده ﷺ يسير بها على ذات الخطى والمنهج الذي رسمه ﷺ لأمته، حتى إذا توفي رضي الله

عنه دفن إلى جنب صاحبه ليرقد هناك قرير العين هانيها بما قدم من إيمان وصبر وجهاد في سبيل الله تعالى، كان من أشهره بعد الهجرة يوم بدر يوم الفرقان الذي أظهر الله به الدين وأهله وأذل الشرك وأهله.

في يوم بدر:

وشهد أبو بكر رضي الله عنه بدرًا، وأُحدًا، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها مع رسول الله ودفع رسولُ الله ﷺ رايته العظمى يوم تَبُوك إلى أبي بكر، وكانت سوداءَ، وكان جيش تبوك الذي حمل رايته أبو بكر رضي الله عنه أكبر جيش جمعه وقاده رسول الله ﷺ، وأطعمه رسولُ الله ﷺ من خيبر مائة وَسْق، وقد ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد ويوم حُنين حين ولى الناس من هول ما أصابهم من مفاجأة الإعلان بموت رسول الله ﷺ يوم أحد ومن مفاجأة سهام المشركين مع ظلمة الفجر يوم حنين، ولم يختلف أهل السيرِ في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ومعه زيد بن حارثة وابنه وكبشة موالي رسول الله يعتقبون بعيرًا؛ كان صاحبه أبو بكر ومعه عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم يعتقبون بعيرًا أيضًا [(١)].

في شورى المواجهة:

ولما علم النبي ﷺ بإفلات قافلة قريش التي خرج لاعتراض طريقها بما أخذته قريش من أموال المؤمنين في مكة، وأصبح على المؤمنين أن يواجهوا جيشًا يزيد عليهم أكثر من ثلاثة أمثالهم استشار ﷺ أصحابه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن القول وفتح الباب لبقية الصحابة أن يعربوا عن آرائهم في معالجة ذلك الموقف العصيب، فتدارسوا الأمر حتى أجمع رأيهم جميعًا على المواجهة فكانت ثمرة تلك الشورى وتبادل الرأي وحسن معالجة الواقع؛ ذلك النصر المؤزر يوم بدر الذي فرق الله تعالى به بين الحق والباطل.

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ١٧٢.

في الاستطلاع:

قام النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه بجولة استطلاعية يستكشفان فيها أحوال جيش المشركين وطبيعة الأرض التي تحيط بمعسكرهم حتى يكونا على بينة فلقيا شيخًا من العرب فسأله رسول الله عن جيش قريش وعن محمد ﷺ وأصحابه وما بلغه من أخبارهم، فقال الشيخ: إنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المسلمين، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلًا، ثم انصرف النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه[1] بعد أن علما ما حولهما من أخبار وأرضٍ وتضاريس وغيرها.

أبو بكر بين يدي النبي ﷺ وهو يكثر الابتهال إلى الله تعالى في عريش القيادة:

ويوم بدر عندما التقى الجمعان. قال سعد بن مُعَاذ الأنصاري رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا نبني لك عَرِيشًا، فتكون فيه ونُنِيخَ إليك ركائبَك، ونَلْقَى عدونا، فإن أظفرنا الله وأعزنا فذاك أحب إلينا، وإن تكن الأُخرى تجلس على ركائبك، فتلحق بمن وراءَنا؟ فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له. فبُنِي لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ما معهما غيرهما[2].

وفي ذلك اليوم نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه يدعو ربه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الأنفال، الآية (٤٢) ٢/ ٣١٥.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥. البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب، قول الله =

وأمام شدة هجمة المشركين وكثرتهم، لجأ رسول الله ﷺ إلى الدعاء والابتهال والتضرع وهو يقول فيما يدعو به: «**اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض**» وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك**» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقًا عليه ﷺ واثقًا بتحقيق موعود الله تعالى: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. وإنما قال الصديق رضي الله عنه: بعض مناشدتك ربك، من باب الإشفاق لما رأى من نصبه ﷺ في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله. أي: لم تتعب نفسك هذا التعب، والله تعالى قد وعدك بالنصر؟ وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ[1].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر: «**اللهم إني أسألك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم**». قال: فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فقال: حسبك يا نبي الله، فقد ألححت على ربك وهو في الدرع، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2].

وكان من تعليماته لأصحابه قوله ﷺ: «**إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل**»، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر ليس معه غيره. ثم عدل الصفوفَ ورجع إلى العريش يناشد ربه وما وعده من النصر فخفق رسول الله ﷺ في العريش خفقة ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقع. فلما كان يومئذ التقوا هزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلًا وأسر منهم سبعون رجلًا[3]. ثم نزل قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

= تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾، ح (٣٩٥٣).

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٤١١.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٤٥، ٤٦. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٣٤.

مُرۡدِفِينَ ﴾[1] ولا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال، لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر رضي الله عنه ما قال كف عن ذلك، وعلم أنه استجيب له، لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: كان النبي ﷺ يوم بدر في مقام الخوف وصاحبه في مقام الرجاء، والرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمان منهما، وإنما قال الصديق للنبي ﷺ ما قال معاونة ورقة عليه، لما رأى من نصَبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي لِمَ تتعب نفسك هذا التعب والله تعالى قد وعدك بالنصر؟! وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ[2].

الأسرى:

ويوم بدر تمكن المسلمون من أسر سبعين من المشركين المقاتلين، فيهم كثير من الوجوه والقادة، فاستشار رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار في شأنهم وتقرير مصيرهم.

وكان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه؛ أول من يتكلم أبو بكر في الشورى وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره فيعمل برأيه وحده فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[3].

فقال ﷺ: **«ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس»**. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أهلك وقومك، قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان استبقهم، وإني أرى أن تأخذ الفداء

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) زاد المعاد ج: ٣ / ١١١. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٧٣.

(٣) أبو بكر الصديق، محمد مال الله، ص ٣٢٥.

منهم، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لك عضدًا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما تقول يا بن الخطاب؟**». قال: يا رسول الله، قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - حتى يضرب عنقه، ليعلم الله تعالى أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، هؤلاء صناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم، ما أرى أن يكون لك أسرى. وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري: يا رسول الله، انظر واديًا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارًا. فقال العباس وهو أسير يسمع ما يقول: قطعت رحمك. فدخل رسول الله ﷺ البيت، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج فقال: «**إن الله تعالى ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله تعالى ليشد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة، مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] **ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] **ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[3] **ومثلك في الأنبياء مثل موسى، إذ قال:** ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[4]»[5].

وقال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**لو اتفقتما ما خالفتكما، أنتم عالة فلا يفلتن منكم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق**». فهوي النبي ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهوَ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦. (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٦.
(٤) سورة يونس، الآية: ٨٨.
(٥) مسند أحمد (١/ ٣٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥).

ما قال عمر رضي الله عنه[1] ثم نزل القرآن يعاتب النبي ﷺ على أخذ الفداء من الأسرى دون قتلهم قبل أن يُثخن في الأرض. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] أي يبالغ في قتل الكفار ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ﴾ لكم ﴿ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ثم عفا الله تعالى عن نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأقر فعلهم في أخذ الفداء فنزل قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[4] ينسخ ما كان قبله من أحكام. واستعمل ﷺ على الأسرى يوم بدر شقران غلامه، فأخذوا من كل أسير ما لو كان حرًّا ما أصابه في المقسم[5].

وقد تكلم الناس في أي الرأيين في الأسرى كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر رضي الله عنه لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر رضي الله عنه لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى وتشبيهه لعمر بنوح وموسى ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أولًا ولموافقة الله له آخرًا؛ حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق رضي الله عنه فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

وأما بكاء النبي ﷺ فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه وإن أراده بعض الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٧٥. شبير الباكستاني: عصر الصديق، ٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ٤.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٦١. الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٧.

فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم عسكر المسلمين يوم حنين بقول أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة وبإعجاب كثرتهم لمن أعجبته منهم فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم[1].

ولعل البعض يلتبس عليه الأمر في هذا الموقف الذي يشاهد فيه أبا بكر رضي الله عنه يميل إلى الليونة والرغبة في الإبقاء على حياة الأسرى المشركين، ولكن المتمعن في الموقف سرعان ما تزول عنه تلك الغرابة إذا علم أن شوكة المشركين قد كسرت، وأن الله تعالى قد من على المؤمنين بذلك النصر المؤزر الذي سقط فيه فراعنة قريش وقادة الشرك وأئمة العداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فرؤية أبي بكر منبثقة من الواقع الجديد الذي أثمر بعد نصر المسلمين في بدر حيث تحقق الإجهاز على من كان يقف سدًّا أمام انتشار الإسلام ويقود حرب الأذى والتضييق والحصار والتسفيه ضد رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه فإن الصديق رأى بثاقب نظره أن بالإمكان الإفادة من أموال المشركين لدعم كيان المسلمين الناشئ وإضعاف قريش، وفي الوقت ذاته إمكانية الإفادة من طاقات رجالات قريش المميزة في قدراتها القيادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وهذا ما حصل في نهاية المطاف حيث دخلت قريش في الإسلام أفواجًا وهم عشيرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه الذين استبدلوا عنادهم بالطاعة، وبغضهم بالمودة والمحبة، وحربهم ضد المسلمين بالحرب على المشركين، فكان في دخولهم الإسلام خير وبركة على الدين والأمة، ولا سيما من تمعن في موقفهم بعد وفاة رسول الله ﷺ وثباتهم على الإيمان، ومن ثم مساندة الراشدين والإسهام الفاعل في قيادة الفتوح وبناء الدولة الإسلامية وحراسة العقيدة وقيادة المؤمنين من القبائل ممن أسلم بعدهم، فكان كل ذلك خيرًا على المسلمين وعلى قريش وعلى قبائل العرب قاطبة التي تقبل جميعها الانقياد لقريش ولا تقبل ذلك لغيرها، وكل هذا يؤكد سعة الأفق السياسي عند خليفة رسول الله، وعميق فقهه

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣ ص: ١١٢

لكل ما يجري على الساحة آنذاك من أحداث، ولا أدل على ذلك من موافقة رسول الله ﷺ له وهواه لموقفه من الأسرى، ومن ثم إقرار الوحي لكل ذلك حتى أصبح قرآنًا يتلى على ألسنة المؤمنين.

وكان من هدي النبي ﷺ في الأسرى:

أن من أسلم على شيء في يده فهو له ولم ينظر إلى سببه قبل الإسلام، بل يقره في يده كما كان قبل الإسلام، ولم يكن يضمن المشركين إذا أسلموا ما أتلفوه على المسلمين من نفس أو مال حال الحرب ولا قبله، واستوهب من سلمة بن الأكوع جارية نفله إياها أبو بكر رضي الله عنه في بعض مغازيه فوهبها له؛ فبعث بها إلى مكة ففدى بها ناسًا من المسلمين، ولم يكن أيضًا يرد على المسلمين أعيان أموالهم التي أخذها منهم الكفار قهرًا بعد إسلامهم، بل كانوا يرونها بأيديهم ولا يتعرضون لها سواء في ذلك العقار أو المنقول، وكل هذا من هديه الذي لا شك فيه، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة ففادى أسارى بدر بمال وقال: «**لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**»، وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون من المشركين متسلحين يريدون غرته فأسرهم ثم منّ عليهم فأطلقهم، وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم رضي الله عنه[1].

وعزم الصديق رضي الله عنه على تضمين المحاربين من أهل الردة ديات المسلمين الذين قتلوهم وأموالهم، فقال عمر رضي الله عنه: تلك دماء أصيبت في سبيل الله، وأجورهم على الله ولا دية لشهيد، فاتفق الصحابة على ما قال عمر رضي الله عنه [2] طمعًا في تأليف المرتدين وإعادتهم إلى ما خرجوا منه بعد أن رأوا من شدة أبي بكر رضي الله عنه على من خالف جماعة المؤمنين ورفض خلافة النبوة.

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣/ ١١٠.
(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ١١٦، ٣/ ١٧٢.

في أحد:

ولما مضى عام من الزمن على موقعة بدر الكبرى، كانت قريش قد أتمت استعداداتها للثأر من المسلمين، فخرجت قريش ومعهم أبو عامر الراهب[1] وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، وكانت الظعن خمسة عشرة امرأة، فساروا حتى نزلوا ذا الحليفة، فأقاموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وكان العباس بن عبد المطلب قد كتب إلى رسول الله ﷺ يخبره بأمر قريش، فلما علم المسلمون بذلك، بات سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير، وهم سادة الأنصار وقادتهم رضي الله عنهم بباب رسول الله ﷺ في عدة من الناس، وحُرست المدينة، ورأى رسول الله ﷺ في الرؤية كأنه في درع حصينة وكأن سيفه ذا الفقار قد انفصم، وكأن بقرًا تذبح وكأنه مردف كبشًا، فأولها فقال: «**أما الدرع فالمدينة، والبقر قتل في أصحابي، وانفصام سيفي مصيبة في نفسي، والكبش كبش الكتيبة نقتله إن شاء الله**»، وكان رأيه ﷺ ألَّا يخرج من المدينة، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحابه، وطلب فتيان أحداث لم يشهدوا بدرًا أن يخرجوا حرصًا على الشهادة فغلبوا على الأمر فصلى الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ثم صلى العصر، ثم دخل بيته ومعه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه، وصف الناس له، وقد صف الناس له بين حجرته إلى منبره، ينتظرون خروجه، فخرج ﷺ قد لبس لأمته وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم واعتم وتقلد السيف ﷺ وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعًا على ما صنعوا وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال ﷺ: «**لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فامضوا على اسم الله، فلكم النصر إن صبرتم**»[2].

فلما استعجل بعض المسلمين الغنيمة وخالف بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ تغيرت

---

(١) أبو عامر الراهب، وسماه النبي ﷺ أبو عامر الفاسق لعدم إيمانه ولتعاونه مع المشركين بعدما فارق المدينة وقومه الأنصار وتعاون مع المشركين.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٥٤. الصالحي: سبل الهدى: ٤/ ١٨٧.

صفحات المعركة واضطرب أمر المسلمين ففقدوا تلاحمهم فاستفرد الأعداء ببعض قادتهم وركزوا هجمتهم على رسول الله ﷺ حتى صرخ صارخ أن قتل محمد ﷺ بعد استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه، فتفرق عامة المسلمين وأذهلهم الخبر حتى لم يعد الكثير منهم قادرًا على أن يحدد وجهته بين تلك الأخطار ولم يعد البعض منهم يفرق بين المؤمنين والكافرين، فكانت جولة رهيبة على المسلمين اصطلى الكثير منهم بنارها ونال سبعون رجلًا منهم الشهادة.

وثبت معه ﷺ خمسة عشر رجلًا: ثمانية من المهاجرين: منهم أبو بكر رضي الله عنه وسبعة من الأنصار. ويقال: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلًا كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودع![1] وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلًا يقاتل عنه ويحميه، قلت: كن طلحة فداك أبي وأمي، كن طلحة فداك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي ﷺ فإذا طلحة بين يديه صريعًا فقال النبي ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**» وقد رمي النبي ﷺ في جبينه، وروي في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعها عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهة أن يؤذي رسول الله ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة، قال أبو بكر رضي الله عنه: ثم ذهبت لآخذ الآخر، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذه فجعل ينضنضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى، ثم قال رسول الله ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**»، قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضعة عشر ضربة[2].

---

(١) الصالحي: سبل الهدى: ٤/ ٢٠٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/ ٢٠٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥/ ٧٦.

وعن الطاهرة عائشة قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه. ثم قال: كنت ممن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ: «**عليكما صاحبكما**»، يريد طلحة رضي الله عنه وقد نزف الدم فتركناه، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفر، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[١].

وأقبل رسول الله نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه أن اسكت واجتمع إليه المسلمون[٢] فلما عرفوا رسول الله ﷺ أقبلوا عليه. ولما رأوه سالمًا كأنهم لم يصبهم شيء وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين[٣].

نداء أبي سفيان بمقتل رسول الله ﷺ وصاحبيه:

فرح أبو سفيان لاعتقاده باستشهاد رسول الله ﷺ وصاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فلما انقضت الحرب يوم أحد أشرف على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم فقال: أما هؤلاء فقد

(١) ابن حجر: المطالب العالية، (٤٣٢٧) والمتقي الهندي: الكنز (٣٠٠٢٥). الصالحي: سبل الهدى: ٤/ ٢٠٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٠١.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٤/ ٢٠٨- ٢٢٣.

كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوؤك، فقال: قد كان في القوم مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني[1].

ولعل اللافت في نداء أبي سفيان أن المشركين كانوا يعلمون من هم رؤوس الإسلام وقادته الذين يخشون سطوتهم وتدابيرهم وانقياد أمة المسلمين لهم، وهذا ما كان يعمل به المسلمون في عهد رسول الله ﷺ ومن بعده إلى هذا اليوم، وفي هذا الموقف يتجلى معنى قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ ليس فقط عند المسلمين، بل كذلك عند المشركين، ولعل في هذا الموقف ما يكشف زيف إسلام من يناصب أبا بكر وعمر العداء وينبه كل عاقل يزعم أنه مسلم إلى خطورة هذا الصنف المبغض لأصحاب محمد ﷺ وشدة عداوتهم للإسلام التي تجاوزوا فيها ما كان يعمل المشركون واليهود والمرتدون، فكل هؤلاء حاربهم رسول الله ﷺ ومن ثم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لم يسمع السامعون من كل هؤلاء الكفار إلا الثناء العاطر والعرفان بسمو القيم وحميد خصال المؤمنين، بينما رافضو دين محمد ﷺ وسنته، ومبغضو أصحابه تجاوزوا في بهتانهم كل حد فانحدروا إلى هاوية الرفض والردة وحرب السنة المطهرة.

حمراء الأسد:

عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: لما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما أصابهم يوم أحد، وانصرف المشركون، خاف ﷺ أن يرجعوا. فقال: من يذهب في آثارهم؟ فانتدب سبعون رجلًا كان فيهم أبو بكر والزبير[2].

قال ابن كثير: هذا سياق غريب جدًّا، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدًا، وكانوا سبعمائة كما تقدم،

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣ / ٢٠٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤ / ٥٢. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣١٤.

قتل منهم سبعون وبقي الباقون. والظاهر والله أعلم أنه لا تخالف بين قول عائشة وما ذكره أصحاب المغازي، لأن معنى قولها: فانتدب منهم سبعون. أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون، ولم ينبه على ذلك الحافظ في **الفتح**[1].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2] قال ابن إسحاق: أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من الجراح[3].

بدر الموعد:

وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: موعد ما بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول، نلتقي فيها فنقتتل. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: قل: نعم إن شاء الله، فافترق الناس على ذلك، ورجعت قريش فخبروا من قبلهم بالموعد. وكانت بدر الصفراء مجمعًا للعرب، وسوقًا تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان ليالٍ تخلو منه، فإذا مضت ثمانُ ليالٍ تفرق الناس إلى بلادهم. فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج إلى رسول الله ﷺ، وأحب ألا يوافي رسول الله ﷺ الموعد، وكان أبو سفيان يظهر أنه يريد أن يغزو رسول الله ﷺ في جمع كثيف، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع، وتسير في العرب، فيهاب المسلمون ذلك. وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة - وأسلم بعد ذلك - فبصر أبا سفيان وقريشًا بتهيؤ المسلمين لحربهم. وكان عام جدب، فأعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين، واعتل بجدب الأرض، وجعل لنعيم عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده، وحمله على بعير. فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى أرعب المسلمين، وهو يطوف فيهم

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.

(٣) ينظر: الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٥٨.

حتى قذف الرعب في قلوبهم، ولم يبق لهم نية في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود، وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، فبلغ ذلك رسول ﷺ حتى خشي ألا يخرج معه أحد، وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد سمعا ما سمعا، وقالا: يا رسول الله، إن الله تعالى مظهر دينه، ومعز نبيه، وقد وعدنا القوم موعدًا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن، فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة، فسر رسول الله ﷺ بذلك، ثم قال: «**والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد**». فنصر الله تعالى المسلمين، وأذهب عنهم ما كان الشيطان رعبهم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ وأصحابه:

استخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول فيما قاله ابن إسحاق. وقال محمد بن عمر: استخلف عبد الله بن رواحة. وخرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة، فيهم عدة أفراس، فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بكر، وفرس لعمر، وفرس لأبي قتادة، وفرس لسعيد بن زيد، وفرس للمقداد بن الأسود، وفرس للحباب بن المنذر، وفرس للزبير بن العوام، وفرس لعباد بن بشر رضي الله عنهم[1].

وخرج المسلمون بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحًا كثيرًا. فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيام، والسوق قائمة، وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده.

وخرج المشركون وهم ألفان ومعهم خمسون فرسًا، حتى انتهوا إلى مجنة[2] من ناحية الظهران، رجعوا بحجة الجدب وقلة المراعي، فسمى أهل مكة ذلك الجيش «جيش السويق». وانطلق معبد بن أبي معبد الخزاعي سريعًا، بعد انقضاء الموسم إلى مكة، فأخبر بكثرة المسلمين،

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/ ٢٤٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٧٧. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٣٧

(٢) مجنة: ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٢٠٩.

وأنهم أهل ذلك الموسم، وأنهم ألفان. فأخذوا في الكيد والنفقة في قتال رسول الله ﷺ من جديد فاستجلبوا من حولهم من العرب، وجمعوا الأموال وضربوا البعث على أهل مكة، فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال، ولم يقبل من أحد منهم أقل من أوقية لغزو الخندق.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن أكرمه الله وأصحابه رضي الله عنهم بالأرباح وقذف الرعب في قلوب المشركين فلم يشاركوا في ذلك الموسم(١) فكانت مشورة الصديق والفاروق رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ بوجوب المسير إلى بدر الموعد بركة على المسلمين لما جلبت عليهم من المهابة والخير وإظهار الدين والقوة، ولما جلبت على المشركين من مظاهر الرعب والتمزق ونقض المواعيد ومعرفة القبائل العربية بكل ذلك.

في يوم قريظة:

وفي يوم قريظة كان أبو بكر رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ وهو يحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى إذا نزلوا من الحصار على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه قال سعد: اللّهمّ إن كنتَ أبقيت على نبيّك من حرب قُرَيْش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك، فانفجر كلمه وكان قد برئ حتى لا يُرى منه إلّا مثل الخرص، ورجع إلى قبّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ، قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوالذي نفس محمّد ﷺ بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أَبي بكر وأنا في حُجْرَتي، وكانوا كما قال الله: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢) قال علقمة: فقلت: يا أمَّه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وُجِدَ فإنما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيّد وله شواهد من وجوه كثيرة(٣).

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٣٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٠٣.

غزوة خيبر:

الأسباب التي دعت المسلمين إلى المسير لفتح خيبر كثيرة؛ أبرزها سعي اليهود الدائم على التحريض وإقامة التحالفات على حرب المسلمين، لما نزل رسول الله ﷺ خيبر استسلم حصن ناعم بعد يومين من الحصار ثم استسلم حصن القموص ثم فتح المسلمون حصن الصعب بن معاذ وكان عليه خمسمائة مقاتل ثم فتحت حصون الشق والنطاة[1] وغيرها من حصون خيبر حتى إذا استعصى بعضها على المسلمين، كان أولَ من أخذ راية النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه فنهض بها فقاتل قتالًا شديدًا ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالًا شديدًا ثم رجع، فقال ﷺ: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ يفتح الله عليه**» فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء علي رضي الله عنه على بعير له حتى أناخ قريبًا من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لك؟**» قال: رمدت بعد. فقال رسول الله ﷺ: «**ادن مني**» فدنا فتفل في عينيه فما وجعهما حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها حتى فتح الله عليه[2]. ولما قسم رسول الله ﷺ أسهم خيبر على أصحابه رضي الله عنهم أسهم لأبي بكر رضي الله عنه مائة وسق من الغنائم[3].

سرية بشير بن سعد إلى الجناب:

ثم قدم حسيل بن نويرة وكان دليل النبي ﷺ إلى خيبر فقال له النبي ﷺ: «**ما وراءك**»؟ قال: تركت جمعًا من يمن وغطفان وحيان وقد بعث إليهم عيينة بن حصن، إما أن تسيروا إلينا وإما أن نسير إليكم، فأرسلوا إليه أن سر إلينا وهم يريدونك أو بعض أطرافك، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر فذكر لهما ذلك فقالا جميعًا: ابعث بشير بن سعد. فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار، وخرج معهم حسيل دليلًا

---

(١) ينظر: الخليفة: مهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة في عصر الرسول ﷺ، ١٨٨.

(٢)، (٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ١٣٧.

فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا أسفل خيبر حتى دنوا من القوم فأغاروا على سرحهم وبلغ الخبر جمعهم فتفرقوا فخرج بشير في أصحابه حتى أتى محالهم فوجدها ليس بها أحد فرجع بالنعم، فلما كانوا بسلاح لقوا عينًا لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع عيينة وعيينة لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ فأصابوا منهم رجلين فقدموا بهما على النبي ﷺ فأسلما فأرسلهما وقال الحارث بن عوف لعيينة وقد لقيه منهزمًا تعدو به فرسه: قف. قال: لا أقدر، خلفي الطلب. فقال له الحارث: أما آن لك أن تبصر بعض ما أنت عليه، وأن محمدًا قد وطئ البلاد وأنت توضع في غير شيء. قال الحارث: فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل وما أرى أحدًا، ولا طلبوه إلا الرعب الذي دخله[1].

غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى:

لما فتح رسول الله ﷺ خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ﷺ خمّسها رسول الله ﷺ وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: «**إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال**- المزارع والبساتين - **على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله**» فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ أقرها أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدر إمارته، ثم بلغ عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبض فيه: «**لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان**»[2]. ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتى بلغه الثبت فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان**» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/ ٣٦٣. الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٦٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٣٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢١٩.

له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء فأجلى عمر رضي الله عنه من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم[1].

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه النبي ﷺ أميرًا علينا، في سرية إلى بني كلاب بنجد، بناحية ضرية[2] في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ فسبى ناسًا من المشركين، فقتلناهم، وكان شعارنا: أمت أمت. قال: فقتلت بيديَّ سبعة أهل أبيات من المشركين.

سرية أبي بكر إلى قوم من بني فزارة:

وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة، وخرجت معه، حتى إذا ما صلينا الصبح أمرنا فشننَّا الغارة، فوردنا الماء، فقتل أبو بكر رضي الله عنه من قتل ونحن معه، قال سلمة: فرأيت عنقًا من الناس، فمنهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم قاموا، فإذا امرأة من فزارة فيهم عليها قشع من أدم، معها ابنتها من أحسن العرب، فجئت أسوقهم إلى أبي بكر، فنفلني أبو بكر رضي الله عنه ابنتها، فلم أكشف لها ثوبًا، حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي، فلم أكشف لها ثوبًا، حتى لقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «**يا سلمة، هب لي المرأة**». فقلت: يا نبي الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا. فسكت حتى كان من الغد لقيني

---

(1) الطبري: تاريخ، ٢/ ١٤١.

(2) قرية في طريق مكة من البصرة من نجد، وضرية بئر. قال الشاعر:

فأسقاني ضرية خير بئر ... تمجّ الماء والحبَّ التُّؤاما

وقيل امرأة، قال الشاعر:

وأمي ذات الخير بنت ربيعة ... ضرية من عيص السماحة والمجد

ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٢٨.

رسول الله ﷺ في السوق، لم أكشف لها ثوبًا. فقال: «**يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك**». قال: فقلت: هي لك يا رسول الله. قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين[1].

بنو النضير:

وكان سبب غزوة بني النضير أن النبي ﷺ خرج إليهم ليعينوه في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه لما كان بينه ﷺ وبينهم من الحلف، فلما فاتحهم النبي ﷺ بذلك قالوا: نعم، وجلس رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه، ثم خلا اليهود بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فَمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرةً ويُريحنا منه؟ فانتدب لذلك الشقي عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصَعد ليُلْقِيَ عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نَفَر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبيّ ﷺ أصحابُه قاموا في طلبه فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلًا المدينة، فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قمت ولم نشعر، فقال رسول الله ﷺ: «**همت يهود بالغدر بي، فأخبرني الله تعالى فقمت**». قال الواقدي: فبعث رسول الله ﷺ محمّد بن مَسلمة الأنصاري رضي الله عنه يأمرهم بالخروج من جواره وبلده. فلما لم يفعلوا تجهز رسول الله ﷺ وخرج بنفسه لحربهم فحاصرهم ست ليالٍ، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وبقي محاصرًا لهم حتى قبلوا الجلاء عن المدينة فأجلاهم، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ

(1) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٠٠. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والبر، باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى، ح (١٧٥٥). ابن كثير: السيرة، ٣/ ٤١٧. البداية والنهاية، ٤/ ٢١٩.

عَنكُمْۖ وَاتَّقُواْ اللَّهَۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان على الجيش الذي حاصر بني النضير وروي أنه علي رضي الله عنه، وبعد جلاء بني النضير قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمتم هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعًا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة**». فقال الأنصار رضي الله عنهم: «**بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت**». فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] وقال أبو بكر رضي الله عنه: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيرًا، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي:

جزى الله عنّا جعفرًا حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبـوا أن يملونا ولـو أن أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت[3]

ومن خلال هذه الصور الرائعة الرائقة تظهر نوعية العلاقة بين المهاجرين والأنصار، تلك العلاقة الأخوية التي يسقط تحت معانيها كل زيف وإفك اقترفته ألسنة أعداء الصحابة لتشويه وحدة الأمة التي دون معانيها المهاجرون بوفائهم وتعففهم والأنصار بكرمهم وإخلاصهم.

غزوة ذي قرد وهي الغابة:

والسبب في تلك الغزوة إغارة عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري في خيل غطفان على لقاح رسول الله ﷺ قال محرز بن نضلة قبل أن يلقى العدو بيوم: رأيت السماء فرجت لي حتى دخلت في السماء الدنيا، حتى انتهيت إلى السماء السابعة، ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى، فقيل لي: هذا منزلك، فعرضتها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من أعبر الناس للرؤيا فقال: أبشر بالشهادة. فقتل بعد ذلك بيوم[4].

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٤/ ٣٢٤، البلاذري: فتوح البلدان، ١/ ٢٢٤.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٩٥.

وكان أبو بكر رضي الله عنه في ذلك اليوم بين يدي رسول الله ﷺ.فلما قتل أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه مسعدة الفزاري بعد أن لحق بمن هاجم لقاح رسول الله ﷺ في الغابة أدرجه في برده وأخذ ثيابه وفرسه وسلاحه فلحق بالمشركين يستنقذ منهم اللقاح، وكانت فرسه قد عرقبت فلما نظر إليهم العسكر فروا. قال: فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أبي قتادة قد عرقبت، ثم أقبل رسول الله ﷺ وأصحابه في طلب القوم حتى إذا انتهوا إلى الموضع الذي سجى فيه أبو قتادة قتيله في ثيابه، قال رجل من الصحابة: يا رسول الله، قد استشهد أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا قتادة، والذي أكرمني بما أكرمني به إن أبا قتادة على آثار القوم يرتجز**» فدخلهم الشيطان أنهم ينظرون إلى الفرس قد عرقبت، وينظرون إليه فيما يحسبون مسجى عليه ثيابه. قال: فخرج أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يسعيان حتى كشفا الثوب، فإذا وجه مسعدة الفزاري. فقالا: الله أكبر، صدق الله ورسوله، مسعدة يا رسول الله. فكبر الناس، ولم ينشب أن طلع عليهم أبو قتادة يحوش اللقاح، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح وجهك يا أبا قتادة**»[1].

في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة:

القردة: بالقاف ويقال بالفاء، ماء من مياه نجد، كانت في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميرًا. وسببها أن قريشًا لما كانت وقعة بدر خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام، فسلكوا طريق العراق فاعترضهم زيد فأسر منهم وكان في الأسارى فرات بن حيان، وكان أسر يوم بدر، فأفلت على قدميه، فكان الناس عليه أحنق شيء. وكان الذي بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه حسنًا، فقال له: أما آن لك أن تقصر؟ قال: إن أفلت من محمد هذه المرة لم أفلت أبدًا. فقال له أبو بكر رضي الله عنه فأسلم. فأتى به رسول الله ﷺ فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ[2].

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ١٠٠. البيهقي: الدلائل ٤/ ١٩٣. القاضي عياض: الشفاء ١/ ٦٢٨.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٣٢.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني فزارة بوادي القرى:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه أميرًا أمّره رسول الله ﷺ فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر رضي الله عنه فعرسنا، ثم شن الغارة فورد الماء فقتل من قتل عليه فأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها ثياب قشع من أدم، معها ابنة لها من أحسن العرب. فسقتهم حتى أتيت أبا بكر. فنفلني أبو بكر ابنتها[1].

الخندق:

ويوم غزوة الأحزاب اضطر المسلمون إلى أن يصنعوا المعوقات أمام زحف الطغاة المشركين، فكان الاتفاق على حفر الخندق في أيام معدودات فتكاتفت الجهود وتضافرت الأيدي على إنجاز المهام. قال البراء رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ يحمل التراب على ظهره، حتى حال التراب بيني وبينه ﷺ. وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق. ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما، إذ لم يجدا مكاتل من العجلة، وكانا لا يفترقان في عمل، ولا مسير ولا منزل.

وكان رسول الله ﷺ من شدة اجتهاده في العمل يضرب مرة بالمعول ومرة يغرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب في المكتل، وبلغ منه التعب يومًا مبلغًا، فجلس ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر فنام: فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه ينحيان الناس عنه، أن يمروا به، فينبهوه، ثم استيقظ ووثب فقال: «**أفلا أفزعتموني!**» وأخذ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٢٥. مسلم: ك. الجهاد والبر، ح (١٧٥٥). الصالحي: سبل الهدى، ٦/ ٩٢.

الكرزن يضرب به ويقول: «**اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة**». وعمل المسلمون في الخندق حتى أحكموه في ستة أيام. وكان الخندق بسطة أو نحوها.

وعن حذيفة رضي الله عنه وقد ذكر مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. وفي لفظ: فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ لقاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: لا تتمنوا ذلك، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحًا منها، وفي أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ ويقولون ما ذكره الله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1] فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك، فاستقبلنا رسول الله ﷺ رجلًا رجلًا، يقول: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة**»، وفي لفظ: «**جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة**» فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ابعث حذيفة، فقلت: دونك والله، فمر علي رسول الله ﷺ وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطًا لامرأتي ما يجاوز ركبتي- أي لا درع ولا ثياب - قال: فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال: «**من هذا؟**» فقلت: حذيفة، قال رسول الله ﷺ: «**حذيفة**». فقال حذيفة: فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله، كراهية أن أقوم، قال: «**قم**»، فقمت، فقال: «**إنه كائن في القوم خبر، فأتني بخبر القوم**». فقلت: والذي بعثك بالحق، ما قمت إلا حياء منك من البرد. قال: «**لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي**». قال: وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرًّا، فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكن أخشى أن أوسر، فقال: «**إنك لن تؤسر**»، قال: فخرجت، فقال: «**اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته**». قال: فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي فزعًا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

ولا قرًّا إلا خرج، فما أجد فيه شيئًا، فمضيت كأنما أمشي في حمام. فجاءه رضي الله عنه بخبر القوم[1].

الحديبية:

خرج النبيّ ﷺ عام الحُدَيْبِية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحُليفة قلّد الهَدْي الذي ساقه معه وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خُزَاعة، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط[2] أتاه عينه قال: إن قريشًا قد جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: **«أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِي هؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»**. قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجّه له فمن صدّنا عنه قاتلناه. قال: **«امْضُوا عَلَى اسْمِ اللّهِ»**[3]. وروي أن قام ﷺ في المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: **«أما بعد، يا معشر المسلمين أشيروا علي؛ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم»**. وقال ﷺ: **«فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين وإن يأتونا تكن عنقًا** - وفي لفظ: **عينًا - قطعها الله؟ أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟»**. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم، يا رسول الله إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد، ونرى أن نمضي لوجهنا، فمن صدنا عن البيت قاتلناه، ووافقه على ذلك أسيد بن الحضير الأنصاري رضي الله عنه[4] فأقر النبي ﷺ ذلك. حتى إذا بلغ ثنية المُرار مهبط الحديبية من أسفل مكة بركت ناقته ﷺ فقال: **«حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدْعوني قريش اليوم إلى**

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٦٥، ابن كثير: تفسير سورة الأحزاب، ٣/ ٤٧٢.

(٢) غدير الأشطاط قريب من عسفان قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فغدير الأشطاط منها محل ... بعسفان منزل معلوم

(٣) البخاري بشرح فتح الباري: كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٧٩).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٥ / ٣٨.

خطة يسألوني منها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»[1]. وهناك تبادل الرسل مع قريش، فأتاه بديل بن ورقاء الخزاعي ومعه رجال من خزاعة فأخبرهم ﷺ أنه جاء معظمًا للبيت لا يريد حربًا فقام بديل بإبلاغ قريش ما سمعه من رسول الله ﷺ فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته. فقالوا: ائته. فلما أذنوا له قال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمّد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس، وقد سمعتُ بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسي. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه[2] فقال: يا محمد، تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على إعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، قد لبسوا جلود النمور، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم، وجعل يكلمه فقال له النبي نحوًا من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهًا وأرى أوشابًا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، فَرَدَّ عليه أبو بكر رضي الله عنه بما يسكته عن التشكيك بإخلاص أصحاب رسول الله ﷺ قائلًا بلغة يفهمها أهل الجاهلية تمامًا: امصص بظر اللات أنحن نفرُّ عنه ﷺ وندعه! قال عروة: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان عروة قد استعان في حمل دية فأعانه الرجل بالفريضتين والثلاث، وأعانه أبو بكر رضي الله عنه بعشر فرائض فكانت هذه يد أبي بكر عند عروة[3].

وفي قول الصديق رضي الله عنه لعروة: امصص بظر اللات دليل على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي أن يصرح لمن ادعى

(١) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ١٩٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٦٩.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/ ٢٩٢، الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٤٥.

دعوى الجاهلية بهن أبيه، ويقال له: اعضض أير أبيك ولا يكنى له، فلكل مقام مقال[1]. وقوله امصص: فعل أمر، والبظر: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم معروف لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه من نسبة المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك [2] ومعلوم أن عروة كان يقول ذلك من باب الحرب النفسية، وإلا فإن قوله لما رجع إلى قريش يدل على انبهاره بما شاهد وسمع من النظام والطاعة وحسن الصحبة وشدة التعظيم والمحبة لرسول الله من أصحابه رضي الله عنهم، وأنه لم يشاهد في مجالس كسرى المجوس وقيصر الصليبيين ما شاهده بين يدي رسول الله ﷺ من الهيبة والإجلال والتواضع والألفة والتلاحم، حتى قال: والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا فرَوْا رأيكم[3].

ثم استمرت الرسل بين قريش وبين رسول الله ﷺ والمسلمين حتى جاء سهيل بن عمرو أخو عامر بن لؤي فصالحه رسول الله ﷺ على شروط رأى المسلمون فيها إجحافًا بحقهم، ومنها قول سهيل: على ألّا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟! فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين. فقام إليه المسلمون يرحبون به ويهنئونه، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده. فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**». قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيء أبدًا. قال: «**فأجزه لي**». قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «**بلى فافعل**». قال: ما أنا بفاعل. فقال

---

(1) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٠٥.

(2) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٨٨. واليد: النعمة والإحسان. لم أجزك بها: لم أكافئك بها.

(3) تهذيب سيرة ابن هشام: ١٩٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٦٧.

مكرز وحويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذاه فأدخلاه فسطاطًا فأجازاه وكف عنه أبوه.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا! ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذابًا شديدًا، فرفع رسول الله ﷺ صوته وقال: «**يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا مع القوم صلحًا وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدًا، وإنا لا نغدر**». ومشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل، وقال له: اصبر واحتسب فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، وجعل عمر يدني قائم السيف منه. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال: فضن الرجل بأبيه[1].

قال عمر رضي الله عنه: فأتيت النبي فقلت: يا رسول الله، ألست نبي الله حقًّا؟ قال: «**بلى**». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**». فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا إذًا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال ﷺ: «**إني رسول الله وهو ناصري ولست أعصيه**». قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «**بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟**». قلت: لا. قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**». قال: فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله ورد علي أبو بكر كما رد علي رسول الله سواء وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا[2]. أي تكفيرًا لما حصل من موقف متشدد ضد المشركين بين يدي رسول الله ﷺ.

وقال رضي الله عنه: ما زلت أصوم وأتصدّق وأصلّي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلّمته يومئذٍ، حتى رجوت أن يكون خيرًا[3].

---

(١) ابن حنبل: المسند، ح (١٨٩٣٠)، الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٥٦. وينظر: البخاري بشرح فتح الباري: كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٨١).

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩٥، الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٥٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٧٣.

وقد تحدث أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيما بعد عن هذا الفتح العظيم الذي تم في الحديبية. فقال: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد ﷺ وربه، والعباد يعجلون، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائمًا عند المنحر يقرب إلى رسول الله بدنه، ورسول الله ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره، وأراه يضعه على عينه وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله، فحمدت الله أن هداه للإسلام[1].

من أسباب عدم ارتياح المسلمين لصلح الحديبية:

لقد أصاب المسلمين غم وحزن شديدان يوم الحديبية، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح المتساهل مع المشركين والرجوع دون الطواف حول البيت، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فزادهم أمر إرجاع أبي جندل إلى المشركين رغم استغاثته بإخوانه المؤمنين غمًّا على ما بهم من الغم، ونفذت القضية وشهد على الصلح رجال من المسلمين: أبو بكر وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان هو الذي كتب كتاب الصلح[2]. ومن المشركين مكرز بن حفص. فلما فرغ ﷺ من قضية الكتاب قال ﷺ: **«قوموا فانحروا ثم احلقوا»**. فما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه ﷺ فدخل على زوجه أم سلمة رضي الله عنها. فقال: **«هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا»** فقالت: يا رسول الله، لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح،

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٦٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٣٤٨.

يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدًا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فجلى الله عن الناس بأم سلمة فقام رسول الله ﷺ واضطبع[1] بثوبه، فخرج فأخذ الحربة ويمم هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعًا صوته: «**بسم الله، والله أكبر**» ونحر، فتواثب المسلمون إلى الهدي وازدحموا عليه ينحرونه حتى كاد بعضهم يقع على بعض، وأشرك رسول الله ﷺ بين أصحابه في الهدي، فنحر البدنة عن سبعة، وكان هدي رسول الله ﷺ سبعين بدنة، وكان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده المشركون رد وجوه البدن[2].

قال ابن عباس: لما صُدَّت البدن عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها[3] فنحر رسول الله ﷺ بدنه حيث حبسوه وهو في الحديبية، وشرد جمل أبي جهل من الهدي وهو يرعى، وقد قلد وأشعر. وكان نجيبًا مُهْرِيًّا، في رأسه برة من فضة، أهداه ﷺ ليغيظ بذلك المشركين، فمر من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدي الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه، قيل: ودفعوا فيه عدة نياق، فقال رسول الله ﷺ: «**لولا أن سميناه في الهدي فعلنا**»، ونحره عن سبعة، ونحر طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان بدنات ساقوها. وروى ابن سعد عن أبي سفيان عن جابر قال: نحر رسول الله ﷺ سبعين بدنة عام الحديبية، البدنة عن سبعة، وكنا يومئذ ألفًا وأربعمائة، ومن لم يضحِّ أكثر ممن ضحى. وبعث رسول الله ﷺ من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروة» مع رجل من أسلم، فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن دخل قبة له من أدم حمراء ودعا بخراش بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمرة خضراء،

(١) اضطبع: يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، ابن الأثير: النهاية، ٣/ ٧٣.

(٢) البخاري: ك. الشروط، باب الشروط والجهاد والمصالحة مع العدو، ح (٢٥٨١) أبو داود: ك. الجهاد، باب صلح العدو، (٢٧٥٦).

(٣) ابن حنبل: المسند، ح (٢٨٨٢)، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب عمرة الحديبية، ٤/ ١٥٢.

فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه، وأخذت أم عمارة المازنية طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ، وحلق بعض المسلمين وقصر بعض، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبته وهو يقول: «**رحم الله المحلقين**»، قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «**رحم الله المحلقين**» ثلاثًا. ثم قال: «**والمقصرين**»[1].

قال ابن عباس فقالوا: يا رسول الله، ما بال المحلقين ظاهرت عليهم الترحيم؟ قال: «**لأنهم لم يشكوا**»[2] وروي أن الله تعالى بعث ريحًا عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم، وأقام رسول الله ﷺ بالحديبية تسعة عشر يومًا، ويقال عشرين ليلة، وقيل: أقام رسول الله ﷺ في غزوته هذه شهرًا ونصفًا[3] والله أعلم.

صلح الحديبية أعظم الفتح:

ولما قفل رسول الله ﷺ راجعًا قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت وصد هدينا. ورد رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم. ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الأمان، ولقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله تعالى عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد؟؟ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم! أنسيتم يوم الأحزاب؟ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا!!**». فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥/٥٦، مسلم: ك. الحج، باب بيان استحباب الرمي، ح (١٣٠١)، البخاري: ك. الحج، باب من لبد رأسه وقت الإحرام، ح (١٦٤٠).

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/٥٧، فتح الباري: باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ٥/٣٤٨.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٥/٥٨.

ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا[1]. قال أنس رضي الله عنه: لما رجعنا من (الحديبية) قال رسول الله ﷺ: «**أنزلت علي ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعًا؛ قال تعالى:** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[2]، **وقوله تعالى:** ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾»[3].

وعن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية[4].

بنو المصطلق:

المصطلق اسمه جذيمة سمي المصطلق لحسن صوته، من الصلق شدة الصوت وحدته[5] وهم أحد بطون خزاعة، والمريسيع بئر لبني المصطلق بينه وبين المدينة حوالي تسعة مراحل، وهو من ناحية قديد إلى الشام[6] وعند المريسيع تهيأ الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق بقومه وبمن أطاعه من العرب لحرب المسلمين والسير إلى المدينة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه وهم على ماء لهم يقال له المريسيع، وكانوا حلفاء بني مدلج، فلما انتهى إليهم ضرب ﷺ قبته عند ذلك الماء ومعه الطاهرة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فتهيؤوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وراية

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٥٩، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب عمرة الحديبية، ٤/ ١٦٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٥، البخاري بشرح فتح الباري: كتاب: المغازي، باب، غزوة الحديبية، ح(٤١٧٢)، المستدرك، تفسير سورة الفتح، ح (٣٧١٣).

(٤) البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٥٠).

(٥) ابن دريد: الاشتقاق، ٤٧٧.

(٦) البكري: معجم ما استعجم، ٣/ ٩٤٣، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٦٦.

الأنصار إلى سعد بن عبادة، ثم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنادى في الناس أن قولوا: لا إله إلّا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد، وانهزم المشركون وقتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، وسبى رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد[1].

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: ولما كان من أمر عقدي ما كان أي من فقدانها إياه قال أهل الإفك ما قالوا، وخرجتُ مع النبي ﷺ في غزاة أخرى، فسقط أيضًا عقدي حتى حبس التماسه الناس ولقيت من أبي بكر ما شاء الله. وقال لي: يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء فأنزل الله الرخصة في التيمم فكان ذلك بركة على المسلمين[2].

ذات السلاسل:

ذات السلاسل من مشارف الشام في بليّ، وعبد اللّه ومن يليهم من قضاعة. وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ حين بلغ رسول الله أن جمعًا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة، فدعا رسول الله عمرو بن العاص، وذلك بعد إسلامه بسنة لعلمه بالحرب فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسًا وأمره أن يستعين بمن مر به من بلي وعذرة وبلقين، وبنو بلي أخوال العاص بن وائل، فسار الليل وكمن النهار، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل، وبه سمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل. فلما كان عليه وخاف من كثرة عدوّه بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٥٧، ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٨٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٨٨.

في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم وأمّر عليهم رسول الله ﷺ أبا عُبَيْدة بن الجرّاح، في مائتين وعقد له لواء، وكان عمرو يومئذ في سعد اللّه وتلك الناحية من قضاعة، فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمدّه بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددته، فلما رأى ذلك أبو عُبَيْدة رضي الله عنه قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «**إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا**». وإنك إن عصيتني لأطيعنك. فسلّم أبو عُبَيْدة رضي الله عنه الإمارة لعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بليّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألّفهم بذلك، ولما اجتمع أبو عبيدة وعمرو بن العاص صاروا خمسمائة، فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليّ ودوّخها، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع، فلما سمعوا بك تفرّقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وعُذْرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعًا ليس بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وتراموا بالنبل ساعة، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هربًا في البلاد، وتفرّقوا ودوّخ عمرو ما هناك، وأقام أيامًا لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويذبحون، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن (لهم) غنائم تقسم، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدًا إلى رسول الله فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم[1].

وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنت في غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها،

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/ ٣٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٦٧، الصالحي: سبل الهدى، ٦/ ١٦٨.

وكنت امرأً جازرًا، فقلت لهم: تعطوني منها عشرًا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءًا، فحملته إلى أصحابي فطبخناه وأكلناه، فقال أَبو بكر وعمر: أنّى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما منه، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجئته وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «**أَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟**» فقلت: نعم بأَبي أنت وأمي، فقال: «**صَاحِبُ الجَزُورِ؟**» ولم يزدني على ذلك شيئًا. وهو حديث معضل[1] - أي ساقط من سنده اثنان من الرواة.

وعن أَبي عثمان النهدي عبد الرَّحمن بن مل قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أَبو بكر وعمر، فحدّثت نفسي أنه لم يبعثني على أَبي بكر وعمر إلّا لمنزلة لي عنده، قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: «**عَائِشَةُ**» قلت: إني لست أسألك عن أهلك، قال: «**فَأَبُوهَا**» قلت: ثم من؟ قال: «**عُمَرُ**» قلت: ثم من؟ حتى عدد رهطًا قال: قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا. وهذا في **الصحيحين**. وفي رواية قال عمرو: فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم[2].

في سرية ذات السلاسل:

قال رافع بن عمرو الطائي رضي الله عنه: لما نزل المسلمون جبل طيئ، قال عمرو رضي الله عنه: انظروا إلى رجل دليل بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، قال رافع:

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ١٧١. إنما كره أبو بكر وعمر أجرة مجهولة لأن العشر واحد الأعشار على غير قياس ٦/ ١٧٣.

(٢) البخاري: ك. المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، ح (٤١٠٠)، مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٢٣٨٤)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٦٩.

فلما قضينا غزاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه توسمت أبا بكر رضي الله عنه، وكانت له عباءة فدكية، فإذا ركب خلها عليه بخلال وإذا نزل بسطها فأتيته فقلت: يا صاحب الخلال إني توسمتك من بين أصحابك فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطول عليَّ فأنسى. فقال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتصوم رمضان، وتحج البيت، هل حفظت؟ قلت: نعم. قال: وأخرى لا تؤمّرن على اثنين. قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المدر؟! فقال: يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك؛ إن الله عز وجل لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل لله فهداه الله، ومنهم من أكرهه السيف، فكلهم عواذ الله وجيرانه، وإن الرجل إذا كان أميرًا فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ عضلته غضبًا لجاره، والله من وراء جاره[1].

ومن هذه الوصية وغيرها من مواقف ومواعظ الصديق رضي الله عنه يتضح أنه لم يكن يفكر بالإمارة وما تجره على صاحبها من تبعات المسؤولية وحفظ الأمانة، ففضلًا عن زهده في الخلافة ووجله من أن يتحملها فإنه ينصح من يسأله النصح ألَّا يتحمل تبعات الإمارة أي إمارة كانت، كما نصح لرافع الطائي رضي الله عنه ولكن الصديق رضي الله عنه وكما أسلفنا لم يكن جامد الرؤية لا يغير في اجتهاداته التي تخدم الدين وتنفع المسلمين، بل إنه كان طاقات حيوية تتجدد لا هدف له سوى خدمة الأمة ونصرة السنة ورعاية الدين فلما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة تقدم مع زهده في الإمامة، ولما أشار ﷺ إلى أن موقعه رضي الله عنه هو في مكانه ﷺ إذا غاب ما كان منه إلا أن تجشم ذلك ولما أقحمه المسلمون مسؤولية الخلافة اقتحم فكان وحده المؤهل لذلك الموقع الذي وقف فيه إمامًا وقائدًا للأمة في موقع رسول الله ﷺ، فأثبت في كل ذلك أنه خليفة رسول الله الأجدر والأولى والأكفأ الذي لم

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٤٤٦٧)، مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٢).

يقبل النبي ﷺ أن يقف موقفه أحد من أصحابه ولم يكن يأذن لمن يمنعه خليفته ولا يرد من يأذن له صاحبه رضي الله عنه ليتأكد في كل ذلك أنه (ثاني اثنين) كما وصفه ربه وخالقه اللطيف الخبير جل وعلا. وليتضح لكل عاقل سفاهة من ينال منه رضي الله عنه في أمر من أمور الدين أو الدنيا، كما يتأكد جهل وبلادة من يصدق أو يعتقد أن فيمن ينال من الصديق رضي الله عنه ذرة من الخير أو الدين، أو أن من ينال منه ليس زنديقًا رافضًا للكتاب والسنة حاقدًا على حملة القرآن وحماة السنة حربًا على كل فضيلة، داعية لكل رذيلة وعونًا لكل معتد وظالم أثيم.

* * *

فتح مكة

نقض قريش شروط صلح الحديبية:

في فتح مكة أكرم الله عز وجل رسوله ﷺ وأقر عينه بها، وجعلها علمًا ظاهرًا على إعلاء كلمته وإكمال دينه والاعتناء بنصرته.

وكان السبب المباشر لذلك الفتح هو نقض قريش لصلح الحديبية الشهير، وذلك لما دخلت قبيلة خزاعة عقد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وضربت المدة إلى عشر سنين أمن الناس بعضهم بعضًا، ومضى من المدة سنة ومن الثانية نحو تسعة أشهر، فلم تكمل حتى عدا نوفل بن معاوية الديلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة فبيتوا خزاعة على ماء لهم يقال له: الوتير، فاقتتلوا هناك بأحقاد كانت لبني بكر على خزاعة من أيام الجاهلية، فأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسلاح، وساعدهم بعضهم بنفسه خفية، وفرت خزاعة إلى الحرم فاتبعهم بنو بكر إليه وقتلوا من خزاعة رجلًا يقال له: منبه، وتحصنت خزاعة في دور مكة فدخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ودار مولى لهم يقال له: رافع، فانتقض عهد قريش مع رسول الله ﷺ بذلك الموقف مع بني بكر.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي وبديل بن ورقاء الخزاعي وقوم من خزاعة حتى أتوا رسول الله ﷺ فأعلموه بما كان من قريش واستنصروه عليهم، فأجابهم ﷺ وبشرهم بالنصر وأنذرهم أن أبا سفيان سيقدم عليهم مؤكدًا العقد وأنه ﷺ سيرده بغير حاجة. فكان ذلك[1].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٤.

خروج أبي سفيان إلى المدينة لتوثيق الصلح وإخفاقه:

تحقق ما أشار إليه النبي ﷺ، وذلك أن قريشًا ندموا على ما كان منهم، فبعثوا أبا سفيان ليشد العقد الذي بينهم وبين محمد ﷺ ويزيد في الأجل، فخرج، فلما كان بعُسفان لقي بديل بن ورقاء وهو راجع من المدينة، فكتمه بديل ما كان من رسول الله ﷺ وذهب أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، فذهب ليقعد على فراش رسول الله ﷺ فمنعته، وقالت: إنك رجل مشرك نجس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[1]. فقال: والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر. ثم جاء رسول الله ﷺ فعرض عليه ما جاء له، فلم يجبه ﷺ بكلمة واحدة[2].

وروي أن أبا سفيان تخوّف الذي كان، فقال: يا محمّد، اشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: «**وَلِذَلِكَ قَدِمْتَ؟ هَلْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ قِبَلَكُمْ؟**» فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدّل، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى إلى أبي بكر رضي الله عنه فطلب منه أن يكلم رسول الله ﷺ فأبى عليه. ثم جاء إلى عمر رضي الله عنه فأغلظ له، وقال: أنا أفعل ذلك؟! والله لو لم أجد إلا الذر لقاتلتكم به. وجاء عليًّا رضي الله عنه فلم يفعل، وطلب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أن تأمر ولدها الحسن أن يجير بين الناس، فقالت: ما بلغ بني ذلك، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ. فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يقوم هو فيجير بين الناس، ففعل. ورجع إلى مكة فأعلمهم بما كان منه ومنهم[3].

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدًا فكلمته، فوالله ما رد عليَّ شيئًا، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيرًا، ثم جئت ابن الخطاب، فوجدته أعدى العدو. ثم

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢)، (٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٤.

جئت عليًّا فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئًا أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك[1].

قرار رسول الله ﷺ بفتح مكة:

وبعد أن رجع أبو سفيان إلى مكة خرج رسول الله ﷺ من بعض حجره الشريفة فجلس عند بابها، وكان إذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه، فقال: «**ادع لي أبا بكر**» فجاء فجلس أبو بكر رضي الله عنه بين يديه، فناجاه طويلًا، ثم أمره فجلس عن يمينه، ثم قال: «**ادع لي عمر**» فجاء فجلس إلى أبي بكر فناجاه طويلًا، فرفع عمر صوته فقال: يا رسول الله هم رأس الكفر، هم الذين زعموا أنك ساحر، وأنك كاهن، وأنك كذاب، وأنك مفترٍ. ولم يدع عمر شيئًا، مما كان أهل مكة يقولونه إلا ذكره، فأمره أن يجلس إلى الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثم دعا الناس فقال: «**ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين؟**» فقالوا: نعم يا رسول الله، فأقبل بوجهه إلى أبي بكر فقال: «**إن إبراهيم كان ألين في الله تعالى من الدهن اللين**»، ثم أقبل على عمر، فقال: «**إن نوحًا كان أشد في الله من الحجر، وإن الأمر أمر عمر، فتجهزوا وتعاونوا**»، فتبعوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: يا أبا بكر، إنا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ، قال: قال لي: «**كيف تأمرني في غزو مكة؟**» قال: قلت: يا رسول الله، هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيعني، ثم دعا عمر بن الخطاب. فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه، وايم الله، وايم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة، وقد أمركم بالجهاد ليغزو مكة ﷺ[2].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٤٤.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف، ١٤/٥٠٦، ابن حنبل: المسند، ٣/٣٩٨، الصالحي: سبل الهدى، ٥/٢٠٨.

جهاز رسول الله إلى مكة:

مكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز، وأمر الطاهرة عائشة رضي الله عنها أن تجهّزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أَبو بكر رضي الله عنه على الطاهرة عائشة رضي الله عنها فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها: يا بُنية لِمَ تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت، فقال: يريد بني الأصفر - وهم الروم - «فذكر من ذلك أمرًا فيه منهم بعض المكروه في ذلك الزمان»؟ فصمتت، قال: فلعله يريد أهل نجد «فذكر منهم نحوًا من ذلك» فصمتت رضي الله عنها. قال: فلعله يريد قريشًا؟ فصمتت رضي الله عنها. قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجًا؟ قال ﷺ: «**نَعَمْ**» قال أبو بكر رضي الله عنه: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال ﷺ: «**لَا**» قال: أتريد أهل نجد؟ قال: «**لَا**»، قال: فلعلك تريد قريشًا؟ قال: «**نَعَمْ**» قال أَبو بكر: يا رسول الله، أليس بينك وبينهم مدّة؟ قال: «**أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا صَنَعُوا بِبَنِي كَعْبٍ؟**» قال: وأذّن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو[1].

وأمر ﷺ بحفظ الطرق ودعا بألَّا تعلم قريش بمسيره، وقال ﷺ: «**اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة**»[2] وأمر رسول الله ﷺ جماعة أن تقيم بالأنقاب - أي مداخل المدينة - وكان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب، فيمر بهم فيقول: لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه، وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه[3].

المنام الذي رآه أبو بكر الصديق في فتح مكة رضي الله عنه:

عن ابن شهاب رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أراني في المنام

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٦، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٠٩.
(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٧٩٦، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٠٩.
(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٠٩.

وأراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهر، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها، فإذا هي تشخب لبنًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب كَلَبهم وأقبل درهم، وهم سيأوون بأرحامهم وإنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه**»(١). وهذا ما يؤكد أن أمر قريش كان يأخذ من المسلمين مجالات واسعة من التفكر والتدبر في كيفية تحطيم الشرك الذي يعشش حول الكعبة، وكيفية إنهاء ذلك الوجود اللا شرعي في تلك البقاع الطاهرة، مع الحرص على كسب قريش إلى جانب المسلمين دون استباحة معقلهم المقدس عند المسلمين، وضرورة مراعاة جوار بيت الله الحرام، وهذا ما حصل في صفحات فتح مكة حيث كان العفو والصفح والتسامح هو عنوان صفحة الفتح.

حبس أبي سفيان ليرى جيش المؤمنين:

ولما ولّى أبو سفيان، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق؟ فلما ذهب لينصرف، قال رسول الله ﷺ للعباس: «**احبسه بمضيق الوادي**». فأدركه العباس رضي الله عنه فحبسه، فقال أبو سفيان: أغدرًا يا بني هاشم؟ فقال العباس: إن أهل النبوة لا يغدرون، ولكن أصبِح حتى تنظر جنود الله، وإلى ما أعد الله للمشركين، فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا(٢).

دخول مكة:

ولما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل (بالخُمُر) فتبسّم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ قَالَ حَسَّانُ؟**» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه قول حسان رضي الله عنه:

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢١٨، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب فتح مكة، ٥/ ٤١، ابن عساكر: ٢٣/ ٤٥٢.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٣٥.

عَدِمَتْ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَروهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كنفَي كُدَاء
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُسْرَجَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ[1]

فقال رسول الله ﷺ: «**ادْخُلُوهَا مِنْ حَيْثُ قَالَ حَسَّانُ**» ولما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى يعد كتائبه لدخول مكة، وقف أبو قحافة ومعه ابنة له من أصغر ولده على جبل أبي قبيس يرقب حركة الفاتحين، فلما باشر المسلمون الحركة من ذي طوى باتجاه مكة، انحطت به الصغيرة إلى بيته، فتلقته الخيلُ قبل أن يصل إلى بيته، وكان في عنقها طوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها. فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟**» تكرمة لأبي بكر رضي الله عنه، قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. فأجلسه ﷺ بين يديه ثم مسح صدره ثم قال: «**أسلم**». فأسلم، قالت: ودخل به أبو بكر رضي الله عنه وكان رأسه كالثغامة بياضًا فقال رسول الله ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ**» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؟ فلم يُجبه أحد. فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل. يعني به الصدِّيق رضي الله عنه ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس، ولعل الذي أخذه تأول أنه إنما أخذه من حربي. والله أعلم.

وروى البيهقي أن عمر رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبيَّ ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال: «**غيِّروا هذا وجنبوه السَّوَاد**»[2] هو أول مخضوب في الإسلام وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر بإسلام أبيه[3].

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٥٠): في هذا البيت إقواء مخالف لباقيها، وفي بعض النسخ: (غايتها كداء)، وفي بعضها: (موعدها كداء).

(٢) الصنعاني: المصنف، صباغ ونتف الشعر، ح (٢٠١٧٩). الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٢٣٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٦. المستدرك: ك. معرفة الصحابة (٥٠٦٨)، البيهقي: دلائل النبوة، فتح مكة ٥/ ٩٦.

دخوله ﷺ المسجد الحرام وطوافه به:

ثم مكث رسول الله ﷺ في منزله ساعة من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدنيت إلى باب قبته، وعاد للبس السلاح والمغفر على رأسه، وقد حف الناس به، فركب راحلته والخيل تمعج بين الخندمة إلى الحجون، ومر رسول الله ﷺ وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسير معه يحادثه، فلما انتهى ﷺ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدم على راحلته، واستلم الركن بمحجنه وكبر، فكبر المسلمون بتكبيره، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرًا حتى جعل رسول الله ﷺ يشير إليهم أن اسكتوا، والمشركون فوق الجبال ينظرون وطاف رسول الله ﷺ بالبيت، آخذًا بزمام الناقة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه فأقبل على الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت.

ولما دخل مكة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا مرصعة بالرصاص، وكان هبل أعظمها وهو وجاه الكعبة، وإساف ونايلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، وفي يد رسول الله ﷺ قوس وقد أخذ بسية القوس، فجعل رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها يشير إليه ويطعن في عينه ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1] فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. وفي لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوم الفتح قاعدًا، وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأس رسول الله ﷺ بالسيف[2].

وبفتح مكة أزيلت أكبر عقبة أمام انسياح الإسلام في جزيرة العرب، وطويت صفحة من صفحات الصبر والجهاد والتفاني لنصرة الإسلام ورسوله ﷺ، كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها القدح المعلى واليد الطولى والسبق الأكبر، حتى شهد له كتاب الله تعالى بأنه (ثاني اثنين) وبعد أن طويت هذه الصفحة الخالدة بقوله ﷺ: **«لا هجرة بعد فتح**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٣٥.

مكة»(١) كتب على غلافها بأقلام العرفان ومداد الذهب أن أهلها الذين سطروا فصولها هم السابقون السابقون وأنهم هم سادة أهل الإسلام وخلفاء الأنبياء، وأن من جاء من بعدهم تبع لهم في الخير والهدى، وأن أبا بكر رضي الله عنه هو علم تلك الصفحة وعنوانها وسيد أهلها بعد رسول الله ﷺ، لا يماري في ذلك إلا هالك ضال رافض لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

واتضح في كل مفردات تلك الصفحة أن أبا بكر رضي الله عنه لم يفارق صاحبه رسول الله ﷺ في حل ولا ترحال، ولا سلم ولا حرب، وكان الوفي الشفيق الأنيس الذي لا يُستغنى عنه في مشهد من المشاهد، وكل أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كذلك على منازلهم ومراتبهم رضي الله عنهم.

حُنين:

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من شأن الفتح في مكة نهض إلى جحافل المشركين من هوازن وثقيف التي تجمعت في وادي حنين وهو وادٍ حدور من أودية تهامة. وقد كمنت لهم هوازن فيه، وذلك في عماية الصبح، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد قبل أن تنجلي ظلمة الليل، برمي كثيف أفقد الكثير منهم توازنه فلم يعد يعرف موقفه وكان فيهم كثير من الأعراب وحديثي العهد بالإسلام من أهل مكة ومن حولها، فتراجع كثير منهم مما أحدث فوضى في صفوف المسلمين حتى أفرد رسول الله ﷺ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار كان في مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رضي الله عنهم ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة(٢).

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٣)، وذلك أن بعضهم

(١) ينظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٥/ ١٠، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٧٤.
(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٣٠، ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٩٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

قال: لن نغلب اليوم من قلة[1].

عن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة. فنظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلًا من المشركين وآخر من المشركين يختله فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل علي فضمني ضمة، وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجل، ثم رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: «**من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه**» فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله. فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله، فقال: «**ما لك يا أبا قتادة؟**» فأخبرته. فقال رجل: صدق سلبه عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: لا ها الله إذًا، لا تعمد إلى أَسَد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه! فقال النبي ﷺ: «**صدق فأعطه**» فأعطانيه، فابتعت به مخرفًا في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام[2].

وروى البخاري أيضًا أن أبا بكر رضي الله عنه قال: كلا، لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إليّ[3]. وروي أن أبا قتادة قال: لحقت عمر رضي الله عنه في الناس الذين لم يهزموا، وذكر تتمة الحديث. وروي أيضًا أن عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري رضي الله عنه شهد له[4].

قال العلماء: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا هذا لكفى فإنه بثاقب علمه، وشدة صرامته، وقوة إنصافه، وصحة توفيقه، وصدق تحقيقه بادر إلى القول

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ٢٠٤.

(٢) البخاري: ك: المغازي، باب قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. ح (٤٣٢١)، ابن القيم: زاد المعاد ٣ / ٤٩٢.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، رقم (٤٣٢٢).

(٤) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٣٠.

بالحق، فزجر، وأفتى، وحكم، وأمضى، وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ﷺ وبما صدقه فيه وأجراه على قوله رضي الله عنه [١].

وبعد انتهاء مطاردة فلول المشركين حول وادي حنين قسم رسول الله ﷺ الغنائم فكانت كثيرة فأعطى كثيرًا من سادة القبائل حديثي العهد بالإسلام مائة من الإبل وأعطى العباس بن مرداس السلمي أقل من أقرانه عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس، فقال العباس يعاتب رسول الله ﷺ:

فأصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فدعاه وقال: «**أنت القائل فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟**» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك، وما أنت براوية. قال: «**فكيف قال؟**» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «**اقطعوا عني لسانه**» ففزع منها ناس، وقالوا: أمر رسول الله ﷺ بالعباس بن مرداس أن يمثل به، وإنما أراد رسول الله ﷺ بقوله: «**اقطعوا عني لسانه**» أي يقطعوه بالعطية من الشاء والغنم ففعلوا ذلك ورضي [٢].

الطائف:

ولما انتهى رسول الله ﷺ من غزوة حنين لاحق فلول المشركين حتى حاصرهم في حصن الطائف، وروي أنه ﷺ رأى منامًا استدل منه على عدم فتح الطائف حينئذ فأذن ﷺ

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٩، ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٤٦٩، ٤٩٢.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٩٩.

بالرجوع فاشتد الرجوع على الناس قبل فتح الطائف، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبدًا فنقرها ديك، فهراق ما فيها**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا لا أرى ذلك**» فرحل المسلمون عن الطائف قبل فتحها وبعد ذلك علم أهل الطائف أن لا طاقة لهم بالمسلمين فأرسلوا وفدهم يبايع رسول الله ﷺ على الإسلام، وكل ذلك جرى في سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية المباركة[1].

في تبوك:

وكانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة[2] وفيها كانت الراية العظمى في يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت سوداء[3] وذلك في أكبر جيش يجمعه رسول الله ﷺ ويقوده في حياته.

وفي غزوة تبوك حث رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الإنفاق بسبب بعدها وكثرة العدو وقوة شوكته وغنى إمداداته على كل الصعد، وفي تلك الغزوة وعد ﷺ المنفقين بالأجر العظيم من الله فأنفق في هذه الغزوة الصحابة رضي الله عنهم الكثير الكثير، وكان عثمان رضي الله عنه من أكثر الناس نفقة في سبيل الله تعالى في تلك الغزوة، وأنفق عمر رضي الله عنه نصف ماله، وأنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ما يملك في سبيل الله[4].

وكان أبو بكر في غزوة تبوك كما هو في كل المشاهد في سيرة رسول الله ﷺ وزيرًا ومشيرًا وأنيسًا، فلا يذكر موقف إلا وأبو بكر بين يدي رسول الله ﷺ، عن عبد الله بن

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٨٧، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٣٠.

(٢) ينظر: الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٦٤.

(٣) الطبري: تاريخ ٢/ ١٣٧.

(٤) الصلابي: أبو بكر الصديق، ٨٦.

مسعود قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فتبعتها أنظر إليها، قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد اللّه ذو البِجَادين رضي الله عنهم قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأَبو بكر وعمر يدليانه إليه، وإذا هو يقول ﷺ: «**أدنيا إليّ أخاكما**» فدلّياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: «**اللّهمّ إني قد أمسيت راضيًا عنه فارض عنه**» قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. قال ابن هشام: إنما سمي ذا البِجَادين؛ لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيّقوا عليه حتى خرج من بينهم، وليس عليه إِلّا بجاد، وهو الكساء الغليظ، فشقّه باثنين فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ مهاجرًا فسمي ذا البجادين[1].

وفي بعض مراحل طريق تبوك ضاقت السبل بالمسلمين؛ لندرة الماء وشحته في ذلك الصيف اللاهب، فكان المبادر لتفريج تلك الكربة وري ظمأ المؤمنين هو الصديق رضي الله عنه بما يعلمه من أخلاق صاحبه ﷺ وأفضل أوقات تقديم المطالب إليه، ولما رأى صبر المؤمنين على كل لأواء تلك الغزوة التي تمثل فيها صراع الإرادات، وقهر الرغبات، وتجلية جميع الطاقات في سبيل الله تعالى، وقد شاهد الصدّيق رضي الله عنه نجاح الصحابة رضي الله عنهم في كل ذلك وما هم عليه من الصبر والتسليم لما هم فيه من العطش والتعب بين يدي رسول الله ﷺ فما كان منه إلا أن بادر رسول الله ﷺ يطلب منه الدعاء للمسلمين، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلًا وأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا، فادع الله قال: «**أتحب ذلك؟**» قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى قالت السماء - أي: تهيأت لإنزال مائها - فأطلت - أي أنزلت مطرًا خفيفا - ثم سكبت فملؤوا ما

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٨، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٠١.

معهم ثم ذهبنا فلم نجدها جاوزت العسكر[1] وبذلك الموقف من خليفة رسول الله فرج الله الكرب وأزال الهم وروى الظمأ وأعاد الحيوية والنشاط إلى قلوب المؤمنين الذين أثلج صدورهم ما شاهدوه بأعينهم من رعاية الله لنبيه ﷺ وسرعة إجابته لما يريد ﷺ.

دومة الجندل:

ومن النشاطات التي قام بها المسلمون أيام تبوك فتح دومة الجندل[2] وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل، وخالد بن الوليد على الأعراب في تلك الغزوة. والله أعلم[3]. وروي أنّ رسول الله ﷺ بعث خالدًا رضي الله عنه في أربعمائة وعشرين فارسًا فتمكنوا من أسر ملك دومة الجندل أكيدر بن عبد الملك الكندي وكان نصرانيًّا فقدم به خالد إلى المدينة على رسول الله ﷺ فصالحه وقدم الجزية للمسلمين[4].

فيتضح في هذه الجولة مع مشاهد رسول الله ﷺ أن خليفته الصديق رضي الله عنه كان في القمة من كل موقف من مواقف التضحية والبذل والصبر والسهر والشورى والقيادة والجندية لا يذكر رسول الله ﷺ إلا وخليفته بين يديه مقرونًا مع اسمه ﷺ فلا يكاد القارئ الحصيف يمر به النظر على موقف من مواقف السيرة النبوية المباركة إلا ويجد لخليفة رسول الله ﷺ مشاركة أساسية في ذلك الموقف وعلى الصعد كافة، ليتحقق لكل مؤمن ذلك الدور الفاعل لهذا العملاق الذي تمكن بتوفيق الله تعالى وبما تعلمه من رسول الله ﷺ من فنون القيادة والريادة والسيادة والشجاعة ولما استقاه من علوم النبوة وخصوصياتها؛ أن يملأ الفراغ الذي

---

(١) ابن حبان كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، رقم ١٧٠٧، ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٣٥.

(٢) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة، ودومة من القريات من وادي القرى، والقريات هي: دومة وسكاكة وذو القارة، وسميت دومة الجندل؛ لأن لها حصنًا مبنيًّا من الجندل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٣٢٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ١٨.

(٤) الواقدي: المغازي، ١٠٢٥، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢١٢.

تركه غياب رسول الله ﷺ، ذلك الفراغ الذي زاغت له قلوب كثير من الناس وأبصارهم، حتى قام خليفة رسول الله بتقويم كل معوج، وتسديد كل تائه، فعاد بالأمة إلى منهج صفيه ونبيه ﷺ والأثر في كل ما قام به الصديق رضي الله عنه ظاهر؛ لتربية رسول الله ﷺ الذي أعده وهيأه وأشار إليه وقدمه ليعلم كل مؤمن أن خلافة النبوة لم تأت من فراغ، وأن كل من يجترئ عليها بقول أو فعل أو بهتان إنما هو حرب على الله ورسوله ﷺ لا يوثق به ولا يؤتمن جانبه، وأن أشد الناس عداوة لسنة رسول الله ولكتاب الله هم الرافضة مبغضو خليفة رسول الله الذين لا زالوا يعملون على تضليل الأمة وهدم عقيدتها وتفكيك وحدتها التي حافظ عليها ورعاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بما وهبه الله تعالى من إيمان ويقين وشجاعة وعلم وإخلاص وهبه وسخره لخدمة الدين والأمة في كل مراحل حياته، التي تفجرت من جنباتها ينابيع العطاء، وأينعت ثمار الإيمان والصبر والإخلاص، الذي كان يمثل سلوك خليفة رسول الله رضي الله عنه.

* * *

الوفود

وفد ثقيف:

كانت ثمرة جهاد رسول الله ﷺ وصبره وعلمه، انقياد العرب له بإرسالهم الوفود إليه ﷺ يحاورونه ويسألونه ويعلنون إسلامهم بين يديه، وقد كان أعضاء تلك الوفود يتكونون من وجهاء أقوامهم وقادتهم وعلمائهم.

وقدم وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ وفيهم كنانة بن عبد ياليل بن عمر بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان. وعثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة. فخرج بهم عبد ياليل إلى المدينة، فلما دنوا من المدينة ونزلوا- واديًا - قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة. فاشتد ليبشر بهم النبي ﷺ فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه. فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم(١).

وكان كنانة بن عبد ياليل هو رأسهم يومئذ وعثمان بن أبي العاص هو أصغر الوفد فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله، أنزل قومي علي فأكرمهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أمنعك أن تكرم قومك ولكن أنزلهم حيث يسمعون القرآن**». وأنزل رسول الله ﷺ وفد ثقيف في المسجد وبنى لهم خيامًا لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلَّوا.

وكانوا يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص رضي الله

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٦/ ٢٩٦.

عنه على رحالهم لأنه أصغرهم فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهاجرة؛ عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن فاختلف إليه عثمان مرارًا حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا عمد إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأحبه فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا[(١)].

وفد جرش:

كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان وينظران فبينا هما عند رسول الله عشية بعد العصر إذ قال رسول الله بأي بلاد الله- جبل - شكر فقال الجرشيان: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كشر وكذلك تسميه أهل جرش. فقال: «**إنه ليس بكشر ولكنه شكر**». قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ فقال: «**إن بدن الله لتنحر عنده الآن**». قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان فقالا لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك فقال: «**اللهم ارفع عنهم**» فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم[(٢)].

وفد تجيب:

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب وهم من قبيلة السكون ثلاثة عشر رجلًا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر رسول الله ﷺ بهم، وأكرم منزلهم، وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله في أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ردوها فاقسموها**

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣/ ٥٩٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٦٢١.

على فقرائكم»، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من تجيب، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرًا شرح صدره للإيمان**»، وسألوا رسول الله أشياء فكتب لهم بها وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله ﷺ بهم رغبة، وأمر بلالًا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أيامًا ولم يطلبوا اللبث فقيل لهم: ما يعجبكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما رد علينا ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه[1].

فأرسل إليهم بلالًا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود، قال: «**هل بقي منكم أحد**»؟ قالوا: نعم، غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنًّا. قال: «**أرسلوه إلينا**». فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه، فإنا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه. فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني امرؤ من بني أبزى من الرهط الذين أتوك آنفًا فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتي يا رسول الله، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قدموا راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإني والله ما أعملني- من إعمال الإبل وسيرها - من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غناي في قلبي. فقال رسول الله ﷺ وأقبل إلى الغلام: «**اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه**» ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافَوْا رسول الله في الموسم بمنى سنة عشر فقالوا: نحن بنو أبزى. فقال رسول الله: «**ما فعل الغلام الذي أتاني معكم**»؟ قالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها، فقال رسول الله: «**الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعًا**» فقال رجل منهم: أو ليس يموت الرجل جميعًا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تشعب**

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٥٠.

أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك» قالوا: فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب رضي الله عنه إلى زياد بن لبيد البياضي الأنصاري يوصيه به خيرًا وزياد رضي الله عنه هو القائد الأمير الكبير صاحب رسول الله ﷺ الذي قهر عتاة الرافضة المرتدين الذين تمردوا على خلافة النبوة في بلاد اليمن[1].

وفد بني تميم:

ولما قدم ركب بني تميم إلى النبيّ ﷺ ورفعوا أصواتهم ينادون رسول الله ﷺ ويدعون المسلمين إلى المفاخرة، ففاخرهم حسان عن المسلمين بشعره، وثابت بن قيس بن الشماس بخطابته، فأسكت شاعر المسلمين شاعرهم، وخطيب المسلمين خطيبهم، وأسقط في أيديهم فأسلموا. ونزل ما يشير إلى جلافة ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2] ولما أسلموا قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أمّر عليهم القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلَّا خلافي فقال عمر: ما أردت خلافك، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] يُعلمُ المؤمنين ويرشدهم إلى أسمى الأخلاق وألطف وسائل الحوار بين يدي رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٥١، الصالحي سبل الهدى، ٦/ ٢٨٥، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٣.

فكان الصديق رضي الله عنه بعد هذه الآية يقول: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار[1].

وفد الداريين:

قدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر منهم تميم ونعيم ابنا أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جبلة، وأبو هند والطيب ابنا ذر، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز، ومرة ابنا مالك بن سواد بن جذيمة. فأسلموا، وسمى رسول الله ﷺ الطيب: عبد الله، وسمى عزيزًا: عبد الرحمن. وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ أفراسًا وقباء مخوصًا بالذهب، فقبل الأفراس والقباء، وأعطاه العباس بن عبد المطلب. فقال: ما أصنع به؟ قال: «**انتزع الذهب فتحليه نساءك أو تستنفقه ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه**». فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم. وقال تميم: لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحداهما: حبرى. والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال ﷺ: «**فهما لك**» فلما قام أبو بكر رضي الله عنه بأمر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أعطاه ذلك وكتب له به كتابًا[2].

فيتبين من كل ما سبق أن خليفة رسول الله ﷺ كان كتلة من الطاقات الخيرة المتجددة المتحركة فلا تحل في مكان إلا وصنعت فيه خيرًا؛ فمن مشارك في القتال أو مخطط في القيادة أو مشير أو آمر أو ناه بين يدي رسول الله ﷺ وبما يسد عن مباشرة رسول الله ﷺ لكثير من الأعمال، حيث كان يبادر هو رضي الله عنه بها لفهمه وسبقه وعلمه بمقاصد رسول الله ﷺ ومراميه التربوية والاجتماعية والاقتصادية، وفي كل ما يخص الأعمال السياسية والعسكرية

---

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٥٦، البداية والنهاية: ٥/ ٤١. البخاري: ك. الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع.

(2) الصالحي: سبل الهدى، ٦/ ٣٣٤.

وما ينفع المسلمين وينصر الدين ويعز السنة وأهلها، وكذلك هو مع الوفود ووجوه الأمة فإنه كان إما مستقبلًا أو معرّفًا أو مبشرًا أو معلمًا أو مضيّفًا أو مشاركًا في صناعة كل ما يقره رسول الله ﷺ ويسهم في مصلحة المسلمين، أو يرد ما ينافي ذلك مع وفود القبائل ووجوه الناس الذين أخذوا يؤمون المدينة النبوية إلى رسول الله ﷺ مما صنع منه رضي الله عنه رجل الأمة علميًّا وسياسيًّا وعسكريًّا وولّد لديه القدرة على مواجهة أعتى وأشد الحالات صعوبة وخطورة، كما حصل يوم وفاة رسول الله ﷺ مما أعده لقيادة الأمة على أكمل وجه وأتمه وأحسنه، وأسهم إسهامًا مباشرًا في توليد قدراته وفقهه للأحداث التي جرت بعد وفاة النبي ﷺ مما أعطى دروسًا وأثمر تجارب لكل من يزعم أنه من أهل القرآن والسنة، أن هذا الدين إنما يقوده المؤمنون المخلصون الذين يملأ قلوبهم حب السنة النبوية وأهلها، وتتفجر جنبات عقولهم وسواعدهم غيرة عليهم واستعدادًا كاملًا للتضحية من أجلهم، لا يخدعهم خَب يلبس ثوب المؤمنين ويحمل قلوب المجوس والوثنيين، ولا يخيفهم جمع يتآمر على الدين، ويعمل على تزييف هدي رسول رب العالمين ﷺ؛ لما يستثيرونه من حمية في قلوب المؤمنين، ويزرعون من عزة في صدور المصلين، ويصلون من روابط بين جميع طبقات مجتمعات الموحدين، ويغرسون من علوم التوحيد في عقول النشء الصالحين، فيصدون بوحدة هؤلاء المتقين جميع موجات المكر والغزو والإفك التي يؤزها الحاقدون، ويوقدها أعداء النبوة والسنة المنافقون.

فهذه هي قيادة خليفة رسول الله؛ لا تخبو أنوارها، ولا يهدأ بالها ما لم تكن السنة المطهرة فوق كل شيء، فهي التي تقود الأمة، وعلى جنباتها يقف حراس العقيدة، وفي طريقها يسير المؤمنون فينشرون التوحيد والعدل والأمن والسلم في ربوع العالمين، وهذا هو شأنهم وقدرهم على مر العصور والسنين.

حج الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع من الهجرة:

مثلما قاد خليفة رسول الله المؤمنين في مواطن الجهاد ومواقع العطاء ومجالس العلم

ونوادي الحوار وتعرية الباطل، كذلك قادهم رضي الله عنه في مواطن الإيمان بالغيب، والتصديق، والطاعة، والعبادة فها هو ينوب عن صاحبه ﷺ وبأمره في قيادة الأمة إلى رحاب الحرم المكي الذي أخرجوا منه لا لشيء إلا لأنهم يقولون ربنا الله تعالى، يقودهم رضي الله عنه وما زال الحرم يعج بجموع المشركين وعتاة الجاهلية التي وهن بنيانها تحت ضربات المجاهدين بقيادة رسول الله ﷺ ومؤتمنه على الأمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأعلن المفاصلة مع الجاهلية كما جاء ذلك في آيات سورة التوبة والبراءة من المشركين، ونجح في أداء المناسك وتبليغ رسالة رسول الله ﷺ على الوجه الذي أراده وأمر به ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: استعمل النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على الحج في أول حجة كانت في الإسلام، ثم حج رسول الله ﷺ السنة المقبلة، فلما قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه استعمل على الحج عمر رضي الله عنه ثم حج أبو بكر رضي الله عنه من قابل فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه استعمل على الحج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم لم يزل عمر رضي الله عنه يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان رضي الله عنه فاستعمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على الحج[1].

وفي سنة تسع من الهجرة بعد مقدمه من تبوك أقام رسول الله ﷺ بقية رمضان وشوالًا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم.

فخرج أبو بكر رضي الله عنه والمؤمنون في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده ﷺ عليها ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه وساق أبو بكر خمس بدنات.

فنزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا

---

(١) البلاذري: الشيخان، ٣١. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢١٦.

عليه، بعد أن غادر أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من الحجاج مدينة الرسول ﷺ فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، فلما كان بالعرج[1] وقيل بضجنان[2] لحقه علي رضي الله عنه على العضباء فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ قال: لا، بل مأمور. ثم مضيا. وقال ابن سعد فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أستعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس، وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده.

فأقام أبو بكر رضي الله عنه للناس حجهم حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس عند الجمرة بالذي أمره رسول الله ﷺ ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وقال: أيها الناس، لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته.

وعن زيد بن يثيع قال: سألنا عليًّا رضي الله عنه بأي شيء بعثت في ذي الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف النبي أبا بكر بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأمره أن يؤذن ببراءة قال فأذن معنا

---

(١) العرج: قرية جامعة من نواحي الطائف، وهي أول تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلًا، وهي في بلاد هذيل، قال أبو ذؤيب:

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ... هوازن تحدوها حماة بطارق

ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٣٠٩.

(٢) ضجنان: جبل بناحية تهامة وقيل ضجنان جبيل على بريد من مكة، وقال الواقدي: ضجنان على خمسة وعشرين ميلًا من مكة، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة، وضجنان له ذكر في حديث الإسراء. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٢٢٤.

علي رضي الله عنه في أهل منى يوم النحر ببراءة وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[1].

فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم رجعا قافلين إلى المدينة.

وذكر أن المشركين كانوا يحجون مع المسلمين، ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك: لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

و يطوف رجال منهم عراة، ليس على رجل منهم ثوب بالليل، يعظمون بذلك الحرمة، ويقول أحدهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أمي، ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم. فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام وأمر الله ببراءة.

فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر، أذّن ببراءة من عهد كل مشرك لم يسلم، أن لا يدخل المسجد الحرام بعد ذلك العام، وبين لهم مدة الله التي ضرب على لسان نبيه أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاؤوا، فقالوا: بل الآن لا نبتغي تلك المدة، نبرأ منك ومن ابن عمك إلا من الضرب والطعن. فحج الناس عامهم ذلك، فلما رجعوا أرغب الله المشركين فدخلوا في الإسلام طوعًا وكرهًا. وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عامًّا وخاصًّا، فالعام أن لا يُصد أحد عن البيت جاءه، ولا يُخاف أحد في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة. والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥. البخاري: ك. الصلاة، الصلاة في الثياب، ح (٣٦٢) ك. الحج، (١٣٤٧)

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/ ٣١٠.

قال البخاري إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان. ثم أردف النبي ﷺ بعلي فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في منى يوم النحر ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان[١].

و يوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس: العمرة الحج الأصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك. وقال أبو الصهباء البكري: سألت عليًّا رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر. فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج، وبعثني معه بأربعين آية من براءة، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إلي فقال: قم يا علي فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ. فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة، ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة، ثم حلقت رأسي، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا كلهم خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم عرفة، فطفت أتتبع الفساطيط أقرؤها عليهم. قال علي رضي الله عنه: فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر، ألا وهو يوم عرفة[٢].

وروي أن الحكمة في أن النبي ﷺ بعث عليًّا رضي الله عنه ليقرأ سورة براءة على الناس في حجة أبي بكر، ولم يكتف بغير علي رضي الله عنه:

- أن العرب كان من عادتها أن الرجل المتبوع منهم إذا عقد عقدًا أو عهد عهدًا لا يحله إلا هو أو أحد من أهل بيته، ولهذا بعث عليًّا رضي الله عنه.
- وقيل أردفه به عونًا له ومساعدًا.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥. البخاري: ك. الصلاة، الصلاة في الثياب، ح (٣٦٢) ك. الحج، (١٣٤٧).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٣٧، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٨/ ٤٦٠.

- وقيل: كان في سورة براءة الثناء على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأحب أن يكون ذلك الثناء على لسان غيره لأنه أبلغ وأبعد عن الشبهة.
- وقيل لأن السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج[1] فأتبعه ﷺ بمن يبلغه بما فيها من أحكام وعهود متعلقة بما بين المسلمين والمشركين.

ولا شك أن كل هذه الأسباب مع بعضها صحيحة ومعتبرة وتعد من الأمور التي جعلت رسول الله ﷺ يدفع بعلي رضي الله عنه إلى صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ليقوم بما كلف به على أتم وجه وأكمله جاعلًا مما جاء في سورة براءة أساسًا لبناء علاقات المسلمين الجديدة بغيرهم من المشركين، وليؤكد أن ورثة البيت الحرام هم المؤمنون وحدهم، وهم الذين يقررون منهج العبادة وأداء المناسك على أسس نبي الله إبراهيم عليه السلام، وعلى ما جاء من تعاليم وتوجيهات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنه لا مكان للوثنية والشرك وعبادة القبور والطواف حولها ولا لتعظيم غير الله تعالى والبدع والباطل في بيت الله الحرام، لأن الحج ركن من أركان الإسلام تؤدى شعائره ومناسكه كما أمر الله ورسوله ﷺ.

في حجة الوداع:

لما أراد رسول الله ﷺ حجة الوداع قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، عندي بعير نحمل عليه زادنا، فقال رسول الله ﷺ: فذاك إذن، فكانت زاملة رسول الله ﷺ وزاملة أبي بكر رضي الله عنه واحدة، وأمر رسول الله ﷺ بزاد دقيق وسويق، فجُعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه، وأعطاه أبو بكر رضي الله عنه لغلام له.

ومضى رسول الله ﷺ يسير المنازل ويؤم أصحابه في الصلوات في مساجد له، قد بناها الناس وعرفوا مواضعها، والله تعالى أعلم. ثم سار رسول الله ﷺ وهو يلبي والناس معه يزيدون في التلبية وينقصون، وهو ﷺ يقرهم ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته، فلما كان

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٧٥. ابن القيم: زاد المعاد، ١/ ١٢٦.

بالروحاء[1] رأى حمارًا وحشيًّا عقيرًا، فقال ﷺ: «**دعوه، يوشك أن يأتي صاحبه**». فجاء صاحبه إلى رسول الله ﷺ، قال الصالحي: قلت: هو رجل من بهز، فقال رسول الله ﷺ: «**شأنكم بهذا الحمار**» فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر فقسمه بين الرفاق، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى كان بالأثاية[2] بين الرويثة والعرج إذا ظبي حاقف في ظل وفيه سهم، فأمر رجلاً. قال الصالحي: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمره ﷺ أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزوه. قال: والفرق بين قصة الظبي، وقصة الحمار الوحشي: أن الذي صاد الحمار كان حلالًا، فلم يمنع من أكله، وهذا لم يعلم أنه حلال، وهم محرمون، فلم يأذن لهم في أكله، ووكل من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوه.

ولما نزل ﷺ بالعرج ضاعت زاملته التي بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه، وكانت زاملته ﷺ وزاملة أبي بكر واحدة، وكانت مع غلام لأبي بكر، فجلس رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جانبه، والطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى جانبه الآخر، وأسماء بنت أبي بكر إلى جانبها. وأبو بكر رضي الله عنه ينتظر الغلام أن يطلع عليه فطلع وليس معه البعير، فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللته البارحة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بعير واحد تضله؟ لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر! ولكن رسول الله ﷺ وأهله، فطفق يضرب الغلام بالسوط، ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول: «**انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع؟**» وما يزيد رسول الله ﷺ على أن يقول ذلك ويبتسم، وقد ترجم أبو داود على هذه القصة (باب المحرم يؤدب).

ولما بلغ آل فضالة الأسلمي أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت حملوا له جفنة من حيس فأقبلوا

---

(١) الروحاء: من الاستراحة لانفتاحها وسعتها، وهي من أعمال الفُرع، قال الشاعر:

ألا فاحملاني بارك الله فيكما ... إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٢٦.

(٢) الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخًا. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٨٠.

بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**هلم يا أبا بكر، فقد جاء الله تعالى بغذاء طيب**»، وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام، فقال له رسول الله ﷺ: «**هون عليك يا أبا بكر، فإن الأمر ليس إليك، ولا إلينا معك، وقد كان الغلام حريصًا على ألا يضل بعيره، وهذا خلف مما كان معه**» ثم أكل رسول الله ﷺ وأهله، وأبو بكر، ومن كان معه يأكل حتى شبعوا، فأقبل صفوان بن المعطل رضي الله عنه وكان على ساقة الناس، والبعير معه، وعليه الزاملة، فجاء حتى أناخ على باب منزل رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**متاعك؟**» فقال: ما فقدت شيئًا إلا قعبًا كنا نشرب فيه، فقال الغلام: هذا القعب معي. فقال أبو بكر لصفوان: أدى الله عنك الأمانة.

وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله تعالى عنهما ومعهما زاملة تحمل زادًا يؤمان رسول الله ﷺ فوجدا رسول الله ﷺ واقفًا بباب منزله، قد رد الله عز وجل عليه زاملته، فقال سعد: يا رسول الله، بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة، وهذه زاملة مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «**قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكما بارك الله فيكما**»[1].

وفي سفر لرسول الله ﷺ أمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله، عليَّ ذبحها، وقال آخر: يا رسول الله، علي سلخها، وقال آخر: يا رسول الله، علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ: «**وعلي جمع الحطب**» فقالوا: يا رسول الله، نكفيك العمل، فقال: «**قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه**»[2].

وعن عروة بن الزبير أنه قال لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ -هو ابن عباس- تأمر الناس بالعمرة في هؤلاء العشر وليس فيها عمرة قال: أولا تسأل أمك عن ذلك؟ قال عروة: فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يفعلا ذلك، قال الرجل: من ههنا هلكتم ما أرى الله

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٨/ ٤٦٠، ابن القيم: زاد المعاد، ٢/ ١٦١، ١٩٨.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٧/ ٣٠. ذكره عن المحب الطبري.

عز وجل إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتخبروني بأبي بكر وعمر! قال عروة: إنهما والله كانا أعلم بسنة رسول الله منك فسكت الرجل[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي سئل أي الحج أفضل؟ فقال: «**العج والثج**»: والعج: رفع الصوت بالتلبية. والثج: إراقة دم الهدي. فإن قيل يمكن للمفرد أن يحصل هذه الفضيلة؟ قيل: مشروعيتها إنما جاءت في حق القارن والمتمتع، وعلى تقدير استحبابها في حقه فأين ثوابها من ثواب هدي المتمتع والقارن في الحج[2].

عمرة خليفة رسول الله:

لم يتمكن أبو بكر رضي الله عنه أن يحج بالمؤمنين في أول سنة ولي فيها خلافة النبوة، نظرًا لما مر بالأمة من أحداث وأهوال، وكثرة من يتربص بها من الأعداء بعد وفاة النبي الكريم ﷺ ولا سيما المنافقين رافضي خلافة النبوة المطهرة أتباع أئمة الكذب والردة، مما اضطر خليفة رسول الله إلى التفرغ لأولئك العتاة؛ ليعلمهم دروسًا في عزة المؤمنين ويقظتهم وحمية الصحابة رضي الله عنهم على السنة وأهلها، فقام بذلك رضي الله عنه أتم قيام وأكمله حتى خضع الرافضة بكل أصنافهم لخلافة النبوة ورايات القرآن والسنّة وجندهما الأخيار الأبرار.

فاستعمل أبو بكر على الحج سنة إحدى عشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام بذلك على أتم وجه رضي الله عنه ثم اعتمر خليفة رسول الله في رجب سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره ومعه فتيان أحداث يحدثهم إلى أن قيل له هذا ابنك، فنهض قائمًا، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فنزل عنها وهي قائمة فجعل يقول: يا أبت لا تقم. ثم لاقاه فالتزمه وقبّل بين عيني أبي قحافة، وجعل الشيخ

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٢/ ٢٠٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد: ٢/ ٢٢١. الترمذي: ك. الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، ح (٨٢٧).

يبكي فرحًا بقدومه. وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه: سلام عليك يا خليفة رسول الله وصافحوه جميعًا فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ ثم سلموا على أبي قحافة، فقال أبو قحافة: يا عتيق، هؤلاء الملأ فأحسنْ صحبتهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت لا حول ولا قوة إلّا بالله! طوقت عظيمًا من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلّا بالله، ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه أصحابه فنحاهم ثم قال: امشوا على رسلكم. ولقيه الناس يتمشون في وجهه ويعزونه بنبي الله ﷺ. وهو يبكي حتى انتهى إلى البيت فاضطبع بردائه ثم استلم الركن ثم طاف سبعًا وركع ركعتين، ثم انصرف إلى منزله، فلما كان الظهر خرج فطاف أيضًا بالبيت، ثم جلس قريبًا من دار الندوة فقال: هل من أحد يتشكى من ظلامة أو يطلب حقًّا؟ فما أتاه أحد وأثنى الناس على واليهم خيرًا. ثم صلى العصر وجلس فودعه الناس ثم خرج راجعًا إلى المدينة، فلما كان وقت الحج سنة اثنتي عشرة حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه[(١)] قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

وهكذا تتجلى للقارئ الكريم صفحات بيضاء من مواقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه يظهر فيها فضله على الأمة وشدة محبته لها وحرصه على عقيدتها، كما تتجلى فدائيته في المواقف العصيبة وصراحته وصرامته وحزمه وسعة علمه وقدرته على استيعاب المواقف والمبادرة في إصدار المشورة أو الدعوة للتشاور والمبادرة في تنفيذ ما يأمر به رسول الله ﷺ والفهم التام لكل ما يريده ﷺ إلى غير ذلك من مواقف يجب أن يستقي منها أهل السنة النجباء الدروس والعبر في حسن الاقتداء والاتباع وفنون القيادة وعميق الإخلاص للدين وشدة الغيرة على السنة النبوية المطهرة وعظيم محبته رضي الله

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٦، ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٤٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

عنه لأهلها النجباء الأوفياء. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]؟

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

الفصل الثاني: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه إمامة وقيادة

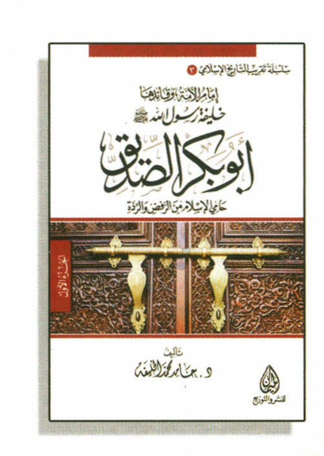
الفصل الثالث: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عصر الرسالة

الموضوع		رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع		رقم الصفحة







هذا الكتاب

جهد مشكور لمؤلف من حماة الإسلام في العصر الحديث يحمل هموم الدعوة وما يكتنفها من تحديات معاصرة متمثلة في حملات التشكيك التي ينفث سمها أعداء الإسلام من الروافض ومبغضي صحابة رسول الله ﷺ من أجل تضليل شباب الأمة والتلبيس على نشئها في عقيدتها ومواريثها.

ومن ثم اجتهد مؤلف هذا الكتاب في وضع فهم صحيح وفقه واعٍ وعلم مستنير لسيرة إمام الأمة وقائدها وخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وفق دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج تثمر رسوخ العقيدة في القلوب وتسرج المصابيح التي تنير لأمتنا طريقها نحو المستقبل بكل تداعياته.

إن قراءة سيرة أبي بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - من خلال هذا الكتاب القيِّم ستضع على طريق الأمة الإسلامية علامات وصوًى نهتدي بها ونخرج من مشاكلنا التي تحيط بنا من كل جانب، وتأتينا من كل حدَب وصوب.

الناشر

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)
ISBN 978-9960-686-64-6
32014
9 789960 686646

الميمان للنشر والتوزيع
دار الميمان للنشر والتوزيع
www.arabia-it.com
info@arabia-it.com
يطلب هذا الكتاب من:
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٧٣٣٦-٤٦٢ ١ (٩٦٦) ٠٠
فاكس: ٢١٦٣-٤٦١ ١ (٩٦٦) ٠٠

سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي ٣

إمام الأمة وقائدها

خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرفض والردة



الجزء الثاني

تأليف

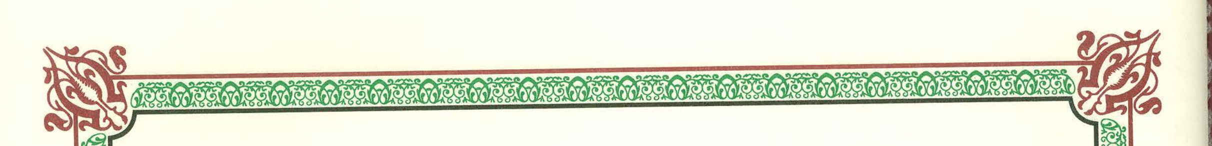
د. حامد محمد الخليفة

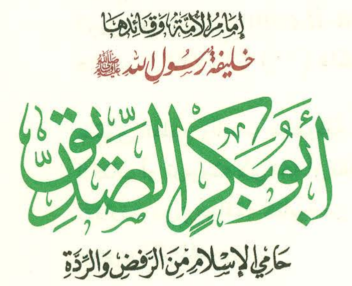


للنشر والتوزيع

اسم الكتاب:	إمام الأمة وقائدها، خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حامي الإسلام من الرفض والردة- مجلدان
المؤلف:	د. حامد محمد الخليفة
الناشر:	الميمان للنشر والتوزيع
التصنيف:	التاريخ، حياة الصحابة
الطبعة:	الأولى
تاريخ النشر:	٢٠١١
تاريخ النشر الإلكتروني:	ذوالحجة ١٤٣٦







الجزء الثاني



© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليفة، حامد محمد
إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. / حامد محمد الخليفة.- الرياض، ١٤٣٢هـ.
٢ مج.
ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)

١- أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ قصص
أ. العنوان
ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٣٢/٧٣٨

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٣٨
ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)

دار الميمان للنشر والتوزيع - الرياض
الطبعة الأولى ١٤٣٢هجري - ٢٠١١م

دار الميمان للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٦١٣ ص.ب ٩٠٠٢٠
الموقع: *www.arabia-it.com*
البريد الإلكتروني: *info@arabia-it.com*
هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ (٠١) فاكس: ٤٦١٢١٦٣ (٠١)

الصف والإخراج الطباعي وتصميم الغلاف: دار الميمان للنشر والتوزيع



سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي (٣)

إمام الأمة وقائدها

خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرفض والردة

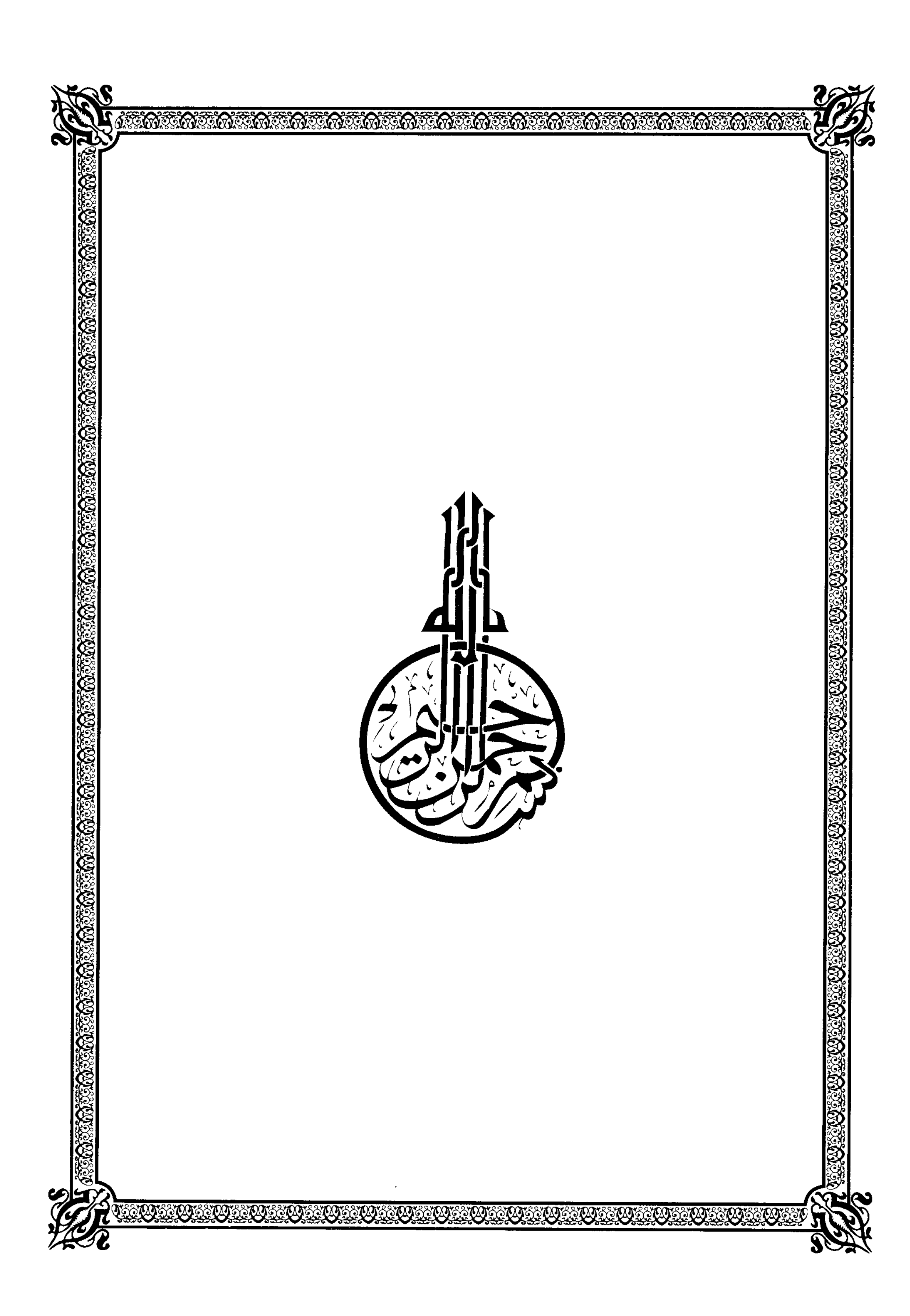
الجزء الثاني

تأليف

د. حامد محمد الخليفة



للنشر والتوزيع





الموقف من خلافة
أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث الأول: إمامة الصديق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ قبيل وفاته.

المبحث الثاني: موقف خليفة رسول الله ﷺ يوم وفاة النبي ﷺ ورزية من شك في خلافته.

المبحث الثالث: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإمامته ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بين النص والاختيار.

المبحث الخامس: الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

تمهيد

الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

هو الفيصل بين الإسلام والشرك، وهو المحك الذي يفصل بين أنصار السنة النبوية وأتباع الردة السبئية، وإخوان الأنبياء وأعوان المتنبئين، وقد بلغ من خصوصيات إمامة خليفة رسول الله ﷺ أنها أصبحت تكشف بوهج أنوارها كل من تسول له نفسه مخادعة المؤمنين أو مساندة المنافقين، يتجلى ذلك في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي كونت مع معطيات سيرة الصدّيق العطرة المباركة؛ الحصانة التامة لخليفة رسول الله إمام الأمة ومبير الردة، فمن هو (ثاني اثنين)؟ ومن هو (الأتقى)؟ ومن قيل في حقه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؟ ومن هو الصاحب المطلق ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾؟ ومن الذي ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾؟ ومن الذي خوطب بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1]؟ ومن هو الذي صدّق بالصدق ابتداءً؟ ومن هو الوحيد مع رسول الله يوم الغار؟ ومن هذا الذي قال في حقه رسول الله ﷺ: «**إنه لم يسؤني قط؟**»[2] ومَن الصاحب يوم الهجرة؟ ومن الذي همّ النبي أن يتخذه خليلاً لو لا مخالته ربه عز وجل؟ ومن الذي همّ النبي ﷺ أن يكتب له كتابًا بإمامة الأمة ثم قال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر؟**» ومن حج أميرًا بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ؟ ومن أمَّ المؤمنين أيامًا متتالية بأمر رسول الله ﷺ وفي حضوره وحضور جميع الصحابة؟ ومن ثبت وثبتت

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٨/ ٤١٧. ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٢٦. الطبراني: المعجم الكبير، ك. السين، باب سهل بن مالك، ح (٥٦٤٠).

بثباته الأمة يوم وفاة رسول الله ﷺ؟ ومن سحق الردة؟ ومن باشر الفتوح؟ ومن واجه الفرس والروم في آن واحد؟ إلى غير ذلك من الخصائص التي ظهرت في مواضعها من هذا البحث، وكل هذه المراتب من خصائص أبي بكر رضي الله عنه التي لم يشركه فيها أحد ولا يستطيع أن يجحد شيئًا منها أحد، فمن زعم الإسلام لا بد من موالاته لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنهج السنة النبوية، وبيان براءته من الردة والرفض لما جاء به محمد ﷺ وخلّف عليه أبا بكر رضي الله عنه إمامًا يحميه ويبنيه حتى رسخت الجذور واستبانت السبل ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

وقد تبين لكل مطالع لسيرة خليفة رسول الله المقام العظيم الذي تفرد به من بين جميع الصحابة واتضح فيه لكل مؤمن ولكل عاقل كيف تجلت فيه مواصفات خلافة النبوة، من العلم والجهاد والعدل والرحمة والزهد والتواضع وحب الخير للناس، وما يتمتع به من يقين كامل بعزة الإسلام وخلود رسالته، وحرص شديد على تربية الأجيال بهدي النبوة والتمسك بالسنة، والدينونة لله تعالى بالتوحيد والبراءة من المرتدين والمبتدعين المشرعين للناس أديانًا رافضة لدين الله الذي أرسل به الرسل.

وقد بلغت منازل خليفة رسول الله بعد أن طمس الردة ونصر السنة، أن أي مسلم لا يواليه ويحبه ويعتقد إمامته وأنه هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ ليس من الأمة وإن تظاهر وزعم ولبس لباس المسلمين وتزيا بأزيائهم وتكلم بلسانهم، وكيف يكون مسلمًا مَن دينه التشكيك أو الطعن أو بغض خليفة النبي ﷺ الذي كان له الفضل بعد الله تعالى في تثبيت الدين وإلجام المنافقين وإعادة المرتدين إلى جادة المؤمنين، وكيف يكون مسلمًا من يرفض خيار الأمة وأئمتها الذين لا أئمة لها سواهم من المهاجرين والأنصار، وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه؟! الذي بايع وأطاع وناصر وشايع وتابع مخلصًا محبًّا أمينًا لإمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه الذي أقامه نبي الرحمة ﷺ مقامه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

خليفة له وإمامًا وقائدًا لأمته وأمينًا على سنته ومنهجه على مرأى ومسمع من الجميع، حتى علم ذلك وأقره كل مؤمن في حياة النبي ﷺ.

فلم يعد السكوت جائزًا ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة عمّا يقوم به أعداء الصحابة في هذا العصر من عمل متواصل لتشكيك الأمة بمواقف الصحابة وعقيدتهم والنيل من مكانتهم وأمتهم، ولا سيما أن أعداء الصحابة ما زالوا يمتطون الغوغاء لتسويق مكرهم وكيدهم، وما زالوا يبحثون في مسائل الخلافة وما أجمع عليه المهاجرون والأنصار وسلف الأمة، لينبذوا خيار النبوة وإجماع الأمة وراء ظهورهم، ويدعون إلى اتباع أوهامهم وما يسمى بالمرجعية التي يعملون ويطمحون أن تكون بديلًا عن مرجعية الكتاب والسنة، يمدهم في كل ذلك سيل هائل من الروايات المصنوعة التي وضعها أسلافهم.

فموضوع الإمامة الذي أصبح يطرق ويثار باستمرار وتبنى عليه مسائل في منتهى الخطورة ينفثها أعداء الصحابة عن عمد وترددها الغوغاء عن غير قصد ومعهم علماء الجهالة الذين يزعمون أن مكفري الصحابة ورافضي السنة أئمة الحركات الهدامة التي تعيث في هويتنا خرابًا وتمزيقًا - إخوانهم، وأن دماء الفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن اغتالوهم من أئمة السنة وما زرعوه في موروثها الحضاري من باطل وإفك ووهم وتضليل؛ لن يحول بين تلك الأخوّة الآثمة التي يقول بها من استهانوا بانتمائهم وهويتهم، ليؤدوا دور الإيهام والتضليل للإيقاع بالسنة وأهلها، تنفيذًا لشعار حاقد يدين به أعداء الصحابة يتمثل في قولهم: «غش السنة تدخل الجنة».

ونظرًا لمعرفة أعداء الصحابة بالدور الرائد المتمسك بمنهاج النبوة، الذي قاده خليفة رسول الله دور الخلافة الراشدة والإمامة الربانية التي أعزت السنة النبوية ومحقت الردة الرافضية؛ بذلوا كل ما في وسعهم للطعن في سيرته وسير الخلفاء الراشدين، ولم يكفهم ذلك حتى ولغت أيديهم الغادرة الآثمة بدمائهم وها هم يقدسون قتلتهم ويعظمونهم، ثم حاولوا اغتيال كبار قادة الأمة الذين أدركوا خطورة الرفض وجهنمية أهدافه ومناهجه

الطائفية الحاقدة، الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى في حماية الأمة من التمزق، والسنة من التحريف، وفي مقدمتهم معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولما فشلوا في قتل هذين القائدين حاولوا اغتيال الحسن بن علي محب الشهيد عثمان ونصيره رضي الله عنهم لكنهم طعنوه ولم يتمكنوا من قتله رضي الله عنه فلما فشلوا في ذلك استدرجوا قائدًا آخر من مأمنه في مدينة الرسول ﷺ إلى الكوفة ثم تخلوا عنه وقاموا بقتله بين أظهرهم إمعانًا في محاربة أئمة السنة ودعاتها الأبرار، وذلك ما حصل للحسين رضي الله عنه، ومُضيًّا في تزييف الأحداث والطعن في السنة وقادتها ابتكروا تغذية ثقافة الحقد بالكراهية الدائمة لكل ما يمت إلى السنة النبوية بصلة، وتجديد تلك الثقافة وشحنها في نفوس الرافضة بأوراد يومية يرضعون فيها الحقد على السنة وأهلها، والشهادة على الصحابة بالردة وانعدام الأمانة، والدعوة إلى التحالف مع كل عدو للأمة يعمل على إقصاء دين الصحابة رضي الله عنهم وهوية أمتهم، والاستعداد الكامل لأن يكونوا له الخدم المطيعين، وها هم الآن ينشرون عقيدتهم الحاقدة وبجَلَد عجيب وبذل متواصل بين غوغاء السنة، وينفقون لذلك المال والجاه ومغريات المعاصي والإثم لشراء الذمم الضعيفة والنفوس الرديئة ونشر الردة وكراهية السنة في العالمين، بينما عامة أغنياء السنة لا يزدادون إلا حرصًا على أموالهم، وكثير من علماء السنة ووجهائها لا يصدر منهم إلا ما يزيد الأمة جهلًا وخبَالًا، في وقت تعبث فيه أمواج الردة بحصون أهل السنة وتجوس ديارهم، ولا حزم أبي بكر وإنفاقه ولا غيرة عمر ولا إقدام خالد رضي الله عنهم والله المستعان.

وقد تجلى الموقف من خلافة أبي بكر وإمامته للأمة رضي الله عنه بتقديم رسول الله ﷺ له في إمامة المؤمنين في الحج وإمامتهم في الصلاة وتمسكه ﷺ بصحبته المطلقة، وفي كل موقف لا يكون مع النبي ﷺ إلا واحد يكون رضي الله عنه هو ذلك الواحد، وبالإشارات النبوية التي تغص بها النصوص الصحيحة على وجوب تقديمه وإمامته رضي الله عنه والتحذير الشديد لمن تحدثه نفسه بالتقدم عليه، وقد توج كل ذلك بإجماع الصحابة رضي الله عنهم على اختياره رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ وإمامًا وقائدًا لأمته لأنه

(ثاني اثنين) لا شبيه لهما، ولأن الأحداث أثبتت أن أبا بكر رضي الله عنه هو المثابة والمآل والمرجع للمؤمنين بعد نبيهم ﷺ في كل ملمة ومعضلة تعتري طريقهم. وأنهم جميعًا يعلمون أنه أحقهم وأولاهم بخلافة رسول الله ﷺ وأقدرهم على ملء الفراغ الذي تركه غياب رسول الله ﷺ وأكثرهم خبرة قيادية ومعرفة سياسية، وأعرفهم بشؤون القبائل العربية وحركة الواقع العسكري والسياسي والاقتصادي للدول المجاورة وتحالفاتها مع الكيانات السياسية التابعة لها في أطراف بلاد العرب، فضلًا عما توصل إليه من المراتب العلمية والقيادية والفقه والإحاطة بتطلعات رسول الله ﷺ نحو مستقبل الأمة وما أشار إليه ﷺ من تحذيرات وإرشادات للتعامل مع ما سيعترض سبيل الدعاة والمجاهدين، وما صدر عنه من مبشرات وإشارات تؤكد للمؤمنين أن المستقبل لهذا الدين، وأن العزة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، كل هذه المسائل وغيرها مما تفرد به أبو بكر رضي الله عنه وبعلم من الصحابة وتجربة عاشوا فصولها في كثير من المواقف التي خاضوها في حياة رسول الله ﷺ، كل ذلك وغيره مما اتصف به أبو بكر رضي الله عنه من صفات كان يرى فيها الصحابة رضي الله عنهم روح الانقياد الكامل لتعاليم النبوة ورؤيتها وثقتها ويقينها الذي لا يتردد ولا يضعف ولا يستكين أمام المستجدات والصعاب، لكل هذا ولغيره كان أبو بكر رضي الله عنه هو المؤهل والمهيأ والأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ دون أي شك أو منافسة عند أحد من المسلمين.

ولعل من أهم الأمور التي تؤكد ذلك أنه لا يمكن لباحث مهما محّص وقرأ وتابع إلا أن يقرّ بإجماع الصحابة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وتنافسهم على طاعته وتلبية أمره، امتثالًا لقوله ﷺ: «**يأبى الله ويدفع المؤمنون**»[١]. و«**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١).

(٢) ابن حنبل: المسند، ك. وباب، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ح (٢٤٥٨٩).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة سيرته ومعرفتها؛ إذ إن دراستها هي الصفحة الأولى من صفحات التاريخ الإسلامي، الذي بهر كل تاريخ وسما عليه في كل صفحاته، بل لم تدون تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من القيم والمعاني السامية. ذلك لأنه تاريخ الكمال الإنساني على وجه الأرض، تاريخ المعجزة النبوية التي ظهرت في بطن مكة على يد رجلٍ واحدٍ؛ فلم تلبث حتى عمت مكة، ثم امتدت حتى شملت الجزيرة، ثم امتدت حتى بلغت أقصى الأرض، فكانت أكبر من الأرض، فامتدت في الزمان، وسَتبْلى الأرض ويفنى الزمان، والمعجزة باقية.

لقد فتح أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم ثلاثة أرباع العالم آنذاك، فحملوا معهم العلم والهدى والعدل والأمن إلى البلاد التي فتحوها، وكانوا لا يختارون الحرب إلّا إذا اختارها أعداؤهم، ثم لا يخونون ولا يغدرون ولا يغلُّون ولا يمثلون بأعدائهم ولا يقتلون أعزل ولا يهدمون منزلًا ولا يهيجون معتزلًا ولا عابدًا كما تفعله الرافضة وحلفاؤها الغزاة في قُراء وحُفاظ وعُباد أهل السنة ومقدساتهم في هذا العصر.

فإذا أراد القارئ المنصف أن يعلم الفارق بين خليفة رسول الله وورثته من الفاتحين فلينظر إلى ما جاءت به فتوحهم في كل أرض وطئتها أقدامهم؛ وبين ما يقوم به الحلف الصليبي اليهودي الرافضي في هذا العصر من التدمير والتخريب والقتل والتشريد والنهب والاغتصاب وقتل الأطفال والنساء وتدمير المستشفيات والجسور وموارد المياه وإغلاق الطرق والتشفي بتعذيب المسنين والمصابين والجرحى، فضلًا عن تدمير المساجد وتدنيس المصاحف وقتل الأئمة والقائمين على خدمة المساجد واعتقال المصلين واغتيالهم، ومداهمة البيوت الآمنة واعتقال النساء وسومهم سوء العذاب، أما عن التجسس والبهتان والإفك والقذف والكذب والافتراء على أهل السنة فهذا ما تجاوز كل وصف وتشخيص، إلى غير ذلك من ممارسات نزعت منها كل قيم الخير والإنسانية، وماتت فيها كل مشاعر الرحمة والفضيلة وانعدمت منها كل مظاهر النبل والرجولة، وبلغ بهم الحقد حدًّا أمات

قلوبهم وضمائرهم، فأين هذه العدوانية الحاقدة المتجردة من إنسانيتها، من الفتوحات التي قادها خليفة رسول الله وجنده النبلاء الأكرمون المؤمنون، فجلبوا معهم العدل والرفاه والأمن والمحبة، فملكوا بالعدل قلوب الناس، ولا سيما أن المسلمين لا يفرّق بينهم عرق ولا لغة ولا جاه ولا نسب؛ ولا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى.

وقد بلغ من ورعهم ورحمتهم وعدلهم حينما فتح جند الخلافة مدينة الحيرة، فأهداهم أهلها طائعين مختارين هدية فلم يقتسموها وإنما حملوها إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فقبلها منهم، ولكنه عدها من الجزية التي تؤخذ منهم عدلًا وتعففًا، وخشية أن يظلم أهل ذمّته أو أن يكلفهم شططًا، بينما يغتصب المجرمون في هذا العصر بلاد السنة فَيبْتزون أموالهم ويمتصون دماءهم ويمدون أيديهم إلى كل ثروة فيها وكل خير، بل بلغ من خستهم أنهم يدخلون البيوت المسلمة من محبي خليفة رسول الله باسم البحث عن المجاهدين؛ فإذا ظفروا بالمصلين قتلوهم وإذا انفردوا بالأسرى مثلوا بهم قبل قتلهم، ثم يسرقون الأموال وحلي النساء وكل زينة أو تحفة يساندهم في كل ذلك أعداء الصحابة ويزيدون عليهم بالاعتداء على الشرف وعلى القيم، ولا سيما إذا كان البيت الذي يدخلونه بيت عفاف ودين، يستدلون على ذلك من وجود القرآن الكريم أو كتب الحديث والسنة، ولا سيما **صحيحي البخاري ومسلم** أو كتب شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير والذهبي وإخوانهم من العلماء الذين فقهوا خطر دين الرفض وسياسته ومقاصده، بعكس من يحسب من العلماء الغوغاء الملبسين على أهل السنة دينهم في هذا العصر الرهيب العجيب، فتلك هي أخلاق أعداء الصحابة وسادتهم من أهل الصليب والسواد والنجمة، مجردة من كل فضيلة لا تتغير ولن تتبدل، على عكس ما عليه محبو الصحابة. الذين قال قائلهم:

ملكنا فكان العدل منا سَجيةً ... فلما ملكتم سالَ بالدم أبطحُ

وحللتمو قتل الأسارى وطالما ... عدونا على الأسرى نَمُنّ ونصفحُ

فحسبكمو هذا التفاوت بيننا ... فكل إناءٍ بالذي فيه ينضحُ[1]

فأعداء الصحابة الذين تنضح من قلوبهم وأفواههم وأقلامهم ثقافة الكراهية لسنة رسول الله ﷺ وحملتها، هم الذين يتفننون في نسج الأباطيل حول سيرة خليفة رسول الله، مع علمهم الثابت بأن الذي قدمه واختاره واجتباه هو رسول الله ﷺ!! ولكن مع كل هذا التمرد على منهاج السنة النبوية الذي يدين به المنافقون والمرتدون وعلماء الغش والخداع من المحسوبين على سنة النبي ﷺ ويشاركون في التمهيد لتمدد الرفض والردة وكراهية الصحابة وأمة العرب خاصة من بين المسلمين.

ولكن ومع كل ذلك فإن الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه اتضح بما قام به الصحابة الذين بايعوه طائعين في سائر الأركان، وبايعوه في السر والإعلان، ولقبوه بخليفة رسول الله لأنه السابق إلى التّصديق الملقب بالعتيق المؤيد من الله بالتوفيق صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار وعامة الأبرار وبقي له شرفه على كرور الأعصار ولم يسمُ إلى ذروته همم أولي الأيدي والأبصار، حيث يقول عالم الأسرار ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[2] ذلك من الآيات والآثار ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار التي غدت كالشمس في الانتشار، وفضل كل من فاضل وفاق كل من جادل وناضل، ونزل فيه ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ﴾[3] توحد الصديق في الأحوال بالتحقيق واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق، فتجرد من الأموال والأعراض، وانتصب في قيام التوحيد للتهدف والأغراض، وصار للمحن هدفًا وللبلاء غرضًا، وزهد فيما عزّ له جوهرًا كان أو عرَضًا وتفرد بالحق عن

(١) ينظر: الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢١، ٢٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٠.

الالتفات إلى الخلق. حتى انفرد بخلافة النبوة كما انفرد بالصديقية رضي الله عنه[1]. قال أبو محجن الثقفي:

وسميت صِدِّيقًا وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليسًا في العريش المشهر

فأصبحت موالاته ومتابعته والاعتزاز بنشر سيرته، فضلًا عن حبه ووجوب الاقتداء به علامة الإيمان والرشاد والسداد، مثلما أن مناصبته العداء والتشكيك بآثاره علامة الجحود والنفاق والردة ومحاولة يائسة ترمي إلى طمس اليقين والنجاح والإنجازات العظيمة التي حفظت الدين والأمة، فالمؤمن يحب الصحابة جميعًا ويبرأ من أعدائهم ومنتقصيهم كبراءته من الشرك وأهله. قال إسحاق بن سويد العدوي:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزّال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليًّا ... يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصدّيق حبًّا ... به أرجو غدًا حسن الثواب
وحب الطيِّب الفاروق عندي ... كحب أخي الظما برد الشراب
وعثمان بن عفان شهيد ... نقي لم يكن دنس الثياب[2]

ونظرًا لما عرفه الرافضة وأعداء العرب والمسلمين من المؤرخين والكتاب وغيرهم من أهمية ما قام به خليفة رسول الله من دور رائد في بناء الأمة، وتأصيل هويتها وتعزيز وحدتها وترسيخ عقيدتها، وأن أحداث القرن الأول كانت من معجزات التاريخ، وأن ما أنجزه الصحابة والتابعون لم تنجز مثله أمة أخرى؛ لما ترك في النفوس من عوامل الثقة والطموح والقوة.

---

(١) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٢٨.

(٢) ابن معين: تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، ٤/ ١٧٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٩/ ٥٠٤.

لكل ذلك حرص أعداء الصحابة على تجاهل ذلك الدور وتجهيل الناس به وتزييف معالمه وطمس محاسنه للحيلولة دون نشره في نفوس المسلمين، والسبب يكمن في كون المجوس ممثلين في أعداء الصحابة ومعهم المستشرقون من اليهود والصليبيين، وفاقدي الولاء من الغوغاء؛ يحرصون على رد المسلمين كفارًا حسدًا من عند أنفسهم كما بين لنا سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2] وقوله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[3] ولذلك فإن معظم كتابات أعداء الإسلام قديمًا والمستشرقين ومن سار على نهجهم من سفهاء العرب والمسلمين حديثًا في مجال التاريخ والأدب والفكر الإسلامي جاءت تحقيقًا لذلك الهدف المخرب الهدام، الذي حبكته أيدي السبئية والمرتدين التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه في الأمة أولًا، ولتأتي فيما بعد أيادي ورثتهم الرافضة للسنة، فتصور الوقائع بغير صورتها الحقيقية. ليستقي من صديد أحقادها أعداء الصحابة ومن معهم من منزوعي الفهم والأمانة.

أما خليفة رسول الله وسائر الخلفاء الراشدين وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة وطبقات أصحاب رسول الله ﷺ، ولا سيما الذين لازموه وتمتعوا بجميل صحبته من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا. فإنهم كانوا جميعًا شموسًا سطعت في سماء الإنسانية مرة ولا تطمع الإنسانية بأن تطلع في سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى إلا إذا عزم المسلمون على أن يراجعوا دينهم ويتأدبوا بآداب سنة نبيهم فيوالون من والاها ويتبرؤون ممن عاداها، لعل بعض تلك الشموس تشرق من جديد.

فالموقف من خلافة أبي بكر وإمامته يوجب على كل مسلم أن يكون حذرًا ممن ناصب الصحابة البغض والرفض والمخالفة، أو من سالم هؤلاء وداهنهم ودعا إلى أخوتهم وإقرار

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

حقدهم وباطلهم، وأن يجعل من ذلك الفيصل بين منهاج القرآن والسنة وأهلهما، وبين الرفض والردة وأهلهما، أولئك الذين استبشروا بانفراط عقد الجيل الذي رعاه محمد ﷺ، وساءهم تصدي خليفته رضي الله عنه لأخطار الرفض والردة بعد وفاة النبي ﷺ وما نتج عن ذلك من نجاح دائم وتأصيل مستمر لأمة خالدة وشريعة قائمة؛ على الرغم من كل أصناف المكر والباطنية والتقية والبهتان والانتهازية، وسياسة التحالف مع أعداء الكتاب والسنة التي يدين بها أعداء الصحابة ومبغضو خليفةِ رسول الله إمامِ الأمة وقائدها أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾[1].



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

[illegible]

رضي الله عنهم أجمعين. قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(1).

* * *

(1) سورة الأحزاب: ٢٣.

المبحث الأول

إمامة الصدّيق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ قُبيل وفاته

قد يقول قائل: إن إمامة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه من المسلمات التي لا يجادل فيها أحد، ولكن مع هذه الحقيقة التي يعتقدها كثير من الناس فإن المحن والتجارب هي التي تصقل الأحداث وتظهرها على حقيقتها فيتبين الموقف الأصيل من الموقف الزائف، ومن يتابع ما يجري للأمة في هذا العصر وينظر رواج أسواق الزيف بين أهل السنة، وهيمان الكثير منهم في أودية التيه في المواقف والخطابات وإسقاط الولاء والبراء، يعلم يقينًا أن أهل السنة أقل بكثير مما يعتقده الكثير من الناس، بل إن تلك الأعداد الهائلة من الغوغاء التي تدين بالمكاء والتصدية لكل ناعق، وتلك الجموع المطبوعة بصديد الرفض والردة وتحسب على السنة المطهرة - ما هم إلا عبء وغثاء وبلاء في كثير من المواقف، وكيف يكون من أهل السنة من يوالي أعداء السنة الذين زيفوا الدين بدءًا من الأذان بما أضافوا وحذفوا؛ ومرورًا بالصلاة بما قدموا وأخروا وزادوا ونقصوا وأشركوا، والزكاة التي استبدلت بالخمس الذي أصبح يؤخذ من الأتباع بدلًا من الأعداء، وكذلك الصيام والحج والقبلة والكعبة وباقي شعائر الدين؟ وكيف يكون من أهل الإسلام من لا يأتم بإمامة الصديق الذي أقامه النبي ﷺ مقامه لكيلا يبقى شك ولا ريب في قلب مؤمن؟ ومن هنا وعلى هذا المحك يظهر أهل الإيمان بالله ورسوله ﷺ الفقهاء الفطناء وأهل الأهواء التائهون الجالبون على الأمة كل بلاء، والمقياس في كل ذلك منهج من أمّ الأمة في ساعة المحنة والفتنة الكبرى

عوف في غزوة تبوك، صلى إحدى الركعتين وقضى الأخرى، فكيف يظن به أنه في مرضه وإذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس كما تزعم ذلك الرافضة؟! فهذا ونحوه ما يبيّن أن حال الصديق رضي الله عنه عند رسول الله والمؤمنين في غاية المخالفة لما هي عليه عند الرافضة وعند ورثة ثقافة المنافقين والمرتدّين والمشركين، الذين يوالون أعداء الله، ويعادون أولياءه.

ولا ريب أن أبا بكر وإخوانه الصحابة رضي الله عنهم والتابعين هم أشد الأمة جهادًا للكفار والمنافقين والمرتدّين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[1] فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها، وهذا أمر معلوم في السلف والخلف، فخيار المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدّمون الصديق رضي الله عنه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه. ومثل ذلك أمراء الأنصار: سعد بن معاذ الأشهلي الأوسي وسعد بن عبادة الساعدي الخزرجي وإخوانهم رضي الله عنهم.

وعن عائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر أن يصلي بالناس**». قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصلِّ، فقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصلِّ للناس**». قالت عائشة لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصلِّ للناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «**مه، إنكن لأنتن صواحبُ يوسُفَ، مروا أبا بكر فليصل للناس**»[2].

وفي رواية قال: أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج، فإذا أبو بكر يؤم الناس،

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) البخاري: ك. الجماعة والإمامة. باب. إذا بكى الإمام في الصلاة، ح (٧١٦).

فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن كما أنت، فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر(١).

وقال الأسود بن يزيد: كنا عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، فقالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأُذن. فقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فخرج أبو بكر يصلي، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ: أن مكانك، ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه، فقيل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم، قال البخاري: وزاد معاوية جلس عن يسار أبي بكر، وكان أبو بكر قائمًا(٢).

وفيه جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**» ثم إنه ﷺ وجد خفة فخرج حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائمًا وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعدًا، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس بصلاة أبي بكر(٣). وفي رواية أخرى نحوه، وفيه لم يذكر قولها لحفصة. وفي آخره فتأخر أبو بكر، وقعد النبي ﷺ إلى جنبه، وأبو بكر يسمع الناس التكبير. وفي أخرى لهما: أن عائشة قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا ولا كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل

---

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الأذان، باب: من قام إلى جنب الإمام لِعلّة، ح(٦٨٣).

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح(٦٣٣).

(٣) البخاري صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، ح (٦٨١).

ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر[1]. وفي أخرى لهما قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر؟ قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثًا، فقال: «**ليصل بالناس أبو بكر**»[2].

وعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: لما استعزّ بالنبي ﷺ - أي غلبه مرضه - وأنا عنده في نفر من الناس دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**». قال: فخرجنا، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلت: يا عمر، قم فصلّ للناس، فتقدم فكبر، فلما سمع النبي ﷺ صوته - وكان عمر رجلًا مجهرًا - قال: «**فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون**» فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس. زاد في رواية قال: لما أن سمع النبي ﷺ صوت عمر. قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته، ثم قال: «**لا، لا، لا، ليصلِّ بالناس ابن أبي قحافة**» يقول ذلك مغضبًا ﷺ[3].

ومن هذه النصوص يتضح لكل قارئ عاقل مجريات الأمور والمواقف عند وفاة رسول الله ﷺ، وكيف أصر ﷺ على تقديم صاحبه رضي الله عنه ليقف مكانه، وعدم قبول أي اقتراح أو دعوى لتقديم غيره رضي الله عنه وعلى هذا فإن:

- اختيار رسول الله ﷺ صاحبه الصديق ليصلي بالناس هو تأكيد لخلافته وإمامته على

(١) البخاري بشرح فتح الباري: ك: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ح(٤٤٤٥)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠، ٢٢٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح(٦٤٦)، مسلم: ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٤١٨).

(٣) سنن أبي داود: ك. السنة، باب استخلاف أبي بكر، ح (٤٦٦٠) وهو حديث حسن. وينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٦.

الملأ في حياته ﷺ؛ لأن الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإمامتها مهمة الإمام القائد الآمر الناهي، ولذلك كان لا يؤم الجيش إلا القائد، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها في كل الشئون؛ لأن الصلاة هي العنوان وهي عماد الدين وأعظم شئون المسلمين، وأن أي نوع من أنواع التشكيك بهذا الاختيار سواء كان تحت شعار البحث العلمي أو تحت شعار الولاء لآل البيت أو غيره، فإن كل ذلك رفض لخلافة النبوة ورد لخيار رسول الله ﷺ وتكذيب للمهاجرين والأنصار، ومن هنا توَجّب على صاحب الإيمان أن يحدد موقفه وخياره، فإما أن يشرِّع لنفسه ولطائفته مضاهيًا تشريع رسول الله ﷺ، وإما أن يتمسك بالسنة ويهتدي بهدي رسول الله ﷺ والراشدين من بعده.

- خوف السيدة عائشة رضي الله عنها أن يتشاءم الناس ممن يقوم مقام رسول الله ﷺ للفرق الشاسع بين من يسدده الوحي وبين من يسدده اجتهاده، مما يدل على نزاهتها وبراءتها رضي الله عنها، وأنها لم تكن لا هي ولا أبوها طامعين في إمارة أو خلافة، وأن كل ما يثار من باطل تلوكه ألسنة الغوغاء والمغفلين إنما هو من إفك الرافضة وزيفهم الذي يدينون به ويعتقدونه في أصحاب رسول الله ﷺ.

- وأن كل حديث يدور حول مسألة الخلافة لغير أبي بكر رضي الله عنه فإنما هو امتداد لأراجيف المنافقين التي لا زال يؤمن بها كل من رفض خلافة النبوة التي قام بها أبو بكر رضي الله عنه خير قيام وأكمله، وأن كل من يسبح في هذا العفن معتقدًا فيه بعض الصحة فإنما هو جاهل مغفل أو زائف يصطاد في الماء العكر، وكل من يشكك في هذا فهو يريد أن يسوي بين الفاروق عمر رضي الله عنه وقاتليه ولا يستويان أبدًا كما لا تستوي الظلمات والنور، وبالتالي فإن نسبة هذا الصنف إلى السنة زائف، وكيف ينتسب إلى السنة من لا يفرق بين السنة ورجالها وبين الردة وعتاتها.

- وإصرار رسول الله ﷺ على تولية أبي بكر رضي الله عنه يدل على أنه ﷺ لم يكن ليدع أهم الأمور وهي إمامة المسلمين دون أن يرشد إليها ويبينها ويضعها في مواضعها. وفي توليته الإمامة للصديق رضي الله عنه بحضور جميع الصحابة والقرابة أتم البيان لمن ألقى السمع وهو شهيد، كما فيه البيان الشافي لمعرفة كل مدلس على المؤمنين، والبيان في ذلك الموقف من إمامة الصديق رضي الله عنه التي أصبحت محط امتحان يظهر تحت إشعاع أنوارها النافذة الساطعة كل زيف، فكم ظهر في هذه المحطة من الأدعياء وكم سقط من الدهماء ممن يزعمون الصحوة الإسلامية وهم يرفضون أمر رسول الله ﷺ ويصفقون طربًا لمن يكفر بسنة رسول الله ﷺ ويدين برفض من أقامه وأشار إليه لخلافته وإمامة أمته ﷺ، وكم ممن يزعم القومية وهو يصفق للشعوبية بكل أحقادها وفجورها وجحودها، حتى ثبت لكل عاقل أن من لا عقيدة له لا مسار له، وأن مصاب الأمة في هذا العصر يكمن في هذه العقائد المستوردة أو المصنوعة محليًّا وإن كان أخطرها على الإطلاق هو خليط عقيدة الرفض المكونة من أهواء المجوسية واليهودية والوثنية وغير ذلك الكثير من الأهواء والتقية والبداء.

- وفي اختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وتقديمه وتزكيته لتولي أمور المسلمين والقيام بالأمر من بعده، كما استدل بذلك الصحابة وقالوا: رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا[1]. وفي ذلك إلجام لكل أفاك يريد أن يسوّق لبضاعة الردة والرفض بين المسلمين تحت حجج واهية توضع في غير مواضعها لخداع العامة من الناس وفتح الثغرات في جدار السنة الحصين لتعيث في داخله جرذان السلولية وثعالب السبئية فسادًا للنفوس وتصديعًا لوحدة الصفوف، فكم هم حمقى وبلهى مَن يعتقدون خيرًا في نفوس أعداء الصحابة

(١) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٢٧.

ومبغضي السنة، وكم هم خطرون إن قرن ذلك بعلاقات مودة بين من يزعم أنه من أهل السنة وبين أعداء السنة. وبهذا يتقرر أن كل من لا يعتقد خلافة أبي بكر رضي الله عنه فهو لا يعتقد كل ما جاء به رسول الله ﷺ وإن تظاهر بذلك، لأن من يرفض إمامًا أقامه رسول الله ﷺ وأقره الوحي واقتدى به المهاجرون والأنصار، فإنه لن يؤمن إلا بهواه وجاهليته، ولا ينكر ذلك إلا جَحود هالك.

- واتضح أيضًا أن الصلاة هي أعظم أعمال الإسلام بعد الشهادتين والإيمان، وهي أعظم أعمال الخلفاء والولاة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1] فبدأ بالصلاة أولًا حتى يشعرنا أنها أعظم أعمال الدين وأعظم أفعال ولاة الأمور، واختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ليؤم الناس في مرض موته أصرح الدلالات على أنه ﷺ اختار الصديق رضي الله عنه لإمامة المسلمين وخلافة النبوة. فأخزى الله الزنادقة الرافضين لخيار رسول الله ﷺ الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكيف ينص على ذلك ويولي الصديق إمامة الناس ويقول: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» ويصلي علي رضي الله عنه خلف أبي بكر رضي الله عنه فترة مرض النبي ﷺ وزمن خلافته، ويعلن علي رضي الله عنه على الملأ ومن على منبر الكوفة أن خير هذه الأمة بعد نبيها هو أبو بكر رضي الله عنه وأن من فضّل عليًّا على أبي بكر فهو مفترٍ كذاب، عليه من العقوبة والجلد ما على المفتري الكذاب[2].

- وتبين أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلّهم وخروج النبي ﷺ في حالة مرضه عندما وجد خفة من نفسه وصلاته إلى جنبه يؤم

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) الخليفة: الإنصاف، ١٢٥ فما بعدها.

الناس، وأبو بكر يسمع الناس وراءه التكبير، وخروجه ﷺ مرة أخرى وصلاته ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه مقتديًا به، فهل بقي بعد هذا اجتهاد لمن يقبل من يقول إن أبا بكر ليس بخليفة للمسلمين في دائرة الأمة؟! وإذا كان الأمر كذلك فأين موقع من يكفر أبا بكر رضي الله عنه وأصحاب رسول الله ﷺ وبأي لسان يتكلم من يزعم أنه من أهل السنة عندما يؤاخي أعداء الصحابة ويغرر المسلمين بمكرهم وكيدهم؟!

- إن رسول الله ﷺ أصر على إمامة أبي بكر رضي الله عنه مع مراجعة أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما له لإعفاء أبي بكر رضي الله عنه من ذلك شفقة عليه. وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن سبب مراجعتها خشيتها أن يكره المسلمون من يقوم مقام رسول الله ﷺ الذي أحبوه أكثر من آبائهم وأمهاتهم وأنفسهم، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل قيام الصديق رضي الله عنه مقام رسول الله ﷺ من أعظم البركات والخيرات على الأمة الإسلامية، ومن أكبر النكبات على الرافضة المرتدين جند مسيلمة وأعوانهم، إذ قام بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة إلى الرشد والسداد، وإبقاء سنة رسول الله ﷺ حية قائمة بعد أن جاهد أعداءها في الله حق الجهاد، فتبين بذلك الفرق بين خيار النبوة المؤيد بالوحي وبين أباطيل الرافضين لذلك الخيار ممن يدينون بعداء خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.
- وإن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف[1] وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ صلّى خلف أبي بكر رضي الله عنه[2] وذلك حين خرج

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٢٥٢٩٥)، سنن النسائي الكبرى، ك. صلاة الإمام خلف رجل من رعيته، ح (٨٦١).

(٢) البيهقي: باب ما روي في صلاة المأموم قائمًا وإن صلى الإمام قاعدًا، ح (٤٨٦٦) وهذا إسناد جيد، ولم يخرّجوه.

رسول الله ﷺ وأَبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس، فجلس إِلى جنبه، وهو في بردة قد خالف بين طرفيها، فصلى ﷺ بصلاته رضي الله عنه، وقال أنس رضي الله عنه: آخر صلاة صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفا به خلف أبي بكر. قال ابن كثير: وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلّاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه[1].

وعن أنس أن النبيّ ﷺ صلّى خلف أبي بكر رضي الله عنه في ثوب واحد وبرد مخالفا بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «**ادع لي أسامة بن زيد**» فجاء فأسند ظهره إِلى نحره فكانت آخر صلاة صلاّها ﷺ[2] والنبي ﷺ انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، ثلاثة أيام كوامل. فصلى أبو بكر رضي الله عنه بهم سبع عشرة صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة. فالله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين، فودّعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها. ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وكنتُ أرى كالمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ ... فكيفَ ببَيْنٍ كان مَوْعِدَه الحَشْرُ

فكان ذلك آخر العهد به ﷺ.

والمقصود أن رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر الصّدِّيق إمامًا للصحابة كلّهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأكبرهم سنًّا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلامًا**»

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥. وقال: هذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ٧/ ١٩٢، ابن حنبل: المسند، ح (١٣٥٨٢).

وقد اجتمعت هذه الصفات كلّها في الصّدِّيق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافي ما روي في **الصحيح**، أن أبا بكر رضي الله عنه ائتم به ﷺ لأن ذلك في صلاة أخرى كما نصّ على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة، رحمهم الله عزّ وجلّ[1].

وقال أنس رضي الله عنه: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، كشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فلما رآه الناس تخشخشوا فأومأ إليهم أن امكثوا مكانكم فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ثم ألقى السجف وتوفي من آخر ذلك اليوم[2]. عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه[3].

تنبيه:

استشكلت هذه الأحاديث بما في **الصحيح** عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فخرج أبو بكر رضي الله عنه يصلي فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إلى رجليه تخطان الأرض من الوجع، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يتأخر فأومأ إليه أن مكانك، ثم أتى إلى أن جلس إلى جنبه، فقيل للأعمش، فكان رسول الله ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس بصلاة أبي بكر؟ فقال: نعم. وعلم عن جابر نحوه، وفيه أن أبا بكر كان مأمومًا والنبي ﷺ هو الإمام، وفيه وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره.

والجواب أن هذه الأحاديث المختلفة، قد جمع بينها ابن حبان، والبيهقي، وابن حزم فقال ابن حبان: نحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه: إن هذه الأخبار كلها صحاح، وليس شيء

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٤.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٦.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ٣/ ٢٨ (٢١١٩).

منها معارض الآخر، ولكن النبي ﷺ صلى في صلاته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة، وإحداها كان مأمومًا، وفي الأخرى كان إمامًا. قال: والدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة، أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين، يريد بأحدهما العباس، والآخر عليًّا رضي الله عنهما[1].

وفي خبر مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين قال: فهذا يدلك على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة. وقال البيهقي في **المعرفة**: والذي نعرفه بالاستدلال بسائر الأخبار أن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر هي صلاة الصبح يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاها حتى مضى لسبيله، وهي غير الصلاة التي صلاها أبو بكر رضي الله عنه خلفه ﷺ قال: ولا يخالف هذا ما ثبت عن أنس في صلاتهم يوم الاثنين، وكشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ونظره إليهم وهم صفوف في الصلاة، وأمره إياهم بإتمامها وإرخائه الستر، فإن ذلك إنما كان في الركعة الأولى، ثم إنه وجد في نفسه خفة فخرج فأدرك معه الركعة الثانية، وقال: والذي يدلك على ذلك ما ذكره موسى بن عقبة في **المغازي**، وذكره أبو الأسود عن عروة: أن النبي ﷺ أقلع عنه الوعك ليلة الاثنين، فغدا إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل بن عباس وغلام له وقد سجد الناس مع أبي بكر في صلاة الصبح وهو قائم في الأخرى، فتخلص رسول الله ﷺ حتى قام إلى جنب أبي بكر فاستأخر أبو بكر فأخذ رسول الله ﷺ بثوبه فقدمه في مصلاه، فصفَّا جميعًا، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر قائم يقرأ القرآن، فلما قضى أبو بكر قراءته قام رسول الله ﷺ فركع معه الركعة الأخيرة، ثم جلس أبو بكر رضي الله عنه حين قضى سجوده يتشهد، والناس جلوس، فلما سلم أتم رسول الله ﷺ الركعة الأخيرة، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد، فذكر قصة دعائه أسامة بن زيد، وعهده إليه فيما بعثه فيه، ثم في وفاة رسول الله ﷺ[2].

---

(١)، (٢) الصالحي: سبل الهدى، ٨/ ١٩٥.

قال البيهقي: فالصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ وهو مأموم صلاة الظهر، وهي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بين الفضل بن عباس، وغلام له. قال: وفي ذلك جمع بين الأخبار التي وردت في هذا الباب. والله أعلم.

وقال ابن حزم: إنهما صلاتان متغايرتان بلا شك، إحداهما: صفتها أنه ﷺ أم الناس والناس خلفه، وأبو بكر رضي الله عنه عن يمينه في موقف المأموم، يسمع الناس تكبيره. والصلاة الثانية صفتها أنه ﷺ كان خلف أبي بكر في الصف مع الناس، فارتفع الإشكال جملة. قال: وليست صلاة واحدة في الدهر فيحمل ذلك على التعارض، بل في كل يوم خمس صلوات ومرضه ﷺ كان مدة اثني عشر يومًا، فيه ستون صلاة أو نحو ذلك. والله تعالى أعلم(١).

وعن محمد بن قيس قال: اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يومًا، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر رضي الله عنه(٢).

واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنه ثلاثة عشر يومًا. وقيل بزيادة يوم، وقيل بنقصه. وقيل: تسعة أيام. رواه البلاذري عن علي رضي الله عنه وقيل: عشرة، وبه جزم سليمان التيمي، وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام. وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم سبع عشرة صلاة(٣)

وقال أنس رضي الله عنه: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم،

---

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٨/ ١٩٥، ابن حبان: السيرة، ١/ ٣٩٧.

(٢) ينظر: البيهقي: السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلًا للخلافة بعده. ح (١٧٠٥٢)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ح (٣/ ١٨٠).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ١/ ٢٢٠، الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٤.

وأرخى النبي ﷺ الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات[1]. وكان ذلك اليوم لاثنتي عشرة خلون من شهر ربيع الأول[2].

والمتفق عليه أن المرض غلب رسول الله ﷺ حتى انقطع عن الناس مدة ثلاثة أيام وقيل: سبع عشرة صلاة، وأنه لما أذن بالصلاة في أول ما قطعه المرض. قال: «**مروا أبا بكر أن يصلي بالناس**» وهذا هو المقصود من كل ما سبق، وهو أن رسول الله ﷺ هو الذي أقام خليفته إمامًا وقائدًا للأمة ولم يأذن لغيره أن يشاركه في تلك المهمة أو ينوب عنه فيها، وهذا ما فهمه المهاجرون والأنصار وعملوا به وتوارثته الأمة منذ ذلك اليوم، وهو كذلك إلى قيام الساعة لم يشذ عن هذا المنهج إلا المرتدون وورثتهم الذين يرفضون خلافة النبوة ويردون أمر رسول الله ﷺ ويعملون على هدم ثوابت السنة من داخل البيت الإسلامي وسحق أهلها بأسلحة الفتنة والشك وبث الباطل ونشر البهتان وتهييج الغوغاء واستحمار علماء الدرهم والهوى والجهل الذين يساوون بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومسيلمة الكذاب، وبين عمر الفاروق رضي الله عنه وأبي لؤلؤة المجوسي، وبين عثمان ذي النورين رضي الله عنه وابن سبأ اليهودي، ويقدمون أخوة الأرض التي حددها سايكس وبيكو الصليبيان على أخوة العقيدة التي صاغها الله ورسوله ﷺ، ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى، ومواقفهم على مواقف السلف الناصح الصالح المجرب، ويدينون بما يعشش في أدمغتهم من الأوهام والفروض والتخيلات، على ما يراه عقلاء الأمة وما عاشه أهل السنة وعانوه من الغدر والظلم على أيدي الرافضة على مر التاريخ.

كل ذلك القيح يتجرعه مسوقو التضليل دون أي ثمن؛ إذ إن الرافضة لن يصدقوهم ولن يحبوهم ولن يسالموهم ولكنهم يمتطونهم إلى حين، وأمة السنة النبوية تدفع ثمن فتاوى عجائز مراهقيها، الذين ما زالوا يعملون على تسليمها موثقة إلى جَزَّاريها، تحت شعارات

(١) البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٤٩).

(٢) ابن حبان: السيرة ١/ ٣٩٧

يشهد الله تعالى وخلقه أنها قاصرة واهمة ضالة مضلة، حتى أصبح الأمر أعظم وأخطر من أي خطر مرت به الأمة، لأن الشر المحدق بها في هذه الأيام يغذيه ويناصره ويقوده ما يسمى بعلمائها؛ الذين ساووا بين السنة والردة، وبين من يدين برضاء الله على أصحاب محمد ﷺ وبين من يكفرهم ويلعنهم في كل صباح ومساء، جاعلًا من ذلك دينًا يدين به ويعمل بكل ما أوتي من مكر وقوة على نشره فقط بين أهل السنة، الذين أصبح حالهم كحال الغنم في الليلة المطيرة الشاتية إذ لا أرض ولا قيادة، وبينهم وبين العقيدة التي أقصيت عنهم بحار متلاطمة ومفازات مترامية، وعامتهم نيام إلا من رحم الله تعالى. والله المستعان.

رفض رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غير أبي بكر رضي الله عنه:

ثم لما قدم النبي ﷺ من بني عمرو بن عوف الأنصار، أشار إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتم بهم الصلاة فسلك أبو بكر مسلك الأدب معه، وعلم أنه أمر إكرام لا أمر إلزام، فتأخر تأدبًا معه، لا معصية لأمره، فإذا كان هو يقرّه في حال صحته وحضوره على إتمام الصلاة بالمسلمين التي شرع فيها، ويصلي خلفه، كما صلى صلاة الفجر خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك، صلى إحدى الركعتين وقضى الأخرى فكيف يظن به أنه في مرضه وإذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس كما يزعم ذلك زنادقة الرافضة؟! فهذا ونحوه ما يبيّن أن حال الصديق عند رسول الله ﷺ وعند المؤمنين وجميع الصالحين في غاية المخالفة لما هو عند بقية المنافقين السبئية المفترين الكذّابين، وإخوانهم المرتدّين والكافرين، الذين يوالون أعداء الله، ويعادون أولياءه. ولا ريب أن أبا بكر وأعوانه هم أشدّ الأمة جهادًا للكفار والمنافقين والمرتدّين الرافضين للدين المتشيعين للمشركين وللمجوسية المحاربة لله ورسوله بالباطنية والتحايل والمكر والبهتان.

فأبو بكر رضي الله عنه والصحابة وتابعوهم هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها، وهذا أمر معلوم في السلف والخلف، فخيار المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدّمونه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه ومثل ذلك أمراء الأنصار، سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما[2]. قالت الطاهرة عائشة: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لأمتي أن يؤمّهم إمامٌ وفيهم أبو بكر**»[3].

وقال عبد الله بن زمعة بن الأسود: لما استُعزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعا بلال للصلاة. فقال: مروا من يصلّي بالناس، قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقال: قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس، قال: فقام، فلما كبّر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون**»، قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس. وقال عبد الله بن زمعة: قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة؟ والله ما ظننتُ حين أمرتني إلّا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت بالناس، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ ولكن حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة[4]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: كبر عمر رضي الله عنه فسمع رسول الله ﷺ تكبيره، فأطلع رأسه مغضبًا، فقال:«**أين ابن أبي قُحَافة؟ أين ابن أبي قُحَافة؟**»[5]. وعن أبي سعيد الخُدْري، قال: لم يزل رسول الله ﷺ في وجعه إذا وجد خِفّة خرج، وإذا ثَقُل وجاءه المؤذن، قال: «**مروا أبا بكر يصلّي بالناس**»، فخرج من عنده يومًا الآمر يأمر الناس يصلّون، وابن أبي قُحَافة غائب، فصلّى عمر بالناس، فلما كبّر قال

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٥٧.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦١.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٢.
(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٤.

رسول ﷺ: «**لا، لا، أين ابن أبي قُحَافة؟**»، قال: فانقضت الصفوف، وانصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ابن أبي قُحَافة، وكان بالسُّنْح، فتقدم، فصلّى بالناس[1].

وقال أنس بن مالك: لم يخرج إلينا رسول الله ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يصلّي بالناس، فرفع النبي ﷺ الحجاب، فما رأينا منظرًا أعجب إلينا منه حيث وضح لنا وجه رسول الله ﷺ فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه أنْ تقدمْ، وأرخى نبي الله ﷺ الحجاب، فلم يوصل إليه حتى مات[2]. وقال رضي الله عنه: آخر صلاة صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفا به خلف أبي بكر. قال ابن كثير: إسناده جيد وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلاّها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه[3]. وعن أنس أيضًا، أن النّبيّ ﷺ صلّى خلف أبي بكر في ثوب واحد وبرد مخالفا بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «**ادع لي أسامة بن زيد**» فجاء فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلاّها ﷺ[4]. وقالت أم المؤمنين رضي الله عنها: إن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه[5]. وقالت رضي الله عنها: صلى رسول الله ﷺ خلف أبي بكر قاعدًا في مرضه الذي مات فيه[6].

وقال علي رضي الله عنه: لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلّي بالناس، وإنّي لشاهد ما أنا بغائب، ولا في مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا[7]. فيظهر من ذلك تقديم

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦٤. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥.

(٤) البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ٧/ ١٩٢، ابن حنبل: المسند، ح (١٣٥٨٢).

(٥) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٢١١٩).

(٦) سنن الترمذي: ك. أبواب ما جاء إذا صلى الإمام قاعدًا، ح (٣٦٢)، سنن البيهقي الكبرى: ك. صلاة المأموم قائمًا، ح (٤٨٦٢).

(٧) المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (٥٣٦٧٠)، ابن عساكر تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٥.

أبي بكر وترجيحه رضي الله عنه على جميع الصحابة وفضيلة عمر رضي الله عنه بعده[1].

واستدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته ﷺ قاعدًا، وأبو بكر مقتديًا به قائمًا، والناس بأَبي بكر رضي الله عنه على نسخ قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه، حين صلى ببعض أصحابه قاعدًا[2] وأمره لهم أن يصلوا جلوسًا مع إمامهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم[3].

وروي فلما نظر ﷺ إلى الناس يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه سرّ رسول الله ﷺ بذلك. وقال أنس رضي الله عنه: تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا، فبهشنا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج رسول الله ﷺ... فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل رسول الله ﷺ وأرخى الستر. قال: فتوفي ﷺ من يومه. وروي أيضًا عنه قال: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين... وتوفي من آخر ذلك اليوم[4].

بعض شبهات الرافضة حول إمامة خليفة رسول الله:

ومع كل هذه الأدلة القطعية الثبوت على تقديم رسول الله ﷺ لخليفته في الصلاة أبى أعداء الصحابة رافضو السنّة إلا أن يشوشوا على هذه المسألة المسلّم بها لكي يشغلوا المسلمين في الرد على باطلهم وإلا فهم يعلمون من داخلهم أنهم مفترون آثمون، فجاء في بهتانهم أن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تود أن يأمر رسول الله ﷺ

---

(١) المقدسي: تحفة الصَديق في فضائل أبي بكر الصدّيق، ٣٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥.

(٣) صحيح مسلم: ك. الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع، ح (٤٧٩).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٦.

غير أبي بكر أن يصلي بالمسلمين؛ يفترون عليها بأنها هي التي أمرت أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس وليس رسول الله ﷺ ليؤكدوا لكل من لديه مسحة من علم أنهم أمة الإفك والبهتان التي لا تبالي بما تقول أو تفعل.

قال ابن تيمية: إن هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهل العلم بالحديث. ويقال للرافضي:

أولًا: من ذكر ما نقلته بإسناد يوثق به؟ وهل هذا إلا في كتب الرافضة، الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال رسول الله ﷺ؟ مثل المفيد بن النعمان والكراجكي وأمثالهما من أعداء السنة الذين هم من أبعد الناس عن معرفة حال رسول الله ﷺ وأقواله وأعماله[1].

وثانيًا: هذا كلام جاهل يظن أن أبا بكر رضي الله عنه لم يصل بهم إلا صلاة واحدة، وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلي بهم حتى مات رسول الله ﷺ بأمره لأبي بكر واستخلافه له في الصلاة، بعد أن راجعه أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما في أن يصرف الإمامة عنه لكثرة بكائه في الصلاة، ولم ينقل أن النبي ﷺ استخلف في غيبته على الصلاة في غير سفر، في حال غيبته، وفي مرضه إلا أبا بكر رضي الله عنه ولكن عبد الرحمن بن عوف صلى بالمسلمين مرة واحدة صلاة الفجر في السفر عام تبوك، لأن النبي ﷺ كان قد ذهب ليقضي حاجته، فتأخر وقدّم المسلمون عبد الرحمن رضي الله عنه فلما جاء النبي ﷺ ومعه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وكان النبي ﷺ قد توضأ ومسح على خفيه فأدرك معه ركعة وقضى ركعة، وأعجبه ما فعلوه من صلاتهم لما تأخر[2] فهذا إقرار منه على تقديم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. وفيه رد على كذب الرافضة[3] فها هم الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ أئمة وقادة وسادة ومفتون بشرعه وبين يديه ﷺ بينما كانت المجوس تعبد النار وتسجد للأكاسرة من دون الله.

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ١٢٠، ٨/ ٥٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، (٦٣٩).

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ١٢٠، ٨٥٥٧.

وكان إذا سافر ﷺ عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلي بالمسلمين حين كانت الصلاة أهم ما في دولة المسلمين فمن أجلها يسالمون ويعادون. كما استخلف:

- سباع بن عرفطة بن عمرو الغفاريّ رضي الله عنه خمسة وعشرين يومًا في غزوة دومة الجندل، وذلك في بداية السنة الخامسة للهجرة[1].
- وكما استخلف على المدينة جندب بن جنادة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق لمدة ثمانية وعشرين يومًا[2].
- ومثلما استخلف على المدينة في غزوة الحديبية نُميلة بن عبد الله الليثي سنة ست من الهجرة[3].
- وسباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة[4].
- وكما استخلف على المدينة في غزوة فتح مكة في سنة ثمانٍ من الهجرة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري، وكذلك في غزوة حنين وفي حصار الطائف وأبو رهم هو المستخلف على المدينة في أطول فترة يقضيها مستخلف لرسول الله ﷺ على المدينة، وذلك منذ أن غادر المدينة باتجاه مكة في شهر رمضان من سنة ثمانٍ للهجرة حتى عاد إلى المدينة لست ليالٍ بقين من شهر ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، ولعل هذه ميزة اختص بها هذا الصحابي رضي الله عنه[5]
- وكما استخلف في غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة محمد بن مسلمة الأنصاري

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٧، الواقدي: المغازي، ١/ ٤٠٤، ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٦٢.
(٢) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٨، الواقدي: المغازي، ١/ ٤٠٤، ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٦٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الخليفة: مهاجرة الحجاز: ٢٢٩، الواقدي: المغازي، ٢/ ٦٣٦.، ابن سعد: الطبقات، ٢/ ١٠٦.
(٥) الخليفة: مهاجرة الحجاز: ٢٢٩، ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥٠٠، ابن خياط: تاريخ خليفة، ١/ ٧٢، الطبري: تاريخ، ٣/ ٧٠.

النبي ﷺ استخلفهم على المدينة قبله[1].

فإذا عرف القارئ الكريم مقاصد هذه الولاية في عصر رسول الله ﷺ تبين له ما عليه الرافضة من الإفك والتضليل والبهتان، فهم يبنون ما يزعمون أنه إمامة على أحاديث لم يختص بها علي رضي الله عنه من دون الصحابة؛ بل فيهم من ولي مرات متعددة فأمضى الأيام وأحيانًا الشهور مستخلفًا وواليًا على المدينة فلم يزعم أحد أنه هو صاحب الولاية بعد رسول الله ﷺ، فما بال الرافضة يزعمون ذلك لعلي رضي الله عنه ولم يثبت أنه استخلف على المدينة ولو لمرة واحدة، فهم يقولون إنّ النبي ﷺ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك مما يعني أنه هو الإمام، وهذا منتهى التضليل كما اتضح في هذه الأمثلة؛ إذ إن المتابع لحركة رسول الله ﷺ في عصر الرسالة لا يستطيع أن يثبت أن عليًّا رضي الله عنه استُخلف على المدينة في غزوة من الغزوات، في حين استخلف ﷺ من الصحابة من هم دون مرتبة علي رضي الله عنه، وأنه لم يستخلف عليًّا رضي الله عنه على المدينة في غزوة تبوك كما يزعم الرافضة ليضللوا الغوغاء، وإنما استخلفه على أهله وعياله كونه أحد أبناء تلك الأسرة كما يستخلف أي رجل أحد أبناء أسرته في أهله لرعايتهم وقضاء حوائجهم، فأي ولاية في هذا؟ ولا سيما أن عليًّا رضي الله عنه عدّ ذلك مما يعيبه وعدّ ذلك تخلفًا عن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وهذا ما تحدث به المنافقون أيضًا، وهذا ما أبكى عليًّا رضي الله عنه حتى استرضاه النبي ﷺ في قوله له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟**» أي حين استخلفه في أهله وقومه حتى رجع من سفره مع أن هارون لم يستطع أن يحفظ الأمر الذي كُلف به حين تمرد عليه السامري فأضل بني إسرائيل. قال تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[2] مما عرّض هارون إلى غضب موسى عليهما السلام حتى لامه وأخذ برأسه ولحيته، مما اضطر هارون إلى الاعتذار

---

(١) ينظر: الخطيب: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٨٠ فما بعدها.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٥.

وطلب الصفح من موسى وتسويغ موقفه من السامري بخوفه من تفريق بني إسرائيل. قال تعالى على لسان هارون لأخيه موسى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[1].

وإذا عُرف كل هذا واتضح أن رسول الله ﷺ لم يستخلف في حال غيبته من غير سفر وفي مرضه إلا أبا بكر رضي الله عنه لا عليًّا رضي الله عنه ولا غيره، عُلم زيف دعاوى الرافضة وضلالهم وتحريفهم للأحداث وبهتانهم على رسول الله ﷺ وسقطت جميع حججهم بما يسمونه الإمامة وأحقية علي رضي الله عنه بها من دون الصحابة، كما يتضح في ذلك جهل من يزعم أنه من أهل السنة بعد الاطِّلاع على كل هذه الأحاديث، ثم يردد الشبهات والبهتان لإبطال الدين وتغيير مسار الأمة إلى غير الوجهة التي قادها عليها أئمتها المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ السائرون على خطاه الطيبة المباركة.

ومثلما ثبت أن النبي ﷺ استخلف عليًّا رضي الله عنه في غزوة تبوك على الأهل والعيال، فإن استخلافه ﷺ للصدّيق رضي الله عنه في الصلاة متواتر ثابت، كما اتضح مفصلًا في مواضعه؛ فصلّى بهم أبو بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله ﷺ بعد مراجعة عائشة رضي الله عنها له ﷺ ثلاث مرات بأن يصرف ذلك عن أبيها[2] فصلّى بهم رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ في مرضه إلى أن توفي ﷺ، وهذا مما اتفق عليه العلماء بالنقل، فإن النبي ﷺ مرض أيامًا متعددة، حتى قبضه الله إليه.

وفي تلك الأيام لم يكن يصلي بهم إلا أبو بكر رضي الله عنه وحجرة رسول الله ﷺ إلى جانب المسجد، فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غيره بالصلاة، وصلى أبو بكر رضي الله عنه بغير أمره ﷺ تلك المدة كما تفتري ذلك الرافضة ومن في قلوبهم مرض ممن امتهنوا

(١) سورة طه، الآية: ٩٤.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم أحق بالإمامة، ح (٦٧٨) و(٦٨٢)، الترمذي، السنن، كتاب المناقب، في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ح (٣٦٠٥). منهاج السنة، ١/ ٥١٢، ٨/ ٥٥٨.

الكذب والبهتان على خيار هذه الأمة، فكيف يصلي بالأمة خليفة رسول الله كل تلك المدة التي مرض فيها رسول الله ﷺ ولم يراجعه ﷺ أحد في ذلك، والعباس وعلي رضي الله عنهما وغيرهما، كانوا يدخلون عليه بيته، وقد خرج بينهما في بعض تلك الأيام كما اتضح ذلك؟ وقد روي أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس، وتوفي ﷺ بلا خلاف يوم الاثنين من الأسبوع الثاني؛ فكانت مدة مرضه فيما قيل اثني عشر يومًا؛ وفي كل ذلك لم يسمع أحد إلا الإقرار لإمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والرضا بها وسرور رسول الله ﷺ بذلك.

فالرافضة يردون كل صحيح فلا قيمة علمية ولا شرعية لمواقفهم من الكتاب والسنة ولا من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن ما هو موقف من يثق بهم ممن يزعم أنه من أهل السنة بعد هذه الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها علماء الحديث وفقهاء السنة المطهرة؟ وجميعهم مجمعون على استخلاف النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة، وأنه صلى بالناس قبل خروج رسول الله ﷺ أيامًا، وأنه لمّا خرج لصلاة الظهر أمره ألا يتأخر بل يقيم مكانه، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه، وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بصلاة النبي ﷺ والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول والتفقه في مسائل عديدة فيه[1] والجميع متفقون على صدق موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: «كنت أرى أنه لن يقوم مقامه ﷺ أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر»[2] وقالت رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله ﷺ قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف- كثير البكاء - وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت: فقلت لحفصة: قولي له: ... فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت: فأمروا أبا بكر أن يصلي

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٥٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعلة (٦٨٣)، صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢- ٦٣٨).

بالناس[1]. ففي هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعته، وأن النبي ﷺ لامهنّ على هذه المراجعة، وجعل من يراجعه على تقديم صاحبه رضي الله عنه إنما يراجعه لتقديم الباطل على الحق.

فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه. وكذلك فإن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر أن يصلي فلم يتقدم عمر رضي الله عنه وقال: أنت أحق بذلك. فكان في هذا اعتراف عمر رضي الله عنه له أنه أحق بذلك منه، كما اعترف له أنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة وأنه أفضلهم رضي الله عنه.

وكما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما في سقيفة بني ساعدة: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس[2]. ففي هذا الخبر إخبار عمر بين المهاجرين والأنصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، وذلك سبب مبايعته. فقال عمر رضي الله عنه: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ليبين بذلك أن المأمور به تولية الأفضل، وأنت أفضلنا فنبايعك. وهذا ما يؤكده حديث النبي ﷺ عندما سئل: من أحب الرجال إليك؟ قال: «أبو بكر»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣) (٦٣٤) سنن النسائي: كتاب الإمامة، باب الائتمام بالإمام يصلي قاعدًا (٨٢٤).

(٢) البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي: **«لو كنت متخذًا خليلًا»**، ح (٣٦٧٠) ابن حنبل، مسند، ح (١٨) ط. د. المعارف، ١٩٤٩ م ١٩٨٠م. الطبري، تاريخ، ٣/ ٢٠٣، وكيع، أخبار القضاة، ٢٣. الخليفة، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١١٣. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/ ٥١٨، ٨/ ٥٦٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب **«لو كنت متخذًا خليلًا»**، ح (٣٦٦٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب من فضل عائشة، ح (٣٨٢٠) (٣٨٢٥) منهاج السنة، ٤/ ٣٠٣، ٨/ ٥٦٥.

ولما قال ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**»[1]. وهذا مما يقطع أهل العلم بالحديث أن النبي ﷺ قاله، وإن كان من ليس له مثل علمهم لم يسمعه، أو سمعه ولا يعرف أصدق هو أم كذب؟ فلكل علم رجال يقومون به، وللحروب رجال يعرفون بها، وللدواوين حسّاب وكتّاب[2].

وسئلت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا[3].

والمقصود هنا أن استخلاف الصدّيق رضي الله عنه في الصلاة كان أيامًا متعددة كما اتفق عليه رواة الصحابة وكما رواه أهل الصحيح، ولم يزل يصلي بهم باتفاق الناس حتى مات رسول الله ﷺ وقد رآهم النبي ﷺ يصلون خلفه آخر صلاة في حياته وهي صلاة الفجر يوم الاثنين فسر بذلك وأعجبه[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لم يخرج إلينا رسول الله ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال: نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضح لنا وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا قط أعجب لنا من وجهه حين وضح لنا، قال: فأومأ نبي الله ﷺ بيده إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتقدم وأرخى نبي الله ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ[5] فقد

---

(١) سبق تخريجه. (٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٥٦٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، (٤٣٩٧)، ابن حنبل، المسند، ٦/ ٦٣ منهاج السنة، ١/ ٤٩٧، ٨/ ٥٦٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٨٠)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦)، منهاج السنة، ١/ ٥١٢، ٨/ ٥٦٦. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب هل يلتفت لأمر ينزل به، ح (٧٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦).

(٥) صحيح البخاري، ك. الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (٦٨٠) صحيح مسلم، =

أخبر أنس رضي الله عنه أن هذه المرة الثانية التي يخرج فيها ﷺ إلى باب الحجرة كانت بعد احتباسه ثلاثًا وفي تلك الثلاث كان يصلي بهم أبو بكر رضي الله عنه كما كان يصلي بهم قبل خروجه في المرة الأولى التي خرج فيها بين علي والعباس رضي الله عنهما، وتلك كان يصلي قبلها أيامًا. فكل هذا ثابت كما تم تفصيله في مواضعه، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ أومأ إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتقدم فيصلي بهم هذه الصلاة الآخرة التي هي آخر صلاة صلاها المسلمون في حياة النبي ﷺ، وهنا باشره بالإشارة إليه: إما في الصلاة، وإما قبلها. وفي أول الأمر أرسل إليه رسلًا فأمروه بذلك، ولم تكن عائشة رضي الله عنها هي المبلغة لأمره، ولا قالت لأبيها: إنه أمره كما زعم هؤلاء المفترون ومن يردد أباطيلهم.

فقول أعداء الصحابة: إن بلالًا لما أذّن أمرته عائشة أن يقدم أبا بكر كذب صريح؛ لم تأمره الطاهرة عائشة أن يقدم أبا بكر رضي الله عنه ولا أمرته بشيء ولا أخذ بلال ذلك عنها، بل هو الذي آذنه بالصلاة. وقال النبي ﷺ لكل من حضره: لبلال وغيره: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فلم يخص الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالخطاب، ولا سمع بلال رضي الله عنه منها شيئًا في هذا، ولكن هذا هو دين أعداء الصحابة بهتان وتدليس بلا حياء ولا وجل، فلا شأن للمسلم بدينهم ولا بأقوالهم، ولكن شأن المسلم مع الغوغاء الذين يصدقون كل أفاك يفتري على الصحابة فيجترون باطله تارة بحجة الرد عليه فيقعون فيما يريد من انتشار الشك والريب في نفوس المؤمنين، وتارة استجابة للشك الذي في نفوسهم المريضة وللجهل المطبق بتاريخ الصحابة يرددون ما تُخيله لهم أوهام الرافضة وأباطيلهم المصنوعة.

ثم يقال لأعداء الصحابة وإن كان دينهم مخالفة الكتاب والسنة، ولمن يسمع لهم من المترددين والمتشككين الذين يميلون مع الريح أينما مالت، ما قاله ابن تيمية: من المعلوم المتواتر أن النبي ﷺ مرض أيامًا متعددة، عجز فيها عن الصلاة بالناس أيامًا، فمن الذي كان

= ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام، (٦٣٧).

يصلي بهم تلك الأيام غير أبي بكر رضي الله عنه؟ ولم ينقل أحد قط لا صادق ولا كاذب: أنه صلى بهم غير أبي بكر لا عمر ولا علي ولا غيرهما، وقد صلّوا جماعة فعلم أن المصلي بهم كان أبا بكر رضي الله عنه، ومن الممتنع أن يكون الرسول ﷺ لم يعلم ذلك، ولم يستأذنه المسلمون فيه فإن مثل هذا ممتنع عادة وشرعًا، فعلم أن ذلك كان بإذنه وأمره وإصراره ﷺ كما علم يقينًا أن أعداء الصحابة سيبقون يجترون الباطل والبهتان إذ إنه هو خيارهم ومذهبهم[1].

وثبت أنه روجع ﷺ في ذلك وقيل له ﷺ: لو أمرت غير أبي بكر، فلام من راجعه وجعل ذلك من المنكر الذي أنكره، لعلمه أن المستحق لذلك هو أبو بكر رضي الله عنه لا غيره. وقد سبق ذكر كثير من الأحاديث الصحيحة التي توضح وتؤكد أولوية أبي بكر رضي الله عنه في إمامة المسلمين كما ورد في **الصحيح** عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا لأبي بكر، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[2] وهذا الحديث الصحيح فيه همّه ﷺ بأن يكتب لأبي بكر كتابًا بالخلافة، لكيلا يقول قائل: أنا أولى، فلما علم ﷺ أن الله لا يختار إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يختارون غيره اكتفى بذلك ﷺ عن الكتاب.

فأبعد الله من لا يختار من اختاره الله ورسوله ﷺ والمؤمنون. وأبعد الله من يحسن الظن فيما يقوم به الرافضة من رد لخيار الله والرسول والمؤمنين، سواء كان في السياسة أو القتال أو الاقتصاد أو غير ذلك، ومن يثق لهم بعهد أو ميثاق أو يصدق لهم وعدًا أو يقبل لهم وصية، إذ إنهم لا عدو لهم ولا بغيض إلا السنة النبوية وأهلها الأبرار النجباء، ومن وسائل

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٥٧٠.

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢٣٨٧)، وانظر: منهاج السنة ١/ ٤٩٢، ٨/ ٥٧٠. وينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٤٩٦، ٨/ ٤٧١.

محاربتهم للسنة النظر في صحيح الدين والعمل بما يخالفه، كما تبين افتراؤهم على الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها في موقفها من خلافة الصديق رضي الله عنه بعكس ما أرادت وقالت: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1] وويل للمعرضين من أهل السنة عن النصح وقبول الحق ووصايا السلف الصالحين.

فثبت بذلك أن غاية الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت بعكس ما تفتريه الرافضة وأتباعها الذين يهرفون بالباطل بلا دليل ولا عقل، حيث كان مقصدها صرف الخلافة عن أبي بكر رضي الله عنه خشية من أن يبغضه أحد من المؤمنين، لأنها كانت تعتقد أنه لا يمكن أن يحب المؤمنون من يقوم مقام رسول الله ﷺ للفارق الكبير بين رسول الله المؤيد بالوحي وبين البشر الموكول إلى جهده واجتهاده، في حين أن خليفة رسول الله ﷺ كان هو الأقدر على ملءِ ذلك الفراغ الهائل الذي تركه رسول الله ﷺ وهو الأقدر على محاكاة سيرة رسول الله ﷺ والنظر إلى الأحداث بما كان ينظر إليه النبي ﷺ؛ لأنه كان هو الأقرب إليه في كل ملمة، وهو الأعرف بما كان يعالج به الأزمات ﷺ، وهذا ما حصل في واقع الحياة، وهذا ما كان يعلمه رسول الله ﷺ في صاحبه، فكان يرفض أن يؤم الأمة غيره أو يقوم مقامه غير صاحبه رضي الله عنه الذي عجمته الأحداث وزادته خبرة في كل جوانب الحياة، لهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «**لا ينبغي لأمتي أن يؤمّهم إمامٌ وفيهم أبو بكر**»[2].

فاختيار رسول الله ﷺ أبا بكر ليصلي بالناس هو تأكيد لخلافته وإمامته على الملأ في حياته ﷺ لأن الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإقامتها من مهام الإمام القائد، فلا يؤم الجيش إلا القائد، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها في كل الشؤون لأن الصلاة هي العنوان وهي عماد الدين وأعظم شؤون المسلمين، وأن أي تشكيك بهذا الاختيار سواء كان تحت شعار البحث العلمي أو حرية الرأي أو غير

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦١.

ذلك؛ فإن كل ذلك رفض لخلافة النبوة ورد لخيار رسول الله ﷺ وما شعار البحث وحرية الرأي إلا كلمة حق يراد بها الدس والتدليس والبهتان على أئمة خير القرون، ومن هنا توجب على صاحب الإيمان أن يحدد موقفه وخياره، فإما أن يشرع لنفسه ولطائفته ما يضاهي به تشريع الكتاب والسنة، وإما أن يتمسك بهما ويهتدي بهدي رسول الله ﷺ وإمامة وولاية وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإذا تمسك بالهدي النبوي فعندها سيردد مع القائل:

أيا ربي لك المنه ... على الإسلام والسنه

هما والله برهانا ... ن أنا ندخل الجنه[1]

وقد نصر خليفة رسول الله السنة وأعز أهلها، ورفع من شأنها فوق كل شأن حتى ساد بها الأرض وأذل بها الجبابرة وسحق بها الردة، فما زال أعداء الصديق من حثالات تلك الفرق الضالة والتجمعات الحاقدة التي تبغي الفتك بالمؤمنين واختراق أمنهم وبيع بلادهم والتعاون مع أعدائهم، ما زالوا يمكرون ويخططون لمحو السنة النبوية وإسقاط الثقة في رواتها، وعلى هذا فأبو بكر رضي الله عنه هو الميزان الذي يظهر على كفتيه أهل السنة وأهل الردة، فمن والى خليفة رسول الله فهو على منهاج النبوة ومن خالفه فهو على جروف الردة وهاوية الرفض والظلمة. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

فالرافضون لخيار رسول الله ﷺ هم خارج إطار أمته:

إن الكافرين والمنافقين والمرتدين يكيدون لهذه الأمة منذ أن بعث الله نبيها ﷺ ليرفضوا ما جاء به من الهدى والنور ولكن الله تعالى تكفل بنصرة الدين وحمايته كلما توفر لذلك رجال يفقهون ما يجري حولهم في هذا الكون، فلا يوالون إلا من يوالي الله ورسوله ﷺ

(١) المقدسي: تحفة الصديق، ١٣٠.   (٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ولا يسقطون في مهاوي مكر أعداء الصحابة المخذولين في الدنيا ببغيهم ومكرهم وبالآخرة ببهتانهم وكذبهم على الله تعالى ولِما تبنوا من الدين المخالف لدين رسوله ﷺ ولِما يحملون في صدورهم من الحقد على أنصاره الكرام، قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: قيل لأم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألَّا يقطع عنهم الأجر[1]. وألَّا يرفع عن أعدائهم مقته لهم بطردهم عن منهج الكتاب والسنة الذي سار عليه الصحابة الكرام، وبجرأتهم على أعراض المؤمنين وتدينهم بالكذب والغيبة لأهل السنة الصالحين الطيبين، وشتمهم للأنصار والمهاجرين ومحاربتهم لرسول الله ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة مع رسول الله خير من عمل أحدكم أربعين سنة**». وفي رواية: «**خير من عبادة أحدكم عمره**»[2]. ولكن العارف بأعداء الصحابة يجد أن لب معتقدهم وعماده قائم على سب الصحابة وعيب السنة إلى حد تأصيل هذا المعتقد الفاسد في دينهم؛ وأنهم لو تابوا من إثم ذلك وأقلعوا عن صناعة الكذب والزيف؛ لهدم دينهم وتصدع معتقدهم وتبخرت ثقافتهم؛ إذ إن كل ما فيها قائم على العيب والبهتان والشتم والطعن على السنة النبوية وأهلها الأطهار والتخطيط على إقصائهم من الحياة السياسية والاقتصادية والدينية بكل وسيلة، من الاغتيال إلى التحالف مع الكفار والملحدين، وهذا ما يعيشه الناس في هذا العصر ويرون بأعينهم ثماره المرة من خطف الثروات وتدمير الأوطان وبيع القيم والثوابت.

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما قالت لي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا ابن أختي، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبّوهم. فهل من يرفض الكتاب والسنة يبقى له حظ في الإسلام؟ أو يعنيه أمر الإسلام؟ ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تسبوا أصحابي**

(١) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٤٦٧، الهندي: كنز العمال، ح (٣٦١٢٥)، ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ١/ ٤٣٣.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/ ٢٣.

فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[1]. فهؤلاء الرافضون لخيار رسول الله ﷺ فيمن يخلفه إمامًا في الأمة، الشاتمون لأصحابه هؤلاء أمة أخرى لا صلة لهم بما جاء به محمد ﷺ، وإنما يتلبسون أحيانًا ببعض الشعائر الإسلامية بعد تحريفها لإيهام المسلمين والتلبيس عليهم، إلى أن يجدوا منهم غفلة فينقضوا عليهم كما هو حاصل من أعداء الصحابة في هذه السنين التي أعلنوا فيها حربهم على القرآن والسنة وأهلهما دون أي تردد أو حياء، بعد أن أوثقوا عرى تحالفهم مع الصليبيين المعتدين على بلاد المسلمين، وكل هذا الذي يقومون به من الغدر والخذلان لعقيدة الأمة ولموروثها وأرضها ليس غريبًا؛ لأن هذا هو دينهم وهي عقيدتهم ونتاج تقيتهم؛ ولكن الغرابة ممن يزعم أنه من أهل الإسلام وما زال يعتقد أنه من الممكن احتواء ومعالجة بغضهم بعد كل التجارب العقيمة معهم، وكأن ذلك جاء عن سوء فهم أو عن قلة علم وليس عن مكر وتخطيط وحرب صامتة ومعلنة يتقد أوارها في قلوبهم جميعًا؛ وكيف لا وهم يجتمعون على الشك في الكتاب والكفر بالسنة واستباحة حملتها وأهلها؟ فغرر كثير من المحسوبين على السنة بالأمة ولبسوا عليها أمر أعداء الصحابة ودعوا إلى مودتهم مع كل ما فيهم من الحقد والكراهية والتكذيب لله ولرسوله ﷺ.

وبلغ من مكرهم وتلبيسهم ادعاؤهم محبة آل البيت زورًا وبهتانًا مع بغضهم لهم ولكل ما هو من جنسهم من العرب وخذلانهم ومحاربتهم وقتلهم، والمصيبة أن كثيرًا ممن يزعم أنه من أهل السنة يصدق تهويشاتهم هذه، ولعله من الممكن أن يوالوا آل البيت دون أن ينظر في الأحداث وما يحصل على الأرض من غدرهم الذي أثمر السمّ والعلقم، فيصدق البهتان ويكذب ما ترى عيناه وتسمع أذناه.

---

(١) البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قوله ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلًا»**، (٣٦٧٣)، مسلم، ك: فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ح (٤٦١٠)، (٤٦١١)، أبو داود: السنن، كتاب السنة، باب: في النهي عن سب أصحاب رسول الله، ح (٤٠٣٩) والمُد: نوع من المكاييل وهو ربع صاع؛ وهو قدر مُد النبي ﷺ، والصاع خمسة أرطال، والنصيف النصف، ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب ما أنفقه أحد الصحابة مدًّا ولا نصف مد.

قال شيخ الإسلام: ومن العجب من هؤلاء الرافضة أنهم يدعون تعظيم آل محمد ﷺ وهم الذين سعوا في مجيء التتار الكفار إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين، فهذا هو البغض لآل محمد ﷺ بلا ريب، وكان ذلك من فعل الكفار بمعاونة الرافضة... فقاتل الله الرافضة وانتصف لأهل البيت منهم؛ فإنهم ألصقوا بهم من العيوب والشين ما لا يخفى على ذي عين... وقد قلنا غير مرة: إن هؤلاء الجهال يكذبون بما يظنونه مدحًا ويمدحون به فيجمعون بين الكذب وبين المدح، فلا صدق ولا علم ولا عدل، فتبين أن الرافضة من أعظم الناس قدحًا وطعنًا في أهل البيت وأنهم الذين عادوا أهل البيت في نفس الأمر ونسبوهم إلى أعظم المنكرات، التي من فَعَلَها كان من الكفار. وليس هذا ببدع من جهل الرافضة وحماقاتهم، فإن منتهى أمرهم تكفير علي رضي الله عنه وأهل بيته، بعد أن كفروا الصحابة[1]. بل إنهم طلبوا من علي رضي الله عنه أن يشهد على نفسه بالكفر - حاشاه - فقال لهم رضي الله عنه: أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر - يأبر النخل: يصلحه - أبعدَ إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله ﷺ أشهد على نفسي بالكفر؟!! لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين، فأوبوا شر مآب وارجعوا على أثر الأعقاب[2]. فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدعو على الرافضة ألَّا يبقي الله منهم مخبرًا، ويخبر أنهم ارتدوا على الأعقاب عندما تخلقوا بأخلاق المرتدين وأخذوا يُكفرون المؤمنين ويكرهون الصحابة المكرمين، فماذا يرتجى من أعداء الصحابة وقد دانوا بكراهية الكتاب والسنة فلم يعد يهمهم أمر سوى محاربة المؤمنين والعمل على تكفير الصالحين وقتل واغتيال الأخيار الطاهرين وبوسائل توهم أنهم من المتأولين!!

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٢٤٦-٥٩٢، ٧/ ١٨١-٤٠٨، ٨/ ٧٤. الشمسان: موقف ابن تيمية من الرافضة، ٦٤، ٦٥.

(٢) نهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خطبة (٥٨) ص ٨٧.

وهذا ما أوهموا به الكثير ممن ما زال يدور في متاهات الرافضة المظلمة ممن يزعم أنه من أهل السنة، ولا أعلم أن هناك من هو أجهل وأخطر على السنة وأهلها ممن يتحدث بلسان أهل السنة وهو يعتقد إيمان من يدين بأن القرآن ناقص أو محرّف والسنة مفتراة، ويجاهر ويفاخر بقتل عمر الفاروق وعثمان ذي النورين رضي الله عنهما، ويحكم بكفر الصحابة رضي الله عنهم ويغلو في علي رضي الله عنه.

ولا أعتقد أن هناك من هو أخطر على ثقافة الأمة وفكرها وعقيدتها؛ من هذا الصنف الذي يجتر الوهم ويلوك الإفك ويدخر الإثم، ويسبغ على ذلك مسحة وفرية حرية البحث وحرية النقد، أو الرأي والرأي الآخر أو حق الآخرين في التعبير والاعتقاد وما إلى ذلك من أوهام، وكأن تكذيب ما يعتقده أهل السنة ويدينون به لا حرمة له فليشتم نبيهم من شاء وليقذف أمهاتهم من أراد، وليطعن بإمامهم وخليفة نبيهم أبي بكر رضي الله عنه أيضًا من شاء، وكأنه لم يبطل الردة ويحي السنة على ما كانت عليه في حياة رسول الله ﷺ.

فهذا الصنف المحسوب على السنة الذي قاده الرافضة في متاهاتهم فأخذ يصدر البيانات ويدعو إلى التنازلات عن ثوابت العقيدة وأعداء الصحابة يسرجونه ليمتطوه فيحاربوا به السنة ويضللوا أهلها، هؤلاء هم الأخطر فمن يوالي الرفض منهم فإنما هو سلولي سبئي بثوب جديد، على الأمة أن تحذره، فالدليل عليه واضح، فهو يساوي بين من يزكيه ويمدحه القرآن والسنة؛ وبين من يذمه القرآن والسنة ويكفر بهما! وبين من يقتل أهل السنة ويستبيح حرماتها وبين من يدافع عنها ويجاهد لحمايتها.

فالتمسك بالكتاب والسنة ومحبة حملتهما الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على دربهم وموالاتهم والبراءة من مبغضيهم الرافضة ومن والاهم بيعًا وشراء وتزاورا وتزاوجًا؛ ورصد نشاطات أعداء السنة ووسائل تضليلهم للأمة وتدميرهم للعقيدة وتحالفهم مع أعدائها وغزاة أرضها وهويتها، ومباشرة العمل الجاد والمثمر لمواجهة كل ذلك، وروح الاستعداد التام لفداء العقيدة بكل الإمكانات وبإخلاص وصدق؛ تلك هي أمارات اختيار السنة النبوية على

ما سواها وبشائر نصرها؛ وعلامات الهدى والتقى والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾[1].

* * *

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

المبحث الثاني

موقف خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ ورزية من شك في خلافته

بداية مرض رسول الله ﷺ:

دخل النبي ﷺ قبيل وفاته إلى بيته المبارك. فقالت أهله الطاهرة عائشة رضي الله عنها: وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**» فقالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة: وا ثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي؟ ولو كان ذاك، لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك. فقال النبي ﷺ: «**بل أنا وا رأساه، لقد هممت، أو أردت، أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون**»[1]. وروي أنه ابتدأ به مرضه ﷺ في بيت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها يوم خميس، وكان وجعًا في رأسه الكريم ﷺ وكان أكثر ما يعتريه الصداع ﷺ فجعل مع هذا يدور على نسائه حتى شق عليه، فاستأذنهن أن يُمرض حيث ترتاح نفسه في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها، فأذنّ له ﷺ فمكث وجعًا اثني عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر يومًا. والصديق رضي الله عنه يصلي بالناس بنص رسول الله ﷺ

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١)، ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة (٢٤٥٨٩).

واستثنائه له من جيش أسامة الذي كان قد جهزه ﷺ إلى الشام لغزو الروم[1].

وواضح في هذه النصوص وما سبقها، الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ورغبة النبي ﷺ وعزمه على أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه كتابًا بخلافته له على أمته ولكنه ﷺ ترك أمر الكتابة له لما شاهد ﷺ من مكانة صاحبه رضي الله عنه بين الناس ولما هو عليه من العلم والفهم والفطنة ولما يعلمه ﷺ من مكانته بين أصحابه الذين يعلمون أن رسول الله ﷺ لا يرضى أن يتقدم عليه أحد منهم، فاكتفى بالإشارة إلى إمامته وبما شافه به من سمعه من المؤمنين كما سيتضح ذلك لاحقًا، وأكد ذلك بالجانب العملي من خلال تقديم أبي بكر رضي الله عنه إمامًا في مكانه ﷺ وهو حي يرى ويسمع، وكله سرور باجتماع المؤمنين خلف صاحبه الذي هو أشد الناس حرصًا على التمسك بمنهجه وأكثرهم فهمًا لمقاصده وأوسعهم علمًا في أقواله وأفعاله وكل صفحات سيرته الطيبة العطرة ﷺ.

طلب أبي بكر رضي الله عنه أن يمرض رسول الله ﷺ:

بلغ من حنو أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مبلغًا عظيمًا زاد على حنو الآباء على أبنائهم حتى إنه كان يتمنى على رسول الله ﷺ أن يدعه يكفيه الحاجة إلى أي من الناس بما في ذلك أزواجه وأهل بيته وأن يأذن له بأن يقوم على خدمته وتمريضه والسهر على راحته ﷺ.

فجاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأمرضك وأكون الذي أقوم عليك فقال ﷺ: **«يا أبا بكر إني إنْ لم أحتمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي في علاجي ازدادت مصيبتي عليهم عظمًا وقد وقع أجرك على الله تعالى»** وقد اختلف في مدة مرضه ﷺ فذكر: ثلاث عشرة ليلة، وقيل: اثنتا عشرة ليلة. فلما اشتد عليه الوجع قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: جعل يشتكي ويتقلب على فراشه فقلت: لو صنع

(١) ابن كثير: السيرة، ١/ ٢١٦.

هذا بعضنا لوجدتَ عليه فقال ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة**»[1] وهذا يبين ما كان يعانيه رسول الله ﷺ قبيل وفاته.

غيابه في بيته بالسُّنح:

عن أنس رضي الله عنه أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج صوت رسول الله ﷺ من باب المسجد، يقول: «**أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون عليَّ بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن**» قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، إني أراك وقد أصبحت بنعمة من الله كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة - زوجته الأنصارية - أفآتيها؟ قال ﷺ: «**نعم**». ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى أهله بالسُّنْح[2] ولم يعد في الصباح حتى جاءه الصريخ أن رسول الله قد توفي وفارق الحياة ﷺ.

وفاة النبي ﷺ:

وانصرف الناس من الصلاة حين خرج رسول الله ﷺ فصلى مع أبي بكر رضي الله عنه وهم يظنون أنه قد أفاق من وجعه، وذلك هو الذي شجع أبا بكر رضي الله عنه على طلب الإذن منه والذهاب إلى بيته في السُّنح، وبعد خروج أبي بكر هذا توفي رسول الله ﷺ وتحدث الناس بذلك مما حدا بعمر رضي الله عنه أن يقف موقفًا متشددًا ممن تحدثوا بوفاته ﷺ لما يترتب على ذلك من أبعاد خطيرة على مصير الدولة الإسلامية الناشئة، ولما كان يعتقده في شأن وفاة رسول الله ﷺ كما هو مبين في موضعه. قال أبو هريرة

---

(١) صحيح مسلم، ك. الأدب والبر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، ح (٦٥٠٧) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ١٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١. والسُّنح اسم موضع من عوالي المدينة كان فيه بيت الصديق. ياقوت: ٣/ ٨٠.

رضي الله عنه: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله مات. وقال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا[1]. وكان يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]. **قالت** الطاهرة عائشة رضي الله عنها: وجع رسول الله ﷺ ذلك اليوم فاضطجع في حجري فدخل عليَّ رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر فنظر رسول الله ﷺ نظرًا عرفت أنه يريده قلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «**نعم**». قالت: فأخذته فألنته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قبل، ثم وضعه ووجدت رسول الله ﷺ يتفل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «**بل الرفيق الأعلى في الجنة**». قلت: خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق. قالت: وقبض رسول الله ﷺ[3].

قال سالم بن عبيد رضي الله عنه: إن الصحابة رضي الله عنهم أرسلوه خلف أبي بكر رضي الله عنه فذهب وراءه رضي الله عنه إلى السُّنح فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فلما بلغ أبا بكر رضي الله عنه الخبر وهو بالسُّنح أقبل على فرس له حتى نزل على باب رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ مسجًّى في ناحية البيت عليه برد حبرة،

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١٢، ابن كثير: السيرة، ١/ ٢١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(٣) النسائي: السنن الكبرى، ك. الوفاة، باب ذكر قوله حين شخص ببصره ﷺ، ح (٧١٠٢)، ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة، ح (٢٥٨١٥) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب: تابع مسند عائشة رضي الله عنها، ح (٤٥٨٥).

وعينا أبي بكر رضي الله عنه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله ﷺ وكشف عن وجهه ومسحه وقبل بين عينيه، وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولو أن موتك كان اختيارًا لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون، فأما ما لا نستطيع نفيه فكمد وإدناف يتحالفان لا يبرحان، اللهم أبلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا[1].

وروى ابن هشام أن سالمًا قال: ذهبت إلى أبي بكر رضي الله عنه، وذلك بعد أن سمع بذلك، وعاد من السُّنح فوجدته بالمسجد. فأجهشت أبكي، قال: لعل نبي الله توفي؟ قلت: إن عمر قال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فأخذ بساعدي ثم أقبل يمشي حتى دخل فأوسعوا له فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد يمس وجهه وجهه، فنظر نفسه حتى استبان أنه توفي ﷺ. وروى أيضًا: أقبل أبو بكر حتى نزل المسجد حين بلغه الخبر وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ مسجًّى في ناحية البيت عليه برد حبرة - وهو برد يمان - فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه فقبّله ثم قال: بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبدًا[2]. ثم رد الثوب على وجهه،

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٩٩. الروض الأنف، ١/ ٤٣٤. صفوت: جمهرة خطب العرب، ١/ ١٧٩.

(٢) أشار بذلك إلى الرد على من زعم بأنه سيحيا بعد موتته هذه أو غشيته التي توفي فيها ﷺ. وقيل: أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره، إذ يحيا ليسأل ثم يموت، قاله الداودي. وقيل: لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب، أي لا تلقى بعد كرب هذا الموت كربًا آخر.

ثم خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنصت. فأبى إلا أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1] قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر رضي الله عنه، فإنما هي في أفواههم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[2]. فلما حصل الوجع، تربصوا لينظروا ما يكون من أمره ﷺ، وقد صلّى ﷺ خلف الصدّيق رضي الله عنه جالسًا. وقُبض ﷺ ضحى يوم الاثنين من ربيع الأول، والمشهور أنه الثاني عشر منه، وقيل: مستهله، وقيل: ثانيه، وقيل: غير ذلك. فاشتدت الرزية بموته ﷺ وعظم الخطب وجل الأمر، وأصيب المسلمون بنبيهم، وأنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، وقال: إنه لم يمت، وإنه سيعود كما عاد موسى لقومه، وماج الناس، وجاء الصدّيق المؤيد المنصور رضي الله عنه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، فأقام الأود، وصدع بالحق، وخطب الناس وتلا عليهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[3] فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من أحد إلا يتلوها[4].

وبعد أن أعلن أبو بكر رضي الله عنه وبكل ثبات وشجاعة هذا الموقف الرهيب على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) ابن كثير: السيرة، ١/ ٢١٩.

الملأ أخذ يردد قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1] فقالوا: يا صاحب رسول الله! أتوفي رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فعلموا أنه كان. قالوا: هل يصلى عليه ﷺ؟ قال: نعم. قالوا كيف؟ قال: يجيء نفر منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون، حتى يفرغ الناس. فعلموا أنه كما قال رضي الله عنه. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن ﷺ؟ قال: حيث قبض الله روحه؛ فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب فعرفوا أنه كما قال رضي الله عنه[2]. ولم يدر الصحابة رضي الله عنهم أين يقبرون النبي ﷺ حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يقبر نبي إلا حيث يموت**»، قال: فأخروا فراشه فحفروا له تحت فراشه[3] وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه**»[4].

وقد علم بالتواتر أنه ﷺ دفن في حجرة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تختص بها شرقي مسجده ﷺ في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ثم دفن بعده أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه بجوار رسول الله ﷺ في تلك الحجرة المباركة. وقالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأبي بكر رضي الله عنه: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي. فقال رضي الله عنه: يدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلما قبض رسول الله ﷺ ودفن. قال أبو بكر رضي الله عنه: هذا خير أقمارك[5].

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٢، ابن سعد ١/ ٢٢٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ١٥٠.

(٣) الصنعاني: المصنف، ك. الجنائز، باب لا ينقل الرجل من حيث يموت، ح (٦٥٣٨).

(٤) ابن ماجه (١٦٢٨)، البيهقي في الدلائل ٧/ ٢٦٠، الصنعاني: المصنف: (٦٥٣٤)، كنز العمال: ١٨٧٣٥-١٨٧٦١، الترمذي: السنن(١٠١٨). ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٢، ابن سعد ١/ ٢٢٣.

(٥) الحاكم: المستدرك، ك. وباب المغازي والسرايا، ح (٤٤٠٠)، الطبراني: المعجم الكبير، ك. ذكر أزواج رسول الله ﷺ، باب عائشة، ح (١٢٧).

فغياب النبي ﷺ فرض على المؤمنين الرجوع إلى صاحبه رضي الله عنه للتعلم والاستفسار والبحث عن الأجوبة في المسائل المستجدة والمسائل المعلقة، فلم يسألوا خليفة رسول الله ﷺ عن أمر مما استجد عليهم إلا وجدوا عنده منه علمًا وإرشادًا يوصل إلى الأفضل والأكرم مع الاتباع للسنة والتقيد بتعاليم الشرع الحنيف، وبذلك ثبتت حاجة الأمة إلى أبي بكر رضي الله عنه وظهرت إمامته وقيادته منذ وفاة النبي ﷺ واتضح ذلك عمليًا ودون أي تكلف؛ من خلال توجه الناس إليه يبحثون عنده عن الحلول والأمل بعد مصابهم الأكبر بوفاة النبي ﷺ اتضح أنه هو وريث النبوة الإمام القائم بأمر الخلافة بلا منازع، فتجلى في مواقفه الصائبة البناءة في تلك المحنة مصداق قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

في تجهيز رسول الله ﷺ:

عن علي رضي الله عنه قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعًا فنادت الأنصار: نحن أخواله ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش: نحن عصبته، فصاح أبو بكر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم فننشدكم الله، فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه إلا من دعي[1].

ولما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت فسلموا كما سلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وصفوا صفوفًا لا يؤمهم أحد، فقال أبو بكر وعمر: وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ: اللهم إنا نشهد أنه قد بلّغ ما أُنزل إليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله تعالى، حتى أعز الله تعالى دينه وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه فإنه كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، لا نبتغي بالإيمان بدلًا ولا نشتري به ثمنًا أبدًا، فيقول الناس: آمين. ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلّى عليه

---

(١) ابن سعد في الطبقات، ٢/ ٢١٣، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٢٢١.

الرجال ثم النساء ثم الصبيان ﷺ[1].

أحوال الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ:

عظمت مصيبة المسلمين بوفاة رسول الله ﷺ ونزل بهم بموته ﷺ ما أدهشهم وفجأهم عن تلقي ذلك الخبر كما يتلقون مثله من أخبار الوفيات والمصائب الكبرى التي لم تحرك فيهم ساكنًا ما دام رسول الله ﷺ بين أظهرهم سالمًا، وكانوا يقولون: كل مصيبة بعدك جلل[2]. فغشيت الظلمة والكآبة والحيرة المدينة المنورة التي كانت أيامها كلها نورًا برسول الله ﷺ منذ يوم هجرته فتغيرت قلوب الناس وأحوالهم وضعفت قواهم وطاشت عقولهم وهم لا يستطيعون أن يصدقوا أن رسول الله ﷺ الذي هو لهم بمقام السمع والبصر قد توفي ﷺ حتى جاءهم قائد الأمة وإمامها الذي أعده رسول الله ﷺ على عينه وهيأه لمثل هذا الهول والموقف الجلل، فقام بمراد رسول الله ﷺ على الوجه الذي يحبه رسول الله ﷺ فأقر الحقيقة المرة دون مواربة أو تردد، وتعلمت الأمة منه كما تعلم هو من رسول الله ﷺ أن العباد يجب أن يرتبطوا بخالقهم وأن يسيروا على سنة نبيهم ﷺ في كل ذلك، فانقادت لعزيمته وبصيرته وسعة علمه ويقينه الأمة المكلومة بفقد نبيها ﷺ فثابت العقول إلى رشدها والنفوس إلى يقينها والقلوب إلى إيمانها وعلمت أنه لا مفر من أقدار الله إلا إليه.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فتح رسول الله ﷺ بابًا بينه وبين الناس أو كشف سترًا، فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر رضي الله عنه فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، رجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أيما أحد من الناس - أو من المؤمنين - أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**»[3]. قال: قال

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٣٤.

(٢) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ١٥٢.

(٣) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ك. الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، ح (١٥٩٩).

رسول الله ﷺ: «**من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب**»[1]. وقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت، إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**سيعزي الناس بعضهم بعضًا من بعدي التعزية بي**» فكان الناس يقولون: ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقي الناس بعضهم بعضًا يعزي بعضهم برسول الله ﷺ[2].

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: جاء عمر رضي الله عنه والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إليّ الحجاب، فنظر عمر رضي الله عنه إليه فقال: وا غشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ. فقال: كذبت، بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته، ثم قال: وا نبياه! ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: وا صفياه. ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال: وا خليلاه مات رسول الله ﷺ، وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين[3].

وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال مات بالقتل والقطع ويقول: إن رسول الله ﷺ في غشية لو قد قام قتل وقطع. وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم في مؤخر المسجد يقرأ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[4]. والناس في المسجد يبكون ويموجون لا يسمعون. فخرج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه على

(١) البيهقي: شعب الإيمان، ك. السبعون من شعب الإيمان، وهو باب الصبر على المصائب ح(١٠١٥٣)، الدارمي: سنن الدارمي، ك. أبواب متفرقة في صفات النبي ﷺ، باب وفاة النبي ﷺ، ح (٨٤).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ك. باب السين، باب سهل بن سعد الساعدي، ح (٥٧٥٧).

(٣) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٧٩ وذكر أن البخاري رواه عن يحيى بن بكير.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الناس فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله ﷺ في وفاته فليحدثنا؟ قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا. فقال العباس: اشهدوا أيها الناس أن أحدًا لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه في وفاته، والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت[1].

قال: وأقبل أبو بكر من السُّنح على دابته حتى نزل بباب المسجد، وأقبل مكروبًا حزينًا، فاستأذن في بيت ابنته عائشة فأذنت له، فدخل ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش والنسوة حوله فخمرن وجوههن واستترن من أبي بكر رضي الله عنه إلا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ فجثا عليه يقبله ويبكي ويقول: ليس ما يقول ابن الخطاب شيئًا، توفي رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده! رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًّا وميتًا. ثم غشاه بالثوب.

ثم خرج سريعًا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلًا إليه، وقام أبو بكر رضي الله عنه إلى جانب المنبر ونادى الناس، فجلسوا وأنصتوا، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد، وقال: إن الله عز وجل نعى نبيه ﷺ إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ فقال عمر رضي الله عنه لشدة ما فيه من الدهشة: هذه الآية في القرآن؟! والله ما علمت أن هذه الآية أُنزلت قبل اليوم، وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[4]. وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[5].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٤٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٤) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

وقال: إن الله عمّر محمدًا ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالته وجاهد في سبيل الله، ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشقاء، فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا وينزله إلهًا فقد هلك إلهه. فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدًا ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه. ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ[1] فخطب خطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ وقال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين، في كلام طويل...

ومنه قوله: إن الله قد تقدم لكم في أمره فلا تدعوه جزعًا، وإن الله تعالى قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[2]. وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه وسنة رسوله، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾[3]. لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتنكم عن دينكم، وعالجوا الشيطان بالخزي تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم[4].

وفي لفظ: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الآية نزلت إلا حين تلاها أبو بكر رضي الله عنه يومئذ، فأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم، فلما تلاها أبو بكر رضي الله عنه

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٨٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠٠

أيقن الناس بموت رسول الله ﷺ وتلقاها كثير من الناس من أبي بكر رضي الله عنه حين تلاها[1].

بكاء الصحابة رسول الله ﷺ:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر رضي الله عنه فدخل عليه ورفع الحجاب فكشف الثوب عن وجهه فاسترجع فقال: مات واللّه رسول الله ﷺ ثم تحول من قِبَل رأسه فقال: وا نبياه، ثم حدر فمه فقبل وجهه ثم رفع رأسه فقال: وا خليلاه ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم رفع رأسه فقال: وا صفياه ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم سجاه بالثوب ثم خرج[2] وقال حسان رضي الله عنه يرثي رسول الله ﷺ:

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني ... غيبت قبلك في بقيع الغرقد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... يا لهف نفسي ليتني لم أولد

بأبي وأمي من شهدت وفاته ... في يوم الاثنين النبي المهتدي

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على النبي محمد[3]

ورحم الله تعالى القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوب تنوب اليوم تكشف في غد

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقول القائل:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠٠.

(٢)، (٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٢.

وقلـت لهـا إن المنايـا سـبيلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد[1]

قال ابن المنير: لما توفي رسول الله ﷺ دهش الناس واختلفت أحوالهم في ذلك وأفحموا واختلطوا؛ فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ومنهم من أصمت فلم يطق الناس الكلام، فكان عمر رضي الله عنه لما فيه من الدهشة وشدة المصاب يجلب ويصيح: ما مات رسول الله ﷺ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، وكان ممن أقعد - وفي لفظ: عقر - علي فلم يستطع حراكًا، وكان ممن أُخرس عثمان بن عفان حتى جعل يُذهب به ويُجاء ولا يستطيع كلامًا، وأما عبد الله بن أنيس فأضنى حتى مات كمدًا رضي الله عنهم، ولما قبض رسول الله ﷺ تزينت الجنان لقدوم روحه الكريمة كزينة المدينة يوم قدومه؛ إذا كان عرش الرحمن قد اهتز بموت بعض أصحابه فرحًا واستبشارًا فكيف بقدوم روح الأرواح؟ وكادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؟ لما فقد الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنّ إليه وصاح، كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

فلـو ذاق مـن طعـم الفـراق رضـ ـــوى لـكـان مـن وجـده يميـد

فـقـد حملوني عـذاب شـوق يعجـز عـن حملـه الحديـد

وقال غيره:

فالصبر يحمد في المصائب كلها إلا عـلـيـك فـإنـه مـذمـوم

***

وقد كان يدعى لابس الصبر حازمًا فأصبح يدعى حازمًا حين يجزع[2]

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٧٣.

(٢) الروض الأنف: ١/ ٤٣١. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ٣٧٧.

وشتم الصحابة رضي الله عنهم، ولأخذوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الصحيحة التي تبين أن طريق الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بدأ مسيره ببيعة أبي بكر خليفة لرسول الله ﷺ ولم يتخلف عن ذلك سوى المرتدين والمشركين والمنافقين.

* * *

المبحث الثالث

خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم

الإشارات النبوية على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

ما من مناسبة ذات شأن تمر بالمسلمين إلا والنبي ﷺ يؤكد تقديم صاحبه الصديق رضي الله عنه تارة بالتطبيق وأخرى بالقول أو الإشارة إلى ذلك بإشارات واضحة ثابتة في الصحاح والسنن لا يمكن لجاحد ردها ولا لمؤمن الجهل بها، ظهر ذلك في عامة سيرة رسول الله ﷺ فضلًا عمّا ورد من إشارات على ذلك في القرآن الكريم، لهذا فإن أي تهاون في صيانة الرتبة التي ارتضاها رسول الله ﷺ لصاحبه وخليفته؛ إنما ذلك وجه من الرفض ولون من الردة، لا يستره جهل بعض العلماء المحسوبين على السنة بمصلحة الأمة، ولا بفرية التقريب بين المذاهب، إذ إن الكتاب والسنة وحملتهما الصحابة رضي الله عنهم كلٌّ واحد لا يتجزأ، مَن يبتعد عن أي منها إنما هو رافض لما جاء به محمد ﷺ، وهذا دين آخر وليس مذهبًا ولا يمكن الحديث عن التقريب بين أهل الإسلام وبين من يرد القرآن والسنة ويُكفّر الصحابة ويستبيح دماءهم كما فعلوا بالفاروق وهو في محرابه وعثمان وهو بين أوراق مصحفه وعلي وهو في مسجده رضي الله عنهم. قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة القلم، الآية: ٣٥.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[1].

- ومن الإشارات النبوية على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ رده حين أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ : «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[2]. وهذه شهادة وإشارة وتعليم من رسول الله ﷺ للأمة أن من يسد مسده أثناء غيبته هو صاحبه وخليفته أبو بكر رضي الله عنه، وهذا خبر صادق منه ودلالة من دلائل نبوته وصدقه ﷺ وأن الذي سيُرجع إليه بعد وفاته ﷺ إنما هو خليفته الصديق رضي الله عنه فأي شهادة أبلغ من هذه وأصرح للدلالة على أن المرجع بعد رسول الله ﷺ إنما هو أبو بكر رضي الله عنه وأي زيغ وعناد وردة يتلبس بها الرافضون لخيار رسول الله ﷺ ولتعاليمه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم، رأيتني على قليب، فنزعت ما شاء الله أن أنزع، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت غربًا، فلم أرَ عبقريًّا من الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس حوله بعطن**»[3]. وهذا فيه إشارة من رسول الله ﷺ أن الخلافة تكون من بعده لأبي بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه، وأن خلافة الصديق رضي الله عنه تكون قصيرة ثم تأتي خلافة الفاروق فتطول حتى يفيض المال وتعظم الفتوح وتصبح دولة الإسلام الدولة العظمى في الوجود، حتى يضرب الناس بعطن. . والعطن هو مبرك الإبل بعد ورودها الماء وريها، وهذه كناية وإشارة إلى استقرار الأمة وكثرة عددها وقيام دعوتها وامتداد دولتها.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، فضائل أبي بكر، ح (٦١٧٩).

(٣) البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ح (٧٤٧٥).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[1]. وفي هذا الحديث أيضًا إشارة إلى أنه لا يليق بأحد من المسلمين أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه لأن من يفعل ذلك سيكون معتديًا على من هو أولى منه في هذا المقام لمؤهلاته وخبراته وعميق تجاربه وسعة علمه ولقربه من رسول الله ﷺ، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم وعملوا به، وهو ما رفضه أعداء الصحابة وعملوا به أيضًا فأثمر عملهم فتنًا متواصلة وأحقادًا متلاحقة وحربًا على الكتاب والسنة.

- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا له وزيران... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر**»[2] وهذه إشارة تؤكد على معاني الخلافة بشكل مباشر، إذ إن كل خليفة لا بد أن يكون له وزراء يحملون معه أثقال المسؤولية ويعينونه على أداء الواجبات.

- وعن زُرْعة بن عمرو، عن أبيه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه: «**انطلقوا بنا إلى أهل قُبَاء نسلّم عليهم**» فلما أتاهم سلّم عليهم، ورحّبوا به، فقال: «**يا أهل قُبَاء ائتوني بحجارة من هذه الحَرّة**» فجمعتْ عنده فخَطّ بها قبلتهم، فأخذ رسول الله ﷺ حَجَرًا فوضعه، ثم قال: «**يا أبا بكر خذْ حَجَرًا فَضَعْه إلى جنب حَجَري**» ففعل، ثم قال: «**يا عمر، خذْ حَجَرًا فَضَعْه إلى جنب حَجَر أبي بكر**» ففعل، ثم قال: «**يا عثمان خذْ حَجَرًا فَضَعْه إلى جنب حَجَر عمر**» ففعل، ثم التفت ﷺ إلى الناس بأخرة فقال: «**وضع رجلٌ حَجَره حيث أحبّ على هذا الخط**»[3] وهذا فيه إشارة واضحة إلى أمر الخلافة من بعده ﷺ وكما أشار رسول الله ﷺ دون أي تقديم أو تأخير، وهذا ما صدقه الواقع الذي عاشه المسلمون.

---

(١) الترمذي: السنن، ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٣) هذا حديث حسن غريب

(٢) الترمذي: السنن، ك المناقب. باب. ح (٣٦٨٠).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢١٩.

- عن أبي أروى الدوسي قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فاطلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أيدني بكما**»[1]. فقد كانا سيفين مصلتين بين يدي رسول الله ﷺ لا يحتاج مع وجودهما إلا أن يأمر من ينفذ أمره أو يفسر قوله فقد كانا بين يدي رسول الله ﷺ آذانًا صاغية وعيونًا مبصرة وأيادي معطاءة وباطشة.

- ونظرًا لهذه المكانة العلية التي تشهد بها النصوص، أُمرت الأمة بالاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه والانقياد له، وهكذا فعلت حتى أوردها موارد النبوة وقصد بها مقاصدها فأصبح هو العَلم الإمام الذي لا يخالفه إلا هالك في الدنيا والآخرة، ولا يتردد في ولائه المطلق والبراءة ممن في قلبه أي زيغ عنه؛ إلا فاسد الفهم عقيم العلم شرّ على السنة داء في قلب الأمة لا بد من الحذر من عدواه والمباشرة في معالجته أو اجتثاثه، فمن لا يقتدي بأبي بكر رضي الله عنه إنما هو حرب على رسول الله ﷺ الذي كان يوصي أمته بالتمسك بطاعة وسنة اللذين من بعده من خلفاء النبوة. قال حذيفة رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي**». وأشار إلى أبي بكر وعمر[2] رضي الله عنهما، وقد اقتدى بهما المؤمنون، وخالفهما المنافقون الرافضون لكل ما يأمر به الله ورسوله العابثون بسنته المبغضون لأصحابه وأزواجه ﷺ.

- وقال موسى بن عمير: سمعت مكحولًا يقول وسأله رجل عن قول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] قال: حدثني أبو أمامة أنه كما قال: الله مولاه وجبريل، وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر[4].

---

(١) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح: (٤٤٤٧). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٣). الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٥١-٤٤٥٣).

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٣). صحيح الإسناد =

- إن إشارات النبي على ملازمة أبي بكر رضي الله عنه له تجاوزت حال الحياة الدنيا إلى أحوال الآخرة. قال رسول الله ﷺ: **«أول من تنشق عنه الأرض أنا ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فتنشق عنهم فأُبعث بينهم»**(١). وإذا كان الأمر كذلك وهو أن أصحاب رسول الله ﷺ هم قادة الأمة ووزراء النبي وأفراد موكبه في الآخرة كما كانوا في الدنيا، فأين يكون من يتبرأ منهم؟ وما هو حال من يدعو إلى محبة أعدائهم المتعبدين بشتمهم والنيل منهم؟! لا شك أنهم لن يكونوا في مكان واحد فليحذر الذين لا يبالون وراء أي ناعق يسيرون.

- مشاركة أبي بكر لرسول الله ﷺ في مشاعره، عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال ﷺ: **«يا أبا بكر، كيف قال حسان بن ثابت وكان قد ذكر ذلك في شعره؟»** فأنشده أبو بكر رضي الله عنه قول حسان الذي قاله متفائلًا بدخول مكة من جهة كداء قبل فتحها فكان الأمر كما قال رضي الله عنه:

عدمت ثنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كتفي كداء

ينازعن الأعنّة مسرعات ... يلطمهن بالخمر النساء

فقال رسول الله ﷺ: **«ادخلوا من حيث قال حسان»**(٢).

- ومما يؤكد إمامة أبي بكر رضي الله عنه عند الصحابة رضي الله عنهم وأنهم لا يشكون في خلافته لرسول الله ﷺ أن النبي ﷺ اكتفى بالدلالة والإشارة والإخبار والإرشاد إلى

= ولم يخرجاه.

(١) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٩). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) مستدرك الحاكم ك. معرفة الصحابة. باب أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٢). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

خلافته رضي الله عنه لعلمه أن ذلك لا ينازع فيه أحد من الصحابة، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة، لبينه النبي ﷺ بيانًا قاطعًا للعذر، ولكتب له كتابًا كما همّ بذلك لكن لما دلهم ﷺ دلالات متعددة على أن أبا بكر رضي الله عنه هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود، والأحكام يبينها ﷺ تارة بصيغة عامة وتارة بصيغة خاصة، ومن هنا لم يقبل منه الصحابة رضي الله عنهم اعتذاره لهم عن الخلافة.

- وكانوا يشهدون بأنه خيرهم رضي الله عنهم ظهر ذلك جليًّا بعد بيعته على الخلافة حيث قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بويع، فخطب الناس. فقال: أيها الناس إني قد أقلتكم رأيكم، إني لست بخيركم فبايعوا خيركم، فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خير منا[1].

- ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته التي ألقاها بين المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر[2]. وقال عمر رضي الله عنه يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار أيضًا مخاطبًا خليفة رسول الله: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[3]. ولم ينكر ذلك منهم منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر رضي الله عنه من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته طمعًا أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبتت النصوص المتواترة عن النبي ﷺ ببطلانه ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه - وكذلك سعد بن عبادة

---

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم ١/ ٣١. الطبراني: المعجم الكبير. باب من اسمه منتصر، ح (٨٥٩٧). الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٥٩.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح (٦٣٢٨). مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب من الزنا، ح (٣٢٠١)، ابن حنبل، المسند ١، ح (٣٩١).

(٣) صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلًا»**، ح (٣٦٦٨)، ك. الحدود، باب رجم الحبلى، ح (٦٨٣٠).

رضي الله عنه بايع أبا بكر في السقيفة ولم يُذكر عنه أي خلاف أو نزاع لأبي بكر رضي الله عنه كما سيتضح ذلك عند الحديث عن بيعة سعد بن عبادة وبيعة علي للخليفة أبي بكر رضي الله عنهم ولا قيمة لما أورده الطبري ومن أخذ عنه، من روايات رافضية حاقدة في **تاريخه** حول سعد بن عبادة رضي الله عنه، تلك الرواية التي ما زال يهذي بها الغوغاء الذين يفترون على أصحاب رسول الله ﷺ وينسبون إليهم ما لم يفعلوه[1].

- وقال عمر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة للأنصار: أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلّنا لا تطيب نفسه ونستغفر الله. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اجعلوا إمامكم خيركم، فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده[2]. فابن مسعود يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي اختار لأصحابه رضي الله عنهم إمامهم من بعده فاختار لهم خيرهم وهو خليفته أبو بكر رضي الله عنه.

- ولم يقل قط أحد من الصحابة: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر رضي الله عنه لا على العباس ولا على علي رضي الله عنهما ولا على غيرهما، ولا ادعى العباس ولا علي ولا أحد ممن يحبهما الخلافة لواحد منهما، ولا أنه منصوص عليه. بل ولا قال أحد من الصحابة: إن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر رضي الله عنه؛ لا من بني هاشم، ولا من غير بني هاشم. وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث، وهو معلوم عندهم

---

(١) ينظر: الخليفة، الإنصاف، ١٢٨، ١٣٦، الأنصار في العصر الراشدي، ١٠١ فما بعدها. ومن الموافقات أن فضائية رافضية في هذا اليوم ٢٢/٨/٢٠٠٦. كانت تقيم حوارًا تحت عنوان نقطة ساخنة وتتصل ببعض علماء السنة فكان أحدهم ويعمل عضوًا في مجلس شعب دولته وله مواقع على شبكة الإنترنت، يفتري في مشاركته على بعض الصحابة أنه كان مخالفًا لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إرضاء للرافضة وتشجيعًا لهم على حرب الصحابة رضي الله عنهم وتجردًا من السنة المطهرة واتهامًا للصحابة رضي الله عنهم وإمعانًا في الجهالة وتضليل أهل السنة.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٩٧.

بالاضطرار، وقد نُقل عن بعض بني عبد مناف، مثل أبي سفيان بن حرب وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنهما أنهم أرادوا ألَّا تكون الخلافة إلا في بني عبد مناف، وأنهم ذكروا ذلك لعثمان وعلي رضي الله عنهما، فلم يلتفتا إلى من قال ذلك، لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنه ليس في القوم مثل أبي بكر رضي الله عنه[1].

وفي الجملة جميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر رضي الله عنه إنما نشأ كلامه عن حب لقومه وقبيلته، وإرادة منه أن تكون الإمامة في قبيلته ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلة الشرعية ولا الطرق الدينية، ولا هو مما أمر الله ورسوله ﷺ المؤمنين باتباعه، بل هو شعبة جاهلية ونوع عصبية للأنساب والقبائل، وهذا مما بعث الله محمدًا ﷺ بهجره وإبطاله. قال ﷺ: «**أربع من أمر الجاهلية في أمتي لن يدعوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم**»[2]. وقال ﷺ: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تُكنوا**»[3]. وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ؛ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ**»[4].

منزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه رضي الله عنهم:

إن كل شيء في الإسلام يشهد لخليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه بعلو المنزلة وعظيم المكانة التي تبوأها بين المؤمنين، لما بذله من جهد في البناء والتمكين لرسول الله ﷺ ولدينه في الأرض، ولما أبدى من إخلاص وشدة تمسك بمنهج رسول الله ﷺ وطريقته

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٥٢٠.

(٢) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، ح (١٥٥٠)، الحاكم، المستدرك، ١/ ٣٨٣، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٢٩٩.

(٣) ينظر: ابن حنبل، المسند، ٥/ ١٣٦.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، ح (٤٤٥٢)، ابن حنبل، المسند، ١٦/ ٣٠٠.

وسنته في نشر الإسلام والتعامل مع الناس وفي الإيمان بمستقبل الأمة وعقيدتها؛ والثقة المطلقة بكل ما وعد به الله ورسوله ﷺ المؤمنين، فكان يسير على هذا الهدي وبهذه النية، فلم يلتفت ولم يتلعثم في موقف من المواقف الحرجة العصيبة، بل بقي منطلقًا انطلاقة نبيه ﷺ كالشهاب في السماء لا ترده عقبة ولا تثنيه معضلة؛ حتى أعاد الثقة في نفوس المؤمنين بأن المستقبل لهذا الدين في عصره وفي كل عصر يوجد فيه رجال يؤمنون بما كان يؤمن به خليفة رسول الله ويسيرون على دربه الذي يحيط به الكتاب والسنة. وقد اتضحت إمامة خليفة رسول الله أيضًا في فصل الخصائص والفضائل، ومن عاد بالذاكرة إلى سيرته في عهد رسول الله ﷺ يجد ما يؤكد ذلك له على لسان رسول الله ﷺ في كثير من المواقع والأحداث والمناسبات في مثل قوله ﷺ: «**إنّ أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**»[1]. ففي هذا الحديث الصحيح الصريح تتضح إمامة خليفة رسول الله التي يؤكدها للأمة ويظهرها للناس لكي يعلمها كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو علم أو يقين، فلا يجحدها إلا منافق أو مرتد أو من أشرب قلبه حقد المجوس أو مكر اليهود، كما أن الإشارة إلى المقصد الواضح من إغلاق أي باب يؤدي إلى المسجد سوى باب خليفة رسول الله الذي سيقوم بمقامه ﷺ وسيبقى بابه مفتوحًا إلى دار القيادة والسيادة والعبادة في عقيدة الأمة وثقافتها ألا وهو المسجد بيت الله ومأوى الصالحين ومنتجع المؤمنين ومرتع ورياض محبي الكتاب والسنة الأكرمين.

- وقوله ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنه أخي وصاحبي**»[2].

وفي **صحيح البخاري**: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي**

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٤).

(٢) مسلم، ك. فضائل الصحابة. باب فضائل أبي بكر ح (٦٣٢٢). الترمذي: السنن، ك. المناقب. باب مناقب أبي بكر، ح (٣٦٥٥).

وصاحبي»[١] كما سبق ذكر ذلك.

- وإعلانه ﷺ بأن أحب الناس إليه: «**عائشة**» ومن الرجال «**أبوها**»[٢]. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل أميرًا. فأتيته ﷺ فقلت: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**». فقلت: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**». فعد رجالًا[٣].

- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**». فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعتُ إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين. فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**» مرتين. فما أوذي بعدها[٤].

فهذه منزلة من التبجيل والتقدير والثقة وحب النبي ﷺ لصاحبه لم يصل إليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وكانت معلومة عند جميع المسلمين، وكان النبي ﷺ يصرح بها ويعلنها، لكيلا يدخل أحد في مخاصمة الصديق رضي الله عنه فيقع تحت طائلة انتصار رسول الله ﷺ لصاحبه رضي الله عنه.

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب قول النبي ﷺ: «**سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر**». ح (٣٦٥٦).

(٢) مسلم. ك. فضائل الصحابة. باب من فضائل أبي بكر الصديق. ح (٦١٧٧).

(٣) البخاري: بشرح فتح الباري، ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٢).

(٤) البخاري: شرح فتح الباري، ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح(٣٦٦١)، ابن كثير: السيرة: ١/ ٤٣٤.

- عن أنس أيضًا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أنّ أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[1].

وعن أبي الجَنُوب عقبة بن علقمة[2] قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لقد صنع رَسول الله ﷺ بأبي بكر أمرًا ما صنعه بي، فقال له رجل: ما صنع به يا أمير المؤمنين؟ قال: يوم الملحم، قلنا: وما يوم المَلْحَم؟ قال: يوم جاء المشركون يقتلون رَسُول الله ﷺ فخرج وخرج بأبي بكر معه لم يأمن على نفسه أحدًا غيره حتى دخلا الغار، ولقد رأيتنا وما أحدٌ أعز منا يوم دخل عُمَر في الإسلام، ولو أن جميع ولد آدم دخلوا، ما كنا أعزّ منا يوم دخل عمر بن الخطاب في الإسلام. وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا أهل الكوفة لا تقولوا في أبي بكر رضي الله عنه إلّا خيرًا، كان مع النبي ﷺ في الغار ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾[3] وقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه: «**هل قلتَ في أبي بكر شيئًا؟**» قال: نعم يا رسول الله، قَال ﷺ: «**فقل حتى أسمع**». فقال حسان:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوّ به إذ صَعَّد الجبلا

وكان حبّ رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا[4]

فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قَال: «**صدقتَ يا حسان، هو كما قلتَ**»[5].

- قال ابن عُيَيْنة: عاتب الله المسلمين كلّهم في رسول الله ﷺ إلا الصديق؛ فإنه خرج من

---

(١) البخاري: الصحيح، ك. التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ ح (٤٣٨٦) مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ح (٦١١٩)، الترمذي: سنن الترمذي، ك. التفسير، باب: ومن سورة التوبة، ح (٣٠٩٦)، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٨٣.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ١٣/ ١٣٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٩٠.

(٤) ينظر: ديوان حسان، ط بيروت، ١٧٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٩٠.

المعاتبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١) وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ردف رسول الله ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه فكان إذا مرّ على الملأ. قالوا: يا أبا بكر من هذا الرجل معك؟ فيقول: هذا رجل يهديني السبيل(٢).

- رجاء النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أن يدخل من كل أبواب الجنة: قال ﷺ: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، وباب الريان**». فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»(٣).

وقال ﷺ: «**أخذ جبريل بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتى أراه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك أول من يدخله من أمتي**»(٤).

- وقال رسول الله ﷺ: «**على رسلك يا أبا بكر، إن أفضل الناس عندي في الصحبة وذات يده ابن أبي قحافة**»(٥). وقال ﷺ: «**يأيها الناس، احفظوني في أبي بكر، فإنه لم يسؤني منذ صحبني**»(٦). وروي في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٩٤.
(٣) صحيح البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح(٣٦٦٦).
(٤) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح(٤٤٤٤). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٥) الطبراني: المعجم الكبير، ك. باب الميم، باب، معاوية بن أبي سفيان، ح (٧٩١).
(٦) الصالحي: سبل الهدى، ١١ / ٢٥٧.

قال للعباس رضي الله عنه: «**يا عباس، يا عمّ رسول الله ﷺ، إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا**»[1] وهذا الأثر وإن كان في إسناده مقال إلا أنه لا يخرج عن حقيقة تأكيد إمامة أبي بكر - وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2] إلى آخرها في أبي بكر فاستجاب الله له، فأسلم والداه جميعًا وإخوته وولده كلهم، ونزلت فيه أيضًا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[3] إلى آخر السورة[4].

- عن ابن عباس قال: لما حُضرَ النبي ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «**هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده**» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله...[5]. وكل الأحاديث والتفاسير في هذا الباب تؤكد أنه ﷺ كان يريد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه.

- قال ﷺ: «**لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون**»[6] وقول رسول الله ﷺ: «**ائتوني بدواة وكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده**»، ثم ولانا قفاه،

---

(١) الهندي: كنز العمال (٣٢٥٨٦)، ابن حجر: الإصابة، ١/ ٣٣٠، السيوطي: الدر المنثور ٨/ ٦٦٢. الخطيب البغدادي: تاريخ، ١١/ ٢٩٣.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٣) سورة الليل، الآية: ٥.
(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١١ / ٢٥٧.
(٥) البخاري: بشرح فتح الباري، ك: المغازي باب، مرض النبي ﷺ ووفاته ح (٤٤٣١). ح (٤٤٣٢).
(٦) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة (٢٤٥٨٩).

ثم أقبل علينا فقال: «**يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[1].

- وقالت الطاهرة أم المؤمنين: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[2]. ولا ريب أن هذا من أوضح الأدلة وأصرحها وأصحها، لا يماري فيه إلا مكذب للنبي ﷺ ورافض لسنته ﷺ ومتبع لأهوائه لا يبالي بدين ولا نبوة ولا إيمان ولا كفر، وبالتالي لا قيمة لأقواله.

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يمشي أمام أبي بكر فقال: «**أتمشي أمام من هو خير منك؟ إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس وغربت**». وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتمشي أمام من هو خير منك؟ ألم تعلم أن الشمس لم تشرق على أحد أو تغب على خير من أبي بكر إلا النبيين والمرسلين**». وروى أيضًا عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتمشي أمام أبي بكر؟ ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**»[3]. وهذه الآثار وإن كان في أسانيدها مقال يثلج صدور من في قلوبهم نزعة رافضية أو لوثة شعوبية إلا أنها توافق ما ثبت من نصوص صحيحة.

- ومن الفضائل التي أكدها رسول الله ﷺ لخليفته أمام أصحابه رضي الله عنهم شهادته له بالإيمان وهو ليس موجودًا في المجلس الذي ذكر فيه حديث الإيمان، حين ذكر ﷺ البقرة التي كلمت صاحبها والذئب الذي كلم الراعي. وقوله ﷺ: «**فإني أومن بذلك، أنا**

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ح (١٢٢٦١)، الحاكم: المستدرك، ح (٦٠١٦). وقال الذهبي: صحيح الإسناد.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ح (٦٥٥٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، (٦٥٩٨)، البيهقي: السنن الكبرى، ح (١٧٠٥٥).

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٥٦، ابن قدامة: لمعة الاعتقاد، ١/ ١٦١، الأمير الصنعاني: توضيح الأفكار، ١/ ٤٨.

وأبو بكر، وعمر»[1] ولم يكونا في ذلك المجلس.

- وشهادة رسول الله ﷺ بأن صاحبه قد جمع كل الخصال الموجبة لدخول الجنة وإعلان ذلك أمام جمهور الصحابة قادة البشرية وأئمة الدنيا حينما سأل وعلى مسامع الجميع فلم يجب على كل ما سأل عنه ﷺ إلا خليفته وصاحبه رضي الله عنه، وكم من الأسئلة تدور في ذهن من يسمع مثل هذا الحديث وما الذي جعل رسول الله ﷺ يسأل عن هذه الأسئلة، وهل كانت تلك الأسئلة من الموافقات أم أن هذه الفضائل التي جمعها صاحب رسول الله هي التي بعثت الحافز في نفس النبي ﷺ أن يسأل عنها لكي يعلم الناس مقام صاحبه أم أن ذلك من أمر الغيب وسفارات جبريل، فالله وحده العالم بالسبب المباشر لمثل هذه الأسئلة التي أثمرت شهادة من رسول الله ﷺ لصاحبه بأنه من أهل الجنة وأنه أهل لتجسد الفضائل فيه حيث كان ينطلق إلى مظانها بفطرته وعميق توكله رضي الله عنه قال ﷺ: **«من أصبح منكم اليوم صائمًا؟»**. قال أبو بكر: أنا. قال: **«فمن تبع منكم اليوم جنازة؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟»** قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: **«ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»**[2].

- ولم يكتف رسول الله ﷺ بأن يشهد لصاحبه بالجنة دون أن يحدد لهم المكان العلي الذي ادخره له مولاه جزاء لإيمانه وجهاده وطاعته، فقال ﷺ: **«إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»**[3].

- اختصاص رسول الله ﷺ لأبي بكر في عامة شؤونه، فمع كل الهيبة التي اتسم بها رسول الله ﷺ فإن الصديق يتعامل بين يديه دون حرج أو وجل أو تردد، وما ذلك إلا لأنه

(١) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر. ح (٦١٨٣).

(٢) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر الصديق. ح(٦١٨٢).

(٣) الترمذي. السنن. ك. المناقب. باب. مناقب أبي بكر. ح (٣٦٥٨).

يعمل بموافقة رسول الله ﷺ ويتصرف في الأمور على علم، ولأنه يفهم مراد رسول الله ﷺ في جميع المواقف فلم ينهره رسول الله ﷺ في يوم ولم يرده في مسألة، بل كان له المعين والنصير كما كان أبو بكر رضي الله عنه لنبيه ﷺ كذلك. قال أبو مسعود البدري الأنصاري رضي الله عنه: كنا نجلس مع رسول الله ﷺ فكلم النبي ﷺ رجلًا فأرعد، فقال: «**هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»[1]. وقال أبو رمثة: أتيت رسول الله ﷺ ومعي ابني، فقال: يا بني هذا نبي الله ﷺ فلما رآه أرعد من هيبته. وروى يعقوب بن سفيان عنه أيضًا قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته، قال: هل تدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا رسول الله ﷺ واقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئًا لا يشبه الناس فإذا هو بشر[2].

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما[3]. فلم يحل بينه وبين رسول الله ﷺ حائل مع كل ما كان معروفًا لرسول الله ﷺ من الهيبة المقرونة بالمحبة والإجلال في نفوس أصحابه رضي الله عنهم.

- وكان المسلمون في سفر فلما كانوا ببعض الطريق أدركهم الكرى فناموا، وقال ﷺ لبلال: «**اكلأ لنا الليل**». فصلى بلال رضي الله عنه ما قدر له ونام رسول الله ﷺ وأصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالًا عيناه وهو مستند إلى

(١) السيوطي: الدر المنثور، ٧/ ٦١٢، الألباني: الجامع الصغير وزياداته، (١٣٠٠٨)، الحاكم: المستدرك، (٣٧٣٣).

(٢) الصنعاني: المصنف، (٣٩٣٤)، سنن أبي داود، ح (٥٧٥)، البيهقي: السنن الكبرى، ح (١٥٦٧٦).

(٣) الترمذي: السنن. ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٨) قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية. وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية.

راحلته فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال رضي الله عنه ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظًا ففزع رسول الله ﷺ فقال: «**أي بلال**» فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فاقتادوا رواحلهم شيئًا حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم قال: «**هذا وادٍ به شيطان**»، فلما جاوزه أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا ثم صلى سنة الفجر ثم أمر بلالًا فأقام الصلاة وصلى بالناس ﷺ ثم انصرف إليهم، وقد رأى من فزعهم فقال: «**يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حينٍ غير هذا؛ فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها في وقتها**» ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: «**إن الشيطان أتى بلالًا وهو قائم يصلي فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدَّأ الصبي حتى نام**» ثم دعا رسول الله بلالًا فأخبره بمثل ما أخبر به أبا بكر رضي الله عنه[1] فكانت عامة خصوصيات رسول الله ﷺ لا تحجب عن أبي بكر لأنه مقدم عند النبي ﷺ على جميع أصحابه لخصائصه ومزاياه التي تفرد بها بين يدي رسول الله ﷺ، ونظرًا لتلك الخصائص كان ﷺ يعلن أمام الأمة: «**إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»[2] وبهذه المواقف وأمثالها تتجلى شخصية الصديق رضي الله عنه في العلم والفهم والمكانة عند رسول الله ﷺ فيما يدخل ضمن خصوصياته التي يرمز بها عن بعض الأحداث المتعلقة بالمستقبل فينوه عنها ويشير إليها إشارات لا يدركها إلا من تشرب علم رسول الله ﷺ وتوجهاته حتى غلبت عليه جميع مداركه فأصبح يرى الأحداث برؤية رسول الله ﷺ ويقيس الأمور بمقاييس النبوة، فلم يعد غريبًا عليه أن ينفرد بالفهم والتلقي والسير مع الأحداث بتدابير وتخطيطات النبوة ذاتها، ولهذا لم يسجل عليه أحد من الرواة أو المؤرخين؛ أنه تردد أمام معضلة أو تلعثم أمام

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣/ ٥٦، ٣٥٩.

(٢) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «**سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر**» ح(٣٦٥٤).

خطر، بل كان دائمًا مستهديًا متمسكًا بمنهج رسول الله ﷺ وتأملاته وتدابيره، ولعل هذا ما ميز خليفة رسول الله عن غيره حتى أصبح إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ وإلى قيام الساعة لا يماري في ذلك إلا جاهل غبي أو منافق رافضي مكذب للوقائع ومنكر للحقائق.

- **ومن مكانته ألا يؤذى أبدًا:** فقد بلغ من مكانة أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن يقبل أن يناله أحد بأي وجه من وجوه التطاول أو التجاهل حتى لو كان ذلك من أقرب الناس إليه، يتضح ذلك في عدة مواقف تبين من خلالها المكانة العظيمة التي لا تدانيها مكانة أحد من الصحابة الكرام عند رسول الله ﷺ وشدة غيرته على صاحبه الصديق وحميته له ومعرفته بمكانته وفضله وأياديه البيضاء على الإسلام والمسلمين في أيام المحن والشدائد فضلًا عن أيام الرخاء والعافية، ونظرًا لشدة ملازمة أبي بكر لرسول الله ﷺ وشدة تمسك رسول الله ﷺ به كان يستشعر وجوده في كل مكان يكون فيه. قال ﷺ: «**رأيتني أدخلت الجنة... فخرجت من أحد أبواب الجنة الثمانية، فجيء بكفة فوضعتُ فيها، وجيء بجميع أمتي فوضعت في كفة فرجحتها، ثم جيء بأبي بكر رضي الله عنه فوضع في كفة، وجميع أمتي في كفة، فرجحها أبو بكر، ثم جيء بعمر رضي الله عنه فوضع فيها فرجحها، فجعلت أمتي تمر علي أفواجًا، حتى استبطأت عبد الرحمن بن عوف، فمر بي بعد الناس، فقال: بأبي وأمي، ما كدت أخلص إليك إلا من بعد المشاق، فقلت: لم ذاك؟ قال: من كثير مالي، ما زلت أحاسب بعدك وأمحص**»[1].

- ومثلما رجح أبو بكر رضي الله عنه الأمة بأجمعها بعلمه وإيمانه بما فيها عمر الفاروق فإن رسول الله ﷺ بشره بمكانته وخصوصيته عند ربه سبحانه وتعالى. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه وفد عبد القيس فتكلم بعضهم بكلام لغا في الكلام. فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر وقال: «**يا أبا بكر، سمعت ما قالوا؟**» قال: نعم، يا رسول الله وفهمته. قال: «**فأجبهم**». قال: فأجابهم أبو بكر ﷺ بجواب وأجاد

(١) أبو نعيم في الحلية، ١/ ١٥٠. هناد بن السري: الزهد، ١/ ٣٣٠.

الجواب، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر**». فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: «**يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة**»[(١)]. والله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[(٢)] والرافضة تكذب القرآن في رؤية الله يوم القيامة ولا تؤمن بها، وعلى هذا فهم لا يؤمنون بكل ما في كتاب الله من فضائل لأصحاب رسول الله ﷺ ومن أوسمة تدحض كل إفك وباطل، وكذلك لا يؤمنون بما جاء على لسان نبيه ﷺ من شهادات لأصحاب رسول الله ﷺ، ولا سيما ما في ذلك للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال ﷺ: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان**»[(٣)].

- وقد صدّق واقع الحياة ما قاله ﷺ، فعمر وعثمان ساق الله لهما الشهادة فاغتالتهم الرافضة ببغيها وغدرها وحقدها وها هم يعظمون قاتل الفاروق ويرفعونه عندهم إلى درجة أئمتهم الذين يناجونهم من دون الله. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٤)]. ومع كل هذا الشر الذي ما زال يحدق بالسنة وحملتها، يجد المتابع كثيرًا ممن يزعم أنه من علماء السنة لا يتردد في الثناء على قتلة الفاروق دون حياء من الله تعالى ولا من عباده الصالحين!!

- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**هذان سيدا كهول**

---

(١) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٦٣). ينظر: الصالحي: ١١/ ٢٦٠.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري. ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٥).

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٤.

أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»[1]. وقال علي رضي الله عنه: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر، فقال ﷺ: **«يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين»**[2]. وقال علي رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: **«هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»**[3].

- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: **«هكذا نبعث يوم القيامة»**[4].

- وقال ﷺ: لأبي بكر رضي الله عنه: **«أنت صاحبي على الحوض، صاحبي في الغار»**[5].

- وقال عبد الله بن حنطب: إن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: **«هذان السمع والبصر»**[6].

(١) الترمذي: السنن. ك. المناقب. مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ح (٣٦٦٤) قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ١٦٥. وقد رواه بعدة أسانيد.

(٣) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٥) قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه. عن أنس وابن عباس. عن علي عن النبي ﷺ قال: **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»**. الترمذي: السنن. ح (٣٦٦٦).

(٤) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٦٩)، قال الترمذي: وسعيد بن مسلمة – أحد رواة الحديث – ليس عندهم بالقوي.

(٥) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٦) قال: وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وهذا حديث مرسل، وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ. سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر. ح (٣٦٧١).

- وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول عن أبي بكر رضي الله عنه: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا[1]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**يطلع عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع أبو بكر رضي الله عنه فسلم ثم جلس[2].

- وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالًا يُعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى ابن مريم الحواريين**» قيل له: فأين أنت من أبي بكر وعمر؟ قال: «**إنه لا غنى بي عنهما إنهما من الدين كالسمع والبصر**»[3].

- ومن المؤهلات والفضائل التي أكدها رسول الله ﷺ لخليفته أمام أصحابه رضي الله عنهم تبيانًا لما له من المؤهلات، شهادته له بالإيمان وأنه يؤمن بما يؤمن به رسول الله ﷺ، وهو ليس موجودًا في المجلس الذي ذكر فيه حديث الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**فإني أومن بذلك، أنا وأبو بكر وعمر**»[4]

- وسبق ذكر حديث رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[5]. وقوله ﷺ: «**ما من نبي إلا له وزيران... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر**»[6].

---

(١) سنن الترمذي: ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٥). قال: هذا حديث حسن صحيح. الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٢). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٣). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤٨).

(٤) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر. ح (٦١٨٣).

(٥) سنن الترمذي: ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٣) هذا حديث حسن غريب.

(٦) سنن الترمذي ك. المناقب. باب. ح (٣٦٨٠).

- وكان خليفة رسول الله أحب الرجال إلى النبي ﷺ لما يجد فيه من الطاعة المطلقة لله ولرسوله والاستعداد الدائم للعطاء والتضحية، إضافة إلى العلم والفهم والفطنة، قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها لما توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألا تزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا. قال: «**ومن البكر ومن الثيب؟**» قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وأما الثيب فسودة بنت زمعة رضي الله عنها(١).

- وكثيرًا ما روي أن عمر رضي الله عنه ردد قوله: كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وقول علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي(٢). وقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر(٣).

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم(٤)، وكان النبي ﷺ يسمع ذلك وأصحابه الكرام فلا يخالف أحد ذلك الإجماع في أن أئمة الأمة هم أولئك المذكورون رضي الله عنهم ثم لحق بهم علي رضي الله عنه فأصبح ترتيب أئمة الإسلام الراشدين الذي وضعه

---

(١) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٥). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) الحاكم. المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٢). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٣). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «**سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر**». ح (٣٦٥٥).

المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم هو ذلك الترتيب الذي لا يعارضه إلا من هو خارج دائرتهم ولا صلة له بهم ولا رابط بينه وبين دينهم الحنيف ولا قيمة أو عبرة لمن هذه حاله.

- وقال زيد بن علي: أبو بكر الصدِّيق إمام الشاكرين ثم قرأ ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] ولعل شكر خليفة رسول الله لربه بدوام الطاعة وعظيم المسابقة على خدمة الدين والتضحية من أجل نصرته كانت من الأسباب المباشرة لما جعل الله له من القبول والمكانة عند رسول الله ﷺ وعند الصحابة رضي الله عنهم وعند عامة المؤمنين.

- عن زياد بن علاقة: أن رجلًا أتى عمر رضي الله عنه وهو يتصدّق عام الرَّمَادة، فقال: إنّ هذا لخير هذه الأمة بعد نبيّها ﷺ قال: فعمد عمر رضي الله عنه وجعل يضرب صلعة الرجل بالدّرّة ويقول: كذب الآخر، أبو بكر خير مني، ومن أبي، ومنك، ومن أبيك[2]. وقال الزُّهْري: قال رجل لعمر: يا خير الناس، أو: ما رأيت أميرًا خيرًا منك. فقال: هل رأيتَ رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: فهل رأيتَ أبا بكر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني أنكَ رأيتَ واحدًا منهما لأوجعتك[3].

- ولا خلاف بين الصحابة أن خليفة رسول الله خير الناس بعد النبي ﷺ، فلما قدم وفد عبد القيس على عمر رضي الله عنه أذن لهم فدخلوا عليه، فقضى بينهم، وقضى من حوائجهم، فبينما هم كذلك إذْ غلبته عينه، فقال رجل من القوم: ما رأيتُ أميرًا قطّ خيرًا من هذا، فاستيقظ عمر بكلمته، فقال: هل رأيتَ أبا بكر؟ قال: لا والله، قال: أما والله لو كنتَ رأيته لنكلت بك[4].

- وقال جُبَير بن نُفَير: إن نفرًا قالوا لعمر رضي الله عنه: ما رأينا رجلًا أقضى بالقسط

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٨.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٤٠.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٤١.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٤٠.

ولا أقولَ بالحق، ولا أشدّ على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال عوف بن مالك: كذبتم، لقد رأيتُ خيرًا منه غيرَ رسول الله ﷺ فأقبل إليه عمر فقال: من هو يا عوف؟ فقال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف وكذبتم، لقد كان أبو بكر أطيبَ مِنَ المسك، وإنّي لمثل بعير أهلي[1]. أي أنه أسلم قبله.

- ولما وفد ناس من أهل الكوفة، وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزلوا المدينة تحدَّث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ ففضّل بعضُ القوم أبا بكر على عمر، وفضّل بعضُ القوم عمر على أبي بكر، وكان الجارود ممن فضّل أبا بكر رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه فجاء عمر ومعه درته، وما في وجهه رابحة، فأقبل على الذين فضّلوه على أبي بكر؛ فجعل يضربهم بالدّرّة حتى ما يبقى أحدهم إلّا برجله، فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين فإن الله لم يكن ليرانا نفضلك على أبي بكر، أبو بكر أفضل منك في كذا، وأفضل منك في كذا، فسري عن عمر رضي الله عنه ثم انصرف، فلما كان من العشاء صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. من قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري[2].

- وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[3].

فهذه منزلة خليفة رسول الله ﷺ التي عرفها السلف وتقربوا إلى الله تعالى بحب صاحبها والبراءة من مبغضيه ومن لا يتبرأ منهم، على عكس ما نسمعه ونراه في هذه الأيام من بعض

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٤١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٤٣.

(٣) البخاري: بشرح فتح الباري. ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧١).

من يزعمون أنهم قادة فيما يسمى بالصحوة الإسلامية الذين ولّوا مدبرين عن السنة وسقطوا في الفتنة التي نسجها الرافضة بمكرهم وتخليطهم، فمن يثق بمن يُكفر الصدّيق رضي الله عنه ويحسن الظن فيه فلا يمكن القول إنه واثق بالكتاب الذي يسمي خليفة رسول الله صديقًا وليس مؤمنًا بما قام به ضد المرتدين الذين رفضوا خلافة النبوة، وهذا الصنف الذي يزعم أنه من أهل السنّة ولا ينضبط بضوابط السنة؛ إنما هو حرب على رسول الله ﷺ الذي أمر بطاعة خليفته من بعده والاقتداء بأفعاله لما هو عليه من الاتباع لرسول الله ﷺ وتأتي خطورة المصفقين لباطل الرافضة من أن لهم أتباعًا بين عامة أهل السنة يعتقدون صحة مسارهم فعندما تراهم العامة يدعون إلى محبة الرافضة قتلة الراشدين فإنما يكون موقفهم كموقف أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

- فهذه الروايات تبين مقام خليفة رسول الله ومنزلته ومؤهلاته التي أشار إليها الصادق المصدوق ﷺ فمنها أنه يدخل من أي أبواب الجنة شاء، وأنه سيد كهول أهل الجنة، وأنه سيبعث مع رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأجمعها، فهو من الدين مقام السمع والبصر، حتى إن النبي ﷺ يحمد الله تعالى الذي أيده بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما هما صالحا المؤمنين اللذان يواليان رسول الله ﷺ على كل حال.

- ومن خصائص تلك المنزلة أن الصحابة كانوا يعاقبون مَن قدّم أحدًا منهم على أبي بكر رضي الله عنه، بل ويزدرونه ويخطئونه ولا يدَعونه حتى يتوب من تلك الفرية، ويعلم يقينًا أن ثاني اثنين هما رسول الله ﷺ وخليفته رضي الله عنه، وقد بلغ هذه المنازل السامية بعد رحلة طويلة من الصبر والجهاد والعطاء والتعلم والملازمة لرسول الله ﷺ واقتدائه بالنفس والنفيس في كل أحواله، وبعد أن تساوى عنده رضي الله عنه الفقر والغنى والرفاه والحرمان والقيادة والجندية والمدح والقدح في سبيل دينه وعقيدته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

- حتى إنه ضُرب واتهمه المشركون بالجنون لشدة تعلقه وغيرته على رسول الله ﷺ وبلغ به الحال - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أنه كان يلبس عباءة قد خللها بخلال بعد أن أنفق ماله كله في سبيل الله وجهده ووقته كله أيضًا، وضيق على نفسه وعلى عياله في معاشهم وكثير من شؤون حياتهم لتسعد الأمة بإمامة أصحاب رسول الله وقيادتهم وليتعلم من يأتي بعدهم كيف تكون الإمامة والقيادة وكيف يكون منهجها.

- فكيف يقبل من يزعم أنه من أهل السنة أن يسمع من أقوام حرّفوا الدين من أجل أن يحصلوا على المال وخدعوا الناس باسم الفرائض ليحصلوا على السحت كما فعلت الرافضة حين أسقطوا فريضة الزكاة وجعلوا بدلًا منها الخمس يجنيه إمامهم ممن يزعم أنه من المسلمين، ولكن لا يصلح إسلامهم إلا إذا عاملهم كما يعامل المجاهدون الكفار فيأخذون منهم الغنائم ويجعلون خمسها لرسول الله ﷺ أو لخليفته من بعده، فمن لم يقدم خمس ماله لأئمة أعداء الصحابة فلا إسلام له عندهم.

فأين القرآن ونصوص القرآن إضافة إلى السنة فيمن يزعم من هؤلاء أنه من المسلمين؟! وبأي عقل ولسان ووجه يتحدث من يزعم أنه من أهل السنة عن الأخوّة مع من يُكذب إمامة أبي بكر رضي الله عنه وما له من مقامات ومنازل ومؤهلات وفضائل ومناقب؛ شهد له بها رسول الله ﷺ ومن بعده المهاجرون والأنصار ومن تبعهم بإحسان؟!!

- وبأي وجه يتحدث أولئك الذين يزعم كثير منهم أنهم يقودون حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة وهم يقتتلون على الدرهم والدينار وعلى المكانة والمنصب حتى لو كان شكليًّا لا قيمة له، والبعض منهم على مواقع التبعية، حتى بلغ ضعف الأمانة عند كثير منهم أنهم يُصدّعون صفوف جماعاتهم ويمزقونها، من أجل التمسك بتلك المواقع ودفع أي ثمن لضمان تكرار العودة إليها بعد انتهاء خدماتهم أو تمتعهم فيها، التي غالبًا ما يصلون إليها بذات الوسائل المبنية على الدس والتقريب والإبعاد والتزوير والتزييف التي تقوم بها الأنظمة التي لا يحجزها دين ولا قانون ولا قيم، ثم يمضونها بفشل إثر فشل وعجز يتبع

عجزًا، فيدينون بدين من يعطيهم ويسبحون في بحر من يؤويهم، ثم يستخدمون ذلك سياطًا يلهبون بها حياة كل مخلص أوقعوه في شباكهم باسم الدين والصحوة، فلا تضبطهم عقيدة ولا تحجزهم قيم، فلا حرام ولا عيب إلا من رحم الله منهم.

- والأَمَرّ من ذلك استباحة الكثير منهم وسائل الدس والنميمة والتشكيك في ولاء المخلصين لدينهم وهويتهم، واصطناع الأسباب الموجبة لذلك بوسائل لا تختلف كثيرًا عما هي عليه عند كثير من العلمانيين من أجل تنفير الناس عنهم وإبعادهم، لكيلا يطلعوا على سوآت أعمالهم وعورات مخططاتهم التي لا تمت إلى الدين والإصلاح إلا بالاسم وبعض المظاهر.

- فضلًا عن هامشية الولاء الحق للعقيدة، وغياب وازع المحاسبة والإحساس بالمسؤولية، أو تنمية شعور الإخلاص والاحتساب، فضلًا عن سوء التدابير وتيه الخطاب، وضلال المقاصد والخلط الظاهر بين المصالح الآنية والشعارات البراقة التي تستند إلى الزيف والوهم والتضليل، مما يوضح البون الشاسع بين ما كان عليه خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم من العلم والنباهة والإخلاص والزهد والورع والعدل وصفاء العقيدة والإعداد والعطاء، وبين ما عليه الأدعياء رموز الشؤم والفتن والبلاء والضياع الذي يكابده أهل السنة من التخليط والتناحر والتحزب السياسي والإقليمي والطائفي على حساب الدين والأمة، في عامة أمصارهم وأقاليمهم في هذا العصر، ولعل هذا يفسر بعض أسباب الفشل وقلة التوفيق، مع ما بذله المؤمنون المخلصون من دماء وأموال ودموع، في سبيل النجاح والنصر ونشر السنة وفضائلها.

- فتبين بعد المطالعات الواسعة والتجارب العميقة القاسية، أن أسلوب إحياء الشعائر الإسلامية والعمل بالحدود الشرعية كما كان عليه السلف، وقيادة الصحوة على الوجه الصحيح، من الصعوبة بمكان أن تحققه الأحزاب والتجمعات التي تقوم على أسس مذهبية أو سياسية وتنظر إلى مصالحها الخاصة أولًا، ولا تكتفي بدور الحاضن لأبنائها بل إنها تعمل

على تدجينهم وتعويدهم التبعية والخنوع لما يسمى برموزها وثوابتها حتى لو كان ذلك على حساب الكتاب والسنة.

- فالصحوة الحقة هي التي تكتفي بدور الحضانة وغرس الثوابت في ضمائر أبنائها ثم تدعهم ينطلقون للعمل حيثما كان العمل النافع المستقيم ولا ترضى بتدجينهم، ولا يتم ذلك إلا بقيام العلماء النجباء بواجب الإصلاح وتصديهم لهذه المهمة بكل قوة دون أن يتلبسوا بالحزبية أو الإقليمية وأخلاق الفِرق والطوائف؛ وأن يتحالفوا مع أي حاكم يحكم بلادهم يرضى بمنهجية الكتاب والسنة ولا يخرج عن ثوابتها؛ فتحالف العلماء المخلصين والحكام المؤمنين على منهاج السنة النبوية، هو الذي يحجز بين عبيد الدنيا الذين يستخدمون التنظيمات والتجمعات الإسلامية لمصالح بعيدة عن مصلحة الدين والأمة، ويغذون ذلك بتحالفاتهم السياسية التي تضمن استمرار بقائهم بلا ضابط من شرع أو مصلحة معتبرة، فضلًا عن الأهواء والمصالح التي كثيرًا ما تبنى على أسس إقليمية أو فكرية قاصرة أو طائفية مقيتة.

- فكم من حركة إسلامية يزعم قادتها أنهم يريدون العودة بالأمة إلى مسارات السلف الصالح وهم أجهل الناس بتلك المسارات والسير، وكم من جاهل منهم يقود جماهير كثيرة تمتلئ قلوبهم بالحمية على الدين والأمة، فأوقع جموعهم في مكائد الأعداء، فلم ينصروا دينًا ولم يملكوا دنيا، ولم يسلموا من الشرور والنكبات التي حاقت بهم وبكثير من أحبابهم وأهليهم دون أي وجه حق.

- وكم من غوغائي يقود جموعًا من جماهير الصحوة خاض بهم أوحال الردة والجاهلية وموالاة الرفض تحت ضغط العواطف الخاصة وجاهلية الأحزاب والتجمعات والفِرق، ومخالفة سياسة الراشدين والحيدة عنها، وغياب عوامل الفقه بمصلحة الأمة ووازع الدين الذي يفصل بين دوافع الأهواء وعوامل الغيرة على المسلمين والاستعداد لافتدائهم بالنفس والمال؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفتدون أمتهم بين يدي رسول الله ﷺ.

ولما كان كل مؤمن مدينًا للصديق رضي الله عنه وفي رقبته جميل له لِما قدم للدين والأمة؛ ولما قام به من الجهاد والدعوة وبذل المال والنفس، ومن القيادة الراشدة والتعليم والدعوة الحانية، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله. أصبح حقًّا على كل مسلم الاعتراف والإقرار بما قرره الله في كتابه وذكره النبي ﷺ في سنته وحفظته الأمة في ضمائرها عرفانًا وودًّا ووفاء ومحبة لمن ثبتت محبته لله ولرسوله ﷺ وموالاة لمن لم يوال إلا الله ورسوله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم أولياء الله قاطبة بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام.

فهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ لإمامة الأمة وقيادتها، ونصبه إمامًا في الصلاة وهو حي، إيذانًا وإعلانًا أنه قائدها القائم بالأمر من بعده، وأنه الفيصل بين الإسلام والردة وبين الإصلاح والخداع، فمن والاه وسار على هديه فقد والى الإسلام وأهله، ومن عاداه فهو امتداد للردة التي حاربها حتى أزهق باطلها رضي الله عنه، ومن زعم أنه على هديه ولم يتخلق بأخلاقه ويوال أولياءه ويعاد أعداءه فهو الأفاك المضل المبين، لا يشفع له عذر ولا تقبل له حجة، وأي عاقل يقبل أن يساوي بين الصديقين والمنافقين؟

لكل ذلك وجب على المسلمين اليوم الإعلان بمحبة من أحب رسول الله ﷺ وأهل بيته ولا سيما أم المؤمنين الطاهرة عائشة، والتأكيد على موالاة خليفة رسول الله، والبراءة ممن تنقص منه أو طعن في إمامته سابقًا أو لاحقًا، والعلم اليقيني أن الذين يسبون أبا بكر رضي الله عنه إنما هم زنادقة يريدون هدم الدين، وهم إخوان لمسيلمة الكذاب والأسود الكذاب وابن سبأ وأمثالهم، وأن مقصدهم هو سبّ رسول الله ﷺ والطعن في نبوته، وأن الله عزّ وجلّ اختار لرسوله ﷺ شرار الخلق، وأن النبي ﷺ سكت عنهم وزوجهم بناته وتزوج منهم، وأحبهم وولّاهم أمور المسلمين وقيادتهم وهم ليسوا أهلًا لذلك، وخلّفهم على دينه وأمته ليعبثوا بها، ويبدلوا ويغيروا كما يشاؤون، وهذا الباطل الذي يدين به أعداء الصحابة لا بد من البراءة منه، والعمل المتواصل على حماية السنة من مخاطره ومكائده، ومن هادنه فإنما هادن النفاق والردة، ومن والاه فقد والاهما.

فهذا مرجعهم يروي عن أبي جعفر أنه قال: يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدًا - من أهل السنة - ولا يأخذه فيهم لومة لائم[1]. فها هم يعلنون عن هويتهم لمن يعقل بأن كتابهم غير القرآن وقضاءهم غير قضاء محمد ﷺ، وليس لقوم محمد ﷺ العرب ولا سيما قريش عند قائم الرافضة سوى السيف والقتل، ولعل من يتمعن فيما يجري على أيديهم في العراق وغيرها على العرب السنة يتضح له ذلك جليًّا.

وهذه هي عقيدة مبغضي الصحابة وأقوالهم وسيرتهم فهم لا يوالون رسول الله ﷺ ولا يقبلون أمره فحالهم يؤكد لكل عاقل أنهم على غير سنته مفارقون لملته، وإن لبّسوا على الغوغاء والمغفلين، وتعاون معهم بائعو السنة الأغبياء والماكرون، فكيف يحب رسول الله ﷺ ويؤمن به من يبغض أنصار دينه وأولياء سنته؟ ويشتم خليفته الذي رجح إيمانه بإيمان الأمة بأجمعها ويعصي إمامة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه وأخزى من أبغضه وعاداه، وكيف يكونون من أمة محمد ﷺ وهم ينتظرون قائمهم ليأتيهم بقرآن جديد وقضاء جديد، وحقده على العرب يزيد ويزيد؟

وقد برز في هذا العصر من لا يقل خطرًا عن زنادقة الرفض والحقد والكراهية والإيهام، ألا وهم أولئك الذين يحسبون أنفسهم على علماء السنة النبوية، ويرضون أن تمتطيهم الرافضة وأن يكونوا أبواقًا لها، فيروجوا لمودتها ويسهموا في تمدد الرفض والردة بين المؤمنين وفي عامة بلاد المسلمين، ويخادعون عامة أهل السنة حين يذيعون أنهم إخوان الرافضة وأنه لا فرق بينهم وبين قتلة الفاروق عمر رضي الله عنه الذين يُكذبون القرآن ويرفضون السنة ويكفّرون الصحابة رضي الله عنهم ويقذفون أمهات المؤمنين الطاهرات رضي الله عنهن ويستبيحون دماء أهل السنة وأموالهم ويدمرون مساجدهم ويغتصبونها، ولا يجوز لهم إلا

(١) النعماني بن أبي زينب: محمد بن إبراهيم من علماء الرافضة في القرن الثالث، الغيبة، مؤسسة الأعلمي بيروت، ص ١٥٤.

ذلك في عقيدتهم وثقافتهم إن أصبح لهم شوكة، وكما هو حاصل في البلاد التي يهيمنون عليها في هذه السنين العجاف، إلى غير ذلك من عقائدهم المكذبة لدين الصحابة رضي الله عنهم والمتبرئة منهم ومن إمامهم الصديق رضي الله عنه ومن نبيهم ﷺ.

فالحقيقة التي لم تعد تخفى هي أن هذا الصنف الغاش المخادع المجرد من الغيرة على السنّة المطهرة وأهلها هم إخوان الرافضة في بعض الوجوه، والشر والبلاء يتمثل فيما أدخلوه على أهل السنة من الشك والريب والأوهام، والدعوة إلى الزندقة وحب مكفري الصحابة، وما جلب ذلك من التمكين لأولئك الأعداء من رقاب العرب والمسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، ومن الفرقة والتمزق والتشويش بين صفوف المسلمين، في الوقت الذي يشحن فيه الرافضة أتباعهم بثقافة الكراهية للسنة وأهلها دون أي تردد أو شك أو ريب، وهذا ما تؤكده تحالفاتهم ومحاضراتهم وعباداتهم ومؤلفاتهم وشعاراتهم ومظاهراتهم وراياتهم ومسمياتهم وألفاظهم وأيمانهم الشركية الاستفزازية المتسلحة بفقه التقية والخداع في التعامل مع أهل السنة، وهذا ما لم يدركه الكثير من أهل السنة مع كل ما ذاقوه من ويلات ونكبات على أيديهم، فيظهر من كل ما سبق أن البلاء المباشر كامن في كثير من علماء السنة الجاهلين بطبيعة الرافضة ودينهم وثقافتهم وتاريخهم وأعرافهم ومشاهدهم ومقاصدهم واحتفالاتهم ورموزهم وإشاراتهم وعباراتهم ومكرهم ودسائسهم.

وعلى هذا فليعبد الرافضة ما شاؤوا وليعتقدوا النفع والضر بمن شاؤوا وليقسموا بمن شاؤوا وليوالوا من أرادوا وليعادوا من أرادوا. قال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا ﴾[1] ولكن من يرد شرهم عن السنة النبوية، وهم يعتقدون أن دينهم لا يقوم إلا بسحق السنة وأهلها، وقد لقنوا أتباعهم أن مهديهم لا يظهر حتى يتم ذلك، فهم يعملون بكل ما في وسعهم على إقصاء أهل الكتاب والسنة النواصب الكفرة كما يعتقدون ذلك ويدينون به ويوالون ويعادون انطلاقًا من فهمهم هذا، وعليه فلا عدو لهم في

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

عقيدتهم سوى الصحابة ومحبيهم، فعلى أي وجه من وجوه الحقيقة يلتقي القاتل والمقتول والكاذب والصادق؟

- فموقف أهل السنة من الرافضة ليس باختيارهم، وإنما كل ما في الرفض من عقائد وولاء وبراء قائم على هدم السنة واستباحة أهلها، وكل محاور ثقافتهم قائمة على الاستفزاز والتحريض ونشر الكراهية وإثارة الفتنة وإثارة كل خلاف وإحياء كل نزعة جاهلية.

- فمن يمنعهم التدين والاعتقاد بأن الصحابة حرفوا القرآن؟!! ومن يلجمهم عن شتم سنة نبينا ﷺ ورواتها رضي الله عنهم وقذف أهل بيته، وفي مقدمتهم زوجة رسول الله الطاهرة المطهرة أم المؤمنين العالمة العابدة الكريمة ابنة الكريم رضي الله عنها؟! ومن يسكتهم عن الاعتقاد بكفر حملة القرآن وحماة السنة الصحابة المكرمين؟! ولعن القادة الفاتحين **«سيف الله الذي سله على الكافرين»**[1] خالد بن الوليد وإخوانه المجاهدين؟ إلى غير ذلك من الأحقاد والضغائن التي يتعبد بها قتلة الراشدين!! ويغذون بها جموعهم بثقافة وفقه الحقد والبغض واستباحة محرمات المؤمنين!! وثوابت أهل السنة ومقدساتهم وأعلامهم وأئمتهم الصالحين؟!

فمن هنا يتأكد الحكم القاطع على كل من يزعم أنه من أهل السنة ويقر الرفض ويسالمه ويحسن الظن فيه ويجمله لأهل السنة، ولم يعلن توبته وبراءته أمام جماهير الناس، فإنما هو نصير الردة وداعية الرفض وحليف جواسيس الغزاة والمحتلين لا يجمع بينه وبين أهل السنة جامع وإن زعم؛ لأن الرائد لا يكذب أهله، ومثلما لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد كذلك لا يجتمع الصحابة رضي الله عنهم وقتلتهم ومكفروهم ومحبو مكفريهم في دين واحد، ولا يغفل عن فقه هذه الحقيقة الساطعة إلا الغوغاء الدهماء ﴿ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[2].

---

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٧٠٤٨)، ابن حنبل: المسند، (٢٢٠٤٥) و(٢٢٠٦٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

قال سالم بن عبيد الأشجعي: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس عليه عمر رضي الله عنه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بكى الناس يوم مات رسول الله ﷺ حتى النساء في الخدور، وكادت البيوت تسقط من الصراخ[1] وعن أبي ذؤيب الهذلي: أنه لما قدم المدينة يوم مات رسول الله ﷺ فإذا لها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلّوا بالإحرام[2].

عن القاسم بن محمد أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما رسول الله ﷺ فأما إذ قبض الله نبيه ﷺ فما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة[3].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعنا عثمان بن عفان يقول: لما مات رسول الله ﷺ وسوس رجال فإني كنت فيمن وسوس فمرّ علي عمر فسلم فلم أرد عليه ما علمت بتسليمه... الحديث. وعن عثمان رضي الله عنه: أن رجالًا من أصحاب رسول الله ﷺ حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس وكنت منهم، فقلت لأبي بكر رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ قبل أن أسأله عن نجاة هذه الأمة، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، فقال: من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها علي فهي له نجاة[4].

ولما بكى الناس على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، فقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله، إنا نخشى أن نفتن بعده. قال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيًّا، فقتل معن شهيدًا في اليمامة رضي الله عنه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه يوم مسيلمة الكذاب[5].

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٧٤. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، . ١٧/ ٥٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٣١٣.

(٤) البزار: مسند البزار البحر الزخار، ك. مسند أبي بكر رضي الله عنه، باب ما روي عن عثمان، ح (٤).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٣١٧.

وقال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم من المدينة كل شيء. وفي رواية: أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يبصرها، وفي رواية: فلم أرَ يومًا أقبح منه فما فرغنا من دفنه ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا. وقال رضي الله عنه: إن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله ﷺ فقيل لها: ما يبكيك يا أم أيمن؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ قد أكرم الله نبيه وأدخله جنته، وأراحه من نصب الدنيا. فقالت: والله ما أبكي، ألَّا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء كان يأتينا غضًّا جديدًا كل يوم وليلة، فعجب الناس من قولها. قال أبو الفتح:

وهل عدلت يومًا رزيئة هالك ... رزيئة يوم مات فيه محمد

وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد[1]

وفيما نسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله:

فجعنا بالنبي وكان فينا ... مقدمنا وسيدنا الإمام

سأتبع هديه ما دمت حيًا ... طوال الدهر ما سجع الحمام[2]

ونسب إليه أيضًا رضي الله عنه:

أعتيق ويحك! إن حبك قد ثوى ... وبقيت منفردًا وأنت حسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور[3]

وهذه الأشعار وإن كانت تعبر عما كان عليه حال الصدّيق بعد رسول الله ﷺ من وجد الفراق ولوعة الشوق وألم الحاجة إلى قيادة ورؤية وتعاليم رسول الله ﷺ إلا أن الثابت

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٧٦.
(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٧٧.
(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٧٨.

أن أبا بكر رضي الله عنه لم يقل شعرًا في الإسلام[1] مما ينسب إليه رضي الله عنه إنما هو تصوير لحاله التي كان عليها، في أقوال شعراء آخرين وليست من قوله وإن نسبت إليه رضي الله عنه. وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه قال له في خلافته: هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم. قال: فإنه والله ما حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]. فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت[3]. قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها عن خطبة عمر وخطبة خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ: فما كانت من خطبتيهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقًا، فردهم الله بذلك، ثم لقد بَصَّر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[4].

صفات القبور التي فيها رسول الله ﷺ وصاحباه:

وصفات القبور الثلاثة التي حوت رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة الحمراء: قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: دخلت على الطاهرة عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أماه، اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٤١٤. الألباني: ظلال الجنة، ح (١٢٣٩)، الهندي: كنز العمال، ح(٣٥٦٠٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. البخاري: صحيح البخاري. ك: كتاب فضائل الصحابة، (٣٦٦٧- ٣٦٧٠). ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٣١٤.

الحاكم: فرأيت رسول الله ﷺ مقدمًا وأبو بكر رأسه بين كتفي رسول الله، وعمر رأسه عند رجل رسول الله ﷺ وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة، لأن الحصباء لا تثبت إلا على المسطح. فإذا كان قبر رسول الله ﷺ غير مرتفع عن الأرض وهو القدوة والأسوة الحسنة فإنّ كل قبر مرتفع عن الأرض هو مخالف لسنة رسول الله ﷺ[1] قال الشاعر:

ثلاثة أقبر جلت وعزت	حوت خير الورى مع صاحبيه
محمد المصطفى[2] من قريش	وصدّيق له أثنى عليه
وثالثهم هو الفاروق حقًّا	فكل مدائحي تهدى إليه[3]

والذي يجب أن يعلمه المؤمنون أن فراق رسول الله لأصحابه كان كفراق الروح من الجسد وأشد عليهم من فراق كل حبيب، ولو كان يُفتدى ﷺ بالأرواح والأهلين الأبناء والأموال لافتدوه راضين هانئين ﷺ وهم الذين افتدوه بمهجهم في مواقع الخطر رضي الله عنهم، ولكن أمر الله وقضاءه لا مفر منه. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4] فلما أصبحوا أمام تلك الحقيقة ما كان منهم إلا أن يستلهموا تعاليم رسول الله ﷺ فيعضوا على مصابهم ويباشروا تحمل مسؤولياتهم في تبليغ الإسلام ونشره بين العالمين كما علمهم رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك ليتحقق على الوجه الذي تحقق لولا أنهم أجمعوا دون أي تردد على بيعة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه الذي سار بهم على منهج نبيهم ﷺ دون أي تبديل أو تغيير أو تلعثم، فكان ذلك النجاح الهائل الذي أثمر قمع الردة وبناء الوحدة وإنجاز الفتوح ونشر التوحيد وتحقيق مقاصد رسول الله ﷺ في بناء الأمة وإقرار الرسالة في ربوع العالمين. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

---

(١) البيهقي: الدلائل: ٧/ ٢٦٤. البخاري: ٣/ ٢٥٥ (١٣٩٠)، الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٣.

(٢) كذا في مصدر التخريج. ولعل صوابها: «المصفى» لاستقامة الوزن.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠٩. (٤) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

يوم الرزية:

لعل من أول الشبهات التي يدين بها الرافضة بعد وفاة النبي ﷺ طعنهم بأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وتحريفهم لمقاصد قول النبي ﷺ في مرضه الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ الوجع، فقال ﷺ: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا**» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه ﷺ فقال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه**» وأوصاهم بثلاث: قال: «**أخرجوا اليهود من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزُهم**» وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها[1].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس. قال: «وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «**هلمّوا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده**» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغوَ والاختلاف، قال ﷺ: «**قوموا**» فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم[2].

فحصل لهم شك: هل قوله ﷺ: «**أكتب لكم كتابًا، لن تضلّوا بعده**» هو مما أوجبه المرض أو هو الحق الذي يجب اتباعه؟ وإذا حصل الشك لهم لم يحصل به المقصود، **فأمسك** عنه ﷺ وكان لرأفته بالأمة يحب أن يرفع الخلاف بينها، ويدعو الله بذلك، ولكن قَدَر الله قد مضى بأنه لا بد من الخلاف كما جاء في **الصحيح** عن النبي ﷺ أنه قال: «**سألت ربي**

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح (٤٤٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح (٤٤٣٢) ينظر: منهاج السنة، ٨/ ٥٧٢. محمد، انتصار الحق، ٣٢٦.

ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته ألا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته ألا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم شديدًا فمنعنيها»[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرزية كل الرزية ما حال بين النبي ﷺ وبين الكتاب.

ولكن الناظر في انقياد الأمة لخليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يجد أن ذلك رزية في حق من شك في خلافة الصدّيق وقدح فيها، إذ لو كان الكتاب الذي همّ به ﷺ أمضاه لكانت شبهة هذا المرتاب تزول بذلك، ويقول: خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص الصريح الجلي، لأن النبي ﷺ كان يريد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه كتابًا كما اتضح ذلك في الأحاديث الصحيحة، فلما لم يوجد هذا كان رزية في حقه، من غير تفريط من الله ورسوله ﷺ، بل قد بلغ رسول الله ﷺ البلاغ المبين، وبين الأدلة الكثيرة الدالة على أن الصدّيق رضي الله عنه هو الأحق بالخلافة والأولى بالإمامة، وأنه هو المقدم في الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازعه إلا ظالم باغٍ محارب لله ولرسوله ﷺ، لهذا لم ينازعه أحد من الصحابة رضي الله عنهم مطلقًا، وكل ما قيل أو أشيع عن خلاف بعض الصحابة لخليفة رسول الله إنما هو محض كذب وافتراء صنعه أعداء الصحابة على مر العصور، ورددته الغوغاء التي تسمع كل ما يقال وتقول كل ما تسمع مما ينفثه الرافضة من بهتان.

وإن كان عدم كتابة النبي ﷺ رزية فهي ليست في حق أهل التقوى والسنّة الذين يهتدون بالقرآن وإنما هي رزية وخزي في حق من في قلبه مرض، كما كان في قلوب المنافقين حين نسخ الله تعالى ما نسخه من القرآن، وكما في محنة المسلمين يوم أحد ويوم حنين وغير ذلك من مصائب الدنيا.

ورزية في حق الرافضة ومبغضي السنة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح (٥١٤٥)، النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل، ح (١٦٢٠) منهاج السنة، ٨/ ٥٧٣.

تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]. وإن كانت هذه الأمور في حق من هداه الله إلى السنة فهي مما يزيدهم الله به علمًا وإيمانًا وكرامة في الدنيا والآخرة.

ولعل هذا الأمر فتنة كوجود الشياطين من الجن والإنس، يرفع الله به درجات أهل الإيمان بمخالفتهم ومجاهدتهم، مع ما في وجودهم من الفتنة لمن أضلوه وأغووه. وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[3] وقول موسى عليه السلام: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾[4] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾[5].

ولما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: «**ائتني بكتف أو لوح أكتب لأبي بكر كتابًا لا يُختلف عليه**» فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: «**يأبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر**»[6]. وقوله ﷺ: «**لقد هممت - أو: أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول قائلون، أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**»[7]. وبلفظ آخر عن أم المؤمنين، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ أو يقول قائل: أنا أولى ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[8].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(2) سورة المدثر، الآية: ٣١.
(3) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(4) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(5) سورة القمر، الآية: ٢٧.
(6) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٦/ ٢٣، ٤٥٣، ٨/ ٥٧٥. سبق تخريجه.
(7) عبد الرحمن بن محمد: الأربعين في أمهات المؤمنين، ١/ ٧٩. وقد سبق تخريجه.
(8) صحيح مسلم: ح (١٨٥٧). وقد سبق تخريجه في أكثر من موضع.

وروي عن علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق أكتب فيه: «**ما لا تضل أمتي من بعدي**» قال: فخشيت أن تسبقني نفسه ﷺ. قال: قلت: إني أحفظ وأوعى. قال: فأوصى ﷺ بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم[1]. فيتضح في هذا أن النبي ﷺ أراد أن يكتب لأبي بكر كتابًا يؤكد فيه خلافته من بعده، ولكنه ﷺ امتنع عن ذلك لأمرين؛ الأول منهما: أنه ﷺ رأى مكانة صاحبه في قلوب المؤمنين وتقديمهم له وإجلالهم لمقامه بينهم فعلم أنهم لن يقدموا غيره رضي الله عنه فاكتفى ﷺ بما أمرهم به في هذا الباب وبما أشار لهم به على مكان أبي بكر رضي الله عنه في مثل قوله للمرأة: «**فإن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[2] ومثل تقديمه عليهم بالصلاة وصلاته ﷺ خلفه مع الصحابة رضي الله عنهم ومثل تقديمه عليهم في الحج وتأميره على الناس في أداء أول فريضة لحج بيت الله تعالى ومثل أمره ﷺ بسد جميع الأبواب المؤدية من البيوت إلى المسجد مباشرة بما في ذلك بيت علي رضي الله عنه إلا باب بيت الصديق رضي الله عنه، فإنه أمر بإبقائه مشرعًا إلى مسجد رسول الله ﷺ لأن أبا بكر هو خليفة رسول الله ﷺ وإمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ، فلا ينبغي أن يكون هناك أي عائق يعوق وصوله إلى موقع ومكان الإمامة والقيادة والخلافة.

والنصوص الصحيحة في هذه المسألة كثيرة وبينة لا تحتاج إلى مزيد من شرح وتوضيح وإن تعددت حولها الآراء وكثرت الأقوال، فهذا لا يغير من الحقيقة ولا من رغبة رسول الله ﷺ وإرادته في أن يكتب كتابًا عند وفاته يؤكد فيه خلافة صاحبه الصديق رضي الله عنه، وإذا لم تتم عملية الكتابة فإنما ذلك إقرار لما رآه بعض الصحابة وتكلم به بين يدي رسول الله ﷺ في ساعة مرضه؛ من أنّ أبا بكر رضي الله عنه لا تختلف الأمة على إمامته وإن انتهز بعض

(١) أحمد: المسند، ك. وباب مسند علي بن أبي طالب، ح (٦٩٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا**». ح (٣٦٥٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل، ح(٧٣٦١)، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر ح (٤٣٩٨) ابن حنبل: المسند، كتاب أول مسند المدنيين، باب حديث جبير بن مطعم، ح (١٦١٥٤) ٤/ ٨٢.

المبغضين قول ابن عباس رضي الله عنه عن عدم الكتابة بأن ذلك رزية لينسجوا عليها البهتان ويروجوا الرفض وبغض الصحابة، فإن ذلك لا يغير من عزم النبي ﷺ على الكتابة لصاحبه وأحب الناس إليه؛ كتابًا لا يخالفه أحد بعده ﷺ من أبناء الأمة لولا علمه بتحقق هذه الرغبة دون الحاجة إلى الكتابة، فترك ذلك لمحبي الصحابة ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[1] وليتحقق في أعداء السنة المطهرة ورافضي خلافة النبوة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[2].

ولذلك جزم ﷺ بقوله: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» فكان مما دلهم به من الدلائل الشرعية وما عُلم بأنّ الله سيقدره من الخير الموافق لأمره ورضاه، ما يحصل به تمام الحكمة في خلقه وأمره قدرًا وشرعًا. فتبين أن ما اختاره الله تعالى - أي بعدم الكتابة المباشرة - كان أفضل في حق الأمة من وجوه، وأنهم إذا ولوا بعلمهم واختيارهم من هو الأحق بالولاية عند الله ورسوله ﷺ كان في ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك. وبيان الأحكام يحصل تارة بالنص الجلي المؤكد، وتارة بالنص الجلي المجرد، وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

فاتضح لكل ذي عيان أن النبي ﷺ أرشد الأمة إلى خلافة الصديق رضي الله عنه ودلهم عليها وبين لهم أنه أحق بها من غيره. وذلك كله داخل في البلاغ المبين؛ فإنه ليس من شرط البلاغ المبين ألّا يُشكل على أحد، فإن هذا لا ينضبط، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، وفيهم من يبلغ العلم وفيهم من لا يبلغه؛ إما لتفريطه وإما لعجزه. وإنما على الرسول البلاغ المبين والبيان الممكن، وهذا ولله الحمد قد حصل منه ﷺ فإنه بلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

من مسوغات عدم الكتابة:

معلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبذلون مهجهم في سبيل تحقيق ما يأمر به رسول الله ﷺ أو منع ما ينهى عنه ﷺ ومعلوم أيضًا أن أشدهم حرصًا على ذلك بعد الصدّيق رضي الله عنه هو عمر الفاروق رضي الله عنه وقد أثبت ذلك في جميع مفردات سيرته في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، قال البيهقي والذهبي: وإنما أراد عمر رضي الله عنه التخفيف عن رسول الله ﷺ حين رآه شديد الوجع لعلمه أنه تبارك وتعالى قد أكمل ديننا.

ولو كان ذلك الكتاب وحيًا لكتبه النبي ﷺ ولما أخلّ به لاختلاف أو لغط، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] فالنبي ﷺ إذا تعلق الأمر بوجوب تبليغ ما أُمر به من ربه يبلغه ﷺ ولا يبالي بمن وافق أو عارض من البشر؛ وقد سبق أنه بين في ذلك البيان المبين، وإذا كان غير ذلك اجتهد ﷺ إلى ما فيه مصلحة المؤمنين.

كما لم يترك تبليغ غير هذا الكتاب لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه ﷺ وإنما أراد ما حكى أهل العلم، أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ثم ترك كتابته اعتمادًا على ما علم من تقدير الله تعالى، كما همّ به في ابتداء مرضه حين قال: «**وا رأساه**» ثم بدا له ألَّا يكتب ثم قال: «**يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، ثم نبّه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها[2] قال البيهقي: وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر رضي الله عنه علم أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3] وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بيانها نصًّا أو دلالة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) ينظر: الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٢٤٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

وفي نص رسول الله ﷺ على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، مما يشق عليه، فرأى عمر رضي الله عنه الاقتصار على ما سبق بيانه نصًا أو دلالة؛ تخفيفًا على رسول الله ﷺ ولكيلا تزول فضيلة أهل العلم بالاجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه. فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جليًا، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول بالدلالة، مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول الله ﷺ الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه رضي الله عنه[1].

ولكن لما كان بغض أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه قد بلغ عند الرافضة مبلغًا أخذ عليهم كل مأخذ لم يبالوا بما يقولون ما دام ما يقولونه يصب في هاوية الطعن بالفاروق رضي الله عنه، لهذا فهم عندما يتهمونه بتعطيل الكتاب إنما يتهمون رسول الله ﷺ بأنه لم يكتب الكتاب وبالتالي فهو لم يبلغ الرسالة - حاشاه ﷺ - ولم يكمل الدين، وهم بذلك يردون قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ويرفضونه لأنهم يأخذون من الدين ما شاؤوا ويدعون ما شاؤوا، وهذا هو الفرق بين أهل السنة الذين يدينون بأن دين الإسلام كامل وأن رسول الله ﷺ بلّغ رسالة ربه وجاهد في الله تعالى حق جهاده، وأن الصحابة هم أنصاره على إتمام تبليغ الدين وكل من يطعن فيهم إنما يطعن في رسول الله ﷺ وبرسالته وسنته، وبالتالي يطعن في دين الإسلام ولا يؤمن به، وإن فعل ذلك ظاهرًا فإنما هي التقية والرفض.

وقال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم وصمم عمر رضي الله عنه على الامتناع

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٩. وينظر: فتح الباري: ك المغازي. باب مرض النبي ووفاته، شرح الحديث (٤٤٣١).

لما قام عنده من القرائن أنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم، وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضًا.

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله. من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورًا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة وأراد ألَّا يسد باب الاجتهاد من العلماء، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر الإشارة إلى تصويبه. وأشار بقوله: حسبنا كتاب الله إلى قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1] ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: إن الرزية... إلخ. لأن عمر كان أفقه من ابن عباس قطعًا، بل أفقه الأمة بعد خليفة رسول الله. ولا يقال: إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن وأعلم الناس بتفسيره، ولكنه أسف على ما فاته من البيان وبالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستنباط والله تعالى أعلم[2].

وبناءً على ما سبق يتبين لكل ذي لب وعقل ونظر أن رسول الله ﷺ لم يكن يقدم على خليفته الصديق أحدًا من أصحابه في كل شؤون الأمة منذ بعث ﷺ إلى يوم وفاته ﷺ، وهذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج إلى إيضاح؛ يعلمها ويؤمن بها كل من آمن بالله ورسوله ﷺ يوضح ذلك ويؤكده الكتاب والسنة؛ ولكن مع كل هذه البينات فإن بعض الغوغاء والمغفلين ممن يحسبون على السنة والجماعة ما زالوا يعانون من الشك والهزيمة، فأينما تحدث أفّاك أو باغٍ أو مبغض لأصحاب رسول الله، فإنه يزرع في قلوبهم من الشك والريبة ما يجعلهم في حيرة فلا يهتدون سبيلًا، فيرددون الإفك والباطل؛ تارة باسم النقد والبحث العلمي، وتارة باسم الرد على الآخرين، ولكنهم في كل ذلك لا يسلمون من إصابات وأعطاب تمس هويتهم،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٨.

(٢) وذكر الصالحي في بيان غريب ما سبق قولهم: أَهَجَر؟ أي أقال هجرًا؟ وهو الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم، ووقوع ذلك من النبي ﷺ في حقه مستحيل. وإنما هذا على طريق الاستفهام الذي معناه الإنكار والإبطال أي أنه ﷺ لا يهجر، أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه، ولم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلًا. والرزيئة: المصيبة.

وبدلًا من أن يكون أي طعن أو تشكيك في إخلاص الصحابة وصدقهم علامة على دمغ مثيريها ومعرفة هويتهم المعادية، واتهامهم على الإسلام والأمة، فإن بعضهم يترنح تحت وطأة هذه الشبهات والأباطيل.

ومن ذلك شبهة يوم الرزية، ذلك اليوم الذي استغلته الرافضة وأذنابها إلى أقصى حد في كل مراحل حربها على السنة النبوية والطعن على رسول الله ﷺ بأنه لم يبلغ ما أرسل به والطعن في أصحابه بأنهم لم يمتثلوا أمره ﷺ في حملات متواصلة من التزييف والتزوير على رسول الله وأصحابه الأكرمين، وعامة أهل السنة في غفلة ولا مبالاة بواجب المنافحة عن عقيدتهم أسهمت إسهامًا مباشرًا في امتداد باطل أعداء الصحابة في كثير من زوايا الأمة، مدفوعًا ببعض المكاسب والمغريات المادية القريبة المنال التي أصبح بعض ممن يحسب على أهل السنة يسيل لعابه عليها ليصدق عليه قول النبي ﷺ: «**يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**»[1] إلى حد أوجب على كل محب لرسول الله ﷺ وأصحابه أن يشمر عن ساعد الجد لفضح هذا الباطل وكشف مروجيه وتحذير الأمة من مكرهم بالنبوة والسنة وأهلها والعمل المتكامل والمتواصل لإيقاف زحف الرفض والردة في فراغات الأمة التي صنعتها العلمانية والجاهلية والأهواء والمصالح الزائلة والصراعات الباردة، فانتهزها أعداء الصحابة في تحالفاتهم الآثمة مع الغزاة والمعتدين على بلاد المسلمين لنشر ثقافة عداء الصحابة ورفض خلافة النبوة بكل الوسائل وعلى أقصى نطاق، يساعدهم على ذلك الجهل المتفشي بين عامة أهل السنة في معرفة حقيقة تاريخ الرافضة السياسي ومعرفة حقيقة سِيَر عامة أعلامهم وأئمتهم وقادتهم، ولا سيما في عصر شوكتهم، والأدهى من ذلك غياب الدولة التي ترعى السنّة النبوية قولًا وفعلًا وتتبنى ثقافتها وتحتوي الأزمات التي تحاك لها فتفككها وتصد الهجمات والغارات التي تشن عليها في كل الأوقات والاتجاهات، وتولي أبناء السنّة

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٨٠١٧)، الفريابي: صفة المنافق، ١/ ٧٦، الدقاق: مجلس إملاء في رؤية الله، ١/ ١١٥.

الرعاية والحماية التامة، والتوجيه والإرشاد الصحيح، وتهيئ لهم من وسائل الإعلام ما يمكنهم من نشر ثقافة الكتاب والسنة بتجرد عن الأهواء والمصالح، وبما يشعرهم بالحماية والأمن وحرية القول والفعل المقيد بضوابط الشرع، وكما هو حاصل لغيرهم من أبناء الملل الأخرى، فما بال أهل السنة لا يعلنون هويتهم فيوالون من والاها ويبرؤون ممن ناصبها العداء من الرافضة وغيرهم؟!

ولما كان كل هذا غائبًا من على وجه الأرض في هذا العصر، فلا بد أن تشهد الأمة الكثير من الاجتهادات الصحيحة أو المشوبة، بل وكثيرًا من الأزمات والأعباء، حتى يتحقق كل هذا الذي يفتقده أبناء السنة ويشعرون أن أعداءهم وبكل أصنافهم يعملون على حرمانهم منه وبكل الوسائل، فما دام هذا البهتان والعدوان قائمًا على السنة فلا بد أن يكون الدفاع عنها قائمًا أيضًا وفقًا لسنن التدافع وتماشيًا مع تجارب الأمة، ولا يستطيع أحد أن يحول بين محبي السنة المطهرة وبين العمل لها والتضحية من أجلها، فالسلام على وجه الأرض الإسلامية وغيرها لن يسود أبدًا بإقصاء السنة وقهر أهلها وتبني أعدائها وإمدادهم ونصرتهم مهما بلغ ذلك، لأن السنة النبوية لا تُقهر لما تحمله في داخلها من عوامل الثبات والحصانة والقوة، وكل هذا تؤكده التجارب التاريخية وتوضحه الإشارات والبشارات النبوية التي تمد أبناء السنة العاملين بكل وسائل الثبات والمطاولة حتى تنتهي غربتهم وتقوم دولتهم كما كانت من قبل بإذن الله تعالى.

وبعد كل هذا الذي دوناه بقي أمام المتشكك أن يعلم يقينًا أن أعداء الصحابة لو أنزل الوحي على كل منهم دون واسطة - حاشا للوحي- لكذبوه، وقالوا بغير مقصده، فأولئك أمة أخرى لها منهجها القائم على هدم السنة؛ ولا يعنيهم مسألة ثبات الأحداث والوقائع والنصوص من عدم ذلك، وإنما يعنيهم أمر واحد هو التشكيك والتكذيب ونقض السنة بأي وسيلة أو منهج كان، فأصبح المسلم أمام خيارين لا ثالث لهما. الأول منهما الاعتقاد اليقيني الجازم بفقه الصحابة وعلمهم وصدقهم وأمانتهم جميعًا؛ واتهام أعدائهم وتكذيبهم ورد

باطلهم. والثاني: الاعتقاد اليقيني الجازم بأن رسول الله ﷺ بلّغ الدين كاملًا غير منقوص؛ وأنه لا يستطيع أحد من البشر أن يحول بينه وبين تبليغ ما أرسل به، وأن كل ما يردده الرافضة في هذا الباب وغيره إنما هو لون من ألوان الطعن بالنبوة قبل الطعن بالصحابة، وكل من يتشرب بعض باطلهم إنما يتشرب الشك بالنبوة بقدر ذلك، ومثلما أن رسول الله ﷺ قادر على تبليغ كل ما كلف به كذلك هو ﷺ قادر على ترك كل ما لا يرى تبليغه، وكل ذلك برعاية الوحي أو الاجتهاد النبوي الصائب.

وعلى هذا فإن ما اجتهد به الصحابة رضي الله عنهم حول رغبة رسول الله ﷺ في كتابة كتاب لخليفته أبي بكر رضي الله عنه ورأي عمر رضي الله عنه في ذلك وترك رسول الله ﷺ الكتابة إنما هو في النهاية إقرار من رسول الله ﷺ بعدم الكتابة والاكتفاء بما أصدره من إشارات وتوجيهات وإيحاءات وتكاليف لخليفته، وبتكليفه بمهام لم يقم بها غيره، إنما كل ذلك يؤكد أنه لا يوجد لبس في مسألة الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه عند أحد من الصحابة أو من جاء بعدهم من المسلمين.

والنتيجة التي يجب أن يعتقدها كل مسلم تتمثل في أن كل تشكيك أو طعن في هذه المسألة إنما هو من صنع الرافضة ومكر أعداء الصحابة الذين لن تثنيهم حقيقة عن ترك منهجهم القائم على هدم السنة ومحاربة أهلها؛ والعمل الدائم بكل الوسائل للحيلولة بين الأمة وبين التواصل مع الصحابة، بالقذف والبهتان والتشويه وغير ذلك، والعمل المستمر على محاربة الصحابة بنشر الشائعات وكتابة الأكاذيب وجحود نتاجهم الحضاري والفكري والفقهي والجهادي، والتدين بتكذيبهم ورفض قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ والولاء لكل راية ترفع لمحاربة الصحابة وأمتهم، والتحالف مع كل وثني أو كتابي أو إلحادي يناصبهم العداء، وقد صدّق كل هذه الحقائق تعاونهم مع أعداء الأمة ضد أهل السنة ومساجدهم وعقيدتهم، كما تأكد أن من ضرورات تدينهم مخالفة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة ورفض التسمي بأسمائهم، أو الأخذ بعلمهم أو إقرار جهادهم الذي أعز الله تعالى

به رسوله ﷺ ودينه، والإفتاء بشتمهم ولعنهم وتكذيبهم واتهامهم بأنهم بدلوا وغيروا- حاشاهم رضي الله عنهم - وما سوى ذلك من إفك وافتراء جعلوا منه عقيدة يعتقدونها ولا ينفكون عنها، وإن كانوا في عصر ضعفهم يبطنون ذلك، وفي عصر قوتهم أو تحالفهم مع الكفار يعلنونه، ويجاهرون به ويفاخرون بتنفيذه على رؤوس الأشهاد، مع أن ذلك يكشف باطنيتهم ويهتك أستارهم، فإن ذلك لا يغير من الخطر المحدق الذي يمثلونه على عقيدة الأمة وهويتها ووحدتها وحضارتها من داخلها؛ وبهذا تكون قد ظهرت الحقيقة لكل عاقل، ولم يعد هناك مجال لوجود ثقافة مترددة متشككة أو مكذبة؛ بل هي عقيدة واحدة وثقافة وفكر واحد منبثق من تلك العقيدة التي تتغذى من معين علوم الصحابة النابعة من الكتاب والسنة ومن ثمار الفقه المنبثقة عنهما، الذي ما زال المؤمنون يقطفون ثماره يقينًا واتباعًا واعتقادًا، وأن هذه العقيدة وهذه الثقافة لا يمكن أن تلتقي مع ثقافة التخريب الهدامة الرافضة للكتاب والسنة وفقه السلف الصالح وسيرهم، المعلنة بالبراءة منهم وموالاة أعدائهم، مما أوجد لكل مسلم إشارات وأضواء كاشفة يهتدي بها في معرفة أبناء عقيدته؛ وفي معرفة أعداء تلك العقيدة، فالصحابة رضي الله عنهم ورثة عقيدة رسول الله ﷺ هم الأضواء الكاشفة والشموس الساطعة، فكل من ينال من أي منهم إنما هو وريث للباطل الذي أزهقه الصحابة؛ فهو يدعو لباطله الفاسد بألوان وأشكال ووسائل متعددة، من أشهرها التستر بحب آل البيت ولكن قطعًا ليس بيت النبي محمد ﷺ الذي نصره الصحابة من المهاجرين والأنصار.

لهذا لا تروج بضاعة عداء الصحابة والطعن بهم؛ إلا في أسواق الحاقدين على السنّة وأهلها وعند البُله والغوغاء والأغبياء والذين في قلوبهم مرض وشك في القرآن ولغة القرآن وخلافة القرآن؛ من الذين يعتقدون أن أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة الصدّيق رضي الله عنه من الممكن في يوم من الأيام أن يقبلوا بدين الصحابة وقرآنهم وسنة نبيهم ﷺ أو يعملوا مع أمة القرآن والسنة بأمانة ونزاهة وصدق من غير نفاق وتقية وباطنية وتآمر! وهذا من المستحيل؛ لأنهم لو عملوا بذلك لأصبحوا من أهل السنة ولأعلنوا موقفهم المؤمن بخلافة النبوة، والتائب عن كل ما يردده المرتدون من التشكيك في الكتاب والسنة

ومما يؤكد ما سبق ويسقط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة، ويؤكد أنه لا إسلام بدون اعتقاد خلافة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن كل ما حصل فيها من أوامر ونواهٍ وحرب وسلم إنما هو من عمل خلافة النبوة الراشدة الصائبة التي دعا رسول الله ﷺ إلى طاعتها في عصرها وإلى الاقتداء بها فيما بعد عصرها، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وزنادقة الكوفة والصفويين الذين مرنوا الدس والبهتان وامتهنوا الإفك وتسعير الفتن وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأسواق النخاسة بأي ثمن.

لكل هذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تأصيل شعار واحد تجتمع عليه الكلمة وتتوحد به الأمة وهو إما خليفة رسول الله ﷺ والسنة؛ وإما الزيف والضلال والردة، وذلك أن الفِرق والطوائف المخربة الهدامة تزعم أنها تقبل بقيادة رسول الله ﷺ تلبيسًا على الناس ولكنها ترفض خلافته وترد أمره ﷺ في الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه من بعده وتدعو إلى غيره إمعانًا في رفض السنة وتضليل الأمة، في حين ترضى أن يقودها الصليبيون والملحدون واليهود والغزاة المحتلون المعتدون على بلاد المسلمين، لهذا لا بد من امتحان من يزعم أنه مسلم في اعتقاده بمن نصر الإسلام ودحر الردة وجمع القرآن وحفظ السنة، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه ويؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنه هو الأولى بالإمامة والخلافة:

أجمع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم على بيعة الصديق وإمامته المطلقة دون أي تردد أو توانٍ عن تنفيذ أوامره ونواهيه، وكما كان يحصل من الطاعة والمحبة لرسول الله ﷺ في حياته وعلى من يدعي تأخر علي بن أبي طالب المهاجري رضي الله عنه أو تخلف سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه أن يأتي بنص صحيح يثبت فيه اعتراض أي منهما على بيعة

خليفة رسول الله ﷺ أو أنه قام بأي عمل مضاد لخلافة خليفة رسول الله ﷺ أو عدم الإقرار بأنه خير الأمة بعد نبيها ﷺ، فإن انتفى هذا وهو كذلك؛ فإن إجماع المهاجرين والأنصار حجة شرعية تسقط أمامها أية دعوة أو رواية تحمل في طياتها وجهًا من وجوه التشكيك أو التردد أو التساؤل حول مسألة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، إذ إن هذه المسألة واضحة وضوح الشمس وهي من المسلمات بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فما إن طرحت مسألة الخلافة بحضور أبي بكر رضي الله عنه حتى التف المسلمون حوله دون الحاجة إلى التشاور أو التفكر والتروي؛ حيث كل ذلك مقطوع به مفروغ منه ولا حاجة له مع رجل الأمة الثاني بعد رسول الله ﷺ، ولأن التجارب أكدت كل ذلك بين يدي رسول الله ﷺ وفي حياته التي كان يرعاها الوحي ويسوسها القرآن في كل صفحاتها.

- وأوجب الله تعالى على أجيال الأمة جميعًا، اتباع المهاجرين والأنصار. فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]. فهذه الشهادة الربانية لا يمكن نقضها بأقوال البشر مهما بلغوا من العلم والمنزلة في الأمة، فكيف إذا كانت من الرعاء والغوغاء وبقايا المجوس والمرتدين وبقية مخالفي الصحابة وتابعيهم الذين توعدهم الله تعالى وخوفهم لو كانوا يعقلون وحملهم مسؤولية التزييف والانحراف عن منهج وسنة النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين، فقال سبحانه وتعالى محذرًا معاندي السنة: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[2]. ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل المهاجرين والأنصار ومن سار على هديهم.

- وانطلاقًا من هذه الآية وأخواتها أجمع المؤمنون الذين زكاهم الله تعالى على بيعة سيدهم وخيرهم بعد رسول الله ﷺ؛ والإجماع عمومًا حجة شرعية، فكيف بإجماع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

من نصَّ الله على وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وشهد على صدق إيمانهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾[1].

- وبهذا أصبح إجماع الصحابة حجة شرعية لمن يحاجج على شرعية الخلافة، وهذا الإجماع هو الذي استدل به علي رضي الله عنه لإثبات صحة بيعته بالخلافة بعد استشهاد الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه. حينما قال: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[2].

- ومن هنا يُبطل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حجج الزاعمين بأنه وصيٌّ أو خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله كما تفتري الرافضة زورًا وبهتانًا على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويثبت للأمة أنه المخلص لهذه العقيدة وأنه لا يكون إلا في الموقع الذي يكون فيه نصرتها وتبليغها، لا يشاقق ولا يحابي وأنه بريء من المخادعين الذين يروجون للفتن وتمزيق صفوف المؤمنين من الرافضين لخلافة الصديق وإمامته للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وللأمة جمعاء، يؤكد ذلك قوله: وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا. وهذا ما تم للصديق رضي الله عنه وبهذا يثبت أن كل من يخرج عن إجماع المهاجرين والأنصار لا حظ له في الإسلام فلا يسمع لقوله ولا يركن لجانبه ولا يؤتمن على أمور الأمة، فعلي رضي الله عنه يؤكد بأن الله راضٍ عمّن أجمع عليه المهاجرون والأنصار؛ ومجوس هذه الأمة يقولون إن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة المنسوب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ٣/ ٧.

المهاجرين والأنصار ارتدوا لأنهم بايعوا الصديق رضي الله عنه على الخلافة التي أطفأت نارهم وقومت اعوجاجهم.

- ومما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قُبض رسول الله ﷺ: نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر[1]. وما قاله علي رضي الله عنه في كل ما سبق وغيره كان اعتقادًا والتزامًا منه لخليفة رسول الله ﷺ مدة حياته أوضح فيه براءته ممن لا يرضى بخلافة الصديق، وأكده بترتب عقوبة القتل على الخارج الطاعن في بيعة من أجمع الصحابة على بيعته فقال: فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين. يعني المهاجرين والأنصار وتابعيهم من أهل السنة والجماعة.

وفي هذا النص تتأكد جملة حقائق عظيمة توضح مقام الصديق رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ أظهرها علي رضي الله عنه في هذا النص وأمثاله. لعل من أهمها:

١- إفتاء علي رضي الله عنه بوجوب مقاتلة منكري خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقتلهم وتشريدهم، لردتهم وخروجهم عن سبيل المؤمنين، ولأنه لا توجد لهم أي شبهة يتأولون بها موقفهم الرافض لخلافة النبوة المباركة، ولما علم الرافضة ذلك من علي رضي الله عنه تسلحوا بالتقية فأظهروا حب علي رضي الله عنه زورًا وكذبًا للتترس به ومهاجمة المسلمين والعمل على هدم السنة النبوية من داخل البيت الإسلامي.

٢- أن بيعة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم تمت بإجماع المهاجرين والأنصار، وأن من يخرج عنها إنما يخرج عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين إلى دائرة الردة والرفض والجاهلية.

---

(١) البلاذري: الشيخان، ٤٠.

٣- أن إجماع المهاجرين والأنصار لا ينقضه شيء أبدًا، وأن كل ما تردده الرافضة في هذه المسألة إنما هو امتداد لفكر الردة التي قادها المتنبئ مسيلمة الكذاب وتلميذه الروحي إمام الرفض عبد الله بن سبأ، ومن يصدقهم إنما هو منهم، ومن أحب قومًا حشر معهم إذا عمل بأعمالهم وأعداء الصحابة يزعمون أنهم مسلمون ويبغضون أئمة المسلمين ويفعلون فعل المتنبئين الكذابين ويوالون اليهود والصليبيين والعلمانيين الملحدين، وهم يزعمون أنهم مسلمون، بل ويقودون الثورات باسم الإسلام من أجل التلبيس على الناس!! ولا حجة لمن يقول بأن عامة زعماء العرب يفعلون فعل الرافضة في الولاء والبراء؛ لأن هؤلاء الزعماء لم يتبنوا في يوم من الأيام الفكر الإسلامي ولم يقولوا نحن زعماء أهل السنة والجماعة، ولم يقولوا نحن نحكم بالإسلام، وإنما هم علمانيون ويحتكمون إلى تلك الأنظمة والقوانين الوضعية وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى ومن ثم أمام الأمة.

٤- أن من شذ عن الإجماع ممن شهد أو غاب لا يعتد برأيه إن خالف؛ لأن خلافه غير معتبر.

٥- أن الطاعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه متبع غير سبيل المؤمنين وخارج عن جماعة المسلمين.

٦- أن الرافض لإجماع المهاجرين والأنصار متهم في دينه لا يؤتمن ولا تصدق له دعوة ولا تصح له حجة، بل هو الشر القريب المتلبس بالتقية والنفاق المتحفز لهتك السنة وأهلها.

٧- أن من أصر على الرفض بعد البيان يقاتل لأنه رافض للأمر وخارج على الجماعة وعقيدة الأمة.

٨- أن إرجاع هؤلاء الخارجين المارقين إلى الحق واجب على الأمة وبكل الوسائل والسبل.

٩ - أن الخلافة تتم بالشورى وإن وجدت نصوص وإشارات وإرشادات وتوجيهات تؤكد خلافة الصديق رضي الله عنه، وتدل عليها وتختارها فإنما ذلك تقرير لما سيتوصل إليه الصحابة، وهي إحدى خصائص الصديق رضي الله عنه التي لا توجد لغيره.

١٠- أن الشورى للمهاجرين والأنصار وهم أهل الحل والعقد، وإذا ما غابوا فالشورى لمن يأتمّ بهم ويسير على آثارهم، والردة والنفاق لمن خالفهم ورفض منهجهم.

١١- أن إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حجة شرعية لا ترد ولا تنقض، وكل من دعا إلى التمرد عليها فإنما هو داعية إلى الردة والفتنة والعدوان على السنة.

١٢- عدم وجود نص جلي أو خفي أو إشارة إلى خلافة علي رضي الله عنه وكل ما قيل في ذلك إنما هو من تلفيق أعداء الصحابة وصنع الرافضة دعاة الفتنة وقتلة علي والخلفاء رضي الله عنهم[1].

١٣- أن مصطلح «إمام أو إمامة» على النحو الذي يردده أعداء الصحابة أمر مبتدع مصنوع يهدف إلى صرف المسلمين عن تاريخ خلافة النبوة الراشدة، وهذا ما لم يستعمله الخليفة علي رضي الله عنه ولم يعرفه، إذ الإمام عنده يعين بالاختيار البشري وليس بالوصية أو النص، يؤكد ذلك قوله عن المهاجرين والأنصار: فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا. وهذا مخالف لكل

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٢٥.

ما يحتج به الرافضون للسنة ممن يرفع مظلة حب علي رضي الله عنه بهدف الطعن في إخوانه الخلفاء الراشدين وقادة الأمة من الصحابة الأكرمين.

١٤- أن رفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جريمة كبرى في حق الأمة وخروج واضح عن عقيدتها وعمل متعمد لتدمير وحدتها وتزييف ماضيها والطعن في مستقبلها.

١٥- أن هذا الرفض رفض لخلافة علي رضي الله عنه أيضًا لأن الذين اختاروا الخلفاء الثلاثة هم الذين اختاروا الخليفة الرابع رضي الله عنه فضلًا عن مخالفته لحكمه ومنهجه وسيرته[1].

---

(١) يحتج البعض بأن هذا مخالف لما ورد في كتاب (نهج البلاغة) من قدح أو ذم للخلفاء الراشدين الثلاثة مثل الخطبة المسماة بـ (الشقشقية)، ويتخذ من ذلك وسيلة ليغض الطرف عن هذا النص وأمثاله في مدحهم وتوثيقهم! والرد على ذلك بما يلي:
أولًا: إن كتاب (نهج البلاغة) فيه الكثير الكثير من الزيف والوهم والبهتان والتضليل، وذلك أن جميع نصوصه بلا استثناء كان بين جمعها ووفاة علي رضي الله عنه أكثر من ثلاثة قرون ونصف! فإن من يسمى بالشريف الرضي ذكر في المقدمة أنه انتهى من جمعها سنة (٤٠٠هـ) وعلي رضي الله عنه توفي سنة (٤٠هـ)! وذكر أيضًا أن ما وجده من ذلك على ألسنة الناس إنما أخذ عامته من أهل الأهواء، وهذا يعني أن أحاديث الكتاب بعامتها بين الضعيف المتهالك والموضوع المفترى على أمير المؤمنين رضي الله عنه. والذي يلزم الباحث في هذا الفن أن ينقب عن سند لكل نص ثم يقوم بتحقيقه طبقًا لقواعد علم الحديث والرواية، وهذا ما لم يفعله كل الذين حاولوا توثيق الكتاب. فتوثيقهم ليس علميًا. ويبقى الأصل في الكتاب الضعف والوضع والدس والبهتان على الصحابة والسنة خاصة، وعلى العرب والمسلمين عامة. وهناك روايات خلطت بين الحق والباطل وروايات أخرى تروى بلا أسانيد موثقة ولكن يمكن الاستشهاد بها لما فيها من حقائق تناقض كل ما يزعمونه ضد أهل السنة والجماعة فتستخدم على مبدأ (من فمك أدينك)، وأن أمير المؤمنين إذا كان يمدح الصحابة وأهل السنة في نصوص هذا الكتاب فإن كل ما يخالف ذلك هو من وضعهم وبهتانهم الذي يدينون به ويغذونه بأحقادهم وبهتانهم.
ثانيًا: إن الخطبة الشقشقية وما في موضوعها مما في الكتاب يتناقض مع هذا النص وأمثاله وهو كثير. والجمع بين النقيضين لا يمكن عند العقلاء مما يعني أن كل بهتان ضد الصحابة إنما هو من=

لقد انعقد الإجماع التام على بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا دليل آخر على أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وأولى الصحابة رضي الله عنهم بخلافة رسول الله ﷺ ولو رأوا أن في الأمة من هو أولى منه لقدموه، فلما أجمعوا على بيعته - وإجماعهم حجة - دل ذلك على أنه الأفضل والأولى بالإمامة والخلافة، ولا سيما أن رسول الله ﷺ هو الذي قدمه للإمامة بالمسلمين في مرضه الأخير قبل وفاته وهذه تزكية ما بعدها تزكية لأنها صادرة من رسول الله ﷺ، ولهذا قال علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ولقد أمره الرسول ﷺ بالصلاة وهو حي[1]. والحقيقة التي لا غبار عليها ولا ينكرها إلا جاحد للحق وداعٍ إلى الفتنة وتمزيق الأمة أن مزايا وقدرات خليفة رسول الله متفردة قادت الأمة إلى دروب النجاح والتقدم والوحدة وترسيخ العقيدة ومبادئها التي جاء بها رسول الله ﷺ دون تبديل أو تحويل وبالتالي فإن فضائله التي اختص بها دون باقي الصحابة وهي خصائص لا مناقب يشاركه فيها الآخرون. فهو لذلك أفضل

= صنع الرافضة.

ثالثًا: إن طرح هذه الشقشقيات والجزم بوضعها وصناعتها ليس عاطفيًا دعائيًا وإنما يعتمد على قاعدة راسخة ألا وهي: إن كل ما خالف القرآن باطل. وهو ما جاء منصوصًا عليه في مصادرهم منقولًا عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه. وحاشا عليًا رضي الله عنه أن يخالف كتاب الله هذه المخالفة ويطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] وقد بايع علي الخلفاء الراشدين ونصح وتابع ولم يكن مداهنًا ولا منافقًا! فكل من يزعم أنه يحب عليًا رضي الله عنه يجب عليه الاقتداء به في طاعة الخلفاء الراشدين ومحبتهم وإلا بطلت دعوته وتأكدت باطنيته وظهر دينه ومعتقده الباطل.

رابعًا: إن الاستشهاد ببعض ما في كتب الرافضة مما يوافق القرآن ولا يخالفه ليس فيه ضير على الدين لما في ذلك من إسقاط لحجج الرافضة وبيان لتناقض كتبهم في مثل هذا النص الذي يتولى فيه علي رضي الله عنه إخوانه من المهاجرين والأنصار في الوقت الذي يتبرأ فيه أدعياء حبه منهم رضي الله عنهم، مما يؤكد زيف دعاواهم وركاكة مناهجهم وسوء نواياهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٣٢.

الصحابة رضي الله عنهم شاركهم في فضائلهم وتفرد عنهم بما اختص به دونهم من ميزات جعلت منه الميزان والشاهد على سالكي سبيل الحق والسداد والسنة، أو طريق الرفض والضلال والردة، وهذان طريقان لا يلتقيان أبدًا.

وفيما سبق من عرض للأدلة التي تثبت خلافة النبوة والإمامة لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من المؤمنين، وتبين صحة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم يتضح أن النيل من أبي بكر رضي الله عنه نيل من رسول الله ﷺ، ومن ينال من النبي ﷺ فإن الأدلة تشير إلى وجوب قتله، وأن قتله حد لا بد من استيفائه فإن النبي ﷺ لم يؤمّن مقيس بن صبابة وابن خطل والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ﷺ في مكة، مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الأعمى لما قتلها سيدها الأنصاري لأجل سبها النبي ﷺ وقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقال: «**من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله**»[1]. وكان يسبه، وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين على قتل من يطعن في رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، وهذا الأمر ينال من يوالي كل من يؤذي الله ورسوله؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان.

مر عمر رضي الله عنه براهب فقيل له: هذا يسب رسول الله، فقال: لو سمعته لقتلته إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ﷺ، ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأي نسبة لمفسدة منعه دينارًا في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد، بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب، فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ﷺ ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١) البخاري: صحيح البخاري: ك. المغازي، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٣٨١١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الجهاد والسير، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٤٦٤٠).

وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلًا[1].

فالشر كل الشر يأتي من هذا الصنف الفارغ العقل الناقص الفهم الفاقد الولاء لله ولرسوله ﷺ المشبع بالأهواء الغارق في الغفلة، ممن يُحسب على السنة وتجده يَرْشَح بحب دجاجلة الرفض ويهذي بما يفتريه أعداء الصحابة من القذف والإفك، فإذا حاول أحد نصحه وتذكيره بالله ورسوله ﷺ تجده يجادل بالباطل ويغرف من نتن إفك الرافضة الذي تشرّبه فكره وثقافته حتى أصبح ذلك سرطانًا يجتث دينه ويمزق هويته، فيتشكك في نصوص الكتاب والسنة، ويجادل لإثبات عكس ذلك ولا يستند في كل جدله الفارغ إلا على أقوال الرافضة ورواياتهم المصنوعة وأقوال من رضع زيفهم، فتراه يُصدّق الأفاكين الموالين لمراجع الردة والبراءة من الله ورسوله ﷺ ويشك في صريح القرآن وصحيح السنة، هذا الفهم الهدام الذي جنت أمة السنة المطهرة ثماره المرة تمزقًا وتصدعًا في صفوفها التي أصيبت بأعطاب فتاوى الغوغاء التي تمهد للرفض وتعين على انسياحه بين المسلمين، وعلى تدمير العقيدة وقطع الحبال مع أئمتها أصحاب رسول الله ﷺ من خلال الدعوة إلى محبة مكفريهم ومستبيحي دمائهم التي يخوض في وحلها مطموسو البصائر الذين يدعون إلى مبايعة رايات الشرك والزندقة التي رفعتها السبئية في بلاد العرب والمسلمين من جديد، فهل بعد هذا الشر شر على الأمة ووحدتها وعقيدتها ومصيرها ومستقبلها؟! قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] فلا شك أن من ينال من أصحاب محمد ﷺ ويقذف زوجته وأحب الناس إليه بالبهتان والباطل ويُكذب سنته ﷺ، لا شك أنه من أشد الناس أذًى لرسول الله ﷺ، كما أن الدجاجلة الجدد الذين يدعون إلى محبة أعداء السنة النبوية من أشد الناس أذًى لرسول الله ﷺ فلا خلاص إلا بردعهم عن غيهم والحذر من غفلتهم، وتغذية الأمة بثقافة الكتاب والسنة التي تثمر المناعة ضد كل ماكر وغشاش وأثيم لا يبالي في أي وادٍ

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج ٣/ ٤٤٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.

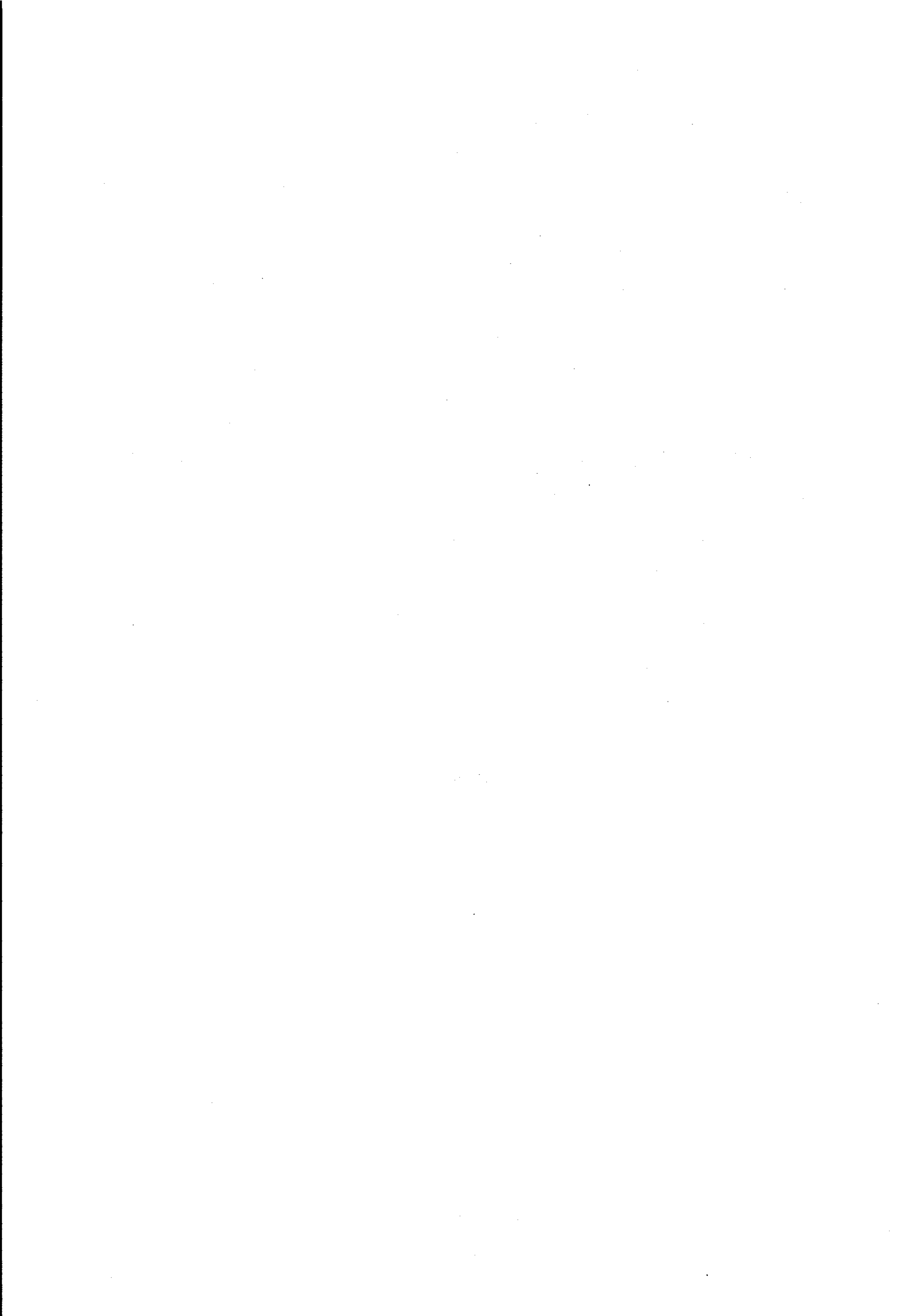
يسير أو تحت أي راية يستظل. قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

فإذا لم يكف المفرطون عن عرض السنة في أسواق الفتاوى ومواطن الشبهات وتزيين صورة أعداء الصحابة في نفوس المؤمنين، ويبادروا بالتوبة وبالإعلان الصريح عن التمسك بالسنة النبوية المطهرة كما فهمها حملتها وحماتها أصحاب رسول الله ﷺ لا كما يفسرها الباعة المفلسون الذين يساوون بين أئمة السنة النبوية وبين أئمة الردة السبئية؛ فإن الأمر سيكون في منتهى الخطورة على وحدة الأمة وهويتها، ومنذرًا بأشد الأخطار على سلامة السنة النبوية وأهلها الأبرار وزعزعة مصادرها وتشجيع مخالفيها ومناهضي العقيدة المنبعثة من نصوصها القطعية الثبوت إلى عقائد الأهواء والرفض والضلال. ولا علاج لكل ذلك إلا بتغذية الغيرة على السنة النبوية وحب حملتها أصحاب رسول الله ﷺ في قلب وعقل كل مؤمن ومؤمنة، وبالبراءة من كل من يناصب السنة وحماتها الصحابة رضي الله عنهم في أي لون من ألوان الانتقاص أو الشك أو العداء. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2].

***

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.



المبحث الرابع

خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار

أولًا: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانيًا: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

لا وصية ولا نص على خلافة النبوة:

مع أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنصوص والإجماع والإقرار بذلك عند أهل السنة، إلا أن هناك خلافًا بين بعض العلماء حول هذه النصوص هل هي مكتوبة جلية، أم أنها إشارات خفية تستنبط من النصوص التي أشارت إلى ذلك؟ قال بعض العلماء: إن رسول الله ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه في مسألة الخلافة، وإنما ترك الأمة إلى قناعاتها وإلى ما يحصل بين أبنائها من اتفاق في هذا الباب الذي لا يجدي فيه سوى الوفاق والحوار والتفاهم، وهو ما حصل يوم السقيفة حيث تم الاتفاق على خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إمامًا وقائدًا للأمة.

أدلة من قال إن النبي ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني: أبا بكر رضي الله عنه - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[(1)].

---

(١) البخاري: ك. الاحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢). ابن حبان: صحيح ابن حبان، =

وقال علي رضي الله عنه يوم الجمل: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئًا، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر رضي الله عنه، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم إن أقوامًا طلبوا هذه الدنيا فكانت أمور يقضي الله عز وجل فيها[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عليًّا خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا. قال: فأخذ بيده العباس فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفاه الله من وجعه هذا، إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا. قال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده أبدًا، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[2].

وعن إبراهيم بن الأسود قال: قيل للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي. فقالت: بم أوصى إلى علي؟ وقد رأيته دعا بطست ليبول فيها، وأنا مسندته إلى صدري فانخنس - أو قال: فانخنث - فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء: إنه أوصى إلى علي[3]؟

وقال علي رضي الله عنه: من زعم أن عندنا كتابًا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة معلقة في سيفه، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب، وفيها: «**المدينة**

= ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب مقتل عمر، (٤٥٢١).

(١) البيهقي: الدلائل، ٣/ ١٤٥٤.

(٢) البخاري: كتاب: المغازي، ح (٤٤٤٧).

(٣) البيهقي: الدلائل. ٧/ ٢٢٤، البخاري: ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ح (٤١٩٠)، النسائي: السنن، ك. الطهارة، باب البول في الطست، ح (٣٣).

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

وقال علي رضي الله عنه: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس إلا شيئًا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي... فيها: **«من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»**، وإذا فيها: **«أن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين حرّتيها وحماها، ولا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها** - يعني منشدًا - **ولا يقطع شجرها، إلا أن يعلف رجل بعيرًا، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»**[٢].

وقال علي رضي الله عنه: قَدَّمَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإني لشاهد غير غائب، وإني لصحيح غير مريض، ولو شاءَ أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رَضِيه الله ورسولُه لديننا[٣].

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم[٤]. وسبق القول أن الله تعالى قد جمع الأمة بعد استشهاد علي رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه لم يشذ عن

---

(١) البخاري: ك: الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه (٦٣٧٤)، ابن حنبل: المسند، مسند علي (٦١٥)، الصالحي: سبل الهدى. ١٢/ ٣١٠.

(٢) الحاكم: المستدرك، ح (٢٦٢٣)، ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٩٥٩) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ١٣٠.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ٤٨٠.

(٤) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

بيعته أحد من أبناء الأمة؛ وهذا ما أوغر عليه صدور أعداء الصحابة وأبان أحقادهم على المؤمنين.

وجاء أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلًا ورجالًا. فقال علي رضي الله عنه: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره شيئًا إنا وجدنا أبا بكر رضي الله عنه لها أهلًا[١].

وقال شقيق بن سَلَمة: قيل لعلي رضي الله عنه: ألا توصي قال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إنْ يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه[٢].

فهذه النصوص التي رويت عامتها عن علي رضي الله عنه تشير إلى أن النصوص التي تؤكد إمامة الصديق رضي الله عنه إنما هي إشارات جاءت في مواقف الثناء عليه أو في النصوص التي أشارت إلى خلافة النبوة ولم تبلغ درجة التصريح العلني المطلق أو المكتوب، كما أنها تثبت بأجمعها نفي علي رضي الله عنه لأي وصية أو إشارة إلى وصية له في أمر الخلافة بما يلجم ألسنة الأفاكين أئمة الفتن والردة الذين يعملون على هدم ميراث النبوة الطاهر الذي حمله الصحابة رضي الله عنهم وحموه بدمائهم وأموالهم وقادوه بعلمهم وفهمهم وإخلاصهم، حتى رسخ الإسلام في الأرض، وظاهر في هذه النصوص بيعة علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، وأنه كان من أشد الناس حماسًا لتلك البيعة ودفاعًا عنها، إذ إن جميع مسوغات تلك الخلافة قائمة وصحيحة عنده، ولا يجوز لأحد من الخلق الحديث عن بيعة أَوْلَى من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وأن كل من يرفض تلك الخلافة إنما هو حرب

(١) المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ٤٤٦٢. الصنعاني: المصنف، ك، المغازي. باب: استخلاف أبي بكر وعمر (٩٧٦٧).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٨٩، ٢٩٠.

على الله ورسوله ﷺ نصير للرفض والردة، لا يجوز مهادنته ولا معاونته، ولا يمكن الثقة به أو الغفلة عمّا يقوم به من سياسات وتدابير؛ إذ إن جميع نشاطات وسياسات رافضي إمامة خليفة رسول الله إنما هي ضد السنة النبوية، وتعمل على هدم الإسلام، ونزع ثقة الناس بأهله وقادته وحماته رضي الله عنهم.

لم يوص رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه:

يتبين مما سبق من النصوص التي عامتها عن علي رضي الله عنه أن عليًّا لم يزعم في يوم من الأيام أنه وصي لمحمد ﷺ، ولم يرد في نص معتبر أنه كذلك، وإنما أول من أطلق هذه الفرية هو إمام الرافضة السبئية عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم؛ حيث قال: لكل نبي وصي وعلي وصي محمد ﷺ[1]. فتلقف ذلك أعداء الصحابة ليشتروا به الغوغاء والمنتفعين ممن يبيع دينه بثمن بخس، كما هو حاصل في هذه الأيام في كثير من بلاد أهل السنة والجماعة، دون أن يثير ذلك الحمية على سنة رسول الله ﷺ عند عامة أصحاب الأموال الذين يزعمون الانتساب إلى سنة محمد ﷺ، ففي الوقت الذي أصبح المؤمنون يشاهدون كيف يبذل أعداء الصحابة أموالهم لهدم السنة النبوية وحرف أهلها ويستثمرون ذلك في شراء ضعاف النفوس والجهلة والجشعين ومن لا دين لهم، لخدمة عقيدة الرفض والردة ولزرعهم كجراثيم سامة في جسد أهل السنة ينشرون الشك والحقد ويبثون الفتن والإفك في مجتمعاتهم ليشقوا الصفوف ويصدعوا الوحدة ويتربعوا على كراسي العمالة لأعداء الصحابة على حساب الدين والأمة، ولكي يسلبوا أرصدة وأرواح ومقدسات من بخل بالقليل الذي كان من الممكن أن يحمي السنة وأهلها ويدفع عنهم الشر والمكر والدسائس.

ولما قيل للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ أوصى إلى علي قالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست،

(١) الإسفراييني: التبصير في الدين، ١/ ١٢٤، ابن حجر: لسان الميزان، ٥/ ١٣٩، مناهل العرفان، ٢/ ٢١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٦٤٧.

فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟[١] أي أن النبي ﷺ مات بين يديها رضي الله عنها، وهي التي سمعت آخر ما قاله ﷺ ولم يقل شيئًا مما يفتريه عليه مبغضوه ﷺ، فمن هذا الذي يجترئ على الكذب على رسول الله ﷺ سوى المنافقين والزنادقة؟

وعن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا. قلت: لم كتب على الناس الوصية، أوْ فلم أُمِرُوا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل[٢].

وخطب علي رضي الله عنه يومًا فقال: من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب[٣]. وفيها قال رسول الله ﷺ: «**المدينة حرم ما بين جبل عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»[٤].

فهذا الحديث الثابت في **الصحيحين** وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد

---

(١) صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي (٤١٩٠)، صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب مرض النبي ﷺ، ح (٦٦٠٣).

(٢) صحيح مسلم، ك. الوصية، باب ترك الوصية، (٤٢٠٣) البيهقي: السنن، ك. الوصايا، باب من قال بنسخ الوصية، (١٢٨١٦).

(٣) ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح(٦١٦)، أبو يعلى: المسند، ك. وباب مسند علي رضي الله عنه (٢٦٣).

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ك. العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، ح (٣٧٧٣).

ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه؛ فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلّا ولم؟[1] وهذا ما يسقط كل أعذار الذين يحسنون الظن في الرافضة.

عن صَعْصَعة بن صُوحان. قال: دخلنا على علي رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ؛ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، استخلف علينا. فقال: «**لا، إن يعلم الله عز وجل فيكم خيرًا يولّ عليكم خِيَارَكُم**»، قال علي رضي الله عنه: فعلم الله فينا خيرًا، فولّى علينا أبا بكر[2]. علي يقول: أبو بكر خيرنا، والرافضة يقولون: هو شرنا، ويزعمون أنهم من أتباع علي رضي الله عنه، حاشاه أن يكون أتباعه الزنادقة ومبغضي قومه العرب ورافضي دينه الكتاب والسنة.

عن عبد الرَّحْمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: أقبل رجلٌ يتخلص الناس، حتى وقف على علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما بالُ المهاجرين والأنصار قدّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبةً، وأقدم منه سِلمًا، وأسبق سابقة؟ قال: إنْ كنتَ قُرشيًّا فأحسبك من عائذة؟ قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولأخلص إليك روعك حصدًا، ويحك إنّ أبا بكر رضي الله عنه سبقني إلى أربع، لم أُبَزَّهُنَّ ولم أعتض منهن؛ سبقني إلى الإيمان وتقديم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، وإنّي يومئذ في الشعب الأقصى تستحقرني قريش، أظهر الدين وأخفيه، ولو أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على مشورة الجيش بِشراك الرأي لصار الناس ككرعة أصحاب طالوت، ويحك إنّ الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3].

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

ولما فرغ علي رضي الله عنه من يوم الجَمَل قال: إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئًا، ولكنه رأي رأيناه، فإن يكُ صوابًا فمن الله، وإن يكُ خطأ فمن قِبَلنا، وَلِيَ أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام، ثم وَلِيَ عمر فأقام واستقام، حتى ضرب الإسلام بجرانه، ثم إن أقوامًا طلبوا الدنيا فيعفو الله عمن يشاء، ويعذب من يشاء[1]. فيتبين مما سبق أن عليًّا رضي الله عنه لا يدع مناسبة إلا ويذكِّر بفضل أبي بكر رضي الله عنه، والرافضة السبئية لا يدعون موقفًا إلا ويؤكدون فيه مخالفتهم لعلي، وطعنهم فيمن يزكيه، والعجيب أنه ما زال في المسلمين من يعتقد أن فيهم ولاء للدين، أو محبة لعلي رضي الله عنه العربي الهاشمي السائر على هدي سنة النبي ﷺ.

وقيل لعلي رضي الله عنه: استخلف علينا. فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا جمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم[2]. وقد اجتمعت الأمة بعد قول علي هذا على أمير المؤمنين معاوية.

فمن ظن بالصحابة تقديم غير من قدم رسول الله ﷺ، فقد نسبهم إلى الفجور، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام[3].

ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلماذا لم يحتج به على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص كما يزعمون فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله، كما يروجون فهو خائن، والخائن

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩١ وقوله: «لم أبزهن» أي: لم أسلبهن، يقال: بزه أي: سلبه. مختار الصحاح مادة (بزز).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٤٠).

(٣) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٩.

الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وإذا كان كذلك فكيف عرفه وعلمه من بعده! وهذا محال وافتراء وجهل وضلال، ومكر متواصل لصناعة أسباب الفتن وتغذية الحقد على السنة النبوية.

وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان. عياذًا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملاذًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاة على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمان[١].

وما نسبه جهلة القصاص إلى رسول الله ﷺ من الوصية إلى علي رضي الله عنه - ينقضه الحديث الثابت السابق عن علي رضي الله عنه، وفيه ردّ على متقولة كثير من الطرقية والقصاص الجهلة في دعواهم التي استقوها بغفلتهم من أعداء الصحابة، أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة: يا علي افعل كذا، يا علي لا تفعل كذا، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا، بألفاظ ركيكة ومعانٍ أكثرها سخيفة، وكثير منها صحفية لا تسوى تسويد الصحيفة. والله أعلم[٢].

وكذلك رده ﷺ على من قال: يا رسول الله، لو أمرتَ غير أبي بكر أن يصلّي بالناس. فقال ﷺ: «**لا ينبغي لأمتي أن يؤمّهم إمامٌ وفيهم أبو بكر**»[٣].

وقوله ﷺ: «**ائتوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان**». ثم قال: «**دعوه، مَعَاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر**» مرتين[٤]. وهذا ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ، فلم يخالف الصديق أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠٠.
(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠١.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦١.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٧.

وقول رسول الله ﷺ لأم المؤمنين الطاهرة في مرضه الذي توفي فيه ﷺ: «**ادعي لي عبد الرَّحْمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحدٌ بعدِي**»، ثم قال: «**دعيه، مَعَاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**»[1].

وقال الحسن بن الحسن أخي عبد الله: إنه قال لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا بالله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل: إنكم ذوو قرابة من رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته - لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه!! والله إني أخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا؛ إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغبونا فيه، ونحن كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ اختارا عليًّا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده؛ فإن عليًّا أعظم الناس خطيئة وجرمًا؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس. فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ لعلي: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**». فقال: أما والله لو يعني رسول الله ﷺ بذلك الأمر والسلطان والقيام على الناس لأفصح به؛ كما أفصح بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولقال: أيها الناس إن هذا هو الولي بعدي فاسمعوا وأطيعوا[2].

وهكذا يظهر زيف الرافضة وفساد معتقدهم وسوء نواياهم وأنه لا هم لهم في آل البيت ولا الدين ولا النبوة، وإنما همهم إفساد سنة محمد ﷺ، ومحوها من الوجود، وإيجاد دين بديل يسود فيه أعداء الصحابة بتشريعاتهم المناقضة لكتاب الله، وما جاء به رسوله ﷺ.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٦٨.

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/ ٣٨. خرج جميع الأذكار من أهل البيت الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السمان الرازي في كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام: والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، وأرشدهم إليه بأمور متعددة؛ من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التبيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. ولما قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه[1].

فهذه الأحاديث وما يوافقها مما جاء في الصحاح فيما سبق توضيحه وبيانه، فيها أيضًا إلجام لباعة السنة النبوية في أسواق المنافع والتلميع وتيه الخطاب وضياع الولاء، ممن يزعمون أنه لا فرق بين أهل السنة النبوية وبين قتلة الشهداء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أولئك الذين يدينون باستباحة دماء وأعراض وأموال أهل السنة ودمار عقيدتهم، وما يترتب على ذلك من تضليل لأهل السنة وبهتان على أئمتهم وتزيين لغدر الرافضة بالأمة، وما في ذلك أيضًا من المخاطر التي تفرز الفرقة والتناحر وموت الولاء وتمزيق هوية أهل السنة النبوية واستباحتهم في كل شؤونهم، يغذي ذلك مكر أعداء الصحابة وبهتانهم وقلبهم للحقائق وتظاهرهم الدائم بالمظلومية الكاذبة، وهم أئمة الظلم والفجور والضلالة، وكيف لا يكون من يستحل دماء الراشدين كذلك؟ بل هو أخطر على الأمة وأنكى، ومن لم يعتبر بالمصائب التي حاقت بأهل السنة ويحذر غدر أعداء الصحابة ومن يدعو إلى مودتهم، فلن يعتبر - ولو رأى الجبال ينطح بعضها بعضًا - لأنه ميت القلب، معدوم الولاء، فاسد العقيدة.

(١) ابن كثير: السيرة، ١٠٠.

وقد ظهرت مخاطر رفض السنّة وتكفير الصحابة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى وشواهد ذلك كثيرة على أكثر من ساحة؛ منها انسياح عقيدة الرفض بين المحسوبين على أهل السنّة في أكثر من قطر من أقطار الإسلام وإنشاؤهم الأحزاب والجمعيات والميليشيات الطائفية القائمة على حرب السنة النبوية ومسالمة أعدائها من الغزاة والمحتلين، وكذلك المجلات والجرائد والفضائيات الطائفية وتدريب المراسلين وإعداد المذيعات والمذيعين وبث الألفاظ والرموز والأزياء والمصطلحات الطائفية، وبذل الأموال والأوقات والمغريات لنصرة كل ذلك، ورعاية أبنائهم على تلك الأسس الطائفية المقيتة، وتغذيتهم بكل موروث الحقد والغدر بالأمة، وإرضاعهم كراهية وبغض العرب السنّة من دون البشر، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذه الساعة، والتأكيد على ذلك في كل مناسبة وغير مناسبة.

والعمل المستمر على إنشاء المعابد المضادة للمساجد تحت مسميات مختلفة لكنها جميعًا تتفق على مواجهة التوحيد ومحاربة ما جاء به النبي ﷺ من عقيدة لا إله إلا الله والاستعاضة عن ذلك بربط عقائد أتباعهم بالقبور والمزارات والعمل الدائم على إنشائها في كل مدينة وقرية؛ لتكون نقطة ارتكاز واجتماع وانطلاق نحو الهدف الكبير لدين أعداء الصحابة المتمثل في سحق السنة وأهلها بأي وسيلة كانت، حتى أصبح الناس يشاهدون كيف تتساقط أعداد هائلة من الغوغاء التي تحسب على السنة النبوية، ممن عرضوا دينهم للبيع في أسواق الكساد والمهانة، وانعدام الكرامة أمام دريهمات معدودة، أو بعض الشهوات القذرة، وإن هذا وغيره من العورات المكشوفة، والسوءات المفضوحة لم يعد خافيًا على أحد من العقلاء والمراقبين، ومما زاد الطين بلة - كما يقال - الجهل الفاضح لكثير من علماء السنة بحقيقة الرفض وأخطاره.

يقابل كل ما سبق ضعف الأداء الفكري والثقافي المبني على عقيدة السنة التي سار عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تجد ما يقابل أدوات الرفض ومصطلحاته ومغرياته وطائفيته، أو ما يواجهها، ويسد منافذها، ويكشف بوائقها، ويظهر عوارها للمغفلين والمغرر بهم والمضبوعين.

والأمرّ والأدهى أن أعداء الصحابة يصرخون بكل أبواقهم وأفعالهم أنهم طائفيون ويؤكدون في كل فرصة أنهم الشر المستطير على السنة وأهلها وعقيدتهم وثوابتهم، وكثير ممن يسمون بعلماء السنة إلا من رحم الله يجترون الزيف والتضليل، وينشرون الخداع والوهن والعجز، فلا يقولون خيرًا ولا يصمتون، حتى أصبحت معاولهم الهدامة تمهد كل السبل لتمدد عقيدة محو السنة، فمن قائل الخلاف مع أعداء السنة سياسي، ومن قائل هم إخواننا يجب مناصرتهم على هدم السنة بدمار المساجد وحرق المصاحف وقتل القراء والحفاظ وتشييد المعابد على القبور وصرف الناس إليها بدلًا من الكعبة المشرفة، إلى غير ذلك من بلايا ورزايا؛ أسهم كثير من علماء السنة وأتباعهم بالتمكين لها بين أهل السنة المنكوبين بإقصاء عقيدتهم، وغياب واليهم، والجهل بمرجعيتهم.

ومما أسهم في التمكين لأعداء السنة أيضًا بخل الكثير من أصحاب الأموال ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، وإحجامهم عن النصرة والمواساة، وتكديسهم الذهب والفضة، وتقديم نفعهما لأصحاب المعاول الهدامة وتسخيرها في كل اتجاه إلا اتجاهًا ينفع السنة النبوية وينصر أهلها، مما أسهم في نشر الردة والرفض تحت بريق دنانير أعداء الصحابة وبذلهم من أجل نشر عقيدتهم المحاربة لله ولرسوله ﷺ.

وفي الوقت الذي يرعى فيه أغنياء وسلاطين الرافضة أبناء عقيدتهم ويغذونهم بكل ما يعينهم على خدمتها والتمكين لها، فإن كثيرًا من أغنياء السنة وسلاطينهم، ولا سيما العرب منهم، يخنقون أبناء عقيدتهم، ويئدونهم، ويبيعونهم، ويعملون كل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين من ينصر السنة ويحمي أبناءها ويحفظ أمتها، فأي نتيجة ترتجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، ولا سيما أن الأقليات داخل الأمة في هذا العصر، تتكاتف، وتنظم جهودها على أسس من عقائدها، حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها ضد الأمة وهويتها بالتآمر أو الجاسوسية أو التحالف مع الغزاة أو غير ذلك إلا ما شاء الله منهم، وهم قليل في هذا العصر، وأهل السنة ما زال الكثير منهم في صراعات حزبية وتناحرات إقليمية لا يشفق بعضهم على بعض ولا ينصر

بعضهم بعضًا إلا من رحم الله، وهذه حالة مزرية منذرة بشرور مستطيرة لم تمر بها الأمة في أسوإِ مراحلها؛ إذ إن الحالة في هذا العصر عامة شاملة، بينما مرت بهذه الأمة أحوال ونكبات مشابهة لكنها لم تكن بهذا الشمول، ولم تكن مزمنة، كما هو الحال في هذا العصر، فضلًا عن أنه كان يتصدى لها العلماء المخلصون، وكثير من الحكام، بعكس ما تعانيه الأمة في هذا العصر العصيب الذي غاب فيه نصح العلماء وغيرة الحكام، ولم يعد من رجاء إلا الله تعالى في أن يتدارك السنة وأهلها بلطفه ورحمته، فينهجوا نهج نبيهم ﷺ وأصحابه، وفي مقدمتهم خليفته الصدّيق رضي الله عنه ليقوّموا ما اعوج ويصلحوا ما فسد.

أدلة من قال بالنص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

إن النصوص التي تؤكد إمامة خليفة رسول الله ﷺ كثيرة وصحيحة لا ترد ولا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، وقد فهمها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، ولم يتردد أحد منهم عن العمل بها والتضحية من أجلها، وكل ما يثار حولها من شبهات فإنما هو من صنع أعداء الصحابة ومن امتطوه ممن يزعم أخوتهم ومودتهم، ويدعو إليها، وهم على ما هم عليه من بغض الصحابة وكراهية السنة وأهلها الأطهار، ومن هنا فإن علامة الزندقة ووسائل هدم الإسلام ظاهرة بأيدي من يدعو إلى إبطال ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار ومن سار على دربهم المنير في بناء السنة ونشر الإسلام في العالمين على مر القرون التي عاشتها الأمة واستدل من قال بالنص على أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن حزم: واحتج من قال: لم يستخلف - بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ[1].

---

(١) البخاري: ك. الأحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب، مقتل عمر، (٤٥٢١).

وبما روي عن الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سُئلت؛ من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟

قال: ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذين ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه، بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، مما لا تقوم به حجة ظاهرة؛ فقد يكون خفي عليه ذلك كما خفي عليه بعض أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ولم يكن استخلافه ﷺ لأبي بكر بعهد مكتوب.

قال: والمقصود هنا: البيان لكلام الناس في خلافته؛ هل حصل عليها نص خفي أو جلي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟ فقد تبين أن كثيرًا من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قدح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وإنه مات عن غير وصية، وكذلك هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقًّا فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه، فقد قال بعضهم ذلك[1].

ومما يشير إلى النص على أبي بكر رضي الله عنه ما جاء في قوله ﷺ في مرضه للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **«ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[2].

وقوله ﷺ: **«ائتوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان»**، ثم قال: **«دعوه، مَعَاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر»** مرتين[3]. وقوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: **«... مَعَاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»**[4].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/ ١٢٦.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦١٨١).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٨. الألباني: ظلال الجنة، ٢/ ٣٢٠. الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٤٧٠. منهاج السنة: ١/ ٤٩٢.

وقال أنس: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته فقال: «**إلى أبي بكر**» فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «**إلى عمر رضي الله عنه**» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فقال: «**إلى عثمان رضي الله عنه**» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «**إن حدث بعثمانَ حدث فتبًّا لكم الدهر تبًّا**»(١). ومعلوم أن دفع الصدقة لا يكون إلا للخليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات.

وقد أشار القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٢) إلى أن هذه الآية دليل على أحقية أبي بكر رضي الله عنه للخلافة بعد الرسول ﷺ، واختيار النبي ﷺ له من بين جميع أصحابه لمصاحبته في الهجرة فكان له شرف الخروج مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٣).

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَكُونُ من بَعْدِي اثْنا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْهُمْ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، لا يَلْبَثُ بَعْدِي إِلّا قَلِيلًا، وصاحِبُ رَحَا دَارَةِ العَرَبِ يَعِيشُ حَمِيدًا، وَيَمُوتُ شَهِيدًا**». فقال رجل: من هو؟ قال: «**عُمَرُ بنُ الخَطَّاب**». ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمانَ بن عفان فقال: «**يا عُثمانُ إنْ أَلْبَسَكَ الله قَمِيصًا فأرادك النَّاسُ على خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ فوالله لَئِنْ خَلَعْتَهُ لا تَرَى الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ**»(٤).

---

(١) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر رضي الله عنه، ح (٤٤٦٠). قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. دحلان: الفتح المبين، ١/ ٣٠، شبير: عصر الصديق، ٧٢.

(٤) مجمع الزوائد: (٨٩١٨)، ابن عساكر: تاريخ دمشق، (١٨٣).

ومما يؤكد ما سبق ويسقط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة، ويؤكد أنه لا إسلام بدون اعتقاد خلافة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن كل ما حصل فيها من أوامر ونواهٍ وحرب وسلم إنما هو من عمل خلافة النبوة الراشدة الصائبة التي دعا رسول الله ﷺ إلى طاعتها في عصرها وإلى الاقتداء بها فيما بعد عصرها، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وزنادقة الكوفة والصفويين الذين مرنوا الدس والبهتان وامتهنوا الإفك وتسعير الفتن وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأسواق النخاسة بأي ثمن.

لكل هذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تأصيل شعار واحد تجتمع عليه الكلمة وتتوحد به الأمة وهو إما خليفة رسول الله ﷺ والسنة؛ وإما الزيف والضلال والردة، وذلك أن الفِرق والطوائف المخربة الهدامة تزعم أنها تقبل بقيادة رسول الله ﷺ تلبيسًا على الناس ولكنها ترفض خلافته وترد أمره ﷺ في الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه من بعده وتدعو إلى غيره إمعانًا في رفض السنة وتضليل الأمة، في حين ترضى أن يقودها الصليبيون والملحدون واليهود والغزاة المحتلون المعتدون على بلاد المسلمين، لهذا لا بد من امتحان من يزعم أنه مسلم في اعتقاده بمن نصر الإسلام ودحر الردة وجمع القرآن وحفظ السنة، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه ويؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنه هو الأولى بالإمامة والخلافة:

أجمع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم على بيعة الصديق وإمامته المطلقة دون أي تردد أو توانٍ عن تنفيذ أوامره ونواهيه، وكما كان يحصل من الطاعة والمحبة لرسول الله ﷺ في حياته وعلى من يدعي تأخر علي بن أبي طالب المهاجري رضي الله عنه أو تخلف سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه أن يأتي بنص صحيح يثبت فيه اعتراض أي منهما على بيعة

خليفة رسول الله ﷺ أو أنه قام بأي عمل مضاد لخلافة خليفة رسول الله ﷺ أو عدم الإقرار بأنه خير الأمة بعد نبيها ﷺ، فإن انتفى هذا وهو كذلك؛ فإن إجماع المهاجرين والأنصار حجة شرعية تسقط أمامها أية دعوة أو رواية تحمل في طياتها وجهًا من وجوه التشكيك أو التردد أو التساؤل حول مسألة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، إذ إن هذه المسألة واضحة وضوح الشمس وهي من المسلمات بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فما إن طرحت مسألة الخلافة بحضور أبي بكر رضي الله عنه حتى التف المسلمون حوله دون الحاجة إلى التشاور أو التفكر والتروي؛ حيث كل ذلك مقطوع به مفروغ منه ولا حاجة له مع رجل الأمة الثاني بعد رسول الله ﷺ، ولأن التجارب أكدت كل ذلك بين يدي رسول الله ﷺ وفي حياته التي كان يرعاها الوحي ويسوسها القرآن في كل صفحاتها.

- وأوجب الله تعالى على أجيال الأمة جميعًا، اتباع المهاجرين والأنصار. فقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[1]. فهذه الشهادة الربانية لا يمكن نقضها بأقوال البشر مهما بلغوا من العلم والمنزلة في الأمة، فكيف إذا كانت من الرعاء والغوغاء وبقايا المجوس والمرتدين وبقية مخالفي الصحابة وتابعيهم الذين توعدهم الله تعالى وخوفهم لو كانوا يعقلون وحملهم مسؤولية التزييف والانحراف عن منهج وسنة النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين، فقال سبحانه وتعالى محذرًا معاندي السنة: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[2]. ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل المهاجرين والأنصار ومن سار على هديهم.

- وانطلاقًا من هذه الآية وأخواتها أجمع المؤمنون الذين زكاهم الله تعالى على بيعة سيدهم وخيرهم بعد رسول الله ﷺ؛ والإجماع عمومًا حجة شرعية، فكيف بإجماع

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

من نصَّ الله على وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وشهد على صدق إيمانهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴾[1].

– وبهذا أصبح إجماع الصحابة حجة شرعية لمن يحاجج على شرعية الخلافة، وهذا الإجماع هو الذي استدل به علي رضي الله عنه لإثبات صحة بيعته بالخلافة بعد استشهاد الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه. حينما قال: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[2].

– ومن هنا يُبطل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حجج الزاعمين بأنه وصيٌّ أو خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله كما تفتري الرافضة زورًا وبهتانًا على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويثبت للأمة أنه المخلص لهذه العقيدة وأنه لا يكون إلا في الموقع الذي يكون فيه نصرتها وتبليغها، لا يشاقق ولا يحابي وأنه بريء من المخادعين الذين يروجون للفتن وتمزيق صفوف المؤمنين من الرافضين لخلافة الصديق وإمامته للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وللأمة جمعاء، يؤكد ذلك قوله: وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا. وهذا ما تم للصديق رضي الله عنه وبهذا يثبت أن كل من يخرج عن إجماع المهاجرين والأنصار لا حظ له في الإسلام فلا يسمع لقوله ولا يركن لجانبه ولا يؤتمن على أمور الأمة، فعلي رضي الله عنه يؤكد بأن الله راضٍ عمّن أجمع عليه المهاجرون والأنصار؛ ومجوس هذه الأمة يقولون إن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة المنسوب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ٣/ ٧.

المهاجرين والأنصار ارتدوا لأنهم بايعوا الصديق رضي الله عنه على الخلافة التي أطفأت نارهم وقومت اعوجاجهم.

- ومما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قُبض رسول الله ﷺ: نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر[1]. وما قاله علي رضي الله عنه في كل ما سبق وغيره كان اعتقادًا والتزامًا منه لخليفة رسول الله ﷺ مدة حياته أوضح فيه براءته ممن لا يرضى بخلافة الصديق، وأكده بترتب عقوبة القتل على الخارج الطاعن في بيعة من أجمع الصحابة على بيعته فقال: فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين. يعني المهاجرين والأنصار وتابعيهم من أهل السنة والجماعة.

وفي هذا النص تتأكد جملة حقائق عظيمة توضح مقام الصديق رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ أظهرها علي رضي الله عنه في هذا النص وأمثاله. لعل من أهمها:

١- إفتاء علي رضي الله عنه بوجوب مقاتلة منكري خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقتلهم وتشريدهم، لردتهم وخروجهم عن سبيل المؤمنين، ولأنه لا توجد لهم أي شبهة يتأولون بها موقفهم الرافض لخلافة النبوة المباركة، ولما علم الرافضة ذلك من علي رضي الله عنه تسلحوا بالتقية فأظهروا حب علي رضي الله عنه زورًا وكذبًا للتترس به ومهاجمة المسلمين والعمل على هدم السنة النبوية من داخل البيت الإسلامي.

٢- أن بيعة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم تمت بإجماع المهاجرين والأنصار، وأن من يخرج عنها إنما يخرج عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين إلى دائرة الردة والرفض والجاهلية.

(١) البلاذري: الشيخان، ٤٠.

٣- أن إجماع المهاجرين والأنصار لا ينقضه شيء أبدًا، وأن كل ما تردده الرافضة في هذه المسألة إنما هو امتداد لفكر الردة التي قادها المتنبئ مسيلمة الكذاب وتلميذه الروحي إمام الرفض عبد الله بن سبأ، ومن يصدقهم إنما هو منهم، ومن أحب قومًا حشر معهم إذا عمل بأعمالهم وأعداء الصحابة يزعمون أنهم مسلمون ويبغضون أئمة المسلمين ويفعلون فعل المتنبئين الكذابين ويوالون اليهود والصليبيين والعلمانيين الملحدين، وهم يزعمون أنهم مسلمون، بل ويقودون الثورات باسم الإسلام من أجل التلبيس على الناس!! ولا حجة لمن يقول بأن عامة زعماء العرب يفعلون فعل الرافضة في الولاء والبراء؛ لأن هؤلاء الزعماء لم يتبنوا في يوم من الأيام الفكر الإسلامي ولم يقولوا نحن زعماء أهل السنة والجماعة، ولم يقولوا نحن نحكم بالإسلام، وإنما هم علمانيون ويحتكمون إلى تلك الأنظمة والقوانين الوضعية وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى ومن ثم أمام الأمة.

٤- أن من شذ عن الإجماع ممن شهد أو غاب لا يعتد برأيه إن خالف؛ لأن خلافه غير معتبر.

٥- أن الطاعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه متبع غير سبيل المؤمنين وخارج عن جماعة المسلمين.

٦- أن الرافض لإجماع المهاجرين والأنصار متهم في دينه لا يؤتمن ولا تصدق له دعوة ولا تصح له حجة، بل هو الشر القريب المتلبس بالتقية والنفاق المتحفز لهتك السنة وأهلها.

٧- أن من أصر على الرفض بعد البيان يقاتل لأنه رافض للأمر وخارج على الجماعة وعقيدة الأمة.

٨- أن إرجاع هؤلاء الخارجين المارقين إلى الحق واجب على الأمة وبكل الوسائل والسبل.

٩ - أن الخلافة تتم بالشورى وإن وجدت نصوص وإشارات وإرشادات وتوجيهات تؤكد خلافة الصديق رضي الله عنه، وتدل عليها وتختارها فإنما ذلك تقرير لما سيتوصل إليه الصحابة، وهي إحدى خصائص الصديق رضي الله عنه التي لا توجد لغيره.

١٠- أن الشورى للمهاجرين والأنصار وهم أهل الحل والعقد، وإذا ما غابوا فالشورى لمن يأتّم بهم ويسير على آثارهم، والردة والنفاق لمن خالفهم ورفض منهجهم.

١١- أن إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حجة شرعية لا ترد ولا تنقض، وكل من دعا إلى التمرد عليها فإنما هو داعية إلى الردة والفتنة والعدوان على السنة.

١٢- عدم وجود نص جلي أو خفي أو إشارة إلى خلافة علي رضي الله عنه وكل ما قيل في ذلك إنما هو من تلفيق أعداء الصحابة وصنع الرافضة دعاة الفتنة وقتلة علي والخلفاء رضي الله عنهم[1].

١٣- أن مصطلح «إمام أو إمامة» على النحو الذي يردده أعداء الصحابة أمر مبتدع مصنوع يهدف إلى صرف المسلمين عن تاريخ خلافة النبوة الراشدة، وهذا ما لم يستعمله الخليفة علي رضي الله عنه ولم يعرفه، إذ الإمام عنده يعين بالاختيار البشري وليس بالوصية أو النص، يؤكد ذلك قوله عن المهاجرين والأنصار: فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا. وهذا مخالف لكل

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٢٥.

ما يحتج به الرافضون للسنة ممن يرفع مظلة حب علي رضي الله عنه بهدف الطعن في إخوانه الخلفاء الراشدين وقادة الأمة من الصحابة الأكرمين.

١٤- أن رفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جريمة كبرى في حق الأمة وخروج واضح عن عقيدتها وعمل متعمد لتدمير وحدتها وتزييف ماضيها والطعن في مستقبلها.

١٥- أن هذا الرفض رفض لخلافة علي رضي الله عنه أيضًا لأن الذين اختاروا الخلفاء الثلاثة هم الذين اختاروا الخليفة الرابع رضي الله عنه فضلًا عن مخالفته لحكمه ومنهجه وسيرته[١].

(١) يحتج البعض بأن هذا مخالف لما ورد في كتاب (نهج البلاغة) من قدح أو ذم للخلفاء الراشدين الثلاثة مثل الخطبة المسماة بـ (الشقشقية)، ويتخذ من ذلك وسيلة ليغض الطرف عن هذا النص وأمثاله في مدحهم وتوثيقهم! والرد على ذلك بما يلي:
أولًا: إن كتاب (نهج البلاغة) فيه الكثير الكثير من الزيف والوهم والبهتان والتضليل، وذلك أن جميع نصوصه بلا استثناء كان بين جمعها ووفاة علي رضي الله عنه أكثر من ثلاثة قرون ونصف! فإن من يسمى بالشريف الرضي ذكر في المقدمة أنه انتهى من جمعها سنة (٤٠٠هـ) وعلي رضي الله عنه توفي سنة (٤٠هـ)! وذكر أيضًا أن ما وجده من ذلك على ألسنة الناس إنما أخذ عامته من أهل الأهواء، وهذا يعني أن أحاديث الكتاب بعامتها بين الضعيف المتهالك والموضوع المفترى على أمير المؤمنين رضي الله عنه. والذي يلزم الباحث في هذا الفن أن ينقب عن سند لكل نص ثم يقوم بتحقيقه طبقًا لقواعد علم الحديث والرواية، وهذا ما لم يفعله كل الذين حاولوا توثيق الكتاب. فتوثيقهم ليس علميًّا. ويبقى الأصل في الكتاب الضعف والوضع والدس والبهتان على الصحابة والسنة خاصة، وعلى العرب والمسلمين عامة. وهناك روايات خلطت بين الحق والباطل وروايات أخرى تروى بلا أسانيد موثقة ولكن يمكن الاستشهاد بها لما فيها من حقائق تناقض كل ما يزعمونه ضد أهل السنة والجماعة فتستخدم على مبدأ (من فمك أدينك)، وأن أمير المؤمنين إذا كان يمدح الصحابة وأهل السنة في نصوص هذا الكتاب فإن كل ما يخالف ذلك هو من وضعهم وبهتانهم الذي يدينون به ويغذونه بأحقادهم وبهتانهم.
ثانيًا: إن الخطبة الشقشقية وما في موضوعها مما في الكتاب يتناقض مع هذا النص وأمثاله وهو كثير. والجمع بين النقيضين لا يمكن عند العقلاء مما يعني أن كل بهتان ضد الصحابة إنما هو من=

لقد انعقد الإجماع التام على بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا دليل آخر على أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وأولى الصحابة رضي الله عنهم بخلافة رسول الله ﷺ ولو رأوا أن في الأمة من هو أولى منه لقدموه، فلما أجمعوا على بيعته - وإجماعهم حجة - دل ذلك على أنه الأفضل والأولى بالإمامة والخلافة، ولا سيما أن رسول الله ﷺ هو الذي قدمه للإمامة بالمسلمين في مرضه الأخير قبل وفاته وهذه تزكية ما بعدها تزكية لأنها صادرة من رسول الله ﷺ، ولهذا قال علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ولقد أمره الرسول ﷺ بالصلاة وهو حي(1). والحقيقة التي لا غبار عليها ولا ينكرها إلا جاحد للحق وداعٍ إلى الفتنة وتمزيق الأمة أن مزايا وقدرات خليفة رسول الله متفردة قادت الأمة إلى دروب النجاح والتقدم والوحدة وترسيخ العقيدة ومبادئها التي جاء بها رسول الله ﷺ دون تبديل أو تحويل وبالتالي فإن فضائله التي اختص بها دون باقي الصحابة وهي خصائص لا مناقب يشاركه فيها الآخرون. فهو لذلك أفضل

= صنع الرافضة.

ثالثًا: إن طرح هذه الشقشقيات والجزم بوضعها وصناعتها ليس عاطفيًّا دعائيًّا وإنما يعتمد على قاعدة راسخة ألا وهي: إن كل ما خالف القرآن باطل. وهو ما جاء منصوصًا عليه في مصادرهم منقولًا عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه. وحاشا عليًّا رضي الله عنه أن يخالف كتاب الله هذه المخالفة ويطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] وقد بايع علي الخلفاء الراشدين ونصح وتابع ولم يكن مداهنًا ولا منافقًا! فكل من يزعم أنه يحب عليًّا رضي الله عنه يجب عليه الاقتداء به في طاعة الخلفاء الراشدين ومحبتهم وإلا بطلت دعوته وتأكدت باطنيته وظهر دينه ومعتقده الباطل.

رابعًا: إن الاستشهاد ببعض ما في كتب الرافضة مما يوافق القرآن ولا يخالفه ليس فيه ضير على الدين لما في ذلك من إسقاط لحجج الرافضة وبيان لتناقض كتبهم في مثل هذا النص الذي يتولى فيه علي رضي الله عنه إخوانه من المهاجرين والأنصار في الوقت الذي يتبرأ فيه أدعياء حبه منهم رضي الله عنهم، مما يؤكد زيف دعاواهم وركاكة مناهجهم وسوء نواياهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٣٢.

الصحابة رضي الله عنهم شاركهم في فضائلهم وتفرد عنهم بما اختص به دونهم من ميزات جعلت منه الميزان والشاهد على سالكي سبيل الحق والسداد والسنة، أو طريق الرفض والضلال والردة، وهذان طريقان لا يلتقيان أبدًا.

وفيما سبق من عرض للأدلة التي تثبت خلافة النبوة والإمامة لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من المؤمنين، وتبين صحة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم يتضح أن النيل من أبي بكر رضي الله عنه نيل من رسول الله ﷺ، ومن ينال من النبي ﷺ فإن الأدلة تشير إلى وجوب قتله، وأن قتله حد لا بد من استيفائه فإن النبي ﷺ لم يؤمّن مقيس بن صبابة وابن خطل والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ﷺ في مكة، مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الأعمى لما قتلها سيدها الأنصاري لأجل سبها النبي ﷺ وقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقال: «**من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله**»[1]. وكان يسبه، وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين على قتل من يطعن في رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، وهذا الأمر ينال من يوالي كل من يؤذي الله ورسوله؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان.

مر عمر رضي الله عنه براهب فقيل له: هذا يسب رسول الله، فقال: لو سمعته لقتلته إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ﷺ، ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأي نسبة لمفسدة منعه دينارًا في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد، بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب، فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ﷺ ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١) البخاري: صحيح البخاري: ك. المغازي، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٣٨١١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الجهاد والسير، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٤٦٤٠).

وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلًا[(١)].

فالشر كل الشر يأتي من هذا الصنف الفارغ العقل الناقص الفهم الفاقد الولاء لله ولرسوله ﷺ المشبع بالأهواء الغارق في الغفلة، ممن يُحسب على السنة وتجده يَرْشَح بحب دجاجلة الرفض ويهذي بما يفتريه أعداء الصحابة من القذف والإفك، فإذا حاول أحد نصحه وتذكيره بالله ورسوله ﷺ تجده يجادل بالباطل ويغرف من نتن إفك الرافضة الذي تشرّبه فكره وثقافته حتى أصبح ذلك سرطانًا يجتث دينه ويمزق هويته، فيتشكك في نصوص الكتاب والسنة، ويجادل لإثبات عكس ذلك ولا يستند في كل جدله الفارغ إلا على أقوال الرافضة ورواياتهم المصنوعة وأقوال من رضع زيفهم، فتراه يُصدّق الأفاكين الموالين لمراجع الردة والبراءة من الله ورسوله ﷺ ويشك في صريح القرآن وصحيح السنة، هذا الفهم الهدام الذي جنت أمة السنة المطهرة ثماره المرة تمزقًا وتصدعًا في صفوفها التي أصيبت بأعطاب فتاوى الغوغاء التي تمهد للرفض وتعين على انسياحه بين المسلمين، وعلى تدمير العقيدة وقطع الحبال مع أئمتها أصحاب رسول الله ﷺ من خلال الدعوة إلى محبة مكفريهم ومستبيحي دمائهم التي يخوض في وحلها مطموسو البصائر الذين يدعون إلى مبايعة رايات الشرك والزندقة التي رفعتها السبئية في بلاد العرب والمسلمين من جديد، فهل بعد هذا الشر شر على الأمة ووحدتها وعقيدتها ومصيرها ومستقبلها؟! قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٢)] فلا شك أن من ينال من أصحاب محمد ﷺ ويقذف زوجته وأحب الناس إليه بالبهتان والباطل ويُكذب سنته ﷺ، لا شك أنه من أشد الناس أذًى لرسول الله ﷺ، كما أن الدجاجلة الجدد الذين يدعون إلى محبة أعداء السنة النبوية من أشد الناس أذًى لرسول الله ﷺ فلا خلاص إلا بردعهم عن غيهم والحذر من غفلتهم، وتغذية الأمة بثقافة الكتاب والسنة التي تثمر المناعة ضد كل ماكر وغشاش وأثيم لا يبالي في أي وادٍ

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج ٣/ ٤٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.

يسير أو تحت أي راية يستظل. قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

فإذا لم يكف المفرطون عن عرض السنة في أسواق الفتاوى ومواطن الشبهات وتزيين صورة أعداء الصحابة في نفوس المؤمنين، ويبادروا بالتوبة وبالإعلان الصريح عن التمسك بالسنة النبوية المطهرة كما فهمها حملتها وحماتها أصحاب رسول الله ﷺ لا كما يفسرها الباعة المفلسون الذين يساوون بين أئمة السنة النبوية وبين أئمة الردة السبئية؛ فإن الأمر سيكون في منتهى الخطورة على وحدة الأمة وهويتها، ومنذرًا بأشد الأخطار على سلامة السنة النبوية وأهلها الأبرار وزعزعة مصادرها وتشجيع مخالفيها ومناهضي العقيدة المنبعثة من نصوصها القطعية الثبوت إلى عقائد الأهواء والرفض والضلال. ولا علاج لكل ذلك إلا بتغذية الغيرة على السنة النبوية وحب حملتها أصحاب رسول الله ﷺ في قلب وعقل كل مؤمن ومؤمنة، وبالبراءة من كل من يناصب السنة وحماتها الصحابة رضي الله عنهم في أي لون من ألوان الانتقاص أو الشك أو العداء. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2].



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

المبحث الرابع

خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار

أولًا: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانيًا: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

لا وصية ولا نص على خلافة النبوة:

مع أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنصوص والإجماع والإقرار بذلك عند أهل السنة، إلا أن هناك خلافًا بين بعض العلماء حول هذه النصوص هل هي مكتوبة جلية، أم أنها إشارات خفية تستنبط من النصوص التي أشارت إلى ذلك؟ قال بعض العلماء: إن رسول الله ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه في مسألة الخلافة، وإنما ترك الأمة إلى قناعاتها وإلى ما يحصل بين أبنائها من اتفاق في هذا الباب الذي لا يجدي فيه سوى الوفاق والحوار والتفاهم، وهو ما حصل يوم السقيفة حيث تم الاتفاق على خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إمامًا وقائدًا للأمة.

أدلة من قال إن النبي ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني: أبا بكر رضي الله عنه - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[1].

---

(١) البخاري: ك. الاحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢). ابن حبان: صحيح ابن حبان، =

وقال علي رضي الله عنه يوم الجمل: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئًا، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر رضي الله عنه، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم إن أقوامًا طلبوا هذه الدنيا فكانت أمور يقضي الله عز وجل فيها(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عليًّا خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا. قال: فأخذ بيده العباس فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفاه الله من وجعه هذا، إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا. قال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده أبدًا، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ(٢).

وعن إبراهيم بن الأسود قال: قيل للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي. فقالت: بم أوصى إلى علي؟ وقد رأيته دعا بطست ليبول فيها، وأنا مسندته إلى صدري فانخنس - أو قال: فانخنث - فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء: إنه أوصى إلى علي(٣)؟

وقال علي رضي الله عنه: من زعم أن عندنا كتابًا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة معلقة في سيفه، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب، وفيها: «**المدينة**

= ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب مقتل عمر، (٤٥٢١).

(١) البيهقي: الدلائل، ٣/ ١٤٥٤.

(٢) البخاري: كتاب: المغازي، ح (٤٤٤٧).

(٣) البيهقي: الدلائل. ٧/ ٢٢٤، البخاري: ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ح (٤١٩٠)، النسائي: السنن، ك. الطهارة، باب البول في الطست، ح (٣٣).

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

وقال علي رضي الله عنه: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس إلا شيئًا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي... فيها: **«من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»**، وإذا فيها: **«أن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين حرّتيها وحماها، ولا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها - يعني منشدًا - ولا يقطع شجرها، إلا أن يعلف رجل بعيرًا، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»**[2].

وقال علي رضي الله عنه: قَدَّمَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإني لشاهد غير غائب، وإني لصحيح غير مريض، ولو شاءَ أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رَضِيه الله ورسولُه لديننا[3].

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم[4]. وسبق القول أن الله تعالى قد جمع الأمة بعد استشهاد علي رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه لم يشذ عن

(١) البخاري: ك: الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه (٦٣٧٤)، ابن حنبل: المسند، مسند علي (٦١٥)، الصالحي: سبل الهدى. ١٢/ ٣١٠.

(٢) الحاكم: المستدرك، ح (٢٦٢٣)، ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٩٥٩) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ١٣٠.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ٤٨٠.

(٤) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

بيعته أحد من أبناء الأمة؛ وهذا ما أوغر عليه صدور أعداء الصحابة وأبان أحقادهم على المؤمنين.

وجاء أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلًا ورجالًا. فقال علي رضي الله عنه: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره شيئًا إنا وجدنا أبا بكر رضي الله عنه لها أهلًا[1].

وقال شقيق بن سَلَمة: قيل لعلي رضي الله عنه: ألا توصي قال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إنْ يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه[2].

فهذه النصوص التي رويت عامتها عن علي رضي الله عنه تشير إلى أن النصوص التي تؤكد إمامة الصديق رضي الله عنه إنما هي إشارات جاءت في مواقف الثناء عليه أو في النصوص التي أشارت إلى خلافة النبوة ولم تبلغ درجة التصريح العلني المطلق أو المكتوب، كما أنها تثبت بأجمعها نفي علي رضي الله عنه لأي وصية أو إشارة إلى وصية له في أمر الخلافة بما يلجم ألسنة الأفاكين أئمة الفتن والردة الذين يعملون على هدم ميراث النبوة الطاهر الذي حمله الصحابة رضي الله عنهم وحموه بدمائهم وأموالهم وقادوه بعلمهم وفهمهم وإخلاصهم، حتى رسخ الإسلام في الأرض، وظاهر في هذه النصوص بيعة علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، وأنه كان من أشد الناس حماسًا لتلك البيعة ودفاعًا عنها، إذ إن جميع مسوغات تلك الخلافة قائمة وصحيحة عنده، ولا يجوز لأحد من الخلق الحديث عن بيعة أَوْلَى من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وأن كل من يرفض تلك الخلافة إنما هو حرب

(١) المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ٤٤٦٢. الصنعاني: المصنف، ك، المغازي. باب: استخلاف أبي بكر وعمر (٩٧٦٧).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٨٩، ٢٩٠.

على الله ورسوله ﷺ نصير للرفض والردة، لا يجوز مهادنته ولا معاونته، ولا يمكن الثقة به أو الغفلة عمّا يقوم به من سياسات وتدابير؛ إذ إن جميع نشاطات وسياسات رافضي إمامة خليفة رسول الله إنما هي ضد السنة النبوية، وتعمل على هدم الإسلام، ونزع ثقة الناس بأهله وقادته وحماته رضي الله عنهم.

لم يوص رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه:

يتبين مما سبق من النصوص التي عامتها عن علي رضي الله عنه أن عليًّا لم يزعم في يوم من الأيام أنه وصي لمحمد ﷺ، ولم يرد في نص معتبر أنه كذلك، وإنما أول من أطلق هذه الفرية هو إمام الرافضة السبئية عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم؛ حيث قال: لكل نبي وصي وعلي وصي محمد ﷺ(1). فتلقف ذلك أعداء الصحابة ليشتروا به الغوغاء والمنتفعين ممن يبيع دينه بثمن بخس، كما هو حاصل في هذه الأيام في كثير من بلاد أهل السنة والجماعة، دون أن يثير ذلك الحمية على سنة رسول الله ﷺ عند عامة أصحاب الأموال الذين يزعمون الانتساب إلى سنة محمد ﷺ، ففي الوقت الذي أصبح المؤمنون يشاهدون كيف يبذل أعداء الصحابة أموالهم لهدم السنة النبوية وحرف أهلها ويستثمرون ذلك في شراء ضعاف النفوس والجهلة والجشعين ومن لا دين لهم، لخدمة عقيدة الرفض والردة ولزرعهم كجراثيم سامة في جسد أهل السنة ينشرون الشك والحقد ويبثون الفتن والإفك في مجتمعاتهم ليشقوا الصفوف ويصدعوا الوحدة ويتربعوا على كراسي العمالة لأعداء الصحابة على حساب الدين والأمة، ولكي يسلبوا أرصدة وأرواح ومقدسات من بخل بالقليل الذي كان من الممكن أن يحمي السنة وأهلها ويدفع عنهم الشر والمكر والدسائس.

ولما قيل للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ أوصى إلى علي قالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست،

---

(1) الإسفراييني: التبصير في الدين، ١/ ١٢٤، ابن حجر: لسان الميزان، ٥/ ١٣٩، مناهل العرفان، ٢/ ٢١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٦٤٧.

فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟[1] أي أن النبي ﷺ مات بين يديها رضي الله عنها، وهي التي سمعت آخر ما قاله ﷺ ولم يقل شيئًا مما يفتريه عليه مبغضوه ﷺ، فمن هذا الذي يجترئ على الكذب على رسول الله ﷺ سوى المنافقين والزنادقة؟

وعن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا. قلت: لم كتب على الناس الوصية، أوْ فلم أُمِرُوا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل[2].

وخطب علي رضي الله عنه يومًا فقال: من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب[3]. وفيها قال رسول الله ﷺ: «**المدينة حرم ما بين جبل عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»[4].

فهذا الحديث الثابت في **الصحيحين** وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد

---

(١) صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي (٤١٩٠)، صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب مرض النبي ﷺ، ح (٦٦٠٣).

(٢) صحيح مسلم، ك. الوصية، باب ترك الوصية، (٤٢٠٣) البيهقي: السنن، ك. الوصايا، باب من قال بنسخ الوصية، (١٢٨١٦).

(٣) ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح(٦١٦)، أبو يعلى: المسند، ك. وباب مسند علي رضي الله عنه (٢٦٣).

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ك. العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، ح (٣٧٧٣).

ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه؛ فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلَّا ولم؟[1] وهذا ما يسقط كل أعذار الذين يحسنون الظن في الرافضة.

عن صَعْصَعة بن صُوحان. قال: دخلنا على علي رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ؛ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، استخلف علينا. فقال: «**لا، إن يعلم الله عز وجل فيكم خيرًا يولِّ عليكم خِيَارَكُم**»، قال علي رضي الله عنه: فعلم الله فينا خيرًا، فولّى علينا أبا بكر[2]. علي يقول: أبو بكر خيرنا، والرافضة يقولون: هو شرنا، ويزعمون أنهم من أتباع علي رضي الله عنه، حاشاه أن يكون أتباعه الزنادقة ومبغضي قومه العرب ورافضي دينه الكتاب والسنة.

عن عبد الرَّحْمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: أقبل رجلٌ يتخلص الناس، حتى وقف على علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما بالُ المهاجرين والأنصار قدّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبةً، وأقدم منه سِلمًا، وأسبق سابقة؟ قال: إنْ كنتَ قُرشيًّا فأحسبك من عائذة؟ قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولأخلص إليك روعك حصدًا، ويحك إنّ أبا بكر رضي الله عنه سبقني إلى أربع، لم أُبَزَّهُنَّ ولم أعتض منهن؛ سبقني إلى الإيمان وتقديم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، وإنّي يومئذ في الشعب الأقصى تستحقرني قريش، أظهر الدين وأخفيه، ولو أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على مشورة الجيش بِشراك الرأي لصار الناس ككرعة أصحاب طالوت، ويحك إنّ الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3].

---

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

ولما فرغ علي رضي الله عنه من يوم الجَمَل قال: إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئًا، ولكنه رأي رأيناه، فإن يكُ صوابًا فمن الله، وإن يكُ خطأً فمن قِبَلنا، وَلِيَ أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام، ثم وَلِيَ عمر فأقام واستقام، حتى ضرب الإسلام بجرانه، ثم إن أقوامًا طلبوا الدنيا فيعفو الله عمن يشاء، ويعذب من يشاء[1]. فيتبين مما سبق أن عليًّا رضي الله عنه لا يدع مناسبة إلا ويذكِّر بفضل أبي بكر رضي الله عنه، والرافضة السبئية لا يدعون موقفًا إلا ويؤكدون فيه مخالفتهم لعلي، وطعنهم فيمن يزكيه، والعجيب أنه ما زال في المسلمين من يعتقد أن فيهم ولاء للدين، أو محبة لعلي رضي الله عنه العربي الهاشمي السائر على هدي سنة النبي ﷺ.

وقيل لعلي رضي الله عنه: استخلف علينا. فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا جمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم[2]. وقد اجتمعت الأمة بعد قول علي هذا على أمير المؤمنين معاوية.

فمن ظن بالصحابة تقديم غير من قدم رسول الله ﷺ، فقد نسبهم إلى الفجور، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام[3].

ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلماذا لم يحتج به على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص كما يزعمون فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله، كما يروجون فهو خائن، والخائن

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩١ وقوله: «لم أبزهن» أي: لم أسلبهن، يقال: بزه أي: سلبه. مختار الصحاح مادة (بزز).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٤٠).

(٣) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٩.

الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وإذا كان كذلك فكيف عرفه وعلمه من بعده! وهذا محال وافتراء وجهل وضلال، ومكر متواصل لصناعة أسباب الفتن وتغذية الحقد على السنة النبوية.

وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان. عياذًا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملاذًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاة على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمان[1].

وما نسبه جهلة القصاص إلى رسول الله ﷺ من الوصية إلى علي رضي الله عنه - ينقضه الحديث الثابت السابق عن علي رضي الله عنه، وفيه ردّ على متقولة كثير من الطرقية والقصاص الجهلة في دعواهم التي استقوها بغفلتهم من أعداء الصحابة، أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة: يا علي افعل كذا، يا علي لا تفعل كذا، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا، بألفاظ ركيكة ومعانٍ أكثرها سخيفة، وكثير منها صحفية لا تسوى تسويد الصحيفة. والله أعلم[2].

وكذلك رده ﷺ على من قال: يا رسول الله، لو أمرتَ غير أبي بكر أن يصلّي بالناس. فقال ﷺ: **«لا ينبغي لأمتي أن يؤمّهم إمامٌ وفيهم أبو بكر»**[3].

وقوله ﷺ: **«ائتوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان»**. ثم قال: **«دعوه، مَعَاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر»** مرتين[4]. وهذا ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ، فلم يخالف الصديق أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠٠.
(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠١.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦١.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٧.

وقول رسول الله ﷺ لأم المؤمنين الطاهرة في مرضه الذي توفي فيه ﷺ: «**ادعي لي عبد الرَّحْمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحدٌ بعدِي**»، ثم قال: «**دعيه، مَعَاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**»[1].

وقال الحسن بن الحسن أخي عبد الله: إنه قال لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا بالله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل: إنكم ذوو قرابة من رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته - لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه!! والله إني أخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا؛ إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغبونا فيه، ونحن كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ اختارا عليًّا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده؛ فإن عليًّا أعظم الناس خطيئة وجرمًا؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس. فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ لعلي: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**». فقال: أما والله لو يعني رسول الله ﷺ بذلك الأمر والسلطان والقيام على الناس لأفصح به؛ كما أفصح بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولقال: أيها الناس إن هذا هو الولي بعدي فاسمعوا وأطيعوا[2].

وهكذا يظهر زيف الرافضة وفساد معتقدهم وسوء نواياهم وأنه لا هم لهم في آل البيت ولا الدين ولا النبوة، وإنما همهم إفساد سنة محمد ﷺ، ومحوها من الوجود، وإيجاد دين بديل يسود فيه أعداء الصحابة بتشريعاتهم المناقضة لكتاب الله، وما جاء به رسوله ﷺ.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٦٨.

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/ ٣٨. خرج جميع الأذكار من أهل البيت الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السمان الرازي في كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام: والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، وأرشدهم إليه بأمور متعددة؛ من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التبيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. ولما قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه[1].

فهذه الأحاديث وما يوافقها مما جاء في الصحاح فيما سبق توضيحه وبيانه، فيها أيضًا إلجام لباعة السنة النبوية في أسواق المنافع والتلميع وتيه الخطاب وضياع الولاء، ممن يزعمون أنه لا فرق بين أهل السنة النبوية وبين قتلة الشهداء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أولئك الذين يدينون باستباحة دماء وأعراض وأموال أهل السنة ودمار عقيدتهم، وما يترتب على ذلك من تضليل لأهل السنة وبهتان على أئمتهم وتزيين لغدر الرافضة بالأمة، وما في ذلك أيضًا من المخاطر التي تفرز الفرقة والتناحر وموت الولاء وتمزيق هوية أهل السنة النبوية واستباحتهم في كل شؤونهم، يغذي ذلك مكر أعداء الصحابة وبهتانهم وقلبهم للحقائق وتظاهرهم الدائم بالمظلومية الكاذبة، وهم أئمة الظلم والفجور والضلالة، وكيف لا يكون من يستحل دماء الراشدين كذلك؟ بل هو أخطر على الأمة وأنكى، ومن لم يعتبر بالمصائب التي حاقت بأهل السنة ويحذر غدر أعداء الصحابة ومن يدعو إلى مودتهم، فلن يعتبر - ولو رأى الجبال ينطح بعضها بعضًا - لأنه ميت القلب، معدوم الولاء، فاسد العقيدة.

(١) ابن كثير: السيرة، ١٠٠.

وقد ظهرت مخاطر رفض السنّة وتكفير الصحابة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى وشواهد ذلك كثيرة على أكثر من ساحة؛ منها انسياح عقيدة الرفض بين المحسوبين على أهل السنّة في أكثر من قطر من أقطار الإسلام وإنشاؤهم الأحزاب والجمعيات والميليشيات الطائفية القائمة على حرب السنة النبوية ومسالمة أعدائها من الغزاة والمحتلين، وكذلك المجلات والجرائد والفضائيات الطائفية وتدريب المراسلين وإعداد المذيعات والمذيعين وبث الألفاظ والرموز والأزياء والمصطلحات الطائفية، وبذل الأموال والأوقات والمغريات لنصرة كل ذلك، ورعاية أبنائهم على تلك الأسس الطائفية المقيتة، وتغذيتهم بكل موروث الحقد والغدر بالأمة، وإرضاعهم كراهية وبغض العرب السنّة من دون البشر، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذه الساعة، والتأكيد على ذلك في كل مناسبة وغير مناسبة.

والعمل المستمر على إنشاء المعابد المضادة للمساجد تحت مسميات مختلفة لكنها جميعًا تتفق على مواجهة التوحيد ومحاربة ما جاء به النبي ﷺ من عقيدة لا إله إلا الله والاستعاضة عن ذلك بربط عقائد أتباعهم بالقبور والمزارات والعمل الدائم على إنشائها في كل مدينة وقرية؛ لتكون نقطة ارتكاز واجتماع وانطلاق نحو الهدف الكبير لدين أعداء الصحابة المتمثل في سحق السنة وأهلها بأي وسيلة كانت، حتى أصبح الناس يشاهدون كيف تتساقط أعداد هائلة من الغوغاء التي تحسب على السنة النبوية، ممن عرضوا دينهم للبيع في أسواق الكساد والمهانة، وانعدام الكرامة أمام دريهمات معدودة، أو بعض الشهوات القذرة، وإن هذا وغيره من العورات المكشوفة، والسوءات المفضوحة لم يعد خافيًا على أحد من العقلاء والمراقبين، ومما زاد الطين بلة - كما يقال - الجهل الفاضح لكثير من علماء السنة بحقيقة الرفض وأخطاره.

يقابل كل ما سبق ضعف الأداء الفكري والثقافي المبني على عقيدة السنة التي سار عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تجد ما يقابل أدوات الرفض ومصطلحاته ومغرياته وطائفيته، أو ما يواجهها، ويسد منافذها، ويكشف بوائقها، ويظهر عوارها للمغفلين والمغرر بهم والمضبوعين.

والأمرّ والأدهى أن أعداء الصحابة يصرخون بكل أبواقهم وأفعالهم أنهم طائفيون ويؤكدون في كل فرصة أنهم الشر المستطير على السنة وأهلها وعقيدتهم وثوابتهم، وكثير ممن يسمون بعلماء السنة إلا من رحم الله يجترون الزيف والتضليل، وينشرون الخداع والوهن والعجز، فلا يقولون خيرًا ولا يصمتون، حتى أصبحت معاولهم الهدامة تمهد كل السبل لتمدد عقيدة محو السنة، فمن قائل الخلاف مع أعداء السنة سياسي، ومن قائل هم إخواننا يجب مناصرتهم على هدم السنة بدمار المساجد وحرق المصاحف وقتل القراء والحفاظ وتشييد المعابد على القبور وصرف الناس إليها بدلًا من الكعبة المشرفة، إلى غير ذلك من بلايا ورزايا؛ أسهم كثير من علماء السنة وأتباعهم بالتمكين لها بين أهل السنة المنكوبين بإقصاء عقيدتهم، وغياب واليهم، والجهل بمرجعيتهم.

ومما أسهم في التمكين لأعداء السنة أيضًا بخل الكثير من أصحاب الأموال ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، وإحجامهم عن النصرة والمواساة، وتكديسهم الذهب والفضة، وتقديم نفعهما لأصحاب المعاول الهدامة وتسخيرها في كل اتجاه إلا اتجاهًا ينفع السنة النبوية وينصر أهلها، مما أسهم في نشر الردة والرفض تحت بريق دنانير أعداء الصحابة وبذلهم من أجل نشر عقيدتهم المحاربة لله ولرسوله ﷺ.

وفي الوقت الذي يرعى فيه أغنياء وسلاطين الرافضة أبناء عقيدتهم ويغذونهم بكل ما يعينهم على خدمتها والتمكين لها، فإن كثيرًا من أغنياء السنة وسلاطينهم، ولا سيما العرب منهم، يخنقون أبناء عقيدتهم، ويئدونهم، ويبيعونهم، ويعملون كل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين من ينصر السنة ويحمي أبناءها ويحفظ أمتها، فأي نتيجة ترتجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، ولا سيما أن الأقليات داخل الأمة في هذا العصر، تتكاتف، وتنظم جهودها على أسس من عقائدها، حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها ضد الأمة وهويتها بالتآمر أو الجاسوسية أو التحالف مع الغزاة أو غير ذلك إلا ما شاء الله منهم، وهم قليل في هذا العصر، وأهل السنة ما زال الكثير منهم في صراعات حزبية وتناحرات إقليمية لا يشفق بعضهم على بعض ولا ينصر

بعضهم بعضًا إلا من رحم الله، وهذه حالة مزرية منذرة بشرور مستطيرة لم تمر بها الأمة في أسوإ مراحلها؛ إذ إن الحالة في هذا العصر عامة شاملة، بينما مرت بهذه الأمة أحوال ونكبات مشابهة لكنها لم تكن بهذا الشمول، ولم تكن مزمنة، كما هو الحال في هذا العصر، فضلًا عن أنه كان يتصدى لها العلماء المخلصون، وكثير من الحكام، بعكس ما تعانيه الأمة في هذا العصر العصيب الذي غاب فيه نصح العلماء وغيرة الحكام، ولم يعد من رجاء إلا الله تعالى في أن يتدارك السنة وأهلها بلطفه ورحمته، فينهجوا نهج نبيهم ﷺ وأصحابه، وفي مقدمتهم خليفته الصدّيق رضي الله عنه ليقوّموا ما اعوج ويصلحوا ما فسد.

أدلة من قال بالنص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

إن النصوص التي تؤكد إمامة خليفة رسول الله ﷺ كثيرة وصحيحة لا ترد ولا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، وقد فهمها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، ولم يتردد أحد منهم عن العمل بها والتضحية من أجلها، وكل ما يثار حولها من شبهات فإنما هو من صنع أعداء الصحابة ومن امتطوه ممن يزعم أخوتهم ومودتهم، ويدعو إليها، وهم على ما هم عليه من بغض الصحابة وكراهية السنة وأهلها الأطهار، ومن هنا فإن علامة الزندقة ووسائل هدم الإسلام ظاهرة بأيدي من يدعو إلى إبطال ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار ومن سار على دربهم المنير في بناء السنة ونشر الإسلام في العالمين على مر القرون التي عاشتها الأمة واستدل من قال بالنص على أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن حزم: واحتج من قال: لم يستخلف - بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ[1].

(١) البخاري: ك. الأحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب، مقتل عمر، (٤٥٢١).

وبما روي عن الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سُئلت؛ من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟

قال: ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذين ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه، بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، مما لا تقوم به حجة ظاهرة؛ فقد يكون خفي عليه ذلك كما خفي عليه بعض أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ولم يكن استخلافه ﷺ لأبي بكر بعهد مكتوب.

قال: والمقصود هنا: البيان لكلام الناس في خلافته؛ هل حصل عليها نص خفي أو جلي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟ فقد تبين أن كثيرًا من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قدح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وإنه مات عن غير وصية، وكذلك هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقًّا فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه، فقد قال بعضهم ذلك[1].

ومما يشير إلى النص على أبي بكر رضي الله عنه ما جاء في قوله ﷺ في مرضه للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[2].

وقوله ﷺ: «**ائتوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان**»، ثم قال: «**دعوه، مَعَاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر**» مرتين[3]. وقوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «**... مَعَاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**»[4].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/ ١٢٦.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦١٨١).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٨. الألباني: ظلال الجنة، ٢/ ٣٢٠. الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٤٧٠. منهاج السنة: ١/ ٤٩٢.

وقال أنس: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته فقال: «**إلى أبي بكر**» فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «**إلى عمر رضي الله عنه**» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فقال: «**إلى عثمان رضي الله عنه**» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «**إن حدث بعثمانَ حدث فتبًّا لكم الدهر تبًّا**»[1]. ومعلوم أن دفع الصدقة لا يكون إلا للخليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات.

وقد أشار القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2] إلى أن هذه الآية دليل على أحقية أبي بكر رضي الله عنه للخلافة بعد الرسول ﷺ، واختيار النبي ﷺ له من بين جميع أصحابه لمصاحبته في الهجرة فكان له شرف الخروج مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3].

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَكُونُ من بَعْدِي اثْنا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْهُمْ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، لا يَلْبَثُ بَعْدِي إلّا قَلِيلًا، وصاحِبُ رَحَا دَارَةِ العَرَبِ يَعِيشُ حَمِيدًا، وَيَمُوتُ شَهِيدًا**». فقال رجل: من هو؟ قال: «**عُمَرُ بنُ الخَطَّاب**». ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمانَ بن عفان فقال: «**يا عُثمانُ إنْ أَلْبَسَكَ الله قَمِيصًا فأرادك النَّاسُ عَلى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ فوالله لَئِنْ خَلَعْتَهُ لا تَرَى الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ**»[4].

---

(١) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر رضي الله عنه، ح (٤٤٦٠). قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. دحلان: الفتح المبين، ١/ ٣٠، شبير: عصر الصديق، ٧٢.

(٤) مجمع الزوائد: (٨٩١٨)، ابن عساكر: تاريخ دمشق، (١٨٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فأخذ حصيات فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسنَ، ثم أخذهن فسبحن في يده، ثم أعطاهنَّ أبا بكر فسبحنَ في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أعطاهنَّ عمر فسبحن في يده، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أعطاهن عثمانَ رضي الله عنه فسبحن في يده، ثم أعطاهن عليًّا رضي الله عنه فوضعهن فخرسن[1].

وقد استنبط الفاروق رضي الله عنه أفضلية الصديق رضي الله عنه وأحقيته للخلافة بعد رسول الله ﷺ من هذه الآية حيث قال تأييدًا لبيعة الصديق رضي الله عنه: من له هذه الثلاثة: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾، من هما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾، من صاحبه؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2]، مع من؟ فقال: بايعوه، فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها[3].

وكان النبي ﷺ أمر بإمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والوحي ينزل عليه فلم يغير ﷺ عليه هذا الأمر، فكأن خلافة الصديق رضي الله عنه بأمر من الله في حياة رسول الله ﷺ حيث أقامه لإمامة المسلمين وسكت الله عن ذلك ورضي المؤمنون فكانت خلافته بالنص والإجماع.

قال الشعبي: خص الله تبارك وتعالى أبا بكر الصّدِّيق رضي الله عنه بأربع خصال لم يَخْصُص بها أحدًا من الناس: سمّاه الله تعالى الصّدِّيقَ ولم يسمّ أحدًا الصّدِّيق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب النبي ﷺ ورفيقه في الهجرة إلى المدينة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود[4].

---

(١) مجمع الزوائد (٤٢٩٨) قال الزهري: هي الخلافة التي أعطاها الله أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠١٦)، شبير: عصر الصديق، ٩١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦٤.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤمّ الناس؟ فأيكم تطيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[1].

وقال حُمَيد بن عبد الرَّحْمن: انطلق أبو بكر وعمر يتماشيان حتى أتوهم في السقيفة فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئًا أُنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلّا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: **«لو سلك الناسُ واديًا وسَلَكَتِ الأنصار واديًا سلكتُ واديَ الأنصار»**، ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: **«قريش ولاة هذا الأمر، وبَرُّ الناس تابعٌ لبرّهم، وفاجرُهُم تَبعٌ لفاجرهم»**. قال: فقال له سعد: صدقتَ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء[2].

ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه في بيته بالسُّنح بعالية المدينة واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال عمر: نبايعك، أنت سيّدنا وخيرنا، وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ. فبايعه، وبايعه الناس[3].

وقال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر أحبنا إلى رسول الله ﷺ، وكان سيّدنا وخيرنا[4].

قال عثمان بن عفّان رضي الله عنه: إنّ أبا بكر الصدِّيق أحقّ الناس بها - يعني بالخلافة - إنّه لصدِّيق، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله ﷺ[5].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٧١، البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٩).

(٢) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٩)، الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، ح (١١٣٣).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٧٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٧٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٧٦.

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[1].

وشاهده حديث سفينة مولى أم سلمة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح أقبل على أصحابه فقال: «**أيكم رأى الليلة رؤيا؟**» قال: فصلى ذات يوم. فقال: «**أيكم رأى رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانًا دلي به من السماء فوضعت في كفة ووضع أبو بكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت وترك أبو بكر مكانه، فجيء بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة الأخرى فرجح به أبو بكر فرفع أبو بكر؛ وجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان ثم رفع عمر وعثمان، ورفع الميزان قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**خلافة النبوة ثلاثون عامًا ثم تكون ملكًا**». قال سعيد بن جهمان فقال لي سفينة: أمسك سنتي أبي بكر، وعشر عمر، واثنتي عشرة عثمان، وست علي رضي الله عنهم، وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعًا إلى النبي ﷺ[2].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**». قال جابر رضي الله عنه: فلما قمنا من عند النبي ﷺ قلنا: الرجل الصالح النبي ﷺ، وأما ما ذكر من تنوط بعضهم بعضًا فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ[3].

---

(١) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٦٢). الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٨).

(٣) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٣٩). ولهذا الحديث إسناد صحيح عن أبي هريرة، ولم يخرجاه، أبو داود: سنن أبي داود، ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٦). قال أبو داود: رواه يونس وشعيب ولم يذكرا عمرو بن أبان.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رجلًا أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أرى الليلة ظلة ينطف منها السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سببًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل فعلا به، قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فلأعبرنها، فقال ﷺ: «**اعبرها**». قال: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما ما ينطف من السمن والعسل فهو القرآن: لينه وحلاوته، وأما المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فهو الحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به بعدك رجل فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع، ثم يوصل له فيعلو به، أي رسول الله، لتحدثني أصبت أم أخطأت؟ فقال: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**» فقال: أقسمت يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تقسم**»[1].

وعن سمرة بن جندب أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني رأيت كأن دلوًا دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمانُ فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء[2].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَمَّد ﷺ فوجد قلوب أصحابه رضي الله عنهم خير قلوب العباد بعد قلبه، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه، فما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون سيئًا فهو عند الله سيئ[3].

(١) أبو داود: سنن أبي داود، ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٢).
(٢) أبو داود: سنن أبي داود. ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٧).
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٤.

وقال عبد الله رضي الله عنه: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ وقد رأى الصحابة جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه(١).

وقال علي والزبير: إنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ وإنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له شرفه، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾(٣) قال ابن قتيبة: القوم هم بنو حنيفة، والداعي إلى قتالهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وقال آخرون: هم أهل فارس، والداعي إلى قتالهم عمر رضي الله عنه، وهذه الآية تدل على خلافة أبي بكر وعمر وإمامتهما إذ وعد الله المطيع له بالثواب، ووعد العاصي بالعقاب، لأنه قال: ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤).

وقال ابن قُتيبة: قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٥) فالمراد بهذا القول صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا الخائفين في صدر الإسلام وقبل الهجرة، والمستضعفين، ثم وجدوا بعد هذا جميع ما وَعَدَهُم الله به من النصر والظهور والعزّ، وقوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني بعد النبي ﷺ(٦).

وفي تاريخ ابن عساكر قال عبد الرَّحْمن بن أبي حاتم الرازي: **دلالة ولاية أبي بكر** رضي الله عنه من القرآن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

---

(١) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٥) هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣١٧.

(٣)، (٤) سورة الفتح، الآية: ١٦.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٥.

شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾[1]. وهم قوم مسيلمة قاتلهم أبو بكر بجند الخلافة حتى أسلموا.

وقال الحافظ الإمام محدّث واسط، عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي: الذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة، قال الله عز وجل لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، قال ابن عبّاس: فأخرجه الله من الجنة قبل أن يدخله فيها؛ لأنه خلفه على الأرض خليفة فيها، وقوله تعالى لداود: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[3]، وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، وقالوا له: يا خليفة رسول الله. ولم يسمّ أحدٌ بعده خليفة، وتوفي النبي ﷺ عن أكثر من مائة ألف من الصحابة كلهم قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله ورضوانه، ومن بعده رضي الله عنه إلى حيث انتهينا، قيل لهم: أمير المؤمنين[4]. وعليه فكل من لا يقول بقول الصحابة والسلف من بعدهم فليس من أمتهم، وكل من يؤاخي أعداء الصحابة ممن لا يقول بخلافة وإمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو منهم، وإن زعم أنه من أهل السنة؛ لأن السنة والردة لا تجتمعان أبدًا.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ على كل مؤمن ومؤمنة[5].

عن مُحَمَّد بن الزُّبَير الحنظلي، قال: سمعت الحَسَن يقول: والله الذي لا إله إلّا هو لقد استخلف رسول الله أبا بكر[6].

عن مُحَمَّد بن الزُّبَير، قال: أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحَسَن البصري أسأله عن

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٦.

(٥)، (٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٧.

أشياء، فصعدت إليه، فإذا هو متكئ على وسادة من أدم، فقلت: أرسلني إليك عمر أسألك عن أشياء، فأجابني فيما سألته، وقال: اشفني فيما اختلف فيه الناس، هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فاستوى الحَسَن قاعدًا فقال: أوفي شك هو، لا أبا لك؟ أي والله الذي لا إله إلّا هو لقد استخلفه، ولهو كان أعلم بالله وأتقى له، وأشدّ له مخافة من أن يموت عليها لو لم يأمره[1].

وقال الحَسَن البصري في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2] قال: أتدرون من هم؟ هم والله أبو بكر وأصحابه[3].

وعن معاوية بن قُرّة قال: ما كان أصحاب رسول الله يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله، وما كانوا يسمونه إلّا خليفة رسول الله، وما كانوا يجتمعون على خطأ أو ضلالة. وما كانوا يكتبون إلّا إلى أبي بكر خليفة رسول الله، وما كان يكتب إلّا من أبي بكر خليفة رسول الله، فما زالوا كذلك حتى توفي رضي الله عنه، فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادوا أن يقولوا: خليفة خليفة رسول الله، قال عمر: هذا يطول، قالوا: لا، ولكنا أمّرناك علينا، فأنت أميرنا، قال: نعم. أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فكتب أمير المؤمنين[4].

وقال أبو بكر بن عيّاش الأسدي الكوفي: أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه خليفة رسول الله في القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[5] فمن سمّاه الله صادقًا فليس يكذب، والصادقون هم قالوا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله[6].

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٠٩.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٧.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٨.
(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٦.

وقال أيضًا: قال لي الرشيد: يا أبا بكر، كيف استخلف الناس أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله وسكت رسوله ﷺ وسكت المؤمنون. قال: والله ما زدتني إلّا عمًى. قلت: يا أمير المؤمنين، مرض النبي ﷺ ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله، من يصلّي بالناس؟ قال: «**مُرْ أبا بكر يُصَلّي بالناس**»، فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل، فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ. فأعجبته، فقال: «**بارك الله فيك**»[1]. أي أن الوحي أقر خلافة الصديق.

وقال رجل من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: والله ما كان لرسول الله ﷺ من موطن إلّا وعلي معه فيه، فقال القاسم: يا أخي، لا تحلف. قال: هلم. قال: بلى ما لا ترده، قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾[2] واستخلفه رسول الله ﷺ على أمته من بعده؛ بما أظهر من الدلائل البيّنة على محبّته في ذلك بالتعريض الذي يقوم مقام التصريح، وكان لا يصنع شيئًا في دين الله إلّا بوحي، والخلافة ركن من أركان الدين، ومن الدلائل الواضحة على ما قلنا: قوله ﷺ للمرأة: «**إن لم تجديني فائتي أبا بكر**» وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر**»[3].

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا تستخلف علينا؟ قال ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم[4].

فيظهر من كل ما سبق أن الأدلة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ما بين آيات من

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٤)، البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٧).

(٤) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

كتاب الله أو أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ أو أقوال أصحابه رضي الله عنهم وشهاداتهم أو إجماعهم على تقديمه إمامًا لهم وخليفة لنبيهم ﷺ، دون أي معارضة أو تردد، وهي أدلة قطعية لا ترد، وأن من يردها إنما هو رافض للكتاب والسنة ولإجماع الأمة، وبالتالي فقوله باطل مردود وهو متهم في دينه وفي أمانته وفي مقاصده ونواياه، وكل من يواليه ويسانده على باطله فهو موضع التهمة والريبة ولا سيما أنه قد ظهر من هذا الصنف في هذا العصر كثير ممن يزعم أنه من أهل السنة، ولكنه يزعم أيضًا أنه من إخوان مكذبي الكتاب والسنة، وأنه لا فرق بينه وبينهم، ومعلوم أن الفرق بين عمر رضي الله عنه وقاتله - لعنه الله - كما بين النور والظلام، فمن يزعم أنه يجمع النور والظلام في عين بصيرة فإنما هو فاقد للعقل وللدين، وهذا شأن من يزعم أنه من أهل السنة وأنه يحب قتلة الشهيد الفاروق عمر رضي الله عنه، ويوالي من يستبيح السنة النبوية وأهلها!! ويزعم أنه لا فرق بين الرافضة السبئية وبين أهل السنة النبوية.

ولهذا أصبح هذا الأمر من المحاذير التي لا يخوض صعابها إلا من أسقط من مقاييسه إجماع الأمة، وما يربط بينها من نصوص الكتاب والسنة، فالتقحم إلى حياض خليفة رسول الله علامة على الزندقة والرفض والردة عند كل عقلاء الأمة، لا يشذ عن ذلك إلا عقيم الفهم فاسد الاعتقاد.

قال سفيان: ما أحسب أن الله يقبل لمن أساء الظن بالمهاجرين الأولين من تقدمة أبي بكر وعمر صومًا ولا صلاة، ولا يصعد له إلى السماء عمل[1]. لا شك أن من هذه حاله في حرب أولياء الله ورد إجماع خير جيل إنما هو ساقط الإيمان والعمل؛ وبالتالي فإن من يدعو إلى مودة من يسيء الظن بأصحاب رسول الله ﷺ لا يقل شرًّا، بل هو أكثر ضررًا على الأمة، وذلك أن أمره غير مكشوف للعامة الذين لا يميزون بين من يحبهم وبين من يحقد عليهم، والله ولي السرائر وإليه المرجع والمآل.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٨.

نصوص تؤكد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته للأمة:

النصوص التي تؤكد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته للأمة كثيرة ظاهرة لا يعاندها إلا منافق جاحد، ويقبلها كل مؤمن صادق، وقد اختلف الناس في الإمامة بعد رسول الله ﷺ فقالت طائفة: إن النبي ﷺ لم يستخلف أحدًا، ثم اختلفوا فقال بعضهم: لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلًا على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر. وقال بعضهم: لا ولكن كان رضي الله عنه أبينهم فضلًا فقدموه لذلك. وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بعده على أمور الناس نصًّا جليًّا.

قال ابن حزم: وبهذا النص الجلي نقول لبراهين:

أحدها: إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1] فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وهم المهاجرون وجميع إخوانهم من الأنصار المفلحين رضي الله عنهم على أن سمّوه «خليفة رسول الله ﷺ». اهـ. فمن يرفض إجماعهم وخيارهم؟!

ومعنى الخليفة في اللغة: هو الذي يستخلفه المرء لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف. تقول: استخلف فلان فلانًا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه. فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا: خلف فلان فلانًا يخلفه فهو خالف. قال: ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين:

أحدهما: أنه لم يستحق أبو بكر رضي الله عنه قط هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول الله ﷺ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة، فصح يقينًا أن خلافته المسمى بها هي غير خلافته على الصلاة.

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

والثاني: أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ في حياته كعلي في غزوة تبوك، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق وعثمانَ بن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف بين أحد من الأمة أن يُسمى خليفة رسول الله ﷺ فصح يقينًا بالضرورة التي لا محيد عنها أنها الخلافة بعده على أمته.

ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصًّا، ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه في الصلاة، لم يكن أبو بكر أولى بهذه التسمية من سائر من ذكرنا. وأما الخبر في ذلك عن أم المؤمنين رضي الله عنها فكذلك أيضًا. وقد يخرج كلاهما على سؤال سائل، وإنما الحجة في روايتهما لا في قولهما[1].

ومن الممكن التعقيب على قول ابن حزم بأن رسول الله ﷺ استخلف كثيرًا من أصحابه، لكنّ أحدًا منهم لم يستحق اسم الخلافة، بأن هذا صحيح ولكن ما استُخلف فيه أبو بكر رضي الله عنه كان من خصوصياته، فهو قد استخلفه في الحج وإمارة المؤمنين فيه، وهذه خلافة لم تكن إلا لأبي بكر رضي الله عنه، وكذلك استخلافه في الصلاة في حياته وحضوره ﷺ ولم يكن ﷺ في سفر أو غزو، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه في صحبته ﷺ دائمًا، فهل يوجد بين أصحابه من استخلفه على الحج غير أبي بكر رضي الله عنه؟ وهل بينهم من استخلفه على الصلاة بحضوره ﷺ غيره؟ فإذا علم هذا وعلم إصرار رسول الله ﷺ على ألا يؤم المؤمنين غير صاحبه رضي الله عنه - تبين الفارق بين ما استخلف فيه وعليه أبو بكر رضي الله عنه وبين ما كان يكلف به غيره أثناء غياب النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وهذا يؤكد أن الاستخلاف في الصلاة وفي الحج إنما هو من الأمور التي تؤكد خلافة النبوة وقيادة الأمة التي كان رسول الله ﷺ يؤكدها بالإشارات والنصوص والفعل، حتى وعاها أصحابه رضي الله عنهم وعلموا مقاصدها فنفذوها بعد وفاته ﷺ على الوجه الذي يريده عليه الصلاة والسلام.

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٤٩٩.

قال ابن تيمية: والمقصود هنا بيان كلام الناس في خلافة أبي بكر رضي الله عنه: هل حصل عليها نص جلي أو نص خفي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟

فقد تبين أن كثيرًا من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قدح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وأنه مات من غير وصية، وذلك أن هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقًّا فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه فقد قال بعضهم ذلك. فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة، والزيف عن أهل الرفض والردة.

وبهذا يتبين أن القائلين بالنص على أبي بكر رضي الله عنه منهم من قال في النص الخفي، ومنهم من قال بالنص الجلي. وعندما سئل الحسن البصري هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر رضي الله عنه؟ قال: نعم. والله الذي لا إله إلا هو استخلفه ﷺ، ولهو أتقى من أن يتوثب عليها. وقال ابن المبارك: استخلافه هو أمره أن يصلي بالناس، وكان هذا عند الحسن استخلافًا، وعن عبد الله بن جعفر قال: ولينا أبو بكر رضي الله عنه فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا. قال: وسمعت معاوية بن قرّة يقول: إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر.

ثم القائلون بالنص على أبي بكر رضي الله عنه منهم من قال بالنص الجلي، واستدلوا على ذلك باتفاق الصحابة على تسميته خليفة رسول الله ﷺ قالوا: والخليفة إنما يقال لمن استخلفه غيره واعتقدوا أن الفعيل بمعنى المفعول، فدل ذلك على أن النبي ﷺ استخلف على أمته.

والذين نازعوهم في هذه الحجة قالوا: الخليفة يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره، فهو فعيل بمعنى فاعل، كما يقال: خلف فلان فلانًا. كما قال: «**من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**». وفي الحديث أيضًا: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا**».

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[4]. أي خليفة عمن قبلك من الخلق، ليس المراد أنه خليفة على الله، والمقصود أن الله تعالى لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات جميعًا، بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله. وقيل لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: بل أنا خليفة رسول الله ﷺ، وحسبي ذلك[5].

وقال: والمقصود هنا أن كثيرًا من أهل السنة يقولون: إن خلافته ثبتت بالنص، وهم يسندون ذلك إلى أحاديث معروفة صحيحة ولا ريب أن قول هؤلاء أوجه من قول من يقول: إن خلافة علي أو العباس رضي الله عنهما ثبتت بالنص، فإن هؤلاء ليس معهم إلا مجرد الكذب والبهتان، الذي يعلم بطلانه بالضرورة كل من كان عارفًا بأحوال الإسلام، أو استدلال بألفاظ لا تدل على ذلك. فيقال لهذا: إن وجب أن يكون الخليفة منصوصًا عليه، كان القول بهذا النص أولى من القول بذاك، وإن لم يجب هذا بطل ذاك[6]. اهـ. وبذلك تسقط حجج أعداء الصحابة وعقائدهم الواهمة القائمة على خرافة الوصية والوراثة.

- وقال: فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ فهذا النبي وهذا صدّيقه فإذا كان محمد ﷺ أفضل النبيين فصديقه أفضل الصدّيقين، فخلافة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٥) انظر: منهاج السنة، ١/ ٥٠٦ - ٥١٠.
(٦) انظر: منهاج السنة، ١/ ٥١٦.

أبي بكر الصديق رضي الله عنه دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا به إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله، فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعًا[1].

وقد صدّر أبو الفداء ابن كثير أحد أبحاثه بكلمة طيبة فقال: أما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه؛ قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، فإنه قد ذكر الإمام أحمد الأحاديث التي ذكرها ﷺ ورغبته أن يكتب لأبي بكر كتابًا قبيل وفاته لكيلا يطمع في أمره طامع ولا يتمناه متمن ثم قال: «**يأبى الله ذلك والمؤمنون**». كما ورد في أحاديث استخلاف أبي بكر رضي الله عنه الكثيرة في **الصحيحين**. كما أورد ابن كثير الخطبة التي بين فيها ﷺ فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما نص عليه ﷺ أن يؤم الصحابة أجمعين وبيان ذلك مع حضورهم كلهم ولعل خطبته هذه كانت عوضًا عما أراد أن يكتبه في الكتاب[2].

وقال علي رضي الله عنه في تأبين عمر رضي الله عنه: فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما أي النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه فذكر النبي ﷺ لأبي بكر دائمًا بعد اسمه ﷺ مباشرة، إشارة إلى أنه أولى الصحابة بالتقدم من بعده، ما دام أنه ﷺ لم يفصل بين الاسمين بأي اسم آخر من أصحابه رضي الله عنهم.

وقال أبو هريرة: والله الذي لا إله إلّا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة، فقال: إنّ رسول الله ﷺ وجّه أُسَامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشُب قُبض النبي ﷺ وارتدّتِ العربُ حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله، فقالوا: يا أبا بكر ردّ هؤلاء، توجّه هؤلاء إلى الروم، وقد

(١) انظر: منهاج السنة، (١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٢٨)، وسيرة ابن كثير (٤/ ٤٥١).

ارتدّتِ العربُ حول المدينة فقال: والذي لا إله إلّا هو لو جرّت الكلاب بأرجلِ أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشًا وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللتُ لواء عقده رسول الله ﷺ فوجّه أُسَامة، فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلّا قالوا: لولا أنّ لهؤلاء قوةً ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعُهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوا ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[1].

وناقش ابن كثير الزعم القائل بأن رسول الله ﷺ قد نص على علي خليفة من بعده في ضوء الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ ووصل إلى الرأي التالي:

هذا الحديث الثابت في **الصحيحين** وغيرهما عن علي رضي الله عنه فيه رد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه حاشا وكلا ولم؟ ومن ظن بالصحابة رضي الله عنهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة رسول الله ﷺ ومضادته في حكمه ونصه ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام بإجماع الأئمة الأعلام وكان إراقة دمه أحل من المدام ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلم لم يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ثم وقد عرفه وعلمه من بعده؟ هذا محال وافتراء وجهل وضلال وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغاة والمفترين من الأنام يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان[2].

---

(١) البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ١/ ٤٧. المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (١٤٠٦٦).

(٢) ينظر ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٢١) و(٩٥٤) و(٩٥٩).

وقد ذهب أهل السنة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص، والنزاع في ذلك معروف في مذهب أحمد وغيره من الأئمة. وقد ذكر القاضي أبو يعلى وغيره في ذلك روايتين عن الإمام أحمد **إحداهما** أنها ثبتت بالاختيار، قال: وبهذا قال جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية. **والثانية** أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، قال: وبهذا قال الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث.

وقال أبو عبد الله بن حامد: فأما الدليل على استحقاق أبي بكر رضي الله عنه الخلافة دون غيره من أهل البيت والصحابة فمن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال: وقد اختلف أصحابنا في الخلافة هل أخذت من حيث النص أو الاستدلال، فذهب طائفة من أصحابنا إلى أن ذلك بالنص وأنه عليه السلام ذكر ذلك نصًا وقطع البيان على عينه حتمًا، ومن أصحابنا من قال: إن ذلك بالاستدلال الجلي، قال ابن حامد: والدليل على إثبات ذلك بالنص أخبار؛ من ذلك ما رواه البخاري من قوله للمرأة: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[1]، وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[2]، وحديث رؤيا النبي ﷺ ونزعه من القليب ونزع خليفته أبي بكر رضي الله عنه من بعده. قال: وذلك نص في الإمامة. وحديث: «**كأن ميزانًا دلي من السماء**». ورجحان أبي بكر رضي الله عنه وقوله ﷺ: «**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك لمن يشاء**»[3]. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي سبق ذكرها في هذا الباب.

وقال أبو محمد بن حزم في **الملل والنحل**: اختلف الناس في الإمام بعد رسول الله ﷺ، فقالت طائفة: إن النبي ﷺ لم يستخلف أحدًا. ثم اختلفوا فقال بعضهم: لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلًا على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر، وقال بعضهم: لا ولكن كان أثبتهم فضلًا فقدموه لذلك، وقالت طائفة: بل نص

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٤٥٩).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: «**الأئمة من قريش**»، ١٧٠٥٧.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ك. أول كتاب السنة، باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٥).

رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصًّا جليًّا، قال أبو محمد: وبهذا نقول لبراهين:

أحدها: إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[1]. فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضي الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ، وقال: ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصًّا ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه في الصلاة لم يكن أبو بكر رضي الله عنه أولى بهذا الاسم من سائر من ذكرنا.

وقال: في قوله ﷺ للمرأة: «**فأتي أبا بكر**». قال: وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه.

وقال أيضًا: فإن الخبر قد جاء من الطريق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال: «**يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**». وروي أيضًا: «**ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر**»، قال: فهذا نص ودليل على استخلافه ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على ولاية الأمة بعده.

فكان من الأمور المشهورة عند المسلمين أن أبا بكر رضي الله عنه مقدم على غيره وأنه كان عندهم أحق بخلافة النبوة، وأن الأمر في ذلك بيّن ظاهر ليس فيه اشتباه عليهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**». ومعلوم هذا العلم الذي عندهم بفضله وتقدمه إنما استفادوه من النبي ﷺ بأمور سمعوها وعاينوها وحصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصديق رضي الله عنه أحق الأمة بخلافة نبيهم ﷺ وأفضلهم عند نبيهم ﷺ، وأنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج في ذلك إلى مناظرة ولم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم أن عمر أو عثمان أو عليًّا أو غيرهم أفضل من أبي بكر رضي الله عنه أو أحق بالخلافة منه، وكيف يقول ذلك وهم دائمًا يرون من تقديم النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه على غيره وتفضيله له وتخصيصه بالتعظيم ما قد ظهر للخاص والعام.

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

حتى إن أعداء النبي ﷺ من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبي بكر رضي الله عنه من الخصائص ما ليس لغيره كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد قال: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد - ثلاثًا، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب - ثلاثًا؟ وكل ذلك يقول لهم النبي ﷺ: **«لا تجيبوه»**.

قال شيخ الإسلام: حتى إني أعلم طائفة من حذاق المنافقين ممن تقول: إن النبي ﷺ كان رجلًا عاقلًا أقام الرياسة بعقله وحذقه، يقولون: إن أبا بكر كان مباطنًا له على ذلك يعلم إسراره على ذلك بخلاف عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ، فهذا النبي ﷺ وهذا صدّيقه رضي الله عنه، فإذا كان محمد ﷺ أفضل الصديقين، فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله ﷺ فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعًا، لكن النص دل على رضا الله ورسوله ﷺ بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها. وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد. وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه رضي الله عنه من غير عهد، ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضي الله ورسوله ﷺ بذلك، كان ذلك دليلًا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص كما قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه فقال للطاهرة عائشة: **«ادعي لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[1]. فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستخلافه لهذا الأمر يغني عن العهد

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٦١٣١).

فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة إليه ولظهور فضيلة الصديق رضي الله عنه واستحقاقه ومعرفة الصحابة بذلك وهذا أبلغ من العهد(١).

فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٢). فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده، وأبو بكر رضي الله عنه ثبت بالكتاب والسنة أن الله تعالى أمر بمبايعته، والذين بايعوه كانوا أهل السيف المطيعين لله تعالى في ذلك، فانعقدت خلافة النبوة في حقه رضي الله عنه بالكتاب والحديد(٣).

وقال الطحاوي: نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة(٤). وقد اختلف أهل السنة في خلافة الصديق: هل كانت بالنص؟ وأن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رضي الله عنه؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين(٥).

ومما يؤكد اختيار النبي ﷺ لخليفته أبي بكر رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ لم يلتفت إلى تردد أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها ومحاولتها صرف الخلافة عن أبيها رضي الله عنه في ذلك الموقف الخطير. قالت الطاهرة رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر(٦). وكان في ترددها ذلك

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٥٢٤ - ٥٢٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٥٣٢.

(٤) الطحاوي: العقيدة الطحاوية ١/ ٥٧.

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٥٣٢.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح (٤١٨٠).

خير كثير أنفع من إسراعها بالتبليغ، وأول ذلك أنه أظهر رغبة النبي ﷺ في تولي أبي بكر رضي الله عنه خلافته إظهارًا لا مجال فيه للشك أو التساؤل، فكان ذلك من أدعى دواعي الاتفاق على الاختيار وقطع السبيل إلى الفتنة والشقاق[1].

وكل ما ورد من تشويش عن يوم السقيفة فهو مما تطفح به أحقاد الرافضة وما تردده عنهم الغوغاء، وليس في شيء من خلائق أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم، التي عهدها الناس عنهم في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ما يأذن لمتوهم أن يتوهم شيئًا مما يهذي به الرافضة، أو يعتقد فيهم العمل بغير إذنه وإرشاده ﷺ إلى خلافته وهو على قيد الحياة، وقد توفي النبي ﷺ وليس في أصحابه الأقربين رضي الله عنهم من كان يتوقع وفاته، ولا أدل على ذلك من أن أبا بكر رضي الله عنه ترك النبي ﷺ بعد الصلاة وهو يقول: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها؟ قال ﷺ: «نعم».

ولما خرجا إلى السقيفة لم يكن ذلك عن اتفاق أو علم منهم كما يفتري ذلك أعداء الصحابة، وإنما فجأتهم الأحداث التي أوجبت عليهم الحركة لضمان سير سفينة المؤمنين على منهج رسول الله ﷺ، إذ هم الأعرف والأقدر على إدارة دفة الأحداث في ذلك المنعطف الخطير، ولم يتفقا أيهما الذي يخاطب الأنصار، ولا بماذا يخاطبونهم، وكان أبو بكر رضي الله عنه يخشى حدة عمر رضي الله عنه فيستمهله ويخاطب إخوانه الأنصار قبله؛ مما يوضح إفك أعداء الصحابة ويبين بهتانهم حين يزعمون أن ذلك تم باتفاق قديم.

ثم إن قول أبي عبيدة لعمر أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين! يلجم المستشرقين ومجوس هذه الأمة فيما يفترونه عن تفاهم على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، ومن ثم تعاقب الخلافة بعده كما يروج الرافضة ذلك ويدينون به لما يوافق أهواءهم وغدرهم وكل إناء بالذي فيه ينضح، وإنما صنعوا تلك الشبهة لتغذية بغض الراشدين رضي الله عنهم وإلا فقد يكون

---

(١) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٠.

عمر رضي الله عنه فاتح أبا عبيدة رضي الله عنه لاستطلاع ما عنده من الرأي والرغبة أو بعد أن رأى إعراض الصديق رضي الله عنه عن ذلك، وعلى كل تلك الأحوال فإن الأمر لم يكن قابلًا لأن يحصل فيه غير ما حصل، وذلك واضح بعد استقصاء كل فرض، وتمحيص كل رواية. وكل ما يثار حول ذلك اليوم العصيب ما هو إلا من أماني أعداء الصحابة وأحلامهم، ولا سيما أن كل من له أدنى اطلاع يعلم أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو المنتخب ليسد مسد رسول الله ﷺ في حال غيبته ﷺ فيما يفترض أن يتفرد به رسول الله ﷺ في مثل الهجرة والحج والصلاة بأصحابه بين يديه ﷺ.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أول أمير للحج بعث به النبي ﷺ وهو بالمدينة، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة واتفق في طريقه أنه دعا إلى صلاة الصبح فسمع صوت رغاء ناقة وراء ظهره، فوقف عن التكبير وقال: هذه رغوة ناقة النبي ﷺ الجدعاء فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه. فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الناقة فسأله أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: بل رسول. ولم آت - أي من نفسي - فكان علي رضي الله عنه أحد أفراد المؤمنين الذين كانوا بصحبة أميرهم الصدّيق رضي الله عنه ومكلفًا بالمناداة بين يدي أبي بكر وفي مجامع القبائل بما جاء في سورة التوبة من براءة الله ورسوله ﷺ من المشركين وتحالفاتهم وعقائدهم.

ويلتبس الأمر على الجهلاء بين دعوة النبوة وطلب السلطان والاستعلاء في حين يتعمد ذلك الرافضة والمغرضون فيزعمون أن النبوة إنما هي تمهيد لدولة هاشمية أو وراثة دنيوية فتسرح خيالاتهم في هذه الميادين التي تعالى عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلم يعد لهم همٌّ يدور في أذهانهم سوى هم الإسلام وحفظ رسالته، ولهذا لم يولِّ النبي ﷺ أحدًا من قرابته ولاية أو عمالة لا في مكة ولا المدينة ولا في غيرهما، بينما توفي ﷺ وكان له العديد من الولاة من بني أمية خاصة ومن بقية الأنصار والمهاجرين عامة، فبأي لسان يعيب المناصبون لرسول الله ﷺ العداوة من الرافضة ومن يودهم من الغوغاء برّه ﷺ لأبناء عمومته من بني أمية الساسة القادة الحلماء الكرماء الفاتحين؟

قال معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين**»[1]. ولم يقل ﷺ: في بني هاشم أو في بني عبد المطلب، ولو شاء لقال ذلك ﷺ.

ونقول: إن النبي ﷺ علم بمصير الخلافة على الوجه الذي صارت إليه، لأننا لا نستطيع أن نفهم أنه ﷺ ترك هذه المسألة وهو يتوقع فيها الفشل والفتنة ولم يبرم فيها حكمًا يدفعهما به ما استطاع[2].

وكان بنو هاشم مع هذا لا يتفقون على اختيار واحد من رؤسائهم الثلاثة العباس وعلي وأخيه عقيل، ولم يكن علي بين هذا وذاك قد جاوز الثلاثين إلا بسنوات قلائل وهي عقبة من العقبات التي لا يسهل تذليلها في أمة ترعى حق السن وتقديم الشيوخ، إلا بوصية ظاهرة من النبي ﷺ ولم تكن هناك وصية من هذا القبيل كما اتفق عليه كل سند وثيق، وقد نظر ﷺ - ولا ريب - إلى كل ما يستحق النظر في مسألة الخلافة وهو يرشح لها أبا بكر رضي الله عنه وذلك الترشيح الأبوي الذي يؤنس بالرأي ولا يقحمه على القلوب. فتم في يوم واحد كل ما ينبغي أن يتم في يوم[3].

ولم يكن القوم طلاب ملك كما هو حال الرافضة وحلفائهم، وكانوا يحسون ما أحسه المسلمون جميعًا إذ قالوا: إن النبي ﷺ قد ائتمن أبا بكر رضي الله عنه على الدين بتقديمه للصلاة، فكيف لا يؤتمن على الدنيا؟ وكانوا يعلمون أن المهاجرين مقدمون في القرآن على الأنصار، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[4]. فلم يكن إيمانهم بحقهم في الخلافة إيمان من

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. المناقب، باب مناقب قريش، ح (٣٣٠٩).

(٢) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٥.

(٣) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

يغضب لفواتها ويستميت في طلبها، ولم يكن حرصهم على السلطان أشد من حرصهم على الدين ومصلحة المسلمين.

وصفوة القول أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت نتيجة لكل مقدمة سبقتها من فعل الحوادث، أو من فعل أحد عامدًا أو غير عامد. وغير هذه الخلافة ما كان ليكون، إلا الفتنة التي لا يجدي فيها اختيار هذا ولا اختيار ذاك، ولا يغني فيها تدبير ولا تقدير، وهذا ما يتحسر عليه رافضو الخلافة الذين ما زالوا يعملون على شق صف الأمة وتدمير أسس وحدتها التي تحققت في السقيفة تحت رعاية أبي بكر رضي الله عنه.

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه الخليفة الأول؛ لأنه كان الصديق الأول، ولأن شروط الخلافة التي اجتمعت له لم تجتمع لأحد غيره، وليس له منازع فيها بين أهل عصره، ولأن المزايا التي قد يرجحه بها أنداده وقرناؤه لا تضيع على الإسلام بولايته عليهم ومعونتهم إياه. فكان اختياره أصح اختيار عرف في تاريخ الولاية، وكانت التوفيقات فيه غنية من التدبير والتمهيد، فإن لج بعض المكابرين مع هذا في دعوى التدبير فأنعم به تدبيرًا ينقطع به الخلاف، ويتم به أصح استخلاف[1].

فكان خليفة رسول الله رضي الله عنه أثبت الصحابة جنانًا، وأكثرهم شجاعة في حياة الرسول ﷺ أو حين انتقاله ﷺ إلى ربه، وثبات جنانه مما أشرنا إليه سابقًا في مواقفه في الجهاد مع رسول الله، وثبات جنانه يوم وفاته في الوقت الذي استبد فيه الحزن واليأس ببقية المسلمين، وكيف بعث جند أسامة إلى حدود الروم، وكيف تصدى للمرتدين بعزيمة لا تلين، وكيف ضرب جبروت الفرس والمجوس وطغيان الروم الصليبيين في وقت واحد وفي قرار فريد في شأنه تتزلزل أمام تبعاته الجبال الرواسي ولكن إيمان أبي بكر رضي الله عنه ويقينه كان أرسخ من الجبال وأقوى من جبروت وطغيان الفرس والروم، فذلك القرار الذي فتح أبواب الكون بأجمعه أمام جند الإيمان لا يشبهه قرار آخر، ولم يتخذ أحد قرارًا

(١) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٣.

مثله على مر العصور، وسيبقى ذلك مفخرة ومأثرة تفرد بها أبو بكر رضي الله عنه، وليكون جوهرة في عقد خصائصه الكثيرة.

وكان من أخلاقه التي تُظهر فيه خلافة النبوة بجلاء ظاهر ذلك التواضع الجم الذي تتعلق به القلوب والأرواح عاملًا آخر من عوامل تمسك المهاجرين والأنصار بخلافته رضي الله عنه، ومع كثرة الانتصارات الباهرة التي حققها رضي الله عنه لم يتغير عمّا كان عليه، فكان يأكل من عمل يده ويقوم بخدمة الأنصار والمهاجرين بيده رضي الله عنه، ومن ثم زهده الكامل بدنيا الناس وما فيها، حتى إنه رد إلى بيت المال مقابل كل ما انتفع به من مال المسلمين من ماله الخاص مبالغة في إخلاص العمل لله تعالى لكي تتجلى فيه أخلاق خلافة النبوة المباركة، فأين ذلك التواضع وتلك القيم بعد تلك الصفوة المباركة؟ وأين ذلك مما يعيشه الناس في هذا العصر مع المتسلطين على العباد باسم قيادتهم وسياستهم، حتى غدا الرجل إذا استلم المسؤولية ترفع عن الناس وأصبح لا يكلمهم إلا من وراء حجاب وبأنف شامخ وبعد اجتياز عدد من السدود والأسوار من الجند، مما يؤكد ويوضح الفارق بين أخلاق الحكام المؤمنين والحكام العلمانيين وإخوانهم. وكان الخليفة رضي الله عنه يتجول في النهار في الأسواق ويسأل عن شؤون الناس ويتجول في الليل يتفقد أحوال الأمة والمحتاجين.

وإذا نظرنا إلى الجانب المالي الذي عليه مدار الحياة حسنها وسيئها فقد كان أبو بكر رضي الله عنه رجلًا تاجرًا يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع فلما استخلف أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، لم يغيره الموقع عن خُلق كان عليه رضي الله عنه فأين البشرية اليوم من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم؟ فإن الخزينة قد أضحت بعدهم بيد أشخاص ينفقون منها كيف يشاؤون ويتصرفون كما يريدون، كما أصبحت لهم نفقات مستورة لا حصر لها، وتكدست لهم الأموال في المصارف خارج البلاد حتى غدت دول أجنبية معادية للأمة بهويتها وعقيدتها تعيش على هذه الأموال التي يحرم على المسلمين الانتفاع بها.

بينما كان خطاب عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه للمقوقس حاكم مصر قبل فتحها أثناء حديثه معه: لو كانت الدنيا كلها لنا، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فلا شك أن قادة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هذا عملهم وهذا دأبهم ستستقيم معه رعيتهم وسينظرون إليهم بعين التقدير والإكبار وسيشعرون أنهم في طمأنينة وسيعيشون في أمن وسلام فيأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا شك أن في كل مجتمع وفي أي وقت عناصر تحاول الإساءة وتسعى للفساد، وترغب في خدمة مصالحها الخاصة إلا أن أعين الخلفاء الراشدين لم تكن غافلة عنهم، بل كانت لهم بالمرصاد تجبرهم على الاستقامة والسير على الطريق المستقيم وذلك بالقوة إن لم تجد معهم النصيحة، فلم يكن سلوك أولئك الخلفاء نتيجة ضعف وخوف، وإنما كان ذلك ثمرة أخلاق التربية الإسلامية السليمة والخوف من الله سبحانه وتعالى والسير على منهجه، ولا شك أن الإسلام الذي نشأت عليه الرعية آنذاك هو الذي ولد المراقبة في النفوس فخافت الله واتقته ونصحت لأئمتها ولسائر المسلمين وشعرت بأخوتها لكل أبناء مجتمعها فكانت الأمة الفاضلة هي التي قادها الراشدون وهم الذين قال الله فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ومما يؤكد وفاء الأنصار لخليفة رسول الله ﷺ وبهتان أعداء الصحابة عليهم:

حينما أخذ أسعد بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه يوم بيعة العقبة بيد رسول الله ﷺ. وقال: رويدًا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: يا أسعد أمط عنا بيدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها[2]. فهل يعقل أن أمثال هؤلاء الرجال يتصارعون ويفترقون من أجل الخلافة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، مناقب الصحابة، ح (٧٠١٢).

بعد أن أعطوا العهود والمواثيق على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأثرة عليهم وألا ينازعوا الأمر أهله؟ إن هذا الحوار الذي جرى بين صحابة رسول الله ﷺ يوم العقبة يعكس لنا نقاء المشاعر واليقين الذي يثمر الفداء الذي لا يكافئه متاع الدنيا، وأنه لم يكن للدنيا أدنى أثر في تحريك هؤلاء الصحابة صوب السقيفة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ ولكنها الرغبة في ألا يبيتوا ليلة دون إمامة.

وإن تأمل نصوص بيعة الأنصار الثانية في العقبة لرسول الله ﷺ على حرب الأحمر والأسود وإعطاء رسول الله ﷺ ما اشترطه لنفسه على القوم كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف لومة لائم[1]. وصحابة رسول الله ﷺ ومنهم سعد بن عبادة رضي الله عنه يستحيل أن ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أن يد الله كانت فوق أيديهم يوم بايعوا رسول الله ﷺ وأنهم بذلك بايعوا الله عز وجل.

والجدير بالذكر أنهم بايعوا على أثرة عليهم[2] ولذلك حينما ذَكّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه سعد بن عبادة رضي الله عنه بقوله ﷺ: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هذا الأمر**». قال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء[3]. كما اتضح ذلك في مواضعه.

ولقد كان سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه من السابقين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ويعلم أنه من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية، ويعلم أنه يجب أن يسمع

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الفتن، قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**»، ح (٦٦٤٧).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الفتن، قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**»، ح (٦٦٤٧) والأثرة هي الاستئثار بالدنيا.

(٣) الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، ح (١١٣٣).

ويطيع ولو ولي عليه عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ويعلم من توجيهات نبيه محمد ﷺ من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، ويعلم أيضًا أنه أعطى ميثاقًا على السمع والطاعة في المنشط والمكره؛ فهل من المتصور أن يلقي بكل هذه المواثيق عرض الحائط في سبيل منصب يعلم أن توليه مسؤولية عظيمة بين يدي الله تعالى؟ وأن الصحابة كانوا يتدافعونه ويخشون تبعاته على سلامة جهادهم مع رسول الله ﷺ، فهل يبيع آخرته بدنياه كما يردد ذلك أعداء السنة؟ إن العرض المزعوم لمواقف الأنصار في يوم السقيفة يدحضه ويكذبه مواقفهم المعروفة بيقين في بيعة العقبة وما عرضناه آنفًا يعد أكبر دليل على وفاء الصحابة رضي الله عنهم وصدقهم وعلى زيف كل رواية وضعت للتشكيك في أخوة الصحابة رضي الله عنهم وطاعتهم وتعاونهم.

فيقال لأعداء الصحابة من المنافقين والمرتدين والملحدين الطاعنين على الله تعالى في مدحه للصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] والطاعنين على رسول الله ﷺ في مدحه لأصحابه الكرام وقوله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2]. والطاعنين على المهاجرين والأنصار في اجتماعهم على تقديم الصديق رضي الله عنه إمامًا وقائدًا وخليفة لرسول الله ﷺ، فيقال لهم: أكان اجتماعهم عليه رضي الله عنه على إكراه منه لهم بالسيف أو تأليف منه لهم بمال، أو غلبة بعشيرة؟ فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه وكل ذلك مستحيل منهم؛ لأنهم كانوا هم الإخلاص والمروءة والدين والنصيحة، ولو كان حصل شيء من هذه الوجوه أو أجبر واحد منهم على المبايعة كارهًا لكان ذلك منقولًا عنهم ومنتشرًا. أمَا وقد أجمعت الأمة على ألا إكراه، والغلبة والتأليف غير ممكن منهم وعليهم، فقد ثبت أن اجتماعهم عليه رضي الله عنه إنما كان لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة، فقدموه وبايعوه لما خصه الله تعالى به من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سنن الترمذي، ك. الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، (٢٢٢١)، المستدرك، ك. معرفة الصحابة، مناقب جعدة بن هبيرة المخزومي، (٤٨٧١).

المناقب والفضائل، كما ثبت رد الرافضة لقول الله تعالى ولقول رسوله ﷺ فاتضح حقدهم على الصحابة وخروجهم عما جاء به رسول الله ﷺ.

ويقال: اذكر أيها الأفاك الطاعن في إمامة الصديق رضي الله عنه ما تحتج به فستعارض بنقضه، وأخطر الطاعنين على خلافة النبوة هم أولئك الذين يعملون بكل وسعهم على صنع عداوة مكذوبة بين خليفة رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه، لكي يحققوا أهدافهم بإحداث الفرقة وتغذية الفتن فيحتجون بما لعلي رضي الله عنه من الفضائل والمدائح مما لا ينكره أهل السنة الذين يحبون جميع الصحابة، وفي مقدمتهم الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى هذا الترتيب، وكل ترتيب آخر مخالف لما عمل به المهاجرون والأنصار إنما هو زندقة وباطنية وشعوبية ومحاربة للكتاب والسنة وحملتهما، فإذا احتج أفاك بالأخبار يقال له: لزمك القبول بها من مخالفيك وإلا تكون أخبارك عليك، فإذا قبلت الأخبار، قبلت منك، فكانت لك وعليك. فإذا احتج بالأخبار وقال: قال ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**[1]. قيل له: مقبول منك، ونحن نقول: وهذه فضيلة بينة لعلي رضي الله عنه، ومعناه: من كان النبي ﷺ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه. ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2]. وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[3].

والولي والمولى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[4] أي: أن الكافرين لا وليّ لهم وهم عبيده وهو مولاهم وإنما أراد لا وليّ لهم. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

(١) ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٥٠).
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.
(٤) سورة محمد، الآية: ١١.
(٥) سورة التحريم، الآية: ٤.

وقال: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴾[2]. وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين وبغضهم له، وكذلك قال ﷺ: «**لا يحبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»[3]. كما قال ﷺ: «**علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار**»[4]. وحكي عن ابن عيينة في مناسبة الحديث: أن عليًا رضي الله عنه وأسامة بن زيد رضي الله عنهما تخاصما فقال علي لأسامة: أنت مولاي، فقال أسامة: لست لك مولى، إنما مولاي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» وهذا كما يقول الناس: فلان مولى بني هاشم، أو مولى بني أمية، وإنما الحقيقة هو مولى واحد من بني هاشم أو بني أمية وهكذا[5].

ولا شك أن كل هذا واضح بين لكل مؤمن عاقل، ولكن أصحاب السوء دائمًا يبحثون عن المعايب والثغرات، ليدخلوا من خلالها ضلالاتهم وتحريضاتهم فهم لا يبحثون عن الحقيقة ولن يبحثوا عنها، وإنما لديهم ثقافة حاقدة يسيرون بوحيها وتوجيهها ويعملون على تغذيتها في كل مواقفهم، فلا يرون حقًّا إلا إذا توافق مع أحقادهم، ولا ينكرون منكرًا إلا إذا صادم أهواءهم، فهؤلاء هم الشر المستطير؛ لأن هدفهم القتل والدمار وتغيير الدين والعقيدة والانتقام من كل من عمل لها مخلصًا أمينًا. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[6].

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ح (٣٧٣٦).

(٤) صحيح البخاري: باب علامة الإيمان حب الأنصار، ١/ ١٤.

(٥) ينظر: البلاذري: الشيخان، ٢٢٠. (٦) سورة المنافقون، الآية: ٤.

وقال: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[(1)]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[(2)]. وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين وبغضهم له، وكذلك قال ﷺ: «**لا يحبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»[(3)]. كما قال ﷺ: «**علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار**»[(4)]. وحكي عن ابن عيينة في مناسبة الحديث: أن عليًّا رضي الله عنه وأسامة بن زيد رضي الله عنهما تخاصما فقال علي لأسامة: أنت مولاي، فقال أسامة: لست لك مولى، إنما مولاي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» وهذا كما يقول الناس: فلان مولى بني هاشم، أو مولى بني أمية، وإنما الحقيقة هو مولى واحد من بني هاشم أو بني أمية وهكذا[(5)].

ولا شك أن كل هذا واضح بين لكل مؤمن عاقل، ولكن أصحاب السوء دائمًا يبحثون عن المعايب والثغرات، ليدخلوا من خلالها ضلالاتهم وتحريضاتهم فهم لا يبحثون عن الحقيقة ولن يبحثوا عنها، وإنما لديهم ثقافة حاقدة يسيرون بوحيها وتوجيهها ويعملون على تغذيتها في كل مواقفهم، فلا يرون حقًّا إلا إذا توافق مع أحقادهم، ولا ينكرون منكرًا إلا إذا صادم أهواءهم، فهؤلاء هم الشر المستطير؛ لأن هدفهم القتل والدمار وتغيير الدين والعقيدة والانتقام من كل من عمل لها مخلصًا أمينًا. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(6)].

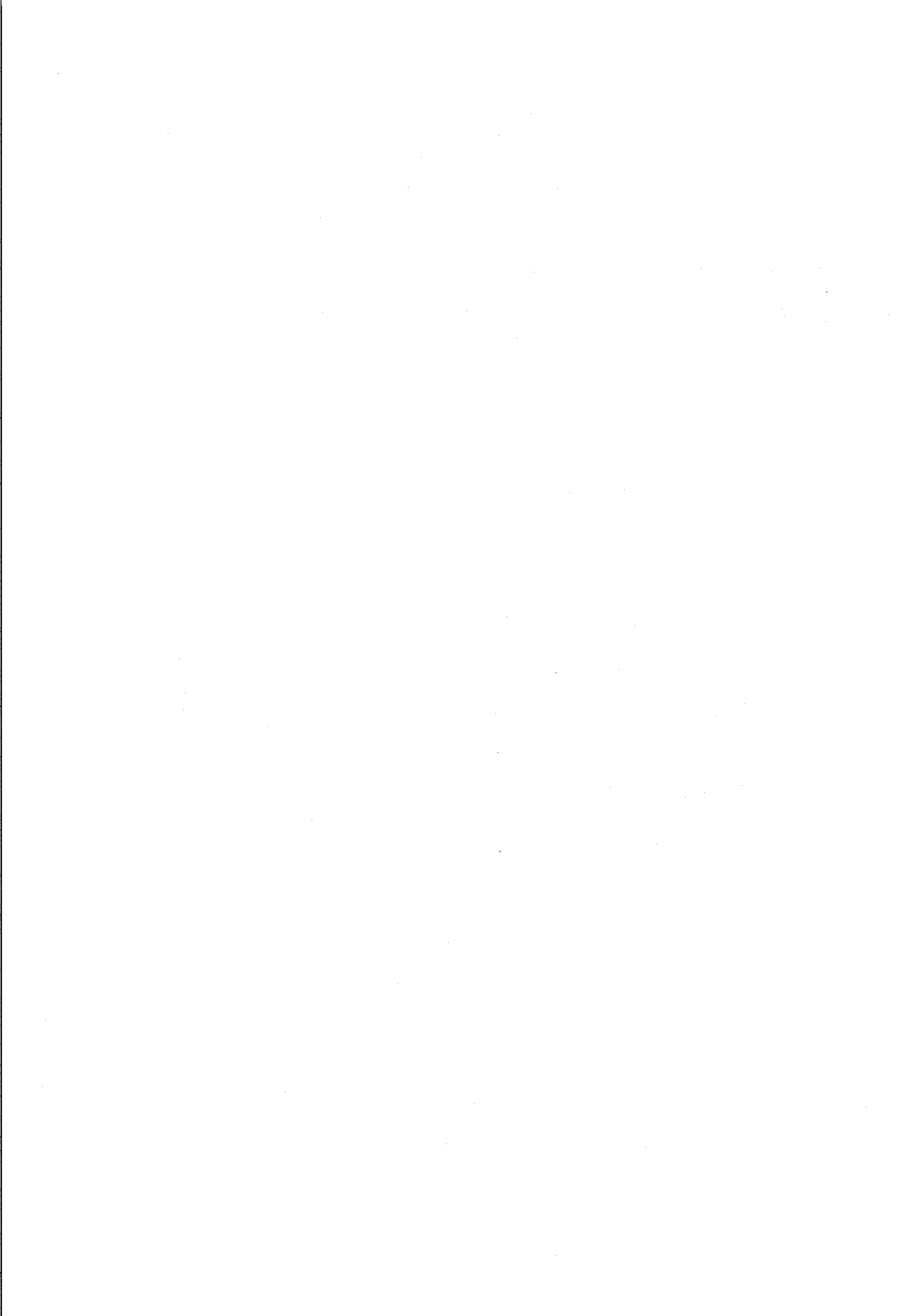
***

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.   (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ح (٣٧٣٦).

(٤) صحيح البخاري: باب علامة الإيمان حب الأنصار، ١/ ١٤.

(٥) ينظر: البلاذري: الشيخان، ٢٢٠.   (٦) سورة المنافقون، الآية: ٤.



المبحث الخامس

الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم

لما كان الصحابة رضي الله عنهم على علم بمكر أعداء الإسلام الرافضين لخلافة النبوة وإمامة السنة المطهرة، من المرتدين والمنافقين والمشركين وغيرهم فإنهم سرعان ما أنجزوا بيعة خليفة رسول الله ﷺ في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ، وذلك كي لا يبقوا ليلة واحدة دون إمام وليثبتوا أنهم أقدر الناس على تحمل مسؤولياتهم مع أن مصابهم بفقد نبيهم ﷺ كبير، وكان تسليم الصحابة رضي الله عنهم يوم السقيفة لخليفة رسول الله وتقديمه في مكان رسول الله ﷺ كتسليمهم له في الحج والصلاة والفتيا والعلم والقيادة في حياة النبي ﷺ، وبيعته رضي الله عنه أوضح من أن تحتاج إلى نص أو وصية أو كتاب مكتوب بخط اليد!! وإن كان النبي ﷺ أراد أن يعهد إليه رضي الله عنه ويكتب في ذلك كتابًا كما جاء ذلك جليًّا في الصحاح، وكما تقدم ذكر ذلك في أكثر من موضع في هذا الفصل؛ إلا أنه اكتفى عن ذلك بالإشارة والتنبيه والتعليم والإرشاد حين رأى أنه لا حاجة إليه، وعبر عن ذلك بقوله: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[1]. ولما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «**ائتوني بكتاب**

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٦١٣١).

أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده...». ثم قال ﷺ: «**قوموا عني**»[1]. وترك أمر الكتابة لأبي بكر رضي الله عنه لعدم أهمية ذلك لمعرفة جميع الصحابة بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ، ولو كان ذلك ضروريًا أو مُعَارَضًا من أحد أو ممن تتوقف عليه مصلحة للأمة لا يضمن النبي ﷺ حصولها بدونه لما تركه لأي أمر كان؛ لأنه ﷺ معصوم عن ذلك، وهو الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ﷺ.

وجميع المؤمنين يعلمون أن أبا بكر رضي الله عنه هو الأولى بالخلافة ويأبون أن يتولى عليهم في وجوده غيره ولا يحتاج علم ذلك إلى كتاب أو أدلة ترجيح لأن تقدم الإمام الثاني في غياب الإمام الأول أمر مفروغ منه بلا كتاب ولا حساب[2] وقد ظهر كل هذا جليًا في خطبة أبي بكر رضي الله عنه وحججه التي أثبتت سيادة المهاجرين للأمة ومن بعدهم إخوانهم الأنصار كشركاء للمهاجرين في كل خير، كما اتضح في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه هو إمام الجميع بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو المرجع الذي يعود إليه المهاجرون والأنصار وكل من آمن بالنبي ﷺ يتضح ذلك فيما دار بين أبي بكر رضي الله عنه وبين بعض إخوانه الأنصار حول مسألة الخلافة وإقرارهم بكل ما قاله رضي الله عنه.

ولما مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم إلى السقيفة وجدوا سعد بن عبادة رضي الله عنه على طنفسة متكئًا على وسادة وعليه الحُمّى، فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجل منكم[3].

ولما تكلم أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة لم يترك شيئًا نزل في الأنصار رضي الله عنهم أو ذكره النبي ﷺ في شأنهم إلا وذكره كما اتضح ذلك في مواضعه. مثل قوله ﷺ: «**لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا، سلكت وادي الأنصار**»، وذكَّرهم بما كان

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. العلم، باب كتابة العلم، ح (١١٤).
(٢) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، إمامة الصديق رضي الله عنه، ٥١.
(٣) البلاذري: الشيخان، ١١٧.

رسول الله ﷺ قرره في شأن الخلافة وتقديم قريش على من سواها.

من مواقف الأنصار يوم السقيفة:

ومن مواقف الأنصار يوم السقيفة موقف أُسيد بن حضير الكتائب الأوسي الأشهلي رضي الله عنه وهو من أثبات الأنصار وكبار قادتهم وأهل الطاعة فيهم، حيث قام في ذلك اليوم فقال: يا معشر الأنصار، إنه قد عظمت نعمة الله عليكم أن سماكم الأنصار، وجعل فيكم الهجرة، وقبض فيكم رسول الله ﷺ؛ اجعلوا ذلك شكرًا، فإن هذا الأمر في قريش دونكم، فمن قدموه فقدموه، ومن أخروه فأخروه[1].

ثم قام بشير بن سعد الخزرجي رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار: إنما أنتم بالمهاجرين، وإنما المهاجرون بكم فإن كانت دعواكم حقًّا فلم يتعرف فيكم المهاجرون، وإن قلتم: نصرنا وآوينا. فما أعطاكم الله خير مما أعطيتم أنفسكم، ولا تكونوا ممن بدلوا نعمة الله كفرًا، وأحلوا قومهم دار البوار... ثم قال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك إلا أن محمدًا ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى ولا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبدًا.. فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم[2].

ثم قام عويمر الأنصاري فقال: يا معشر الأنصار، إن يكن الأمر فيكم دون قريش فانفروا حتى نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلموا لهم بذلك، فوالله ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أبا بكر خليفته حين أمره أن يصلي بالناس. وقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب - كناية عن الخبرة والمعرفة - منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش[3].

---

(١)، (٢) الواقدي: الردة، ٣٣. ابن أعثم: الفتوح، ١/ ٣. الخليفة: الإنصاف، ١٠٢. الطنطاوي، أبو بكر، ١٦١.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ك. المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى، (٦٤٤٢)، =

وقام حُباب بن المنذر وكان بدريًّا رضي الله عنه فقال: منا أمير ومنكم أمير، فإنّا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكنا نخاف أن يليها - أو قال: يليه - أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم. قال فقال له عمر: إذا كان ذلك فمت إن استطعت. فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقد الأبلمة - يعني الخوصة. فبايع أول الناس بشير بن سعد أبو النعمان(١).

وقال رجل من الأنصار: منا رجل ومنكم رجل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سيفان في غمد واحد إذًا لا يصطلحان. فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال: من هذا الذي له هذه الثلاث؟ ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ من هما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾، من صاحبه؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٢)، مع من هو؟ فبسط عمر يد أبي بكر فقال: بايعوه. فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها(٣). ولما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير. أتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر بعد ذلك؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر(٤).

وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته يومئذ: إنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك يختلف أمرهم وأحكامهم وتتفرق جماعتهم ويتنازعوا فيما بينهم، هنالك تترك السنة وتظهر البدعة وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح(٥).

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قام خطيب الأنصار فقال: تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصار

= ابن حنبل، آخر مسند عمر (٣٩٣).

(١) المقدسي: تحفة الصديق، ٥٨. (٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) البيهقي: السنن، ك: قتال أهل البغي، باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦).

(٤) البلاذري: الشيخان، ١١٥.

(٥) البيهقي: السنن، ك: قتال أهل البغي، باب: لا يصلح إمامان في عصر واحد، ح (١٧٠١٧).

خليفته كما كنا أنصاره. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نتابعكم. ووثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة(١).

وقالت الأنصار رضي الله عنهم بين يدي خليفة رسول الله ﷺ: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وما خلق الله قومًا أحب إلينا ولا أعز علينا منكم، ولا أرضى عندنا هديًا منكم، ولكنا نشفق بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم أصلًا منكم، فإذا مات أخذتم رجلًا من الأنصار فجعلناه، فإذا مات أخذنا رجلًا من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبدًا ما بقيت هذه الأمة، بايعناكم ورضينا بذلك من أمركم، وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي، إن زاغ أن ينقض عليه الأنصاري. فقال عمر رضي الله عنه: لا ينبغي هذا الأمر ولا يصلح إلا لرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلا به، ولن تعرف العرب الإمارة إلا له، ولن يصلح إلا عليه(٢).

وتتابع خطباء الأنصار في الكلام، حتى قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وقد أصبح الحق واضحًا: يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر نبي الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن. ثم أخذ بيد أبي بكر ليبايعه، فبادره رجل من الأنصار فضرب على يد أبي بكر، قبل أن يضرب عليها عمر قائلًا: والله لا يبايعه أحد قبلي... ثم تتابع الناس مبايعين الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ(٣).

- وعن الحَسَن في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٤) فقال الحَسَن: تدرون من هم؟ هم والله أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم(٥).

وقال عمر رضي الله عنه: قلت لأبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: ابسط يدك يا أبا بكر،

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣١٣. ابن أبي شيبة: المصنف، ٤/ ٥٦١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٣٤. الخليفة: الإنصاف، ١٠٢.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣١١.

(٣) المقدسي: تحفة الصديق، ٥٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٠.

فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار[1]. وعند ابن عقبة: ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير يستبقان ليبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع، ثم بايعا معًا. وفي بعض الروايات أن بشير بن سعد سبق عمر رضي الله عنهم[2]، فبايعه الناس أحسن بيعة وأجملها[3].

ومن خطب يوم السقيفة

خطبة خليفة رسول الله في الأنصار رضي الله عنهم:

وفي يوم السقيفة تشهَّد أبو بكر رضي الله عنه وأنصت القوم فقال: إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا، إلى ما دعانا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلامًا، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة، وأوسط الناس أنسابًا في العرب، ولدتنا العرب كلها، فليس منا قبيلة إلا لقريش فيها ولادة، ولن تعترف العرب ولا تصلح إلا على رجل من قريش، هم أصبح الناس وجوهًا، وأبسطهم لسانًا، وأفضلهم قولًا، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم قسمة الأبلمة، وأنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين، وأحب الناس إلينا، وأنتم الذين آووا ونصروا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لفضيلة ما أعطى الله إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس ألا تحسدوهم على خير آتاهم الله إياه وأما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم.

---

(١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب آخر مسند عمر، (٣٩٣). الطبراني: المعجم الكبير، ك. الحاء، باب حباب بن المنذر، ح (٣٥٩٧).

(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٨٩. الساعاتي: الفتح الرباني، ١٢/ ١٥٩.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٩٤. الخليفة: الإنصاف، ١١٧.

قال عمر رضي الله عنه: وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرها. لذلك قال عمر رضي الله عنه: كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه[1]. فإذا كان هذا موقف الفاروق بين يدي خليفة رسول الله فمن الذي يتقدم بين يديه من الناس؟ وكيف يجرؤ أحد أن يردد مثل هذه الأباطيل إلا من طمس الله على قلبه وعقله؟

وقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وأمرك رسول الله ﷺ حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق بهذا الأمر. أي أمر الخلافة.

وقال عمر رضي الله عنه: فأيما رجل بايع رجلًا من دون مشورة المسلمين قتل هو والذي بايع له.

وقال: وأيكم تقطع دونه الأعناق كأبي بكر[2]؟! أي أنه لو بذل أحدكم عمره لن يستطيع اللحاق بخليفة رسول الله أو الاقتراب من مرتبته التي لا يناقش فيها إلا مرتاب ولا يغمطها حقها إلا منافق معلوم النفاق، ولهذا فإن بيعة أبي بكر متفردة لا يقاس عليها بيعة أخرى، وذلك لتفرد صاحبها فلا يقاس عليه أحد لانعدام النظير، والقياس مع الفارق لا يصح كما يقال.

وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته: إن هذا الأمر في قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره، قد بلغكم ذلك أو سمعتموه من رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[3]، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، إخواننا في الدين وأنصارنا عليه، وفي خطبة عمر رضي الله عنه بعده: أنشدكم بالله يا معشر الأنصار ألم

(١) صحيح البخاري، ك. المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى في الزنا، ح (٦٤٤٢).

(٢) ابن كثير: سيرة ابن كثير: ٤/ ٤٨٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

تسمعوا رسول الله ﷺ أو من سمعه منكم وهو يقول: «**الولاة من قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره**»، فقال من قال من الأنصار: بلى الآن ذكرنا. قال: فإنا لا نطلب هذا الأمر إلا لهذا، فلا تستهوينكم الأهواء، فليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون[1]؟

وأما قول عمر رضي الله عنه: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها؛ فلأنها تمت من دون تحضير وتشاور وتروٍّ لسبب واحد فقط؛ هو معرفة الصحابة بمقام خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه وأنه لا يوجد مسوغ للتروي والتشاور أمام كل الذي يعرفونه عن مكانته ومقامه عند رسول الله ﷺ وتقديمه له في كل الملمات وكما اتضح ذلك جليًا في الحديث عن يوم الرزية.

فهي فلتة في الدهر لا شبيه لها ولن تتكرر مرة أخرى لأنه لن يتكرر في الوجود مرة أخرى شخص مثل أبي بكر رضي الله عنه، فكما أنه لن يكون هناك نبي بعد محمد ﷺ كذلك لن يكون هناك رجل يُنزِل فيه الله تعالى قرآنًا يخاطب الناس إلى يوم القيامة بأن أبا بكر رضي الله عنه هو ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ في الأمة.

ولهذا فإن أي تشكيك في بيعة خليفة رسول الله ﷺ أو غمز أو طعن، فإنما هو إحدى وسائل الهدم التي يمارسها أعداء الصحابة في حربهم المعلنة والسرية على السنة وأهلها؛ ولا تخرج عن برامجهم المتمثلة في قلب الحقائق وتكذيب النصوص الثابتة والحقائق الساطعة ورد قول الله وقول رسوله ﷺ والعمل على نزع هيبة الكتاب والسنة وحملتهما من صدور الناس؛ توطئة لإقصائهما والإسهام في إعداد الأرض وتهيئتها بملئها بالظلم والفجور والشرك؛ لخروج الدجال الذي حذرنا رسول الله ﷺ منه ومن كيده ومكره، فصرح ﷺ للأمة بكل علاماته[2] حتى أصبح المسلمون على بينة من أمرهم لا يستطيع أحد أن يخدعهم أو يحرفهم عن سنة نبيهم ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم، بل إن محبة الصحابة

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٥).

(٢) البخاري: ك. فضائل المدينة، باب. لا يدخل الدجال المدينة، ح (١٧٨٢)، ك. الأنبياء، ح (٣١٦٠)، مسلم: صحيح مسلم، ك. الفتن، باب ذكر الدجال، ح (٧٢٨٨).

والاقتداء بهديهم الموصول بباب رسول الله ﷺ أصبح علامة بين أتباع محمد ﷺ ومحبيه، وبين أتباع الدجال المنتظر الذي تعمل يهود مع أعداء الصحابة وفاقدي الهوية ونابتة السوء في الأمة لنصرته من خلال العمل على إطفاء نور القرآن والسنة وإعلان الحرب على التوحيد والحجاب والعفاف والوحدة والمساجد والقرآن والحفّاظ والقراء وعلى السلام والعدل والأخوة في الأرض، ومناصرتهم لعبادة القبور والأوثان وتأليه البشر وطمس السنة النبوية والتدين بما يضاهيها من تعظيم تشريعات وسنن الآلهة الصغار.

وقال خليفة رسول الله في خطبته في ذلك اليوم:

نحن - المهاجرين - أول الناس إسلامًا وأكرمهم أحسابًا وأوسطهم دارًا وأحسنهم وجوهًا وأكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحمًا برسول الله ﷺ.

أسلمنا قبلكم وقدمنا الله تعالى في القرآن عليكم. فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[1].

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرًا والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا.

فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضاء بقضاء الله والتسليم لأمره ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين، فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...

وتكلّم عمر فقال: يا معشر الأنصار، أتعلمون أن رسول الله ﷺ أَمَرَ أبا بكر بالصلاة بكم في غيبته ومرضه؟ قالوا: نعم. قال: فأيكم يجترئ على أن يتقدمه؟ قالوا: لا أينا. قال: فقال سعد رضي الله عنه: تبايعه إنْ نحن بايعناه؟ قال عمر: نعم. وأخذ عهدهم إنْ هو بايعه ليبايعنّه، فضرب عمر على يد أبي بكر رضي الله عنه وبايعت الأنصار[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٩.

وقال أبو بكر رضي الله عنه مؤكدًا حق قريش وتقدمها على سائر العرب فذكر قول رسول الله ﷺ: «**الأئمة من قريش**»[1]. وقوله ﷺ: «**أوصيكم بالأنصار خيرًا؛ أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم**»[2]. يستدل بذلك على تقديم المهاجرين على من سواهم، أي لو كان الأمر لكم لما أوصى بكم، بل لأوصاكم بالناس. وقال رضي الله عنه: إن الله سمانا «الصادقين» وسماكم «المفلحين»[3]. وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4]. فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه إمامًا وقائدًا لأمة محمد ﷺ رغم أنف من ناصبهم العداء ودان بالرفض والردة.

ولما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال: ابسط يدك فلأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ. فقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر: ما رأيت لك فهة[5] مثلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين[6]؟!

لقد كانت هوية خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه معلومة على حقيقتها عند أئمة الإسلام وقادته كما هي معلومة عند رسول الله ﷺ؛ لذلك كانت مواقفهم شديدة ضد كل من تسول له نفسه أن يقدم أحدًا عليه رضي الله عنه ولعلّ في موقف أبي عبيدة هذا مثالًا على ذلك، وقد يكون طلب عمر من أبي عبيدة قبول البيعة بعد أن عرضها على أبي بكر رضي الله عنه حينما كان مشغولًا بالرد على الأنصار فلم يجبه فخشي عمر على مصير الخلافة فعرضها على أبي عبيدة رضي الله عنه فكان منه ذلك الرد الحاسم على عمر رضي الله عنه.

---

(١) المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب، ذكر فضائل قريش، (٦٩٦٢)، ابن أبي شيبة: المصنف، ك. الفضائل، باب فضل قريش، (٨).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الجمعة، باب، من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، ح (٨٨٥).

(٣) ينظر: سورة الحشر، الآيتان: ٨، ٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٥) قوله «فهة» أي: عِيًّا أو عجزًا. القاموس المحيط (فهه).

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٠٢. البلاذري: الشيخان: ١٢٠.

قال ابن كثير: كان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ.

وقال أنس رضي الله عنه إنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر، وذلك في الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به، هدى الله به محمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم، فقدموا فبايعوه.

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت عمر رضي الله عنه يقول يومئذ لأبي بكر رضي الله عنه: اصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة[1].

وقال عمر رضي الله عنه: كنت أول الناس آخذ بيد أبي بكر فبايعته، إلّا رجلًا من الأنصار أدخل يده من خلفي من بين يدي ويده فبايعه قبلي. وقال عمر لأبي عُبَيدة: كيف أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمّنا حتى قُبض؟ يعني أبا بكر الصدِّيق. وقال عثمان بن عفّان: إنّ أبا بكر الصدِّيق أحقّ الناس بالخلافة إنّه لصدِّيق، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله ﷺ[2].

عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه ما ملخصه: إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أني أردت أن أتكلم فقال أبو بكر رضي الله عنه: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سكت، فقال للأنصار: ما ذكرتم من خير فأنتم له

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٢. البداية والنهاية، ٥ / ٢٣٤ - ٢٣٩. وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٧٧.

أهل، ولن نعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا وقدرًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم. وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار[1].

وقال عمر رضي الله عنه تكلم أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة وأبلغ، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل أبدًا، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما. فقال عمر: بل نبايعك، أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس[2].

خطبة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم البيعة. فقال: «أيها الناس إنا رمينا في بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله، وصعب علينا مرتقاه، وكنا كأنا منه على أوفاز، والله ما لبثنا أن خف علينا ثقله وذل لنا صعبه، وعجبنا من شك فيه بعد عجبنا من آمن به، حتى والله أمرنا بما كنا ننهى عنه، ونهينا عما كنا نأمر به، ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنه التوفيق، ألا وإن الوحي لم ينقطع حتى أكمل، ولم يذهب النبي ﷺ حتى أعذر، فلسنا ننتظر بعد النبي ﷺ نبيًّا ولا بعد الوحي وحيًا، ونحن اليوم أكثر منا بالأمس، ونحن بالأمس خير منا اليوم، من دخل في هذا الدين كان من ثوابه على حسب عمله، ومن تركه رددنا إليه، إنه والله ما صاحب هذا الأمر - يعني أبا بكر رضي الله عنه - بالمسؤول عنه، ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٣).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٤).

الشخص، ولا المغمور القناة. ثم سكت فعجب الناس من كلامه»[1]. فقال حزن بن أبي وهب - وهو الذي سماه رسول الله ﷺ سهلًا - مثنيًا على قول خالد رضي الله عنه:

وقامت رجال من قريش كثيرة ... فلم يك في القوم القيام كخالد

أخالد لا تعدم لؤي بن غالب ... قيامك فيها عند قذف الجلامد

إذا ما عنا في هيجها ألف فارس ... عدلت بألف عند تلك الشدائد

ومن يك في الحرب المصرة واحدًا ... فما أنت في الحرب العوان بواحد[2]

وخطب عمر رضي الله عنه فقال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾[3] فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة[4].

ما بعد البيعة العامة:

تكلم أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[5].

فقوله رضي الله عنه: وليت عليكم ولست بخيركم، من باب هضم حق النفس والتواضع وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم. بل هذا من باب الثقة بالنفس

(١)، (٢) الصالحي: سبل الهدى ١٢/ ٣١٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣١٥.

(٥) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٣. وهذا إسناده صحيح.

والتحبب إلى المؤمنين ومع أنهم يقسمون بأنه خيرهم وأنهم آثمون إذا ما فضل أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه، فإنه يخاطبهم بهذا الخطاب الحاني لكيلا يشمخ بعده أحد فيما يصل إليه من وجاهة أو قيادة إذ إنه لن يصل أحد من الناس إلى ما وصل إليه أبو بكر رضي الله عنه في خلافته لسيد البشر وخاتم النبيين ﷺ، فمن يرتقي هذا المرتقى؟ ومن يقول إن هناك من هو أولى بالإمامة وخلافة النبوة من أبي بكر رضي الله عنه إلا فاقد الدين وبائع الأمة ممن لا هم له سوى الهدم والتخريب وإثارة الفتن ونشر البغضاء بين المؤمنين؟

وذهب أبو بكر رضي الله عنه بقوله وليت عليكم ولست بخيركم - مذهب وطريق التواضع، وترك الاعتداد بالولاية، والتباعد عن كبرياء السلطة، وما هذا إلا من شيم الأبرار، ومذاهب الصالحين الأخيار المنكرين أنفسهم، ممن يقدمون حقوق الآخرين على حقوقهم، وقد كان له في رسول الله ﷺ أسوةٌ حتى يقول: «**لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن مَتّى**»[1] وهو ﷺ سيد ولد آدم أحمرهم وأسودهم[2].

وبهذا يتبين أن كل الأدلة تشير إلى أن خليفة رسول الله ﷺ هو المؤهل لخلافة رسول الله ﷺ، وقد ظهر ذلك جليًّا بما اتخذه من مواقف وأبداه من صبر وقوة وعلم وفهم وحذر وتدبر لحال الأمة وأنه كان رجل الموقف بلا منازع كما بدا في سقيفة بني ساعدة؛ فقد اختار من الكلمات المقنعة الحاسمة المؤثرة التي أنهت الموقف وجعلت الجميع يغادرون السقيفة وهم واثقون؛ لأنهم أحسنوا الاختيار ببيعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ، وفعلوا في ذلك الصواب الذي تتحقق فيه مصلحة الأمة في الدين والدنيا، وقد أثبت أبو بكر رضي الله عنه ذلك من خلال معالجاته الفريدة لما مرت به الأمة الإسلامية من معضلات.

---

(١) البخاري: ك. الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾، ح (٥١٢٣)، مسلم: ك. الفضائل، باب في ذكر يونس، ح (٦١٠٩).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٠٤.

ويبقى التساؤل القديم الحديث المريب: من أين جاء هذا اللغط الذي يملأ كتب التاريخ والأدب والسير وغيرها عن مسير الأحداث في تلك المرحلة؟ مع أن يوم السقيفة يمثل يومًا فريدًا بين الأيام لما ظهر فيه من أخلاق الشورى والحوار والاحتجاج بالدليل وإسقاط كل عادات وتقاليد ما قبل الإسلام والتمسك بما أقره الله والرسول ﷺ، فلم ينطق أحد بما كان ينطق به أهل الجاهلية حول حقوق الإمارة والقيادة والإمامة والخلافة ولم يتفوه متفوه بما تروج له الرافضة من إفك الوصية والوراثة لعلي رضي الله عنه أو للعباس أو غيرهما من آل بيت النبوة ولم يظهر أي قول إلا قولًا يشهد بتقدم أبي بكر وعظيم مقامه عند رسول الله ﷺ وفي الأمة، وقد كان ميدان الاحتجاج والتنافس هو ثمرة العمل والجهاد بين يدي رسول الله ﷺ في نصرة الإسلام وإعزاز أهله بكل جوانب العمل والجهاد.

ثم إنه لما كان هذا هو ميزان التقدم والكلام في يوم السقيفة لم يكن لأحد من الناس أن يتقدم بين يدي خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه، لما يعرف الناس من مواقفه الخالدة وأياديه البيضاء على الإسلام والمسلمين، ولما يعلمون من مكانته عند رسول الله ﷺ لذلك كان الانقياد كاملًا والطاعة تامة؟

أما الجواب على هذا التساؤل فهو واضح جلي لكل عاقل يظهر بإلقاء نظرة سريعة على كتب الرافضة التي تعج بالبهتان والتدليس والوضع والإفك والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك محاضراتهم وندواتهم وأعيادهم وأتراحهم وقبورهم وأصنامهم، بل إن كثيرًا من كتبهم التي يقرؤها أهل السنة دون أي حذر هي السبب المباشر لكل هذا التشويش الذي يتقاذف أفكار الكثيرين من المترددين؛ عامتهم وعلمائهم على حدٍّ سواء الذين لا بصيرة لهم ولا ولاء، ويأتي في مقدمة تلك الكتب التي تنفخ الإفك وتنشر الزيف ما أورده المسعودي في كتابيه **التنبيه والإشراف**، و**مروج الذهب ومعادن الجوهر** كاذبًا مفتريًا على أصحاب رسول الله ﷺ عن يوم السقيفة وما جرى فيها من منازعة طويلة وخطوب عظيمة صورها بما يفرزه عقله الحاقد من صديد الوهم والدس على أمة الصحابة وتابعيهم

رضي الله عنهم[١] وما افتراه على سعد بن عبادة رضي الله عنه من بهتان يقوده إلى مواقع المرتدين الرافضين للسنة النبوية زاعمًا أنه لم يبايع أبا بكر رضي الله عنه حتى مات حاشاه من ذلك رضي الله عنه، وكذلك ما ورد في كتاب **تاريخ اليعقوبي** الرافضي الحاقد على الأمة وتاريخها ومسيرة أعمالها وأعلامها[٢] وكذلك ما رواه ابن جرير الطبري في **تاريخه** من روايات أغلب أسانيدها أقل ما يقال عنها: إنها ساقطة، فلا يخلو أي إسنادٍ من مجهول أو متروك، أو ممن عُرف عنه الوضع كسيف بن عمر الذي قال عنه أبو حاتم: متروك الحديث. وكذا الواقدي وأبو مخنف لوط بن يحيى وهشام بن محمد الكلبي، فهؤلاء أكثر من دارت عليهم هذه الروايات في **تاريخ الطبري** وغيره التي قل أن يثبت منها شيء، والشيء نفسه يقال فيمن جاء بعد الطبري وأخذ عنه كابن الأثير في **الكامل في التاريخ** وما تناقلته كثير من الكتب وأضافته عن ذلك الحوار الذي دار بين بعض المهاجرين وإخوانهم الأنصار في إطار تبادل وجهات النظر للوصول إلى أفضل الحلول وأكمل وجوه خلافة النبوة، وهذا ما توصلوا إليه بقيادة خليفة رسول الله وبعلمه وحسن تقديره ومعالجته للمعضلات الشائكة.

قالت أم المؤمنين الطاهرة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ فوالله لو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها، ارتدّتِ العرب، وأشرأبّ النفاق في المدينة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلّا طار أبي بحطها وعنائها في الإسلام. وكانت تقول في هذا الحديث: ومن رأى عمر بن الخطاب علم أنه خُلق غنًى للإسلام، كان والله أحوذيًّا نسيج وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها[٣].

---

(١) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، مراجعة عبد الله بن إسماعيل، القاهرة ١٣٥٧ هـ/ ٢٤٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ دار الفكر، بيروت ١٣٩٣ هـ ٣٠٨. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٣٧٩هـ ٢/ ١٢٤، ١٢٦. جمال ووفاء: استخلاف أبي بكر الصديق، ١٥١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٢.

وقال ابن العفيف: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ فيجتمع إليه العصابة فيقول: تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير؟ فيقولون: نعم. فيبايعهم، فقمت عنده ساعةً وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه، فتعلمت شرطه الذي شرط على الناس، ثم أتيته وبدأته، فقلت: أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير، فصعد فيَّ البصر ثم صوبه ورأيت أني أعجبته رضي الله عنه[١].

وعن عبد خيرٍ قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر، فذكر رسول الله ﷺ فقال: قبض رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر، فعمل بعمله، وسار بسيرته حتى قبضه الله على ذلك، ثم استُخلف عمر فعمل بعملهما، وسار بسيرتهما حتى قبضه الله على ذلك[٢]. وعن حذيفة قال: قُبِضَ رسول الله ﷺ فاستخلَف الله أبا بكر، ثم قُبض أبو بكر فاستخلف الله عمر، ثم قُبض عمر فاستخلف الله عثمان[٣].

وقال ابن عمر: لما مات رسول الله ﷺ نظرَ المسلمون خيرهم فاستخلفوه، وهو أبو بكر رضي الله عنه، فلما مات نظر خير المسلمين فاستخلفه عليهم، وهو عمر رضي الله عنه، فلما مات عمر - أو قُتِل - نظر المسلمون خيرهم فاستخلفوه، وهو عثمان رضي الله عنه إن تقتلوه فائتوني بخير منه، والله ما أرى أن تفعلوا[٤].

وقال النُّعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه: بينما زيد بن خارجة يمشي في بعض طرق المدينة إذ خر مَيتًا بين الظهر والعصر، فنقل إلى أهله، وسُجِّي بين ثوبين وكساء، فلما كان بين المغرب والعشاء اجتمعن نسوة من الأنصار، فصرخوا حوله، إذ سمعوا صوتًا من تحت الكساء يقول: أنصتوا أيها الناس، مرتين، فحسر عن وجهه وصدره، فقال: محمد رسول الله ﷺ

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: «**الأئمة من قريش**»، (١٧٠٢٩).

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ح (٨٠٩٨) رجاله ثقات.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد: ح (٢٢٩٨). الطبراني: المعجم الأوسط، ٦/ ٦٤. ورجاله ثقات.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير: ح (٣٢٣٢)، وقال الهيثمي في المجمع: فيه علي بن حسان العطار، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. الهيثمي: مجمع الزوائد، (٣٢٩٨).

النّبيّ الأميّ خاتم النبيّين، كان ذلك في الكتاب، ثم قيل على لسانه: صدق صدق، أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ القوي الأمين، كان ضعيفًا في بدنه، قويًّا في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قيل على لسانه: صدق صدق ثلاثًا. والأوسط عبد الله عمر أمير المؤمنين - رضي الله عنه - الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يمنع الناس أن يأكلَ قويهم ضعيفهم، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قيل على لسانه: صدق صدق. ثم قال: عثمان أمير المؤمنين رحيم بالمؤمنين، خلت اثنتان وبقي أربع واختلف الناس ولا نظام لهم وأُبِيحَتِ الأحماء - يعني تنتهك المحارم - ودنت الساعة وأكل الناس بعضهم بعضًا[1].

تمسك الصحابة ببيعة خليفة رسول الله ﷺ:

بويع أبو بكر رضي الله عنه يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ. قال ابن عمر رضي الله عنهما: ولي أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وسبعة أشهر[2].

اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يومًا، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر رضي الله عنه[3].

قال ابن أبي مُلَيكة: قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله، قال: أنا خليفة مُحَمَّد ﷺ وأنا راضٍ بذلك، وكره أن يقال له: خليفة الله تعالى[4].

وخطب أبو بكر رضي الله عنه فقال مبينًا موقفه من الخلافة: وايم الله ما حرصت عليها يومًا قط، ولا طلبتها ولا سألت الله تعالى إياها سرًّا ولا علانية وما لي فيها من راحة،

---

(١) ابن أبي الدنيا: من عاش بعد الموت، ١/ ١٧ الطبراني، المعجم الكبير، وأورده ح (٥١٤٤)، والهيثمي: مجمع الزوائد، ح (٨٩٢٥).

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٧).

(٣) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٢).

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٩٤. البلاذري: الشيخان، ٤٢.

ولقد قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به طاقة ولا يدان، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني، فعليكم بتقوى الله، فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإني متبع ولست بمبتدع[1].

وقام رضي الله عنه في الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلهم في بيعتهم، ويستقيلهم فيما تحمله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كل ذلك يقولون والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك؟ قلت: وقال أبو الجحاف: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس قام ينادي ثلاثًا: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم. فقال علي: والله لا نقيلك ولا نستقيلك؛ قدمك رسول الله ﷺ في الصلاة، فمن ذا يؤخرك[2]؟

وعن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الصديق الغدَ من حين بُويع فخطب الناس فقال: أيها الناس إني قد أَقَلْتُكُمْ رَأيكم، إني لست بخيركم، فبايعوا خيرَكم. فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ أنت والله خيرنا[3].

إن عمر رضي الله عنه خطب خطبة فقال فيها: إن فلانًا وفلانًا قالا: لو قد مات عمر بايعنا عليًّا فتمت بيعته، فإنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وكذبا. والله ما كانت بيعة أبي بكر فلتة ولقد أقامه رسول الله ﷺ مقامه واختاره لدينهم على غيره وقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**». فهل منكم أحد تقطع إليه الأعناق، كما تقطع إلى أبي بكر[4]؟ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[5].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٠٦.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣١٨، الطنطاوي: أبو بكر، ١٥٩.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد، ٩٣٩٨.

(٤) البلاذري: الشيخان: ١٢٠.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

وبهذه النصوص يتجلى الموقف من خلافة أبي بكر لرسول الله ﷺ وإجماع الصحابة عليها وحكمهم بالردة على كل من يرفضها، وجهادهم من أجل نصرتها وتنفيذ أوامرها وإزهاق رافضيها المرتدين والمنافقين، حتى حققوا بذلك الجهاد المبارك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة مكافأة لصبرهم ومؤازرتهم لخليفة نبيهم ﷺ وفهمهم وفقههم لمكر وخبث وزندقة من يرفض خلافة أبي بكر رضي الله عنه حتى أصبح الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه جزءًا من عقيدة الأمة التي تلقَّتْ إشارات رسول الله ﷺ وتوجيهاته بوجوب اتباعه رضي الله عنه وطاعته بالإجماع والقبول، فلم يعد يجحد ذلك الموقف سوى أعداء الصحابة الذين تآمروا على رسول الله ﷺ وأبغضوا أصحابه وطعنوا في رسالته ﷺ وفي أهل بيته رضي الله عنهم وما زالوا يقاتلون أمته ويرفضون سنته المطهرة كبرًا وعنادًا وردًّا للإيمان. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].



(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما

ذكر بعض المؤرخين أن علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة وبعض الصحابة قد تخلفوا عن بيعة خليفة رسول الله لأسباب مختلفة، ولكن النظر المنصف فيما سبق ذكره من نصوص عن علي رضي الله عنه وفهم الواقع الذي كانت تمر به الدولة والدعوة بعد وفاة رسول الله ﷺ تجعل من العسير التسليم لأي من الروايات التي تتحدث عن هذه المسألة دون أن تقدم المسوغات الشرعية التي كان يقف عندها الصحابة الذين هم أشد الناس حرصًا على أمن الأمة وسلامتها وأكثرهم تمسكًا بالطاعة وفهمًا لإشارات رسول الله ﷺ ورغباته وحبًّا وإجلالًا لمن يقربه ويصطفيه من بينهم، وطاعة لمن يقدمه أو يقر تقدمه واجتهاده، وقد ثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن كل ذلك بيّن في خلافة الصديق رضي الله عنه وبالتالي فإن أي حديث لا يحمل معه الأدلة الشرعية التي تسوغ تخلف هذين الصحابيين المجاهدين عن بيعة سيد الصحابة وإمامهم إنما هو حديث ساقط، ولا قيمة له، وإن وجدت بزعمهم فإنما هي أدلة لا يمكن الالتفات إليها علميًّا ولا شرعيًّا، وكل حديث حولها - سوى ما يؤكد زيفها أو ضآلة فهم قائليها لثقافة الصحابة ومقاييس التقديم والتأخير عندهم - سيكون لغوًا فارغًا ولا يصدر إلا من جاهل لا يدرك آمال وتطلعات الصحابة والأسس التي يبنون عليها اجتهاداتهم، أو من صاحب هوى يبحث عن السقطات والغفلات لينفخ فيها روح الفرقة وحب الفتنة، وبالتالي التأسيس لفكر الرفض والخروج والردة والطعن بالسنة وحملتها تحت ستار زائف غذي بالإفك والأهواء الهادفة إلى نزع وشائج الحب والإجلال التي تعمر قلوب محبي الصحابة المؤمنين بما حملوه وجاهدوا من أجله.

وكل ذلك مما يسعى أعداء الصحابة إلى ترويجه وتسويقه ليحققوا إقرار أباطيلهم، فيصبح ذلك مسوغًا لثقافة التمزق والتناحر وتطاول العجزة الصغار والمغفلين على أولي العزم جند رسول الله ﷺ حماة الكتاب والسنة العلماء الفقهاء الفاتحين، واتهامهم الأعمى في كل ذلك لفتى المهاجرين علي رضي الله عنه الذي لم يتخلف عن مكرمة؛ بأنه تخلف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ونصرته ضد الرافضة المرتدين، علمًا بأن كل الإشارات التي تعج بها سيرة رسول الله ﷺ إنما هي مؤكدة على مؤازرة جميع الصحابة للصديق رضي الله عنه ونصرته.

وكذلك اتهام سعد بن عبادة سيد الخزرج الذي كان من أكثر الناس فهمًا لكل ما يشير إليه رسول الله ﷺ بأنه خرج على خليفة رسول الله أيضًا، فما دام هذان الخيران المهاجري والأنصاري قد سنّا الرفض والخروج وحاشاهما، فلماذا إنكاره على أعداء الصحابة؟! وهدفهم من كل هذا التضليل إنما هو إشاعة قبول النيل من الصحابة والطعن بما حملوه من أمانة الكتاب والسنة، وبالتالي نشر ثقافة الردة، وعلى هذا فلسان حالهم يقول: لماذا لا يصبح الرفض والخروج من مكونات الثقافة الإسلامية وأحد مفردات المناهج الدراسية؟ ولماذا كل هذا التضليل والتفسيق لمن يرفع الرايات الرافضية السبئية؟ ولماذا كل ذلك الإنكار على من يخرج على السنة النبوية ويطال بهتانه أئمة المحدثين وقادة الفاتحين وسيد الخلفاء الراشدين؟!

ولا شك أن الكثير من هذا الزيف الآثم ينتشر بين الغوغاء عندما يردد بعض كتابنا الأشاوس بلا وعي ولا إنصاف أباطيل الرافضة وأعداء السنة فينشغلون بتهويشاتهم عن جوهر سيرة الصحابة ومعرفة ثمار إنجازاتها، ويغفلون عما تقوم به الرافضة من إغراءات يزينون بها باطلهم ويغرون بها السفلة والمنحطين بالمتعة والدرهم، فيشترون منهم الولاء للسنّة النبوية بالرفض والردة، متناسين نداء الحق تعالى لأمثالهم: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

ويفسد أولئك الكتاب المحسوبون على أهل السنة كل ما يكتبونه ويؤصلون له عندما يقرون مثل تلك المواقف المخالفة لأخلاق الصحابة وفهمهم وواقع حياتهم، فيأتي المغرضون وغوغاء الناس فيسقطون كل إشراقات تاريخ الصحابة ويطمسونه، برعاية أولئك الذين يخلطون بين وهج الحق وظلمة الباطل تحت مسميات تشجيع حرية البحث والفكر، وتحت شبهات يثيرها المهزومون أمام زمزمة الفكر الغربي وفحيحه مما يسهم إسهامًا مباشرًا في زلزلة ثقة كثير ممن لا علم لهم بالسنة وحملتها الكرام رضي الله عنهم فيطفح نتاج كثير من الكتاب ومراكز البحوث والفكر والإعلام، ممن آثروا العاجلة على الآجلة بنتن الرفض وصديد الردة، فيتأكد لكل عاقل من أهل السنة أن أي كاتب أو مركز من مراكز الفكر والإعلام والبحث الإسلامي لا ينافح عن هوية أهل السنة ويتبرأ من أعدائهم في كل نشاطاته، فإنه لن يزيد عن أن تكون جهوده جرثومة خبيثة تنشر الشك والوهم في أفكار أهل السنة وثقافتهم.

هذا وإن تستروا بما يسمى حرية البحث أسوة بأصحاب الفكر العلماني الذين انتقدوا الفكر الكنسي وحملة ذلك الفكر وتلك العقائد، فعلى فاقدي الولاء للسنة النبوية من الكتاب العرب والمسلمين أن ينتقدوا الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية وحملة ذلك الفكر وتلك العقيدة، وما دام أولئك قد ردوا النصوص في عقائدهم الزائفة واتهموا قادة تلك العقائد، فعلى أصحابنا الضائعين أن يردوا نصوص الحق في الكتاب والسنة التي جاءت تشهد لأهل الحق أصحاب رسول الله ﷺ بالوفاء والنقاء وجميل الأداء.

وليشيعوا بين الناس أن كل من يقف في وجه النقد الزائف للحق فهو عثرة أمام الإصلاح الفكري وحركة تصحيح التاريخ والثقافة أو أنه تقديسي جامد يقول بعصمة الصحابة رضي الله عنهم، وبناء على هذا الواقع القائم في التاريخ والفكر والثقافة الإسلامية المعاصرة يمكن القول:

إن كل من يتهم المدافعين عن وحدة الصحابة وطاعة بعضهم بعضًا وتعلقهم بكل ما أشار إليه رسول الله ﷺ، ولا سيما في تقديم أبي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله

عنهم واستجابتهم لذلك والتزامهم به، فإنه يُسقط مناهج الرافضة والمرتدين والمبتدعة والعلمانيين والمستشرقين على حملة عقيدة الأمة، ويعمل على نشر ثقافة التمزق والتناحر والفتنة، والتأسيس لفكر الرفض والخروج على السنة وصلابة ووضوح وصفاء وأمانة وصدق وفقه ونظام وذوق وحضارة الصحابة وحبهم للجماعة والوحدة والعدل والحرية.

ومن هذا شأنه فإنه لا يخرج عن أحد صنفين؛ إما أنه جاهل بتاريخ الصحابة، وإما أنه صاحب هوى ضال متعالٍ أحمق، يدعو المسلمين لرفض نصوص القرآن والسنة، والأخذ بأوهامه وإفكه وبهتانه على خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام.

فلا غرابة ممن كان هذا شأنه في أن يجعل من نفسه الظالمة العاجزة الواهمة التي تعيش في عصر العجز والظلم والوهم مقومة لعمل الصحابة وإنجازاتهم الفذة الفريدة، ويُنصب نفسه قاضيًا ظالمًا وشاهد زور عليهم، فيبرئ من يشاء ويتهم من يريد من عمالقة الخير والنور والهدى رضي الله عنهم.

أما ما جاء في بعض الروايات الصحيحة من تخلف علي رضي الله عنه عن الذهاب إلى سقيفة بني ساعدة، في اليوم الأول من وفاة النبي ﷺ فلا يمكن حمله على أنه خروج عن الإجماع أو أنه رفض لطاعة خليفة رسول الله ﷺ أو أن فيه شيئًا من الإنكار لمقامه الذي أقامه فيه رسول الله ﷺ قبل وفاته، وإنما هي كلمة وردت على لسان قائلها كشاهد على أن الله تعالى هو متولي تدبير أمر خلافة رسول الله ﷺ، ومع قلة الذين أمكنهم تدارك الأمر في السقيفة وتنبيه الأنصار على المسار الصحيح وأنهم لم يزيدوا على ثلاثة من المهاجرين، بينما كان الآخرون من المهاجرين لا علم لهم بما يجري من حوار في السقيفة وهم مشغولون بتجهيز رسول الله ﷺ من أمثال علي والزبير وعثمان رضي الله عنهم، ولا سيما أن روابطهم العائلية برسول الله ﷺ تؤكد عليهم مباشرة ذلك والعمل على إنجازه، إضافة إلى انشغالهم بمعالجة عميق جراح لوعتهم ومصابهم بفقد رسول الله ﷺ، ذلك المصاب الذي هز المجتمع الإسلامي آنذاك هزًّا عنيفًا لم يثبت أمامه إلا أولو العزم وراسخو العلم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال رضي الله عنه يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله ﷺ رأوا أن رسول الله ﷺ قد ولاه أمر دينهم فولوه أمر دنياهم. وقال رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر رضي الله عنه في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه[(١)]؟

وقال علي رضي الله عنه: قَدَّمَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإني لشاهد غير غائب، وإني لصحيح غير مريض، ولو شاءَ أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رَضِيه الله ورسولُه لديننا[(٢)].

ولما قبض النبي ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عُبَادة، وفيهم أبو بكر وعمر، قام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. فقام عمر فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نتابعكم، وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، وبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم يَرَ الزُّبَير، قال: فدعا بالزُّبَير، فجاء، فقال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ وحوارّيه، أردتَ أن تشقّ عصا المُسلمين. قال: لا تثريب - أي لا لوم - يا خليفة رسول الله. فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم يَرَ عليًّا، فدعا بعلي رضي الله عنه فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردتَ أن تشقّ عصا المسلمين. قال رضي الله عنه: لا تثريب يا خليفة رسول الله. فبايعه[(٣)].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٠٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، (٤٨٠).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٧٧. البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦).). قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: =

وقال أبو بكر لعلي رضي الله عنهما: أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكني حلفت ألا أرتدي بعد وفاة رسول الله ﷺ برداء حتى أجمع القرآن كما أنزل[1].

وعن أبي سعيد قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال: أين علي؟ لا أراه. قالوا: لم يحضر. قال: ما كنت أحسب أن هذه البيعة إلّا عن رضا جميع المسلمين، إنّ هذه البيعة ليست كبيع الثوب ذي الخلق، إنّ هذه البيعة لا مردود لها. قال: فلما جاء علي. قال: يا علي ما بطأ بك عن هذه البيعة؟ قلتَ: إنّي ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، لقد علمتَ أنّي كنت في هذا الأمر قبلك. قال: لا تزري بي يا خليفة رسول الله ﷺ. فمدّ يده فبايعه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا، ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر[2].

ولما توفي رسول الله ﷺ قام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. ثم أخذ زيد رضي الله عنه بيد أبي بكر رضي الله عنه. فقال: هذا صاحبكم فبايعوه. ثم انطلقوا،

= جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه. وهذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة بل يسوى بدرة! وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، عن أبي سعيد الخدري. وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم وإما في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه. وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرًا سيفه يريد قتال أهل الردة. ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٥. إسناد جيد. ولله الحمد والمنة. الحاكم: المستدرك، ك: معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) البلاذري: الشيخان، ١٢٤. الصنعاني: المصنف، ك: المغازي. باب: بيعة علي لأبي بكر، ٩٧٦٥.

(٢) البلاذري، الشيخان: ٤٠.

وجاء علي والزبير فبايعاه رضي الله عنهم[1].

وقال علي رضي الله عنه: قام أبو بكر رضي الله عنه بعدما استُخلف بثلاث فقال: من يستقيلني بيعتي فأقيله؟ فقلت: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ[2]؟

وقال رضي الله عنه: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين - أبا بكر وعمر - بما ليسا من هذه الأمة بأهل، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه أعاقب، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا منافق ردي[3].

ولما خرج أبو بكر رضي الله عنه شاهرًا سيفه، راكبًا على راحلته إلى ذي القَصّة جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله، أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «**شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا**» فرجع وأمضى الجيش[4].

ولهذا فإن القول بتأخرهم عن طاعة خليفة رسول الله ﷺ إنما هو اتهام خطير لم يثبت له أي دليل علمي على أرض الواقع ولا دليل شرعي يستند إليه، وهو تسويق لنظرية فاسدة مفادها أن الإسلام لم يقم إلا في أيام رسول الله ﷺ، وأنه منذ وفاة رسول الله ﷺ اختلف أصحابه رضي الله عنهم على الدنيا والملك، وهذا التزييف المكشوف والمعلن أسهم

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦) وفي بيعة علي والزبير وأن عليّ بن أبي طالب لم يفارق الصّدِّيق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وأن ما تردده الرافضة عن تخلف علي رضي الله عنه هو الباطل والزيف وأماني السوء التي يدينون بها محاربة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٠٢، ٣٠٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٨٥.

(٤) تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٦. الصواعق المحرقة: ١/ ٤٦. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/ ١٢٧٠. لسان العرب: ٢/ ٣٢٩ وقوله: «**شم سيفك**» أي: اغمده. والشيم من الأضداد، يكون سلًّا وإغمادًا.

في ترويجه كل العابثين في سيرة الصحابيين الكريمين؛ علي المهاجرين، وسعد الأنصار، وقذفهم بإفك نشر الفتنة وشق عصا المسلمين، فإذا كانت نظرية الزيف هذه التي ما زال بعض العابثين يبحثون عن النصوص الصحيحة ليجتزئوها من مسارها التاريخي؛ ثم يلوونها باتجاه مقاصدهم الفاسدة لتأكيد ثقافة الفتنة والتمزق والتناحر في الأمة، ولنزع الثقة في جيل القرآن والنبوة جيل التنفيذ المباشر والمثالي لكل رسائل السماء التي نزلت على الأرض ونُشرت ورسول الله ﷺ بين أصحابه الأكرمين، حتى صنع منهم جيل القدوة للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، أولئك القوم الذين لن يجتمع مثلهم فضلًا وفضيلة على وجه الأرض أبدًا، ولن يكون على وجه الأرض أحط وأسوأ وأظلم من قوم يناصبونهم العداء والانتقاص والشتم والتكفير، ولن يكون هناك أسفه ولا أجهل ممن يصدق هؤلاء الذين ما زالوا يفترون المعايب والمثالب ليلصقوها بهم، وليرد بذلك ما جاء بحقهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة المثالية العطرة التي جسدوها واقعًا حيًّا على الأرض التي تشرفت بدبيب أقدامهم عليها.

ولكن هذه الكلمة التي أصبحت فتنة لكثير ممن في قلوبهم مرض، اهتبلها مبغضو الصحابة ورددتها من ورائهم الغوغاء التي لا تميز الشراب من السراب، ومن ورائهم محبو التقليد والتبديل والبهتان، ونشروها في الكثير من كتب التاريخ والأدب وأضافوا إليها صديد أذهانهم وذرب ألسنتهم وقدموا كل ذلك على أنه يحمل شيئًا من الحقيقة، مع أن السابقين واللاحقين من أولئك التائهين عاجزون عن إثبات باطلهم بدليل علمي صحيح. قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[1].

يؤكد كل هذا الذي أثبتناه أن الواهمين المترددين في ريبهم وشكهم في سيرة الصحابة لا يستطيعون أن يثبتوا كلمة واحدة قالها علي رضي الله عنه فيها تشكيك أو تردد أو تأفف أو تؤكد شيئًا على أنه تخلف عن طاعة خليفة رسول الله ﷺ ليس هذا فحسب، بل إن كل

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

من يشير إلى ذلك يضع نفسه في موضع المفتري بحكم قاضي الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حكم على كل من يقدمه أو يفضله على أبي بكر بالكذب والبهتان وبوجوب جلده والتشهير به. وذلك بقوله «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري»[1]. هذا الأثر الذي روي من حوالي ثمانين طريقًا حتى بلغ حد التواتر في الصدق والصحة ما هو إلا سيف مسلط على الزنادقة والأفاكين يجز زيفهم ويبطل سحرهم، ويضع كل من يهمهم بالفتن وبغض الصحابة عاريًا أمام الحق كاذبًا مفتريًا لا يجد ما يستر زيفه وحقده على خلافة النبوة، وهناك مبطلات أخرى لا تسمح بقبول مثل هذه الروايات، لما سبق من تحليلات، ولتصادمها مع الواقع الذي عاشه الصحابة آنذاك ولأسباب أخرى ظهرت في أثناء هذا البحث وجميعها تؤكد أن كل من يشكك في ولاء علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، ويجمع الأباطيل لتأكيد ذلك فإنما يَصدُق فيه قول القائل:

يحجون بالمال الذي يجمعونه ... حرامًا إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كلٌّ أن تُحَطَّ رِحالُهُم ... تحطُّ، ولكن فوقهم في جهنم[2]

وهذه هي أفعال أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويزعمون كاذبين أنهم ليسوا من المرتدين ويرفعون الشعارات الإسلامية موهمين المؤمنين أنهم لا يوالون الكافرين ولا يبغضون الصالحين، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يجعل خليفة رسول الله ﷺ حجة على كل منافق مرتد محارب للسنة النبوية المطهرة، وكما فضحت خلافة أبي بكر رضي الله عنه نبوءات مسيلمة الكذاب فقد كشفت كذلك في هذا العصر حركات التمرد على عقيدة الخلافة الراشدة وثوابتها المتجذرة في صفحات الكتاب والسنة.

---

(١) تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٧٠. ابن تيمية: منهاج السنة، ٣/ ١٦٢. الخليفة: الإنصاف، ١٢٧، الصلابي: علي بن أبي طالب، ١٥٠.

(٢) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ١٦٠.

ومما يفند مزاعم تخلف علي رضي الله عنه عن البيعة أيضًا ما يأتي:

قول النبي ﷺ كما جاء في الصحيح: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» كما سبق ذكر هذا النص تامًّا، وعلم علي رضي الله عنه بذلك ومعه أصحاب رسول الله ﷺ فمن منهم يخالف أمر النبي ﷺ؟

إنه لم ينقل في رواية صحيحة أن عليًّا رضي الله عنه تخلف عن الصديق رضي الله عنه في صلاة أو جهاد أو مشورة أو غير ذلك، بل المنقول عنه أنه خرج معه إلى ذي القصة، لما خرج الصديق شاهرًا سيفه يريد قتال أهل الردة فأخذ بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله، أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «**شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا**»[1].

وقد كان علي رضي الله عنه بين يدي الصديق رضي الله عنه كغيره من أمراء الصحابة، يرى طاعته فرضًا عليه وأحب الأشياء إليه[2]. ولا شك أن كل ما كان يقوم به الصحابة رضي الله عنهم إنما كان مبنيًّا على علم استقوه من رسول الله ﷺ فكيف يجرؤ أحد منهم على التخلف عن أبي بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ كان يخاطبهم بقوله: «**لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر**»[3].

وقد وكل إليه الصديق رضي الله عنه قيادة فرقة الأنقاب مع الزبير وطلحة وابن مسعود رضي الله عنهم وهي الفرقة التي جعلها الصديق رضي الله عنه على أنقاب المدينة لحراسة الطرق المفتوحة الموصلة إليها ضد غارات المرتدين.

ومن أوضح ما ذكر في هذا الصدد، ما قاله علي رضي الله عنه لما ظهر على الناس يوم استهدفت الرافضة السبئية جمل الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي عليه في هودجها

---

(١) الحكمي: معارج القبول، ٣/ ١١٣٧. المتقي الهندي: ح (١٤٣٧).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٧.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ٢/ ٣٠٦.

فسميت الوقعة يوم الجمل. قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئًا، حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام حتى مضى لسبيله أو قال حتى ضرب الدين بجرانه[1].

وقد ردّ علي رضي الله عنه على المفترين عليه بأن لديه وصية من رسول الله ﷺ حينما سئل؛ هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا ﷺ بشيء إلا ما في هذه الصحيفة، أو فهمًا يعطاه الرجل في كتاب الله تعالى، وكان في تلك الصحيفة شيء من الأحكام الشرعية ليس في شيء منها التعرض لأمر الخلافة[2].

وهذا الموقف المعلن الذي يؤكد اعتزاز علي رضي الله عنه ببيعة الصديق رضي الله عنه وتقربه إلى الله تعالى بإمامته هو الذي يعمل أعداء الصحابة على طمسه عمدًا لا جهلًا، وذلك لتغذية الأحقاد واستمرار التمزق والفتن وهذا لا غرابة فيه لأن أعداء الصحابة يعملون بوحي عقائدهم، ولكن الغرابة والريب فيمن يتلقفون هذه الأكاذيب ويسطرونها في كتبهم أو يلقونها في محاضراتهم فيشاركون المبطلين في نشر باطلهم وتحقيق مآربهم وتوسيع دائرة زيفهم بحجة الرد على الشبهات أو التحرر من التبعات، لكنهم في كل ذلك لم يزيدوا على أن ولغوا في البهتان والكذب الذي لن يغير من الحقيقة المتمثلة في أن الصحابة هم سادة الدنيا وقادتها رضي الله عنهم، وأنهم باقون على ذلك وكل من يعاديهم زائل بائد. قال الشاعر:

وكم من رجال قد رأينا ودولة ... فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شُرفاتها ... رجال فماتوا والجبال جبال[3]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٥٠. ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٢١).

(٢) الدارقطني: سنن الدارقطني، ك: وباب الحدود والديات، ح (٥٢٧٧). البزار: البحر الزخار، مسند علي رضي الله عنه، باب ما روى أبو جحيفة، ح (٦١). الطبراني: المعجم الأوسط، ك. وباب من اسمه محمد، ح (٥٢٧٧).

(٣) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ٨٥.

ولا شك أن المزاعم الباطلة حول تخلف علي رضي الله عنه عن بيعة خليفة رسول الله ﷺ قد رُوج لها ترويجًا واسعًا إذ وافقت غفلة عند أهل السنة وهوى عميقًا عند الرافضة، واستجابت لما في نفوس المجوس الذين أكلت قلوبهم كراهية الصحابة الذين أطفئوا نارهم وحطموا كبرهم وأزالوا ظلمهم وأقاموا دولة الإسلام والشرع مكانها إلى الأبد، لذلك أوقدوا نيران الإفك والبهتان على الصحابة انتقامًا منهم وصرفًا للناس عن منهجهم الذي أقام العدل ونشر المساواة حتى امتلأت كتب الأدب والتاريخ بهذا الزيف الذي فعل فعله فيهم وفي كثير من أهل السنة الذين لم يجدوا بدًّا من البحث عن الأعذار والتسويغات التي يعتذرون بها عن كلمات وردت في بعض الروايات الصحيحة، تلك الكلمات التي حملت على غير محملها وفسرت على غير وجهها، ولا أدل على ذلك من أن جميع الرواة الذين استرسلوا بتفسير الأسباب التي أدت إلى ذلك لا يمكنهم أن يقدموا موقفًا واحدًا خالف فيه علي رضي الله عنه متعمدًا خليفة رسول الله ﷺ، لا في حياته، ولا بعد وفاته، يؤيد ما ذهبت إليه تفسيراتهم التي زيفها مبغضو الصحابة وجعلوا منها تراثًا لا يمكن الخلاص منه إلا بشق الأنفس، بل إنه لا يمكن تجاوز آثاره إلا بدفنه وتركه لمن صنعوه وروجوا له؛ إذ إن كل كتاب أو بحث يحترم الحقيقة ويترفع عن نشر الأباطيل والأكاذيب عن الصحابة عليه أن يتوقف عن الترويج لبضاعة الباطل وأن يغوص في عمق حياة الصحابة رضي الله عنهم، وينظر كيف استطاعوا خلال فترة وجيزة أن يغيروا مجرى التاريخ ليضعوا ذلك كله في الاتجاه الصحيح، دون الالتفات إلى بعض المهزومين في هذا العصر ممن يبحثون عن السقطات لكي يثبتوا بعض ما يروج له الزنادقة والمستشرقون فيواجهوا الناصحين بأعذارهم الواهية، إذ يرفضون تبرير أي عذر للصحابة من دون الناس، وكأنهم خلقوا معصومين فلا يمكن أن يسوغ لهم موقف أو تقبل لهم حجة، وهذا الصنف لا يزيد عن كونه أحد الأطراف المسوقة لثقافة الفتن والتناحر وتجاوز ثوابت الأمة للقفز نحو المجهول، ولتبقى الأمة تدور في تيه المسار وأوحال الفرقة وضياع الهدف. ولا سيما في هذا العصر الذي راجت فيه مواقف كثير ممن يزعمون أنهم من علماء السنة وهم يمجدون الرفض والردة ويلمزون حُماة السنة

وأشرافها ويوهنون جهادهم ويهونون من أمرهم وعظيم ثباتهم، مبالغة في إضعاف السنة وإذلال أهلها، وكل ذلك يقومون به بزعم فقه العصر وفهم المرحلة، ولكن ذلك لا يزيد عن كونه تضليلًا ومداهنة للباطل، حتى صدق في هؤلاء المفرطين التائهين قول القائل:

تصدر للتدريس كل مُهوّسِ ... بليد تسمى بالفقيه المدرسِ
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلسِ
لقد هَزلت حتى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفلسِ[1]

ولا شك أن هذا الوصف ينطبق تمامًا على من يزعمون أنهم من علماء أهل السنة وهم يوادّون أعداء الصحابة ويتقربون إليهم ويسالمون بهتانهم وإفكهم، فيخادعون أهل السنة ويموهون عليهم ضلال الرافضة وأحقادهم وجرائمهم المخزية بحق السنة النبوية وأهلها الأبرار، فقد رَخُص أولئك أمام المفلسين بمقدار استهانتهم بالسنة أضعافًا مضاعفة، حتى بلغ من هوانهم أنهم أصبحوا أدوات تحارب الله ورسوله ﷺ وتهوّن من أمر المتطاولين على السنة النبوية، وضعفت عقيدتهم حتى امتطاهم مجوس هذه الأمة.

قال عطاء بن مسلم الخفاف: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما تقول في رجل يقول: أبو بكر وعمر خير من علي رضي الله عنهم، ولكني لعليٍّ أشد حبًّا؟ قال: فقال لي: احذر أن يكون هذا رجلًا في قلبه غل، يحتاج إلى شربة آذر طوس لعلها تسهله، فيخرج ما في قلبه، إنما زعم إن كان صادقًا أنه أحب قومًا لله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر أتقى منه، فإن كان صادقًا فأحبهم إليه أتقاهم لله. سمعت الثوري يقول: من قدم عليًّا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فقد أزرى على المهاجرين والأنصار وأخاف ألا ينفعه مع ذلك عمل[2].

وقال سفيان بن عيينة: قيل لشريك: ما تقول فيمن يفضل على أبي بكر وعمر غيرهما؟ فقال: إذًا مفتضح يقول: أخطأ المسلمون. وقال طالب الخزاز: سألت شريكًا: أبا عبد الله،

(١) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ٨٦.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٩٨.

هل أدركت أحدًا يفضل على أبي بكر وعمر؟ قال: لا إلا من كان مفتضحًا فيما سوى ذلك[1]. ولا شك أن هذه أقوال حق وصدق وعلم؛ لأن من يزعم أنه يقدم عليًّا على الشيخين رضي الله عنهم فإنه يُكذّب عليًّا رضي الله عنه ويرد إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ومن يفعل هذا لا يؤتمن على دين ولا دنيا، ولا قيمة لاجتهاد يخالف إجماع أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه اجتهاد ضال باطل.

ومع كل ما سبق من حقائق تنفي الزيف وترد الباطل، فإن هناك من اعتذر عن علي رضي الله عنه أعذارًا يمكن أن تسهم في إثبات زيف قول القائلين بتخلف علي رضي الله عنه فيما لو جارى الباحث أقوال الملبسين ومن وقع في أذهانهم بعض أوهام أعداء الصحابة، وتأكيد الواقع الذي كان عليه علي رضي الله عنه مع خليفة رسول الله ﷺ من المناصحة والمعاونة والمساندة والطاعة والمناصرة.

بعض الأعذار التي توضح موقف علي رضي الله عنه من بيعة خليفة رسول الله:

ومجاراة لمن قال بتخلف علي رضي الله عنه فإن العذر لعلي رضي الله عنه في تخلفه عن حضور السقيفة مع ما اعتذر هو به، أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من آحاد أهل الحل والعقد، ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده، ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بألّا يخالفه ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حاله رضي الله عنه.

ويمكن أن يعتذر بمثل هذا الاعتذار عن كل من تخلف عن البيعة إن كان هناك من تخلف، وبذلك ينهار كل ما أفاضت فيه الغوغاء ومبغضو الصحابة من كلام حول وجود اختلاف وتنافس على الإمارة، أو تخلف من بعضهم إلى حين عن البيعة، فما دام أنه لم يكن بينهم من عَمِلَ على شق عصا الطاعة، أو دعا إلى فتنة، أو تخلف عن أمر من أوامر خليفة رسول الله ﷺ، فإن ذلك دليل على رضاهم بالصدّيق خليفة وإمامًا، وإخلاصهم في

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٩٩.

طاعته والولاء التام له. وفيه أيضًا الدليل البين على زيف كل الدعوات التي ينفخ فيها أعداء الصحابة محاولين إظهار تأخر البعض عن بيعة خليفة رسول الله ﷺ.

وقال المحب الطبري فيما زُعِم من تأخر علي رضي الله عنه عن السقيفة «أما إبطاء علي رضي الله عنه بالبيعة فإما أن يعتقد في صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأنه أحق بها، وإما لا. فإن اعتقد أن أبا بكر أحق بها وتأخر عن بيعته بعد أن انعقدت البيعة بإجماع أهل الحل والعقد من المسلمين كان تخلفه مفارقًا للجماعة، وخروجًا عن الطاعة، وعدولًا عن الحق، وهو مبرأ من ذلك ومنزه عنه، ومنزلته من الإسلام أرفع وأعلى رضي الله عنه، وإما ألّا يعتقد بصحة خلافة أبي بكر، وأنه أحق بها، فيكون قد أقرّ على الباطل، ورضي به ولم ينكره بقول ولا فعل، مع شدة بأسه وقوة إيمانه وكثرة أنصاره، وكفى بفاطمة بنت رسول الله ﷺ والعباس وبني هاشم بأجمعهم، وهو منزه عن ذلك أيضًا».

فلم يبق إلا كونه يعتقد بصحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويعرف فضله، ولكنه كان مشغولًا بجمع القرآن. أو أنه كما يحب البعض أن يقول كان يرى أنّ له في هذا الأمر حقًّا، فلما اجتمع الجم الغفير على ولاية أبي بكر رضي الله عنه اتهم نظره في حق نفسه ولم ير المبادرة إلى إظهاره ولا المطالبة بمقتضاه حتى يبذل جهده في النظر لما في ذلك من تفريق كلمة المسلمين، فتخلف عن الأمرين ولم يبايع ولم يطلب البيعة لنفسه، وسلك سبيل الاحتياط والورع، فكان في تلك المدة مجتهدًا مأجورًا، فلما تبين له أحقية أبي بكر وأفضليته، وتذكر ما جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ ووافق ذلك وفاة فاطمة رضي الله عنها بعث إليه أن ائتنا واعتذر إليه بأنه كان يرى أحقيته، وأن هذه الرؤية قد زالت كما يدل على ذلك سياق كلامه. ولم يكن ذكره القرابة إقامة للحجة على أبي بكر رضي الله عنه لأنه معتذر، ولا تليق المحاجة بالمعتذر وإنما كان إظهارًا لمستند تخلفه، كي لا يظن أن تخلفه لهوى متبع، وليس عن اجتهاد ونظر، والمجتهد مأجور ولو أخطأ[1].

---

(١) المحب الطبري: الرياض النضرة: ١/ ٢٢٣.

ومن الممكن القول: إن عليًّا رضي الله عنه كان من أحرص الناس على أن يسود السلم جماعة المسلمين وأنه كان مأمورًا بذلك. قال علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إنه سيكون بعدي اختلاف أو أمر فإن استطعت أن تكون السلم فافعل**»[1]. فلم تغب هذه الإشارة عن علي رضي الله عنه واتضح ذلك من شدة حرصه على بيعة خليفة رسول الله ﷺ ومسارعته في ذلك، بل إنه عندما سمع من يهمس في بعض هذا الشأن وسرعان ما أعاد البيعة لخليفة رسول الله ﷺ علنًا أمام الأمة ليقطع الطريق على دعاة الرفض وأئمة الردة الذين يستغلون اسمه رضي الله عنه زورًا وبهتانًا وهو منهم بريء، ولم يكن في تكراره البيعة أي ابتداع، فقد بايع بعض الصحابة رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2]. بايع أكثر من مرة في مجلس واحد حيث بايع سلمة بن الأكوع رضي الله عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم[3]، ولهذا ليس مستغربًا من علي رضي الله عنه أن يبايع خليفة رسول الله ﷺ مرة ثانية تأكيدًا للولاء والطاعة وإمعانًا في تأكيد النصرة والاستعداد لخدمة خلافة النبوة، ولا يضير أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه إن استغل بعض الناس تلك البيعة للتشويش على عميق انضباطه وكمال جنديته التي يمتاز بها في مواطن القتال كما هو في مجالس الشورى والنظر في مصالح الأمة.

ومما يؤكد ما سبق ويصور حرص علي رضي الله عنه على بيعة خليفة رسول الله ﷺ أنه كان في بيته إذ أتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة فخرج بقميص ما عليه إزار ولا رداء عجلًا كراهية أن يبطئ عنها حتى بايعه ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم

---

(١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب: ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦٩٧). البخاري: التاريخ الكبير، ٢/ ٤٤٠. كنز العمال: ح (٣٠٩٧٩). مجمع الزوائد: ح (١٢٠٢٣).

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩١. الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٨٥.

مجلسه»[1]، ولا غرابة أيضًا في سرعة علي رضي الله عنه إلى بيعة خليفة رسول الله ﷺ إذ إن في طاعته طاعة لله ولرسوله ﷺ وعلي رضي الله عنه أعرف الناس بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ؛ فقد شهد وسمع ورأى من هو أبو بكر رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ، ولهذا كان الصحابة يتسابقون على بيعته كما حصل لعمر رضي الله عنه وبشير بن سعد الأنصاري حين تسابقا أيهما يضرب على يد خليفة رسول الله ﷺ قبل الآخر ليحظى بشرف السبق إلى الخير والطاعة. كما سبق ذكر ذلك.

وقال علي رضي الله عنه لما قيل له: هل عهد إليك رسول الله ﷺ؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد إليّ رسول الله ﷺ عهدًا لجاهدت عليه، ولو لم أجد إلا ردائي لم أترك ابن أبي قحافة رضي الله عنه يصعد درجة واحدة من منبره ﷺ، ولكنه ﷺ رأى موضعي وموضعه، فقال له: «**قم فصل بالناس**». وتركني، فرضيناه لدنيانا كما رضيه رسول الله ﷺ لديننا[2]. وكيف لا يكون الأمر كذلك ومقام خليفة رسول الله ﷺ بين الصحابة وفي الأمة بعد وفاة النبي ﷺ كقول القائل:

الكل أنت ونورك الوضاح ... للعارفين مناره يلتاح
وجميل سعيك للنُّهى مصباح ... مهما بدا انقادت له الأرواح[3]

***

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٠٧. الخليفة: الإنصاف، ١٢٥.
(٢) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة، ١/ ١٨١.
(٣) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ١٦٧.

بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه

سعد بن عبادة بن دليم الساعدي الخزرجي رضي الله عنه ممن شهد بيعة العقبة فكان نقيبًا؛ وسيدًا جوادًا مُقدمًا وجيهًا في الأنصار، له رياسة وسيادة يعترف قومه بها، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ يوم الفتح، ثم نزعها منه ﷺ لما خشيَ شدته على مشركي قريش، وجعلها بيد قيس بن سعد ابنه ورأى رسول الله ﷺ أنّها لم تخرج عنه إذ صارت إلى ابنه[1].

كان رضي الله عنه كثير الاهتمام والاحتفاء برسول الله ﷺ وكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ حيث دار على نسائه، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: جزى الله الأنصار عنا خيرًا، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة[2]. وذلك لما امتازا به في باب البذل والعطاء في سبيل نصرة رسول الله ﷺ.

ولمّا عاد رسول الله ﷺ من تبوك، وأشرف على المدينة عند الثنية قال: «**الله أكبر**» فلما نظر إلى أحد قال: «**هذا جبل يُحبنا ونُحبه**»، ثم التفت فقال: «**هل تُحبون أن أخبركم بخير دور الأنصار؟ خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير**». فقال سعد رضي الله عنه: ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضّل علينا، فقيل له: قد فضّلكم على كثير[3].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٥٩٥.

(٢) ابن حمزة: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، ٢/ ٢٦٣. الخليفة: الإنصاف، ١٢٠.

(٣) البخاري: صحيح البخاري. ك: مناقب الأنصار. باب فضل دور الأنصار، ح (٣٧٨٩)، =

ولم تكن مواقف سعد رضي الله عنه مجهولة عند أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولا عند غيره من المهاجرين والأنصار عندما كان أبو بكر رضي الله عنه يحاور الأنصار في السقيفة، بل كانت مكارمه معلومة مشهورة عند أبي بكر وعامة المهاجرين، فهو ذو فضل لا يُنكر، وهذا ما أكده أبو بكر رضي الله عنه للأنصار في تقريراته أمامهم، حتى قال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «**لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا، لسلكتُ وادي الأنصار أو شعب الأنصار**»[1].

وقوله ﷺ للأنصار: «**إنكم - ما علمتُ - لأعفّة صبر وسترون بعدي أثرة في الأمر والقسم واصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[2]. وشروط بيعة العقبة التي أُخذت على الأنصار من: السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وألا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، ثم ذَكّر سعد بن عُبادة رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم**» قال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء. فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد[3]. وقد سبق ذكر هذا الحديث في أكثر من موضع في هذا الفصل لما فيه من أكثر من دلالة.

ولما مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم إلى السقيفة إذا سعد رضي الله عنه على طنفسة متكئًا على وسادة وعليه الحمّى فقال له أبو بكر رضي الله

= مسلم: صحيح مسلم. ك: فضائل الصحابة. باب في خير دور الأنصار، ح (٢٥١١).

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. باب غزوة الطائف، ح (٤٠٧٨).

(٢) النَّسائي: السنن الكبرى، ح (٨٣٤٥)، ابن حبان: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ح (٧٢٣٣)، الخليفة: الإنصاف، ١١٨.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، (٢/ ٤٠)، الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، (١١٣٣).

عنه: ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجل منكم[1]. وهذا ما ظهر في بيعة الأنصار لأبي بكر رضي الله عنه واتضح فيه إجماعهم على ذلك. وروى ابن الجوزي بإسناده عن السلمي قال: قام سعد بن عبادة رضي الله عنه يوم السقيفة فبايع[2].

وهناك رواية أخرى تذكر أن سعدًا رضي الله عنه بايع لكن بعد شيء من الممانعة والمحاورة وأنّ أبا بكر والأنصار ألحُّوا عليه حتى بايع، قال سعد: إنك وقومي أجبرتموني على البيعة. فقالوا: إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ولكنّا أجبرناك على الجماعة[3].

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[4]. قال قتادة: «كان ذلك بحمد الله؛ جاءه سبعون رجلاً من الأنصار فبايعوه في العقبة ونصروه وآووه حتى أظهر الله دينه، قال: ولم يسم حيٌّ من الناس باسم لم يكن لهم إلا هم»[5].

وبهذه الروايات وغيرها من المواقف يتضح أن سعد بن عبادة رضي الله عنه بايع خليفة رسول الله ﷺ وبموقفه هذا يثبت الإجماع على البيعة وتسقط حجج أعداء الصحابة ودعاة الفتنة بزعمهم أن سعدًا تأخر عن البيعة أو خالف الإجماع، وهم يروجون ذلك لكي يتحقق لهم الطعن في إمامة الصديق رضي الله عنه، ومن ثم تشويه سيرة سعد بن عبادة المتألقة في الجهاد والنصرة والعطاء، ولإبطال فضيلته الكبرى المتمثلة في مشاركته في بيعة العقبة وأنه نقض شروط تلك البيعة التي منها: التعهد بالسمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وألا ينازعوا الأمر أهله إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان[6].

(١) البلاذري: الشيخان، ١١٧. (٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٦.
(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٢٣. ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٢١٦.
(٤) سورة الصف، الآية: ١٤.
(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ١٤. الخليفة: الإنصاف، ١٢٢.
(٦) البخاري: فتح الباري، كتاب الفتن، ح (٧٠٥٦). الخليفة: الإنصاف، ١١٩.

فهذه الروايات الصحيحة تثبت بيعة الأنصار ومنهم سعد رضي الله عنه لرسول الله على السمع والطاعة، وفي هذه البيعة أن الأمر لغيرهم وأنهم سيبايعون لرسول الله ﷺ ولغيره، ولا سيما أنه قال ﷺ: «**أوصيكم بالأنصار**»[1] مما يؤكد معرفتهم أن الأمر ليس لهم ولو كان لهم لأوصاهم ﷺ بالناس ولم يوص الناس بهم، وكل هذه الإشارات تؤكد زيف دعاوى من يزعم أن سعدًا تخلف عن بيعة الصديق رضي الله عنه، وأنه غادر المدينة مغاضبًا متناسين أن في مثل هذه الأباطيل طعنًا في سعد رضي الله عنه الذي مدحه رسول الله ﷺ وأثنى على مواقفه في أكثر من مناسبة فضلًا عن سيرته التي كانت موشحة بمواقف الكرم والنصرة وجميل الطاعة، ومن هنا فإن أي رواية تشكك في إخلاص سعد رضي الله عنه وطاعته لخليفة رسول الله ﷺ ما هي إلا رواية زائفة مغرضة تريد ممن يقبلها أن يرد شهادة رسول الله ﷺ لسعد رضي الله عنه وأن يطعن في سيرة سعد وتشويهها وأن نأخذ بالباطل المفترى الذي يهدف إلى نزع الثقة بالسابقين الصالحين من سلف هذه الأمة، وإلى تأصيل الخلاف بينهم.

فما يُذكر من مزاعم تقول: إن سعد بن عبادة تخلف عن البيعة، وأنه اعتزل الصحابة وجماعة المسلمين بعد ذلك حتى إنه كان لا يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم في الحج وإصراره على منازعة الأمر أهله. وما ينسب له من قول: «لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي! فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضي بقضائهم ولا يفيض بإفاضتهم»[2]، إنما هي ونحوها من هذه المزاعم من الروايات الساقطة إسنادًا أو متنًا، فمدارها على الكلبي، وهو متهم بالكذب، وعلى أبي مخنف، وهو متروك الرواية عند علماء الجرح والتعديل، وهذا هو ما تستند إليه الرافضة

(١) البخاري: صحيح البخاري. ك: مناقب الأنصار. باب قول النبي ﷺ: «**اقبلوا من محسنهم**» ح (٣٧٩٩)، ابن سلام: غريب الحديث، ١/ ١٨٨. الساعاتي: الفتح الرباني، (٢٢/ ١٧١)، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ١٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٢٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٠.

وتعمل بكل الوسائل على تحقيقه لترسيخ الردة وتغذية الرفض والزندقة؛ لذلك صاغوا هذه الرواية الآثمة لتعبر عما يجول في نفوسهم وما يتمنون حدوثه في الأمة، وكل هذا يثبت أن من صاغ هذه الرواية حاقد ماكر يسعى لهدم السنة وتمزيق صفوف أهلها، ومسقط من السيرة النبوية بيعة العقبة وشروطها وسابقة سعد وجهاده الذي خاضه بكل إقدام مع رسول الله ﷺ ولهذا يمكن القول: إن كل ذلك باطل عقلًا ونقلًا ولا يتماشى مع سيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه ولا مع سالف أياديه البيضاء على المسلمين.

أما بطلانه عقلًا فلأنه لا يعقل أن ينفرد عن الجماعة أحد أجلاء الصحابة وسادة الأنصار الذين سطروا أعظم صفحات المجد والفخار بين يدي رسول الله ﷺ وضربوا أروع الأمثلة في الإيمان والإنفاق والفداء، فكيف يمكن تصديق قول من يروي أنه كان لا يصلي مع جماعة المسلمين تاركًا الجمعة والجماعة، ومبطلًا للحج أيضًا بسبب انفراده وتخلفه عن جماعة المسلمين وإمامهم، الذين يقفون على عرفات، فهل شاركهم في الوقوف بعرفات وهو الركن الأصيل في الحج، أم انفرد عنهم وهذا لا يحتمل أمرًا آخر فإما أنه كان يفيض مع الجماعة وهذا هو الصحيح وبالتالي فالرواية التي تتهمه رواية رافضية مكذوبة، وإما أن الإقرار بالرواية الفاسدة التي تتهم صحابيًّا عدلًا بمفارقة الجماعة وتقود الآخذين بها إلى الحكم بالكفر على صحابي بايع يوم العقبة وثبت على الإسلام وجاهد بين يدي رسول الله ﷺ بماله ونفسه ولم يتلعثم في موقف من مواقف العطاء والتضحية وإن مثل هذا الاتهام إنما يوافق مقاصد الرافضة ومبغضي الصحابة الذين ما زالوا يدينون بمخالفة السنة في توقيت الصيام والإفطار والأذان واتجاه القبلة وتعظيم الكعبة المشرفة وعامة شعائر فرائض الإسلام، ولا هم لهم سوى فتح ثغرة في السياج المحيط بالكتاب والسنة المتمثل في أصحاب رسول الله ﷺ وعلى هذا فرواية تحكم على هذا الصحابي بالخروج عن دينه هي رواية مردودة ومدسوسة مدارها على رواة متهمين بعدة تهم عند المعتبرين من علماء الجرح والتعديل؛ إذ كيف تقبل رواية متهم على أنها من المسلمات التاريخية، ثم كيف تترك الروايات الصحيحة الثابتة في حق هذا الصحابي الكريم الذي لا يستطيع أحد أن يثبت عليه أي موقف مخالف لجماعة المسلمين، سوى ما

يشيعه عليه أعداء الصحابة وما تردده الغوغاء التي تسمع لكل ناعق، وعلى هذا فإن كل من يصدق هذه الرواية إنما هو مخدوع مغشوش أو مغرض حاقد على السنة وأهلها، ويندرج ذلك على كل كاتب أو مفكر أو خطيب أو متحدث أو غيرهم يرويها على هذا النحو.

ومما يبطله نقلًا الحديث الذي قاله أبو بكر لسعد رضي الله عنهما حينما قال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هذا الأمر**»[١]. يؤيد ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**»[٢]. وقوله ﷺ: «**قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة**»[٣]. إن هذه الرواية التي يدين بها الرافضة وأعداء الصحابة للطعن في وحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوّتهم ما هي إلا رواية مريبة ومثيرة ومفضوحة بصياغتها ومقاصدها، وذلك لكثير من الأسباب التي من أهمها:

١- مخالفتها لنصوص القرآن الكريم التي تثني على الصحابة رضي الله عنهم وسعد من كبارهم وفي مقدمتهم رضي الله عنهم.

٢- مخالفتها لنصوص الحديث الشريف الذي يثني على سعد بن عبادة رضي الله عنه مما ذُكر آنفًا.

٣- وأنّ الراوي (أبا مخنف لوط بن يحيى) أخباري تالف لا يوثق به، شيعي محترق صاحب أخبارهم[٤] لا يؤخذ بأخباره وعامة رواياته في الصحابة رضي الله

---

(١) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر رضي الله عنه، ح (١٩). ابن عساكر: ٣٠/ ٢٧٤. وينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٥٣٦. السيوطي: تاريخ، ٧٠. مسلم: ك. الإمارة، ح (١٨١٨) الهيثمي: مجمع الزوائد، الخلافة في قريش ٥/ ١٩١.

(٢) صحيح مسلم: ك. الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ح (٤٦٨٠).

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ك. الفتن، باب معاوية بن أبي سفيان (٢٢٢٧). الطبراني: المعجم الكبير، ك. الميم، باب معاوية، ح (٨٤٧).

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤/ ٤٩٢.

عنهم ولا في المسائل الخلافية، قال الذهبي عن هذه الرواية: إسنادها كما ترى[1] أي في غاية الضعف، أمّا متنها فهو يُناقض سيرة سعد، وما في عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولماضي جهاده ونصرته، إذ كان هو حامل راية الأنصار في عهد رسول الله ﷺ، فإذا استحر القتل كان رسول الله ﷺ مما يكون تحت راية الأنصار[2]. وبلغ من غيرته أن قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا إلى ما يقول سيدكم**»[3]. ولم يذكر عن سعد رضي الله عنه أنه نزع يدًا من طاعة، أو نازع الأمر أهله، أو ذكر عنه أي موقف يثير الريبة حول بيعته رضي الله عنه، فمن أي باب يدخل المفترون على تاريخ الصحابة لينفثوا أحقادهم وفتنهم، ومن غير الموضوعية التركيز على الروايات الباطلة، وإذاعتها والطعن في قادة الأمة وتشويه مواقفهم والتشكيك في وحدتها بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهناك من الباحثين المغرضين والمغفلين ممن لا يزال يروّج لمثل هذه الأباطيل، ويعمل مدلسًا على مد جذور ذلك الخلاف إلى عصر الرسول ﷺ، وأنّ ذلك كان مطروحًا قبل ثلاث سنوات على الأقل من وفاته ﷺ إبان اعتراض قريش على حمل سعد بن عبادة رضي الله عنه راية الفتح.

ويستطرد هذا الباحث مفتريًا ودون الإشارة إلى أي مصدر فيجعل من تحويل راية الأنصار يوم فتح مكة من سعد إلى ابنه قيس قضية ذات خطر يُؤثِر لأجلها سعد رضي الله عنه المنفى وربما الموت بعد ذلك على أن يُبايع لقريش المهاجرين الذين أحبهم ونصرهم بنفسه وقومه وماله، فخرج مغاضبًا إلى الشام حيث قُتل في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه نتيجة لهذا الموقف المتشدد، كل هذا الإفك يجترونه ويدونونه دون حياء أو خوف من الله

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٢٠٠، ٢٧٦.

(٢) ابن حنبل: المسند، مناقب الأنصار، ح (٣٣٠٦). الخليفة: الإنصاف، ١٢٠.

(٣) ابن ماجه: السنن، مناقب الأنصار، ح (٢٥٩٥)، أبو داود: السنن، ح (٣٩٢٨).

أو خجل من عباده الصالحين، في غمز وطعن علني لخيار الأمة وسادتها، وبهذه البساطة ينفث هذا المفتري[1] أحقاده ليمحو ببهتانه إيمان وجهاد ومواقف سيد الخزرج وولاءه لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ويغمز ويطعن في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وعدالته وأمانته ويوحي أنه كان شريكًا في مقتل سعد الذي توفي بحوران من أرض الشام، وبعد إثارة هذه الشكوك وأنّ سعدًا استمر على موقفه المتشدد يتناقض هذا الكاتب في روايته، فذكر أن سعدًا رضي الله عنه: رضخ للأمر الواقع... إذ وجد أنّ الرياح مالت إلى المهاجرين وشيخهم أبي بكر. وبذلك يفقد الصدق ويقع في هاوية البهتان والردة فيرد كلام الله تعالى وشهادته عز وجل للأنصار والمهاجرين بصدق الإيمان وإخلاص الجهاد وبالأخوّة والمودة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[3]. فإذا لم يكن سعد بن عبادة رضي الله عنه من الأنصار الذين آووا ونصروا فمن يكون إذًا؟! ومع كل ذلك يأبى أعداء الأنصار والمهاجرين من مجوس هذه الأمة إلا أن يعملوا على وصم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ببعض أخلاق الجاهلية التي طهرهم الله منها، وشهد لهم في ذلك الكتاب والسنة، مما يؤكد لكل الغافلين والمتهافتين والمتساقطين في وحل الرفض أن مبغضي الصحابة لا يقيمون لهم وزنًا في كتاباتهم، فيصورون ولاء هذا الصحابي قريشيًّا وذاك خزرجيًّا، أو مكيًّا ويثربيًّا، والله سبحانه وتعالى سماهم مهاجرين وأنصارًا،

(١) بيضون: في كتابه الأنصار والرسول ﷺ، ٥٣ فما بعدها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

ولا شك أن أهل السنة النبوية يتمسكون بما عرفوه عن نبيهم ﷺ ويرفضون كل ما يهذي به أعداء الصحابة من زيف إنما يروجونه للطعن في أي من أصحاب رسول الله ﷺ.

قيل لأنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله[1]. وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[2].

قال قتادة: كان ذلك بحمد الله؛ جاءه سبعون رجلًا من الأنصار فبايعوه في العقبة ونصروه وآووه حتى أظهر الله دينه، قال: ولم يُسَمَّ حي من الناس باسم لم يكن لهم إلا هم. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[3]. ومعلوم أنّ رضاء الله تعالى لا يحصل إلا لمن صلح عمله وصدق جهاده، ولهذا فإن أي باحث أو فرقة أو طائفة أو مؤسسة أو جماعة من الناس ينتقصون أصحاب محمد ﷺ أو يرتعون في حماهم أو يحومون حوله، هم الناقصون المتهمون الآثمون، الناقصون في الرؤية والبحث والصدق والأمانة، المتهمون بالزندقة والعمل على هدم الدين، يدعون الناس إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ وتصديق أباطيلهم المبنية على الحقد والضغينة، ومع ذلك يتحدثون عن شيء اسمه الموضوعية والبحث العلمي، فكيف يتحدث هؤلاء عن هذه المواصفات وهم يعملون ضدها، فهل من الموضوعية والعلمية أن يُردّ قول الله تعالى؟ ويؤخذ بتخيلاتهم!! أم أنْ تُنكر إنجازات المهاجرين والأنصار في الفكر والحضارة والوحدة والفتوح وغيرها؟

إن الإنصاف والموضوعية لا توجد إلا عند المؤمنين، الذين يحاسبون أنفسهم ويخافون يوم الحساب، وإنّ من الإنصاف والعلمية والموضوعية أن يُتهم كل من يطعن في أحد من

(١) البخاري: صحيح البخاري، مناقب الأنصار، ح (٣٥٦٥).
(٢) سورة الصف، الآية: ١٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

الصحابة الكرام، بل وكل من يثق بأعداء الصحابة ويدعو إلى مودتهم وهم على ما هم عليه من الرفض والردة، وأن يكون ذلك مؤشرًا على عقوقه لعقيدته وحَمَلتها ولأمته وبُناتها، وأن هؤلاء الطاعنين في الصحابة مقاصدهم أخطر وأكبر مما يُفصحون عنه، مقصدهم العمل على هدم الإسلام وانتزاع الثقة من عقول المؤمنين بهذا الدين، ولما لم يجرؤوا على الإفصاح بتكذيب القرآن الكريم والطعن في الرسول الأمين ﷺ جعلوا من الصحابة غرضًا لهم وهدفًا لنشر سمومهم لأنهم علموا أن الطعن فيهم طعن في الوحي وطعن في النبوة، ولأنهم هم حملة الوحي وورثة النبوة بعد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[1]. ولكن الزنادقة والعلمانيين وأعداء السنة الذين تحللوا من عقيدتهم لم يتوبوا، وبدلًا من أن ينظروا إلى ما أصاب الأمة المسلمة من الهوان والتمزق والضياع والتبعية، بعدما تخلت عن منهجية وعقيدة وأخلاق المهاجرين والأنصار، وأن يبحثوا ويحللوا ذلك بموضوعية ويستخرجوا من ذلك العبرة والعظة، فقد اتخذوا تاريخ صدر الإسلام عصر الفتح والفكر والحضارة، مسرحًا لأوهامهم ومرتعًا لأمانيهم الباطلة.

وفي المقابل فهم يُمجّدون هذا العصر، عصر الانحراف والتبعية والردة، عصر الهزيمة وفقدان الهوية، وضياع الوحدة ونكران الأخوّة وحقوق الجوار، زمن التقليد والبطالة وصناعة الطبقية، ويُمجدون الذين يعملون على قيادة الأمة، بالمنهجية والأخلاقية التي يريدها لها أعداؤها، بعيدًا عن سيرة الصحابة ومنهجهم الذي ساروا عليه.

فكم يتوجب بعد معرفة كل هذا التلبيس والزيف على المنصفين المؤمنين، أن يتعلقوا بمعالم عصر الصحابة وعقيدته وثوابته، وكم يتوجب عليهم العمل والصبر والاحتساب، حتى تعود الأمة إلى منهجها ومسارها الصحيح، وكم يتوجب على الغوغاء والمغفلين والجهلة الذين خُدعوا وغُرّر بهم، حتى تشككوا في عقيدتهم وخرجوا من ملتهم فأصبحوا

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

هائمين على وجوههم في هذا الوجود، يتبعون كل ناعق، ويُستخدمون ضد أنفسهم وضد بلدانهم وأمتهم ثم يُلفظون هياكل بلا أرواح؛ كم يجب على هؤلاء من التنبه والحذر، ممن يدعوهم إلى غير منهج الصحابة وعقيدتهم، وكم عليهم من واجب العمل، حتى تبرأ الأمة من وباء الرافضة ويعود أبناؤها إلى موقعهم الطبيعي في ظلال عقيدتهم، التي تُعلّمنا أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأن أعداء الصحابة هم الشر المستطير والبلاء الذي لا ينجلي إلا بالعلم والتمسك بالسنة النبوية والتلاحم بين أهلها المخلصين.



موافقة أهل الشوكة موجب لشرعية الخلافة

مع أهمية الخلافة والسلطة وأهمية كل ما يقال حول موجبات وشروط الخلافة فإن أهل السنة يهمهم منهج الحكم الذي تسير عليه السلطات أكثر من اهتمامهم بوسائل الوصول إلى السلطة، واهتمامهم بالمنهج ووسائل التنفيذ أكثر من نوعية وأصول الولاة، وهذا يؤكد عميق وعيهم وصحة تعاطيهم للأمور، فكم من سلطان حكم المسلمين وهو من سراتهم وأكابرهم؛ لكنه لم يلتزم بشريعتهم ولم يقم وزنًا لعقيدتهم، فجلب عليهم من الويلات والنكبات ما يعجز عنه الوصف!! وهل المستعصم خليفة بغداد عند سقوطها على أيدي التتار عام ٦٥٦هـ إلا من هذا النوع؟ ومع ذلك كان يعبث به الرافضة ووزيرهم ابن العلقمي الذي باع الدين والأمة عندما عمل جاسوسًا عند هولاكو فتسبب في سقوط الخلافة وما تبع ذلك من النكبات!! وهل قطز والظاهر بيبرس وأمثالهم من القادة الغيورين على السنة إلا من الموالي؟ فماذا أغنى عن الأمة كون المستعصم بالله العباسي من آل البيت؟ وما ضرّ الأمة كون بطل عين جالوت مولًى لأحد المسلمين؟

وكم من حاكم وصل إلى السلطة بالانتخابات وعمل طيلة حياته ضد مصالح الأمة وثوابتها، فما أغنت الانتخابات أمام استبداده وبطشه وظلمه؟ وكم ممن وصل إلى الحكم عن طريق الوراثة لكنه كان سببًا في سعادة أمته وجلب السعادة إلى رعيته، وكم من واصل إلى الحكم بذات المنهج الوراثي ولكنه كان سبب انهيار بلده وهوان شعبه. فيستخلص من ذلك أن أصول الحاكم وطريقة وصول الحكم إليه لهما أهميتهما لكنهما لم يمنعا حصول الظلم والضياع والاستبداد.

قال ابن تيمية: الإمامة عند أهل السنة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إمامًا حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا.

ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله فالإمامة مُلْك وسلطان، والمَلِك لا يصير ملكًا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكًا بذلك.

وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه، ولهذا لما بويع علي رضي الله عنه وصار معه شوكة صار إمامًا ولو كانوا جماعة في سفر فالسنة أن يؤمّروا أحدهم، كما قال النبي ﷺ: **«لا يحل لثلاثة يكونون في سفر إلا أن يؤمّروا واحدًا منهم»**[1] فإذا أمّره أهل القدرة منهم صار أميرًا. فكون الرجل أميرًا وقاضيًا وواليًا وغير ذلك من الأمور التي مبناها على القدرة والسلطان، متى حصل ما يحصل به من القدرة والسلطان حصلت، وإلا فلا، إذ المقصود بها عمل أعمال لا تحصل إلا بقدرة، فمتى حصلت القدرة التي بها تمكن تلك الأعمال كانت حاصلة وإلا فلا. وهذا مثل كون الرجل راعيًا للماشية، متى سلّمت إليه بحيث يقدر أن يرعاها، كان راعيًا لها وإلا فلا، فلا عمل إلا بقدرة عليه، فمن لم تحصل له القدرة على العمل لم يكن عاملًا، والقدرة على سياسة الناس إما بطاعتهم له وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله.

ولهذا قال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) أبو داود: السنن، ك. الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ح (٢٢٤٢)، وانظر: الشوكاني: نيل الأوطار، ٩/ ١٢٨.

وقال: ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز برًّا كان أو فاجرًا[1]. وقال في رواية وقد سئل عن حديث النبي ﷺ: «**من مات وليس له إمام، مات ميتة جاهلية**»[2] ما معناه؟ فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع عليه المسلمون، كلهم يقول هذا إمام؛ فهذا معناه. والكلام هنا في مقامين:

أحدهما: في كون أبي بكر رضي الله عنه كان هو المستحق للإمامة، وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله، فهذا ثابت بالنصوص والإجماع، وبهذا يثبت أن من يرفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه فإنما يبغض ما يحبه الله ورسوله ﷺ، وهذا يجعل كل من يقر الرافضة في حربهم على الصحابة إنما يتلبس بوجه من وجوه الردة.

والثاني: أنه متى صار إمامًا فذلك بمبايعة أهل القدرة له، وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر رضي الله عنهما، إنما صار إمامًا لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر رضي الله عنه ولم يبايعوه لم يصر إمامًا، سواء كان ذلك جائزًا أو غير جائز. فالحل والحرمة متعلق بالأفعال، وأما نفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورسوله، كسلطان الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على وجه فيه معصية، كسلطان الظالمين.

ولو قُدّر أن عمر رضي الله عنه وطائفة معه بايعوه وامتنع سائر الصحابة؛ لم يصر إمامًا بذلك، وإنما صار إمامًا بمبايعة جمهور الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أهل القدرة والشوكة؛ لأن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك فمن قال إنه يصير إمامًا بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة وليسوا هم ذوي القدرة والشوكة، فقد غلط؛ كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين أو العشرة يضر، فقد غلط.

---

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٥٢٧.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب طاعة الأئمة، ح (٤٥٧٣).

وأبو بكر رضي الله عنه بايعه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم الذين هم بطانة رسول الله ﷺ والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة، وبهم قهر المشركون، وبهم فتحت جزيرة العرب، فجمهور الذين بايعوا رسول الله ﷺ هم الذين بايعوا أبا بكر رضي الله عنه، وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة فلا بد لكل بيعة من سابق، ولو قدر أن بعض الناس كان كارهًا للبيعة لم يقدح ذلك في مقصودها فإن نفس الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية الدالة على أنه أحقهم بها، ومع قيام الأدلة الشرعية لا يضر من خالفها، ونفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان، بمطاوعة ذوي الشوكة فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر، فانعقدت خلافة النبوة في حق الصديق رضي الله عنه بالكتاب والحديد، وأما عمر رضي الله عنه فإن أبا بكر رضي الله عنه عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر رضي الله عنه فصار إمامًا لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له[1].

قال: ولهذا كانت الرافضة لما عدلت عن السنة في معاونة أئمة المسلمين والاستعانة بهم، دخلوا في معاونة الكفار والاستعانة بهم، فهم يدعون إلى الإمام المعصوم، ولا يعرف لهم إمام موجود يأتمون به إلا كفور أو ظلوم، فهم كالذي يحيل بعض العامة على أولياء الله رجال الغيب ولا رجال عنده إلا أهل الكذب والمكر الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، أو الجن أو الشياطين الذين يحصل بهم لبعض الناس أحوال شيطانية.

فلو قدر أن ما تدعيه الرافضة من النص هو حق موجود وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه، لكانوا قد تركوا من يجب توليته وولوا غيره. وحينئذ فالإمام الذي قام بمقصود الإمامة هو هذا المولى دون ذلك الممنوع المقهور. نعم ذلك يستحق أن يولى، لكن ما ولي، فالإثم على من ضيع حقه وعدل عنه لا على من لم يضيع حقه ولم يعتدِ. وعلى هذه القاعدة يظهر

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٥٢٧-٥٣٢.

زيف الرافضة في مواقفهم الدينية التي تفتري وجود الوصية وفي مواقفهم السياسية بعدم وفائهم لما اخترعوه من وصية وإمامة، ليسقطوا بها منهاج السنة النبوية وما سار عليه الصحابة في ضوابطهم الشرعية والعلمية.

وهم يقولون: إن الإمام وجب نصبه لأنه لطف ومصلحة للعباد؛ فإذا كان الله ورسوله ﷺ يعلم أن الناس لا يولون هذا المعين إذا أمروا بولايته، كان أمرهم بولاية من يولونه وينتفعون بولايته، أولى من أمرهم بولاية من لا يولونه ولا ينتفعون بولايته، كما قيل في إمامة الصلاة والقضاء وغير ذلك، فكيف إذا كان ما يدعونه من النص من أعظم الكذب والافتراء؟!

فقول أهل السنة خبر صادق وقول حكيم، وقول الرافضة خبر كاذب وقول سفيه. فأهل السنة يقولون: الأمير والإمام والخليفة ذو السلطان الموجود الذي له القدرة على عمل مقصود الولاية، كما أن إمام الصلاة هو الذي يصلي بالناس وهم يأتمون به، ليس إمام الصلاة من يستحق أن يكون إمامًا وهو لا يصلي بأحد، لكن هذا ينبغي أن يكون إمامًا. والفرق بين الإمام وبين من ينبغي أن يكون هو الإمام، لا يخفى إلا على الطغام اللئام الذين يعملون على تحريف دين الإسلام.

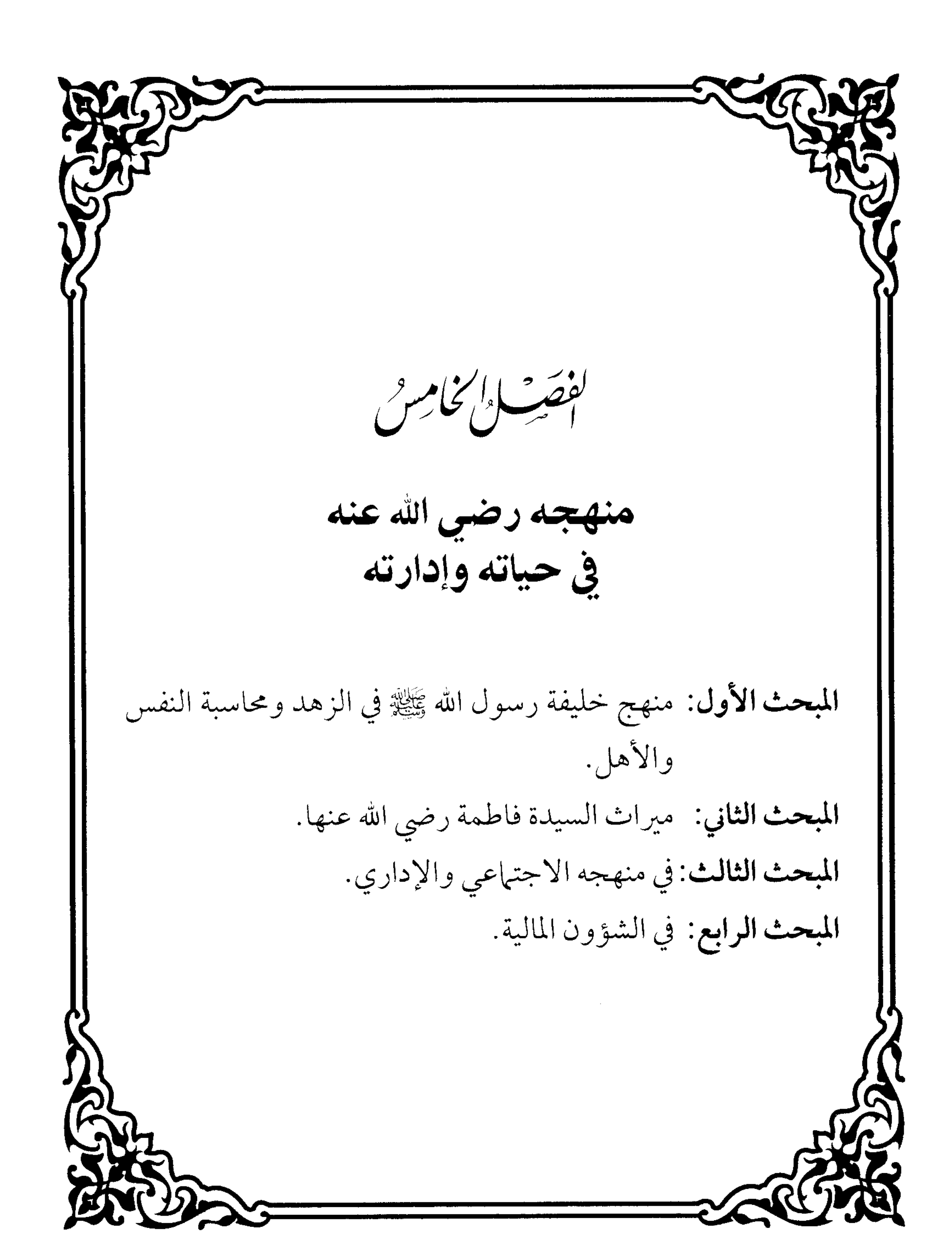
قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1]. وقال عز وجل: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2]. وعلى هذا فإن الأصل في الحكم هو اتباع الشرع والعمل به لا العمل بالأهواء وأقوال الأكثرية أو الأقلية أو أهل الأحساب والأنساب أو الانشغال بوسائل الوصول إلى السلطة، وترك ما ينبغي أن يعمل به من في السلطة. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[3]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[4].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

فمنهاج الحكم في الإسلام إنما هو منهج الكتاب والسنة وما أجمع عليه الصحابة وما تفرع عن ذلك، وكل ما سوى ذلك إنما هو مناهج تنسب إلى مشرعيها، فمن شرّع دين الرافضة ينسب إليه هو ومن عمل به ودعا إليه إلى يوم القيامة، ومن شرّع العلمانية أو الاشتراكية أو الليبرالية أو القومية الجاهلية أو غير ذلك، واستبدل بها دين الله وما جاء به الرسول ﷺ فإنما تنسب الشرائع إلى من عمل بها أو دعا إلى العمل بها ورضي بذلك، وهجر منهج الله ورسوله ﷺ ومسار عباده الصالحين. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].



(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.



الفصل الخامس

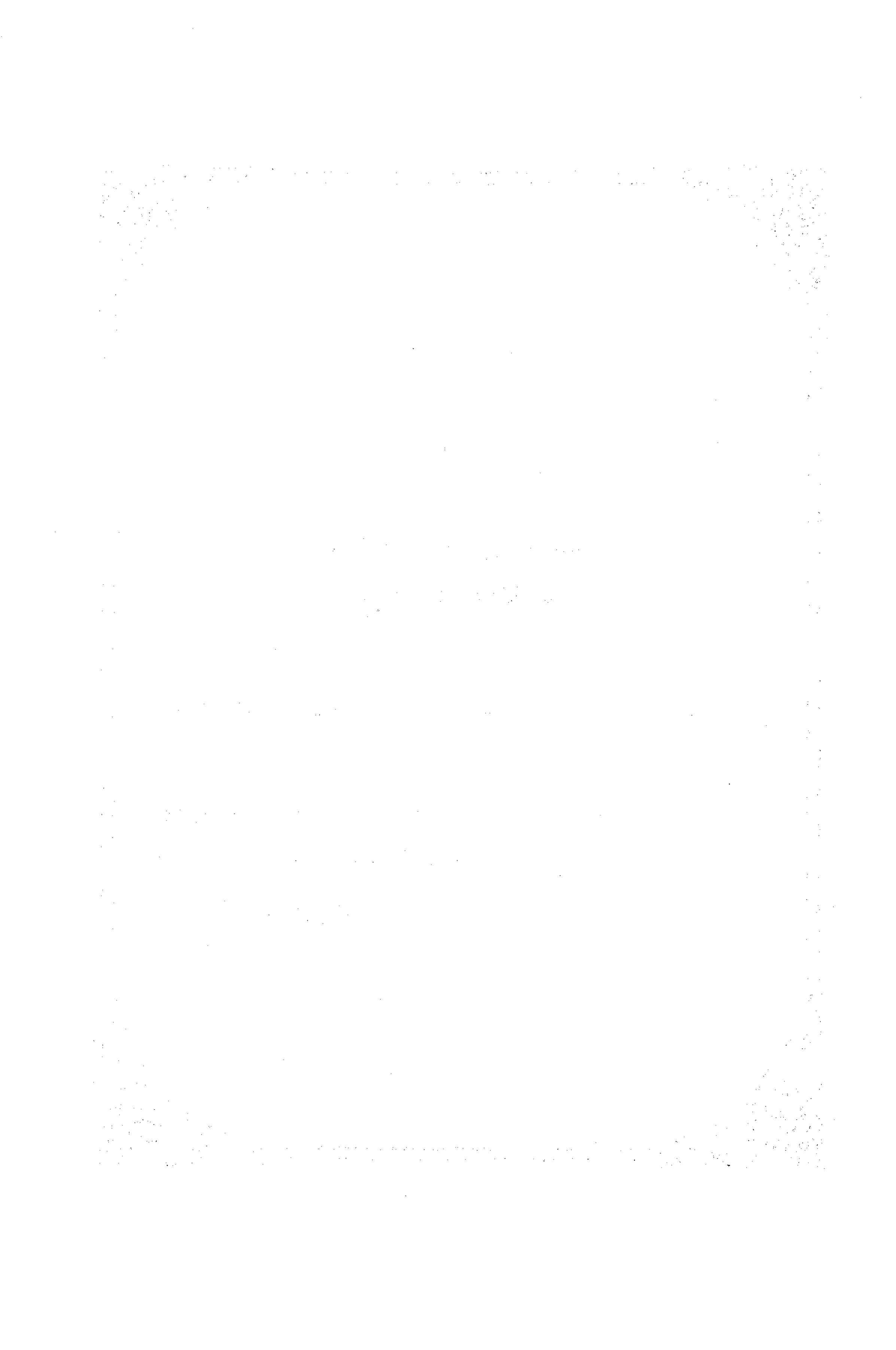
منهجه رضي الله عنه في حياته وإدارته

المبحث الأول: منهج خليفة رسول الله ﷺ في الزهد ومحاسبة النفس والأهل.

المبحث الثاني: ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في منهجه الاجتماعي والإداري.

المبحث الرابع: في الشؤون المالية.



المبحث الأول

منهج خليفة رسول الله ﷺ في الزهد ومحاسبة النفس والأهل أبو بكر حجة على القادة والحكام أجمعين

الصحابة رضي الله عنهم أزهد الناس وأصدقهم:

مع أن رسول الله ﷺ هو الذي قدّم خليفته أبا بكر رضي الله عنه في كل مكرمة عاشها المسلمون، واستعان به على كل ملمة مرّ بها المؤمنون فقد كان أقرب النّاس وأحبهم إليه ﷺ كان جميع الصحابة يعلمون ذلك، وكانوا يعدون التقدم عليه رضي الله عنه تعديًا على مراد رسول الله ﷺ ورغبته وتوجيهاته وسابق سيرته، مع كل هذا وغيره مما كان يتصف به خليفة رسول الله ﷺ من خصائص تفرد بها بين جموع المؤمنين، ومع اتفاق جميع الرواة والمؤرخين على أن أبا بكر رضي الله عنه لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق، وأنه هو القائل: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما أبا عبيدة. فإن الصحابة جميعًا رفضوا التقدم بين يديه حتى بعد اعتذاره وهو القائل: أقيلوني أقيلوني[1]. فلهذا وغيره فقد ازدادوا به تعلقًا لعلمهم بأنه خيرهم وسيدهم وأقربهم إلى رسول الله ﷺ كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ذكر استقالة أبي بكر من البيعة. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٤٧، الأنصار في العصر الراشدي، ١٠٧.

رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك أحد[1].

فالصحابة رضي الله عنهم اختاروه وأبوا أن يقبلوا اعتذاره أو أن يتقدم عليه أحد، بعد أن قال النبي ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[2]. فأبى الله تعالى وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبي بكر رضي الله عنه أمر الأمة بعد رسول الله ﷺ، فالله هو الذي ولاه قدرًا وشرعًا، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه رضي الله عنه.

فأصبح التشكيك في خلافته لونًا من ألوان الردة لما فيه من رفض للنصوص الصحيحة ولإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم الذين عدّوا ذلك من المهالك التي لا تغتفر حتى قال عمر الفاروق رضي الله عنه: «فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر»[3]. فلأجل كل الفضائل وغيرها من الخصائص الكثيرة التي انفرد بها خليفة رسول الله، فقد بايعه جميع الصحابة رضي الله عنهم ولم يتخلف عنه أحد منهم محبين له سعداء بتقديمه، فأصبح ذلك التبجيل لخليفة رسول الله ﷺ خلقًا ثابتًا لهم يرجون به البركة.

فإذا كان هٰذا هو موقف الفاروق عمر رضي الله عنه فما هو قول من دونه من الصحابة رضي الله عنهم، وإذا كان هذا هو موقف الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير البشر بعد الأنبياء من حيث الانقياد الكامل والطاعة التامة لخليفة رسول الله ﷺ، فمن أي باب يدخل أراذل البشر ممن دينهم النفاق وخُلقهم الإفك وسيرتهم الآثام والتخليط بين الردة والسنة، ليتطاولوا على قمة البشرية بعد الأنبياء وسيد المؤمنين وإمام الناس بعد رسول الله ﷺ،

---

(١) سنن البيهقي: ك. أهل البغي، باب الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٤): ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/ ٥١.

(٢) صحيح البخاري: ك. الأحكام، باب الاستخلاف، (٦٧٩١) صحيح مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٦١٣١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، ح (٦٣٢٨).

هؤلاء الذين يجعل الواحد منهم من نفسه العارية الهاوية مقومًا لخليفة رسول الله ﷺ أو ناقدًا أو عائبًا له رضي الله عنه أو داعية إلى محبة مبغضيه ورافضي خلافته.

وعلى هذا فإن أي لغط حول أي جانب من جوانب شخصية خليفة رسول الله ﷺ الشامخة بكل إنجازاتها وعطائها؛ ما هو إلا هذيان وتخرص واجترار للباطل وللشك، واستمراء لصديد بهتان الرافضة والمستشرقين، وتفسير للنصوص والوقائع والأحداث على غير وجهها وحقيقتها التي جرت عليها.

بل إن كل ما يقوم به أعداء الصحابة ومعهم الرعاع والغوغاء من غمز في هذا الحق الصريح أو لمز بمصداقيته دون حياء من الانغماس في نتن الكذب والإفك، ودون أي خوف من مخالفة الكتاب والسنة، إنما هو محاولات يائسة لبعث صفحات الردة من جديد، فأصبح ترويج مثل هذه الفرية عند كل طالب للحق إنما هو وجه من وجوه الجهل والبلادة والهزيمة واجترار الحنظل، وموالاة الرفض ومناصرة الردة بما لا يشفع لمن يردده شافع، لما يترتب عليه من غمط الحق ورد موروث الأمة والشك في عقيدتها، وبما يؤلم كل مؤمن ويُحزن كلّ محب للسنة، ويثلج صدر كل زنديق ويسرّ كل عدو لأصحاب رسول الله ﷺ.

لقد كان الصديق رضي الله عنه إمامًا لكل الصحابة، وكان في مقدمة من يأتم به رضي الله عنه ويسير على منهجه علي رضي الله عنه أيام خلافته وبما يقطع طرق التزييف والفتنة أمام أعداء الصحابة، وكان من سيرة أبي بكر رضي الله عنه في قسم الأموال التسوية، وكذلك سيرة علي رضي الله عنه كانت التسوية؛ فلو بايع بنو هاشم - كما تزعم الرافضة - عليًّا رضي الله عنه[1] لأعطاهم ما أعطاهم أبو بكر رضي الله عنه مع كون قبيلته أشرف القبائل، وكون بني هاشم وبني أمية وغيرهم إذ ذاك، كأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه وغيره وكالعباس رضي الله عنه وغيره كانوا معه. وقد أراد أبو سفيان أن تكون الإمارة في بني عبد مناف على عادة الجاهلية فلم يجبه إلى ذلك عليٌّ ولا عثمان رضي الله عنهما ولا غيرهما لعلمهم ودينهم.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/ ٥١.

فأيّ رياسة وأيّ مال كان لجمهور المسلمين بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه؟ ولا سيما أنه يسوي بين السابقين الأولين وبين آحاد المسلمين في العطاء، ويقول: إنما أسلموا لله وأجورهم على الله، وإنما هذا المتاع بلاغ. وقال لعمر رضي الله عنه لما أشار عليه بالتفضيل في العطاء: أفأشتري منهم إيمانهم؟ فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين بايعوه أولًا كعمر وأبي عبيدة وأسيد بن حضير وغيرهم رضي الله عنهم سوّى بينهم وبين الطلقاء الذين أسلموا عام الفتح، بل وبين من أسلم بعد موت النبي ﷺ، فهل حصل لهؤلاء من الدنيا بولايته شيء[1]؟ فلماذا كان هؤلاء السابقون الأولون أشد الناس تمسكًا بطاعة خليفة رسول الله ﷺ ما دام أنه لا يوجد مكسب دنيوي في ذلك، فإذا انعدم هذا فلم يبق سوى الدين واتباع سيد المرسلين ﷺ وهذا ما يدعو الأمة بكل شرائحها إلى اتباعهم والسير على خطاهم التي حققت العزة للأمة والسيادة للشريعة.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[2].

وقوله رضي الله عنه: إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ[3].

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٢/ ٥٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ٣٧٩، ح (٣٦٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٩٧. ابن تيمية، منهاج السنة، ٢/ ٧٦.

قال ابن مسعود: وقد رأى أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه[1] فأصبحت خلافته أحسن الحسن، فمن أخذ بها فقد أخذ بمنتهى الحَسَن والصواب وسداد السنة، ومن رفضها أو دعا إلى مودة من رفضها ونصرته؛ فقد خاب وافترى على الله ورسوله ﷺ وشذ إلى الردة وعاب جند المعصوم ﷺ وصحبه الكرام ورد خيار النبوة وقطع حباله بها فبعدًا وسحقًا.

وقول عبد الله بن مسعود أيضًا: كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، كلامٌ جامع بيِّنٌ في حسن قصدهم ونياتهم وبر قلوبهم، بيَّن فيه كمال المعرفة ودقتها بعميق العلم، وتيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف.

فالصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وفي المقابل تجد من ينازع في ذلك كالرافضة وبعض العلمانيين ودعاة التقريب بين السنة والردة، وهؤلاء من أجهل الناس وأبعدهم عن العلم والهدى وأقلهم انتسابًا إلى السنة النبوية وأهلها النجباء.

ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم في الدين رافضي، ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في أئمة الجيوش المؤيدة المنصورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي[2] وإنما يوجدون في مواقف الغدر والخيانة والتلبيس والرياء والبهتان ومحاربة السنة والتآمر على أهلها وانتهاك حرماتها وأعيادها بكل صفاقة.

وقال الشافعي: لم يختلف الصحابة رضي الله عنهم والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[3]. وقال شريك بن عبد الله بن أبي نمر[4] وقال له قائل: أيما أفضل

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/ ٧٨. (٢) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ٢/ ٨١.

(٣) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/ ٨٦.

(٤) شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي أبو عبد الله المدني، توفي ١٤٠ هـ. ينظر: ابن حجر: =

أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشيعي من يقول هذا، والله لقد رقي علي رضي الله عنه هذه الأعواد - منبر مسجد الكوفة - فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، أفكنا نرد قوله؟ أفكنا نكذبه؟ والله ما كان كذابًا[1]. فهؤلاء الذين هم أعلم الناس وأدين الناس يرون تفضيله على الأمة، في العلم والزهد والحمية على السنة، فضلًا عن خلافته التي لا ينازع فيها مؤمن، فكيف يقال مع كل هذا: إن الذين بايعوه كانوا طلاب دنيا أو جهالًا كما يزعم ذلك أعداء الصحابة، الذين ردوا الكتاب والسنة ودانوا ببغضهما واستباحة أهلهما والتلبيس على الناس أنهم من المسلمين.

من زهده وتواضعه:

خليفة رسول الله ﷺ الصديق رضي الله عنه أزهد الناس وأشدهم تواضعًا بعد رسول الله ﷺ، لم يتخذ حشمًا ولا خدمًا ولا مركبًا ولا موكبًا خاصًّا به يدور معه حيث دار، ولم يتخذ قصورًا ولا دواوين، ولا حرسًا وهو الذي سحق الرافضة المرتدين من عامة القبائل، ثم واجه المجوس الفرس والروم الصليبيين ولم يتخذ حرسًا في كل ذلك، فأي عظمة هذه! وأي جرأة! بل أي يقين هذا الذي يتمتع به خليفة رسول الله ﷺ! ولم يكن له وقت محدد يحتجب فيه عن الناس للراحة أو لغيرها، فكان كله بماله وجهده وفكره ويده وبيته وأسرته ومواليه، وكل ما يملك في خدمة أمة محمد ﷺ ودينها العظيم، حتى أصبح بذلك القدوة بعد رسول الله ﷺ لكل من يريد أن يسلك طريق الإصلاح والوحدة والقيادة السديدة على منهاج النبوة وخطى الصالحين المفلحين.

وأصبح حقًّا على كل من يزعم أنه يسير على طريق الإصلاح من أبناء هذه الأمة، أن يُمتحن على منهج خليفة رسول الله ﷺ وإخوانه الراشدين، فمن تشبه بهم فهو على الطريق ومن

= تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٧.

(١) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ١٣، ٢/ ٨٦.

خالفهم وزعم الإصلاح فهو الأفاك المضل المبين، فكان من زهده وتواضعه وحرصه على عزة المؤمنين وحفظ كرامتهم أنه ربما سقط خطام ناقته من يده رضي الله عنه فيضرب بذراع الناقة فينيخها فيأخذه بيده. فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟! فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئًا[1]. يفعل كل ذلك رضي الله عنه وهو يقود دولة تواجه المجوس والصليبيين وأذنابهم ممن لا يستطيع أن يعيش إلا تبعًا خانعًا لأعداء الأمة متجبرًا على أبنائها، ويحقق الانتصارات العسكرية والإنسانية والحضارية على كل أولئك، فأين هذه القيادة من أصحاب القصور والمسابح والملاهي والنوادي؟ ومن لا يفتح باب مركبته بيده حتى يحيطه الخدم والحرس والأتباع والمصفقون والمصورون وغيرهم؟ ليجسدوا حالة البطالة والنقص المركب والهزيمة الشاملة على كل الأصعدة، لكل هذا ولغيره فإن خليفة رسول الله ﷺ كان ولا يزال حجة على كل مقصر في خدمة أمته أو محارب لأبناء ملته، أو مترف على حساب قومه، أو متحزب داخل مجتمعه مع طائفة ضد أخرى، أو متسلط على ضعيف أعزل يسومه التشريد والسجن والقتل في كل حين، في انتهازية عارية واستغلال للموقع وتضييع للأمانة وإسهام في تهديم أركان بناء الأمة.

وبويع أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يوم قُبِضَ رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ فلم يغير منزله الذي كان بالسُّنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزْرَج، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة، فأقام هناك بالسُّنْح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشَّق فيوافي المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى أهله بالسُّنْح، فكان إذا حضر صلّى بالناس، وإذا لم يحضر صلّى بهم عمر بن الخطاب، فكان يقيم يوم الجمعة في صدر النهار بالسُّنْح يصبغ رأسه ولحيته، ثم

---

(١) ابن حنبل: مسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦٦).

يروح لقدر الجمعة، فيجمع بالناس وكان رجلًا تاجرًا، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو نفسه فيها وربّما كُفيها فرعيتْ له، وكان يحلب للحي أغنامهم[1].

ومن تواضعه:

ما رواه حبيب بن عبد الرَّحْمن عن عمته أنيسة قالت: نزل فينا أبو بَكْر رضي الله عنه ثلاث سنين؛ سنتين قبل أن يُستخلف، وسنة بعدما استُخلف، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبها لهن. وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر رضي الله عنه: أنت هو لعمري[2].

فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منايح دارنا. فسمعها أبو بكر، فقال: بلى، لعمري لأحلبنّها لكم وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه. فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغي لك أو أصرح؟ فربما قالت: أرغِ، وربما قالت: صرّحْ، فأيّ ذلك قالت فعل[3].

نعم إن خليفة رسول الله ﷺ لم تتغير أخلاقه لأنه كان يعلم مكان السلطة وحقيقتها بعكس كثير من الصعاليك ممن يزعمون الإصلاح والدعوة إلى «أن الإسلام هو الحل» فما إن يصل إلى موقع صوري من مواقع المسؤولية التي يمضون أيامهم فيها على التسول والمداهنة، ومع ذلك سرعان ما يظهر زيفهم وتتساقط شعاراتهم وإذا بهم جبابرة صغار، يتنمرون على الذين صدّقوا شعاراتهم، فيتحولون من دعاة إلى الإصلاح إلى دعاة لعبادة الذات والتبعية ومداهنة الباطل، وإذا بالشعارات زائفة والدعاوى كاذبة والمسار منحرف والتضليل قائم،

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٣. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٣. والصريح: الحليب بلا رغوة.

لهذا أصبح حقًّا على كل من يزعم أنه من أهل السنة والجماعة أن يسعى بكل ما أوتي من علم ووقت وقدرة، أن تنشر ثقافة علم الصحابة وسيرتهم وأخبارهم لكي تقتدي الأمة بهم وتقيس على موازينهم، وتحذر من أعدائهم لأن كل من يعادي الصحابة فهو بالضرورة عدو للقرآن والسنة المطهرة، وعدو لكل ما هو عربي ولكل ما هو سني على وجه الأرض وإن راوغ ونافق وافترى، وأن يمتحن كل من يزعم الدعوة إلى الإصلاح والتغيير وتفعيل أوامر ونواهي الشرع، وأن تعرض سيرته على منهج أئمة الأمة وقادتها من الراشدين وتابعيهم بإحسان، فإن وافقهم وإلا فهو الدعي المحتال المتلبس بحب نفسه وعبادة أهوائه ونصرة حزبه وأتباعه وتنفيذ مشاريع أوليائه على حساب الكتاب والسنة ومنهج الصحابة رضي الله عنهم ومصلحة الأمة، ومن لا يؤتمن على المال والشعار لا يؤتمن على الدماء والأعراض والأوطان.

في زهده ومحاسبة أهله:

ومثلما كان خليفة رسول الله ﷺ زاهدًا في السلطة والمال فهو زاهد في الطعام والشراب يصبر على الجوع والعطش ويحاسب أهله وينفق ماله في سبيل الله، فقد خرج أبو بكر رضي الله عنه يومًا في الهاجرة إلى المسجد فسمع بذلك عمر رضي الله عنه فخرج، فقال: يا أبا بكر ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: لا، والله ما أخرجني إلا الجوع. فقال: أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**». فقالا: الجوع. فقال ﷺ: «**أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره**». فقاموا، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري، فذكر الحديث في إتيان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر بيت أبي أيوب رضي الله عنهم وذبحه لهم شاة، وطبخه لها وإطعامهم[1]. نعم هذا منهج الدعاة إلى الحق من الإصلاح والتغيير لكل مظاهر الفساد

(١) صحيح مسلم: ك. الأشربة، باب استتباعه غيره، (٢٠٣٨). الترمذي: ك. الأشربة، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٦٩)، وانظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٤/ ٣٤٠.

هؤلاء هم الذين ثبتوا على منهجهم حتى صلحت الدنيا على أيديهم، فأصبحوا حجة على الأدعياء في عصرنا هذا، الذين يفسدون باسم الإصلاح، ويسرقون باسم العطاء، ويفرقون باسم الوحدة، ويشركون باسم التوحيد! فشتان بين دعاة الحق وثمار سيرتهم وبين دعاة الباطل وعلقم زيفهم.

وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه؛ قال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في إطعامه الليلة. قال أبو ذر: فانطلق رسول الله ﷺ وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر رضي الله عنه بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلت بها. ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: إني وجهت لي أرض ذات نخل ولا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟ قال: فأتيت أُنيسًا - أخا أبي ذر - فقال: ما صنعت؟ قلت: قد أسلمت وصدّقت. فقال: ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت. فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت. فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا فأسلم نصفهم وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا. فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: **«غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»**[1].

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه ينفق في كل وجوه الخير حتى إن رسول الله ﷺ نوه بذلك الفضل الذي يفيض من بين يدي أبي بكر رضي الله عنه أمام جمهور المسلمين كما اتضح ذلك في أكثر من موقف، وذلك من باب إشاعة فعل الخير والتشجيع على عمل المعروف، والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، قال علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة»**[2].

(١) انظر قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه فيما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، ح (٢٤٧٣). الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٣١٦.

(٢) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤١). وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه إذ استسقى، فأتي بماء وعسل، فلما وضعه على يديه بكى وانتحب، حتى ظننا أن به شيئًا، ولا نسأله عن شيء، فلما فرغ قلنا: يا خليفة رسول الله ما حملك على هذا البكاء؟ قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ رأيته يدفع عن نفسه شيئًا ولا أرى شيئًا، فقلت: يا رسول الله ما الذي أراك تدفع عن نفسك، ولا أرى شيئا؟ قال: «**الدنيا تطلعت لي فقلت: إليك عني**»، فقالت لي: أما إنك لست بمدركي. قال أبو بكر: فشق علي، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا[١].

ولا شك أن من يزهد في المال والسلطان والطعام والشراب سيكون أكثر قدرة على الزهد في الملابس والحلل والنياشين، قال رافع بن أبي رافع الطائي: رافقت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وعليه كساء له فَدَكِيٌّ يخله عليه إذا ركب ونلبسه أنا وهو إذا نزلنا[٢]. فأبو بكر يكفيه من اللباس ما يستره وقد يشاركه بعض أصحابه في ملبسه الوحيد، وهو الذي يقوم الليل ويحفظ القرآن ويقوم بكل حقوقه، وينازل الأعداء على كل الجبهات العسكرية والسياسية والحضارية فيهزمهم ويظهر عورهم ونقائصهم ويحقق الانتصارات الكاملة عليهم وعلى جحافلهم وأتباعهم من باعة الأوطان والهوية.

بينما نرى الكثيرين من دعاة هذا العصر يرون أنه لا يليق بهم إلا أن يظهروا بمظاهر اليهود والصليبيين وغيرهم من العلمانيين، لأن ذلك في عرفهم الزائف دليل المرونة وقبول الآخر ومشاركته في مظهره حتى لو كان في ربطة العنق ذات الأبعاد الدينية الشركية، ولا بأس في ذلك في مفهوم الأدعياء والمغفلين إذ إن ضياع الهوية أو تزييفها لا يؤثر على وحدة المنهج وسلامة المسار، وأن مفاهيم وأبعاد «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٣]، أو «**من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم**»[٤]. لا تعنيهم لأنهم فوق الوصايا النبوية، وأعرف بمصالح الدعوة

---

(١) الصالحي: سبل الهدى: ٧/ ٨٠. المتقي الهندي: كنز العمال، (١٨٥٩٧).

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١.

(٣) ابن حنبل: المسند، ح (٥٠٩٣)، أبو داود: السنن، ح (٤٠٣١).

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٢٥١٩).

والسنة من حملتها وحماتها، فلا بأس أن يصفقوا لرافض خلافة الصدّيق رضي الله عنه وأن ينحنوا لمقدس قاتل الفاروق إجلالًا لكي يثبتوا أنهم ليسوا طائفيين لمن يتنفس الطائفية شهيقًا وزفيرًا، ويحيا طائفيًّا ويموت طائفيًّا، ولا يبالي من أجل الطائفية التي يدين بها بعهد ولا ميثاق ولا حلال أو حرام.

فأصبح من الأعراف الفاسدة عند علماء الغوغاء شعارات لسان حالها يقول: تعسًا لمن يفرق بين الفاروق وقاتله، وبين عثمانَ ومن اغتاله، وبين علي ومن طعنه؛ إذ لا فرق بينهم في أعراف أولئك الزائفين التائهين المضلين، فما دام القاتل قد ارتدى العمامة إيهامًا للحق وولاء للباطل، ورفع رايات التمويه للاندساس في صفوف العامة التي لا تميز راعيها من حراميها ولإخفاء أهدافهم ودفن أحقادهم، وما دام هذا حاصلًا فهو كافٍ لقادة الغوغاء أن يخضعوا لراياتهم وأن يقودوا أتباعهم في كل منعطف خطر ومنزلق بعيد، حتى وهم يعلمون أن كل ما يقوم به أعداء الصحابة من هجمات وحركات بعيدة المدى ومغامرات خطيرة الصفحات، إنما هو لإحكام التمويه في إجادة أدوار الخداع وإسقاط ورقة الخيانة التي تدمغهم أينما ساروا ورايات العمالة والتحالف مع جميع الغزاة التي تحذر من مكرهم كلما تحركوا للهيمنة على هذه الأمة في أدوار لهوها وغفلتها، وعملوا على التفرد بحلبها والتمتع باستخدامها والتشفي باستعبادها وطمس سنة نبيها ﷺ وطعنها في مشاعرها وأعيادها، كل تلك الرغبات الجامحة ضد هذه الأمة نمت في نفوس أعداء الصحابة انتقامًا ممن فقأ عيون الردة وحطم عروش الأكاسرة والقياصرة وطمس المجوسية واقتلع أنياب الصليبية، لكل هذا ستبقى هي الهدف الأول لكل الطغاة والطامعين والماكرين وفي كل العصور، لا يغفل عن ذلك إلا أحمق أو غشاش، بليد مفرط بأهل السنة، حريص على مشاعر أهل الرفض والردة.

أما الذين وصموا أنفسهم بعار التصفيق لقتلة الراشدين، فإنهم لا يعلمون في أي واد يهيمون، ولا تحت أي راية يسيرون؛ إذ لا يميزون بين راية خليفة رسول الله ﷺ إمام السنة وقائد السابقين، وبين راية مسيلمة الكذاب سيد الرافضة وإمام المرتدين، وذلك لغياب

الضابط الشرعي، وموت الوازع الموقظ للضمائر وعمى عين الاعتبار وموت الذاكرة وشدة الحرص على الحياة أي حياة حتى لو كانت بلا هوية ولا راية ولا هدف!!

فأصبح من مناهجهم الضالة واجتهاداتهم الفاسدة، إيقاع الأمة في كل فتنة وإدخالها في كل نفق، وتدجين أبنائها وتصديع بنائها، وقيادة جموع المصفقين لقتلة الراشدين، وتكرار ذلك حتى أصبح جزءًا من ركائز سياستهم التائهة، فلم يعودوا يبالون أين يتوجهون ولا مع من يسيرون، وكيف يبالون بشيء من هذا وصدى تصفيقهم يردد: ألا بعدًا للصديق والفاروق وعثمانَ وعلي - رضي الله عنهم - ما داموا عثرة في طريق التقريب والوحدة - المخادعة المهلكة - بين مكذبي القرآن ومكفري الصحابة وقتلة الحفاظ والقراء والعلماء والأئمة والمؤذنين، حيث لا تقوم أركان دينهم إلا على سحق السنة النبوية وإبادة أهلها بعد تجريدهم واستباحة ثوابتهم؛ وبين الأدعياء الأغبياء مضيعي الأمة والهوية والأمانة والمصلحة، أولئك المفرطون الذين صمّوا عن نصح الناصحين وأغمضوا أعينهم عن الاعتبار لكل ما يجري لحملة الدين، حتى انحرفوا عن منهج خليفة رسول رب العالمين، وباعوا دماء الصالحين بلا ثمن في أسواق المخادعين الغاشين، فأسهموا في تمدد الرفض والردة بين المسلمين، ولم يعتبروا بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

في ورعه ومحاسبته وتركته:

لقد أصبح الكثير من المسلمين في هذا العصر لا يطمع في أكثر من الأمن على نفسه وعياله وممتلكاته لئلا تأتيه معرة وتبعات بسبب أدائه لشعائر دينه، وبعد ذلك لا يبالي إن قاده وساده عدوه أو أخوه، كل ذلك لما يمارس ضد أهل السنة المطهرة من حرب التزييف المعلنة والسرية، ولغياب وازع المحاسبة في ضمائر الكثير من الناس فلم يعودوا يميزون بين من يقودهم إلى حتفهم وبين من يحييهم، وقد تجلى هذا فيما يقوم به بعض أعداء الصحابة من محاكاة مشاعر العامة والتظاهر بالعمل على تحقيق مطالبهم وما يصبون إليه من أماني

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤١.

وآمال في هذا العصر، وكل ذلك بعد دراسات واتفاقيات ماكرة تهدف إلى النيل من أهل السنة النبوية وعقيدتهم، وخوفًا من الوصول إلى مثل هذه الحال كان أبو بكر رضي الله عنه يدعو إلى تفعيل مبدأ المحاسبة في النفوس حتى تُجلى الضمائر وتصقل البصائر فتعرف الأمور على حقيقتها، ولا يصقل هذا الإحساس بالمسؤولية مثل شدة المراقبة التي تولد النزاهة وتغذي الأمانة وتولد الرقة، فكان رضي الله عنه يقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. وكان يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن[1].

وعن أوسط بن عمرو قال: قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنة فألفيت أبا بكر يخطب الناس على المنبر فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول فخنقته العبرة ثلاث مرات ثم قال: «**يا أيها الناس، سلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة، ولا أشد من ريبة بعد كفر، وعليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، وهما في النار**»[2]. وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رأى أبا بكر وهو مذْلٍ لسانه، آخذه بيده. فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا[3]؟ فحياته محاسبة دائمة ونظر واعتبار وتفكر أثمر عطاء دائمًا ونجاحًا باهرًا في كل محاور الحياة، وبلغ من محاسبته وشدة يقظته أنه «أتي رضي الله عنه بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح»[4]. فالغفلة عند خليفة رسول الله لا تليق بالمؤمن ولا بالطير ولا بالحيوان لأنها سبب هلاكه في الدنيا والآخرة كما هي سبب في فلاحه أيضًا، وإن فاته شيء من أمر الدنيا فعليه أن يحتسب ذلك عند الله تعالى لكيلا يفوته الأجر والمثوبة، قال رضي الله عنه: إن المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في النكبة وانقطاع شسعه والبضاعة تكون في كمه

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١٠٩.
(٢) السيوطي: الدر المنثور، ٤/ ٣١٧. مالك: موطأ مالك برواية يحيى الليثي، ح (١٧٩٢).
(٣) الشيباني: الزهد، ١/ ١١٢.
(٤) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٠.

فيفتقدها فيفزع لها فيجدها في ضبته[1].

وبلغ من ورع خليفة رسول الله وشدة محاسبته لنفسه أنه لا يتهاون في كل ما به وجه من وجوه الشبهة، وقد كان له رضي الله عنه غلام فكان إذا جاء بِغَلَّتِهِ لم يأكل من غلته حتى يسأله فإن كان شيئًا مما يحب أكل؛ وإن كان شيئًا مما يكره لم يأكل. فنسي ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله - بعدما أكل - فأخبره أنه من شيء كرهه رضي الله عنه فأدخل يده فتقيأ[2] - أي ما في بطنه - خشية من شبهة تدخل في جسده الطاهر الذي نبت على الحلال وحب الله والرسول ﷺ والسنة، ولا أدري - والله - ما حالنا حيث نأكل ولا نسأل ونجمع ولا نتحرى إلا من رحم الله تعالى، فشتان بين من تربى بين يدي رسول الله ﷺ وبين من يعيش يصفق لمن يأكل من أموال أتباعه خُمس أموالهم فيسخره لشهواته وأهوائه ولتزييف السنة وإقامة الحرب على أصحاب رسول الله ﷺ ومحبيهم.

فأين المشرعون لأنفسهم ما يُحل حقوق الآخرين؟ وأين الذين يبتلعون حقوق المؤمنين وحرياتهم ويمنعونهم من إقامة شعائر دينهم، ويجترئون على قتلهم وسجنهم وتشريدهم؟ وأين يذهب الذين يودعون خزائنهم الخاصة ثروات الضعفاء والمساكين؟ وأين يفر بناة القصور والملاهي ونوادي الفساد وفضائيات الحرب على الله ورسوله ﷺ؟ أم أنهم مخلدون؟ بل ماذا يفعل أولئك الذين جمعوا الثروات وبخلوا بها عمن يضع جسده ودمه ووقته درعًا لحماية الأمة والسنة النبوية؟ أين كل هؤلاء من سيرة خليفة رسول الله ﷺ ومنهجه وسياسته التي أصبحت حجة على كل ظالم وطاغية آكل لحقوق الناس ومصادر لحرياتهم بالقهر والجشع والحيل والخداع؟

فلم يتهاون الصديق رضي الله عنه مع أي انغماس في أي جزئية من جزئيات الدنيا لا مع قريب ولا بعيد وقد حضرت الوفاة ابنًا لأبي بكر رضي الله عنه فجعل - الابن - يلحظ

(١) ابن حنبل: الزهد، ١٠٩. عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف، ٧/ ٩٣. السيوطي: الدر المنثور، ٥/ ٢٩١ وانظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣٣٢.

إلى وسادة، فلما توفي قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة. قال: فضرب أبو بكر رضي الله عنه بيده على الأخرى يرجع بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا فلان ما أحسب جلدك يتسع لها[1]. هذا موقفه مع ولده الذي ادخر لنفسه خمسة دنانير من الكسب الحلال حيث يرى الصديق رضي الله عنه ألا طاقة لابنه في الوقوف لمناقشة الحساب عن مصدرها وماذا سيفعل بها، فبأي لسان يتحدث أعداء أبي بكر الذين يفترون عليه فيما يسمى بالميراث.

والتساؤل الذي يثور في ضمير القارئ لمثل هذا الموقف الذي يتربع على قمة النزاهة والورع هو: هل كان الصدّيق رضي الله عنه غاشًّا لابنه أم ناصحًا له في موقفه من اكتشاف تركته البسيطة هذه واستنكاره عليه ذلك؟ والإجابة على هذا ستكون من منطلق الإيمان، فمن آمن بالله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، لا شك أنه يتمنى أن يصل إلى جزئيات من هذا الرقي والشموخ والسمو والبطولة والانتصار على الذات، أما الذين أسقطوا من حساباتهم الله والدار الآخرة فإنهم وبلا شك يسخرون من كل هذه المعاني فيبالغون في النهب والسلب وتشريع قوانين الضرائب والغرامات وألوان المكوس لجمع أكبر قدر مما يستطيعون من أوساخ الناس التي ستُلقى عليهم أوزارًا وآثامًا يوم القيامة، قال جل شأنه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾[2]. فأورثوا أبناءهم الآثام والحرام والسحت؛ عدا عن ذلك الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ومنع المؤمنين من أداء الصلاة وهدم المساجد وحرق المصاحف والكتب القيمة التي ورثتها الأمة عن أبنائها البررة، ليجعلوا من تلك المخازي معارج يعرج عليها ورثتهم إلى مواقع التسلط على رقاب المسلمين، فشتان بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[3].

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٢٧. الهندي: كنز العمال، (٨٥٤١). السيوطي: تاريخ الخلفاء، ١/ ٩٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

والأمر الذي يجب على كل قارئ لسيرة خليفة رسول الله ﷺ أن يعرفه هو أن موقفه من تركة ولده البسيطة تلك كان خُلقًا ثابتًا في صفحات سيرته، ومثلما أن عبيد الدنيا يرغبون في توفير أكبر تركة لأولادهم، وترك أكبر رصيد لذويهم في هذه الدنيا حتى لو ذهبوا إلى ربهم مفلسين كما يفعل ذلك كثير من الطغاة الذين ساموا الناس في عهودهم عذابًا وتضييقًا وتغريمًا وابتزازًا وتجريدًا من كل الحقوق، حتى إذا جمعوا أموال السحت تركوها ليحارب بها ورثتهم الدين وأهله، وليجني المبطلون الظالمون حصاد أيديهم وأشواك ميراثهم، عذابًا وحسرات لا تنقطع لسوء تدبيرهم وعواقب ظلمهم وجشع نفوسهم. قال تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

أما خليفة رسول الله ﷺ فإنه عاش نقيًّا تقيًّا وحرص أن تكون جميع أمته نقية بريئة من أي وجه من وجوه الظلم، فلا ظلم ولا توريث للظلم كما يفعل الطغاة ويجعلونه دينًا يدينون به، بل هو العدل وتوريث الإنصاف وأداء الحقوق.

اتضح ذلك جليًّا في إيمان الصديق رضي الله عنه المطلق بأن الله هو الفاعل وحده في هذا الوجود فحين مرض رضي الله عنه وعادوه. قالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد. وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إن الدنيا لم ترد أبا بكر رضي الله عنه ولم يردها[2].

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعاها فقال: إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إلي غنًى منك ولا أعز علي فقرًا منك، وإني كنت نحلتك من أرضي بالعالية جداد - يعني جني - عشرين وسقًا، فلو كنت جددتيه تمرًا عامًا واحدًا انحاز لك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فقلت: إنما هي أسماء. فقال: وذات بطن ابنة خارجة، قد ألقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيرًا.

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٢.

فولدت أم كلثوم[1] ابنة أبي بكر رضي الله عنه من زوجته الأنصارية. فها هو قبيل وفاته رضي الله عنه يحاسب ورثته على كل صغيرة ليذهب بريئًا ويبقى أهله أبرياء أنقياء أتقياء - وهم كذلك - وقد فعل رضي الله عنه ورضي أهله رضي الله عنهم بما فعل.

قال أنس رضي الله عنه إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة وهي تمرضه: والله لقد كنت حريصًا على أن أوفر فيء المسلمين على أني قد أصبت من اللحم واللبن فانظري ما عندنا فأبلغيه عمر. قالت: وما كان دينار ولا درهم، ما كان إلا خادم ولقحة ومحلب. فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة إلى عمر، فقال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[2].

ولما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين فإذا مت فارددیه إلى عمر. فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك[3]. وقال رضي الله عنه حين حضرته الوفاة للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إني لا أعلم في آل أبي بكر من هذا المال شيئًا إلا هذه اللقحة - الناقة - وهذا الغلام الصيقل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا فإذا مت فادفعيه إلى عمر بن الخطاب فلما بعثت به إلى عمر رضي الله عنه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[4].

فكان همه أن يذهب إلى ربه نقيًّا وأن تسير الأمة على منهجه لكي يلقى الله كل مؤمن وهو كذلك لا حقوق ولا حساب ولا عذاب. وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه فقال: «رأيت

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٣.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٨.
(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٦٠.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٨.

الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية وستتخذون ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري كأن أحدكم على حسك السعدان ووالله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه حدًّا خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا»[1]. فشفقته رضي الله عنه على المسلمين تثقل كاهله حتى عند وفاته، فهمُّه ألا يغتر المسلمون بزخارف الدنيا وألا ينسوا الدار الآخرة وأن يذكروا ما كان يذكرهم به عن حال السابقين الذاهبين، في خطبه التي يقول فيها:

«أين الوضآء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحى الوحى، النجاء النجاء»[2]. فكان مناديَ صدق وموصيًا خبيرًا بالعواقب وخطيبًا بصيرًا شفيقًا على أبناء أمته رضي الله عنه.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما احتضر أبي رحمه الله دعاني فقال: يا بنية إني كنت أعطيتك تمر خيبر ولم تكوني أخذتيها - وهي الأوساق التي سبق ذكرها - وأنا أحب أن ترديها علي. قالت: فبكيت ثم قلت: غفر الله لك يا أبة، والله لو كان خيبر ذهبًا جميعًا لرددتها عليك. فقال: هي على كتاب الله عز وجل يا بنية إني كنت أتجر قريش وأكثرهم مالًا، فلما شغلتني الإمارة رأيت أن أصيب من المال بقدر ما شغلني، يا بنية هذه العباءة القطوانية، وحلاب وعبد، فإذا أنا مت فأسرعي به إلى ابن الخطاب، يا بنية ثيابي هذه فكفنوني بها. قالت: فبكيت وقلت: يا أبة نحن أفضل من ذلك. فقال: غفر الله لك وهل ذلك إلا للمهل؟ قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب فقال: يرحم الله أباك لقد أحب ألا يترك لقائل مقالًا[3].

ولما ثقل رضي الله عنه قال لعائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك، وقد كنت أقطعتك أرضًا بالبحرين لا أراك رزأت منها شيئًا. قالت له: أجل. قال: فإذا أنا مت فابعثي

---

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٣٥.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١/ ٢٦١. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٣٥.

(٣) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١١.

هذه الجارية، وكانت ترضع ابنه، وهاتين النعجتين وحالبهما إلى عمر. وكان يسقي لبنهما جلساءه، ولم يكن في يده من المال شيء، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه بعثت عائشة بالغلام والنعجتين والجارية إلى عمر، فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده. فقبل النعجتين والغلام ورد الجارية عليهم[1].

هذه هي تركة خليفة رسول الله ﷺ القائد الفاتح التاجر السيد رضي الله عنه، أوساق من تمر وخادم ولقحة أو نعجة وإناء للحليب وعباءة. كلها أخذها من وجوهها الشرعية وأورثها إلى أهله بوجهها الشرعي، ولكنه مع كل ذلك يصر على أن يخرج من هذه الدنيا وليس لأحد في عنقه مثقال ذرة من أي حق من الحقوق، حرصًا منه رضي الله عنه على اللحاق بركب رسول الله ﷺ معلم الأمة ونبيها ﷺ، ليعلم من يأتي من بعده أن كل شيء هالك فلا يغتر بالدنيا، فهذه تركة الخليفة الفاتح وسيد الدنيا في عصره؛ قد أمر ورثته الذين جردهم مما أعطاهم لينتفعوا به في حياته كما كان يعطي عامة المسلمين أمرهم بالإسراع بردها إلى الخليفة من بعده لتستقي البشرية من ذلك الموقف درسًا لا يؤديه إلا الأنبياء أو إخوانهم وورثتهم، ألا فشاهت وجوه خصوم خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.

ومن ورعه:

قال محمد بن سيرين: لم أعلم أحدًا استقاء من طعام أكله غير أبي بكر رضي الله عنه فإنه أُتي بطعام فأكله ثم قيل له: جاء به ابن النعمان. فقال رضي الله عنه: فأطعمتموني كهانة ابن النعمان؟! ثم استقاء هذا أو نحوه[2]. وهذا ما عرفه له أئمة أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم سادة الدنيا وقادتها وأعلنوا به أمام جماهير المؤمنين حتى خطب عمر رضي الله عنه في ذلك يومًا، فقال وهو على المنبر: إن أبا بكر رضي الله عنه كان سابقًا مبرزًا[3]. ولم يحدد عمر

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٣.
(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١١.
(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٠٣. البيهقي: الاعتقاد والهداية، ١/ ٣٦٢.

رضي الله عنه هذا السبق في أي باب من أبواب الحياة؛ لأن سبق الصديق رضي الله عنه كان في كل ميادين السباق التي ولجها المؤمنون في هذه الدنيا، يؤكد ذلك أن من يشهد لخليفة رسول الله ﷺ هو سيد السابقين بعده وليس من عامة الأمة.

قال ابن أبي حازم: جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له: ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ؟ قال: كمنزلتهما منه الساعة[1]. أي في قبريهما وقربهما في جوار رسول الله ﷺ في روضته المباركة، ولعل هذا من أبلغ الوصف لمقام الشيخين الراشدين رضي الله عنهما وأوجزه وأشمله؛ إذ إن تلك المنزلة وذلك القرب إنما هو صورة صادقة عن الزهد والورع والرضا والتوكل والخوف والرجاء وكل ما تعلموه من رسول الله ﷺ. ومع كل هذا الشموخ والسمو في المنزلة الذي كان عليه خليفة رسول الله ﷺ والتي يعلمها المسلمون الأكابر والأصاغر، فإنه لم يُعرف عنه سوى التواضع والورع والعفاف والخشية من الله تعالى[2].

كما عرف فيه رضي الله عنه حب الخير للأمة والسلامة لدينها وهويتها، وإن جحد منزلة الصديق رضي الله عنه أحد من الزنادقة وأهل الردة وبُغْض السنة، فإن ذلك الزور والجحود لا يزيد أهل الإيمان إلا إيمانًا ويقينًا وتعلقًا بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وبمكانة خليفة رسول الله فيهما؛ وحذرًا وتوجسًا من مواقف وأقوال وتفسيرات وتحالفات أعداء الصحابة جاحدي الحق ومورثي الفتن والزيف والبهتان. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]. وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والعدل في القول

(١)، (٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٢. (٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.
(٤) سورة هود، الآية: ١٨.

والعمل وأن يعافينا من مناصبة العداوة للصالحين أو رفض سنة إمام الأنبياء والمرسلين أو الوقوع في التطاول على أحد من أصحابه بقول أو عمل أو ضغينة، ولا يسعنا إلا أن نردد مع إمام الأمة وقائدها صاحب رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه دعاءه الذي كان يردده: اللهم إني أسألك الذي هو خير لي في عافية الخير، اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلى من جنات النعيم[١].

لعل أهم ما يلفت انتباه وضمير القارئ والباحث في حديثنا عن الزهد في هذه السيرة الملائكية التي عطر بها خليفة رسول الله ﷺ أرجاء هذا الكون ليثبت للبشرية جمعاء أن أصحاب رسول الله ﷺ قد وصلوا في سيرتهم التي سجلوها على أرض الواقع إلى مراتب ملائكية، في سمو الروح والترفع عن متاع الدنيا وزخرفها وكل متاعها، بما في ذلك السلطان والجاه والقوة، وأن المتمعن والمتابع لمواقف وأفعال وتوجهات وتوصيات وخطابات خليفة رسول الله التي يوجهها إلى أبناء أمته يدرك أنه رضي الله عنه إنما أراد أن يسمو بهم إلى الآفاق التي كان يحلق بهم رسول الله ﷺ في أجوائها، وقد فعل رضي الله عنه كل ذلك على أتم وجه وأكمله، مما يولد رؤى تنبعث من صميم العقيدة وروحها تؤكد لكل قارئ وباحث أن خليفة رسول الله هو الرجل الذي خلف رسول الله ﷺ في أمته كما يريد رسول الله ﷺ ولو كان حيًّا ﷺ لرضي كل الرضا عمَّا قام به الصديق من أفعال كان ينظر إليها بعين النبوة وروحها التي تشربها في كل مشاعره، في سلمه وحربه فأثبت بكل جدارة وبشكل عملي أنه «ثاني اثنين» في هذه الأمة وأن كل من يروج أن هناك من هو إمام أو قائد أجدر أو أقدر أو أولى من أبي بكر رضي الله عنه في أمر من أمور الإسلام في حياة رسول الله ﷺ أو بعد وفاته إنما هو شاهد زور مفترٍ ضالٌّ مضل يعبث بالحقيقة، ومكذب لمراد رسول الله ﷺ ورادٌّ لخيارات أصحابه ورافضٌ للسنة التي سلكوها في خياراتهم السياسية والعسكرية وغيرها، ولا أخطر على الأمة من أولئك الذين شهدوا بأم أعينهم كيف تذبح السنة وأهلها على أيدي

(١) الشيباني: الزهد، ١/ ١١٢، ١١٣.

أعداء السنة وطغاة الردة والعمالة فلم ينبسوا ببنت شفة يثبتون فيها أن ولاءهم للسنة أكبر من ولائهم لمصالحهم، ولم يسكتوا ليعذروا حتى إذا مرّ أحدهم بمسألة من مسائل التاريخ الملوثة بأباطيل أعداء الصحابة تراهم يدورون حولها لا يهتدون إلى سبيل ولا يسلكون فيها طريقًا سويًّا، بل يرددون البهتان بألوان أخرى لا يفقهون من ذلك التاريخ سوى قول مشايخهم المذبذبين الذين أثبتوا أنهم أجهل الناس بتاريخ الأمة، فيرددون: قال فلان وقال علان؛ ليطعنوا بأنصار العقيدة وحماة الدين، ولا سيما رجال القرن الأول الهجري بعد الراشدين من بني أمية الذين انتشلوا السنة وأهلها من أنياب الرافضة المجوسية ومخالب السبئية اليهودية قتلة أمير المؤمنين عثمان الشهيد رضي الله عنه أولئك الذين عششت أفكارهم وامتلأت أوكارهم في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى جروه إلى البصرة وأحداث موقعة الجمل رغمًا عنه، ومن ثم غشّوه في شهاداتهم ووشاياتهم المزورة على أمير الشام معاوية رضي الله عنه حتى صنعوا أسباب فتنة صفين، قبل أن يتنبه إلى مكرهم ويلتفت إليهم فيوقع بهم بعد ذلك في حروراء والنهروان وغيرهما؛ قبل أن تغتاله كوفة الفتن والمكر وبغض الصحابة وكراهية العرب وجحود السنة، وهو في كل تعامله مع أعداء السنة كان يقترب إلى رؤية معاوية وموقف الأمة من قتلة الشهيد عثمانَ رضي الله عنه وإن كان علي ومعاوية قد اختلفا سياسيًّا وعسكريًّا فإنهما لم يختلفا في أن السنة هي خط المسير الأوحد للأمة وعلى هديها يكون المسير فقط، ولا أدل على أنهما كانا عند الرافضة في كفة واحدة من أن خطة الاغتيال في المؤامرة الرافضية الكبرى على الخلافة الراشدة قد جمعت بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في الخطورة فقررت اغتيالهم جميعًا، لطمس السنة ولكن الله تعالى قد خيب ظنهم وأبقى لهم من سامهم سوء العذاب ببغيهم وبهتانهم وجرأتهم على أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ إن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه بعد بيعته من الأمة الإسلامية بأسرها وفي مقدمتها الحسن والحسين رضي الله عنهما لم يعد له من همّ سوى الإجهاز على قتلة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وسحق فتنة الرافضة السبئية حتى فاز بذلك وأنجز ما بدأه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ضد الرافضة في حروراء والنهروان.

فقد أتم مشوار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عمه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه سيف الأمة المسلط على أعداء السنة وحليمها الذي يتسع صدره لكل أبنائها الأتقياء، الأنقياء من دماء الراشدين الثلاثة ليعود بها إلى مواقعها قبل استشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه، ومن ثم يسير بها في طباق المجد حتى أصبحت أمة الكتاب والسنة هي سيدة الوجود، فبأي لسان يتكلم المتمتمون وبأي لغة ينطقون عندما تتلعثم أقلامهم في الاعتراف بأن معاوية كان أجدر وأقدر أهل زمانه على قيادة الأمة والسير بها على خطى الراشدين، وإذا كان خليفة رسول الله ﷺ قد أخمد أنفاس الردة فتعرض لبهتان أعداء السنة، فإن معاوية رضي الله عنه الذي أخمد أنفاس الرافضة السبئية الذين اغتالوا الشهيد المظلوم ثم صنعوا معركة البصرة أو ما يسمونها بالجمل ضد الصحابيين المبشرين بالجنة طلحة والزبير، ثم صنعوا معركة صفين ومن ثم اغتالوا الشهيد عليًّا رضي الله عنه فمن باب أولى أن تناله سهام بهتانهم التي يدور في براثنها غوغاء السنة، ممن يزعم العلم أو الفقه ولم تتحرر عقيدته من دمامل الرفض التي غرزوها في كل منعطفات التاريخ وعامة محاور الفكر الإسلامي، فلا يميز بين الراشدين وبين قتلتهم ولا بين محبي خليفة رسول الله ﷺ ولا بين مبغضيه أولئك الذين يريدون جمع المتناقضات فيضعون الحب والحقد في قلب واحد، والهدى والضلال في قلب واحد، وأهل السنة ورافضيها في ميزان واحد، فأي عقيدة يحمل من لم يعرف أعداء السنة من أنصارها؟ وعلى أي طريق يريدون أن تسير الأمة؟ ولا سيما أولئك الذين انتشرت شهرتهم بين المسلمين في هذا العصر على أنهم علماء من أهل السنة أو أنهم أبناء جماعات إسلامية فوثقت بهم العامة من الناس، فأفتوا لهم بما يحبب إليهم أعداء السنة وقتلة الراشدين، الذين يسيرون على منهج واحد لا سواه وهو إبادة السنة واستباحة أهلها بأي وسيلة وتحت أي راية كانت، ونشر الرفض والضلال في كل سبيل كما هو حاصل للعيان في هذا العصر، فكانت مصيبة السنة وأهلها بهذا الصنف المخادع المخدوع أشد ضررًا من جميع المصائب التي ابتليت بها أمة السنة في هذا العصر، لما أفرزت من المواقف الغوغائية لهؤلاء المفرطين؛ ومن نصرة لأعداء الصحابة وتقوية لمواقعهم الهدامة، وخذلان لحُماة السنة النبوية وتشتيت

لصفوف أهلها وتخديرهم وإحكام وثاقهم ليجزرهم أعداء الصحابة بكل وسيلة، ألا فتعسًا لمن يخدع أهل السنة، وسحقًا لمن يصدق الأغبياء والغشاشين المخادعين، الذين يُحسنون الظن بأعداء الصحابة المفترين الغادرين الأفاكين الحاقدين على أبنائها ومقدساتها.

ومن هذا الصنف أيضًا أولئك الذين يرددون أباطيل الاحتواء ووهم التقارب مع أهل الزور المفترين على خليفة رسول الله ﷺ بأنه سلب أموال بنت رسول الله ﷺ متعامين عن كل النصوص التي تبين وحدة المنهج في الزهد والنظر إلى الدنيا وزخارفها بين رسول الله ﷺ وخليفته الصديق رضي الله عنه، فماذا ورّث الصديق لأهله وهو يردد: وإني وليت أمر المسلمين فأكلت من جريش طعامهم ولبست من خشن ثيابهم، فليس لهم قِبلي دينار ولا درهم. وقوله رضي الله عنه لأم المؤمنين: انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه. ليعيد بدل ما كان يقتات به مما أذن له به المسلمون من أجر مقابل تفرغه لخدمة الأمة وإدارة شؤونها وقيادتها. وقد أمر بسداد ما يعادل كل ما استفاد منه في أيام خلافته أمام ضرورة التفرغ لخدمة المسلمين، حتى توفي رضي الله عنه ولم يخلف في تركته درهمًا ولا دينارًا، وما اضطر إلى الاستعانة به وبإذن المسلمين فها هو يقضيه ويرد أكثر من ثمنه إلى والي أمر المسلمين من بعده.

فبأي وجه من وجوه العلم يردد غوغاء السنة أباطيل الرافضة وإفكهم الذي يتهمون فيه فاطمة رضي الله عنها بالاستماتة على الدنيا وصناعة الفتنة من أجل أرض فدك[1] وغضبها من أجل ذلك ومقاطعتها لخليفة رسول الله لكي يرسم الرافضة بزورهم وخيالاتهم المريضة من أوهام فيجعلوا منها مادة منتنة يجترها الجهلة والمغفلون إسهامًا في نشر بغض الصحابة وتمزيق الأمة، كيف تغضب فاطمة وهي التي بشرها رسول الله ﷺ أنها ستكون أول أهله لحوقًا به وأنها مدعوة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فهل من هذا حاله يأسف على الدنيا بأسرها

(١) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة أيام، أفاءها الله على رسوله ﷺ سنة سبع صلحًا بعد فتح خيبر. ياقوت: معجم البلدان، ٦/ ٤١٧.

أو على قطعة أرض يحيط بأطرافها السبخ والملوحة؟ أليس هذا منتهى البهتان والزيف؟ أين الزهد إذًا؟ أين القناعة؟ أين الصبر والاحتساب؟ بل أين الطاعة وصلة الرحم؟ أليس من صلة رحم الأب وبره إكرام أصدقائه؟! أليس أبو بكر أقرب رجل في الأمة إلى رسول الله؟ ألا تعلم فاطمة رضي الله عنها هذا؟! ألا تعلم قول رسول الله ﷺ في البر والصلة؟ وهي التي تعلم أنها على وشك الرحيل القريب كما جاءتها البشارة[1] بذلك من رسول الله ﷺ، وهي العالمة الصابرة المحتسبة رضي الله عنها، كيف يقبل مثل هذه الأباطيل عاقل فضلًا عن مؤمن؟! كيف ورسول الله ﷺ إمام الزاهدين وسيدهم قد توفي ﷺ ولم يورث درهمًا ولا دينارًا، ولا أمة ولا عبدًا، ولا شاة ولا بعيرًا؟ وماذا ورّث خليفة رسول الله أيضًا من الدنيا؟ ألم يذهبا إلى ربهما نقيين من كل غبار الدنيا؟ فكيف بمن هذه حاله في الزهد والورع والكرم يُتهم؟ بل كيف يجرؤ من عرف هذه السيرة على أن ينتقد من وقف بوجه الردة الرافضية السبئية وهو يعلم أن تلك الوقفة لا تقل عن وقفة الصحابة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب؟! ثم ماذا كان يحصل للأمة لو لم يهيئ الله تعالى للمسلمين أمثال معاوية وعمرو وأبي موسى الأشعري والمغيرة وإخوانهم؟ أليس هو تحكم أعداء الصحابة في مصائر المسلمين؟ ثم ماذا يحصل لو أن غير معاوية تولى أمر الخلافة؟ أليس معاوية هو أخبر الناس بقتلة الخلفاء؟ أليس هو أحلم الناس - بعد الراشدين - عن الجهلة والحمقى والمتهوكين؟ ثم ماذا كان سيحل بالسبئية لو أنه جرد عليهم السيف؟! هل كان سيبقى منهم أحد؟ فلماذا يفتري عليه الأفاكون أعداء الصحابة ويردد ذلك المغفلون ممن يزعم أنه من أهل السنة، بأنه تولى الخلافة ولم يقتل قتلة عثمانَ رضي الله عنه، من الرافضة السبئية؟! في تجاهل كامل عمّا قام به الأسدان الشهيدان طلحة والزبير رضي الله عنهما من تجريد السيف على قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه حتى كادوا ألا يبقوا

---

(١) قالت السيدة فاطمة رضي الله عنها: أسر إليَّ النبي ﷺ: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي**». فبكيت، فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين؟**». فضحكت لذلك. البخاري: ح (٣٤٢٦).

منهم أحدًا في البصرة؛ ومن بقي منهم في الكوفة فقد قتل في صفين، وإذا بقي منهم بعض المتهمين فإن بنود الصلح الذي أقامه الحسن بن علي رضي الله عنهما مع معاوية رضي الله عنه قَد تَمَّ التأكيد فيها على حقن الدماء فكانت سببًا مباشرًا في سلامة من تبقى منهم إلى حين، ومن أولى بالوفاء من الحليم معاوية رضي الله عنه قاهر الرافضة المرتدين؟! ومن عاش منهم إلى ما بعد معاوية رضي الله عنه فقد أدركه سيف زياد ابن أبيه، ومن أفلت من سيف زياد فقد أدركه سيف الحجاج، كما فعل بكميل بن زياد وعمير بن ضابئ، هذين السبئيين الرافضيين وأمثالهما[1]؟! فمن ينقم على معاوية رضي الله عنه سوى أعداء الصحابة الذين غاظهم جمع معاوية رضي الله عنه لكلمة المسلمين حتى سمي عام بيعته رضي الله عنه عام الجماعة فأعاد بقيادته وحدة الأمة وعز الأمن والرفاه ومجد الفتوح.

وعلى هذا فإن كل من يدور حول حمى الصحابة رضي الله عنهم الذين دحروا الردة الرافضية والفتن السبئية وهو يزعم أنه من أهل السنة؛ فإنما هو ممن في قلوبهم مرض ومن المصابين بداء الرفض ووباء الردة. ولا سبيل أمام من يريد حماية السنة وبناء أمتها إلا أن يسقط تخليطهم ويرد هذيانهم، ويشهد بغفلتهم وضررهم على العقيدة وسلامة التفكير ووحدة الصف، ويدعو الأمة إلى سلوك الطريق الواضحة التي لا يجتمع فيها الصحابة وأعداؤهم أبدًا؛ ولا تجتمع فيها السنة النبوية والردة الرافضية؛ ولا تجتمع فيها أمة عمر الفاروق وأمة أبي لؤلؤة المجوسي في أي ميدان من الميادين، ولا من يحب الصحابة ويواليهم مع من يبغضهم ويرفضهم ويعاديهم، وكل من يتحدث بأباطيل الرافضة التي تنال من الصحابة رضي الله عنهم إنما هو مصاب بلوثات السبئية وأوهام الرافضية وبغي وبهتان الشعوبية، ولا علاج لأباطيله إلا بردها إلى من صنعها، ورد كل بهتان اقترفته ألسنتهم الآثمة وأقلامهم الفاجرة، والنظر إلى حقائق تاريخ الصحابة رضي الله عنهم وإنجازاتهم الباهرة لدحض كل ذلك، وأن يكون العنوان الأعظم لقراءة تاريخ الإسلام الحقيقي بعد اليوم هو: إما الكتاب

---

(١) ينظر مصير قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٢٨٥ فما بعدها.

والسنة وحملتهما الصحابة الكرام رضي الله عنهم وإما الرفض والردة ومسيلمة الكذاب وابن سبأ وابن ملجم وأعوانهم، إنهم الصحابة الذين نكتشف على هدي أنوارهم وصريح سيرهم؛ بهتان المفترين، وصدق الصادقين، فكل من لم يُسقط أباطيل الرافضة السبئية، ويردها، ويتهم مروجيها - ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة - ويطهر أفكاره وخواطره وخطبه ومقالاته وكتاباته من أوهامهم وأحقادهم وزيفهم فإن خطبه وكتاباته مردودة ومتهمة إما بالجهل والغباوة والريب والتردد والشك، وإما بالغش والخداع والكذب والزور المتعمد، ولا سبيل للالتقاء مع من لا يثق بالصحابة رضي الله عنهم أو مع من يتهمهم دون أن يعلن على الملأ توبته من ذلك الداء وأن يشهد الحاذقون بأنه قد شفي من ذلك البلاء، لا لأن الصحابة من أهل العصمة؛ ولكن لأنهم من أهل الإيمان والعلم والإخلاص، فإما الإيمان والصحابة وإما الرفض والردة، وهذه هي العقبة التي تكشف حقائق الأوراق بكل ألوانها فيظهر فيها المخلصون للسنة ممن لا يشوب عقيدتهم رفض ولا زيف ولا إفك ويظهر فيها العراة من السنة ممن يريدون خلط الحق بالباطل، والنور بالظلمة، والسنة بالردة، فيدعون إلى محبة الجاحدين المكذبين، ومعانقة قتلة الراشدين، الذين يدورون مع كل دائرة تدور على السنة وأهلها. قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1].

ورعه وزهده في معاشه:

كان خليفة رسول الله ﷺ يقتات من عمل يده وجنى تجارته، فكان يغدو إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة من غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له، فلما استخلف رضي الله عنه أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟! فقال: من أين أطعم عيالي؟! قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئًا. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكساه في الرأس والبطن، فقال عمر:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

إليّ القضاء. وقال أبو عُبَيْدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان[1]. وفرضوا له «بُرْدَيْن إذا أخْلَقَهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره إذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف، قال أبو بكر رضي الله عنه: رضيت»[2]. و«حين استُخلف رضي الله عنه ألقى كلّ دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به، فلما وليتهم شغلوني»[3]. فترك عمله وتجارته وتفرغ لخدمة المسلمين يبتغي بذلك الأجر ونصرة الدين.

فمكث بالسُنح ستة أشهر بعد أن بويع بالخلافة ثم نزل إلى المدينة فأقام بها. ونظر في أمره فقال: والله ما يصلح أمر الناس بالتجارة، وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في أمورهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم، فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يومًا يومًا وما يحج به ويعتمر، وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أخلّف في منزلي من مالهم شيئًا. وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، فدفع ذلك إلى عمر، ولقوح وعبد صيقل وقطيفة كانت تساوي خمسة دراهم. فقال عمر رضي الله عنه: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[4].

فكان خليفة رسول الله ﷺ يحاسب نفسه ورعًا خشية أن تتجاوز ما كانت عليه حاله أيام رسول الله ﷺ، بل إنه رد ما يباح له وأدى ما أباحه له المسلمون مقابل خدمته لهم كل؛ خشية من الوقوع في باب من أبواب الشبهات، ولعل في ذلك دروسًا عظيمة يتعلم منها أهل السنة

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٨٤. الهندي: كنز العمال، (١٤٠٧٦). ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١/ ٢٥٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢١.

(٤) البلاذري: الشيخان، ٤٢. وقوله: لَقُوح هي الواحدة من الإبل الحلوب، وتجمع على: لقح، انظر: لسان العرب، مادة (لقح).

مواصفات الحاكم الذي يُرتجى منه الإصلاح والقيادة التي تعود بالأمة إلى مسارها الصحيح الذي ليس فيه تجاوز على حقوق الناس وكل شيء في مفردات السياسة والإدارة والحكم معلوم لدى عامة المسلمين فهم على بينة مما يصنعه حكامهم في أمور دينهم ودنياهم. قال زيد بن أرقم: دعا أبو بكر رضي الله عنه بشراب فأُتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه نحاه ثم بكى حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقوون على مسألته، ثم أفاق فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئًا، ولم أرَ أحدًا معه، فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي تدفع، ولا أرى معك أحدًا؟ قال: «**هذه الدنيا تمثّلت لي، فقلت لها: إليك عني فتنحت ثم رَجَعَتْ. فقالت: أما إنّك إن أفلتّ فلن يُفْلتَ مني من بعدك**». فذكرت ذلك فخفت أن تلحقني[1]. وقال أبو بكر رضي الله عنه: فشق عليَّ، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا[2].

كل ذلك البكاء من شربة ماء بارد شربها وهو بين أصحابه لم تكن في موطن رفاهية ولا موطن شبهة، وإنما كان يخشى أن يفتح باب التنعم والتنافس على الدنيا فتنغمس نفسه في اللهو والغفلة والبطالة فتغلب على عقيدتها ويصبح الحال كما هو عليه اليوم من غلبة الكفر والرفض لأهل الكتاب والسنة، واجتماع أمر أعداء السنة ووضوح سياساتهم وأهدافهم، وتشتت أمر عامة أهل السنة وغموض مناهجهم وضعف ولائهم لله ولرسوله ﷺ وللصحابة الكرام رضي الله عنهم. فماذا يقول من أسهم في شتات أمر الأمة وضياع وحدتها وتمزيق هويتها، ونهب ثرواتها وإفساد أجيالها وإقصاء عقيدتها وسنة نبيها ﷺ؟!

فكان خليفة رسول الله ﷺ بمنهجه ذلك حجة على كل من يزعم أنه من أهل الإسلام بمجافاته للدنيا وزهده بما فيها لا يبالي ببهارجها وزينتها يكفيه القليل من ذلك. قال رافع بن

(١) ابن عساكر: ٣٠/ ٣٢٩. أبو نعيم: حلية الأولياء: ١/ ٣٠.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٤. المنذري: الترغيب، ٤/ ٢٠٧. المتقي الهندي: الكنز (١٨٥٩٧). ينظر: الصالحي: ٧/ ٨٠.

أبي رافع الطائي: رافقت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وعليه كساء له فدكي يخله عليه إذا ركب ونلبسه أنا وهو إذا نزلنا[1]. وكان يخشى على أصحاب رسول الله من الدنيا فيوصيهم بعدم الالتفات إليها ويذكرهم بما ينتظرهم من النعيم إن هم صبروا على ما كانوا عليه أيام رسول الله ﷺ، قال الحسن: دخل سلمان على أبي بكر رضي الله عنه وهو يجود بنفسه فقال: يا خليفة رسول الله أوصني. فقال له أبو بكر: إن الله عز وجل فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذوا منها إلا بلاغكم وإن من صلّى صلاة الصبح فهو في ذمة الله عز وجل، فلا تخفرن الله عز وجل في ذمته فيكبك في النار على وجهك[2].

فكان سلمان رضي الله عنه يقول: أوصاني أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا سلمان، إنه ستكون فتوح فلا يكونن حظك منها ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الخمس فإنه يصبح في ذمة الله فلا يطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك في النار[3].

تفاؤله بمستقبل الأمة:

وكان رضي الله عنه متفائلًا بمستقبل الدين وبانتصار المسلمين ورفاههم، ولكنه كان يخشى عليهم الانغماس في الدنيا. فيقول رضي الله عنه: إني لأرجو لكم أن يتمم الله لكم هذا الأمر يا معشر العرب، حتى إن الرجل منكم ليدعو بخبزته من الحنطة فإن شاء قال لأهله: ائدموا بسمن؛ وإن شاء قال ائدموا بزيت[4]. وخطب أبو بكر الناس يومًا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ستفتح لكم الشام فتأتون أرضًا رفيعة حيث تمتعون فيها من الخبز والزيت وستبنى لكم بها مساجد فإياكم أن يعلم الله عز وجل أنكم إنما تأتونها تلهيًّا إنما بنيت للذكر[5].

---

(١) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١ / ١٠٩.
(٢) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١/ ١١٠.
(٣) البلاذري: الشيخان: ٦٠.
(٤) الشيباني: كتاب الزهد، ١/ ١١١.
(٥) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٢٣٠٧٩). الشيباني: الزهد، ١/ ١١٣.

فيستفاد من هذه الآثار بما فيها من أقوال وتوجيهات أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن في زهده سلبيًّا بل كان زهده زهد المقتدر على الفعل والعمل بما يتوافق مع منزلته كإمام وقائد منتصر، فكان ينزل الدنيا المكان الذي كان ينزلها فيه رسول الله ﷺ وكان معتقدًا إدبارها، وأن العقل والحكمة إنما يكون في الزهد فيها وعدم الانغماس بمفاتنها لسرعة زوالها، وكان يعتقد الاعتقاد الجازم بما لديه من علم وإشارات نبوية، وبما أنجزه وجنده من دحر للباطل في عصره، أن المستقبل لهذا الدين وأن الدنيا بكل ما فيها مقبلة على هذه الأمة بما في ذلك الثروات والقيادة والسيادة، فكانت خشيته أن ينشغلوا عمّا هو أعظم من ذلك ألا وهو صحبة رسول الله ﷺ والخلود معه في الجنة، لهذا بلغ به الورع أنه وصل إلى أعلى درجاته وإلى المقام الذي لا يرقى إليه أحد بعد رسول الله ﷺ فرسم للأمة مسار الحاكم الصالح السوي المؤمن، الذي يرتجي صلاح أمته وتقدمها ونصرها وسيادتها، مع المحافظة على العمل بالسنة النبوية والتمسك بهديها، والحذر التام من أعداء السنة الذين يبطنون لها الحقد والمكر ولأئمتها البغض والكراهية ولعقيدتها الزور والبهتان وامتهان صناعة الروايات المكذوبة والأباطيل الموضوعة. قال تعالى: ﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴾[1].

***

(١) سورة الطور، الآية: ٤٢.

المبحث الثاني

ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها

كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت المُذكر بالموت وحقيقة الدنيا وقرب الرحيل عنها، وهو قول الشاعر:

لا تزال تنعى حبيبًا حتى تكونه ... وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه(١)

فلقد كان رضي الله عنه شديد الحذر من فجأة الموت فوطن نفسه على الاستعداد للرحيل، ولهذا كان شديد المحاسبة لنفسه كشدته في التمسك بسنة رسول الله ﷺ وعدم الحياد عنها. وعندما دنت ساعة الموت على خليفة رسول الله جاءت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إليه وهو يعالج ما يعالج الميت من سكرات الموت ونفسه في صدره فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر رضي الله عنه إليها كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾(٢). حيث إنه كان رضي الله عنه على استعداد لتلك الساعة وعلى معرفة بها فهو الآن في مرحلة مدارج هذه الآية من كتاب الله تعالى. ثم قال مستدركًا أن ترد له ما هو حق لها لا شبهة فيه، لكي يبعد هو وذريته عن كل شبهة يتعلق بها

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٣.

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

المنافقون. فقال: إني قد كنت نحلتك حائطًا - بستانًا - وإن في نفسي منه شيء فرديه إلى الميراث. قالت: نعم فرددته. فقال: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وَارِثي فيهن، ففعلت.

فلما جاء الرسول إلى عمر رضي الله عنه بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض وهو يقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: سبحان الله، تسلب عيال أبي بكر عبدًا حبشيًّا وبعيرًا ناضحًا وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم؟ قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله. فقال: لا، والذي بعث محمدًا بالحق، أو كما حلف، لا يكون هذا في ولايتي أبدًا ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك[1].

فهذه هي النفوس التي تربت على يد رسول الله ﷺ ولا عجب من ذلك لما هم عليه من العلم والدين؛ ولكن العجب ممن يتخذ دينه التكذيب لفضائلهم والبهتان عليهم فإنك تجد من يزعم أنه من أهل السنة ويتشكك فيهم ويرتاب مع المرتابين، أو يقول: إنها مسألة تقبل النظر، فهذا الصنف هو محل العجب؛ لأنه ينكر الشمس في رابعة النهار وتجد من يقول: إن هذا قابل للنقاش، فصنف الأغبياء هذا وإن وجد بين أهل السنة لكنهم لا يمتون إليها بنسب أبدًا، وكيف يكون لهم نسب في السنة وهم يبغضون حامي السنة وقاهر أعدائها، أو يرتابون في عدله وزهده ونزاهته؟ ولعل أقرب الصور إلى معرفة هذا الصنف التائه هو تتبع من ارتاب بأن الصديق رضي الله عنه منع أحدًا من الناس حقًّا له، فضلًا عن أن يمنع حق سيدة نساء المؤمنين فاطمة بنت رسول الله ﷺ حقًّا من حقوقها، وإذا كان هؤلاء يرددون هذا الباطل فيما مضى لفتنة الناس عن الدين والسنة، فإن الذين يصفقون ويرقصون لمبغضي خليفة

(١) الطبقات الكبرى، ٣/ ١٩٦، ١٩٧. وينظر: البلاذري: الشيخان: ٦٣.

رسول الله ﷺ وقتلة الفاروق في هذا العصر تحت شعارات كاذبة وروايات مخادعة إنما هم إخوان الغوغاء الذين يجترون بهتان الإرث كما اجتروا بهتان الإفك من قبل؛ وهم الغوغاء الذين نفخ فيهم ابن سبأ من سحره حتى قتلوا ذا النورين عثمان الشهيد المظلوم رضي الله عنه، كل هذا يوجب على أبناء السنة البررة أن يجعلوا هذه المواقف التي يدين بها أعداء الصحابة وتعتقدها جموعهم علامات على طريق الإصلاح والبناء والهدى ليمايزوا بين أهل الحق وأهل الباطل، ومن شذّ عن هذا المنهج أو تفوه بشيء من هذا البهتان على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فإنما هو وريث الزندقة والرفض، ومن مد إليهم يد الثقة في عصر المحن هذه التي يتلقاها المؤمنون على أيديهم، فإنما هو بائع لدين الصدّيق وأمانته ولدماء الفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومن عمل على فتنة التقريب بينهم وبين المسلمين كما يدين بذلك بعض أهل التخليط في هذا العصر فيدعون إلى أن يتنازل أهل الباطل عن شيء من باطلهم وأن يتنازل أهل السنة عن شيء من سنة نبيهم ﷺ، فإنهم إنما يقومون بدور تزيين الباطل وتجميل المنكر وتزييف الدين، لأن دعوة التقريب الحق تكون بالدعوة إلى الكتاب والسنة وحب من حملهما، وإسقاط ما خالفهما والبراءة ممن أبغض حماتهما من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وفي مقدمتهم خليفة رسول الله ﷺ إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه الذي لم يقتصر زهده على مطايب العيش والتواضع وإنما في كل شيء يربطه بالدنيا بما في ذلك الخلافة فلولا أنه يعلم أنه يخدم الدين والمؤمنين في قبوله للخلافة لما قبلها، فها هو يخاطب الناس في أحد الأيام قائلًا: «لا حاجة لي في بيعتكم!»[1] وهذه هي الحقيقة التي صرح بها خليفة رسول الله ﷺ بأنه لا رغبة له في أمر الخلافة ولولا اجتماع المؤمنين عليه ورغبته في خدمة أمة محمد ﷺ والعمل على نصرة الدين لما قبل الخلافة، وكيف يطمع في الدنيا من لا يرغب منها حتى في كفن جديد فاسمع له يخاطب أم المؤمنين قائلًا: «انظري ثوبيّ هذين، فاغسليهما وكفنيني فيهما، فإن الحي أحق بالجديد»[2].

(١) ينظر: الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ٧٠.

(٢) البلاذري: الشيخان: ٦٣.

ولم يكن زهده رضي الله عنه عن حاجة أو عن توفير وإيثار للمسلمين فقط بل كان ذلك منهجًا في حياته سار عليه دون تغيير أو تبديل تمسكًا بما كان عليه صاحبه ﷺ، وقد كان يعلم من بشارات رسول الله ﷺ عن مستقبل المسلمين الزاهر وعن انفتاح الدنيا عليهم بكل ألوانها، ولكنه رضي الله عنه كان يفضل ما هو فيه من الكفاف على حياة الترف التي يرغبها كثير من الناس لما يترتب على ذلك من الانشغال بالملذات والانغماس بالدنيا ونسيان الآخرة وفوات صحبة أخيارها وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فكيف مَن هذه حاله يُتهم بالطمع في قطعة من الأرض؟ أليس هذا هو الزيف والبهتان بعينه؟ بلى والله إن كل من يدور حول شبهات الباطل لإلصاق شيء منها إنما همه هدم السنة التي عمل بها الراشدون رضي الله عنهم لإقصاء الناس عنها وعن سعادة الدارين التي ينالها من تمسك بها.

ومع كثرة الروايات الصحيحة التي تدل على أن السيدة فاطمة رضي الله عنها التي لزمت بيتها بعد وفاة النبي ﷺ فلم تشغل نفسها بأي أمر غير الترقب لتلك الساعة التي تودع بها الدنيا التي هجرتها بما فيها لتلحق بركب النبي ﷺ بناء على ما عندها من علم في ذلك؛ فإن المخلطين يأبون إلا أن يجعلوا منها امرأة منازعة للرجال على أمور الدنيا حاشاها رضي الله عنها من ذلك؛ فيتعلقون بكلمة جاءت في رواية أو موقف عابر صاغه بعض الرواة دون أن يعتقد أنه سيترك أبعادًا خطيرة عند المغرضين الحاقدين وضعاف النفوس والمتشككين، وذلك في مثل قولهم: «فوجَدت على أبي بكر رضي الله عنه. وتعميم هذا القول المنسوخ بثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه رضي الله عنهما، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن الثبوت قد يحصل بغير علم النافي، خصوصًا في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور الخاصة التي تخفى لعدم الحاجة إلى ذكرها ونشرها.

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه أولى بعلم رسول الله ﷺ في المواريث وغيرها، وأولى

بالعدل واتباع السنة لملازمته له ﷺ وطول صحبته، ولأنه «ثاني اثنين» ولأنه «الأتقى» فمن جعل غيره أعلم منه أو أعدل، كان من أجهل الناس وأشدهم غباء؛ لأنه لن يجد بين يديه سوى أوهام الرافضة وشبهاتهم وأساطيرهم، فكيف يجتر مثل ذلك ويلوكه من يزعم أنه من أهل السنة؟ ألا يكفي تزكية لأبي بكر رضي الله عنه أن يُذكر طرفًا في أي مسألة ليكون دليلًا على منتهى العدل والعلم؟ أم أن أعداء الصحابة ومن طُبع بسحرهم من الغوغاء أعلم وأعدل من خليفة رسول الله؟!!

فكيف أعطيت مسألة قرية فدك كل هذا الزخم في كتب التاريخ والأدب والحديث والفقه وغيرها؟ لولا وجود من ينفخ في رمادها من الحاقدين ليثير الغوغاء على الصحابة رضي الله عنهم والسنة المطهرة، كيف وجميع أئمة الفقهاء عندهم أن الأنبياء لا يورّثون مالًا؟ وكلهم يحب السيدة فاطمة ويعظم قدرها رضي الله عنها؟! كيف ولم يأمرهم الله تعالى ولا رسوله ﷺ بأن يأخذوا دينهم من غير محمد ﷺ: لا عن قرابة، ولا عن غير قرابة، وإنما أمرهم الله بطاعة الرسول ﷺ واتباعه. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»[2]. فكيف يسوغ للأئمة أن يعدلوا عمّا علموه من سنة رسول الله ﷺ لإرضاء الغوغاء والوقوع في بهتانهم الرامي إلى الجنوح بالأمة عن تعاليم الكتاب والسنة المطهرة، وإبطال أحكام الدين تحت شعارات ودعاوى بلا بيّنات أو لما يُحكى من أقوال موهمة؛ القصد منها إفساح المجال لِيُشرع الزنادقة للأمة من دون الله تعالى، وليباح لهم القول بالتوريث والوصية والرجعة وما شابه ذلك من عقائد لا تمت إلى دين محمد ﷺ بصلة ولا قرابة، وإنما هي من خليط المجوسية والشركية وبعض أساطير أهل الكتاب، ولبيان ذلك وأنهم لا يعنيهم أمر الميراث

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ح (٤٠٧٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح، ح (٢١٨٨). سنن النسائي: كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء، ح (٥٢٩٣).

شيئًا ولا أمر آل بيت نبينا ﷺ فكم يهيمنون على بلاد ويحكمون من دول وأقاليم في هذا العصر، فأين آل البيت في حكوماتهم؟ وأين آل البيت النبوي العربي الهاشمي في قياداتهم؟ بل أين لغة آل البيت لغة بني هاشم العربية في بلادهم وأنظمتهم؟ لا وجود لكل ذلك، بل إنهم حرب على لغة فاطمة وعلي والحسين رضي الله عنهم وحرب على لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولو كانوا صادقين فيما يدعون لقدموا آل البيت النبوي الهاشمي ليقودوا البلاد التي يحكمونها؛ ولتكلموا وخطبوا وكتبوا بلغة آل البيت لينشروها في العالمين حبًّا لآل البيت المحمدي العربي، أم كل ذلك دجل وتدليس وأن البيت الذي ينادون به ليس بيت نبينا ﷺ كما أن الدين واللغة والحكم ليسوا كذلك!! ألا فلا نامت أعين مبغضي السنة النبوية المخادعين الأدعياء ومن يواليهم من السفهاء والغوغاء.

ومن تفاصيل ذلك أن السيدة فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه تطلب إرثها من أبيها ﷺ فرد عليها رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الأنبياء لا نورث، فما تركناه صدقة**»[1]. فما كان جوابها رضي الله عنها إلا أن قالت: أنت وما سمعت من رسول الله[2]. أي التزمه ما دام رسول الله ﷺ هو الذي فصل في ذلك، ولكن الرافضة جعلوا من البهتان في ذلك دينًا لهم يدينون به للنيل من المؤتمن الصديق رضي الله عنه وكان حزنها رضي الله عنها على أبيها يهد كيانها، ويحرق صباها، حتى لقد كانت تلزم الفراش موجعة أغلب الوقت، في انتظار أن تلحق به ﷺ كما همس في أذنها وهو في مرضه الأخير. فأسرع أبو بكر وعمر يعودانها، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: يا بنت رسول الله ﷺ ما خير حياة أعيشها وأنت عليَّ ساخطة؟ فإن كان عندك من رسول الله ﷺ عهد، فأنت الصادقة المصدقة، المأمونة على ما قلت. قالت: لا أكلمكما. قال علي بن عيسى: معنى (لا أكلمكما)

---

(١) البخاري: شرح فتح الباري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح (٤٢٤٠، ٤٢٤١). ومسلم: كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «**لا نورث**»، ح (١٧٥٩).

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ح (٤٥٧٨). ابن حنبل: المسند، ح (١٥).

تعني في هذا الميراث أبدًا أنتما صادقان[1] ولما عندكم من العلم والأمانة والحرص على مصالح المسلمين وكان عمر رضي الله عنه على رأى أبي بكر فيما تركه النبي ﷺ، فلما سمعت ما رواه أبو بكر رضي الله عنه عن أبيها ﷺ رأت ألا تكلمهما في أمر الميراث، وهذا هو ملخص المسألة ولكن أعداء الصحابة قوم بهت يقلبون الحقائق ويبحثون عن الشبهات ويعملون على هدم السنة النبوية من خلال الطعن في حملتها رضي الله عنهم حتى جعلوا لأنفسهم من صديد الباطل ثقافة ودينًا يجترون باطله في حربهم السرية والمعلنة على السنة المطهرة مستغلين غفلة عامة أهلها في هذا العصر الذين لا يعلمون أو لا يريدون أن يعلموا ماذا يحاك لهم على أيدي اليهود وإخوانهم وتلامذتهم أعداء الصحابة، الذين جعلوا كثيرًا من الغوغاء يتجرؤون على رفض الصحيح وقبول البهتان، ولا أعلم كيف يقبل مسلم النظر في مسألة يكون فيها الرافضة طرفًا وهذا الإمام الشافعي يقول: لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة[2]؟

وقال الإمام البخاري: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم[3]. فهل بعد قول الشافعي والبخاري وإخوانهم يبقى قول لمن يزعم أنه يحبهما؟ ثم ما قيمة قول من يخالفهما من المذبذبين بين السنة والردة في كتاباتهم وخطاباتهم وندواتهم في هذا العصر، وهل أقوالهم في أخوتهم للرافضة إلا وبالًا عليهم؟ ولا سيما أنها ستضعهم في صفوف الرافضة ومخاصمة الصحابة وأئمة السنة النبوية؟!

قال أبو بكر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ لا يورث وإنما ميراثه للفقراء والمساكين[4].

---

(١) الترمذي: السنن، (١٦٠٩).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ح (٢٠٦٩٤). ابن تيمية: منهاج السنة، ١/ ٦٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٨٩.

(٣) البخاري: خلق أفعال العباد، ١/ ٣٥، ح (٤٠). ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ٦/ ٣٦٥. وبيان تلبيس الجهمية: ٢/ ٨٢. ابن القيم: الصواعق المرسلة، ٤/ ١٤٠٤. شرح قصيدة ابن القيم: ١/ ٤٧.

(٤) ابن حنبل: المسند، ١/ ١٣، ح (٧٨).

وقال رسول الله ﷺ: **«والله لا تقتسم ورثتي بعدي دينارًا ما تركت من شيء بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»**[1]، وقال ﷺ: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**[2]، وقال ﷺ: **«لا نورث ما تركنا صدقة وإنما يأكل آل محمد في هذا المال»**[3]، وقال ﷺ: **«لا نورث ما تركنا صدقة وإنما هذا المال لآل محمد لنائبتهم، ولضيفهم، فإذا مت فهو إلى ولي الأمر من بعدي»**[4].

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها، أن السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها أرسلت إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال»**. - يعني مال الله، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل - وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة النبي ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل النبي ﷺ فيها. فأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يدفع إلى فاطمة رضي الله عنها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر رضي الله عنه في ذلك. فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فإني لم آل فيها عن الحق وإني لم أكن لأترك فيها أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته[5].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ

---

(١) سنن أبي داود، ح (٢٩٧٤). سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٥١٩). السهيلي: الفرائض وشرح آيات الوصية، ١/ ١٣٧.

(٢) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، أبواب الخمس (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب حكم الفيء، ح (١٧٥٧).

(٣) سنن أبي داود: ح (٢٩٦٩). صحيح أبي داود (٢٥٧٣). الهندي: كنز العمال، ح (٣٠٤٥٩).

(٤) سنن البيهقي الكبرى: ك. قسم الفيء، باب بيان مصرف أربعة أخماس الفيء، ح (١٢٥١٨).

(٥) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨). مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: **«لا نورث»**، (١٧٥٩).

أردن أن يبعثن ابن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة**»[2]. فهذه إحدى النساء الوارثات - لو قدر ميراث - قد روت أن رسول الله ﷺ جعل ما تركه صدقة لا ميراثًا والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ما روت، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن. والله أعلم.

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها اتباعًا لرسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه يقول: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به[3]. وقال رضي الله عنه: والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته[4].

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها المطالبة بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة[5]: وأما سؤال فاطمة لأبي بكر رضي الله عنهما ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت[6].

وعن مالك بن أوس بن الحدثان قال: جاء يرفأ إلى عمر رضي الله عنه. فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمانَ، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد رضي الله عنهم؟ قال:

(١) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، أبواب الخمس (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب حكم الفيء، ح (١٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري: ك. الوصايا، ح (٢٦٢٤). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب قوله ﷺ: «**لا نورث**»، ح (١٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري: ك. الجهاد، أبواب الخمس، (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب قوله ﷺ: «**لا نورث**»، (١٧٥٩).

(٤) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «**لا نورث**» (١٧٥٩).

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦ هـ، شذرات الذهب ٢/ ١٦٩.

(٦) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث (٥٠). ميراث النبوة، ص ٣٠٤.

نعم. ثم جاء. فقال: هل لك في عباس وعلي رضي الله عنهما؟ قال: نعم. فدخلوا، قال عمر رضي الله عنه: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»؟ فقالوا: نعم. فأقبل على عباس وعلي رضي الله عنهما. فقال: أنشدكما بالله الذي تقوم السماء والأرض بإذنه أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»؟ قالا: نعم. قال عمر: فإن الله كان خص رسول الله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحدًا غيره قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]. فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة المال.

ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم نشد عباسًا وعليًّا بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا ولي رسول الله ﷺ فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**». فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر رضي الله عنه فرأيتماني كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم إني لصادق بار راشد تابع للحق، فوليتها حتى جئتني أنت وهذا وأنتما جميع، وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا. فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه أن تعملا فيها بالذي كان رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يعملان فيها فأخذتماها بذلك. فقال رضي الله عنه: أكذلك؟ قالا: نعم. ثم جئتماني لأقضي بينكما؟ ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة؛

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

فإن عجزتما فرداها إلي[1].

وعن زر بن حبيش قال: سألت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ قالت: أعن ميراث رسول الله ﷺ تسأل؟ ما ترك رسول الله ﷺ صفراء ولا بيضاء ولا شاة ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أمة ولا ذهبًا ولا فضة[2].

وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مات رسول الله ﷺ وما ترك دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا وليدة، وترك درعه عند يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير[4].

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء[5]. وروى البخاري عن ابن عباس قال: ما ترك رسول الله ﷺ إلا ما بين الدفتين[6].

وقوله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**». قال الباجي: أجمع أهل السنة على أن هذا حكم

(١) صحيح البخاري: ك. الجهاد، باب فرض الخمس (٢٩٧٢) صحيح مسلم: باب حكم الفيء (١٧٥٧) سنن أبي داود: ك. الفرائض، باب وصايا رسول الله ﷺ (٢٩٦٣). ابن حنبل: المسند: ح (١٧٨٢).

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٧٢، مسند الحميدي: ١/ ١٣٢، ح (٢٧١).

(٣) صحيح البخاري، ح (٢٥٨٨)، التبريزي: مشكاة المصابيح، ٣/ ٣٠٠.

(٤) صحيح البخاري: ك. الجهاد، ح (٢٧٥٩)، سنن النسائي، ح (٤٦١٥).

(٥) ابن حنبل: المسند، ح(٢٤٢٢٢) مسلم: ك. الوصية، ح (١٦٣٥)، الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٧١.

(٦) صحيح البخاري: ك. فضائل القرآن، باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين، ح (٤٧٣١)، الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٧٢.

جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقالت الرافضة: إن الأنبياء يورثون وتعلقوا في ذلك بأنواع من التخليط لا شبهة فيها مع ورود هذا النص. قال: وقد أخبرني القاضي أبو جعفر السمناني أن أبا علي بن شاذان وكان من أهل العلم بهذا الشأن إلا أنه لم يكن قرأ عربية، فناظر يومًا في هذه المسألة أبا عبد الله بن المعلم، وكان مرجع الرافضة ومن أهل العلم بالعربية فاستدل ابن شاذان على أن الأنبياء لا يورثون بحديث: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**» نصب على الحال.

فقال له ابن المعلم: أما ذكرت من هذا الحديث فإنما هو صدقة نصب على الحال فيقتضي ذلك أن ما تركه النبي ﷺ على وجه الصدقة لا يورث عنه، ونحن لا نمنع هذا وإنما نمنع ذلك فيما تركه على غير هذا الوجه، واعتمد هذه النكتة الغريبة لما عرف أن ابن شاذان لا يعرف هذا الشأن ولا يفرق بين الحال وغيرها، فلما عاد الكلام إلى ابن شاذان، قال له: ما ادعيت من قوله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» إنما هو (صدقة) منصوبة على الحال، وأنت لا تمنع هذا الحكم فيما تركه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الوجه، فإنا لا نعلم فرقًا بين قوله: «**ما تركنا صدقةً**» بالنصب وبين قوله: «**ما تركنا صدقةٌ**» بالرفع ولا أحتاج في هذه المسألة إلى معرفة ذلك فإنه لا شك عندي وعندك أن فاطمة رضي الله تعالى عنها من أفصح العرب ومن أعلمهم بالفرق بين قوله: «**ما تركنا صدقةً**» بالنصب و«**ما تركنا صدقةٌ**» بالرفع، وكذلك العباس بن عبد المطلب وهو ممن كان يستحق الميراث لو كان موروثًا، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أفصح قريش وأعلمهم بذلك وقد طلبت السيدة فاطمة ميراث أبيها ﷺ فأجابها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه بهذا اللفظ على وجهه ففهمت منه أنه لا شيء لها، فانصرفت عن الطلب، وفهم ذلك العباس وكذلك علي رضي الله عنهم وسائر الصحابة رضي الله عنهم ولم يعترض أحد منهم لهذا الاعتراض، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه المحتج به والمتعلق به، لا خلاف أنه من فصحاء العرب العالمين بذلك لم يورد من هذا اللفظ إلا بما يقتضي المنع، ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع لما أورده ولا يتعلق به، فإما أن يكون بالنصب يقتضي ما يقوله فادعاؤك فيما قلت باطل، وإما أن يكون

الرفع هو الذي يقتضيه فهو المروي وادعاء النصب فيه باطل[1].

وأورد ابن كثير وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الرافضة في رواية هذا الحديث: «**ما تركنا صدقةً**» بالنصب، جعل ما نافية، فكيف يصنع بأول الحديث وقوله ﷺ: «**لا نورث**»؟ وبهذه الرواية: «**ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة**». وما شأن هذا إلا كما حُكي عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2]. بنصب الجلالة، فقال له الشيخ: ويحك كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[3]!!

والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى، فإنه مخصص لعموم آية الميراث، ومخرج له ﷺ منها، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام[4].

* * *

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٧.

شبهات الرافضة عن الميراث

وقد فتحت شبهة الميراث على فرقة الرافضة شرًّا عريضًا، وجهلًا طويلًا، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم، ولو تفهّموا الأمور على ما هي عليه، لعرفوا للصدِّيق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسّكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين[1].

وتكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[2]. وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم. وحاول بعض أفاكيهم أن يرد حديث رسول الله ﷺ الصحيح الذي احتج به أبو بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه، بأنه مخالف للقرآن حيث قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[3]. وحيث قال تعالى إخبارًا عن زكريا أنه قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4]. واستدلالهم بهذا باطل من وجوه:

---

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٩. البداية والنهاية، ٥/ ٢٨٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٤) سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

أحدها: أن قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ إنما يعني بذلك في الملك والنبوة، أي جعلناه قائمًا بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا، والحكم بين بني إسرائيل، وجعلناه نبيًّا كريمًا كأبيه، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده. وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكر كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون، يقال مائة، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال؟ إنما المراد وراثة القيام بعده في النبوة والملك، ولهذا قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]. وما بعدها من الآيات. قال ابن كثير: وقد أشبعنا الكلام على هذا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة كثيرًا.

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولدًا ليرثه في ماله، كيف وإنما كان نجارًا يأكل من كسب يده[2] ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا يرث عنه ماله، إن كان له مال؟ وإنما سأل ولدًا صالحا يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل، وحملهم على السداد. ولهذا قال تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3]. يعني النبوة كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة[4] فليراجع هناك في تفسير سورة مريم وغيرها من مواضعه في التفسير.

وبما سبق يظهر الحق في هذه المسألة، وتبطل دعوى الرافضة وتندحض شبهاتهم وينكشف زيفهم بما تم تقريره من خلال النصوص والأخبار الصحيحة الدالة على افترائهم على الصديق رضي الله عنه وطعنهم به، مخالفة وردًّا لقول رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركو لي صاحبي**»، ورفضًا لغيرة النبي ﷺ على صاحبه ووقوفه معه في كل أمر خالفه فيه أحد من الناس، وأن ما جرى بين الصدّيق رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها لا يعدو أن

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٥. البداية والنهاية، ٥/ ٢٩٠.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦.

(٤) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٥.

يكون اختلافًا في مسألة فقهية ظهر لفاطمة رضي الله عنها فيها الحق فرجعت له، وعرف لها الصدّيق رضي الله عنه فضلها، فعادها في مرضها وأزال ما في نفسها فماتت وهي راضية عنه فرضي الله عنهما جميعًا، وأخزى الله مسعري الفتن ومثيري الأحقاد ومروجي الباطل الذين يدينون ببغض الصحابة وكراهية السنة المطهرة وأهلها، وتبًّا لكل من يعتقد أن في مبغضي الصحابة وأعداء السنة وجهًا من وجوه الخير أو الغيرة على الإسلام الذي حمله وحماه أصحاب رسول الله ﷺ.

ولا شك أن هذا من المطاعن المشهورة التي يجتر صديدها أعداء خليفة رسول الله ﷺ زورًا وبهتانًا؛ وما زالوا يدينون بها وينفثون سمومهم من خلالها، فتناقلتها كتبهم القديمة، وحملها خلفهم بعد أن تفننوا في إخراجها وضاعفوا ما فيها تزييفًا وافتراءً. وقد رد أئمة السنة المطهرة عليهم في ذلك حتى ظهر الحق وبطل افتراؤهم وظهر زيفهم فيها من **وجوه متعددة منها:**

أن كتب الرافضة متناقضة في نقل هذه الحادثة فبعضها يذكر أن فاطمة رضي الله عنها طالبت بفدك؛ لأن رسول الله ﷺ منحها إياها، وبعضها يذكر أنها طالبت بإرثها[1] وهذا تناقض واضح يدل على اضطراب الرافضة وسقوط ما بنوا عليه من أحكام.

قال شيخ الإسلام: إن ما ذكره الرافضة من ادعاء فاطمة رضي الله عنها فدك، فإن هذا يناقض كونها ميراثًا لها، فإن كان طلبها بطريق الإرث امتنع أن يكون بطريق الهبة، وإن كان بطريق الهبة امتنع أن يكون بطريق الإرث، ثم إن كانت هذه هبة في مرض الموت فرسول الله ﷺ منزه إن كان يُورث كما يُورث غيره أن يوصي لوارث، أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقه، وإن كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوضة، وإلا فإذا وهب الواهب بكلامه، ولم يقبض الموهوب شيئًا حتى مات الواهب كان ذلك باطلًا عند جماهير العلماء، فكيف يهب النبي ﷺ فدكًا لفاطمة ولا يكون هذا أمرًا معروفًا عند أهل بيته والمسلمين، حتى

(١) ينظر: الطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٠٢.

تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضي الله عنهما»[1]؟ وفي هذا رد على زعم الرافضة زورًا أن أم أيمن وعليًّا رضي الله عنهما شهدا بمنح رسول الله ﷺ فاطمة فدكًا.

وكانت السيدة فاطمة رضي الله عنها مجتهدة في ذلك، فقد اعتقدت أن الحق معها، ثم لما رأت من عزم الخليفة على رأيه أمسكت عن الكلام في المسألة، وما كان يسعها غير ذلك. وما ورد في النص من قول: فلم تكلمه، أي في هذه المسألة بعدما سمعت رد خليفة رسول الله ﷺ، ولم يثبت قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته رضي الله عنهما.

وقال شيخ الإسلام: كون النبي ﷺ لا يورث ثابت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلًا لما كان إلا ظنيًّا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن قوله: «**لا نورث**» رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث ولا أصرّ العم على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وإلى علي رضي الله عنه فلم يغير من ذلك شيئًا، ولا قسم له تركة[2].

وقال القاضي عياض: وفي ترك فاطمة رضي الله عنها منازعة أبي بكر رضي الله عنه بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليم للإجماع، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك من طَلَبِ مِيراثٍ، ثم ولي علي رضي الله عنه الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر، وعمر رضي الله عنهم[3]. مما يشهد بأن أصحاب محمد ﷺ منهجهم واحد وفهمهم واحد وعدوهم واحد لا فرق بين من يبغض الصديق وبين من يبغض عليًّا أو الفاروق رضي الله عنهم فكل من هؤلاء المبغضين حرب على الإسلام

(١) ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٢٢٨.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٢٢٠.

(٣) مسلم: بشرح النووي (١٢/ ٣١٨).

وإن تعددت وسائله وتباينت مناهجه في محاربة الإسلام؛ إذ لا فرق بين من يجعل الشيخين صنمًا أو يجعل عليًّا إلهًا فالمقصد والهدف واحد يتمثل في الجنوح بالأمة عن هدي الكتاب والسنة وإفساح المجال للزنادقة والمنافقين ليغيروا بباطلهم ما استطاعوا من معالم الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ.

وقال القرطبي: فأما طلب فاطمة ميراثها من أبيها ﷺ من أبي بكر فكان ذلك قبل أن تسمع الحديث الذي دل على خصوصية النبي ﷺ بذلك، وكانت متمسكة بما في كتاب الله من ذلك، فلما أخبرها أبو بكر بالحديث توقفت عن ذلك ولم تعد إليه[1].

وقال شيخ الإسلام: فهذه الأحاديث الثابتة المعروفة عند أهل العلم، وفيها ما يبين أن فاطمة رضي الله عنها طلبت ميراثها من رسول الله ﷺ على ما كانت تعرف من المواريث، فأخبرت بما كان من رسول الله ﷺ فسلمت ورجعت[2].

وبإجماع الخلفاء الراشدين وإجماع الأمة من بعدهم على أن النبي ﷺ لا يورث احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في **تلبيس إبليس** قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان رضي الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب منه[3]. أي أن الذي قام بعد عثمان هو علي ومضى في حكمه على ما كان عليه الخلفاء من قبله لم يغير

(١) القرطبي: المفهم، ٣/ ٥٦٣.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٢٣٤. مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٧٢، ٢٨/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ١٣٥.

أحكامهم وهو ولي الأمر، رضي الله عنهم!!

ورد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على بعض الرافضة حينما سئل عن هذه المسألة فقال: «أما لو كنت مكان أبي بكر رضي الله عنه لحكمت بما حكم به أبو بكر رضي الله عنه في فدك»[1].

ونقل القرطبي اتفاق أئمة أهل البيت بدءًا بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس رضي الله عنهم الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله قال: «إن عليًّا لما ولي الخلافة لم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر وعمر وعثمانَ رضي الله عنهم، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد ابن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في **صحيحه**، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمد الشيعة وأئمتهم، لم يُروَ عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقًّا لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها، ولم لا[2]؟

وما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله[3]. والسيدة فاطمة رضي الله عنها بضعة من رسول الله ﷺ تربت في بيت النبوة على الكرم والحياء والصفح والحمية على الدين والترفع عن الدنيا وحظوظها، وما ينسجه الرافضة من أباطيل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٩٠. السيرة النبوية، ٤/ ٥٧٠.

(٢) القرطبي: المفهم، ٣/ ٥٦٤.

(٣) البخاري: شرح فتح الباري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، ح(٦٧٨٦)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام ٤/ ١٨١٣، ح(٢٣٢٧).

وأساطير حول هذه المسألة؛ فإنما يقصدون بذلك الإساءة إليها رضي الله عنها بما يختلقونه من روايات مفتعلة من خلال المهارشة على الدنيا والحرص الشديد على متاعها بزعمهم ولكن كل ذلك يخرجونه بمظهر التباكي على حقوقها ويسوقونه بين الغوغاء لنشر اللغط والتشكيك بخليفة رسول الله ﷺ بين الجهلة ومن لا علم له ولا فهم، وهذا يؤكد مكرهم بالدين وأهله وحربهم القائمة على السنة وحملتها من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فظهر بما سبق إجماع الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، وأئمة أهل البيت رضي الله عنهم المعتمدين، على أن رسول الله ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وعلى ذلك جرى عمل الخلفاء الراشدين وقادة أهل البيت الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ. وهذا ما فهمته الأمة المؤمنة بالله ورسوله، وهذا ما زال يثيره أعداء السنة رافضو خلافة النبوة ومبغضو الصحابة وآل البيت، أولئك الحاقدون الذين ما زال شرهم على الأمة قائمًا ومكرهم بها مستمرًّا وخداعهم لعامتها متزايدًا، يغذيه بعض من يحسب على السنة ممن ما زالوا ينظرون بأعينهم الفاقدة للبصيرة أن الفاروق رضي الله عنه وقاتليه في كفة واحدة وهؤلاء هم الشر القائم على السنة المطهرة وأهلها، لما يلبسون على الناس أمر دينهم ويزيفون تجارب أمتهم.

وفاطمة رضي الله عنها على جلالتها، وكمال دينها، وفضلها، ليست معصومة، وقد كانت تطلب من النبي ﷺ الشيء فلا يجيبها له: كسؤالها النبي ﷺ خادمًا فلم يعطها، بل أرشدها وعليًّا للتسبيح كما ثبت في حديث علي رضي الله عنه في الصحيحين[1]. وعن عمر بن عبد العزيز أن فاطمة سألت رسول الله ﷺ أن يجعل لها فدكًا فأبى[2]. وثبت في **صحيح مسلم** أن فاطمة جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: إن أزواجك أرسلنني إليك

---

(١) البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح (٣٧٠٥). وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ح (٢٧٢٧).

(٢) ينظر: سنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة، باب: في صفايا رسول الله ﷺ، ح (٢٩٧٢).

يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها النبي ﷺ: «**أي بنية ألست تحبين ما أحب؟**» فقالت: بلى. قال: «**فأحبي هذه**». أي عائشة[1] فلم يجبها النبي ﷺ لشيء من ذلك، فدل على عدم موافقته لها في كل شيء، بل قد تفعل الأمر مجتهدة فتخطئ فلا يقرها عليه ﷺ وبالتالي فإنه لا يغضب لغضبها في كل شيء، بل إنه ﷺ وكل مسلم يغضب لمن يتعمد إغضابها - وهذا هو شأن كل مسلم - كما يغضب أهل السنة مما تفعله الرافضة من البهتان عليها وقولهم بأنها كانت تخاصم من أجل الميراث وفدك، وكأنها رضي الله عنها كانت تعمل في حراثة الأرض، أو كأنه لم يعد في عصرها أحد من بني عبد مناف يطالب بحقها!!

فإذا علم هذا فلا بد أن يعلم كل غافل أن رسول الله ﷺ كان يغضب لصاحبه رضي الله عنه من جميع الناس ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه في مسألة إلا وكان رسول الله ﷺ معه على من يخالفه حتى أعلن ﷺ إعلانه العظيم بقوله: «**هل أنتم تاركو لي صاحبي؟!**» فلم يعد أحد يجرؤ على التعرض لأبي بكر رضي الله عنه في أي أمر من أمور الدين أو الدنيا إلا من لا يبالي بقول رسول الله ﷺ ولا نهيه، وهذا صنف المنافقين المرتدين الذين لا قيمة لأقوالهم ولا لكتاباتهم، ولأنهم في كل ذلك أفاكون مشاغبون، وأن خليفة رسول الله ﷺ كان متبعًا للنص الصريح في ذلك، وقد وافقه الصحابة رضي الله عنهم فكان إجماعًا معتضدًا بالنص، فأبو بكر رضي الله عنه في ذلك قائم بالحق متبع للنص مستمسك بعهد رسول الله ﷺ، فكيف يتصور ألا يرضى رسول الله ﷺ ممن يعمل بشرعه وهديه ﷺ ويتمسك بسنته، كما ينفث ذلك أعداء السنة مبغضو الصحابة؟

أما قوله ﷺ: «**فمن أغضبها فقد أغضبني**» لو كان وعيدًا مطلقًا لكان لازمًا لعلي رضي الله عنه؛ إذ إن مناسبة هذا الحديث هي خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وشكوى فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ على ما روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة قال: إن عليًّا خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك

(١) مسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة) ح (٢٤٤٢).

أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: «**أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع - الأموي - فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد**». فترك علي الخطبة(١).

فظهر أن مناسبة الحديث هي خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وغضب فاطمة رضي الله عنها من ذلك، والنص العام يتناول محل السبب، وهو نص فيه باتفاق العلماء، حتى قالوا: لا يجوز إخراج السبب بدليل تخصيص، لأن دلالة العام على سببه قطعية، وعلى غيره على وجه الظهور(٢) ولكن الرافضة لا يحجز بهتانهم دين ولا نهي نبوي ولا يحجزهم عن البغي سوى منهج الصدّيق الذي واجه به حركات الردة بأمثال خالد وزياد بن لبيد الأنصاري وإخوانهم رضي الله عنهم.

وبهذا يظهر جليًّا أن مناسبة الحديث كان موقف رسول الله ﷺ من خطبة علي رضي الله عنه عندما أراد أن يتزوج على ابنة رسول الله ﷺ ولكن الرافضة بكراهيتهم للحق وحبهم للفتنة، لا يبالون بأن يقلبوا حقيقة الأحداث ويزيفوا التاريخ ونصوص الحديث لتوافق أهواءهم القائمة على هدم سنن الإسلام بأي وسيلة كانت، والله تعالى حائل بينهم وبين ذلك مهما ابتكروا من وسائل وأساليب ملتوية.

ولكن البلاء والشر ليس في أعداء الصحابة وحدهم وإنما في إخوانهم الذين يزعمون أنهم من أهل السنة، ويقولون: ما الفرق بين عقيدتنا وعقيدة مكذبي القرآن وقتلة عمر الفاروق رضي الله عنه ومعظمي الغادر أبي لؤلؤة المجوسي صاحب مقام بابا شجاع في مدينة كاشان الإيرانية، الذي كتبوا على مدخله لعن الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم، المتعبدين

---

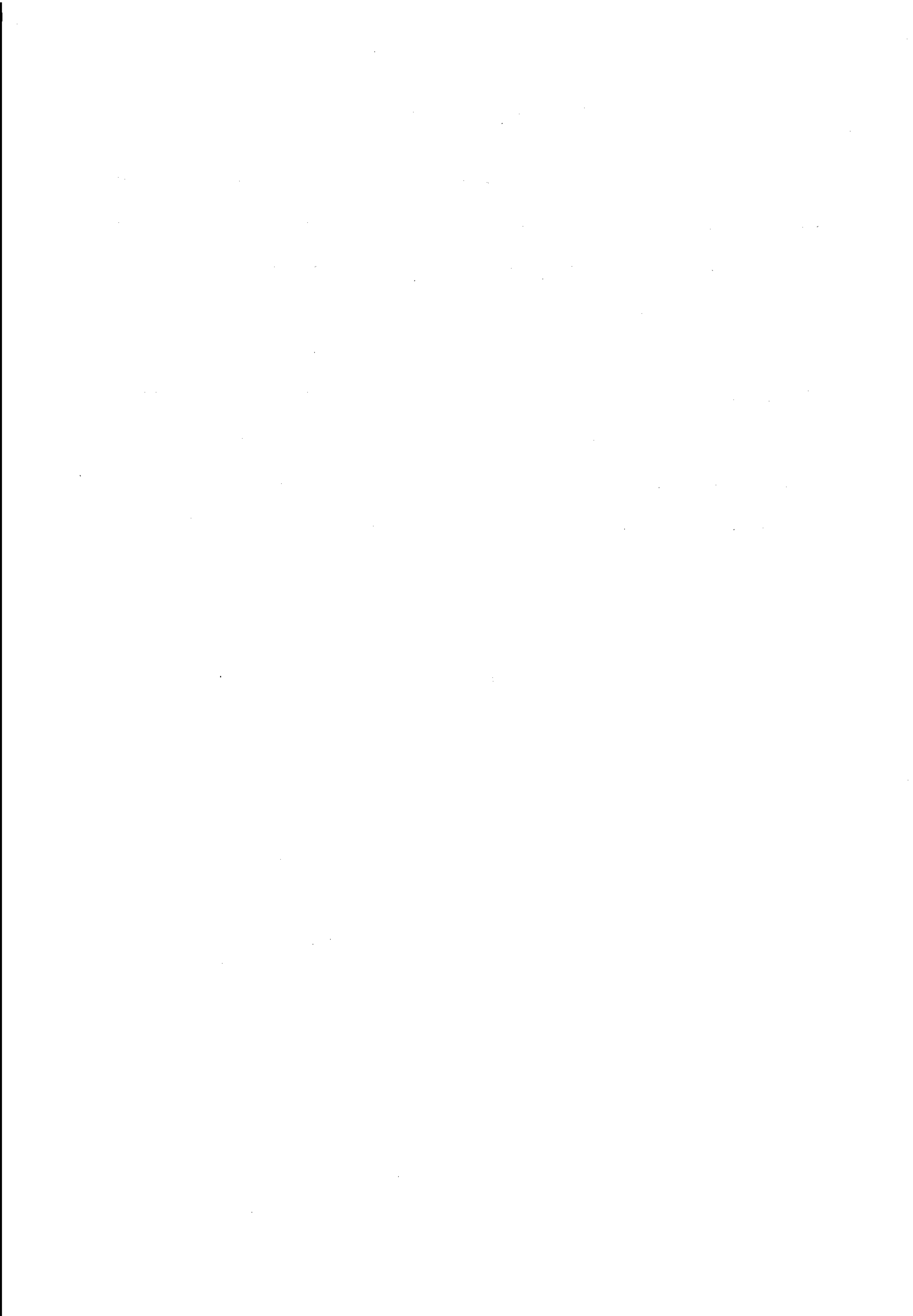
(١) البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصهار النبي ﷺ، ح (٣٧٢٩). مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ٤/ ١٩٠٣، ح (٢٤٤٩).

(٢) ينظر: الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول، ٣٦٠.

بحبه وموالاته لعنه الله تعالى ولعن من يعظمه ويواليه، لما اقترف من الجرم والسوء والإثم بغدره بالعادل الطاهر القوي الأمين نصير رسول الله ﷺ ومعينه الساهر على تنفيذ أحكامه وأوامره الفاروق عمر رضي الله عنه، وأولئك الذين يحبونهم إنما يخادعون أهل السنة النبوية ويغشونهم بفتاوى ليس لها ما يؤيدها من دليل، لا في الشرع ولا في الواقع، فصدّعوا الصفوف ومزقوا الوحدة وزادوا عامة الناس خبَالًا ودسوا أنوفهم فيما لا يعنيهم من تحالفات لا تعود على المسلمين إلا بالشر والبلاء والفرقة، فبلغ من غبائهم أن دعوا إلى محبة قتلة أئمة أهل السنة ومكفري سلفهم الصالح أصحاب محمد ﷺ وموالاة المخططين لطمس السنة واستباحة أهلها، ممتطين في كل ذلك هذا الصنف الذي يخلط الشهد بالنفط. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[1].



(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.



المبحث الثالث

في منهجه الاجتماعي والإداري

في الحياة الاجتماعية:

علّم النبي الكريم ﷺ أصحابه حب الوحدة والحياة الجماعية والشعور بالمسؤولية تجاه الجماعة والعمل على خدمتها ونصرتها، ولما مرت جماعة المؤمنين في مكة بمحنة طغيان المشركين عليهم سنّ النبي ﷺ لهم سنّة المؤاخاة التي لا مثيل لها فيما سبق من أعمال إصلاحية، لكي يؤانس بعضهم بعضًا عن العشيرة والأهل والأصحاب، ولِما جنى منها المسلمون من منافع التكافل والتناصر والتآسي والشعور بروح الجماعة الذي ولد لديهم القدرة الواسعة على التحمل والصبر ومطاولة الجاهلية بروح المؤمنين وأخلاق الصالحين، حتى تمكنوا في نهاية المطاف من إسقاط الجاهلية بكل أعرافها وشركها وأوزارها، وتأسيس دولة التوحيد بكل رقيها وعدلها ورعايتها لأبنائها.

فمثلت المؤاخاة لبنة أولى في بناء المجتمع الإسلامي، وذكر أنها كانت مرتين: الأولى بين المهاجرين بعضهم مع بعض قبل الهجرة على الحق والمواساة، آخى بينهم النبي ﷺ فآخى بين أبي بكر وعمر وآخى بين بقية الصحابة رضي الله عنهم[1] والمؤاخاة الثانية كانت في دار أنس بن مالك بعد الهجرة إلى المدينة[2].

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٧٧. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٣٢١، ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٧٧. ابن الجوزي: المنتظم، ١/ ٦٣.

قال ابن القيم: وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية واتخذ فيها عليًّا أخًا لنفسه والثابت المؤاخاة في المدينة بعد الهجرة، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ولو آخى بين المهاجرين كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ورفيقه في الهجرة وأنيسه في الغار، وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد قال: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام أفضل**»، وفي لفظ: «**ولكن أخي وصاحبي**»[1]. وهذه الأخوة في الإسلام وإن كانت عامة كما قال ﷺ: «**وددت أن قد رأينا إخواننا**» قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: «**أنتم أصحابي؛ وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني**»[2]. فللصدّيق رضي الله عنه من هذه الأخوة أعلى مراتبها كما له من الصحبة أعلى مراتبها، فالصحابة لهم الأخوة ومزية الصحبة ولأتباعه بعدهم الأخوة دون الصحبة[3].

والحقيقة أن مؤاخاة مكة فيها نظر؛ لأن مقاصدها كانت قائمة وحاصلة في نفوس المؤمنين فلم يكونوا بحاجة إلى ما يزيد تلاحمهم، والأمر الآخر أنهم في مكة لم يكونوا يشكلون مجتمعًا مستقلًّا عن المشركين، بل كان كل منهم يعيش بين أهله وقومه وعشيرته، وإن كانوا يعانون منهم الأمرّين بسبب إيمانهم واتباعهم الرسول ﷺ، والأمر الثالث في هذه الرواية هو الزعم بأن رسول الله ﷺ آخى عليًّا رضي الله عنه وهذا مناقض للأحاديث الصحيحة التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه لو كان متخذًا خليلًا لاتخذ أبا بكر رضي الله عنه، ولكن أخوة الإسلام، فأبو بكر رضي الله عنه هو الأولى بمؤاخاة رسول الله ﷺ كما يستنبط من الأحاديث الصحيحة والمواقف العملية التي كان يتخذها رسول الله ﷺ مع صاحبه تجاه أي من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، ح (٣٩٠٤) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح (٢٤٩).

(٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٤.

رضي الله عنهم فضلًا عن أن عليًّا رضي الله عنه في مكة كان صبيًّا لم يبلغ من العمر أن يحسب فيمن يتصدى للمواقف العصيبة التي كان يعاني منها المؤمنون، وهذه السيرة النبوية في مكة لا تذكر له رضي الله عنه أي موقف في مواجهة المشركين قبل مبيته في فراش النبي ﷺ يوم الهجرة، لهذا يجب أن يعلم كل مسلم أن أي رواية تغمط بعض الصحابة وتعظم عليًّا رضي الله عنه بأنها رواية بحاجة إلى تدقيق وتحقيق؛ لأن همّ الرافضة إفساد كل شيء في الدين ولا سيما سير الصحابة فعلي رضي الله عنه يؤلهونه، وهذا خروج من الدين، وباقي الصحابة رضي الله عنهم يُكفرونهم، وهذا رفض لنصوص الكتاب والسنة وهو ردة معلنة، وعامة أهل السنة يقرأ دون أي تدبر أو تفكر!! فليكن المقياس لأهل السنة المخلصين للسنة هو أن الطعن بالصحابة هو علامة الزندقة والرفض، والمؤمن كيس فطن، ولا سيما في هذا العصر الذي وجه فيه أعداء الصحابة كل طاقاتهم لهدم السنة وإقصائها وحصار أهلها النجباء بمكر ودهاء كبيرين مستغلين غفلة أهلها وغياب رعاتها وضعف الغيرة عليها عند الكثير منهم.

وقد كان الصحابة يشارك بعضهم بعضًا الأفراح والأتراح ويفتدي بعضهم بعضًا بالنفس والمال واستمر أصحاب رسول الله ﷺ في سمو أخلاقي وقيمي حتى بلغوا أقصى ما يبلغه البشر في تلك الميادين، فلم يعد أحد منهم يحس بوحشة أو وحدة ولا سيما أن رسول الله ﷺ يمدهم بطاقات الصبر والتحمل، وهم يرونه أمامهم في عامة المواقف التي مرت بهم رضي الله عنهم، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يشارك في كل ذلك، في مكة والمدينة وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ﷺ فيقدم العزاء لكل من يصاب بمصيبة وكان إذا عزّى رجلًا قال: ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون ما قبله، وأشدّ ما بعده، اذكروا فقدَ رسول الله ﷺ تصغر مصيبتكم، وأعظم الله أجركم[1].

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما وجِع سعد بن معاذ رضي الله عنه ووجد به الموت، بكى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، حتى إني لأعرف بكاء أبي بكر

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٥.

من بكاء عمر، وأنا أبكي، وكان رسول الله ﷺ تذرف عيناه، ويمسح وجهه، ولا يسمع صوته[1]. فصدق الله العظيم إذ يقول عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يشارك في تفقد أحوال المسلمين الضعفاء والغرباء ويكرمهم ويهتم بأمرهم. وكان ذو البجادين يتيمًا لا مال له مات أبوه ولم يورثه شيئًا فكفله عمّه حتى أيسر وكان له إبل وغنم ورقيق فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه لأجل عمّه حتى مضت السنون والمشاهد فقال لعمه: يا عمّ إني انتظرت إسلامك فلم أرك تريد محمدًا فأذن لي في الإسلام. فقال: والله لئن اتبعت محمدًا ﷺ لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكه إلا نزعته منك حتى ثوبيك. فقال: فأنا والله متبع محمدًا وتارك عبادة الحجر والوثن وهذا ما بيدي فخذه.

فأخذ كل ما أعطاه حتى جرده من إزاره فأتى أمه فقطعت له بجادًا لها باثنين فاتَّزر بواحدة وارتدى الآخر، ثم أقبل إلى المدينة وكان بورِقان - وهو جبل من جبال مزينة - فاضطجع في المسجد في السحر فصلى رسول الله ﷺ الصبح وكان يتصفح وجوه الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فأنكره فقال: «**من أنت؟**» فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال: «**أنت عبد الله ذو البجادين**» ثم قال: «**انزل مني قريبًا**».

فكان في أضيافه ويعلمه القرآن حتى قرأ قرآنًا كثيرًا وكان رجلًا صيّتًا فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته بالقراءة فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن قد منع الناس القراءة فقال: «**دعه يا عمر فإنه خرج مهاجرًا إلى الله وإلى رسوله**». ثم خرجوا إلى تبوك، قال ذو البجادين: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. فقال ﷺ: «**أبغني لحا سمرة**» فربطها رسول الله ﷺ على عضده. وقال: «**اللهم إني أحرم دمه على الكفار**» قال:

(١) ابن عبد البر: التمهيد، ١٩/ ٣٢٥. تاريخ دمشق: ٣/ ٣٣٦. الصالحي: سبل الهدى، ٨/ ٣٥٦.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

يا رسول الله، ليس هذا أردت. قال: «**إنك إذا خرجت غازيًا في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد ولا تبالي بأية كان**». فلما نزلوا بتبوك أقاموا بها أيامًا فتوفي عبد الله وكان بلال بن الحارث يقول: حضرت مع رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفًا بها وإذا رسول الله ﷺ في القبر وإذا أبو بكر وعمر يدليانه إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «**أدنيا إليَّ أخاكما**» فلما هيأه لشقه في اللحد قال: «**اللهم قد أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**» فقال ابن مسعود: يا ليتني صاحب هذا القبر[1].

فانظر إلى هذه الحال التي أصبح عليها أصحاب رسول الله ﷺ حتى هانت عليهم المصائب بما في ذلك مصيبة الموت، لما هم عليه من التكافل والتلاحم في مواجهة جميع الأحداث، فها هو رسول الله ﷺ ومعه الصدّيق والفاروق هم الذين يتولون رعاية من فقدوه من إخوانهم، مع أن جيش تبوك كان يزيد على ثلاثين ألفًا من أصحاب رسول الله ﷺ وكلهم يفتدي بعضهم بعضًا، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ والشيخين هم الذين يقومون على أمر ذي البجادين رضي الله عنه حتى إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يتمنى لو كان هو صاحب ذلك القبر لما شاهد من حسن الرعاية وجميل الدعاء ووحدة القلوب.

ومثلما كان الصدّيق رضي الله عنه يشارك في تخفيف المصائب عن الناس والضيق الذي يمر به البعض منهم فكان كذلك يشاركهم أفراحهم ومسراتهم، ومن ذلك بشارته لكعب بن مالك الأنصاري وتهنئته له بتوبة الله عليه بعد تخلفه عن غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ، قال كعب رضي الله عنه: فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة - بعد أن اعتزلهم الناس - وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[2]. وضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوتًا صارخًا أوفى على جبل سلع

(١) المنتظم: ٣/ ١٤١. الصالحي: ٥/ ٤٦٠. الواقدي: المغازي، ٣/ ١٠١٤. أبو نعيم: دلائل النبوة: ١٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر[1]. قال الواقدي: إن الذي أوفى على جبل سلع أبو بكر الصديق رضي الله عنه فصاح: قد تاب الله على كعب، يا كعب أبشر. وعند ابن عقبة أن رجلين سعيا يريدان كعبًا يبشرانه، فسبق أحدهما، فارتقى المسبوق على سلع فصاح: يا كعب، أبشر بتوبة الله، وقد أنزل الله عز وجل فيكم القرآن، وزعموا أن اللذين تسابقا أبو بكر وعمر، قال كعب: فخررت ساجدًا أبكي فرحًا بالتوبة، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبل صاحبيَّ مبشرون[2].

فيتضح من هذا أن خليفة رسول الله ﷺ كان يسير على خطى صاحبه رسول الله ﷺ يعيش للأمة يحمل همومها ويستشرف مستقبلها ويشارك أبناءها في حياتهم، لم يتغير خلقه بعد أن تولى قيادة الأمة وخلافة رسول الله ﷺ في المؤمنين، فكان يحلب للحي شياههم ويخدم عجزتهم[3] وذوي العاهات، ويصل الأرحام ويداعب الصغار ويعطف عليهم[4] ويزور المساكين وأهل الفضل وكبار السن ومن كان رسول الله ﷺ يزورهم[5] ويتسامح عمن يجهل عليه ويعطي من يطمع في ماله، ويلتزم العمل بما تعلمه من رسول الله ﷺ في مثل قوله: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**[6] وكان رضي الله عنه لا يدع موقفًا من المواقف إلا وله فيه أثر طيب؛ إما أمر

(١) انظر قصة حديث كعب بن مالك فيما أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ح (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح (٢٧٦٩)، والصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٤٧٦.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٤٧٦.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصدّيق، ٢٩.

(٤) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٤١.

(٥) مسلم، فضائل الصحابة، ح (٢٤٥٤).

(٦) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ح (٢٥٨٨).

بمعروف أو نهي عن منكر، يمارس دور الإمام والقائد والمعلم والأب والصاحب الشفيق وكل ذلك بإخلاص ونية طيبة مما كان له أطيب الأثر وأجمل البصمات في حياة الناس ونفوس المؤمنين، حتى أصبحت سيرته مصدر إلهام لأبناء المجتمع الإسلامي الذي انطلق بأجمعه مخلصًا لله تعالى في الجهاد والعمل والتواصل والتراحم، كيف لا والناس على دين ملوكها؟ فأصبح خليفة رسول الله ﷺ بسيرته حجة على كل من تولى للمسلمين أمرًا من أمور دينهم أو دنياهم، ثم احتجب عنهم يستر عوراته ويحسب سرقاته من حقوق المسلمين وتجاوزه على شريعتهم وتزييفه لهويتهم، مما يوضح بشكل لا لبس فيه الفارق الشاسع بين من يقود الأمة ودستوره الكتاب والسنة، وبين من يقودها ومرجعه هواه أو أوهام البداءة والتقية والغيبة أو العلمانية وشهواتها البهيمية وجرأتها على الآخرين أو الأحزاب الإلحادية وغير هؤلاء ممن يغمطون الناس ويسفهون الحق.

وكان وقافًا عند حدود الله لا يحابي ولا يداهن؛ الكل عنده سواسية في غضبه وفي رضاه، وكان يعلم أن رسول الله ﷺ كانت تجوز له بما ينزل عليه من الوحي أمور لا تجوز لغيره ﷺ فلما غضب يومًا على أحدهم قال أبو برزة الأسلمي: يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ فلما ذكرت القتل صرف عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو، ثم قال: ويحك - أو ويلك - إن تلك والله ما هي لأحد بعد محمد ﷺ[1].

فبلغت الثقة في خليفة رسول الله ﷺ مبلغًا عظيمًا في نفوس المؤمنين حتى إنهم كانوا عند رهن إشارته لتنفيذ كل ما يأمر به رضي الله عنه، فسار بهم على منهج نبيهم ﷺ حتى بلغ بهم أقصى ما يبلغه خلفاء الأنبياء في أممهم فازداد المجتمع الإسلامي في عصره تماسكًا ووحدة وأخوة واستعدادًا للتضحية والفداء، من أجل نشر الدين وحماية السنة وأهلها، وليتعلم المؤمنون من بعدهم كيف تفتدى السنة في أي عصر أو مصر يعيشون فيه، كما استقوا من

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٥٥، ٦٢).

خليفة رسول الله ﷺ كيف يكون الموقف الحق من أهل الردة المجترئين على السنة النبوية الرافضين لهديها، حين طبقوا ذلك عمليًّا وبحزم لا مثيل له فدحروا أعداءها ممن رفض إمامة حامي السنة النبوية بعد رسول الله ﷺ خليفته أبي بكر رضي الله عنه من أمثال: مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح ومالك بن نويرة وإخوانهم من الرافضة المتنبئين بالإفك والردة، فأسكتوا باطلهم بنور الحق وعظيم التضحيات وهدي السنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(1).

في الجانب الإداري:

ومثلما كان خليفة رسول الله ﷺ عظيمًا في سيرته الاجتماعية مع أبناء أمته في حياته العامة، كذلك كان عظيمًا في إدارة شؤونهم واختياره الأفاضل الأكارم ليقوموا على خدمتهم، وكان من أحرص الناس على التمسك بمن عمل لرسول الله ﷺ أي عمل كان وكان حريصًا أيضًا على أن يجعله في المكان الذي جعله فيه رسول الله ﷺ إلا إذا اختار غيره، وكان من أهم الأحداث التي واجهها خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ أنه استقبل عمال رسول الله ﷺ، وقد شاهدوا تصدع الأمور وتمرد أهل الردة، فلما التقى بهم خليفة رسول الله ﷺ تبين لهم أنه أعلم بالأحداث منهم ولا سيما أنه أخبرهم بأعظم مما أخبروه، وتبين أيضًا أنه كان قد أعد للأمر عدته فلم يثبت أنّ حدثًا من الأحداث فاجأ المسلمين ولم يكن خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه قد أعد له عدة، واستعان على كل ذلك برجال من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم على علم وحزم ورجولة ونباهة وسياسة وفصاحة وورع وزهد ورغبة فيما عند الله تعالى مما سهل عليه الصعاب ويسر المعضلات واختصر عليه التدريب والإعداد؛ لأن كل ما يريده ويسمو إليه حاضر في نفوسهم فما عليه إلا أن يشير حتى يجد التنفيذ قد تم وعلى الوجه الذي يحب وكان في مقدمة أولئك الرجال

(1) سورة القصص، الآية: ٥٠.

القادة عمّال رسول الله ﷺ الذين تلقوا التعليمات المباشرة من النبي ﷺ واستقوا علوم الإدارة وفنون الطاعة والتعامل مع القيادة ومع عامة الناس منه ﷺ.

عمال رسول الله ﷺ:

بعد وفاة النبي ﷺ قدمت رسله ﷺ من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد، ووفود من كان كاتبه النبي ﷺ وأمره في الأسود ومسيلمة الكذابين وطلحة الأسدي بالأخبار والكتب؛ فدفعوا كتبهم إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه وأخبروه الخبر. فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم وأمرّ وانتقاض الأمور؛ فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتقاض عامة أو خاصة، وتبسطهم بأنواع الميل على المسلمين فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه بما كان رسول الله ﷺ حاربهم؛ بالرسل فرد رسلهم بأمره، وأتبع الرسل رسلًا، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وجيشه، وكان أول من صادم عبس وذبيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة رضي الله عنه وانتصر عليهم وأسقط خططهم فكان ذلك فاتحة خير للمسلمين على يد الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه[1].

وكان عمال رسول الله ﷺ حين وفاته على قضاعة وعلى قبيلة كلب امرأ القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبد الله، وعلى القين عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلي، وقيل: الوالبي. فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب، وبقي امرؤ القيس على دينه. وارتد زميل بن قطبة القيني فيمن آزره من بني القين، وبقي عمرو: وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هذيم. فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى امرئ القيس بن فلان وهو جد سكينة بنت الحسين رضي الله عنه فسار، لوديعة، وإلى عمرو فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري، فلما توسط أسامة بلاد قضاعة بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه، فخرجوا هرابًا حتى أرزوا إلى دومة واجتمعوا إلى وديعة ورجعت خيول

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥٤.

أسامة عليه فمضى فيها أسامة حتى أغار على الحمقتين فأصاب في بني الضبيب من جذام، وفي بعض بني لخم ولفها من القبيلين وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا غانمًا. فارتفع شر تلك النواحي عن المسلمين، وثبت الدين هناك، وسلم أهله. وثبت في كل ذلك فضل الاتباع وخطورة التردد أو الاجتهاد والالتفاف على ما ورد في النصوص الصحيحة، وظهر في كل ذلك الفرق بين علم خليفة رسول الله ﷺ واستنباطه للأحكام وبين علوم الصحابة رضي الله عنهم وعامة الأمة وتبين للمؤمنين كافة السابقين واللاحقين أن خليفة رسول الله ﷺ هو وحده المؤهل لسد الفراغ الهائل الذي خلّفه غياب رسول الله ﷺ في الأمة، وأنه كان أكثر الأمة اتباعًا واقتداء وفهمًا عن رسول الله ﷺ.

كتّاب خليفة رسول الله ﷺ وعماله في المدينة:

مما أعان خليفة رسول الله ﷺ على تجاوز الأخطار الهائلة التي أحاطت بالأمة بعد رحيل النبي ﷺ هو كثرة الأعوان المخلصين المحتسبين أجورهم عند الله تعالى، والثقة الكبرى التي تملأ قلوب المؤمنين في قدرات وعلوم وتدابير خليفة رسول الله ﷺ على الصعد كافة، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك بيت المال. وقال عمر: أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان. وكان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وروي أن عبد الله بن الأرقم كتب له، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضًا، وكان يكتب له من حضر.

فأكرم بقائد أمينه على بيت المال أمين الأمة رضي الله عنه وقاضيه فاروقها رضي الله عنه وكتابه ذو النورين وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وأنعم بأمة لا تحتاج إلى التحاكم إلى الناس في كثير من مسائل الدنيا وذلك لعمق علومها ومعارفها وسمو أهدافها ومطالبها التي تجاوزت زوايا الدنيا بما فيها من التنافس على زينة الحياة وزخرفها، ولا شك أن تلك القيادة هي أكرم قيادة تقود الأمة بعد وفاة النبي ﷺ إلى قيام الساعة فلتكن هي مصدر الإلهام في عميق الإيمان وسمو المقاصد وجميل النوايا وحسن الطاعة وكريم المزايا وحدة الذكاء

وقوة الفهم وإدراك الأحداث ورعاية الأمة، وعلى هذا فإن هذه الكوكبة المباركة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن يحيط بهم آنذاك هم مفتاح الدخول إلى أمة الإسلام، فمن زعم أنه في داخل حصن الأمة فإنما تُعرض هويته على مقاييس تلك الثلة الطاهرة المباركة، فمن وُجِد في هويته أي شرخ أو منعطف أو التواء أو تردد عن أي من ذلك اعتبر ذلك علامة الزندقة والجاسوسية وبغض أمة القرآن ورفض السنة ورد الإيمان، أما إذ تجاوز الأمر إلى بغض أي من أمة الصحابة رضي الله عنهم كما يدين بذلك مجوس هذه الأمة في هذا العصر، فإنما ذلك علامة على الردة والعدوان، ومن زعم أنه من أهل السنة وأحسن الظن فيمن يبغض أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم، فإنما هو الغبي المهان الذي لا يميز بين ما كان يهذي به ويفتريه مسيلمة الكذاب وبين ما يتنزل به الوحي من القرآن.

وهذا الصنف من الناس هو الأخطر على أهل القرآن والسنة لما أحدث فيهم من الصدوع والشك والتردد، وهو متلبس بالتقية والنفاق والزعم الكاذب أنه من الأمة ودينه التجسس وبث الإشاعة والإفك بين المؤمنين، والعمل المستمر على الفصل بين الأمة وقادتها ورموزها، والتعاون والتحالف الوثيق الدائم مع أعدائها وغزاة ديارها في كل عصر ومصر، فمن أغفل فكره وتدبيره عن هذه الحقيقة الفاقعة فإنما هو المفرط المضيع الهالك، وعلى ميزان محبة الصحابة أو بغضهم تظهر معادن الأخيار من الأشرار وأهل الإيمان من أهل الرفض والردة ولا لقاء بينهما.

ولما بايعت الأمة خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أمرها، بعد أن عاينوا منزلته عند رسول الله ﷺ قال أبو عبيدة رضي الله عنه: أنا أكفيك بيت المال، وقال عمر رضي الله عنه: أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان. وقال علي بن محمد عن الذين سميت قال بعضهم جعل أبو بكر عمر رضي الله عنهما قاضيًا في خلافته فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد. وكان يكتب له زيد بن ثابت رضي الله عنه ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان يكتب له من حضر إن لم يكن أحدهما حاضرًا. وكان عاملَهُ على مكة عتاب بن أسيد،

وعلى الطائف عثمان بن أبي العاصي، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وبعث بعبد الله بن ثور أحد بني الغوث إلى ناحية جرش وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل، وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهم كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه. فهذا وجه من وجوه إدارة خليفة رسول الله ﷺ وارث دولة النبوة والقائم بها والإمام الذي سد مسد صاحبه رسول الله ﷺ بعد غيابه بكل جدارة ويقين وإخلاص. فملأ الفراغ الذي خلّفه غياب النبي ﷺ فلاقى منهجه الإداري - كما هو في عامة سياسته - القبول والرضا والاستعداد للعمل في تنفيذه بكل قناعة وحزم، وفي ذلك قال خفاف ابن ندبة - وندبة أمه وأبوه عمير بن الحارث - في خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه:

أبـلـج ذو عـرف وذو منكر ... مُقَسّمُ المعروف رحبُ الفناءْ
لـلـمـجـد فـي مـنـزلـه بـاديًـا ... حوض رفيع لم يخنه الإزاءْ
والـلـه لا يـدرك أيـامـه ... ذو مئزر حافٍ ولا ذو رداء
مـن يـسـع كـي يـدرك أيـامـه ... يجتهدِ الشدَّ بـأرضٍ فضاءْ

وكان نقش خاتم أبي بكر رضي الله عنه «نِعم القادر الله»[1] نعم كان خليفة رسول الله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر سلمًا للمؤمنين حربًا على أهل الرفض المرتدين والمتنبئين الكذابين، ورادعًا للغوغاء المغفلين الذين غالبًا ما تؤتى الأمة من قبلهم فتؤخذ أخذًا أليمًا على أيدي الأعداء وإخوانهم المنافقين، وكان رضي الله عنه كهفًا للضعفاء والمحتاجين ونصيرًا لا يقهر للمستضعفين، حتى أصبح رضي الله عنه عنوانًا للمجد وحوضًا للمكارم لا ينضب عطاؤه، فأصبح السابق الأول والتابع الأول لصاحبه سيد الوجود ﷺ، فلم يدرك

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ١٠٢٣، الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢.

أيامه أكارم الصحابة من أهل الحاضرة والبادية الذين بذلوا كل ما في وسعهم للحاق به، ولكن إلي أي وجه يجري من يسابق في مفازات المكارم وفضاءات الإيمان والقيم التي لا سواحل لها.

أمراؤه وعماله وكتابه وقضاته:

يتبين مما سبق أن الهيكل الإداري في أيام خليفة رسول الله ﷺ إنما كان من عمالقة القادة ووجوه الأمة السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ وهم:

عمر الفاروق رضي الله عنه الذي كان على القضاء، وكان الصديق يقضي بنفسه بين المؤمنين ويفتي لهم فيما يقع لهم من مسائل.

أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه كان على بيت المال إلى أيام مسيره إلى الشام.

وكتابه: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن ثابت رضي الله عنه، وأحيانًا يكتب له من حضر من الصحابة رضي الله عنهم.

وأقر الصديق عتاب بن أسيد رضي الله عنه على مكة وقد أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين استعمله عليها يصلي بالناس وقال له: «**تدري على من استعملتك؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**استعملتك على أهل الله**». وأقام عتاب بن أسيد[1] عامله على مكة وكان رضي الله عنه شديدًا على المريب لينًا على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفًا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، فقال أهل مكة: يا رسول الله، استعملت على أهل الله أعرابيًّا جافيًا، فقال ﷺ: «**إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل**»[2]. وقد كان أجره من رسول الله ﷺ درهمًا في كل يوم فقام فخطب فقال: أيها

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٤٤٦.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٤٥١. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٥.

الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهمًا كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد[1]، فكان عمال خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: على مكة عتاب بن أسيد ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه.

وعلى الطائف أقرّ الصديق رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد استعمله عليها، وكان رضي الله عنه هو الذي حال دون ردة ثقيف، حيث خطبهم قائلًا: كنتم آخر الناس إسلامًا فلا تكونوا أولهم ارتدادًا[2].

وأقر الصديق رضي الله عنه على صنعاء المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه وهو شقيق أم سلمة زوج النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ولاه - لما بعث العمال - على صنعاء، وهو الذي افتتح حصن النجير الذي تحصنت به قبيلة كندة في أيام الردة[3] بقيادة الأشعث بن قيس.

وأقر الصدّيق رضي الله عنه على حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه وهو ممن شهد العقبة وبدرًا وقد استعمله النبي ﷺ عليها فأقره أبو بكر، وولاه قتال أهل الردة من كندة، وهو الذي ظفر بالأشعث بن قيس فسيره إلى أبي بكر رضي الله عنه[4] وقد روي أن زيادًا خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة فأقام معه، حتى هاجر ﷺ إلى المدينة فهاجر معه، فكان يقال زيادٌ مهاجريٌّ أنصاريٌّ[5].

وأقر الصديق رضي الله عنه على اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان النبي ﷺ قد أمّره عليها، وهو الذي شهد المشاهد كلها، وشهد بدرًا وهو ابن إحدى وعشرين سنة. وروى الأحاديث عن النبي ﷺ وكان فيمن جمع القرآن على عهده ﷺ وجاء في وصفه أنه «إمام الفقهاء وكنز العلماء» شهد العقبة وبدرًا، وكان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياء وسخاء، وكان جميلًا وسيمًا سمحًا، لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥٠٠.
(٢) الإصابة لابن حجر ٢/ ٤٦٠.
(٣) الإصابة لابن حجر ٣/ ٤٦٥.
(٤) ابن حجر: الإصابة، ١/ ٥٥٨.
(٥) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٥٩٨.

وعلى زبيد ورمع أقر الصديق رضي الله عنه أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد استعمله على هذه البقاع من أعمال اليمن، وظل واليًا لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ثم قدم المدينة، وشهد فتوح الشام، وكان رضي الله عنه من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، حتى إن النبي ﷺ قال حين سمع قراءة أبي موسى: «**لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود عليه السلام**»[1] وكان عمر رضي الله عنه إذا رآه قال له: ذكرنا يا أبا موسى، وفي رواية: شوقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده[2].

وعلى منطقة الجَنَد في اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه[3].

وأقر الصديق رضي الله عنه على البحرين العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد ولاه أمرها[4] وبعثه إلى ملكها المنذر بن ساوى العبدي، وأسلم على يديه، وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين فبعث الصديق رضي الله عنه إليهم العلاء بن الحضرمي[5] فلما دنا من البحرين جاء ثُمامة بن أثّال في محفل كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي، فانضافوا إلى جيش العلاء، فأكرمهم ورحب بهم، وأحسن إليهم.

ولاة استعملهم الصدّيق رضي الله عنه ولم يولهم رسول الله ﷺ قبله، وإن كان قد كلفهم بعض العمل كبعثه جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي رعين. ومنهم:

---

(١) النسائي: السنن، ح (١٠١٨)، الدارمي: سنن الدارمي، ٣٣٧١.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ١٠٩. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٧.

(٣)، (٤) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٨٩.

(٥) وهذه عبارة ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/ ٣٢٧ وهي تفيد أن أبا بكر رضي الله عنه بعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين بعد ارتداد أهلها ولم يكن واليًا عليها من قبل النبي ﷺ، وإنما كان رسولًا لرسول الله ﷺ إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى، فلما ارتدوا بعد وفاة ملكهم بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إليهم لسابق معرفته بهم، وفي الكامل لابن الأثير، والإصابة لابن حجر ج٢/ ٤٩٨ ما يفيد أن العلاء بن الحضرمي كان من ولاة رسول ﷺ على البحرين فأقره الصديق، وعبارة البداية والنهاية أوضح وأظهر.

يعلى بن أمية بن أبي عبيد حليف قريش وهو يعلى ابن مُنية وهي أمه وهو صحابي رضي الله عنه، استعمله الصديق رضي الله عنه على خولان في الردة، وقد أسلم يوم فتح مكة وشهد موقعة حنين وحصار الطائف وغزوة تبوك وتوفي سنة بضع وأربعين رضي الله عنه[1].

جرير بن عبد الله البجلي استعمله الصديق على نجران[2] وكان إسلامه قبل وفاة النبي ﷺ بأكثر من ثمانين يومًا، كما نص عليه ابن حجر في **شرح البخاري** مستدلًا بحديث حجة الوداع إذ جاء فيه قول النبي ﷺ لجرير: «**استنصت الناس**» فوجهه النبي ﷺ إلى صنم ذي الخلصة فهدمه وقد قال فيه ﷺ حين أقبل وافدًا عليه: «**يطلع عليكم خير ذي يمن، كأن على وجهه مسحة ملك**» فطلع جرير، وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الكلاع وذي رعين باليمن[3].

وكان سرور النبي ﷺ بإسلامه عظيمًا، حتى إن جريرًا رضي الله عنه كان يقول: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني قط إلا ضحك وتبسم[4]، ولما تولى أبو بكر رضي الله عنه خلافة المسلمين، أمر جريرًا بالمسير إلى قومه بجيلة وأن يستنفر منهم من ثبت على الإسلام، ويقاتل بهم من ارتد عنه، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضبًا لصنم ذي الخلصة، فخرج جرير وفعل ما أمره فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فتتبعهم وقتلهم[5].

أمراء الجيوش:

واستعمل الصديق رضي الله عنه أبا عبيدة عامر بن الجراح أميرًا على ربُع الجيش الذاهب إلى الشام وروي عن أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث رجلًا يعلمنا.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢. ابن حجر: تقريب التهذيب، ترجمة (٧٨٣٩).

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، (٧١٩٩) ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، ح (١٧٩٨) الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٠.

(٤) ابن حجر: الإصابة، ١/ ٢٣٢. الاستيعاب، ١/ ٢٣٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٥٥.

فأخذ رسول الله ﷺ بيد أبي عبيدة بن الجراح، وقال: «**هذا أمين هذه الأمة**»[1].

واستعمل الصديق خالد بن الوليد رضي الله عنه على قيادة الجيوش في حروب الردة وفتوحات العراق والشام وكان أسلم سنة ثمانٍ على أرجح الروايات وشهد مع الرسول ﷺ فتح مكة وحنينًا والطائف، فأبلى فيها جميعًا بلاء حسنًا حتى استحق عاطر الثناء من سيد المرسلين فقال: «**خالد سيف من سيوف الله... نعم فتى العشيرة**»[2]. وقال أيضًا: «**لا تسبوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله سله الله على الكفار**»[3].

واستعمل يزيد بن أبي سفيان حين قفل من الحج سنة اثنتي عشرة فولاه قيادة جمهور الناس في فتح الشام ومعه سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه الصديق رضي الله عنه ماشيًا يوصيه ويودعه وجعل له إمارة دمشق وكان من فضلاء الصحابة وأفضل بني أبي سفيان وكان يقال له يزيد الخير، وقد أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينًا وكان النبي ﷺ قد استعمله على أخواله من بني فراس.

وكان الأمراء بالشام على الجُند أبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل ابن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وكل رجل من هؤلاء كان له قسم من الجند. وكان على الجميع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى آخر حياة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.

واستعمل الصديق عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو الذي أسلم قبل الفتح سنة ثمانٍ وكان النبي يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولاه غزوة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة في سرية أرسلها إلى الشام، ويروى في فضائله أن النبي ﷺ استدعاه وقال

(١) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، (٤١١٩)، صحيح مسلم: (٣٤١٩)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٩٤.

(٢) ابن حنبل: المسند، ح (١٦٣٨٢)، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣)، الباكستاني، عصر الصديق، ١٣٠.

(٣) ابن حنبل: المسند، ح (٧١٨٨)، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (١).

له: «**يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**» فقال: ما أسلمت رغبة في المال ولكن رغبة في الإسلام، فبعثه إلى أخوال أبيه العاص بن وائل يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد كما ولاه بعد ذلك على عُمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ﷺ[1].

وقد استعمل الصديق رضي الله عنه علاوة على من تقدم ذكرهم الكثير من الأمراء نذكر منهم عياض بن غنم وقد شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان من أشراف قومه وكان صالحًا سمحًا وكان يقال له زاد الراكب؛ لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده وإذا كان مسافرًا آثرهم بزاده.

وقد كتب الصديق إلى عياض وهو بين منطقة النباح والحجاز: أن سر حتى تأتي المصيّخ فابدؤوا بها ثم ادخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالدًا ولكنه بقي باليمامة مستمدًّا بخالد حتى وصل إليه وعاد معه إلى الحيرة ثم صاحبه في مسيره إلى الشام باليرموك. وقد ذكر الواقدي أنه افتتح عامة بلاد الجزيرة والرقة. وقال علي بن المديني: عياض بن غنم كان أحد الولاة باليرموك[2].

ومن أمراء الصدّيق رضي الله عنه شرحبيل ابن حسنة من مهاجرة الحبشة، وكان من علية أصحاب رسول الله ﷺ وغزا معه غزوات، وله رواية عن النبي ﷺ في **ابن ماجه** عن عبادة بن الصامت. وهو أحد الأمراء الذين عقد لهم خليفة رسول الله ﷺ إلى الشام، ولم يزل واليًا على بعض نواحيها إلى أن توفي في طاعون عمواس، وله سبع وستون سنة[3].

ومن أمراء الجيوش في عهد الصدّيق رضي الله عنه: عكرمة بن أبي جهل. وقد أسلم

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٣.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٢٨. الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٤.

(٣) الإصابة: ٣/ ٥٠، الاستيعاب: ٣/ ١٢٩. البداية والنهاية: ٧/ ٩٣. تاريخ الطبري: ٣ / ٣٤٦، ٣٧٧، ٣٨٠، ٤٣٨.

عام الفتح، واستعمله النبي ﷺ على صدقات هوازن عام وفاته[1]، وقد وجهه الصدّيق رضي الله عنه إلى قتال أهل الردة من الأزد فانهزموا، وأسر عكرمة منهم جماعة، فأرسلهم مع حذيفة بن اليمان إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد أن قتل طائفة منهم. وأقام عكرمة ثم عزله أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه حين أرسله إلى مسيلمة الكذاب تعجل إلى مناهضته قبل مجيء شُرحبيل مددًا له ليفوز بالظفر وحده، فانهزم وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه يلومه على تسرعه ويقول: لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء. وقد أبلى رضي الله عنه بعد ذلك خير البلاء في عُمان واليمن وحضرموت.

ومن أشهر قادة الجيوش في العراق في عهد خليفة رسول الله ﷺ المثنى بن حارثة الشيباني، بعثه أبو بكر رضي الله عنه في صدر خلافته إلى العراق قبل مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إليها، وكان المثنى شجاعًا شهمًا بطلًا ميمون النقيبة حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب الردة بلاء لم يبلغه أحد. وحينما استبطأ المثنى أخبار الصدّيق رضي الله عنه سار إلى المدينة فوجده في آخر مرض الموت، وقد عهد إلى عمر رضي الله عنه، فلما رأى الصدّيق رضي الله عنه المثنى قال لعمر رضي الله عنه: إذا أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى[2]. فكان له المواقع المشهورة والأيام المشهودة في جهاد الفرس المجوس.

ومن أمراء جيوش الفتح:

حذيفة بن محصن، وقد استعمله أبو بكر رضي الله عنه على عُمان بعد عزل عكرمة، فلم يزل عليها حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه[3].

عرفجة بن هرثمة، وقد أمد به الصديق رضي الله عنه جيفر بن الجلندى ملك عُمان، وذلك حين ارتد أهلها، فولّى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم، وغنموا

(١) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٤٩٦. الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣٦٠. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٨٩. باسلامة: خلافة أبي بكر، ٢١٧.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٤٤. الباكستاني، عصر الصديق، ١٣٥.

أموالهم وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع عرفجة[1].

وقد استعمل الصدّيق رضي الله عنه سويد بن مقرّن أميرًا على أحد جيوش الردة، وأمره بتهامة اليمن، وكان رضي الله عنه سابع سبعة أخوة نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[2].

وممن استعملهم الصديق رضي الله عنه عبد الله بن ثور، وكان أميرًا في الردة، وذكر أنه توجه مع المهاجر بن أبي أمية إلى جُرش أميرًا عليها. كما استعمل يعلى بن أمية على بلاد خولان في الردة، وقد أسلم يوم الفتح، وشهد حنينًا والطائف وتبوك، كما سبقت الإشارة إلى ذلك[3].

فكان خليفة رسول الله ﷺ يستعمل الولاة في البلدان المختلفة، ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول ﷺ للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، ولهذا أقر جميع عمال الرسول ﷺ الذين توفي وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحدًا منهم إلا ليعيّنه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه، كما حدث لعمرو بن العاص[4] وكانت مسؤوليات الولاة في عهد خليفة رسول الله ﷺ امتدادًا لصلاحياتهم في عصر الرسول ﷺ.

أما أهم المعالم التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام، والتي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والمسؤوليات التي يقوم عليها الولاة فتتمثل في الآتي:

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣١٥. عصر الصديق، ١٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣٥٢.

(٤) عبد العزيز إبراهيم العمري: الولاية على البلدان، ١/ ٥٥.

- أن الخليفة نائب عن الأمة ويقوم بخدمتها، وهو مقيد بأحكام الشرع ليس له أن يتجاوزها تحت أي ظرف كان.

- أن التشريع بكل أصنافه مصدره كتاب الله عز وجل، وسنة النبي ﷺ، ولهذا قال خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. ليسقط بذلك كل الشرائع الطاغوتية التي تحول بين الأمة وبين عقيدتها.

- التزام الشورى في كل جوانب الإدارة والقيادة، فضلًا عن الشفافية والوضوح في تنفيذ جميع القرارات، ولهذا فإن خليفة رسول الله ﷺ أعلن عن سياسته أمام جماهير المؤمنين وفي المسجد الجامع، وأكد التزامه بالشورى وعمله بها، ولذلك كان يوصي عماله وقادته في الولايات بضرورة العمل بالشورى وتفعيلها في حياة المؤمنين؛ اتباعًا للسنة ونهجًا للقيادة والسياسة.

وكيف لا يتقيد ويتخلق خليفة رسول الله ﷺ في أمر الشورى وهو معني بما أكد عليه كتاب الله تعالى عن الشورى قبل غيره من المؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1] قال: المعني فيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[2].

وتجلت الشورى في إدارة الخلافة حينما طلب خالد بن سعيد الأمر في وسائل التعامل مع الروم، ولما كان ذلك الأمر بمنتهى الخطورة لما يترتب عليه من الاشتباك مع أعتى قوة على وجه الأرض آنذاك لم يرد أبو بكر جوابًا حتى دعا إليه عددًا من المهاجرين والأنصار ليشاورهم في الأمر. فقال أبو بكر رضي الله عنه لمستشاريه: كان رسول الله ﷺ قد عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه. والعرب بنو أم وأب، وقد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة رضي الله عنه، ح (٤٤٣٦) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أردت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدًا، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عن الدين مستوجبًا على الله عز وجل ثواب المجاهدين. ثم سألهم المشورة، فقال عمر رضي الله عنه: والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك، حتى ذكرته أنت الآن! فقد أصاب الله بك سبل الرشاد. سرِّبْ إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله عز وجل ناصر دينه، ومقر الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله ﷺ. فسر أبو بكر رضي الله عنه لقول عمر رضي الله عنه، ثم تكلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال رأيًا آخر. قال: يا خليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر: حد حديد، وركن شديد! والله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم إقحامًا، ولكن تبعث الخيل فتغير في أداني أرضهم، ثم تبعثها فتغير، فترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مرارًا أضروا بعدوهم، وغنموا من أدنى أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن وإلى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعًا. فإن بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك. فوجم الناس، ودهتهم الحيرة برهة: أي الرأيين أصوب؟ أرأي الصديق والفاروق وكان الرسول ﷺ لا يخالفهم إذا اتفقا على رأي أم رأي عبد الرحمن بن عوف أحذق تجار العرب، وأقدرهم على الكسب؟! وطال صمت الناس، فسألهم أبو بكر رضي الله عنه: ماذا ترون رحمكم الله؟!

فقال ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه: أرى أنك لأهل هذا الدين شفيق عليهم، فإن رأيت رأيًا فيه رشد وصلاح وخير، فاعزم على إمضائه، فإنك غير ضنين ولا متهم. فقال الناس: يا خليفة رسول الله، ما رأيت من رأي فأمضه، فإنا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتهم رأيك، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك. وخالد بن سعيد بن العاص ما زال ينتظر رد الخليفة: أيقدم أم يحجم؟! ولم يشأ الصدّيق أن يبرم أمرًا، أو يأذن للجيش الإسلامي بالتقدم، حتى يستشير أهل مكة، فقد رأى أن يوسع قاعدة الشورى، فيدخل فيها إلى جوار المهاجرين والأنصار من أهل المدينة آخرين من المسلمين ذوي الرأي.. فلماذا يخص أهل

المدينة وحدهم بالشورى، وما بال أهل مكة، وأهل القرى الآخرين[1]؟!

ولما أذاع الصدّيق رضي الله عنه أنه سيرسل إلى أهل مكة ليشيروا عليه، خالفه عمر، وعزم على أن السابقين هم وحدهم، دون غيرهم، أهل الشورى! فعلم عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو بما كان من عمر، فأتيا المدينة، فقال سهيل لعمر رضي الله عنه: ألسنا إخوانكم في الإسلام، وبني أبيكم في النسب؟! أفإنكم إن الله قدم لكم في هذا الأمر قدمًا صالحًا قاطعو أرحامنا، ومستهينون بحقنا؟! فقال عمر رضي الله عنه: إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام، وتحريًا للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين. وكل هذا يؤكد على عمق فاعلية الشورى في واقع حياة المسلمين، فها هم ما بين معارض وموافق ومتسائل ومبد لرأيه أمام قادة الأمة دون أي تردد أو توجس، مما يفسر لنا بعض أسرار النجاح الهائل الذي حققه الراشدون للأمة، دون أن يشعر أحد منهم بحرج أو تهميش في الحياة العملية والسياسة التطبيقية.

فكان الصديق رضي الله عنه يسوي بين المسلمين في كل أمر: في العطاء والمشورة، أما الفاروق فكان يرى تقديم السابقين، ويقول لمن يعاتبونه في ذلك: لا تلومنّ إلا أرواحكم التي قد تأخرت بكم! فلما اتفق الصديق رضي الله عنه والناس على مناجزة الروم، قال لهم: فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيتكم وسيرتكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2].

وأرسل الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن سعيد بن العاص الذي كان مرابطًا على حدود الشام الرد الذي طال انتظاره[3] بعد أن أنجز الرأي القاطع المجمع عليه بالشورى وتبادل الرأي والنظر في العواقب على وجوب إزاحة العوائق التي تضعها الدكتاتورية الصليبية الرومانية أمام نشر الإسلام في العالمين فكتب له: أقدم ولا تحجم، واستنصر بالله. فاقتحم خالد بن

(١) الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٣٤. (٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٣) الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٣٥.

سعيد صفوف الروم، فتفرقوا عنه هاربين وكتب إلى أبي بكر بالنصر، فرد عليه: تقدم، ولا تقتحم حتى لا تؤتى من خلفك! فتقدم حتى بلغ القسطل في طريق البحر الميت، فلقي الروم على شاطئه فهزمهم مرة أخرى. فتفرق الروم يتميزون من الغيظ، يجيبون لما عاينوه وعانوه من قوة العرب المسلمين.. ! وأعدوا جيشًا ضخمًا. فأرسل إلى الخليفة يبشره بهزيمة الروم مرة أخرى وينبئه بكثافة ما حشدوه، ويطلب منه مددًا.. وأبو بكر رضي الله عنه ما زال يفكر فيمن يجعلهم أمراء على الجيوش التي يعدها لفتح الشام، فهذه مواقف خطيرة أسست لدولة الإسلام الكبرى لم يقدم الصديق رضي الله عنه على تنفيذ مراحلها إلا بعد مشاورات مكثفة مع الأنصار والمهاجرين ووجوه الأمة ممن حوله، واستمر خليفة رسول الله ﷺ يحث جنده وقادته على التخلق بهذا الخلق الكريم وتفعيله في الأمة في عامة المواقف التي تعترض طريق نهضتها وبنائها.

ومن صور الشورى في عصر خليفة رسول الله ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو يؤكد أهمية الشورى في خلافة الصديق رضي الله عنه فقال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور في أمر الحرب فعليك به[1]. أي التزم الشورى قبل الإقدام على أي أمر، وهذا ما كان يعمل به الولاة وقادة الجند في عصر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه حتى أصبح ذلك خُلقًا ثابتًا جنت الأمة ثماره الطيبة المباركة فتوحًا وانتصارات وعدلًا ورفاهًا وأمنًا وسلامًا وقبولًا ومحبة في كل أرض تحل بها جيوشها.

ولما استمده خالد رضي الله عنه ببعض الجند أرسل إليه خليفة رسول الله القعقاع بن عمرو رضي الله عنه فسأله بعض أهل الشورى: يا خليفة رسول الله، أتمد رجلًا ارْفضّ عنه جنوده برجل واحد؟! قال: لا يُهزم جيش فيه مثل هذا. ثم كتب إلى خالد مع القعقاع: استنفر من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ ولا يقاتلنّ معكم أحد ارتد

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٦٤.

حتى أرى رأيي[1].

ولم يكن خليفة رسول الله متبعًا متجمد الاتباع، ولكنه كان مجددًا، ينظر إلى الأحداث المتجددة بروح الواقع الذي يعيشه ويقيس على ما مر به من تجارب مماثلة وكيف كان قائده رسول الله ﷺ يعالج المعضلات التي تمر بالأمة، فكان يحسن التفرقة بين التجديد والابتداع فأجاب على ما طرحته الحياة عليه من أسئلة، وما استحدثه العصر من أقضية، بما كان الرسول ﷺ حريًا أن يأخذ به ويعمله، فيستنبط الوجه الجديد مما لم يجد له حكمًا في الكتاب أو السنة بابتكار المجتهد الفطن النبيه: فهو أحيانًا يشحذ عقول الصحابة ليجمعوا على حكم فيقضي به، أو يستنبط قضاء يتحرى فيه هدف الشريعة: وهو تحقيق المصلحة وتحصيلها.

وأحيانًا يقر اجتهاد أحد الصحابة، ولا سيما الفاروق عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكانا أكثر الصحابة اجتهادًا. وقد اعتاد خليفة رسول الله ﷺ كلما اجتهد برأيه أن يقول: هذا رأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، وأستغفر الله[2].

ليس للخليفة حصانة خاصة به إذا خالف الكتاب والسنة، وهذا لم يحصل إلا أن الشعور بالمسؤولية أمام الله وأمام المسلمين كان هو الهم الذي ينوء تحته قادة الأمة في عصر الخلافة.

فقد كان من حق الأمة مراقبة تنفيذ القرارات ومن ثَمَّ لكل مسلم حق النقد المشروع والاقتراح والسؤال عن أي ظاهرة يراها تثير اهتمامه ولا يجد لها تفسيرًا في دستور الكتاب والسنة. وهذا ما أقره الخليفة في أول خطبة ألقاها على أبناء أمته قائلًا: «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة» وهو في هذا يشترط على نفسه أن يكون صادقًا مع ربه ومع أمته ومع نفسه، ويشترط على الأمة أن تكون صادقة مع ربها ومع نفسها

(١) الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٢٦.

(٢) ينظر: الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ٢٠٩.

ومع خليفة المسلمين فلا تغشه ولا يغشها ولا تنافقه ولا ترائيه، بل تعينه إذا أحسن وتقومه إذا أساء بالنقد والتوجيه والإرشاد[1]، وهذا ما لم تحتجه الأمة مع خليفة رسول الله ﷺ؛ لأنه كان مقومًا راشدًا قويًا أمينًا، بل كان أمة وحده رضي الله عنه ومن أهم أعماله التي كان يقوم بها:

١- **إمامة المسلمين في الصلاة والقيام على متابعة شؤون الشعائر الإسلامية كما جاء بها رسول الله ﷺ.**

٢- **جمع القرآن الكريم:** إذ تعد هذه الفضيلة من أهم الأعمال الجليلة التي قام بها الصديق رضي الله عنه، والتي كان لها أثرها البعيد في حفظ كيان الأمة المسلمة على مر القرون، وقد قام رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم حرصًا على ألا يتطرق إليه أي تبديل أو تغيير، أو تختلف الأمة فيه كما اختلف اليهود والنصارى في كتبهم.

وذلك أن رسول الله ﷺ حين انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يكن قد جمع القرآن في مصحف واحد، وإنما كان القرآن آنذاك متفرقًا في صدور الرجال. وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لخاف وفي خزف وغير ذلك.
وعن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة، فقال: يا زيد بن ثابت أنت غلام شاب عاقل، لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن، فاجمعه[2]. وقد قام زيد رضي الله عنه ومن معه بذلك خير قيام وأتمه وأكمله وقدم بذلك خدمة للأمة ما زالت تستقي الأجيال من فضائلها علوم القرآن كما أنزلت على رسول الله ﷺ، لا يشك في ذلك إلا عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

---

(١) ينظر: جمال ووفاء: استخلاف أبي بكر الصديق، ٢٠٦.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٥٨.

٣- قيادة الجهاد لحماية الأمة ونشر عقيدتها في العالمين وكان يقوم بذلك أمراء الأجناد في بلاد الفتح وبتوجيهات وتوصيات خليفة رسول الله ﷺ، فكانوا يتولون أموره وما فيه من مهام مختلفة بأنفسهم، أو ينيبون غيرهم في بعض المهام كتقسيم الغنائم، أو المحافظة على الأسرى أو غير ذلك.

٤- إدارة شئون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم وبإقرار من الخليفة رضي الله عنه، أو تعيين منه عن طريق هؤلاء العمال[١].

٥- أخذ البيعة للخليفة، فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها، بأخذ البيعة لأبي بكر رضي الله عنه من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها.

٦- كانت هناك أمور مالية توكل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، أو أخذ الجزية من غير المسلمين وصرفها في محلها الشرعي، وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول ﷺ.

٧- تجديد العهود القائمة من أيام الرسول ﷺ، حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرسول ﷺ بناء على طلب نصارى نجران[٢].

٨- إقامة الحدود وتأمين البلاد وحمايتها وإفاضة العدل على الجميع؛ ليتفرغ الناس لأعمالهم وعباداتهم وطلب العلم أو الجهاد في سبيل الله، والإسهام في نشر العلم، والدعوة إلى الإسلام، وكل ذلك كان يتم في جو من التوافق والتشاور وروح الاحتساب والتفاهم والحب والتقدير المتبادل، دون الشعور بالتسلط على الناس أو تسلط الخلافة على الولاة، بل كان الكل يتسلح بروح التنافس والشعور بالمسؤولية والرغبة في الأجر والمثوبة[٣].

(١) المصدر السابق، ١/ ٥٩. الصلابي: أبو بكر الصديق، ١٦٤.
(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٥.
(٣) ينظر: الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٦٥.

وبذلك تتجلى أسس التوجهات الإدارية في خلافة الصديق رضي الله عنه من خلال التمسك بمنهاج النبوة وتأصيل المحاور التي تنطلق منها قيادة الأمة في كيانها السياسي وهويتها الإسلامية ومسارها الإداري الذي اتضح فيما يلي:

أولًا: تعيين أمراء الأمصار وقادة الجيوش وما يتبع أولئك من أركان الإدارة لكل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية.

ثانيًا: إعلان السياسة المالية على أسس من المساواة المطلقة بين جميع أبناء الدولة السابقين والمتأخرين والسادة والرقيق والرجال والنساء.

ثالثًا: اكتفاء الخليفة بما خصص له وبما يكفي أسرته كأوسط ما يعيش أهل الإسلام مقابل التفرغ التام لخدمة الأمة بأجمعها وفي كل شؤونها، فبقي خليفة رسول الله ﷺ على حاله قبل الخلافة، دون أن يغير من أخلاقه، أو عاداته، أو مظهره، أو مركبه، أو مسكنه، فلم يتخذ قصرًا، ولا مركبًا خاصًّا به، ولا حراسة، ولا حجابًا، بعكس ما يفعله عبيد الدنيا من نهب حقوق الناس بما يفرضونه عليهم من المكوس وألوان الضرائب وتخصيص ريع ذلك لخدماتهم ومفاسدهم وبما يشغلهم من اللهو والبطالة ويعيقهم عن أداء الواجبات، بدلًا من تفقد أحوال الناس والسهر على مصالحهم وخدمة دينهم وحماية عقيدتهم.

ولعل في هذه السياسة الراشدة التي قادها خليفة رسول الله الحجة الظاهرة على كل من يتولى شأنًا من شؤون المسلمين، من الحكام وزعماء التجمعات والأحزاب والنقابات والجمعيات الخيرية بما يلي ذلك قادة الحركات الإسلامية والعلماء وأصحاب الاتجاهات الرسمية المتمثلة في أصحاب الفتاوى والذين يجعلون لأنفسهم الوصاية على الناس.

فإذا كان الصديق رضي الله عنه امتثل هذه السياسة وأثبت نجاحها في قهر الرفض والردة وزلزلة الطغيان والهيمنة والظلم؛ ونشر العدل والأمن ورسم هذه السياسة الراشدة في كل زوايا الدولة على الوجه الذي أقره الشرع ونفذه خليفة رسول الله ﷺ على نفسه وأهله، وعلى أمراء الناس ووجهاء الأمة وقادة الجيوش والعلماء وغيرهم من عامة أبناء المجتمع

الإسلامي، فأزالوا بذلك كل العوائق التي تحول بين الناس وبين نيل حقوقهم، وأغلقوا الأبواب أمام كل منتفع وجشع يسعى بأنانيته إلى الهيمنة والكسب الرخيص على حساب الأمة ودماء أبنائها.

إن الأمة في هذا العصر بأمس الحاجة إلى قائد يتبنى هذه السياسة ويقر معانيها في نفوس الناس وفي المؤسسات وفي الدوائر الرسمية والشعبية؛ حتى يصبح ذلك خُلقًا يتخلق به المسلمون في كل شؤون حياتهم، ولعل تبني هذه المسألة الأساسية في سُلَّمِ الإصلاح المعاصر يظهر أسباب الفشل العام الذي يسود التوجهات التي تزعم الإصلاح وتدعو إلى التجديد بما في ذلك الحركات الإسلامية وزعماؤها التاريخيون الذين يتمسكون بما يتمسك به العلمانيون من المواقع والمكاسب حذو القذة بالقذة إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم، مما يجعل من سياسة الصدّيق رضي الله عنه ميزانًا يقاس عليه أدعياء الإصلاح الذين أمضوا عشرات السنين وهم يدورون حول مصالحهم وما يحقق مكاسبهم الرخيصة على حساب الدين والأمة.

ولا أدري بأي وجه يقوم بعض زعماء الحركات الإسلامية في هذا العصر بسلب حقوق العامة من أبناء دعوتهم وسن القوانين الظالمة التي تسحق الأنصار وتُطغي الأتباع وبما لا يقبل تأويلًا ولا اعتذارًا؛ لأن ذلك شُرّع بعد ترصد وإصرار ودراسة وتحايل يطمس وجوه السلب والارتزاق اللا مشروع باسم القيادة والمصالح العامة وما إلى ذلك من الزيف والفِرى.

ولعل مما يثير العجب والسخرية في آن واحد، هو حديث كثير من المحتالين عن منهج الإصلاح الإسلامي، وهذه سوآتهم بادية، وعوراتهم مكشوفة، وعجزهم بيّن، وعيوبهم لا تختلف عن عيوب الطغاة والجبابرة إلا بالمسميات، ولا يمنعهم من تنفيذ مناهج الظلمة والمتسلطين سوى قصور اليد، وعدم مواتاة الظروف لتنفيذ ما في النفوس من نزعات جاهلية لم يغير منها الانتماء إلى الحركات الإسلامية شيئًا، بل سُخرت كثير من الشعارات لتخدم أولئك الأدعياء الذين يزعمون الإصلاح والتغيير وهم يدينون بمناهج من شرَّدهم وأقصاهم

ونكبهم، ولم يتغير من ذلك سوى المسميات، فالحزبية قائمة والإقليمية هي الدعوة التي ترفع أيام ما يسمى بالانتخابات، وتشكيل القيادات، وما يتبع ذلك من التفاوض على تقاسم المسؤوليات وحفظ المنافع بما لا يدع مجالًا للشك في أن هذه النفوس التي لم تغادرها أهواؤها قيد أنملة؛ لو وليت أمور الأمة لما زادتها إلا خبَالًا، والطامة الكبرى أن ذلك سيشرع له زورًا وبهتانًا باسم الدين ومصلحة الأمة كما هو حاصل بين الغوغاء التي تزعم قيادة الحركات الإسلامية المعاصرة وهي لا تميز بين السنة والردة ولا بين الاتباع والابتداع، بل أصبحت بركوعها لأعداء الكتاب والسنة في وادٍ والعقيدة في وادٍ آخر!!

وبالطبع لا يقاس على هذه المعاني من يعلن بملء فيه أنه علماني، وأنه لا يرتضي شرع الله ورسوله ﷺ منهجًا للإصلاح، وهو مقلد لسنن الغرب العلماني أو الصليبي في رذائل الأخلاق من الإباحية والاختلاط وإحلال الخمور والسفور والقمار والربا ونهب الثروات وركاز الأرض وما إلى ذلك، في ذات الوقت الذي يحرم على الأمة حرية طلب العلم وتشجيع الصناعة والتجارة، وما يؤدي إلى رفاهية المجتمع وتأسيس بنيانه على الهدى والعلم وتحمل المسؤولية وأداء الأمانة، ومن هنا فإنه بإمكان المتابع أن يعلم القيود التي ما زالت تكبل المجتمعات الإسلامية، وتمنعها عن الحركة والتقدم والوحدة والرقي، فيعلم الناس حينها الفارق بين سياسة خليفة رسول الله ﷺ وسياسات المبطلين الذين أعرضوا عن سنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

ومن هذه المقارنات يظهر التفاوت الهائل بين من يقلد الغرب بسياساته المادية مجردة عن قوانينه الصارمة، بما يجلبه ذلك على الأمة من الإرهاق والعنت وضيق الحياة وموت الضمائر وانعدام القانون الرادع الذي يخضع له الجميع في الغرب، وبين من يؤثر سياسة رسول الله ﷺ ومناهج خلفائه الراشدين؛ وما تجنيه الأمة من ثمار عدل الاحتكام إلى الشرع ومساواة الناس وزرع الثقة في النفوس وما ينتج عن ذلك من نشر السلام والاستقرار والانطلاق نحو آفاق المستقبل المشرق.

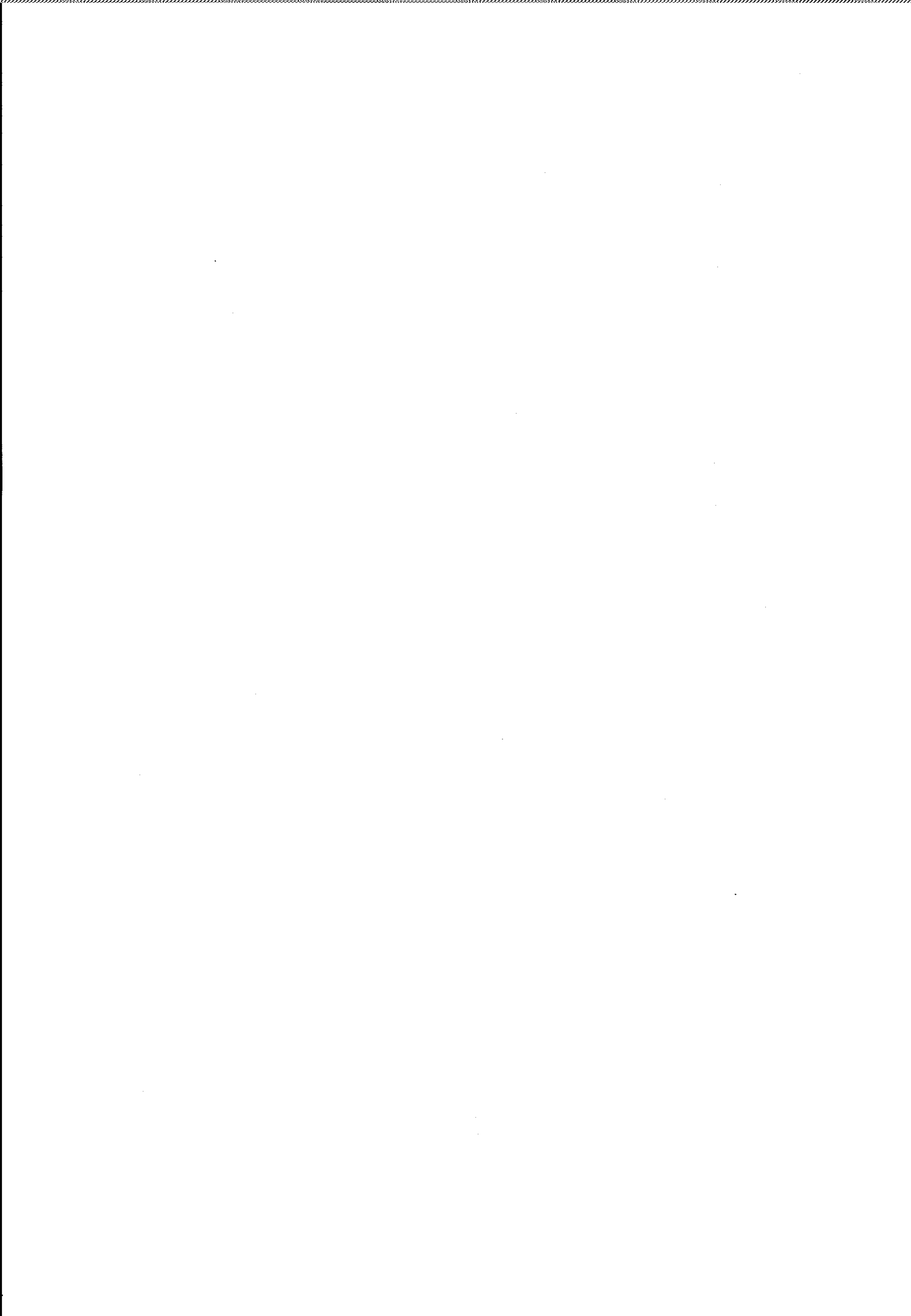
فكان من الطبيعي أن يحرص خليفة رسول الله ﷺ على الأمراء والقادة الذين ولاهم النّبي ﷺ على الأمصار، ثقة منه أنهم خير الأمراء، وأن إقرارهم في المكان الذي أقرهم فيه النبي ﷺ إنما هو استمرار لإدارة النبي ﷺ وسياسته، فبلغ من حرصه رضي الله عنه الاحتفاظ بمن أمرهم الرسول ﷺ؛ إذ كان يرجو بقاءهم في مهامهم، فلما بلغه أن خالدًا وأبان وعمرًا أبناء سعيد بن العاص رجعوا من عمالتهم حين توفي رسول الله ﷺ، التقاهم الصديق رضي الله عنه، وقال لهم مستفسرًا: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدًا. ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعًا هناك[1] بعد أن لحقوا بكتائب المجاهدين ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. مؤثرين الجهاد على الديار والأولاد والإمارة التي يصطرع عليها الناس، ولا سيما في هذا العصر، فيداهنون على حساب الدين والأمانة، وينافقون للجبابرة والظلمة، ويكتمون الحق في سبيل الوصول إلى أي إمارة حتى قال قائلهم: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة. قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[3].

* * *

(1) الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٥.

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.



المبحث الرابع

في الشؤون المالية

إنفاق أبي بكر رضي الله عنه ماله كله في سبيل الله:

لم يعرف عن أحد من الصحابة أو غيرهم أنه أنفق ماله كله ولم يبق لنفسه ولا لعياله شيئًا سوى خليفة رسول الله رضي الله عنه، بل إن بعض الصحابة حاول أن ينفق الكثير من ماله أو يوصي بأكثر ماله، إلا أن رسول الله ﷺ لم يقرهم على ذلك، بينما كان يقر خليفته رضي الله عنه على كل ما ينفقه، وقد يكون ذلك إقرارًا للحال التي كان عليها أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه مؤهل لتحمل تبعات كل ذلك وأن أهله أيضًا يتحملون تبعات ذلك، وهذا ما لم يتوصل إليه كثير من الناس وإن ارتقوا في أبواب الإنفاق والبذل إلى مراتب عالية سامية. قال ابن عمر رضي الله عنهما: أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم، فخرج إلى المدينة من مكة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف، كلّ ذلك ينفق في الرّقاب، والعون على الإسلام[1].

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله!! قلت: لا أسابقك

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٠/ ٦٨. البلاذري، الشيخان: ٣٣.

إلى شيء أبدًا. وروي لما حض رسول الله ﷺ على الصدقات فجاؤوا بصدقات كثيرة، فكان أولَ من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء بماله كله «أربعة آلاف درهم» فقال رسول الله ﷺ: «**هل أبقيت لأهلك شيئًا؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[1].

وهذه حال من السمو الروحي والرقي الإيماني والكرم المطلق لم تشتهر وتعرف إلا عن خليفة رسول الله ﷺ وما سطره من مواقف تفرد بها بين المؤمنين، ولا شك أنها مزية باقية إلى الأبد تدعو المؤمنين إلى الاهتداء والاقتداء بما فعله أبو بكر رضي الله عنه، وإلى تقديم المال لنصرة الكتاب والسنة، ولا سيما في هذا العصر الذي أقصيت فيه السنة، وأبعدت عن واقع الناس، فعندما رأى ذلك غيارى المؤمنين وأبطالهم مدوا أجسادهم وقلوبهم لتكون جسورًا لعودة السنة إلى قيادة الحياة؛ فصبروا على الأذى وقتلوا وسجنوا وشردوا بعد أن أدوا ما في أعناقهم تجاه سنة نبيهم ﷺ، فبقيت التبعات على من يستطيع أن يمد هذه الجسور بقوة البقاء والديمومة، ولا أقدر على ذلك من أهل الأموال، ولكن ببالغ الأسف فإن المتابع لوجوه دعم سنة رسول الله ﷺ لا يمكنه إلا أن ينعى على أهل السنة غياب جانب الجهاد بالمال على الوجه الصحيح إلا عند من رحمه الله تعالى منهم مع تكدس الأموال عند الكثيرين على نحو لم يحصل في تاريخ الأمة من قبل، أما ما يعطى للجمعيات وما هو على شاكلتها فهذا يدخل في باب النظام الرسمي الذي لم يأت على الأمة بغير الإعلام والبهارج وما يدخل في دائرة إرضاء الآخرين، ولا سيما أعداء السنة الذين كثروا وطغوا في هذا العصر حتى أصبحت الأموال تقدم إليهم قربانًا من الكثيرين الذين يزعمون أنهم من أهل السنة، فتذهب تلك الأموال لتكون حسرة على أهلها الذين لم يضعوها في مواضعها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

(١) البخاري: بشرح فتح الباري (٤٤١٩)، ومسلم: صحيح مسلم، (٢٢٨٦ - ٢٩٨٠)، ابن حنبل: المسند، ٢/ ٩، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧، البيهقي: دلائل النبوة، ٥/ ٢٣٣، السنن، ٢/ ٤٥١، الطبراني: المعجم الكبير، ١٢/ ٤٥٧، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٤٣٦.

إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[(١)]. فما فائدة مال من يزعم الإيمان إذا كان ذلك المال حربًا على السنة وأهلها الذين يعانون تحت وطأة التحالفات الماكرة بين الكفر وأعداء السنة النبوية، مما ينذر بعقاب الحرمان من كل خير، حيث إن الله تعالى أعطى وتفضل وزاد في العطاء، واستخلف على ما أعطى فلم تؤدَّ الأمانات ولم تعطَ الحقوق، بل وجهت أموال عامة المسلمين على غير وجهها الصحيح وسخرت لحرب الله ورسوله ﷺ في كثير من المواقف، مما يدعو إلى تنبيه كل صاحب مال من أهل السنة أن ينظر ماذا قدم من ماله لنصرة السنة النبوية، وأن يعلم أن إمام السنة وقائدها أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله كله في سبيل إعزازها وسيادتها، فكان من ثمار ذلك أن أعزه الله وأعز أمته وأخلف عليهم أضعاف أضعاف ما أنفقوا، ونحن في هذا العصر الذي تُحاصر فيه السنة من أعدائها الذين يبذلون لحصارها واستباحة أهلها كل ما يملكون، وهم لا يرجون من الله ما يرجوه أهل السنة، لا يسعنا إلا أن نذكر وندعو بإلحاح إلى إحياء منهج الصدّيق في هذا الباب لإغاثة الأمة وإمداد حماة السنة المدافعين عنها في كل مصر وفي كل عصر، وتفريغ أنصارها من هموم الرزق والعمل، وحثهم على الثبات والصبر في مواطن المحن، وعلى طلب العلم لحراسة السنة وحماية أهلها ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[(٢)]، ووجوه نصرة السنة المطهرة كثيرة سلكها خليفة رسول الله ﷺ بقوة واقتدار؛ مبتغيًا في كل ذلك وجه الله تعالى. ومن أهم تلك الوجوه:

إعتاق المستضعفين:

النفوس السامية لا تقبل الظلم ولا ترضى أن يطال الحيف أحدًا من الناس وهذا هو حال الصدّيق في كل أطوار حياته رضي الله عنه لا يقبل الظلم ولا يقف مكتوفًا أمامه كما يفعل ذلك الكثيرون من المهزومين الذين يزعمون أنهم من أهل السنة والجماعة عندما يرون أبناء أهل القرآن والسنة ينكل بهم بكل أشكال التنكيل وتراهم يصفقون للقاتل الذي لا يميز

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

بين من يدعو له وبين من يدعو عليه حال تمكنه، ولكن الغوغاء لا يفقهون[1] أولئك الذين

(١) ولعل الذي سمع ليلة ١٣/ ٨/ ٢٠٠٦ في برنامج الشريعة والحياة، على قناة الجزيرة نائب رئيس ما يسمى باتحاد علماء المسلمين العالمي ومحاولاته المستميتة لتزييف الحقائق القائمة على الأرض وتمجيده لأعداء السنة من الرافضة، وتعاميه عن كل ما يصدر من صيحات استغاثة من أهل السنة في جنوب لبنان وجنوب العراق وما يعانونه على أيدي الرافضة الحاقدين وما يعانيه أهل السنة من ظلمهم وغدرهم وبهتانهم، وتغافله التام عما أوصى به علماء السلف من أمثال البخاري والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم من الحذر من غدر الرافضة، وتغافله عن كل ما قاموا به سابقًا وحاضرًا من ولاء وتحالف مع الصليب وغيره من الغزاة، يتضح له أن عامة الشر الذي يعانيه أهل السنة من بغي وظلم وخسة ما يقوم به الرافضة إنما يتحمل الكثير من أوزاره ما يسمى ظلمًا علماء السنة الذين يفتقدون إلى موالاة السنة النبوية وأهلها، والذي يصغي إلى كثير منهم يجزم أنهم لم يسمعوا بشيء اسمه الغيرة على السنة وأهلها التي كان عليها أبو بكر وعمر والصحابة رضي الله عنهم وأنهم يعلمون أن ما يقولونه عن التقريب بين الردة والسنة النبوية إنما هو من الخداع والتخدير والغش لأهل السنة. حيث كان يهرف بالباطل، والواقع يؤكد أنه ينطق بالزيف حيث تزامن حديثه مع نشر هذا الخبر المفجع في الفضائيات والجرائد. جريدة الشرق القطرية: ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ ص ١٣. ولعل هذا الخبر وغيره يؤكد عمق المأساة التي يعاني منها أهل السنة وترد على كل زيف يروج له المبطلون الغششة والخبر هو: مذبحة في حي للعرب السنة (العكيدات) ترتكبها ميلشيات شيعية مسلحة بغطاء أمني حكومي، بغداد - قدس برس: ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦م. هاجمت ميليشيات شيعية مسلحة تنتمي إلى «جيش المهدي» الجناح المسلح للمتعصب مقتدى الصدر حيًّا سنيًّا (الطوبجي الذي يسكن فيه أبناء قبيلة العكيدات السنية) في العاصمة بغداد أمس، وقامت بقتل وحرق وسلب منازل العديد من أبناء المنطقة، في وقت قال فيه مصدر حكومي: إن الأهالي هربوا من ديارهم ووصلوا إليه حفاة من هول ما فعل بهم الشيعة. وقال مراسل لوكالة «قدس برس» في بغداد: إن ميليشيات شيعية مسلحة وبأعداد كبيرة هاجمت منطقة الطوبجي الواقعة على الجانب الغربي لنهر دجلة وسط بغداد، مستخدمة سيارات تابعة لقوات الشرطة وتحديدًا لمركز شرطة الحرية المجاور، وكانت ترتدي زي تلك القوات، موضحًا نقلًا عن شهود عيان من أهالي المنطقة أن هذه العناصر دخلت إلى المنطقة التي تخضع لإجراءات أمنية مشددة من قبل قوات الحرس الوطني والقوات التابعة لوزارة الداخلية الشيعية، حيث سمحت لهم تلك القوات بالدخول إلى المنطقة، ومعهم أسلحة مختلفة من بينها قاذفات من نوع «آر بي جي ٧»، حيث قامت تلك العناصر بالهجوم على جامع الزيدان ومحاصرته، كما قامت تلك العناصر بالدخول إلى منطقة =

أسهموا في جلب عامة الشر الذي يعاني منه أهل السنة في كل محنة بتخاذلهم وجهلهم ونفاق البعض منهم، ولا سيما الذين ينتمون إلى مواقع رسمية يجنون من ورائها مكاسب من السحت؛ ليكونوا شهود زور، ودعاة زيف وباطل، على حساب الدين وروابط الإيمان، ألا فليحذر كل مسلم يجري في دمه حب السنة النبوية من هذا الصنف الذي يساوي بين الفاروق وقاتليه وبين السنة والردة، ولينظر إلى واقع الأحداث وما يجري لأهل السنة في هذه الأيام وليوازن بين مواقف علمائهم وحكامهم وبين مواقف وحكام أعداء السنة ليستقي العبر والدروس وليعيد صياغة الولاء والبراء في النفوس من جديد كما فعل ذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

= العكيدات والتي تضم العشرات من منازل عشيرة العكيدات السنية، وقامت بقتل العشرات من أبناء المنطقة وجرح آخرين في وقت تم تهجير الأهالي من منازلهم وقامت تلك العناصر بسلب المنازل وحرقها، في حين وقفت قوات حكومية عند مداخل المدينة مانعة خروج أو نجاة أحد من الأهالي بمن فيهم النساء والأطفال، حيث تم قتل عدد من النساء من قبل تلك الميليشيات بعد أن طالبن بإطلاق سراح أبنائهن. وعلم مراسل الوكالة أن تلك الميليشيات قامت باعتقال العشرات من أبناء المنطقة وتم نقلهم إلى مقار تابعة للتيار الصدري في مناطق شرق العاصمة بغداد، وحسينيات تتخذ كمواقع لاعتقال العشرات على الهوية. في غضون ذلك قال مصدر رسمي: إن تلك العناصر المشبوهة أصبحت أداة بيد جهات لها أجندة إقليمية تقوم بتنفيذ ما تريد منها مقابل «حفنة من الدولارات». وكانت الطوبجي وهي حي السلام الذي يقطنه العكيدات تعرضت خلال اليومين الماضيين إلى هجمات مماثلة من قبل ميليشيات تنتمي إلى التيار الصدري الرافضي، وبغطاء رسمي حكومي شيعي. ينظر: جريدة الشرق القطرية: ١٤/٨/٢٠٠٦ ص١٣. ولا غرابة في كل ما يفعله الرافضة مع شناعته وانحطاطه، ولكن الغرابة في عامة ما يقوله ويفعله ما يسمى بعلماء السنة الذين تجرد الكثير منهم من الغيرة على دينهم وهويتهم مما يؤكد: أن كل عالم يزعم أنه من أهل السنة وليس له موقف من جرائم الرافضة ومن تكفيرهم للصحابة واستباحتهم لأهل السنة فهو لا يؤتمن ولا يصدق ولا يسمع لقوله، وقد يكون أداة بأيديهم يتلبس بلبوس أهل السنة، وأيضًا يجب صياغة المناهج التي يتلقاها أهل السنة ووجوب تأصيلها على أساس حب السنة والبراءة التامة والحذر الكامل من رافضيها، وأن كل من يزعم أن السنة والرفض سيلتقيان في يوم من الأيام فإنما هو الآثم الخاطئ المضيع لأمته ولعقيدته والمتنصل من مسؤولياته وإنسانيته.

أما خليفة رسول الله ﷺ فكانت تتجسد فيه شخصية المؤمن الكيّس الفطن، فلم يستطع أن يخدعه أعداء السنة من المتنبئين الكذابين إخوان مسيلمة والأسود العنسي، ولا مشركو قريش من قبل بما لديهم من التملق السياسي والجمال اللفظي لسبب واضح وهو أنه يوالي من يوالي السنة ويعادي من يعاديها، ويُسخر كل طاقاته لنصرة كل محبيها حتى لو كانوا من الرقيق المؤمنين، كما فعل مع بلال وإخوانه المستضعفين والمستضعفات، الذين بذل في سبيل خلاصهم من أيدي المشركين الكثير مما يملك.

فهل شكّل أهل الأموال ممن يدّعون أنهم من أهل السنة لجانًا إنسانية لإعتاق إخوانهم من أحرار أهل السنة وليس من رقيقهم من سجون أعداء الصحابة ولا سيما في العراق وما حولها، حيث يرى الجميع كيف يساق أهل السنة إلى حتفهم في سجون أعدائهم فلا يعرف عنهم إلا أنهم أُخذوا على أيدي أولئك الحاقدين، ثم تغيب تلك الوجوه الطاهرة إلى الأبد على أيدي إخوان دعاة التقريب بين الحق والباطل وبين النور والظلمة.

وقد كان بلال بن رباح واسم أمه حمامة صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح يومئذ فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانًا، حتى مر به أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يومًا، وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر رضي الله عنه في بني جمح فقال لأمية بن خلف، ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه فأعتقه[1].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٣٥٤.

وأعتق أبو بكر رضي الله عنه «سبعة كلهم يعذب في الله: أعتق بلالًا، وعامر بن فُهَيْرة، وزِنِّيرَة، والنَّهْدِيَّة، وابنتها، وجارية بني المُؤَمَّل، وأم عُبَيْس»[1]. وكان أبو بكر رضي الله عنه يهتم بحال الرقيق المسلم اهتمامًا شغل عليه باله واستنفد كثيرًا من ماله ولم يبال بما كان ينفق ولا بما كان يعاني من صلف المشركين وكبرهم. قال سفيان: فأما زِنّيرة فكانت رومية، وكانت لبني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقالوا: أعمتها اللات والعزى. قالت: فهي كافرة باللات والعزى، فردّ الله إليها بصرها. وأما بلال فاشتراه وهو مدفون في الحجارة فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته. وقد يكون ذلك مع الغلام الجلد الذي أعطاهم إياه والله أعلم. قال: وفي أبي بكر رضي الله عنه نزلت الآية: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[2] إلى آخر السورة. وقد ثبت بالتواتر أن أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله في سبيل الله، وأنه مقدم في ذلك على جميع الصحابة.

وكان بلال رضي الله عنه إذا اشتد عليه العذاب قال: أحد أحد. فيقولون له: قل كما نقول. فيقول: إن لساني لا ينطق به ولا يحسنه. قال البلاذري: وروي أن بلالًا قال: أعطشوني يومًا وليلة ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار. وروى البلاذري بسند صحيح عن محمد بن سيرين. قال: لما أسلم بلال أخذه أهله فقمطوه وألقوا عليه من البطحاء، وجعلوا يقولون: ربك اللات والعزى. فيقول: أحد أحد. فأتى عليه أبو بكر رضي الله عنه فقال: علام تعذبون هذا الإنسان؟ فاشتراه بسبع أواق وأعتقه. فذكر ذلك للنبي ﷺ أنه قد اشتراه فقال: «**الشركة يا أبا بكر**»[3]. فالله أعلم أي ذلك كان؛ أهو استبدال بلال بعبد لأبي بكر رضي الله عنه؟ أم أنه اشتراه من ماله؟ أم أن كل ذلك كان؟ وهذا كله لا يغير في الحقيقة شيئًا، بل يؤكد أن خليفة رسول الله ﷺ كان كله غيرة وحمية على الدين وأهله وأنه كان على أهبة الاستعداد لخوض غمار كل بحر ينصر من خلاله سنة النبي ﷺ ومنهجه الذي سار عليه ودعا إليه في حياته ﷺ وأهلها الذين آمنوا بها واختاروها.

---

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٨. (٢) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٣٦٠.

ومِمن أعتقهم الصديق رضي الله عنه أبو فكيهة، واسمه أفلح، ويقال: يسار. وكان عبدًا لصفوان بن أمية فأسلم حين أسلم بلال رضي الله عنه، فمر به أبو بكر رضي الله عنه وقد أخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلًا وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء فمر به جُعل فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي خلقني وخلقك وخلق هذا الجعل. فغلظ عليه وجعل يخنقه ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذابًا حتى يأتي محمد ﷺ فيخلصه بسحره. فأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدًا إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فمر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه. وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدري ما يقول. ومنهم عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله رضي الله عنهم، فقد روى البلاذري والبيهقي عن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه قومه، وأما الآخرون فأُلبسوا دروع الحديد وصهروا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها في قُبلها فهي أول شهيدة في الإسلام[1].

وأعتق أبو بكر رضي الله عنه ممن كان يعذب في الله على الإسلام عامر بن فهيرة، وكان للطفيل بن الحارث أخي أم المؤمنين عائشة لأمها أم رومان فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه فأعتقه، وكان يرعى منيحة من غنم له. وأسلم عامر بن فهيرة قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم. وقال عروة بن الزبير: كان عامر بن فهيرة من المستضعفين من المؤمنين وكان ممن يعذب بمكة ليرجع عن دينه. وقال الواقدي: إن جبار بن سلمى الكلبي طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذ الرمح فيه. فقال عامر: فزت ورب الكعبة. قال: وذهب بعامر علوًّا في السماء حتى ما أراه فقال رسول الله ﷺ: «**فإن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين**»[2]. وسأل جبار بن سلمى لما رأى من أمر عامر، ما قوله: فزت والله؟ قالوا:

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣ / ٣٦١. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/ ٦٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٥٢.

الجنة: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر وحسن إسلامه[1].

ومنهم جارية بني المؤمل بن حبيب: وكان يقال لها لبيبة، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب وكان عمر يعذبها حتى يفتر فيدعها ثم يقول: أما إني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا سآمة فتقول: كذلك يعذبك ربك إن لم تسلم. فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها. ومنهم زِنّيرة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة. ويروى: زِنْبرة الرومية كان عمر قبل إسلامه وأبو جهل يعذبانها. وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون لهؤلاء واتِّباعهم محمدًا؟ فلو كان ما أتى به محمد خيرًا وحقًّا ما سبقونا إليه أفسبقتنا زنيرة إلى رشد وهي من ترون؟ وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين. فقالت وهي لا تبصر: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري. فأصبحت تلك الليلة وقد ردّ الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد. فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها.

ومنهم أم عُبيس: أمة لبني زُهرة، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر فأعتقها. ومنهم النهدية وابنتها: وكانت مولدة لبني نهد بن زيد فصارت لامرأة من بني عبد الدار فكانت تعذبهما وتقول: والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعض من صبأ بكما. فمر بهما أبو بكر رضي الله عنه وقد بعثتهما في طحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا. فقال رضي الله عنه: حل يا أم فلان - أي تحللي من يمينك. فقالت: حل أنت والله أفسدتهما فأعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما به وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أونفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذاكما إن شئتما.

ومنهم أم بلال حمامة. ذكرها أبو عمر ابن عبد البر في **الدرر** فيمن كان يعذب في الله فاشتراها أبو بكر وأعتقها. وأهملها أبو عمر في **الاستيعاب** واستدركوها على **الاستيعاب**. والحاصل مما تقدم: أن أبا بكر رضي الله عنه اشترى جماعة ممن كان يعذب في الله

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٧٤. ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٣٠.

تعالى، وهم: بلال وأمه وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وجارية بني المؤمل «حي من بني عدي» والنهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، وزنيرة[(١)] - واسم أبي فكيهة أفلح ويقال يسار - وعمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله[(٢)] وبهذا يتجاوز عدد الذين أعتقهم أبو بكر عدد السبعة المعروف في كتب السيرة بل يكاد يتضاعف ذلك العدد ولا شك أن هذا هو الأقرب لذلك الواقع الذي كان يمر به المؤمنون في مرحلة الاستضعاف آنذاك، حيث ظهر بينهم التضامن والتآزر ووحدة المشاعر إلى أسمى وأعلى ما يمكن أن يصل إليه بين الناس.

ولما كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق كل من يراه من المسلمين واقعًا تحت العذاب نصرة لله ولسنة رسوله ﷺ دون أن يجني من ذلك مكاسب مادية، أثار موقفه ذلك سخرية المشركين الذين لا يرون الدنيا إلا من خلال الدرهم والدينار، كما أثار بعض المشفقين الذين يحبون لأبي بكر رضي الله عنه النصرة حتى قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنهما: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالًا جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت إنما أريد ما عند الله عز وجل. فأنزل الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾[(٣)] إلى آخر السورة[(٤)]. قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يذكر بلالًا وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه مما كانوا فيه من البلاء وكان أحد ألقاب أبي بكر رضي الله عنه عتيقًا:

جزى الله خيرًا عن بلال وصحبه ... عتيقًا وأخزى فاكهًا وأبا جهل
عشية همّا في بلال وصحبه ... ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

(١) الصالحي: ٢/ ٣٦٢. ابن هشام: ١/ ٣٥٥.
(٢) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٣٦١.
(٣) سورة الليل، الآية: ٥.
(٤) الطبري: تفسير الطبري، ٢/ ٦١١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٣٥ في سياق تفسير الآيات المذكورة.

بتوحيده رب الأنام وقوله | شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلوني تقتلوني ولم أكن | لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب إبراهيم والعبد يونس | وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى العز من آل غالب | على غير حق كان منه ولا عدل[١]

وروي أنه لما قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت قومًا جلدًا يمنعونك فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إني أريد ما أريد، أي من الله تعالى[٢]، روي أنه نزلت فيه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[٣] إلى آخر السورة[٤].

إنفاقه في ركائب رسول الله ﷺ:

كانت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من نعم بني الحريش ابتاعها أبو بكر رضي الله عنه بأربعمائة، وكانت عند النبي ﷺ حتى نفقت، وهي التي هاجر عليها ﷺ وكانت حين قدم رسول الله ﷺ المدينة رباعية، وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء. وروي أيضًا عن ابن المسيب قال: كان اسمها العضباء، وكان في طرف أذنها جدع وكانت تَسبِق كلما وقعت في سباق، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تُسبق، فقدم أعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه رسول الله ﷺ فيهم. فقال رسول الله ﷺ: «**حق على الله تعالى ألا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه**»[٥]. وفي رواية قال: سابق رسول الله ﷺ أعرابي فسبقه، وكأن أصحاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ١٢٧. (٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٣.
(٣) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٤) ابن كثير: فصول من السيرة، ١/ ٩٩، ٤٩٣.
(٥) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، باب إضمار الخيل للسبق، (٢٧١٧). هناد بن السري: الزهد، ١/ ٣١٩. سنن البيهقي الكبرى، باب لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل، (١٩٥٣٨).

من ذلك، فقيل له في ذلك، فقال ﷺ الحديث آنفًا.

وأهدى فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ بغلة يقال لها فضة، فوهبها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان لرسول الله ﷺ حمار اسمه يعفور نفق منصرفه من حجة الوداع. وكانت له بغلة اسمها دلدل أهداها فروة بن عمرو الجذامي، وحضر رسول الله ﷺ عليها القتال يوم حنين. قال الواقدي: كانت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من نعم بني قشير ابتاعها أبو بكر الصديق وأخرى معها بثمانمائة درهم، فأخذها رسول الله ﷺ وهي التي هاجر عليها، وكانت حين قدم رسول الله ﷺ رباعية، فلم تزل عنده حتى نفقت، وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء كل هذا كان يقال لها، والقصواء لقطع في أذنها يسير، والعضباء مثلها، والجدعاء النصف من الأذن[1]. وقال قتادة: سألت سعيد بن المسيب عن العضب في الأذن؟ قال: النصف فما فوقه[2].

إنفاق أبي بكر رضي الله عنه في بناء المسجد النبوي الشريف:

ولما أراد النبي ﷺ شراء أرض المربد لبناء مسجده الشريف. قالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله. فسأل عمن يختص بملكه منهم، فعينوا غلامين، فابتاعه منهما أو من وليهما إن كانا غير بالغين، وحينئذ فيحتمل أن الذين قالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن، فقد نقل ابن عقبة أن أسعد بن زرارة رضي الله عنه عوض الغلامين عنه نخلًا له في بني بياضة من الأنصار وذكر أن أبا أيوب قال: أنا أرضيهما، فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء، فيكون بعد الشراء. ويحتمل أن كلًّا من أسعد وأبي أيوب وابن عفراء رضي الله عنهم أرضى اليتيمين بشيء فنسب ذلك لكل منهم.

وقد روي أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض، فيحتمل ذلك على بدء الأمر، ولكن قال الواقدي: إنه ﷺ اشتراه من بني عفراء بعشرة دنانير ذهبًا دفعها أبو بكر الصديق رضي الله

(١)، (٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٤٢٢.

عنه فلعله رغب في الخير، فدفع العشرة مع أولئك، أو أنه ﷺ أخذ أولًا بعض المربد في بنائه الأول سنة قدومه، ثم أخذ بعضًا آخر لما سبق أنه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أبي بكر رضي الله عنه في إحداهما ومن الآخرين في الأخرى[1].

وقد يقال: إن الشراء وقع من ابني عفراء، لأنهما كانا وليين لليتيمين، ورغب أبو بكر في الخير كما رغب فيه أسعد وأبو أمامة، ومعاذ بن عفراء، فدفع لهما أبو بكر العشرة الدنانير ودفع لهما من كل أولئك ما تقدم، ولم يقبله ﷺ أولًا لكونه لليتيمين. وذكر البلاذري: أن أسعد بن زرارة عرض على رسول الله ﷺ أن يأخذه ويدفع لليتيمين ثمنه فأبى رسول الله ﷺ ذلك وابتاعه منه بعشرة دنانير، أداها من مال أبي بكر، فيحتمل أنه ﷺ أخذ أولًا بعض المربد، ثم أخذ بعضًا وقد ورد ما يقتضي أن أسعد بن زرارة رضي الله عنه كان قد بنى بهذا المربد مسجدًا آخر، فليست القصة متحدة[2] والشاهد في ذلك أن خليفة رسول الله ﷺ كان حريصًا كل الحرص على ألا يفوته باب من أبواب خدمة الأمة ورعاية السنة وأهلها إلا وله فيه يد بيضاء يدخرها عند الله تعالى وتكون معلمًا على مسار ومنهج العاملين في حقول نصرة الدين ونشر السنة المطهرة في العالمين.

حول سياسته المالية:

كان لخليفة رسول الله ﷺ الصدِّيق رضي الله عنه بيت مال بالسُّنْح معروف ليس يحرسه أحد، فقيل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يُخاف عليه. عليه قفل. وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقي فيه شيئًا، فلما تحول أبو بكر إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جُهَينة كثير، وانفتح معدن بني سُلَيم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقسمه على الناس

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٣٤٤.
(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٨.

نقرًا نقرًا، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوي بين الناس في القَسْم، الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواءٌ، وكان يشتري الإبلَ والخيلَ والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشترى عامًا قطائف أُتي بها من البادية، ففرقَها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن دعا عمر رضي الله عنه الأمناء، ودخلَ بهم بيت مال أبي بكر رضي الله عنه ومعه عبد الرَّحْمن بن عوف، وعثمان بن عفان، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه دينارًا ولا درهمًا، ووجدوا خيشة للمال فنُقضت، فوجدوا فيها درهمًا فترحّموا على أبي بكر رضي الله عنه[1] وهكذا يثبت خليفة رسول الله لمن بعده من قادة الأمة أن الزهد في الدنيا هو أولى علامات السلامة وصحة مسار الحكم ومن أسقطه الدرهم فهو إلى غيره سيكون أسرع في السقوط. وقسم رضي الله عنه قسمًا سوى فيه بين الناس، فقال له عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله تسوي بين أصحاب رسول الله وسِوَاهم من الناس؟! فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما الدنيا بلاغ وخير البلاغ أوسعه وإنما فضلهم في أجورهم[2].

هذا هو أبو بكر رضي الله عنه الخليفة الإمام والقائد والداعية والمصلح، والمجاهد الحامي للثغور والناشر للأمن والعزة في ربوع المؤمنين، ومعلم الدنيا معاني الانتساب للإسلام، ومعاني روح الحضارة الإسلامية، ومعاني قيادة أصحاب الأنبياء للبشرية، الذين يبنون على أسس التوحيد والعدل والمساواة والزهد والتواضع والتفرغ لخدمة الدين ودنيا المؤمنين وإنصاف الجيران وحتى المحاربين، فلا ظلم ولا تعالي ولا طغيان ولا جبروت، أولئك أصحاب محمد ﷺ فكل من يعاديهم إنما يعادي الله ورسوله ﷺ ومن لا يسير على هداهم فليس منهم ولا من أمتهم، وإذا كان الأمر كذلك فكم هم الأدعياء في هذا العصر ممن نصب شباكه ونشر أصحابه لخداع الناس باسم الإسلام والدين، والإيقاع بهم بين أيدي

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٠.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٠.

المنتفعين والمداهنين ممن عرضوا الكتاب والسنة في أسواق المنافع فلم يفرقوا في موازين أهوائهم بين من يُكذّب القرآن ويرفض السنة ويشتم الصحابة، وبين من يدافع عن كل ذلك وعن موروث الأمة في العقيدة والفكر والأصالة؛ ما دامت مصالحهم حاصلة وأتباعهم مترفين حتى لو كان ذلك على حساب الأمة والهوية.

أما «إمام الأمة وقائدها» أبو بكر رضي الله عنه حين استُخلف ألقى ماله في بيت مال المسلمين[1] معلنًا بذلك أن من يتولى أمر الأمة لا يمكن أن يجمع بين منافعه الخاصة وخدمة الأمة ولا ينبغي له أن يعمل في التجارة وينافس الناس على معاشهم، لأنه قد يسخر تشريع المكوس والضرائب على غير ما يحبه الله، وقد يقع في الاحتكار الذي يعمل به كثير من حكام هذا العصر الذين هيمنوا على الشركات وتملكوا الثروات، فأبو بكر يحتسب نفسه ويبذل ماله في سبيل الله لأنه حمل مسؤولية المسلمين، بينما يرى المخلصون في هذا العصر أنّ كثيرًا ممن يزعم الإصلاح يحفظ ماله وينفق على أتباعه من مال المسلمين باسم التفرغ للقيادة والسفر لخدمة المبادئ والمصالح وما شابه ذلك، حتى شمل هذا الداء الكثير ممن يزعم العمل في مجالات خدمة الأمة ونصرة الدين؛ وبما في ذلك أوقاف المسلمين وصدقاتهم وحقوقهم ومصالحهم المالية، التي جمدت نشاطاتها وجفت ثمارها؛ لأن كثيرًا من القائمين عليها أخذ يجريها باتجاه الأتباع والأصدقاء ومن هم على وفق هواه في الهيئات، وإن كان السمت الظاهر أنها على حساب أهلها ومستحقيها تحت بعض الأعذار الواهية والأنظمة التائهة المضلِّلة، مما أوجب على كل صاحب نعمة، أن ينظر أين جعل حق الله فيها، وأن يشرف على ذلك بنفسه وأنه لم يعد يجزيه أن يضعها في بعض الأماكن التي ترفع لافتات العمل لخدمة أوقاف المسلمين وصدقاتهم، فمن لم يوصلها إلى أهلها أو يضعها في الأيدي الأمينة المحتسبة فإنه مفرط بحق الله الذي أنعم عليه ولسوف يسألون. قالت أم المؤمنين الطاهرة العالمة الفقيهة الزاهدة الكريمة عائشة رضي الله عنها: والله ما ترك أبو بكر دينارًا

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٣.

ولا درهمًا ضرب الله سكته[1]. فأنفق كل ما يملك وكل ما جاءه من أموال المسلمين؛ إلى أهلها ومستحقيها دون وسائط خشية من التفريط والإهمال.

وكان أبو بكر رضي الله عنه من كبار تجار العرب أياديه في الكرم المعروف حديث المجالس ومحل تقدير سادة القبائل. ولكنه آثر التفرغ لخدمة الأمة قال: فلما وليت شغلوني عن التجارة والطلب[2]. قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك دينارًا ولا درهمًا وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال[3].

عن هشام بن عروة: أن أبا بكر حين استُخلف طرح ماله في بيت المال وقال: احتسبت نفسي لله، فنظروا فإذا هو لا يسعه ذلك، وقد ترك تجارته. فأصبح يومًا غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجرُ بها، فلقيه عمر بن الخطاب، وأبو عُبَيْدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليتَ أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أُطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئًا. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكساه في الرأس والبطن. فقال عمر: إليّ القضاء. وقال أبو عُبَيْدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان[4].

فمكث كذلك بالسُّنْح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة فأقام بها ونظر في أمره. فقال: لا والله ما يصلح أمر الناس التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شأنهم، ولا بد لعيالي مما يصلحهم. فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يومًا بيوم ويحج ويعتمر. وكان الذي فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة لم

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١.
(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١٣
(٣) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١١
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٢.

يقبل أن يترك هذه الدنيا دون أن يتطهر من كل أدرانها، ويتنازل عن كثير من حقوقه، ويرد ما يحق له من حقوق، لتتعلم منه الأمة كيف يكون الإخلاص للدين وحماية المؤمنين، ومنهج التجرد من الدنيا وحقيقة الإقبال على الآخرة[1]. ولا شك أن من يسير على منهج خليفة رسول الله سيتعب كثيرًا في سبيل حماية الأمة وحفظ حقوقها ورعاية مصالحها.

بيت المال:

كان لخليفة رسول الله بيت مال بالسُّنْح معروف ليس يحرسه أحد فقيل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يُخاف عليه. قيل: لم؟ قال: عليه قفل. وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقي فيه شيئًا، فلما تحول أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جُهَينة كثير، وانفتح معدن بني سُلَيم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، فكان أبو بكر رضي الله عنه يقسمه على الناس نقرًا نقرًا، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوي بين الناس في القَسْم الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواءٌ، وكان يشتري الإبلَ والخيلَ والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عامًا قطائف أُتي بها من البادية، ففرقَها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر، ودفن دعا عمر الأمناء ودخلَ بهم بيت مال أبي بكر ومعه عبد الرَّحْمن بن عوف، وعثمان بن عفان، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه لا دينارًا ولا درهمًا، ووجدوا خيشة للمال فنُقضت، فوجدوا فيها درهمًا فترحّموا على أبي بكر رضي الله عنه وكان بالمدينة وَزّان على عهد رسول الله ﷺ وكان يزن ما عند أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال: فسئل الوَزّان كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكر؟ قال: مائتي ألف[2].

ومع كل ما كان يتحرز منه خليفة رسول الله من أموال المسلمين فإنه لم تطمئن نفسه ولم

(١) ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٣.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٠.

يهدأ حاله حتى قال: «انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه فنظر عمر فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف في ولايته»[1] وأدى كل ذلك إلى بيت مال المسلمين دون أن يستبيح لنفسه ولو درهمًا واحدًا. فغادر هذه الدنيا بعد أن رسم لكل مسلم كيف يكون منهج قادة الإصلاح وسادة الدنيا وكيف يكون السمو والرقي الحضاري وأداء الأمانة. فـ«مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك دينارًا ولا درهمًا وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال»[2].

فأين عبيد الدنيا ممن يغرقون في العمالة والتبعية وبيع الأمة فيتسلطون بذلك على بررة الإسلام باسم الثورات والوحدة والأمن والحرية بينما كل ذلك يثمر عكس هذه الشعارات من قتل البررة وطمس السنة وفرقة الأمة وتمزيق صفوفها وخدمة أعدائها ومحاربة أبنائها ورفض القرآن ورد السنة وهدم المساجد أو حبسها على ما يشتهيه الطغاة وعبيدهم ممن استباحوا أموال أتباعهم باسم الخمس وحقوق الأئمة وما إلى ذلك من شباك الخداع والاحتيال.

فيبقى أمام كل ذلك المنار الساطع والحجة البينة والمنهج السديد واضحًا في مسار خليفة رسول الله، فمن وافقه فهو من أهل هذه الأمة ومن خالفه فهو الضال المبتدع الراكع للدنيا والمستعبد لأهلها، كل ذلك تكشفه سيرة خليفة رسول الله. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة، انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا مت فارددیه إلى عمر، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك[3].

والباحث في السياسة المالية لخليفة رسول الله لا يسعه إلا أن يقف إجلالًا لهذا النموذج الفريد في الأداء والتنفيذ وحفظ الأمانة، بل إنه يزول عنه العجب حينما يجد هذه الروح

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٥٥. ابن الجوزي، المنتظم، ٤/ ٧٣.

(٢) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١/ ١١٠. (٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٦٠.

المبنية على ثوابت الطهر والنقاء وحفظ الحقوق والمساواة؛ قد سادت في جميع جوانب الحياة الاقتصادية الإسلامية أيام الراشدين رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لأنها أصبحت خلقًا وقيمة متجسدة في نفوس وضمائر محبي الصدّيق رضي الله عنه ولم يكن تنفيذ ذلك خاصًّا في المجتمع الإسلامي آنذاك وإنما هو قيمة حضارية في التعامل مع جميع الناس، وهذا ما يؤكد الفارق الهائل بين محبي الصحابة وبين مبغضيهم الذين يدينون بدين: غش أهل السنّة تدخل الجنة.

وقالت أم المؤمنين: إن أبا بكر حين استُخلف قال: احتسبت نفسي لله، فنظروا فإذا هو لا يسعه ذلك، وقد ترك تجارته[1] ولم يكتف بهذه المحاسبة لنفسه ولعياله التي تصل شدتها إلى الحد الذي لا يساوي حالة الكفاف، فأين هذا من حالة الانفلات التي يطلق فيها كثير من حكام المسلمين أيديهم وأيدي أتباعهم في أموال الأمة؟ التي تزيد عن حد الاستباحة في كثير من المواقع!! دون وازع من ضمير أو خوف من رقيب أو حساب في الدنيا أو في الآخرة، وهنا على المحك المادي تتكشف معادن الناس ومناهج السياسة التي تصلح لقيادة الأمة من التي لا تصلح. فمع كل ما عرف عن خليفة رسول الله من دقة حسابه لنفسه ولمن يعول ولمن يعمل له من الأمراء والقادة، ومع أنه ألقى ماله في بيت مال المسلمين، وعمل لهم إمامًا وقائدًا وخليفة رضي الله عنه بما يقوته فقط؛ فإنه لم يكتف بذلك بل «قال أبو بكر رضي الله عنه: لي من مالي ما رضي ربي من الغنيمة فأوصى بالخمس»[2].

ومن كل ما سبق يظهر زيف أعداء الصحابة والعلمانيين وأدعياء التجديد وممتهني التضليل الذين يدعون إلى محبة قتلة الراشدين، أنه لا إصلاح ولا صلاح في العبادة والقيادة والسياسة والاقتصاد؛ من دون التقيد بما تقيد به إمام الأمة وقائدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن سار على منهجه، في الاتباع والاقتداء والمحاسبة الدقيقة والمقاصد السامية المبنية على الأمانة والصدق والكسب الحلال، والاستعداد لحماية مكاسب الأمة في عقيدتها

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٣١.
(٢) الطبري: تاريخ، ٤/ ٥٣

واقتصادها وغير ذلك من شؤونها في الجهاد الخالص لوجه الله تعالى والمنبثق من الفهم الصحيح للدين الحنيف، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه سوى عبيد الدنيا ممن يسلبون المسلمين حقوقهم وينهبون ثرواتهم حتى بلغ ببعض الثائرين على الكتاب والسنة أنهم لا يدخلون ثروة النفط في الميزانية العامة لكي يسلبوا تلك الثروة خالصة ويدفعوا أجور عمالها وموظفيها من الميزانية العامة، ومن ثم لا يبالون بالمسلمين في بلادهم إن جاعوا أو شردوا أو أهينوا أو ذلوا، أما بلادهم وعقيدتهم فلا بأس أن تعرض بأسواق النخاسة بأي ثمن، لكل هذا فإن شعار هذه الدراسة هو إما خليفة رسول الله والراشدون ومنهجهم وإما الزيف والضلال. يؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

المساواة في العطاء بين المسلمين الأحرار والرقيق وبين الرجال والنساء، فكان يعطي ما في بيت ماله حتى لا يُبقى فيه شيئًا، ولما قدم عليه مال من معدن من معادن جهينة، وكان كثيرًا، وانفتح معدن بني سُليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة، كان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويًّا، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: «فأعطى في أول عام؛ الحُر عشرة، والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة. ثم قسم في العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين» فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم؛ فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل. فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك. وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جلّ ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة خير من الأثرة.

وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، ويشتري أكسية المخمل، ويفرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن، فتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه دينارًا ولا درهمًا[1]. فأبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته يرد جميع ما أخذ

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٠. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٢٨٩. المتقي الهندي: كنز =

من بيت المال الذي أعطاه إياه المسلمون لنفقته ترفعًا وورعًا ونقاء وعزة في الحياة وبعد الممات «فلما حضرته الوفاة أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين» والطغاة عندما تحضرهم الوفاة يغتصبون أراضي المسلمين ويقسمون ما بقي من أموالهم بين ذويهم وأتباعهم ليزدادوا أوزارًا على أوزارهم، ألا يعلم أولئك إلى أين هم ذاهبون؟! أم أنّ هذا هو مكر الله تعالى الذي جاء في قوله عز وجل: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1]؟ فمكر الله بهم بأن يأخذهم وهم غارقون في الظلم، ومتلبسون بالجشع والطمع وحب المال السحت.

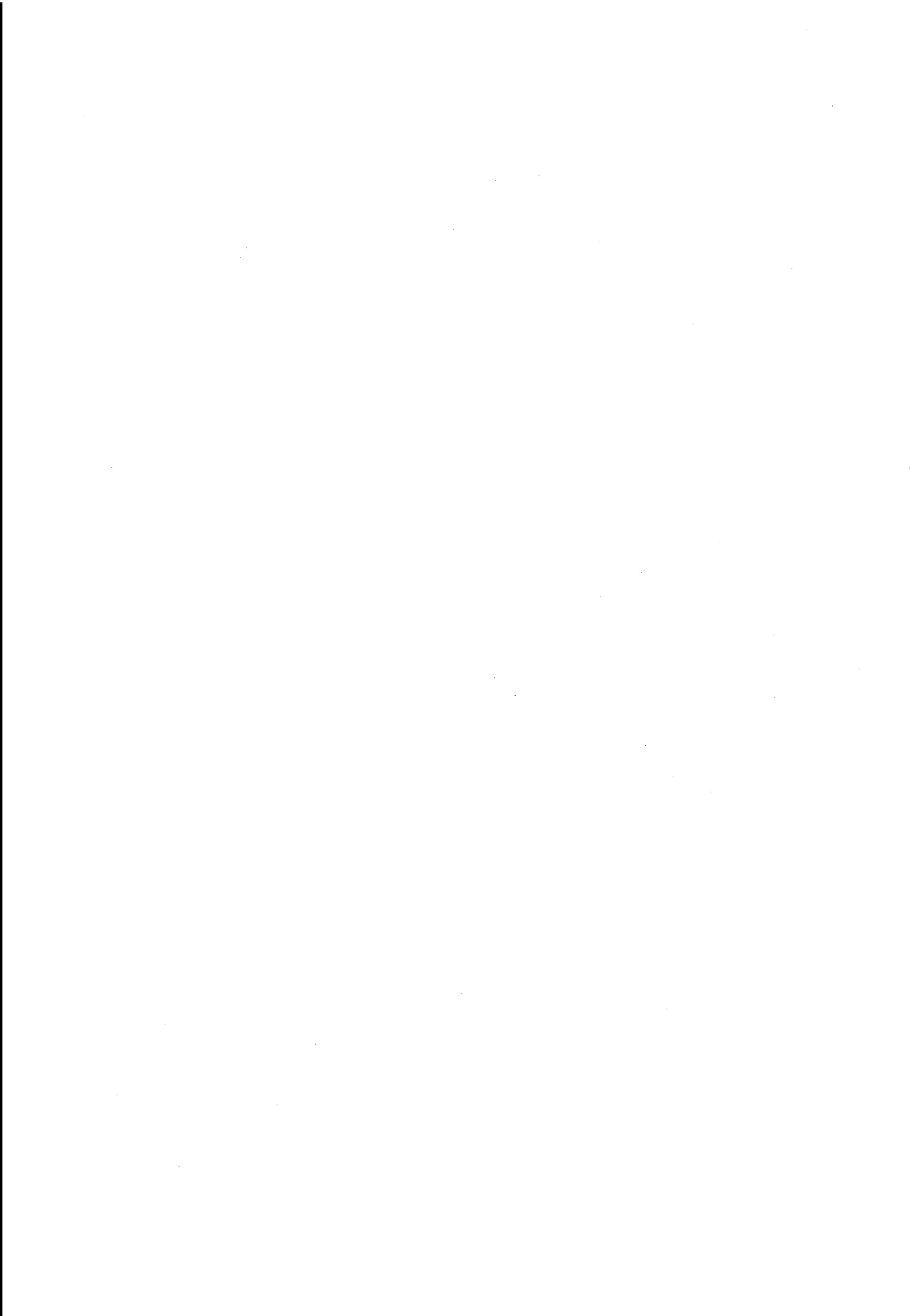
ولم يكتف خليفة رسول الله بكل ما قدمه للأمة من نماذج في وسائل القيادة والإمامة والعفة والنزاهة والعدل والمساواة، بل إنه سنّ لهم ما يحمي كل ذلك ويشرعه اتباعًا لما كان عليه النبي ﷺ فأقر حق الأمة في محاسبة الحاكم في أول خطبة ألقاها على المسلمين، وذلك في قوله رضي الله عنه: «فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني» فأعطى الأمة حق المحاسبة وحق إلزام الحاكم سلوك الطريق السوي الذي يخدم الأمة ويشيد بنيانها، وأقر لها أن شرعية حكامها تنطلق من خدمة عقيدتها والتمسك بثوابتها وسنة نبيها ﷺ وأن كل من يزيغ عمّا جاء به رسول الله ﷺ فإنما هو الآثم الغاصب الظالم، المخالف لمنهج الصدّيق رضي الله عنه في الحياة والإدارة وغيرها. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].



= العمال ٥/ ٣٤٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ١٨٨.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٢.





الفصل السادس

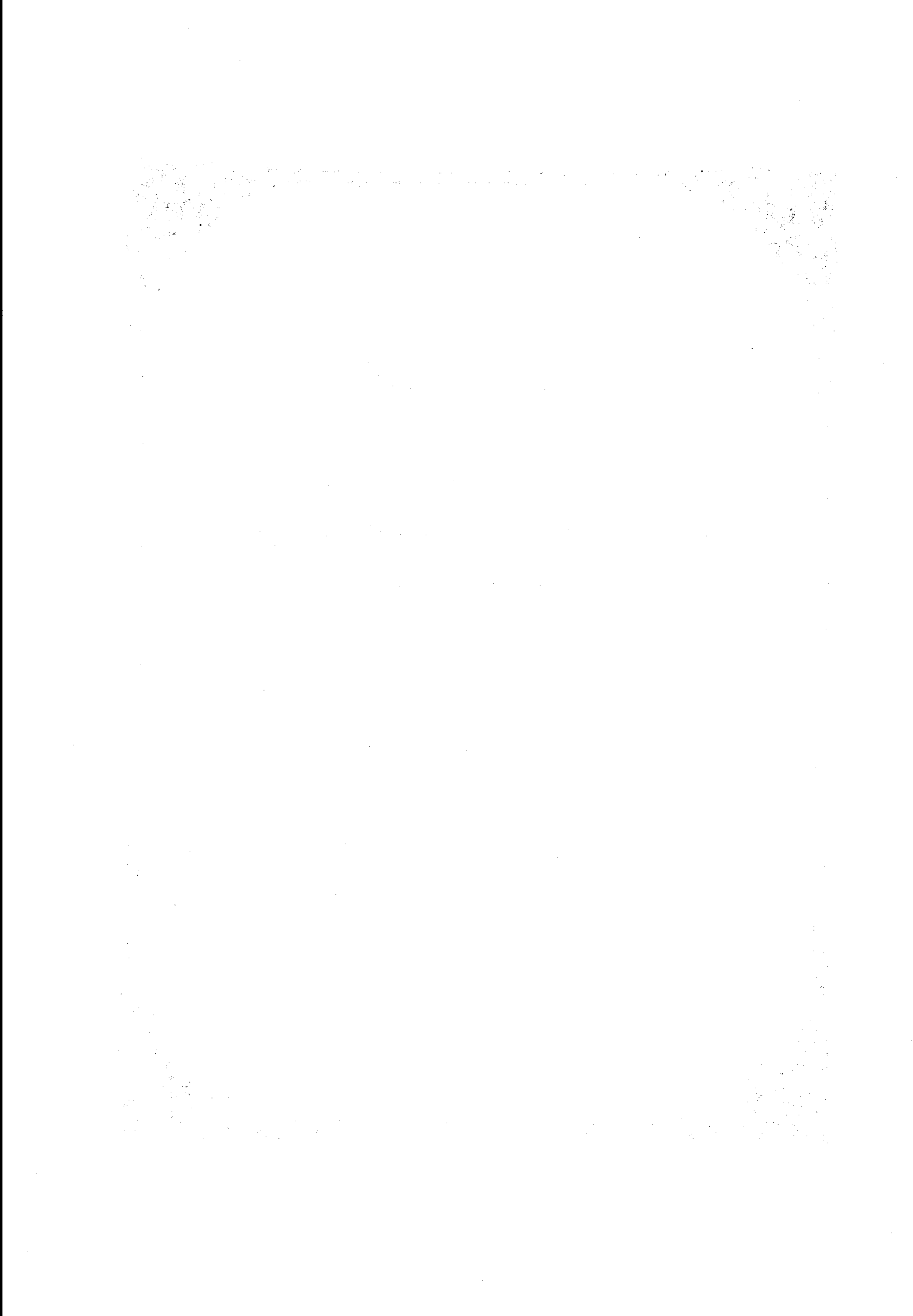
موقف خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق من إنفاذ جيش أسامة ومن حركات الرفض والردة

المبحث الأول: موقف خليفة رسول الله ﷺ من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: أقسام الردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها.

المبحث الثالث: الموقف من المتنبئين والمرتدين.

المبحث الرابع: موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين واليمن وعمان وحضرموت.



المبحث الأول

موقف خليفة رسول الله ﷺ
من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ

إن موقف أبي بكر رضي الله عنه من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة كان صارمًا حاسمًا واضحًا مع خطورة الموقف العام في دولة المسلمين الناشئة، وتمرد المرتدين على الله ورسوله ﷺ برفضهم دفع الزكاة وخلافة النبوة وإمامته رضي الله عنه وإشفاق الصحابة على إنجازات النبوة وجهادهم الذي أثمر دولة التوحيد وإعلانهم عن رأيهم في المهادنة والملاينة والمسايسة والتجاوز والتغاضي إلى حين، والتمسك بكل قوة المؤمنين داخل المدينة حتى تستبين الطريق وتتجلى المواقف، ومشورة الصحابة على خليفة رسول الله بذلك وبضرورة إبقاء جيش أسامة بين ظهرانيهم في المدينة حتى تنجلي تلك الظروف العصيبة.

إلا أن كل ذلك لم يجعل خليفة رسول الله إلا أن يزداد إقدامًا ويقينًا وثقة بموقفه المستند إلى وجوب التمسك بأوامر رسول الله ﷺ وإشاراته وتوجيهاته تامة دون أي تأجيل أو تفريط، حتى سطر آنذاك موقفًا فريدًا تأكد من خلاله أنه الإمام الأكبر والقائد الأوحد وأنه فحل الإسلام وخليفة سيد الأنام ﷺ وأظهر أن كل من يرفض خلافته إنما هو منافق مرتد رافض لكل ما جاء به محمد ﷺ؛ لأنه ثبت أنه هو الأمين على ميراث محمد ﷺ وأن كل من يوالي أعداء خليفة رسول الله قديمًا وحديثًا ويحسن الظن فيهم ولا يُحذِّر منهم في لسانه وقلمه وماله وعمله إنما هو وجه من وجوه الزيف والتبعية للمتنبئين وعبيد الأهواء

وأعداء النبوة الرافضين للسنة، تحت أي ذريعة تكون تلك الموالاة التي لا تثمر سوى اختراق الأسرار وانتهاك الجوار واستهداف الأخيار.

وقد أثبت إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله بمواجهته لكل تلك المخاطر وبعزيمة لا تلين وإقدام لا يعرف التردد أو الوهن أو المساومة، أثبت أنه يسير على منهج السنة النبوية على ما جاء به رسول الله ﷺ وأنه عازم على حفظ مسار الرسالة المحمدية من التحريف، فلم يقبل أي تنازل أمام مخاطر المرتدين الذين سرّهم مرض النبي ﷺ ووفاته فتلبسوا بوسائلهم الباطنية المخادعة في العمل على مواجهة الإسلام بالتقية والإيهام لتشتيت الصفوف وتفتيت الأمة وتزييف التوحيد والعودة إلى عبادة القبور والمشاهد والأصنام البشرية والحجرية وإسقاط الفرائض واستبدال السنّة بالبدعة وأقوال رسول الله ﷺ وأحاديثه بأقوال أئمة الرفض المتنبئين المشرعين ما لم يأذن به الله.

ولقد كان موقف خليفة رسول الله القاطع من أولئك المخادعين الحاقدين على الدين والأمة يمثل العلاج الناجع الذي أثمر سلامة الدين ونصر المؤمنين ووحدة أمتهم وانقياد الصحابة له وإقرارهم بأنه هو الموقف الصحيح الصريح، ومن ثم جهادهم بكل قوتهم لتحقيق أهدافه ومراميه ودفع كل عوائق الرفض والردة من أمام عجلة الإسلام الذي لم تعد أي قوة قادرة على الإفصاح والمجاهرة برفضها وردها لمساره عن مسارها الصحيح، كل ذلك بفضل الله ثم بيقين خليفة رسول الله وذكائه وعلمه وجرأته وبركة إمامته وإنجازات قيادته الرائعة الراشدة.

وبذلك رسم خليفة رسول الله منهج العاملين لصحوة الأمة ونهضتها ووحدتها وحمايتها من أعداء عقيدتها المتلبسين بالتعاون والتحالف مع الغزاة والمحتلين المعتدين على أمنها ومقدساتها وحرماتها ودماء أبنائها. فمن زعم أنه على طريق النهضة والصحوة والعودة إلى قواعد العقيدة وعز الأمة وقيادتها للبشرية فإنه ملزم شرعًا بإجماع الصحابة بالبراءة من كل ما تبرأ منه خليفة رسول الله وموالاة كل من والاه رضي الله عنه، ومن قال بغير هذا فإنما

هو ضال تائه أو منتفع يعرض العقيدة في مزاد البوائق والصفقات التي يجريها عبيد البريق والزيف، الذين لم يجلبوا للأمة سوى الهوان والضياع والفرقة والتبعية.

مع علمهم ومعرفتهم بأن أعداء الصحابة حرب على السنّة وأهلها في كل عصر ومصر؟! ويعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام**»[1]. فهل التحالف مع أعداء الصحابة ومدحهم وزيارتهم وتزكيتهم، وهم على ما هم عليه من الحقد والرفض والكفر بالثوابت وتدليس أمرهم على الأمة، يعد من توقير المبتدعين فقط؟ أم أنه من التكذيب للكتاب والسنّة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم؟ وأنه صورة من صور القيام بشهادة الزور والرفض لما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والنور؟! إنّ كل هذا ظاهر يعلمه العقلاء الأوفياء، ويتجاهله المراؤون والأدعياء.

تهيئة جيش أسامة بن زيد بن حارثة:

أقام رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع بالمدينة بقية ذي الحجة، والمحرم، ولكنه ما زال يذكر شهداء موقعة مؤتة وقد وَجِدَ عليهم وجدًا كبيرًا، ولا سيما أنّ منهم الأمراء الثلاثة الذين كانوا من أقرب الناس إلى نفسه ﷺ، فلما جهز جيش أسامة أمرهم ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل الأمراء الثلاثة، وقبروا هناك ليكونوا أعلامًا على طريق عزة الإسلام وكرامة أهله.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، فلما كان من الغد دعا ﷺ أسامة بن زيد فقال: «**سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحًا على أهل أُبْنى** - وهي أرض السراة ناحية البلقاء - **وحَرِّقْ عليهم**».

---

(١) شعب الإيمان: باب مباعدة الكفار والمفسدين. فصل: في مجانبة الفسقة والمبتدعة، ح (٩٤٦٤). الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، ح (٦٧٧٢).

ولما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدئ برسول الله ﷺ وجعه فحمّ وصدع. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده. ثم قال ﷺ موصيًا وموجهًا له: **«اغز باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا: اللهم اكفناهم بما شئت واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم قد جلبوا وضجوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقولوا: اللهم إنا نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغنيهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت البارقة»**[1]. أي بارقة السيوف والصبر في مواطن الشدة والبأس ومواطن الشهادة.

فخرج أسامة رضي الله عنه بلوائه «معقودًا» فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف. فخيموا به وكان فيهم عمر بن الخطاب، ويقال: أبو بكر الصديق استثناه رسول الله منهم للصلاة وإمامة الأمة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك مخيمين.

ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! فغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا، فخرج وقد عصب رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة فلئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليقًا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي فاستوصوا به خيرًا فإنه من خياركم»** وعند البخاري: أن رسول الله ﷺ بعث بعثًا، وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال: **«إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»**[2].

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ١٣٦. المتقي الهندي: كنز العمال، (٣٠٢٦٦).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب بعث أسامة، ح (٤١٩٩) ابن حبان: صحيح =

ثم نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خلون من ربيع الأول وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ ويمضون إلى العسكر بالجرف قرب المدينة وثقل رسول الله ﷺ فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي ﷺ مغمور من شدة المرض، فطأطأ أسامة فقبله فجعل رسول الله ﷺ يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال: فعرفت أنه يدعو لي ورجع إلى معسكره. ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه. فقال ﷺ: «**أنفذوا بعث أسامة**». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد. ثم دخل إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وكان ﷺ قد أفاق من مرضه. فقال له ﷺ: «**اغد على بركة الله**» فودعه أسامة وخرج إلى معسكره.

ودخل أبو بكر رضي الله عنه في ذلك اليوم - أي الاثنين - إلى النبي ﷺ وهذا يثبت أنه لم يكن في جيش أسامة وإنما كان مستخلفًا لمهمة الوقوف مع رسول الله ﷺ وسد فراغ غيابه ﷺ. فقال رضي الله عنه: يا رسول الله، أصبحت مفيقًا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لي آتيها. فأذن له فذهب إلى بيته في السنح[1] في منطقة العالية من المدينة حيث زوجته الأنصارية هناك.

وبينما كان أسامة رضي الله عنه يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول الله ﷺ يموت فأقبل، وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت فتوفي ﷺ حين زالت الشمس يوم الاثنين فدخل المسلمون الذين عسكروا في الجرف إلى المدينة. ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة حتى غرزه عند باب رسول الله ﷺ فلما بويع

= ابن حبان، كتاب وباب مناقب الصحابة ونسائهم بذكر أسمائهم، ح (٧٠٤٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٢٤٩.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٩. ابن حبان: السيرة، ١/ ٤٢٣. الصالحي: سبل الهدى، ٦/ ٢٤٩. ابن الأثير: الكامل ١/ ٢١٨.

لأبي بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى أسامة ليمضي لوجهه فمضى بريدة إلى معسكرهم الأول.

موقف خليفة رسول الله من المعارضين لبعث جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ:

لما أصرَّ النبي ﷺ على إنفاذ جيش أسامة التحق الصحابة رضي الله عنهم بمواقعهم فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قُبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر رضي الله عنه: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله ﷺ وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وقال بعضهم فإن أبى خليفة رسول الله إلا أن نمضي فأبلغه عنّا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلًا أقدم سنًّا من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة وأتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاءً قضى به رسول الله ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلًا أقدم سنًّا من أسامة. فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالسًا فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه؟! فخرج عمر إلى الناس. فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله. ولما انتشر خبر موت رسول الله ﷺ عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق رضي الله عنه.

ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا[1].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٩٨. الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥٦.

ومعلوم كما سبق أن موقف البعض من إمارة أسامة كان يشوبه بعض التثاقل نظرًا لصغر سنه رضي الله عنه، فلمّا بويع أبو بكر رضي الله عنه بإمامة الأمة وخلافة النبوة كانت العرب قد ارتدت إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم فقال رضي الله عنه: ليتم بعث أسامة. فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

ثم اجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحديبية وخرجوا وخرج أهل المدينة في جند أسامة فحبس أبو بكر رضي الله عنه من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، أي لم يلزمهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل[1].

فسار خليفة رسول الله على الطريق ذاتها فاتضح منه الفقه والعلم وإتقان دور القيادة، والكفاءة في تحمل مسؤولياتها باقتدار وتمكن لا مثيل لهما، بل كان أشبه الناس بقيادة رسول الله ﷺ وتدابيره ومنهجه والتمسك بسنته في كل مواقفه التي بقيت منارات لأبناء الأمة على مر السنين يهتدون بها ويسيرون على ضوئها.

اتضح ذلك حين نادى مناديه رضي الله عنه من بعد الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وقوله: ليتم بعث أسامة ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدًا ﷺ على العالمين وعصمه من الآفات[2].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٩٨، الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ١٠.

قال الشعبي: قال أبو بكر لعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد وأمثالهم رضي الله عنهم: أترون ذلك؟ يعني قبول الصلاة منهم دون الزكاة. قالوا: نعم، حتى تسكن الناس وترجع الجنود. ولعل هذا الموقف يعد من أصعب المواقف التي عالجها خليفة رسول الله؛ لأن من يشير عليه ببقاء الجيش في المدينة هم أقرب الناس إليه وهم من كان يرجو مساندتهم ونصرتهم لمواجهة مكر وأخطار الرافضة، لذلك واجههم بحزم قطع عن نفوسهم كل أمل بإمكانية تأجيل أمر أمَرَ به رسول الله ﷺ.

فقال أبو بكر رضي الله عنه : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته. فلما رأى خليفة رسول الله بعض الوهن في بعض النفوس قام يثير فيهم روح الثبات وحب الشهادة وافتداء السنة أمام أخطار الردة حتى انتفض في ضمائرهم الشوق إلى رسول الله وإلى الجنة التي وعدهم بها ﷺ إن هم وفوا بنصرة الدين وحماية السنة فكانوا رضي الله عنهم على حسن العهد وجميل الوفاء، وكان لأبي بكر رضي الله عنه الفضل الأكبر في تحريك الغيرة والحمية على السنّة وأهلها في نفوس المؤمنين حتى أخمدوا تلك الفتنة ووأدوا أخطارها بجهادهم وصبرهم فرسموا الطريق لحملة السنة وحماتها للسير على آثارهم بثقة ويقين.

تثبيته للمسلمين وخطبه في الأمة بعد وفاة النبي ﷺ:

نادى منادي أبي بكر رضي الله عنه من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف. وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال رضي الله عنه: يا أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله يطيق، إن الله اصطفى محمدًا على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني وإن رسول الله ﷺ قُبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة سوط فما دونها، ألا وإن لي

شيطانًا يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإنّ قومًا نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، والوحى الوحى، والنجاء النجاء فإن وراءكم طالبًا حثيثًا، أجلًا مَرّه سريع احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

وقام أيضًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتم به وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟! قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميمًا قد تركت عليهم القالات. الخبيثات للخبثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونُسي ذكرهم وصاروا كلا شيء إلا أن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا غيرهم وبقينا خلفًا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابًا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم. أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا؟

أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه به سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما إنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر

بعده الجنة[1].

وقام فحمد الله وأثنى عليه وقال مردفًا القول بالعمل: لو منعوني عقالًا مما أعطوه رسول الله ﷺ ما قبلت منهم، ألا برئت الذمة من رجل من هؤلاء الوفود وجِد بعد يومه وليلته، فتواثبوا يتخطون رقاب الناس ثم أمر أبو بكر عليًّا بالقيام على نقب من أنقاب المدينة، وأمر الزبير بالقيام على نقب، وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر. وأمر عبد الله بن مسعود بالعسيس أي الحراسة الليلية. وقال إبراهيم النخعي: أول ما ولي أبو بكر ولى عمر القضاء وأمر ابن مسعود بعسس المدينة[2].

فاتضح من تلك المواقف أن رسول الله ﷺ كان واثقًا كل الثقة حين قدم صاحبه لإمامة الأمة وقيادتها لما فيه من الصفات التي لا تتوافر في غيره، تبين ذلك في عامة مواقفه رضي الله عنه منذ أن توفي رسول الله ﷺ حيث كان هو المرجع لكبار الصحابة وصغارهم؛ فلا يُسأل عن أمر إلا ويجيب عليه، ولا تمر الأمة بموقف حرج إلا وجد لها المخرج الأسهل والأكرم دون تردد أو تكلف، وكل ذلك يجري على يديه سجية، رضي الله عنه، ولا أدل على الفارق بين رؤية خليفة رسول الله القيادية ورؤية غيره من الصحابة، بما فيهم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن وغيرهم من أئمة الأمة وقادتها رضي الله عنهم من الموقف الذي سار عليه لمعالجة أمر الزكاة وأمر إنفاذ جيش أسامة، فالصحابة كانت اجتهاداتهم تدور حول دراسة الموقف من حيث موازين القوى وما إلى ذلك من تدابير، وخليفة رسول الله ينظر إلى الأمر بمنهج رسول الله ﷺ وأنه لا بد من أن ينفذ كل ما أمر به ﷺ، ومن ثم النظر في التدابير فكان ذلك المنهج هو الذي واجه به الرافضة في حركات الردة الهادفة إلى تخريب الدين وإفساد النفوس ورفض العقيدة، ومن ثم واجه بها المجوس الفرس والصليبيين الروم، وحقق النجاح التام في كل ذلك بفضل الله تعالى، ومن ثم بركات خيار النبوة للخلافة التي تجلت في مواقف الصدّيق رضي الله عنه الرائعة الراشدة.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٩.

الموقف بعد إنفاذ جيش أسامة:

كان من حكمة ونباهة خليفة رسول الله أنه منذ أن حمل الراية بعد وفاة النبي ﷺ لم ينم ولم يُنم عدوًّا أو مترددًا أو من في نفسه بوائق ضد المؤمنين، فكل من لم يعلن موقفه صريحًا في نصرة دولة الراشدين والتزامه بسنة سيد المرسلين ﷺ فقد عده خليفة رسول الله في دائرة الأخطار المحدقة بالمؤمنين، ولم يكن حذر خليفة رسول الله نظريًّا، بل كان عمليًّا علميًّا تطبيقيًّا مبنيًّا على فهم النبوة واجتهاداتها في مسارها وتعاملها مع الأعراب ومن يساندهم وينفخ فيهم روح الرفض والردة.

فلما فصل أسامة بجيشه عن المدينة وغادرها لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ الذي يرعاه خليفته رضي الله عنه ارتدت العرب وتروخي عن مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما، وارتدت غطفان إلا ما كان من أشجع وخواص من الأفناء، وقدمت هوازن رِجْلًا وأخرت أخرى وأمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف وارتدت خواص من سليم ومن سائر الناس بكل مكان، وقدمت رسل رسول الله ﷺ من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد فكان أول من صادم أبو بكر رضي الله عنه عبسًا وذبيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة وجيشه.

وقدمت وفود أسد وغطفان وهوازن وطيئ فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من الزكاة واجتمع جماعة من المسلمين على قبول ذلك منهم، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه فأبى إلا ما كان رسول الله ﷺ يأخذ وأجّلهم يومًا وليلة فتطايروا إلى عشائرهم، يعلمونهم بالموقف الجديد وخلّوا المدينة من عامة قوتها المقاتلة.

فلما سمع أعداء الصحابة بما أصبح عليه حال المسلمين بعد وفاة نبيهم ﷺ ومغادرة جيشهم إلى أرض بعيدة أجمعوا الغدر ومباغتة المدينة وسحق من فيها من الصحابة رضي الله عنهم ناسين أن خليفة رسول الله لهم بالمرصاد يفقه ما يدور في أذهانهم وهم على فرشهم بين نسائهم، فجاء المشركون فطرقوا المدينة بعد ثلاث فوافقوا أنقاب المدينة ومداخلها محروسة بجند وكتائب خليفة رسول الله فبهتوهم فارتدوا خائبين، وخرج إليهم

أبو بكر رضي الله عنه في أهل المسجد على النواضح يتتبعهم فانفشّ المشركون ورافضو خلافة النبوة رهبة من الصحابة فاتبعهم المسلمون إلى جحورهم التي انطلقوا منها، فإذا لهم كمائن ومعهم قرب قد نفخوها بالهواء ثم دهدوها بأرجلهم في وجوه الإبل التي يركبها الصحابة رضي الله عنهم فنفرت بالمسلمين إبلهم وهم عليها حتى دخلت بهم المدينة لشدة نفرتها من مثل تلك المناظر، ولكن لما كان الصحابة رضي الله عنه فرسان القتال وسادة الميادين وأصحاب الخبرة في المفاجآت العسكرية كانوا متحوطين لكل ذلك، فلم يصرع منهم أحد ولم يصب، وسايروا إبلهم حتى ذهب عنها روع المفاجأة ثم أعدوا للغارة من جديد يتتبعون خطط أعداء السنة المرتدين المتآمرين على المسلمين.

فبات خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ليلتئذ يتهيأ فعبأ الناس وخرج على تعبئته في آخر الناس يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرّن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين حسًّا حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذَرّ قَرْن الشَّمس حتى ولّى المشركون الأدبار. واتبعهم أبو بكر رضي الله عنه بجنده حتى نزل بذي القصة ونزل بها النعمان بن مقرن في عدد من المسلمين ورجع بالمسلمين إلى المدينة بعد أن دكوا قوة المشركين وأبطلوا مفاجآتهم في وقعة ما زالت حديث الناس لما ظهر فيها من حزم خليفة رسول الله وجرأته وقوته ونباهته وعميق خبرته وحسن تدبيره رضي الله عنه، ونظرًا لفشل أعداء الصحابة المرتدين وحنقهم أمام ما فاتهم من فرصة المفاجأة وما لحقهم من عار الهزيمة وانكشاف أمر باطنيتهم وخداعهم وانقلاب وفودهم من مفاوضين إلى جواسيس تتبع عورات أهل المدينة، نظرًا لانكشاف كل ذلك أزالوا عن وجوههم ستار الحياء وقاموا بالغدر بأبناء قبائلهم من المؤمنين الذين لم يكن لهم أي ذنب فيما حصل للمشركين «فوثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم»[1].

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ١٠.

وبعد أن انتشر خبر هذه الوقعة بين القبائل في جزيرة العرب لم يعد هناك من يجرؤ على التعدي على أهل المدينة، فعاشت المدينة آمنة عزيزة بمن فيها، وانقلبت مكائد المشركين وأعداء الصحابة بكل أصنافهم وبالًا عليهم أمام حزم خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يسيرون على هدي عقيدتهم يوالون من والاها ويحاربون من حاربها، ولما علم خليفة رسول الله بما فعله الرافضة المرتدون بالمؤمنين باشر علاج مكرهم فأذاقهم رضي الله عنه من كأسهم التي سقوا منها المستضعفين غدرًا أضعافًا مضاعفة بغيرته على الدين والسنّة وأهلها رضي الله عنه، لذلك توارث أعداء الصحابة ومبغضو السنّة منذ ذلك اليوم كراهية خليفة رسول الله والصحابة المكرمين، بقدر ما أحبوا المذبذبين أعداء السنّة الألداء الذين يزعمون أنهم من أهل السنّة وهم يوالون ويحبون ويمجدون ويزورون أعداء أصحاب رسول الله مبالغة في غش السنّة وأهلها وتضليلهم والتمكين للرافضة من التغلغل في بلادهم وإقصاء سنة نبيهم ﷺ.

أثر جيش أسامة العسكري والمعنوي:

أشار كثير من الناس على الصديق رضي الله عنه ألا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، ولأن ما جهز بسببه في حال السلامة وقبل وفاة النبي ﷺ وغدر الرافضة وإعلانهم عن رفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه ورفض أداء الزكاة وردِّ نصوص القرآن والسنة النبوية، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فامتنع الصدّيق عن ذلك، وأبى أشدَّ الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنّ جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ، وأمر رضي الله عنه الحرس أن يكونوا حول المدينة تحوطًا من غدر الرافضة ومكرهم.

ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال: ليتم بعث أسامة وكانت العرب قد ارتدت إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن

هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

وقالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش أي بستان في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطها وعنانها وفصلها، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر رضي الله عنه علم أنه خُلق عناية للإسلام، كان والله أحوذيًّا نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

فكان خروج أسامة وجيشه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم كل من في نفسه حب الوثوب والرفض والتمرد، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يومًا ويقال سبعين يومًا، ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم خليفة رسول الله حينئذ مع الأحياء والقبائل الذين أخرجهم لقتال المرتدين ومانعي الزكاة[1].

فلما انجلت المحنة تبين للصحابة تقدم أبي بكر رضي الله عنه عليهم فقدروا له ذلك وازدادت ثقتهم به حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ اللهُ، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدَّ هؤلاء، تُوَجِّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٩٨.

فوجه أسامة وجيشه حيث وجههم رسول الله ﷺ فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام.

وداع خليفة رسول الله جيش أسامة ووصيته لهم:

نادى منادي خليفة رسول الله فقال: عزمت لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشيًا. فلم يتخلف عن البعث أحد. فلما اكتملت الاستعدادات كافة، خرج أبو بكر يشيع أسامة ومن معه فركب من الجرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، وقيل غير هذا العدد، ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم وهم في معسكرهم فأشخصهم وشيعهم مودعًا لهم وهو ماشٍ وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنه فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن، فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب وما عليّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة؟

وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة ثم ودعه وقال: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إني سمعت رسول الله ﷺ يوصيك، فانفذ لأمر رسول الله ﷺ فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا منفذ لأمرٍ أمرَ به رسول الله ﷺ[1]. فسار رضي الله عنه ساعة إلى جانبه، ثم وقف خطيبًا بين الجنود موصيًا عامة الجيش قائلًا: أيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

- لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تفسدوا، ولا تمثلوا. ولا تقتلوا طفلًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة.
- ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة. ولا تذبحوا شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة.

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد: ٦/ ٢٥٠.

- وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وتقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه.
- وتلقون قومًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها من العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقًا. اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون»(١).

ولا شك أن هذه الوصايا التي تنبع من مفاهيم وقيم النبوة التي جاءت رحمة للعالمين لتثبت الفارق الكبير بين حضارة الإسلام وما فيها من الضبط الشرعي الحاسم في عدم التجاوز على حقوق الغير بأي صيغة كانت كما أن الرقابة كانت، نابعة من الذات كثمرة من ثمار صلاح نفوس المؤمنين وإنسانيتهم ورؤيتهم العالمية التي علمهم الإسلام من خلالها كيف يكون المسلم قدوة لبني البشر في الجوانب الأخلاقية والقيم الحضارية، وواضح كم هو الفرق بين قيم الإسلام العالمي الذي ينظر إلى بني الإنسان بمنظار الأخوة والمساواة وبين منظار الحضارة الغربية في هذا العصر، حيث أصابها الغرور بما لديها من فارق في القوة العسكرية حيث إن جيوشهم وكثيرًا من سياسييهم ينظرون إلى الآخرين شزرًا فيعملون على تنفيذ مآربهم دون وازع من ضمير أو بقية من حياء، ولعل ما يجري في فلسطين والعراق على أيدي جنود الغرب وحلفائهم من اليهود والرافضة، ما يثبت أن قوتهم سلبتهم إنسانيتهم وأفقدتهم الرحمة وسهلت عليهم استمراء الظلم وأكل حقوق الآخرين، وهذا ما ينذر بانهيار حضارتهم واضمحلال قوتهم؛ لأن الظلم الذي بلغوه مناقض لاستمرار الحضارة ومؤذن بانهيارها.

وبعد أن زودهم بهذه النصائح السامية والوصايا العادلة المنصفة، التي تصور نبل الإسلام ورحمته حتى في محاربته لأعدائه، قال رضي الله عنه لأسامة مودعًا وناصحًا: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إن رسول الله ﷺ أوصاك، فانفذ لأمر رسول الله، فإني

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٢٧، مختصر تاريخ ابن عساكر، ١/ ١١٨.

لست آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله[1].

ثم قال لأسامة: اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ابدأ ببلاد قضاعة، ثم ائت آبل ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده فمضى أسامة مُغِذًّا على ذي المروة والوادي وانتهى إلى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيول في قبائل قضاعة والغارة على آبل فسلم وغنم وكان فراغه في أربعين يومًا سوى مقامه ومنقلبه راجعًا[2].

وروي خرج أسامة سريعًا فوطئ بلادًا هادئة لم يرجعوا عن الإسلام جهينة وغيرها من قضاعة. حتى نزل وادي القرى، فسار إلى أُبنى في عشرين ليلة[3].

ولما سار قدّم عينًا له من بني عذرة يدعى حُريثًا، فانتهى إلى أبنى، ثم عاد ذلك العين فلقي أسامة على ليلتين من أبنى فأخبره أن الناس غارّون ولا جموع لهم، وحثهم على السير قبل اجتماعهم. فسار إلى أبنى وعبأ أصحابه ثم شن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليهم، وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم فصارت أعاصير من الدواخين وأجال الخيل في عرصاتهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه سبحة، وقتل قاتل أبيه في الغارة، وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهمًا واحدًا، وأخذ لنفسه مثل ذلك. فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ثم أغذ السير فورد وادي القرى في تسع ليالٍ ثم بعث بشيرًا إلى المدينة بسلامتهم ثم قصد بعد في السير فسار إلى المدينة ستًّا حتى رجع إلى المدينة ولم يصب أحد من المسلمين[4].

قدوم جيش أسامة وعودته إلى المدينة:

لم يعد جيش المسلمين إلى المدينة إلا بعد أن ترك رهبة قوية في نفوس الروم، وذلك أنه قدم بنعي رسول الله ﷺ إلى هرقل وإغارة أسامة في الأرض العربية التي كان يخضع أهلها

---

(١) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥٧. المقريزي: إمتاع الأسماع، ٥٤٠. مختصر تاريخ ابن عساكر، ١/ ١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥٧.

(٣)، (٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد: ٦/ ٢٥٠.

للروم بخبر واحد، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا[1]؟ وقالت القبائل العربية: لو لم يكن للمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما يريدون أن يفعلوه[2] وبقدر ما حقق جيش أسامة من انتصارات على الأرض حقق انتصارات في نفوس الأعداء حتى هُزموا من داخلهم فتشتتتْ جموعهم وتفرقت تحالفاتهم وباتوا يخشون أن يفاجئوا بغارات جديدة من جيوش خلافة النبوة التي لا ترد ولا تهزم.

وقدم أسامة وجيش المؤمنين بعد أن غابوا شهرين وأيامًا وقيل أربعين يومًا وقيل غير هذا، فسمع به المسلمون فخرج أبو بكر ومعه المهاجرون والأنصار، يتلقونهم سرورًا بسلامتهم، ودخل المدينة على فرس أبيه سبحة واللواء أمامه يحمله بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه حتى انتهى إلى باب المسجد. وما زال لواء أسامة الذي عقده له رسول الله ﷺ معقودًا بعد عودته حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ويقال: إنه لم يحل اللواء حتى توفي ووضعه في بيته رضي الله عنه. وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة وجيشه فبعث رابطة من جنده يكونون بالبلقاء فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[3].

ولما دخل أسامة المدينة استخلفه أبو بكر رضي الله عنه عليها، وقال له ولجنده: أريحوا وارعوا ظهركم. ثم خرج رضي الله عنه في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب رضي الله عنهم وكان خليفة رسول الله في مقدمتهم. فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلًا فإن أصيب أمّرت آخر. فقال: والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبيته إلى ذي القصة فنزلها وهي على بريد من

---

(١) الذهبي: عهد الخلفاء الراشدين، ٢٠. الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٨٢.

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٧).

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٢٦٤. الطبراني: المعجم الأوسط، ٨/ ٣٧٣. الصنعاني: المصنف، ح (١٣٩٨٧).

المدينة فقطع فيها الجنود وكتّب الكتائب[1] وكان خليفة رسول الله رضي الله عنه يقول: فاتقوا الله أيها الناس! واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، والله! لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه[2].

واستعد رضي الله عنه لمتابعة الرافضة المرتدين في كل أرض؛ لأنهم كانوا أخطر على الإسلام وأهله من المشركين والروم الصليبيين، وأخطر من كل أعداء الإسلام، لما لديهم من وسائل الخداع والتضليل والجاسوسية، ولما يحملون في نفوسهم وعقائدهم من الحقد والكراهية للإسلام وأهله فكان خليفة رسول الله ﷺ مصيبًا في كل اجتهاداته رضي الله عنه فجنت الأمة من مساعيه المشهودة الأمن والوحدة والانطلاق إلى قيادة العالم ونشر الأمن والعدل في ربوعه على هدي النبوة وتعاليم الوحي.

لقد كان أروع ما في موقف خليفة رسول الله في مواجهته لفتنة المرتدين أنه قابلها بأحزم ما تقابل به من الحزم والعزم المتواصل على استئصالها من صيحتها الأولى ولم يلتفت إلى متأول أو منظر أو متردد، فلم يكن بحاجة لشيء من ذلك حيث كان يبصر الحقيقة بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فقاعدته الصلبة التي سار عليها إما السنة وإما الردة ولا لقاء بينهما، فتعقب الردة بحزم متجدد لا خور فيه ولا وهن، واستمر على ذلك حتى أسلمت مقادها وثابت إلى قرارها وانطفأت نارها، التي جاء المفلسون في هذا العصر ممن يزعمون أنهم من أهل السنة ليحرثوا في رمادها أملًا في بعثها من جديد لتحرق السنة وأهل السنة ويجني أولئك المفتونون اللعنة في الدنيا والآخرة بمخالفتهم منهج الصحابة وفقههم وإجماعهم وبتدليسهم على أمة السنة دينها وعقيدتها.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢١٣.

موقف خليفة رسول الله بعد عودة جيش أسامة:

لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر رضي الله عنه واستخلفه على المدينة ومضى حتى انتهى إلى الرَّبذة على ثلاثة مراحل من المدينة يلقى بني عبس وذبيان وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة فلقيهم بالأبرق فقاتلهم فهزمهم الله وفلهم، ثم رجع إلى المدينة فلما جمّ جند أسامة وثاب مَنْ حول المدينة خرج إلى ذي القصة فنزل بهم وهو على بريد من المدينة تلقاء نجد فقطع فيها الجند وعقد الألوية فقد عقد أحد عشر لواء على أحد عشر جندًا، وأمر أمير كل جند باستنفار من مر به من المسلمين من أهل القوة وتخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم.

فلما أراح أسامة وجنده ظهرهم وجمّوا بعد عودتهم، وقد جاءت صدقات كثيرة إلى المدينة ممن ثبتوا على الإسلام تفضل عن حاجة أهل المدينة قطع أبو بكر رضي الله عنه البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له. ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت. ولخالد بن سعيد بن العاص وكان قدم على تفيئة ذلك من اليمن وترك عمله وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام. ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث ولحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا. ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه. وبعث شرحبيل ابن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل، وقال: إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة، ولطريفة بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين ففصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلى من بعث إليهم من جميع المرتدة بكتاب واحد[1].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥٧.

فكان كتاب الخليفة إلى المرتدين واحدًا:

فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابًا واحدًا: بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله نُقر بما جاء به ونُكفر من أبى ونجاهده، أما بعد: فإن الله تعالى أرسل محمدًا ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[2].

وقال للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3]. فمن كان إنما يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديًا، ومن أضله كان ضالًّا. قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[4]. ولم يُقبل منه في الدنيا

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٧.

عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به اغترارًا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2]. وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم، حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسرَّ به، ومن لم يجب

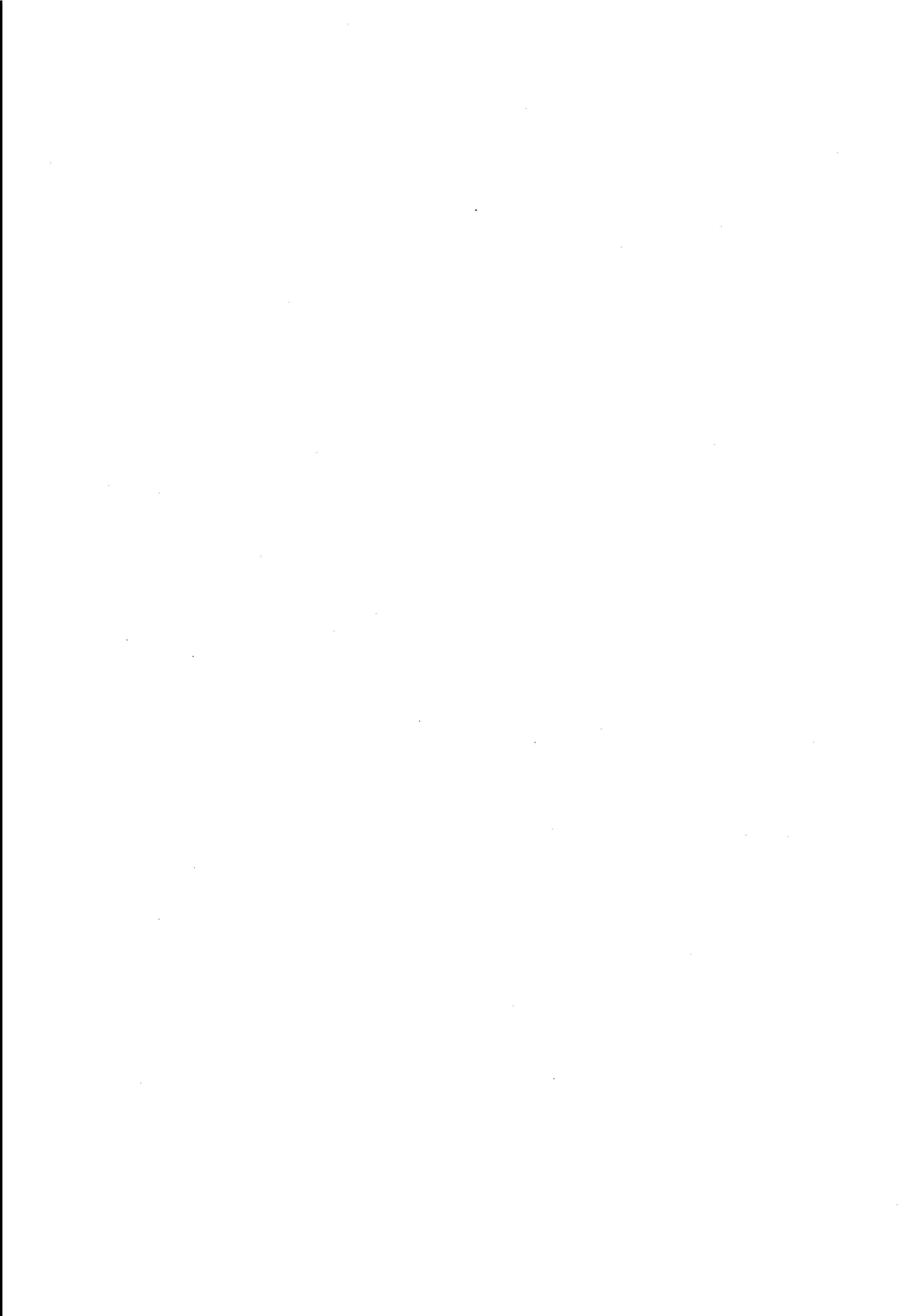
(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠. (٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يُبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيونًا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[1].

وبهذا الحزم والعدل والوضوح تصدى خليفة رسول الله لأكبر فتنة تمر بها الأمة بعد وفاة نبيها عليه الصلاة والسلام قادها أعداء الصحابة ببغيهم وحقدهم وظلمهم وكفرهم، لكنهم صدموا بما كان عليه خليفة رسول الله فحل الإسلام وقاهر الرافضة المرتدين ومن يساندهم من حلفائهم المجوس والصليبيين، حتى استقرت رايات السنة في ربوع العالمين، وطمس نار المجوس، وغسل الأرض من رجس الصليبيين، فبقيت الرافضة بباطنيتها تجتر الحقد على خليفة رسول الله والصحابة أجمعين ومعهم أمة العرب التي أنجبتهم، تتحين الفرص في كل عصر، تتحالف مع الأعداء والغزاة والمحتلين وتزيف نصوص الشرع وتشكك في ثوابت الدين وتجدد جلدها وحقدها للتعامل بذلك المكر والبغض للسنة وأهلها في كل مصر وعصر تتمكن فيه من ذلك، وعلى هذا بقيت السنة النبوية وموروث النبوة وحب الصحابة وحماية أعراضهم والذود عن إنجازاتهم والتمسك بمنهجهم أمانة في أعناق المؤمنين وأحرار الإسلام وحملة القرآن وحماته يبذلون من أجلها الوقت والمال والدم حتى يبقى ذلك الموروث الطاهر نقيًّا صافيًا عزيزًا كما أراده رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمون رضي الله عنهم، ومن بعدهم السائرون على منهاج النبوة من أخيار هذه الأمة وسادتها.

* * *

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥٨.



المبحث الثاني

أقسام الردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها

الردة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

والرد: صرف الشيء ورجعه، وقد ارتد وارتد عنه. والردة عن الإسلام: الرجوع عنه. وارتد عن دينه: إذا كفر بعد إسلامه[3] والردة ولغت فيها قبائل أنسابها متعددة، وديارها متفرقة، وأهدافها متشعبة، وبدوافع ووسائل وأفكار متنوعة، وفي أوقات مختلفة، فمنهم من نابذ الإسلام وعاد إلى الكفر، ومنهم من ترك الصلاة ومنع الزكاة، ومنهم من أعلن رفض

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ردد)، ٣/ ١٧٣. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٠٩.

الزكاة فقط، وكان من بينهم من سمح بالزكاة كبني يربوع الذين منعهم زعيمهم مالك بن نويرة من ذلك.

أقسام المرتدين:

لم يكن المرتدون أبناء مدرسة واحدة، لذلك تباينت أهدافهم نوعًا ما، وإن كانت تقف جميعها على أرضية مشتركة تتمثل في العمل على رفض خلافة النبوة وإنهاء وجودها، ولكن من هؤلاء من اكتفى بالإعلان عن رفضه لفريضة الزكاة وهدمه لهذا الركن من أركان الدين وتظاهره بالسكوت عما سوى ذلك.

وهم المطالبون بالإعفاء من الزكاة، حيث يظهر أن هؤلاء أخف الناس خطرًا على السنة النبوية والخلافة الراشدة، ولكنهم كانوا أول من شق عصا الطاعة وسعر الفتنة، مما أكد سلامة وصحة ودقة موقف خليفة رسول الله الحاسم من الرافضة المرتدين، وأنه ليس أمامهم إلا التمسك بالسنة النبوية أو الانغماس بالرفض والردة، ومن هذا الصنف عامة قبائل بني عبس وذبيان. ومن انضم إليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة، الذين سولت لهم أهواؤهم أن الزكاة ضريبة اختص بجبايتها رسول الله ﷺ فساروا بجموعهم نحو المدينة حتى نزلوا بالأبرق وذي القَصّة وهي عن المدينة على مرحلة، وبعثوا وفدًا منهم إلى خليفة رسول الله يطلبون إليه أن يعفيهم من الزكاة ما داموا يقيمون بقية الفروض والأركان كما يزعمون، فتبين أن هؤلاء وإن زعموا أنهم يؤدون فرائض الإسلام الأخرى ما عدا الزكاة؛ لكنهم أول من حمل السلاح وعمل على شق الصف الإسلامي وتدخل فيما لا يجوز الاجتهاد فيه من ثوابت الدين؛ لذلك كان الموقف حاسمًا معهم لأنهم حملوا السلاح وأرادوا فرض ما يعتقدون على المسلمين بالقوة، ولأنهم أول من اجترأ على عاصمة المسلمين بما يؤكد أن تحضيراتهم وجموعهم التي كانت ترافق مطالبهم تنقض ما يزعمونه من الرضا بفرائض الإسلام الأخرى وإنما أرادوا مخادعة الخلافة كما هو خُلُق الرافضة.

وهناك صنف آخر من الرافضين لخلافة النبوة أعلنوا ردتهم عن الإسلام ككل ورفضهم

لكل ما جاء به النبي ﷺ من تكاليف في العبادة أو غيرها، وذلك بعد أن بايع قادتهم رسول الله ﷺ على الإسلام في عام الوفود عن أنفسهم وعن قبائلهم، مما وفّر لهم الأمن في بلادهم فلم تتعرض لهم سرايا الصحابة وكتائب المجاهدين التي كان يبعثها رسول الله ﷺ لتبليغ الدين وتوطيد وحدة المسلمين وتنظيم إدارتهم بكل جوانبها الإدارية والسياسية والمالية والأخلاقية والاجتماعية إلا أن هؤلاء على ما يبدو لم يعودوا إلى دين الجاهلية وتعظيم الأصنام وعبادة الأوثان وما إلى ذلك.

مثل أهل البحرين وملكهم المنذر بن ساوى العبدي، وكان النبي ﷺ قد بعث العلاء بن الحضرمي إليه فأسلم على يديه، وأقام فيهم الإسلام والعدل، حتى مات المنذر بعد وفاة النبي ﷺ فارتد أهل البحرين إلى وثنيتهم الأولى، وقال قائلهم: لو كان محمد نبيًّا ما مات، ولم يبق على الإسلام سوى قرية يقال لها جواثا وهي حصن في البحرين حاصرهم فيها المرتدون، وضيقوا عليهم، ولكنهم ثبتوا على إسلامهم بفضل ثبات إيمان رجل من أشرافهم، هو الجارود بن المعلى، فقد خطبهم قائلًا: «أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد ﷺ؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمدًا ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقالوا: ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ»[1]. فثبات أهل جواثا على الإسلام دليل دامغ على أن الرافضة من حولهم كانوا متعمدين رفض الإسلام وتبني الردة، وفي موقف الجارود ما يؤكد أن هذا الدين إنما ينصر بمواقف الرجال وليس بأقوالهم فقط، وأن من لم تكن فيه الغيرة والحمية على الكتاب والسنة فإن إسلامه فارغ المحتوى وإن زعم، حيث إن قيمة الإسلام في نفوس أهله تظهر من استعدادهم للدفاع عنه والتضحية من أجله.

وصنف ثالث ارتدوا عن الإسلام بعد الدخول فيه واتبعوا أدعياء النبوة الذين ظهر بعضهم في حياة النبي ﷺ كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وبعضهم ظهر

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٢٨.

بعد وفاة النبي ﷺ مثل سجاح بنت الحارث التغلبية، وهي من نصارى العرب، وقد استجاب لها بعض بني تميم وجماعة من أمرائها، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة، وعطارد بن حاجب، وتخلف عنها آخرون، ثم تحالفت مع مسيلمة الكذاب وتزوجته وجعل صداقها أن وضع عن قومها صلاتي الفجر والعشاء[1].

وصنف آخر من الرافضة المرتدين سوغ موقفه الخارج على خلافة النبوة بعدم اقتناعه بأداء التكاليف الشرعية بما فيها من عبادات بدنية ومالية وضوابط أخلاقية وقيم اجتماعية، وأمام وطأة شهواته وعاداته وعلاقاته الجاهلية ارتد عن الإسلام خاضعًا في ذلك لعبودية مؤسسي دين رفض خلافة النبوة والرضا بطاعة الأهواء وعبادة المراجع البشرية، ومن يشرع لهم من دون الله تعالى بدلًا عن الكتاب والسنة النبوية.

على أن المرتدين لم تكن لهم قيادة موحدة، ولم تجمعهم أرض واحدة، ولم يعلنوا رفضهم وردتهم في وقت واحد، وإنما جاءت أحداث متلاحقة وإن تقاربت صبغتها العامة، لكنها لم توحد جهودها، ولم تعمل على توحيد قيادتها في أنحاء الجزيرة العربية، وإن توحدت بعض القبائل في بعض المواضع، وهذا يدل على أن تحرك تلك القبائل الرافضية كان على غير هدى ولم تكن لهم أهدافهم المعلنة الواضحة كما هو اليوم، وإنما كانت محاولاتهم تدور حول إثبات سلطان بعض القبائل أو التمرد عن أداء المناسك والعبادات والتمرد على الضوابط الشرعية، وإن كان بعض تلك القبائل يحاول العمل على انتزاع السلطة من المدينة ومن المهاجرين والأنصار، لكن لم تكن خططهم ومناهجهم واضحة في هذا الباب، لذلك سرعان ما انطفأت نارهم وتمزقت قواتهم أمام صبر المجاهدين واحتسابهم ووضوح أهدافهم وقوة حجتهم وعدالة قضيتهم.

فلم تصمد الردة بكل أطياف رفضها أمام إرادة أهل الإيمان بالكتاب والسنة ووضوح المنهج وسمو الأهداف التي كان يغذي بها خليفة رسول الله كتائب المجاهدين الذين سرعان

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٣١.

ما أزهقوا قادة الردة المتنبئين والسياسيين والأذناب، وأخرجوا المغرر بهم من بين أيديهم وأعادوهم إلى الرشد والهدى، ومن ثم نصروا المؤمنين الذين استضعفتهم الرافضة في جولة ردتها فشنعوا بهم تقتيلًا وتعذيبًا، ومن أصر على رفض خلافة النبوة ولم يقبل الحوار والعودة إلى السنة وما جاء به رسول الله ﷺ واجههم خليفة رسول الله بأقصى وسائل المواجهة لعظيم ما اقترفوه واجترؤوا عليه من رفض القرآن والسنة، وكانت أوامر خلافة النبوة واضحة في مواجهتهم دون أي لبس أو غموض، فمن أصرّ على الرفض فإنما له القتل والحرق والإلقاء من شامخات الجبال، وهذا ما كان يؤمن به الأنصار والمهاجرون ومن معهم من تابعيهم من جند خليفة رسول الله، فقضوا بذلك على دابر الرافضة المجترئين على الله ورسوله ﷺ حتى استقام الدين ورسخت السنة، وهذا هو المنهج النبوي الراشدي الذي يجهله كثير ممن يزعم أنهم من علماء السنة في هذا العصر في مواجهة الرفض وحركات هدم الإسلام، حتى جعلوا بجهلهم من أنفسهم جسرًا لتمدد الرفض والردة بين أهل السنة النبوية، وذلك بما يجترونه من مدح لأعداء الصحابة وثناء على جهودهم الموهمة والمخادعة التي يزعمون أنهم يخدمون فيها الإسلام، فأنجز لهم عبيد الخميلة والخميصة من أدعياء السنة بذلك الثناء الواهم الذي يقوم مقام التزكية لدينهم وأعمالهم الهدامة ومخططاتهم المدمرة، ما لم يتمكنوا من إنجازه خلال قرون طويلة.

وبقي الخطر الأكبر من آثار حركة الرفض والردة الأولى، أنها أوجدت الأرضية التي يقف عليها أعداء الكتاب والسنة وفي مقدمتهم المجوس الذين غُلبوا أمام المسلمين فتلبسوا بالباطنية والغدر لمواجهتهم، ومن ذلك التظاهر بالإسلام والدفاع عنه؛ مع الاتفاق التام على رفض كل ما جاء عن طريق العرب وأصحاب رسول الله ﷺ ومعلوم أن الإسلام كله جاء عن تلك الطريق وكل ما لم يأت عنها فليس من الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا ما يشهده العقلاء في هذه الأيام حيث العمائم والمسميات والمظاهر الإسلامية التي خطفت أبصار الغوغاء، بينما المستباح هو الإسلام ولا سيما المصاحف وكتب السنة المطهرة والمساجد والأئمة والقراء والحفاظ وجميع العقلاء من أهل السنة النبوية، والمتابع لما يحصل على

أرض الواقع يجد البون الشاسع والتناقض الكامل بين ما يقوله الرافضة وما يقومون به. وقد سلك هذا المنهج أعداء العقيدة من كل الأجناس الذين يحاربون السنة في هذا العصر بأفكار علمانية صليبية وإلحادية أقامت تحالفات مع الرافضة على حرب السنة وأهلها على الصعد كافة في العالم الإسلامي.

ومع تنوع حركات الردة فإنها تتفق في سمة واحدة وهي رفض خلافة النبوة، وهذا ما يدين به الرافضة في عملهم المستمر منذ ذلك التاريخ للإطاحة بالخلافة، والردة إلى الجاهلية ولكن بعد أن طوروا وسائل عملهم بما يعين على تمويه أهدافهم وإخفاء مطالبهم الحقيقية مما ساعدهم على الوصول إلى الكثير من تلك الأهداف الخبيثة يعينهم على ذلك غفلة الكثير ممن يحسب على علماء السنة وهو فاقد لرابطة الولاء لها والبراءة من أعدائها، لذلك سقط في الهاوية كل من يحسن الظن في الرافضة، لأنهم يدينون بعداء الصحابة والكفر بكل ما جاء عن طريقهم، الأمر الذي جعلهم ومن يعتقد فيهم الإسلام بعيدين كل البعد عما جاء به النبي ﷺ.

وذلك أن القرآن والسنة حملهما الصحابة رضي الله عنهم والرافضة يعتقدون أن الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ[1] وبالتالي فإن كل ما جاء عن طريقهم فهو مردود لا يعملون به، والحقيقة أن كل الإسلام جاء عن طريق الصحابة، وكل ما لم يأت عن طريقهم فليس من الإسلام؛ لأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ إنما حمله أصحابه رضي الله عنهم ومن ثم بلغوه للناس وجاهدوا مَن وقف أمامهم لمنع تبليغه كما جاء به محمد ﷺ، لا كما يريد المبطلون الملبسون على الأمة أمر دينها.

ومن هنا تأتي خطورة من يُحسن الظن في الرافضة وهو يزعم أنه من أهل السنة، لأن هذا

(١) إن كراهية الرافضة لأهل السنة النبوية ليست وليدة اليوم، ولا تختص بالمعاصرين، بل هي كراهية عميقة تمتد إلى جيل الصحابة ما عدا ثلاثة منهم وهم: أبو ذر والمقداد وسلمان، روى الكليني عن أبي جعفر قال: (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري) الكليني: روضة الكافي، ٨/ ٢٤٦. الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٢.

سيخرجه عن عقيدته وينقله إلى ما لا يعتقده أهل السنة والجماعة، وما يخالف به منهج خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم فيقوده ذلك إلى اللحاق بركب الرافضة الذين يردون كل ما جاء عن الصحابة من الدين، وأهل السنة يقولون: إن كل من يطعن في الصحابة رضي الله عنهم إنما هو زنديق هدفه الطعن في الكتاب والسنة، ولما لم يجرؤ على إعلان عقيدته هذه أخذ يموه ويشبه ويصنع الأباطيل ويضع الروايات المكذوبة وينسبها إلى الصحابة رضي الله عنهم لتنفير الناس عنهم وبالتالي إبعادهم عن القرآن والسنة وعن كل ما رواه الصحابة، وهذا ما وقع فيه الغوغاء من أهل السنة، حتى إن البعض منهم تجده عالمًا في أحكام الفقه أو في التفسير أو اللغة وغير ذلك، لكنه لم يضع لنفسه ثوابت يسير على هديها فتجده تارة يهوي وتارة يقف، فتتلاعب به أهل الأهواء ويسخرونه لخدمة أهدافهم البعيدة الرامية إلى إقصاء السنة وتحطيم أهلها، وهذا ما يفعله في هذا العصر من يزعم أنه من علماء أهل السنة لكنه معجب بالرافضة ويمجد مكرهم وحقدهم على السنة وحملتها أصحاب رسول الله ﷺ وعلى ورثتهم، وهذه هي عقيدة الغوغاء التي طالما هوت بهم ثمالى في أوحال مكر الرافضة وأوقعتهم في شباكهم، وزيّنت لهم الردة ومعاداة حملة الكتاب والسنة، وأوقعت عوامهم في الفرقة والوهم لأن الغوغاء لم يربطوا علمهم بالعقيدة وثوابتها الراسخة.

وكل هذا يوجب على المسلمين معرفة سيرة خليفة رسول الله بكل تفاصيلها، وكيف كان يقتدي بمواقف رسول الله ﷺ، ويتذكر كيف كان المشركون يموهون عليه ويساومونه حتى قال ﷺ يرد على إغراءاتهم: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**» فكيف يُغلب من كان رسول الله ﷺ قدوته وقد طبق ذلك أبو بكر رضي الله عنه عمليًّا ومعه أصحاب رسول الله ﷺ في مواجهتهم للمرتدين، فوجب على كل مسلم في هذا العصر الذي استعرت فيه الدعوة إلى الرفض والردة بأشكال وألوان متعددة؛ معرفة تلك السيرة العطرة ووسائلها التي أنقذت الأمة من كيد الرافضة المرتدين وأحقادهم وتفعيل ذلك والتخلق به وتطبيقه في هذا العصر لإنقاذ السنة النبوية وأهلها من تلك الأخطار التي تضاعفت وازدادت خبرة في التآمر على الإسلام

والمسلمين، وحقدًا على السنة النبوية المباركة وأهلها الأبرار. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

أسباب الردة:

لعل القارئ يتساءل عن أسباب الردة ودوافعها الحقيقية، وهنا يمكن القول: إن أسبابها لا تنحصر في سبب واحد، ولعل من أبرز تلك الأسباب:

اعتقاد كثير من زعماء القبائل أن مسألة النبوة انتهت بوفاة النبي ﷺ وأنهم أصبحوا في حل من أي التزام تجاه التوحيد ووحدة الأمة وأركان الإسلام وضوابطه، وأنهم غير معنيين بكل ما يقوم به المهاجرون والأنصار من إجراءات أو قرارات بما في ذلك بيعتهم لخليفة رسول الله وليقوم بكل ما كان يقوم به رسول الله ﷺ في قيادة الأمة والنظر في مصالحها، فهذا الاعتقاد وأبعاده من أهم ما أوقعهم في هاوية رفض طاعة الخلافة والردة عن الإسلام ككل، وذلك لقرب عهدهم بالجاهلية والفوضى الإدارية والسياسية التي كانت تعيشها أمة العرب، وعمل كل زعيم بما يراه مناسبًا لتثبيت زعامته وما يتبعها من دوافع المنافسة والسمعة وما إلى ذلك.

ومن أسبابها ضعف إيمان المرتدين لحداثة عهدهم بالإسلام ولعدم فهم الأبعاد الحقيقية الربانية والعالمية في الرسالة الإسلامية، وما على كل مسلم من واجبات تجاهها، وعدم فهمهم أن الإسلام جاء ليرفع الذل عن الأذلاء ويزيد الأعزاء عزًّا، وأنه لجميع بني البشر، وعدم قدرتهم على الخروج من قوقعة العصبية القبلية وتبعاتها السلبية حتى قال قائل المرتدين في هذا الباب: كذاب ربيعة خير من صادق مضر. وهذا كله يدور في عادات الجاهلية وأخلاقياتها وعمل أهلها على تثبيت سلطانهم على أي شريعة كانت، حتى لو كان ذلك بالحيف والظلم للآخرين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.

ومن أسباب الردة الأخرى التحالفات التي كانت قائمة بين بعض القبائل العربية في الجاهلية ودخول بعض القبائل في الإسلام وبعضها بقي خارج الطاعة مما فكك بعض تلك الروابط فكان من نتيجة ذلك أن تغيرت الخارطة الجغرافية لسكنى بعض القبائل حيث ضعف بعضها وقوي بعضها الآخر؛ فأزاحت القبائل القوية القبائل الضعيفة عن مواطنها، فعندما ظهر الرافضة المتنبئون تغيرت التحالفات من جديد فسعت بعض القبائل إلى إحياء تحالفاتها القديمة، وبعضها عقد تحالفات جديدة؛ فتغيرت الأهداف، وتضاربت المصالح عند طلاب الدنيا ممن كان يبحث عن المكاسب بأي وجه كان حتى لو كان ذلك على حساب الدين وحقوق الآخرين[1].

ولعل من دوافعها الأخرى عند بعض المرتدين عدم قدرتهم على العيش في حياة مستقيمة بضوابطها الشرعية الصحيحة، ورغبتهم في العودة إلى نزوات الجاهلية وما فيها من آثام المعاصي وانعدام الضوابط، وهذا ما تعمل الرافضة على إعادته إلى النفوس المريضة التي تتبعهم تحت مغريات الشهوات وانعدام الحواجز الشرعية من الحلال والحرام.

ولعل ما يدين به الرافضة في هذا العصر من الإباحية المسماة بالمتعة التي لا يحد النساء فيها عدد ولا زمن سواء كانت بكرًا أم ثيبًا أو غير ذلك، وإباحة كل ذلك على ألا يسمى هذا إباحية وإنما يُسمى متعة، لعل ذلك من الأبواب المغرية عند البعض للدخول في الرفض والردة، وكذلك ما صنعوه من أحاديث مكذوبة تهون عليهم الولوغ في المعاصي، ومن ثم تدعوهم إلى الإسهام في إقامة الطقوس التي تغذي الحقد على السنة النبوية، وأن المشاركة في تلك الطقوس تغفر جميع الذنوب التي يرتكبونها في حياتهم[2]! أي أن إيذاء أهل السنة ومخالفتهم دين عند الرافضة!!

وكذلك في الصلوات وفي الصيام واستبدال الحج إلى بيت الله بالحج إلى أوثان القبور والمشاهد التي أوجدوها لتشتيت الولاء وتمزيق الصفوف وإحداث المنافذ وإكثار المعظم

---

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٦٢. (٢) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ١٠٩.

من دون الله، ولصرف الناس عن الكعبة المشرفة التي تجتمع عليها الأمة في أكبر مظاهر وحدتها في فريضة الحج، واستبدال طاعة الله بطاعة المراجع الذين يشرعون من دون الله كما نشهده الآن في موالاة الرافضة لليهود والصليبيين ورفضهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، بل إنهم في فتاواهم جعلوا من يقاتلهم دفاعًا عن دينه وأرضه وعرضه مرتدًّا يجب مقاتلته واتهامه وتسويد سيرته والاستعانة عليه بكل حاقد وعدو لأمة محمد ﷺ، وهذا ما هو ثابت في العراق اليوم لكل مراقب عاقل عادل يعي الأهداف الحقيقية لما يدور حوله.

ولا يخفى أن الرافضين لخلافة النبوة من المرتدين كانوا يجدون الامتداد الداعم لهم في أحضان أعداء العرب المسلمين الذين يرفضون أن يكون لهذه الأمة دولة وكيان أو ديانة وشريعة حتى لو كانت دولتهم خير دولة يعيش فيها الناس جميعًا سواسية، وما يحمله الفرس والروم على أمة السنة النبوية من الأحقاد والحسد والعمل على تقويض هذا الكيان منذ نشأته الأولى على يدي رسول الله ﷺ ظاهر معلوم، وقد فعل هؤلاء كل ما في وسعهم للحيلولة دون وصول الإسلام إلى الناس، وهذا ما شجع الرافضة سابقًا ولاحقًا على التعامل مع المسلمين بمنتهى الحقد والكراهية، وذلك أنهم ورثوا حقد كل أعداء الإسلام ووجدوا فيهم الحليف الطبيعي الذي يؤويهم ويساندهم ويمدهم بالغي ويشحنهم بالبغضاء والكراهية فضلًا عن المال والسلاح والتحريض على حرب السنة وتدمير أهلها بأي وسيلة متاحة وتحت أي مظلة كانت، ولعل هذا ما يشهده الناس من استمرار هذا التحالف الآثم على السنة النبوية في هذا العصر وبما هو أشد مما كان عليه أجدادهم من قبل.

ولكنهم لن يفلحوا بإذن الله تعالى فكما استطاع المهاجرون والأنصار دحر الرفض والردة تحت راية إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله فإن تابعيهم بإحسان من أبناء الطائفة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

المنصورة، ومع الوهن والعجز والمداهنة وسوء الفهم الذي يتلبس به الكثير من أهل السنة المعاصرين، سائرون على ذات المنهج حتى يفقؤوا عيون الرفض والردة المعاصرة وبكل مسمياتها وتمويهاتها كما فعل سلفهم الصالح الذي رسم لهم الطريق، ولتبقى أمة الكتاب والسنة كما أرادها نبيها ﷺ بأن تكون بلا تبديل ولا تغيير. قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

الخلافة والمرتدون:

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت عامة العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على إمامهم أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله. قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، اشرأب بالمدينة النفاق وارتدت العرب. فوالله ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظها وغنائها عن الإسلام[2].

وذكر أن كثيرًا من أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم والي مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه فتوارى عن الأنظار، فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه. فتراجع الناس وكفوا عمّا همّوا به، فظهر عتاب بن أسيد رضي الله عنه. وهذا هو المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر رضي الله عنه حين أشار عليه بقلع ثنيتي سهيل بن عمرو يوم جاء سفيرًا مفاوضًا عن قريش وأهل مكة في يوم الحديبية، وقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمنه! وقد قام ذلك المقام وخطب كخطبة إمام الأمة خليفة رسول الله.

قال ابن كثير: وقد ذكرنا ما وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ من الردة في أحياء كثيرة من العرب، وما كان من أمر مسيلمة بن حبيب المتنبي باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وما

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.
(٢) البلاذري: الشيخان، ٢٨.

كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذي استفزهم الشيطان به، حتى نصرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدي خليفة رسول الله الصديق أبي بكر رضي الله عنه[1].

فإذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين، فهي قد كشفت عن الإيمان والدين والفداء السمح واليقين المبين عند المؤمنين، فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والإيثار والحمية التي ما زالت تشرق بها صفحات الأيام، وجاءت الشهادة الأولى على لسان رجل من أصحاب طليحة بن خويلد الأسدي حين سأله طليحة: ويلكم ما يهزمكم أمام المسلمين؟ فقال له: أنا أحدثك ما يهزمنا؛ إنه ليس رجل منّا إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله، وإنا لنلقى قومًا كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه! وقد سأل آخرون من أعداء المسلمين هذا السؤال فكانت الإجابة واحدة، وهذه هي روح النصر والحمية النابعة من الإيمان التي كان يحملها السلف فواجهوا بها الرافضة المرتدين بأعلى درجات الاستعداد والعنفوان حتى سحقوا رفضهم ومكرهم وحقدهم ولم ينجهم إلا الإعلان بدخول الإسلام، والشهادة على أنفسهم بالردة والتوبة المعلنة عن كل ذلك مع الحذر الدائم منهم إلا أن يثبت حسن إسلامهم، وهذه السياسة في التعامل مع أعداء السنة هي التي يجب أن تُبعث في قلوب المؤمنين في هذا العصر حتى تثبت السنة وتزول عواصف الردة والمكر والكيد الرافضي الذي صال وجال في ديار أهل السنة بعد أن غابت سياسة خليفة رسول الله التي رسمها لمن يُبتلى بالرافضة في أي عصر أو مصر.

وقد امتحنت دعوة الإسلام وامتحنت جميع الدعوات التي نهضت لمنافسة الإسلام بقوة السلاح وقوة الدهاء وقوة العصبية فقضت له بالبقاء وقضت عليها بالفناء. ولو كان نجاح الدعوة الإسلامية نجاح سلاح أو دهاء أو عصبية لكان أصغر متنبئ من أدعياء الردة خليقًا أن يطمع في ذلك النجاح، لأنهم بدؤوا دعوتهم ومعهم من جموع القبائل التي تعتز بعصبياتها

---

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٥٤.

ما لم يتهيأ لصاحب الدعوة المحمدية قبل عدة سنين، وصدقهم أناس كانوا يقولون: إن نبيًّا كاذبًا منهم خير من نبي صادق من مضر أو قريش[1].

موقف خليفة رسول الله من الردة:

من المواقف المشهورة بعد وفاة النبي ﷺ أن خليفة رسول الله سيّر جيش أسامة وفيه زهرة قوات المدينة؛ فارتدت العرب، وتضرمت الأرض نارًا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا، وقال ابن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المغرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على كفرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب. وارتدت سُليم مع الفجاءة، واسمه أنس بن عبد ياليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

وبعد أن تبلورت هذه المواقف اجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة بن خويلد الأسدي وبعثوا وفودًا إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم، فحملوهم إلى أبي بكر رضي الله عنه على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على الحق، وقال: لو منعوني عقالًا لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم، فأخبروهم بقلة أهل المدينة، وأطمعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأت وفود الرافضة المرتدين منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلًا يأتون أم نهارًا، وأدناهم منكم مسافة على بريد.

وقد كان القوم يؤمّلون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم، فاستعدوا وأعدوا.

فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارة، وخلّفوا نصفهم بذي حُسى ليكونوا رِدْءًا

---

(١) البلاذري: الشيخان، ١٠٧.

لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكانكم. وخرج أبو بكر رضي الله عنه إليهم في أهل المسجد على النواضح من الإبل، فانفض العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسى فخرج عليهم الكمين ثم التقوا مع الجمع فكان الفتح والنصر للمسلمين والهزيمة للرافضة المرتدين. وقد قال الحطيل بن أوس، ويقال الحطيئة يؤكد رفضهم لخلافة النبوة وتمردهم على المسلمين ورفضهم لأداء الزكاة وأن عدم قبول المسلمين منهم الصلاة دون الزكاة أمر يبعث على السرور في نفوسهم؛ لأنهم يريدون أن تنتهي الأمور إلى ذلك كما سيتأكد هذا لاحقًا أيضًا:

أَطَعْنَا رَسُولَ الله ما كَانَ وَسْطَنَا ... فيا لَعِبادِ الله ما لأبي بكرِ

أَيورثنا بكرًا إذا مـاتَ بَعْدَهُ ... وتلكَ لَعَمْرُ الله قاصِمَةُ الظَّهْر

وَإِنَّ التي سألوكمو فمنعتمو ... لكالتمرِ أو أحْلَى إلَيَّ مِنَ التمرِ[1]

أي سؤالهم للمسلمين أن يعفوهم من دفع الزكاة وكان في ذلك تدليس في التفاوض فهم إنما يريدون أن ينظروا إلى أي مدى يتمسك المسلمون بشعائرهم ولو أجابوهم إلى مطلبهم هذا لاحتجوا بغيره إلا أنهم وجدوا من يفقه كل ما يدور في أذهان رافضي خلافة النبوة ويعلم مقاصدهم ووسائلهم فقطع عليهم الطريق وأكد لهم أن الإسلام كل متكامل إما أن يقبل كله أو يرفض كله وأمام موقف خليفة رسول الله الحاسم من الرافضة انكشفت مقاصدهم الهدامة، بل أبدوا فرحهم لرفض المسلمين إعفاءهم من فريضة الزكاة، وهذا ما اتضح في قول شاعرهم الذي أكد تمنيهم رفض المسلمين قبول الصلاة من دون الزكاة ليجعلوا من ذلك ذريعة لقتالهم ومهاجمة المدينة، وهذا ما فعلوه.

وبعد هذه الأحداث وانشغال الخلافة بالرافضة من حول المدينة، ومن ثَمَّ انضمام المنهزمين منهم إلى تجمعات المرتدين استغلظ أمر مسيلمة الكذاب، واجتمع طليحة مع قبائل طيئ وأسد وارتدت غطفان تبعًا لزعيمها عيينة بن حصن، وهو صاحب المقولة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٦.

المشهورة أيام الردة: نبي من الحليفين - يعني أسدًا وغطفان - أحب إلينا من نبي من قريش، وقد مات النبي ﷺ وطليحة حي، فاتبعه وتبعته غطفان. وقدمت رسل النبي ﷺ من اليمامة وأسد وغيرهما، فدفعوا كتبهم لأبي بكر رضي الله عنه وأخبروه الخبر عن مسيلمة وطليحة وعن غدر الرافضة المرتدين.

فقال خليفة رسول الله لعمال النبي ﷺ: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم، فكان كذلك وقدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتفاض العرب عامة أو خاصة وتسلطهم على المسلمين، فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم، حاربهم بالرسل فرد رسلهم بأمره وأتبع رسلهم رسلًا وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وجيشه، فكان عمالَ رسول الله ﷺ: على قبائل قضاعة وكلب: امرؤ القيس بن الأصبع الكلبي. وعلى القين: عمرو بن الحكم. وعلى سعد هذيم: معاوية الوالبي فارتد وديعة الكلبي فيمن تبعه، وبقي امرؤ القيس على دينه. وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو بن الحكم. وارتد معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم. فكتب خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه إلى امرئ القيس الكلبي وقد ثبت على الإسلام وفارق الرافضة، وهو جد سكينة بنت الحسين رضي الله عنه فسار بوديعة إلى عمرو، فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري، وتوسطت خيل أسامة رضي الله عنه ببلاد قضاعة فشن الغارة فيهم، فغنموا وعادوا سالمين[1].

وواضح أن خليفة رسول الله لم تفجأه حركة الردة ورفض خلافة النبوة لما كان لديه من علوم وأخبار استقاها مما كان صاحبه ﷺ يستشرف بها مستقبل الأمة أو من إشارة من دلائل النبوة أشار بها ﷺ إلى ذلك، ففقهها الصديق رضي الله عنه الذي ثبت أنه كان يفقه عن النبي ﷺ ما لا يفقهه غيره ويستنبط من إشاراته ﷺ من العلوم والأحكام ما جعله على بصيرة في كل ما اتخذه من إجراءات ووسائل كافح بها الرافضة وأحقادهم التي لا تنتهي، فعندما جاءه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٢.

عمال رسول الله مندهشين من مكر الرافضة وبغيهم وظلمهم قال لهم رضي الله عنه مخبرًا عما سيجري من أحداث أسوأ مما جاؤوا به، مستشرفًا ذلك مما لديه من علم ومن قياس الأمور ومعرفته بتوجهات وتحالفات الكثير من زعماء الأعراب ومن يدور في فلكهم. فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم فكان كذلك. فلم تفت في عضد الصدّيق كل تلك الأهوال؛ لأنه كان يسير على خطى النبي ﷺ فيما كان يلتزمه من تدابير لمواجهتها فواجههم بالإعلام المضاد والعمل على كسب الوقت لاجتماع قوى الموحدين ومعرفة الرافضة المرتدين على حقيقتهم، وانتظارًا لاجتماع كتائب الصحابة وتبلور رأيهم فيما يعالجون به محنة المرتدين التي تداخلت من خلالها العلاقات الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها، حيث قاد الرافضة أسوأ حركة تمرد لهدم الإسلام وإفشال خلافة النبوة، فقد أصبح في الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة مؤمنون ورافضة مرتدون مما كان له أثر في وقوع كثير من المسلمين في الحيرة لما يحصل، فالرافضة يقولون: لا إله إلا الله ولكنهم يعملون على هدم دولة لا إله إلا الله وخطورة دم من يقول: لا إله إلا الله يعلمها كل مسلم فبلغ الحال في المسلمين كل مبلغ من الدهشة والحيرة وضبابية الرؤية وعدم وضوح العدو فيما عدا خليفة رسول الله.

وقد وصف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تلك الحال فقال: لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر رضي الله عنه أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون من الإبل، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على قتالهم فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية وأن يقروا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا. وإما الحرب المجلية بأن يخرجوا من ديارهم ويجلوا عنها. وبهذه العزيمة والصراحة والوضوح واجه خليفة رسول الله المرتدين فأزال بوضوح رؤيته وقوة حجته وعنفوان عزيمته كل ما في نفوس الصحابة من تردد ووجل مما كان يلبس به الرافضة من طقوس يؤدونها؛ لكي يلبسوا على الصحابة دينهم، وهذا ما يعاني

منه أهل السنة في هذا العصر إذ لا عزيمة ولا وضوح في الرؤية مما أوقع الكثيرين ليس من عامتهم، بل من علمائهم في أوحال الرفض وشبهات المتنبئين.

وهذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[1]. قال: فلما كانت الردة قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشدًا[2].

ولما انقاد جمهور الصحابة لخليفة رسول الله وأقروا أنه كان أصوبهم موقفًا وأثبتهم جنانًا ازدادوا قبولًا لكل ما يأمر به أو ينهى عنه حتى إن أبا هريرة كان يقول: والله الذي لا إله إلّا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة، فقال: إنّ رسول الله ﷺ وجّه أُسَامة بن زيد رضي الله عنه في جيش إلى الشام، فلما نزل بذي خُشُب قُبض النبي ﷺ وارتدّتِ العربُ حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر ردّ هؤلاء، توجّه هؤلاء إلى الروم، وقد ارتدّتِ العربُ حول المدينة، فقال: والذي لا إله إلّا هو لو جرّت الكلاب بأرجلِ أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشًا وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللتُ لواء عقده رسول الله ﷺ فوجّه أُسَامة، فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلّا قالوا: لولا أنّ لهؤلاء قوةً ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن نَدَعُهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوا منهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[3].

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ح (١٢٦).

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب وباب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٦٨). ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٤.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٥.

ولم يقف خليفة رسول الله عند إرسال هذه القوة إلى خارج المدينة لبث الثقة في نفوس المؤمنين والوهن في قلوب المترددين والرافضين لخلافة النبوة لكيلا يقوموا بإثارة الفتن داخل الدولة الإسلامية، بل إنه احتاط لما حوله واتخذ كل الإجراءات المطلوب اتخاذها لدولة تمر بما تمر به خلافة النبوة، وذلك أن الرافضة لا أمان لهم وأن المنافقين يبثون كل ما في نفوسهم من ضغائن على المسلمين لتصديع الصفوف وتمزيق الأمة الناشئة على حب الكتاب والسنة.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: «خرج أبي شاهرًا سيفه، راكبًا على راحلته إلى ذي القَصّة فجاء علي بن أبي طالب يأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «**شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا**»[1].

- ومما لاحظه المسلمون على خليفة رسول الله تلك الشجاعة الخارقة والثقة المطلقة فلم يلاحظوا عليه أنه يخشى شيئًا من قوة البشر، فقد قال قائل لأبي بكر رضي الله عنه: «ما أراك تخاف لما قد بلغ من الناس، ولما تبويع من إغارة العدو، فقال: ما دخلني إشفاق من شيء، ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين قال لي: «**هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام**»[2]. وهذا ما أكدته سيرته رضي الله عنه فلم يسجل عليه أحد أنه تلعثم في يوم من الأيام أو تردد أو شك وإنما هو الإقدام واليقين بالنصر في جميع الظروف والأوضاع، والمتابع لهذه الخاصية التي انفرد بها خليفة رسول الله عن غيره من المؤمنين يلمسها في مواقفه وأقواله التي تؤكدها خطبته يوم الردة.

فقد قام خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا فحمد الله، وأثنى عليه ثم

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٧.

قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إنّ الله بعث مُحَمَّدًا ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله وخَلُق عهده، وضَلّ أهله منه، ومقتَ الله أهل الكتاب، فلا يعطيهم خيرًا، لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشرٍّ عندهم، قد غيروا كتابهم، وأتوا عليه ما ليس فيه، والعرب الأميون صِفْر من الله لا يعبدونه، ولا يدعونه، أجهدهم عيشًا، وأضلُّهم دينًا في ظلف من الأرض مع قلة السحاب فجمعهم الله بمُحَمَّد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتّبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[1]. إنّ مَنْ حولكم من العرب منعوا شاتَهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد فقدتم من بركة نبيكم ﷺ ولقد وكلكم إلى الحي الذي وجده ضالًّا فهداه وعائلًا فأغناه، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدعُ أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويُوفي لنا عهده، ويُقتل من قُتل منا شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[2]. ثم نزل رضي الله عنه[3].

فاتضح في خطبة خليفة رسول الله أمور ومواقف كثيرة منها: استيعاب خليفة رسول الله التام لمسيرة الإسلام ومقوماتها وأطوار بنائها ويقين كامل بموعود الله وبشارته بالتمكين لعباده وثقة مطلقة بالنصر وسيادة المؤمنين، وتوصيف دقيق لحال الرافضة المرتدين، وبيان

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. (٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٨. البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٤.

أسباب رفضهم لخلافة النبوة، وشرح لما كانت عليه أوضاع المسلمين، وبيان لطاقاتهم وقدراتهم، ثم انتقل خليفة رسول الله ﷺ إلى بيان توجهات الخلافة وموقفها من كل تلك الأحداث الخطيرة والتأكيد على الهدف الذي لا يتغير عند أولي العزم من المؤمنين الصادقين وهو إحراز النصر وإنجاز موعود الله في وراثة الأرض وخلافة الله تعالى فيها، وأن نهاية جهاد المؤمنين هو تحقيق ذلك ومن سقط منهم شهيدًا فإن جزاءه الجنة وأن كل ذلك حقيقة لا تقبل الشك ولا التأويل؛ لأن ذلك هو قضاء الله وقوله الحق سبحانه وتعالى، وهذا ما سار عليه خليفة رسول الله وقاد على جنباته الأمة حتى تحقق لها موعود الله الذي هو قريب من المؤمنين؛ متى ما صدقوا وأخلصوا الدعاء والعمل في كل عصر ومصر.

وجاء فيها الكثير من التبيان الذي كان عليه العرب قبل البعثة النبوية، ورسم الصور التي تعبر عن الواقع الذي عاشته الأمم السابقة فضلًا عن أمة العرب التي كانت محصورة في جزيرتها حتى أكرمها الله بمحمد ﷺ الذي جاءها بالشريعة والنظام وعقيدة التوحيد مع ما كانت فيه من جهد العيش وسوء الحال، وقد جاءها ﷺ بالبشارات التي تضمن لهم النصر والسيادة والأمن إن هم لازموا التوحيد ونصرة السنة النبوية وساروا على ما رسمه لهم رسول الله ﷺ، وهذا ما انتهجه رضي الله عنه في كل مفردات حياته التي عاشها بعد رسول الله ﷺ.

فاتضح أن قيادة خليفة رسول الله كانت قيادة عقيدة تبني على مفهومها وتنطلق من ذلك المفهوم المرتبط بالله ورسوله ﷺ والقائم على أن محمدًا ﷺ بشر يموت، وأن ما جاء به من عقيدة التوحيد لا يقبل التبديل ولا التعديل، وأن الله حي لا يموت.

وتبين أن خليفة رسول الله كان يعلم أنه مؤتمن على أمة محمد ﷺ فكان محتاطًا لذلك أشد الاحتياط آخذًا لحِذرِه متوثبًا لإنجاز كل ما يحمي السنة ويحفظ الأمة ويرد كيد الرافضين لعقيدتها.

وانطلاقًا من هذه المعاني اتخذ الحرس على مداخل المدينة المعروفة، قيامًا بالأمانة وتحسبًا لأخلاق الرافضة القائمة على الغدر والإفك واستباحة الحرمات، ولم يكتفِ بما

أنجزه من احتياطات لحفظ أمن المسلمين واستقرارهم حتى قام بنفسه رضي الله عنه يقود المدافعين عن المدينة ويتقدم المنافحين عن حمى رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، وكان يمضي الليالي يرصد حركات الأعداء ويعد المجاهدين ويوزع مهام الكتائب ويختار القادة ويرسم لهم طريق الفلاح والنجاح لحماية الأمة وعقيدتها.

أهمية موقف خليفة رسول الله من الرافضة المرتدين:

إن موقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الرافضة المرتدين يعد من أعظم خصائصه التي امتاز بها عن بقية إخوانه الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يلن لأي رأي يفرط بأي جزئية من الدين، وأنه لا يبالي بجموع الرافضين لخلافة النبوة؛ لأن الله حافظ دينه ومعز عباده، تجلى ذلك كله في خطبه المباركة التي أعادت روح الثبات والتحدي في نفوس الصحابة المكلومين بفقد نبيهم ﷺ بعد وفاته، وذلك لما تحمل في طياتها من وسائل النصر والنجاح الذي تستمده من وحدة الخطاب ووضوحه، ومن معرفة المهمات وتحديد الهدف ومعرفة العدو وتشخيص وسائله والاستعداد التام لمواجهته على الصعد كافة بالحجة والدليل والسنان.

ومن ثَمَّ إعلان المواجهة الشاملة على كل أعداء السنة النبوية، وعلى كل من يرد أي ركن من أركان العقيدة، وعدم الالتفات إلى المترددين، ولوم من ظهر منه أي إشارة تدعو إلى التريث أو الملاينة مع الداعين إلى الردة عن سنة رسول الله ﷺ تأكد ذلك في موقف خليفة رسول الله الذي أعلن فيه الحرب حتى على من يمنع عقالًا كان يُؤدى في زمان رسول الله ﷺ إلى عمال الزكاة.

وبهذا يؤكد خليفة رسول الله بالقول والموقف البراءة من جميع الرافضة وأنه ليس فيهم معتدل ومتطرف؛ إذ إن كل من يرفض السنة إنما هو مكذب للنبوة، ومجرم بحق الإسلام؛ لأن خلاصة موقفه أنه يدعو الناس أن يكذبوا النبي ﷺ ويصدقوا أوهام الرافضة ومراجعهم المتنبئين.

وبهذه العزيمة وهذا الوضوح استقامت الأمة وانقادت لخلافة النبوة بكل ما فيها من عزم كانت تتمتع به في حياة رسول الله ﷺ، وتأتي أهمية ذلك الموقف من أنه ثبت نجاحه التام في التعامل مع الرافضة فعلّم الأمة في كل أيام صحوتها وعافيتها كيف تسير إلى أهدافها العظيمة دون تردد، ولا أدل على ذلك العزم من رده على الفاروق رضي الله عنه حين قال له: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم؛ فإنهم بمنزلة الوحش. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل؟ أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي إن منعوني عقالًا. قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم، وأدب الناس على أمور؛ هانت علي كثير من مؤونتهم حين وليتهم[1].

وهذه المعاني هي التي يفتقدها خطاب أهل السنة في هذا العصر الذي ما زال يشوبه التردد والخلط والوهن، وأحيانًا الخداع والغش لأهل السنة من أوساط تعد نفسها قيِّمة عليهم، وأمام هذا اللبس والتداخل والوهن ما زال أهل السنة في هذه السنين العجاف يدفعون الثمن من عقيدتهم التي ما زالت محشورة في الزاوية الضيقة المظلمة، ومن وحدتهم التي ما زالت في حالة تمزق وانحدار نحو الهاوية، ومن دمائهم التي ما زال يدفعها أخيارهم العاملون على إعادة عز السنة وسيادتها بمنهاج الراشدين في رحمتهم وعدلهم وصفاء عقيدتهم وشموخ حضارتهم وأصالة هويتهم التي ظهرت جليًا في مسار خليفة رسول الله الذي أزهق الردة ومحق الرافضة وأقام السنة وثبّت أركان الدين ووحدة الأمة في سياسته الراشدة، وذلك ضمن خطوات واضحة ومحددة أسسها على مبدأ الشورى البناءة التي تنطلق من الغيرة على الكتاب والسنة وحملتهما وحماتهما، وتمثل ذلك في خطة تقوم على منهج عملي تطبيقي محكم واضح. من مفرداته:

١- إعداد المدينة وأهلها لكل طارئ والتحسب لغدر الرافضة المرتدين الذين لا يمنعهم

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ٨٢.

دين ولا خلق عن الغدر والخيانة وارتكاب الموبقات بكل صورها، فضلًا عن الإفك والبهتان ورمي أهل السنة وأشرافهم وأئمتهم بذلك للحيلولة دون استماع الناس إليهم والانقياد لهم.

٢- ولم تقتصر تلك الخطوات على الجانب النظري، بل باشر خليفة رسول الله بإعداد ما يستطيع من قوة لمواجهتهم قبل أن يسبقه غدرهم، وهذا ما حصل حين حاول أعداء الصحابة مهاجمة مدينة الرسول ﷺ فواجههم أبناء السنة النبوية بأقصى وسائل المواجهة حتى فروا مذعورين لا يلوون على شيء في موقف كان له نتائجه البعيدة على انهيار تيارات الرافضة وبؤر الردة في عصر خليفة رسول الله الواحدة تلو الأخرى حتى لم يبق لهم أثر في ذلك العصر الراشدي المبارك.

٣- ولما علم الناس حقد الرافضة المرتدين على الإسلام والمسلمين وعلموا عميق فقه وحكمة خليفة رسول الله انقادوا له في كل ما يقرره وعلموا أن البركة والخير والنصر في طاعته ونصرته، فلما اتضح ما كان مخفيًّا على المسلمين من عقيدة الرافضة المرتدين، القائمة على هدم السنة ومحاربة الصحابة والعمل على إفشال دولتهم، أقر خليفة رسول الله أن هؤلاء أشد خطرًا على الإسلام وأهله من اليهود والنصارى، وأكد لهم ضرورة البدء بمواجهتهم وإنهاء خطرهم المتغلغل في ديار العرب والمسلمين، فقام بإعداد الجيوش وتسمية الأمراء والقادة وتحديد المهام وتوزيع الألوية، وإعداد الخطاب الذي يسمي الأشياء بمسمياتها ويخاطب القادة والجماهير ولا يدع أحدًا دون أن يبين موقعه وموقفه وما له وما عليه، حتى أصبح الجميع أمام مهامهم وواجباتهم فكان ثمرة ذلك الفهم؛ النجاح والنصر والأمن والرفاه ونقاء العقيدة.

المفاوضات بين الخلافة وبين المرتدين:

وقد سبقت حروب الردة مفاوضات بين الخلافة الراشدة ووفود قبائل المرتدين المتمثلة في أسد وغطفان وطيئ وثعلبة بن سعد ومن لحق بهم ممن ارتد من بني مرة وعبس وكنانة

والديل ومدلج، وكان البعض منهم يُقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق رضي الله عنه، وذُكِر أنّ منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إذْ كَانَ بَيْنَنَا ... فَوَا عَجَبا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِي بَكْرِ

فلما سمع الصحابة هذا المكر اعتقد البعض منهم أن الأمر لا يحتاج إلا إلى بعض الوقت لإفهام المرتدين أمر الدين، وأنه لا يجوز العمل بقولهم هذا، فتكلم بعض الصحابة مع خليفة رسول الله في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصدّيق من ذلك وأباه أشد الإباء. وقد قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **«أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسِ حتى يَشْهَدُوا أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا رَسُولُ الله، فَإِذَا قَالُوها عَصَمُوا مِني دِمَاءَهم وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّها»**؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني عناقًا - وفي رواية: عقالًا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[3]. وهذا يعني أن من لا يصلي ولا يزكي فإنما هو مرتد، لا يخلى سبيله حتى يستتاب من ردته، فإن تاب واستقام، وإلا أقيم عليه الحد الشرعي الذي يقام على تاركي الصلاة ومانعي الزكاة.

وقد اتضح من خلال المفاوضات عدم جدية المفاوضين، وأن تذرعهم بمنع الصدقة ما هو إلا وسيلة لاستطلاع موقف المسلمين ممن يعلن رفضه وخروجه على سلطة المدينة،

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٢) ينظر البخاري: صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب أداء الزكاة، ح (١٣٣٥).
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

ولما اطلع الرافضة المرتدون على قلة أهل المدينة بعد خروج جيش أسامة بن زيد إلى الشام، أرسلوا إلى عشائرهم يعلمونهم بقلتهم ويطمعونهم فيهم، وهذا يبين ويؤكد أن الرافضة في كل عصر لا أمان لهم وأنهم يجمعون بين الجاسوسية والسياسة والطائفية وعداء السنة، ومما أظهر عدم جديتهم في التفاوض مع الخلافة النبوية، وجلّى موقفهم الكلي من الإسلام، ورفضهم الولاء للدولة الإسلامية، وتعاونهم مع أعدائها - أنهم لم يكونوا يبحثون عن حلول، وإنما كان همهم استطلاع الموقف السياسي للخلافة والتجسس على قوة المدينة العسكرية، ولا سيما بعد خروج الجيش الذي يقوده أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وهذا ما أكدوه في أشعارهم التي يردُّون فيها على موقف الخلافة الرافض للتعامل مع من يفرق بين أركان الإسلام فيرفض بعضها ويقبل بعضها، وذلك في مثل قولهم:

وإن التي سألوكُمُ فمنعتمُ ... لكالتمرِ أو أحلى إليَّ من التمرِ

أي أنهم لم يكونوا يبحثون عن حل مع المسلمين، وإنما هدفهم التشويش والعبث والعمل على صناعة أزمات تعيق حركة الخلافة، وتحول بينها وبين تحقيق مهامها وأهدافها في نشر الأمن وتبليغ الرسالة والمحافظة على الوحدة الإسلامية.

إلا أن مواقف الرافضة المرتدين التي كانت تظهر الاستخفاف بقدرات الخلافة وقوة المسلمين وحرص المفاوضين منهم على إظهار عامة مواقفهم الاستفزازية هذه دون أي حساب لموقف الخلافة منها. كان له أثر إيجابي في جانب الخلافة النبوية والتفاف المسلمين حولها وقناعة كل من كان مترددًا في قتال المرتدين بأنهم هم الخطر الأول الذي يهدد العقيدة والسنة والأمة قبل المشركين واليهود والصليبيين مما فوت عليهم فرصة مهاجمة المدينة بغتة، ومن ثم إلحاق أول هزيمة بهم في ذي القَصة وقتل حِبال بن خويلد الأسدي الذي يعد من أكبر قادة المرتدين الذين صادموا المسلمين فضلًا عن كونه أخا طليحة بن خويلد المتنبئ مرجع الرافضة المرتدين وقائدهم في منطقة بُزاخة وما حولها، وذلك بعد أن عزم خليفة رسول الله على مواجهة كل من يرفض خلافة النبوة أو يُسقط أي ركن من أركان الدين

في خطة محكمة لا تصدر إلا عن إخوان الأنبياء المؤتمنين على الأمة وعقيدتها، لما في تلك الخطة من الرشد والحزم والشدة على المرتدين والرفق والرحمة بالمؤمنين.

حراسة أنقاب المدينة ومداخلها:

وبعد أن عادت الوفود من المدينة إلى قبائلها جعل الصديق على أنقاب المدينة حراسًا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وأخلفوا بعضهم بذي حُسي ليكونوا لهم ردءًا، فوافوا ليلًا الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فخرج إليهم بأهل المسجد على الإبل فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حُسي، فخرج عليهم كمين بِقِرَبٍ قد نفخوها وفيها الحبال، ثم دهدهوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم.

وظن الكفار بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القَصة بالخبر، فقدموا عليها، وبات أبو بكر يعبئ الناس، وخرج على تعبيته يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن. فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال، وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصة، وكان أول الفتح، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذل له المشركون. فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، فحلف أبو بكر رضي الله عنه ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وازداد المسلمون قوة وثباتًا[1] بعد أن خطب فيهم خليفة رسول الله خطبته المشهورة يوم الردة، تلك الخطبة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٤.

الفاصلة التي سبق ذكرها آنفًا مما يؤكد قول المفسرين: إن المقصود في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1] إنما هو أبو بكر الصديق وأصحابه رضي الله عنهم في قتالهم المرتدين الذين رفضوا الزكاة[2].

الموقف العام لقبائل المرتدين حول المدينة بعد وفاة النبي ﷺ

لما توفي رسول الله ﷺ اجتمعت قبائل أسد وغطفان وطيئ على طليحة إلا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث، حيث ثبتوا على دينهم ولم يستخفهم الرافضة بمكرهم وكيدهم، فاجتمعت قبيلة أسد بمنطقة سميراء، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة وطيئ على حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الرَّبذة التي تبعد عن المدينة ثلاثة مراحل، وتأشب إليهم ناس من بني كنانة فلم تحملهم البلاد وضاقت عليهم، فافترقوا فرقتين فأقامت فرقة منهم بالأبرق وسارت الأخرى إلى ذي القَصة، وأمدهم طليحة بأخيه حِبال فكان حِبال على أهل ذي القَصة من بني أسد ومن اجتمع إليهم من قبائل ليث والديل ومدلج.

وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان أحد بني سبيع، وقد بعثوا وفودًا فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم، ما خلا عبسًا فتحملوا بهم على أبي بكر رضي الله عنه على أن يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على الحق. وقال: لو منعوني عقالًا لجاهدتهم عليه وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة تؤدى مع الصدقة، فردهم ولم يحققوا شيئًا من أهدافهم.

فرجع وفد المرتدين القريبين من المدينة خائبين، فأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة من المسلمين وأطمعوهم فيها. ولكن ما كانوا يخططون له من الغدر، كان خليفة رسول الله يدبر أمره لمواجهته، فجعل رضي الله عنه بعدما خرج وفدهم؛ على أنقاب المدينة وداخلها كتائب

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٥.

تحرس المدينة وعين عليها أمراء كان منهم علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وألزم خليفة رسول الله أهل المدينة بحضور المسجد كما سبق ذكر ذلك آنفًا ثم ذكر لهم الأسباب الموجبة لاتخاذه تلك الإجراءات ومنها أن الرافضة لا عهد لهم ولا ميثاق وأن الحذر منهم فريضة على كل مسلم يعتقد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فلما هاجم المرتدون المدينة وجدوا خليفة رسول الله على أتم الاستعداد فتصدى لهم ولاحقهم خارج المدينة، وكان لهم كمين قد أعدوا معه قِربًا منفوخة بالهواء فألقوها على إبل المسلمين فانجفلت منها ورجعت منكفئة إلى المدينة، فسلم الله المسلمين ولم يصب أحد منهم. فقال في ذلك الخطيل بن أوس أخو الحطيئة بن أوس يمدح فعل المرتدين:

فدى لبني ذبيان رحلي وناقتي عشية يُحذى بالرماح أبو بكر

وكانت بنو عبد مناة من المرتدة هم وبنو ذبيان في ذلك الأمر بذي القَصة وبذي حُسى، ومن أشعار الرافضة التي يسوغون بها رفضهم لخلافة النبوة قولهم الذي سبق ذكره:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

فظن القوم بالمسلمين الضعف وبعثوا إلى أهل ذي القَصة بالخبر فقدموا عليهم اعتمادًا على الذين أخبروهم وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده وأحبَّ أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر رضي الله عنه ليلته يهيئ المسلمين ويعبئ الجند ثم خرج على تعبيته من أعجاز ليلته يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًّا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حِبال أبرز قادة المرتدين، وأتبعهم أبو بكر رضي الله عنه حتى نزل بذي القَصة ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة كما سيتضح لاحقًا.

فذل الرافضة بعد تلك الوقعة وانكسرت نفوسهم لما فاجأهم به خليفة رسول الله من

الحذر والنباهة وحسن التخطيط والمعرفة التامة بغدرهم وفساد نواياهم، فوثب بنو ذبيان وبنو عبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم من الرافضة المرتدين فعلهم من الغدر والاغتيال لأهل السنة من الصحابة والتابعين والقراء والحفاظ وأهل الدين، ولكن مع كل هذه العمليات التي تؤكد الحقد على الصحابة وعقيدتهم؛ فإن المسلمين قد عزوا وارتفعت معنوياتهم بوقعة خليفة رسول الله ومن معه بالمرتدين وعلموا أن الرافضة مهما بلغت جموعهم فإنهم لن يحصدوا سوى الخزي والهزيمة، وأمام ما تعرض له المسلمون القاطنون في قبائلهم من غدر الرافضة، حلف خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ليقتلن فيهم كل قتلة وليقتلن في كل قبيلة من الرافضة بمن قتلوا من المسلمين الذين ثبتوا على سنة نبيهم ﷺ وزيادة، وفي ذلك يقول زيادة بن حنظلة التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم ... كما يسعى لموته جُلال

أراح على نواهقها عليًّا ... ومج لهن مهجته حِبال

والمقصود بالجُلال هنا الجمل وعلي هنا هو علي بن أبي طالب حين خرج مع خليفة رسول الله يردون شرّ الرافضة الغادرين من حول المدينة، أما حِبال فهو أخو طليحة وقال زياد أيضًا:

فما صبروا للحرب عند قيامها ... صبيحة يسمو بالرجال أبو بكر

وكان لتلك الوقعة أثر عظيم في النفوس، ازداد فيه المسلمون ثباتًا على دينهم في كل قبيلة وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كل قبيلة، وقد جاء بعد ذلك ما دعم أمر المسلمين حين بعث بعض المسلمين في القبائل صدقاتهم إلى خليفة رسول الله ليؤكدوا ولاءهم وثباتهم على ما جاء به رسول الله ﷺ فكان لذلك أجمل الأثر وأطيبه على أهل السنة جند الخلافة الميامين.

وطرقت المدينة صدقات نفر من المسلمين منهم: صفوان بن صفوان والزبرقان وعدي بن حاتم، وصفوان ثم الزبرقان ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في

آخره، وكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر بعدي عبد الله بن مسعود، وقال غيره: أبو قتادة.

وظن بعض الناس حين رأوا إبل الصدقة أن هؤلاء نذير. فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا بشير هذا حام وليس بوان فإذا نادى بالخير قالوا: طالما بشرت بالخير، وذلك لتمام ستين يومًا من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام فاستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم؛ ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القَصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر. فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلًا فإن أصيب أمرت آخر. فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج في تعبيته إلى ذي حُسى وذي القَصة. والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه حتى نزل على أهل الرَّبذة بالأبرق فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفًا وأخذ الحطيئة أسيرًا فطارت عبس وبنو بكر هاربين وأقام أبو بكر رضي الله عنه على الأبرق أيامًا.

وقد غلب بنو ذبيان على البلاد فقال رضي الله عنه: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاهم عنها، فلما غلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة وهي كانت منازلهم لينزلوها فمنعوا منها، فأتوه في المدينة فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا؟ فقال :كذبتم ليست لكم ببلاد، ولكنها موهبي ونقذي؛ ولم يعتبهم وحمى الأبرق لخيول المسلمين وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض، ولما انفضت عبس وذبيان مهزومين أمام المسلمين انضموا إلى طليحة وقد نزل طليحة على ماء بُزاخة وارتحل عن سميراء إليها فأقام عليها وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذبيان يلتهب التهابا

أتيناهم بداهية نسوف مع الصديق إذ ترك العتابا[1].

ولعل في هذا الشعر ما يؤكد منهجية الراشدين في التعامل مع من رفض الخلافة ورد إجماع المهاجرين والأنصار وخرج عن ثوابت الدين حيث لم يجد عند خليفة رسول الله سوى الحزم بأقصى ما يكون دون عتاب أو ملاينة أو محاورة، بعد أن أصر المرتدون على مواقفهم، وفي هذا دليل على أن الحوار لا ينفع مع المرتدين وأن من يزعم من الناس أن سياسة التقريب من الممكن أن تؤتي ثمارها في إقرار الحق فإنما هو جاهل واهم أو خائن آثم، لأن من يرفض أمر الله وسنة رسول الله ﷺ لن يستجيب للصحابة رضي الله عنهم أو لغيرهم، وهذا ما تعامل به الخليفة رضي الله عنه ومعه المهاجرون والأنصار مع كل من أصر على رفض خلافة النبوة أو أسقط فريضة الزكاة أو غير ذلك.

وفي منعطف مهادنة مكفري الصحابة وقع كثير ممن يزعم الانتساب إلى السنة النبوية في هذا العصر؛ فبدلًا من أن يَحذر أعداء الصحابة ومكرهم، راح يداهنهم ويزين قبائحهم أمام جماهير المسلمين حتى استغفلوا العامة منهم وراحوا يمدون باطلهم يمينًا وشمالًا على حساب السنة وعقيدة التوحيد مما أحدث فتنًا وتصدعات في المجتمعات الإسلامية ستمتد آثارها عقودًا كثيرة على حساب الأمن والوحدة والاستقرار وصفاء الهوية وأصالتها.

من مقومات النصر على المرتدين:

اتخذت الخلافة كل الاحتياطات المتاحة لحماية المدينة وأهلها ومصالحها، واتبعت سياسة الحذر عملًا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[2].

فكان الاستعداد قائمًا للتعامل مع كل الاحتمالات، ومنهج عدم الثقة مطلقًا بالرافضة المرتدين ومتابعة أخبارهم وبذل الوسع للتوصل إلى حقيقة مواقفهم دون ظلم أو تعجل،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

ومن ثم الإفادة ممن ثبت على الإسلام من أبناء تلك القبائل في رصد حركات الرافضة وتحالفاتهم الموجهة ضد الخلافة الراشدة وعقيدة السنة النبوية التي يدين بها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم.

وعملت الخلافة على مشاغلة أنصار الرافضة ومحاربتهم بالكتب والرسل والإغراء والتهديد وقطع أمدادهم وإثارة المخاوف في نفوسهم من مواجهة المؤمنين، ومراسلة المتشككين وحثهم على الثبات على الدين وتشجيع الأخيار من أبناء قبائل المرتدين على عدم الانجرار مع أهل الأهواء من دعاة الفتن والردة.

وهذا المنهج الراشد الناجع أهمله عامة أهل السنة في هذا العصر، حتى أصبح الكثير منهم عرضة للانتهاك والاستباحة في كل شؤونه، فلم يعد أمامهم سوى مراجعة أنفسهم والعودة إلى ما سنه لهم سلفهم الصالح، وإما الهلاك والضياع على أيدي أعداء الصحابة الذين خرجوا على خلافة النبوة وعملوا على استباحة أهلها، حتى واجههم خليفة رسول الله ﷺ بما يرد شرهم ويمحق حقدهم باتباعه سياسة الحسم الأقصى مع من أسقط الدين والقيم وتمثل ذلك في:

أولًا: تهيئة المدينة لرد عدوان المرتدين:

لم يمض إلا القليل من الوقت على وفاة النبيِّ ﷺ حتى طرق المرتدون المدينة بكل أحقادهم وأوهامهم لكنهم سرعان ما انهزموا وداخلهم الرعب من الدفاعات المحكمة حول المدينة وسرعة التواصل بين المسلمين والجرأة والمهارة القتالية ودقة المتابعة لكل تحركات الرافضة التي يتمتع بها أبناء الخلافة الراشدة التي مكنتهم من رقاب المرتدين المعتدين، فثبت للعقلاء أن أعداء الصحابة لا يجدي معهم سوى الحزم والحيطة والاستعداد الدائم للتضحية، كما تبين أن كل من يقلل من خطورتهم ممن يزعم أنه من أهل السنة إنما هو جاهل بأحقادهم، أو أنه مداهن فاسد العقيدة معدوم الغيرة على الكتاب والسنة وأهلهما.

ومما زاد في قوة المسلمين، وأضعف من قوة المشركين ومعنوياتهم عودة أسامة وجيشه

المنتصر ومن معه من المجاهدين غانمين مظفرين، مع ما رافق ذلك الجيش من الهيبة التي أدخلت الوهن في نفوس الرافضة ومن كان يحدث نفسه بالردة أو همّ بإعلان رفضه وتمرده على خلافة النبوة، وقد قطف خليفة رسول الله ثمار تخطيطه الناجح حين تابع مساره دون أن يدع لهم أي فرصة يمارسون من خلالها غدرهم بالمؤمنين، فاستخلف أسامة على المدينة ودعا جيشه إلى الراحة بعد ذلك الإنجاز الكبير ومن ثم الاستعداد لما هو أعظم في حياتهم من مهمة محدودة بالزمان والمكان، فخرج رضي الله عنه بمن كان معه من أهل المدينة يتقدمهم إلى ذي القَصة، فاعترض عليه الصحابة رضي الله عنهم قائلين: ننشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلًا، فإن أصيب أمّرت آخر. فقال: لا، والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج بتعبيته إلى ذي حُسى وذي القَصة[1] فأنجز رضي الله عنه النصر الذي أعز أهل الإسلام وأذل أهل الرفض والغدر والخيانة.

فكان لصدق عزيمة إمام الأمة وقائدها أبي بكر رضي الله عنه في مجاهدة المرتدين، وعمق يقينه بالله عز وجل أقوى العوامل في تحقيق النصر، فقد ضرب رضي الله عنه المثل الأعلى للقائد الباسل الذي يشارك أمته وجنده كل أخطار القتال ليتعلم منه جنده وسائل المقاومة ومطاولة الأعداء، في أول معركة وأخطرها، في وقت تبلبلت فيه الأفكار واضطربت الآراء وتزعزعت الثقة بالنصر لكثرة الأعداء ووفرة أمدادهم.

وكان لانقياد المؤمنين لخليفة رسول الله والتفافهم من حوله أثر قوي في تحقيق النصر الذي جاء تحت راية يؤمن أصحابها أن الحياة لا تكون كريمة إلا بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة فكانوا يتسابقون إلى مواقع الخطر يفتدي بعضهم بعضًا وكل منهم يريد أن يكون دريئة لأخيه، كما فهموا مقاصد وثمار قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. أولئك هم أهل السنة النبوية الحق وشتان

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

بين أولئك وبين من يزعم الانتساب إلى السنة في هذا العصر وهو ملوث الولاء فاسد الانتماء لا فرق عنده بين من مرجعهم القرآن وبين من مراجعهم أهل الزور والبهتان.

ومثلما كان جند خليفة رسول الله حريصين على طاعته كان هو رضي الله عنه حريصًا على طاعة الله ورسوله ﷺ طاعة مطلقة بكل قوة ويقين دون تردد أو تأويل، تجلى ذلك حين أشار عليه بعض الصحابة رضي الله عنهم بعدم إنفاذ جيش أسامة حتى تهدأ سَورة الردة، لكنه علم الصحابة أن الطاعة لرسول الله ﷺ بعد وفاته كما هي في حياته وأنه لا سبيل للنصر والنجاح والأمن إلا بطاعته ﷺ.

ومن عوامل النصر سمو غاية المسلمين وأنهم كانوا يقاتلون لنصرة الله ورسوله ﷺ ويجاهدون الغادرين الناكثين لبيعتهم على الإسلام الرافضين لخلافة النبوة، أولئك الذين كانوا مهزومين من داخلهم لأنهم يعلمون زيف راياتهم وانحطاط مقاصدهم وتعلقهم بمطامع فانية، وهم يعلمون أنهم على باطل وفي سبيل الشيطان يعملون ولنصرة الطاغوت يقاتلون. والله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]. وقد كان لانتصار خلافة النبوة في حروب الردة آثار بعيدة المدى داخل الجزيرة العربية وخارجها.

منها سيادة الإسلام بعقيدة التوحيد على مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وهزيمة المرتدين عسكريًّا وفكريًّا حيث ظهر للقاصي والداني كذب مراجعهم الأفاكين المتنبئين، ومن ثم توحد العرب تحت لواء خليفة رسول الله الذي عاد بها إلى ما كانت عليه أيام رسول الله ﷺ.

يقين المؤمنين برفعة مكانة خليفة رسول الله وعميق فهمه وفقهه وقدرته على تطبيق ذلك على أرض الواقع وأهليته الكبرى لتحمل المسئوليات التي كان يضطلع بها رسول الله ﷺ ومقارعته للشدائد والأهوال والتغلب عليها، مما حمل الجميع ولا سيما المخالفين له في بداية خلافته على الانقياد له ومحبته والإعجاب ببطولته وبسالته وحنكته السياسية ومهاراته

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

الحربية، التي أخذت بألباب الجميع، وأظهرت كوامن قدراته وجميل صبره وجرأته.

الغيرة الشديدة على السنة النبوية والمحبة والمودة التي كانت تربط بين أهلها والاعتزاز بها والاستعداد الواسع للدفاع عنها ضد رافضيها ومبغضي أهلها والتعامل معهم بالشك والريبة وتوقع الغدر والسوء لأن ذلك هو دين أعداء الصحابة، ومعلوم لدى الأمة أن من يرفض السنة ويبغض حملتها فإنه لغيرها من أمور الدين أشد رفضًا، وقد كان هذا جزءًا من الثقافة التي كانت سائدة في أوساط السلف عن أصناف المبتدعين، وهي التي أصبحت مفقودة في هذا العصر لتصدر الغوغاء وعلماء المنافع المداهنين بدلًا من المخلصين المتمسكين بمنهج السلف الصالح، إضافة إلى مناهج الرافضة التي تدين بالمكر والغدر والباطنية التي يجهلها عامة أهل السنة.

ظهور قيادات وطاقات في الأفراد ما كانت لتظهر لو لم تكن حروب الردة، فالصديق رضي الله عنه تمكن من متابعة جهود القادة والمجاهدين ومن ثم انتقاء المميزين منهم وتكليفهم بمهام كبيرة قاموا بها على أتم وجه وأكمله عادت على الأمة بالعز والوحدة والهيبة وانتشار عقيدة التوحيد وهيمنة الكتاب والسنة على ما سواهما من أديان بشرية مصنوعة أو عقائد سماوية محرفة، فشهد الجميع لخليفة رسول الله بالفضل وحسن القيادة وبُعد النظر والتخطيط الناجح لخدمة الأمة وعقيدتها والقدرة الهائلة على معرفة الرجال وطاقاتهم التي مكنته من اختيار قادة الألوية الذين سحقوا الردة، ومن ثم قادوا الفتوح فكانوا دائمًا في المقدمة شموسًا في تاريخ العدل والفتح والطاعة، تقرأ فيهم الأمة روح خليفة رسول الله وشموخه وعظيم اعتزازه بعقيدته وسنة نبيه ﷺ التي جلبت الأمن والاستقرار والرفاه والعلم وحفظت التوحيد والوحدة وأعزت الكتاب والسنة وأهلهما.

ثانيًا: عقد الألوية وإعداد الجيوش وتعيين القادة لمواجهة المرتدين:

وبعدما جمّ أفراد جيش أسامة واستراحوا، ركب خليفة رسول الله الصدّيق رضي الله عنه في جيش المسلمين شاهرًا سيفه مسلولًا، من المدينة إلى ذي القَصة، وهي من المدينة على

مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصدّيق رضي الله عنهما، فسأله الصحابة، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، روى الدارقطني عن ابن عمر قال: «لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «**شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا**»، فرجع وأمضى الجيش[1].

ولما استراح أسامة وجنده، وافق ذلك قدوم صدقات كثيرة تفضل عن حاجة المسلمين، قدم بها صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم، وذلك لتمام ستين يومًا من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام، وقيل: كانت غزوة أسامة وعوده في أربعين يومًا. فقطع خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه البعوث، وعقد أحد عشر لواء:

- عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد الأسدي ومن معه من جموع الرافضة، فإذا فرغ منه سار إلى الرافضي مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له ولم يفرّ.
- وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة الكذاب ومن معه من بني حنيفة.
- وبعث شرحبيل ابن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال: إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة.
- وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، وذلك أنه كان قد نزع يده من الطاعة، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت.
- وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام.
- وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلى جموع قضاعة ووديعة والحارث.
- وعقد لحذيفة بن محصن الغطفاني - وعند ابن الأثير: الغلفاني - وأمره بأهل دَبَا.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٨.

- ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله.
- ولطرفة بن حاجب وعند ابن الأثير معن بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.
- وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة باليمن.
- وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين. وقد كتب لكل أمير كتابَ عهده على حدته، ففصل كل أمير بجنده من ذي القَصة، ورجع خليفة رسول الله إلى المدينة[1].

كان للنصر الذي أحرزه خليفة رسول الله على الرافضة المرتدين في ذي القَصة أولًا قبل رجوع جيش أسامة وثانيًا في ذي حُسى بعد عودة أسامة بجيشه، كان لهذا النصر دوي واسع في كل أنحاء الجزيرة العربية وأثر كبير في تحطيم الروح المعنوية عند كافة المخالفين فأراد رضي الله عنه أن يتابع ضرباته بتعبئة الجيوش وإعدادها، فبدأ بعقد الألوية والانتفاع بكل الطاقات الموجودة بين يديه من المؤمنين القادرين على القتال وتسخيرها لنصرة الكتاب الكريم والسنة النبوية وطمس كل باطل يضع العوائق في طريقهما، سواء كان ذلك على أيدي الرافضة المرتدين أو أهل الجاهلية المشركين.

وأخذ خليفة رسول الله في توجيه الجيوش إلى القبائل المرتدة على ضوء من ظروفها وقوتها فاختار من القادة أكثرهم دراية وشجاعة لمحاربة أكثر القبائل عددًا وعدة، وأشدهم كفرًا وعداوة لأصحاب رسول الله وأقربهم إلى المدينة دارًا. فولّى سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه قيادة الجيش المعد لقتال طليحة بن خويلد الأسدي الذي كان من أقوى مدعي النبوة شوكة وأكثرهم خطرًا لكثرة من تجمع حوله من الرافضة المرتدين، ولقربه من عاصمة الإسلام مدينة الرسول ﷺ وكان في صحبة خالد رضي الله عنه كوكبة من المجاهدين من المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله ﷺ وكانت مهمته دحر مرجع المرتدين وقائدهم

(١) البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٥.

المتنبئ طليحة بن خويلد، ثم إذا انتهى منه توجه إلى قائد الرافضين لفريضة الزكاة مالك بن نويرة المبايع للكاهنة سجاح التغلبية وحليفها الأكبر مسيلمة الكذاب[1] وهذا ما فعله سيف الله خالد رضي الله عنه فقد أنجز كل ما أمر به، ومن ذلك قتل مالك بن نويرة الذي ما زالت الرافضة متعلقة بحبه كمرجع وحليف طبيعي؛ لأنه رفض طاعة الصحابة، وتدافع عنه بالإفك والبهتان ويردد ذلك الغوغاء وأعداء أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم وجه خليفة رسول الله باقي الألوية إلى مختلف القبائل المرتدة، في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، فكان لخروجها في وقت واحد أعمق الأثر في نفوس المرتدين، فتطرق الرعب إلى قلوبهم وأيقن أعداء الخلافة الراشدة أن المسلمين ما كانوا لينفروا بهذه الصورة الشاملة التي غطت كل نواحي الجزيرة إلا وهم قادرون على النصر واثقون من هزيمة العدو مستعدون كل الاستعداد لسحقه وتشتيت شمله. وهكذا هزم خليفة رسول الله المرتدين معنويًّا قبل أن يلتقي بهم، فلما التقى المسلمون بهم لم يستطع الرافضة مصابرة المسلمين في عامة معاركهم سوى قتالهم مع مرجعهم الأكبر مسيلمة الكذاب، الذي استشهد فيه الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ من القراء وسواهم رضي الله عنهم، وقد كانت حرب خليفة رسول الله الإعلامية تقع على المرتدين وقعًا أليمًا لما فيها من حقائق ناصعة لا يجحدها عاقل ولا يردها منصف، ولما فيها من الحق والهدى والدين، جاء ذلك في كتبه التي كانت تسبق حركة الجيوش المجاهدة فتوضح الهدف وتبين الحق، وتؤكد العزم على نصرة الكتاب والسنة وقتال كل رافض لهما من عبيد المراجع الوثنية المتمردين على الله ورسوله ﷺ الذين لا تجمعهم سوى المصالح الآنية وعداوة السنة النبوية.

خطاب خليفة رسول الله إلى عامة الناس:

وبعدما انتهى خليفة رسول الله من تنظيم الألوية، وتعيين الأمراء والقادة كتب كتابًا موجهًا إلى الأمة بأجمعها عامة وخاصة كان يرمي من ورائه إلى هدفين أساسين: **الأول:**

---

(١) ينظر: الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ٩٦.

نشر الإحباط والهزيمة في نفوس المرتدين وإعلامهم أنه لا يوجد أمامهم سوى المسارعة بالتوبة والعودة إلى الدين الذي خرجوا منه بعد وفاة النبي ﷺ أو مواجهة الانتحار المحقق على أيدي أسود الجهاد وطلاب الجنة الذين يحملون شعارًا لا يهزم أبدًا إما النصر وإما الشهادة.

و الثاني: هو التلاحم مع المسلمين المستضعفين الصابرين بين أنياب الرافضة المرتدين الحاقدين وما يحملونه في صدورهم من غل على أهل التوحيد ولا سيما أصحاب رسول الله ﷺ وإعلامهم أن نصرهم قريب وتبشيرهم بخروج المجاهدين لنصرتهم ليزيدهم إيمانًا وثباتًا وقدرة على المناورة والمواجهة. وقد كان نص خطاب خليفة رسول الله العام هو:

من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على الإسلام أو رجع عنه: سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأقر بما جاء به ﷺ. أما بعد: فإن الله أرسل محمدًا ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1] ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] يهدي الله للحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله، فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[4] وقال للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.
(٢) سورة يس، الآية: ٧٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1] فمن كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له، فإنه له بالمرصاد، حيّ قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاء به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهديه وأن تعتصموا بدين الله، فإنّ من لم يهده الله ضل، وكل من لم يعافه يُبتلى، وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه كان مهديًّا ومن أضله كان ضالًّا: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[2] ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقرّ به ولم يُقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به؛ اغترارًا بالله، وجهالة بأمره وإجابة للشيطان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[3]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[4]. وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان، فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كفّوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٥) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥٨. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٦/ ٣٨٤.

«وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أرسل أمراءه إلى أهل الردة يوصيهم فيقول إذا سمعتم في نادي قوم بأذان للصلاة فكفوا عنهم حتى تعلموهم ما عليهم من شرائع الإسلام وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارات وحرقوا وأنهكوا في القتل والجراح ولا يؤودنكم وهن لموت نبيكم ﷺ وأمّر على المهاجرين خالد بن الوليد رضي الله عنه وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه»[1].

وفي هذا البيان العام يتضح مدى وضوح وشفافية الخلافة الراشدة ومدى حرصها على وحدة الصف وتجنب الفتن وعميق التزامها بالشرع ورغبتها في التزام جميع الناس به، ومن خلال هذا البلاغ تمكنت الخلافة من إقامة الحجة على الناس عامة وعلى الرافضة المرتدين خاصة، وفيه نعى الصديق رسول الله ﷺ إلى الأمة المسلمة، وأوضح أن الباقي هو الله تعالى وأن الناس مطالبون بالتزام العقيدة التي جاء بها محمد ﷺ بلا تغيير ولا تبديل، وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده، وأن الولاء في الإسلام لله تعالى وإنْ تغير الأشخاص والقادة، وفي هذه التوجيهات تأكيد على خطورة التعلق بالقيادة البشرية حتى يبقى التعظيم المطلق لله وحده لا شريك له، بعكس المجتمعات التائهة التي تعظم الطغاة الذين يحرفونها عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

كما اتضح في كتاب خليفة رسول الله أن المسلمين مطالبون بتبليغ شرع الله للناس كافة والتخلق بتقوى الله تعالى والزهد في الدنيا وما فيها من حظوظ زائلة، وأن من يرفض الكتاب والسنة لا حرمة له ولا لمن يواليه وينصره، فسارت كتائب المؤمنين على هدي ما أمر به خليفة رسول الله الذي أقرّ ما جاء في كتابه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، فأصبح كل من يخالف ذلك الكتاب إنما هو ضال محارب لله ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2]. فكل من يزعم أنه من أهل الإيمان وأنه مسلم فإنه مطالب بموالاة المهاجرين والأنصار لأنهم هم الذين آمنوا وجاهدوا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

وأنفقوا، ومن زعم الإسلام وهو يحمل في قلبه الغل عليهم رضي الله عنهم فإنما هو رافض لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ متلبس بالردة لا رحمة له في دولة الراشدين لأن رحمته طعن في الدين وموالاة للمرتدين عمّا جاء به رسول الله ﷺ.

عهد خليفة رسول الله إلى الأمراء قادة الجيوش:

وكتب خليفة رسول الله عهدًا لكل أمير من الأمراء الذين بعثهم لجهاد المرتدين يشتمل على نص واحد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ حتى لا يكونوا عيونًا ولئلا يؤتى المسلمون من قِبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول»[1]. ثم أخذ كل أمير عهده وتوجهوا إلى حيث أمروا وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة، والموافق فبراير سنة ٦٣٣ ميلادية[2].

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٥٨.　　(٢) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ٨٨.

ثم اختتم خليفة رسول الله خطابه العام إلى الناس بأن أوضح لهم الخطة التي أمر رسله وقادته باتباعها معهم، من قراءة لكتابه في كل مجمع، وجعل الأذان علامة على إسلامهم، فمن أذن منهم كف المسلمون عنه، وإلا عاجلوه بالقتال دون إعلام وإنذار بعد أن يطلع على ذلك الكتاب الشامل الواضح، فإن أذنوا سألوهم ما عليهم من حق الله، فإن أبوا عاجلوهم بالقتال، وإن أقروا قبلوا منهم وحملوهم على ما ينبغي لهم، وأن الخلافة تقبل منهم الظاهر من ذلك وتكل سرائرهم إلى الله تعالى ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

وبالنظر إلى الكتاب العام وكتاب الأمراء يتضح أن مضمون الكتابين اشتمل على ضوابط عامة قائمة على تعاليم الإسلام، ولكن الكتاب الثاني امتاز بنصائح وتعليمات أُخرى تتفق مع أحوال القادة والجند ومع تحركاتهم ومواجهاتهم ومع ما يتفق وحياة المجاهدين، وتضمن تلك النصائح التالية:

١- التمسك بتقوى الله العظيم الذي بيده مقاليد الأمور وبيده النصر والهزيمة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

٢- الحزم والجد في كل ما يرضي الله تعالى، والحذر من الوهن والتواكل والشدة القصوى على المرتدين، وعدم قبول تمويهاتهم وباطنيتهم فإما العودة إلى الإسلام وإما السيف، وألا يقبل منهم عذرًا ولا ينتظر مواجهتهم ولا منع أحد من المسلمين من قتالهم لأنهم هم الأخطر والأمكر بالمسلمين.

٣- ألا يقبل من أعداء الصحابة سوى الإقرار بكل ما جاء به النبي ﷺ دون تحريف أو تزييف.

٤- أن يقبل منهم ظاهر مواقفهم بعد الإعذار إليهم وإقرارهم بذلك، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، وأن يعلمهم بما يجب عليهم إذا دخلوا في الإسلام.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦. (٢) سورة محمد، الآية: ٧.

٥- إن أبى الرافضة إلا قتال أهل الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين، قاتلهم المجاهدون من جند الخلافة فإن ظهروا عليهم فلا أمان لهم لأنهم قوم غدر لا ثقة فيهم؛ وأن ينكل بهم ليجعلهم عبرة لغيرهم من أعداء الكتاب والسنة النبوية.

٦- إن غنم من أموالهم فله ولجنده أربعة أخماس الغنيمة، والخمس الآخر يرسل إلى دار الخلافة ليقسم في مصالح المسلمين كما أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

٧- أن يرفق القادة بجندهم في حركتهم وإقامتهم ولا سيما الصحابة رضي الله عنهم وأهل السابقة وألا يترك مشاورتهم، وأن يحرص على الاستفادة من نصائحهم.

٨- أن يختار القادة مواقع معسكراتهم وألا يغفلوا عن حراستها وحمايتها من غدر المرتدين الذين لا يقيمون وزنًا لقيم ولا لأعراف أو أديان إذا سنحت لهم فرصة من الغدر.

٩- ألا يغفل القائد عن حاجات جنده وتزويدهم بكل وسائل البقاء والنصر، وأن يستهدي بثقات الأدلاء وينتفع من خبراتهم في اختصار المواصلات وسلوك الطرق الآمنة منها.

١٠- أن يعمل على تعبئة الجيش، وأن يكون مستعدًّا لكل المفاجآت، ويرسل أمامه الطلائع الذين يرصدون تحركات الأعداء ويؤمنون السبل لمسار جيوش المسلمين، وألا يغفل عن تفقد قواته في كل أحواله.

---

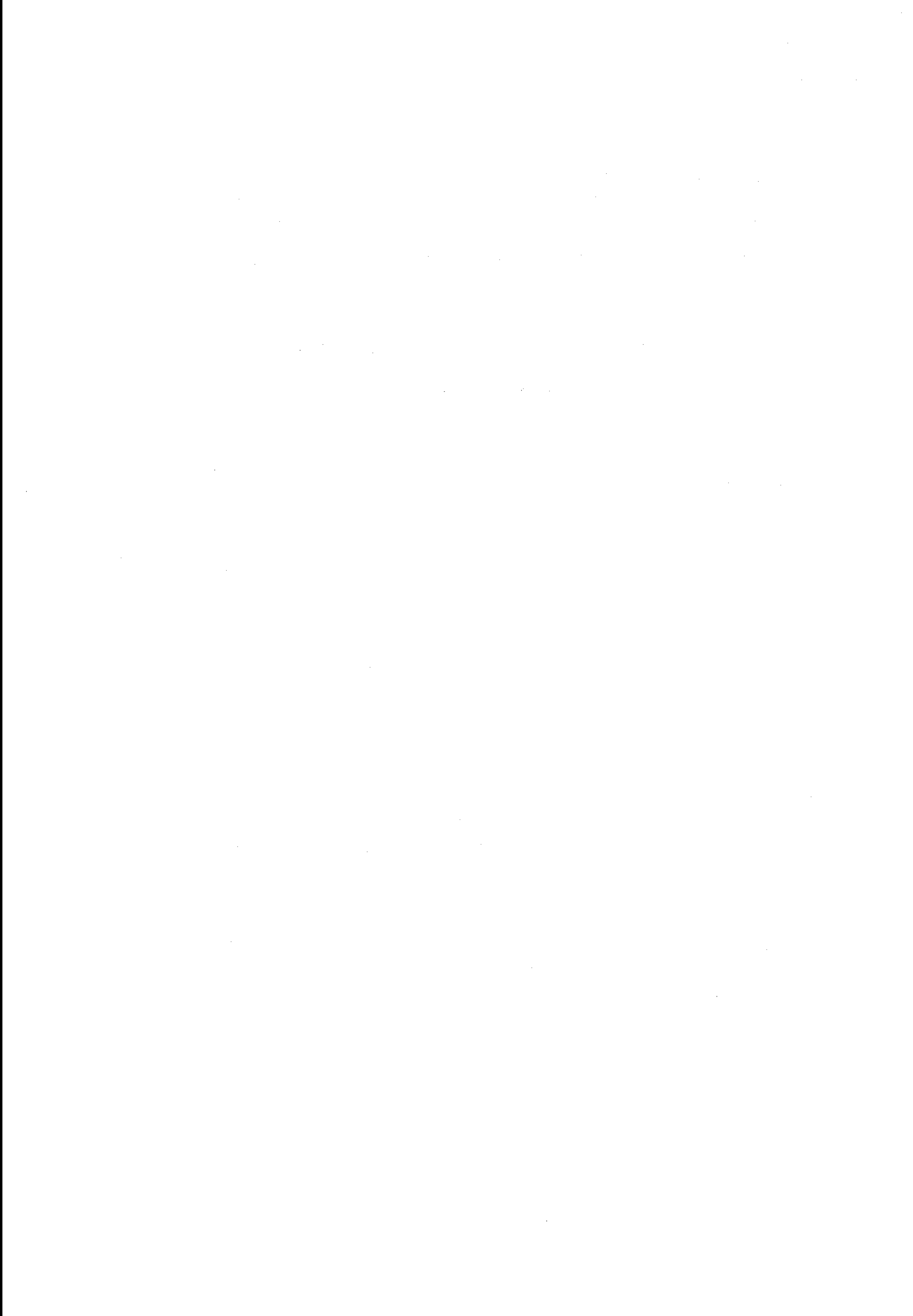
(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

١١- أن يحرصوا على الموت في سبيل الحق المتمثل في سيادة الكتاب والسنة على سواهما من الشرائع البشرية، وألا يصدهم عن ذلك خطر مهما بلغ شأنه، وألا يتوانوا عن قذف الرعب في قلوب الرافضة المرتدين؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد للتعامل معهم، ومن ثم إلزامهم بما أمر الله به وكف عاديتهم عن المسلمين؛ لأن طبيعة تكوينهم الثقافي والفكري قائمة على استباحة الضعيف وسحقه وخدمة القوي والنفاق له.

١٢- والأهم من كل ما سبق أن يتحرى المسلمون في قتالهم وجه الله، وأن يحافظوا على هويتهم المتمثلة في التمسك بالسنة وتعاليم النبوة، وأن يقبلوا من الناس علانيتهم فلا يتعرضوا لمن قابلهم بالأذان أو اشتغلوا بالصلاة حتى تظهر حقيقتهم، فإن تبين أنهم مصرون على رفضهم للكتاب والسنة وإمامة خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه فليشنوا عليهم الغارة ويقتلوهم بلا هوادة حتى يسلموا ويقيموا أركان الإسلام كاملة.

١٣- وأن يدفعوا الزكاة دون أي تأخير أو تأويل كما أمر الله تعالى بذلك في كتابه الكريم، ويقروا بأن أصحاب رسول الله ﷺ هم حملة الكتاب والسنة وحماتهما وهم خير أمة أخرجت للناس، وأن كل من يخالفهم أو يحمل الغل عليهم أو على تابعيهم بإحسان فإنما هو عدو لله ولرسوله ﷺ.

***



المبحث الثالث

الموقف من المتنبئين والمرتدين
(الأسود العنسي وطليحة بن خويلد الأسدي
وموقف بني عامر وهوازن وسليم)

الأسود العنسي المتنبئ الكذاب:

هو عبهلة بن كعب ويكنى بذي الخمار؛ لأنه كان معتمًّا متخمرًا دائمًا ويعرف بالأسود لاسوداد وجهه وهو ضخم الجسم قوي البنية، يستخدم الكهانة والسحر والخطابة البليغة وكان مشعوذًا يري قومه الأعاجيب، وكان يستخدم المال لشراء الذمم واستمالة القلوب، وكان أول المتنبئين الكذابين.

انتشر خبره في حياة النبي ﷺ وكان يدّعي النبوة لنفسه ولا ينكر نبوة رسول الله ﷺ، وكان يزعم أن ملكين من الملائكة يأتونه بالوحي وهما سحيق وشريق[1] وجعل من نفسه مرجعًا أعلى لكل من يرفض الكتاب والسنة ويبغض الصحابة رضي الله عنهم، وكان يجمع الجموع سرًّا حتى كثر أتباعه فأعلن عن دعوته فكان أكثر أتباعه من قبيلته عنس، ثم تبعه عوام مذحج وكانت عنس فرعًا من مَذحج، وتبعه من الزعماء قيس بن المكشوح المرادي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وغيرهما من طالبي الرياسة والجاه والتسلط وتبع هؤلاء

---

(١) المقدسي: البدء والتاريخ، ٥/ ١٥٤. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٢١٨.

كثير من العوام، وقد سيطر على نجران وأخرج منها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك المرادي رضي الله عنه فأجلاه وقام مقامه في الإمارة على مراد، ثم هاجم الأسود صنعاء فتصدى له شهر بن باذان فقتله الأسود واستولى على صنعاء وكان باذان أميرًا على جميع اليمن فلما توفي قسّم رسول الله ﷺ عمله على عدد من الولاة ولما علم رسول الله ﷺ بما يفعله الأسود الكذاب راسل مجموعة من زعماء القبائل ووجهاء اليمن ممن كان أسلم ودعاهم إلى التعاون على قتل الأسود العنسي فكان لمراسلات النبي ﷺ أثر عظيم في ثباتهم على الإسلام بعد وفاته وفي استمرار تعاونهم للتخلص من شره وفتنته.

وقد استغلظ أمر الأسود العنسي حتى خافه من حوله وداهنه أهل الأهواء والمنافقون وكثرت حوله الرافضة الذين يتعاونون مع كل محارب للإسلام، وتزوج الأسود امرأة شهر بن باذان بعد أن قتله وهي مسلمة وهي ابنة عم فيروز الديلمي. ولما بلغ أمر الأسود إلى هذه القوة خاف أهل حضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم هذا الكذاب جيشًا أو أن يظهر بينهم كذاب مثله، فتزوج معاذ امرأة من السكون فعطفوا عليه وقام معاذ بذلك خير قيام فقويت نفوس المسلمين هناك، وكانت كتب النبي ﷺ قد وصلت تحث المسلمين على قتل الأسود مصادمة أو غيلة.

وكان المؤمنون من أهل اليمن وأمراؤهم صابرين على هذه المحنة يقلبون أمورهم ويتواصلون ويتراسلون حتى أجمع أمرهم بعدما وصلهم كتاب النبي ﷺ على قتل هذا الطاغية الرافض للسنة المبغض للصحابة رضي الله عنهم الذي يكذب على الله ورسوله ﷺ جاعلًا من نفسه إلهًا ومشرعًا من دون الله، فتعاون فيروز الديلمي وداذويه وقيس بن عبد يغوث وكان الأسود قد تغير عليه، فأجمعوا على قتله فتعاونت معهم أرملة شهر التي تزوجها الأسود وأرشدتهم إلى مكان نومه وإلى أقرب الطرق الموصلة إليه وهيأت لهم جميع السبل للتخلص منه، وبعد جهود شاقة وعملية جريئة ودقيقة تمكنوا من ذبحه على فراشه، ومن ثم الإعلان بأذان الفجر أن محمدًا رسول الله وأن عبهلة كذاب ثم رموا برأسه

على أصحابه فأصابهم الرعب ففروا من صنعاء بعد أن أعد المسلمون أنفسهم للدفاع عنها، وبقتل هذا الطاغية قضى المسلمون على أكبر مرجع للرفض والردة ومحاربة السنة النبوية واستباحة حرمة أصحاب رسول الله ﷺ في اليمن ورجع الصحابة إلى أعمالهم التي كانوا عليها، وعاد معاذ رضي الله عنه يترنم بالقرآن إمامًا ومعلمًا للمسلمين في صنعاء، تأخذ قراءته بمجامع القلوب، فعلم النبي ﷺ بخبر قتل الأسود العنسي من ليلته التي قتل فيها. فقال ﷺ: «**إن الله قتل الأسود الكذاب العنسي قتله بيد رجل من إخوانكم**». وروي أن فتنة العنسي استمرت حوالي أربعة أشهر من أولها حتى قتل وكان قبلها مستسرًّا، وقدم البشير بقتله بعد وفاة النبي ﷺ فكانت أول بشارة يتلقاها خليفة رسول الله وهو بالمدينة، وبعد أن استقرت الأمور في اليمن لأصحاب رسول الله ومن آمن معهم من المسلمين جاءهم خبر وفاة رسول الله ﷺ فانتقضت الأرض من جديد[1].

وبدأ خليفة رسول الله يرسل الجيوش لمواجهة أعداء الصحابة الذين لا يدعون فرصة يمكنهم فيها النيل من الإسلام إلا اقتنصوها لا همّ لهم سوى طمس السنة والخلاص من المؤمنين بها في كل أرض من بلاد العرب.

فتبين في هذه الأحداث جملة من الحقائق نوجزها في النقاط التالية:

١- أن من يدخل في هذا الدين لا بد وأن يمتحن ويختبر إيمانه ولله في ذلك شؤون يمتحن بها عباده ليعلموا هم أنفسهم مدى عمق إيمانهم وصحته من عدمه، وقد كانت فتنة الأسود الكذاب فتنة كبيرة لما جمع من قوة وحقق من نجاحات على الصعيد العسكري.

٢- وأن المؤمنين الصادقين لا يقبلون بسنة نبيهم ﷺ بديلًا وأن كل من يزعم أنه من أهل الإسلام ولا يسير على منهج سنّة رسول الله ﷺ فإنما هو مفترٍ مهما ادعى من دعاوى ورفع من شعارات.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٥١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٠. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٢٢٠.

٣- وأنّ أمر الرافضة قديم وأن الحرب على السنّة النبوية لم يكن يشنها المشركون الوثنيون فقط، وإنما كان هناك الكثير من الأدعياء الذين يزعمون للناس أن لهم صلة بالله تعالى إما عن طريق الوحي الكاذب الذي يصنعونه من وحي أنفسهم أو من وحي شياطينهم، ولكن هذا الضرب الآثم من الناس لا يكتفي بما يشرعه للناس من دون الله حتى يقرن ذلك التشريع بالحرب على السنّة النبوية والدعوة التامة إلى مناقضتها ومخالفتها للفصل بين الناس وبين الكتاب والسنّة باسم الإسلام والإيمان وما إلى ذلك.

٤- وتأكد من هذه الأحداث أيضًا أن المسلمين لا يقبلون بديلًا للسنّة النبوية وأنهم على استعداد للصبر والتضحية بكل ما يملكون من أجل نصرتها، وأنهم وإن غلبوا في الظاهر في بعض المراحل التاريخية إلا أنهم لم يستكينوا لأعداء السنّة وإنما هم دائمًا متواصلون يخططون ويدبرون لإعادة السيادة للكتاب والسنّة وأن ثقتهم في ذلك لم تضعف بضعف قوتهم العسكرية فكانوا دائمًا هم أصحاب الجولة الأخيرة، شعارهم في ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1].

٥- وأن الغوغاء في كل عصر هم أعوان للكذابين والأدعياء؛ لأنهم لا يتبصرون ولا يبنون مواقفهم على العقيدة الصافية، تستميلهم المكاسب والمناصب فيخضعون لأصحابها ويداهنونهم على باطلهم على حساب الحق والأمانة، فتستوي عندهم السنة النبوية والردة العنسية، وهذا ما اتضح من قِصر فترة تسلط مرجع الرفض والشرك والردة العنسي الذي لم يتجاوز حكمه أربعة أشهر حتى تناولته سيوف المؤمنين من أهل السنة النبوية معيدين الحق إلى نصابه بعد أن تبين الأدعياء من الدعاة، وأهل السنة من أهل البدعة.

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

٦- كما ظهر دور المرأة المؤمنة واستعدادها لنصرة السنة النبوية بدمها وروحها، وهذا ما فعلته المؤمنة آزاد أرملة شهر بن باذان؛ حيث أسهمت في التخطيط والإعداد وهيأت وسائل التنفيذ ثم كانت من المشجعين للمجاهدين في أخطر مراحل تنفيذ تلك العملية الفدائية التي أطاحت برأس الفتنة الرافض للسنة، ولم تغتر تلك المرأة المؤمنة ببهارج الدنيا وكونها حصلت على أقصى ما تفكر به الكثير من النساء وهو العيش في القصور والانغماس في النعم عند أهل الجاه والمال والسلطان، فسنت بذلك سنة حسنة للمرأة المسلمة التي ما زلنا نسمع أخبارها الباهرة في هذا العصر وأنها على استعداد تام لتقديم روحها نصرة لعقيدتها وسنة نبيها ﷺ وعزة أمتها، فكم من امرأة مؤمنة تركت بيتها وأولادها وسارت على منهج آزاد ونسيبة وأخواتهما في محاربة أعداء السنة وتقديم دمائهن لنصرة الإسلام والمسلمين، مما يؤكد لكل عاقل أن السنة النبوية محروسة بدماء أهلها وأنها هي المنصورة لأنها المنهج الأسمى والطريق الأقوم الموصل إلى رضاء الله والرسول ﷺ.

٧- وتبين أن القيادة الراشدة كانت لا تساوم ولا تهادن الرفض والردة وإنما كان منهجها هو الثبات على السنة والقضاء على الردة ليس بينهما إلا السيف؛ لأن الرفض والردة قائمان على هدم السنة، فأي مهادنة لهذا الباطل يعني المشاركة في الحرب على النبوة، لذلك كان خليفة رسول الله ﷺ دائم التواصل مع قادته متيقظًا في كل أحوله داعيًا إلى الإقدام والتضحية لعزة الكتاب والسنة النبوية وإبلاغهما إلى العالمين، وهذا ما كان عليه خليفة رسول الله حتى أطفأ الردة ونصر السنة وأعز أهلها في ظلال قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

الموقف من طليحة بن خويلد الأسدي:

طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسيّ قدم مع وفد قومه على رسول الله ﷺ في عام الوفود سنة تسع من الهجرة فسلموا على رسول الله ﷺ وقالوا له ممتنين: جئناك نشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ولم تبعث إلينا بعثًا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]. وسرعان ما تنبأ طليحة في آخر حياة النبي ﷺ واستعان على ذلك ببعض الأسجاع والشعوذات مستخدمًا الشعر وبعض الحيل التي تنطلي على العامة.

وقد كان طليحة ينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه، وكان يقول للناس: أيها الناس! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئًا واذكروا الله قعودًا وقيامًا. وجعل يعيب الصلاة وهو يقول: إن الصريح تحت الرغوة. وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصابه هو وأصحابه العطش في منزل لهم، فقال طليحة فيما سجع لهم من أباطيله: «اركبوا علالًا - يعني فرسًا - واضربوا أميالًا، تجدوا قلالًا» ففعلوا فوجدوا ماء، فافتتن الأعراب به، ثم قال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد: لآتيك من ناحية خيبر إن شاء الله فيمن بقي من المسلمين، وأراد أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم، ثم ودع خالدًا ورجع إلى المدينة[2].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ رفض خلافة النبوة وأعلن الحرب على المهاجرين والأنصار وسنة النبي ﷺ وارتد عن الإسلام، وكان سببًا في فتن كثيرة راح ضحيتها الكثير من الناس، واستمر على ذلك حتى جاءه سيف الله خالد بن الوليد بسيوف السنة النبوية من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فانهزم منهم بعد أن غُلبت جموعه وانفضوا عنه وولوا هاربين، ثم تاب بعد ذلك وأسلم وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين وكان له مواقف عظيمة في الفتوح[3].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧. (٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٠.

(٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٤٤٠.

وقعة ذي القَصة:

كان طليحة بن خويلد قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فوجّه إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور رضي الله عنه حتى لم يبق إلا أخذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه شيئًا، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه وتبعه كثير من الغوغاء والمغرورين. ومات النبي ﷺ وهم على ذلك، فكان طليحة يقول: إن جبرائيل يأتيني، وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئًا، اذكروا الله أعفة قيامًا، إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطيئ. فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة، وأقامت طيئ على حدود أراضيهم وأسد في منطقة سُميراء، واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرّة بالأبرق من الرَّبَذة، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القَصة، وأمدهم طليحة بأخيه حِبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون أداء الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني عقالًا لجاهدتهم عليه. وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة - أي الحبل الذي يقيدون به البعير - وردهم رضي الله عنه فرجع وفدهم، فأخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها كما سبق ذكر بعض ذلك[1].

وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب الذين يحرسون مداخل المدينة إلى من حولها من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه مع المرتدين من بني عبس وبني مرة، وذبيان، ومن ناصب الصحابة العداء معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بأخيه حِبال وكانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء - أي قِرب ماء فارغة - فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل المسلمين نفرت وذهبت كل مذهب فلم يملكوا من أمرها شيئًا إلى الليل، وحتى رجعت بهم إلى المدينة كما سبقت

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٣.

الإشارة إلى ذلك فقال الحطيل بن أوس حينها:

فِدًى لبنِي ذبيانَ رَحْلِي وناقتي عَشِيَّةَ يُحْدَى بالرِّماح أبو بكرِ
أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر[1]

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أخر، فاجتمعوا وبات أبو بكر رضي الله عنه قائمًا ليله يعبئ الناس، ثم خرج على تعبئته من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مقرّن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حسًّا ولا همسًا، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حِبال، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصة، وكان أول الفتح، فذل بها المشركون، وعز بها المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم، عند ذلك حلف خليفة رسول الله الغيور على المسلمين؛ ليقتصنّ من الرافضة الغادرين، بمن قتلوا من المسلمين؛ ذلك أن العفو عن الغادر إنما هو تشجيع له على ارتكاب المزيد من الجرائم، وفي القصاص استقامة للحياة الآمنة، وردع للباطل لكيلا يتمادى في ظلمه ونصرة للحق لكيلا يضعف فيهزم. وفي ذلك قال الشاعر التميمي زياد بن حنظلة:

فما صَبَرُوا للحربِ عِنْدَ قِيامِها صبيحةَ يسمو بالرجال أبو بكرِ
طَرَقْنَا بَنِي عَبْسٍ بأدنى نباحها وذبيانَ نهنهنا بقاصمة الظهرِ[2]

فكانت وقعة ذي القَصة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عزّ المسلمون في كل قبيلة، وذلّ المرتدون في كل قبيلة، ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة مؤيدًا منصورًا، سالمًا غانمًا بعد تلك الإنجازات التي ثبّت الله بها أركان خلافة النبوة وكشف بها

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٧.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٨.

بوائق الرافضة وزيف عقيدتهم وهشاشة انتمائهم للأمة وبعدهم عن سنة نبيها ومفارقتهم لدينها[1].

مسير خالد إلى طليحة بن خويلد في منطقة بُزاخة:

ولما فصلت الأمراء من ذي القَصة ولحق بكل أمير جنده، وعهد خليفة رسول الله إلى كل أمير بمهمته، وكتب إلى جميع المرتدين يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم من مغبة رفض خلافة النبوة، وسيّر الكتب إليهم مع رسله. ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا ببزاخة أرسل إلى جديلة والغوث من طيئ يأمرهم باللحاق به، فتعجل إليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم، فقدموا على طليحة وكان أبو بكر رضي الله عنه بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلى طيئ وأتبعه خالدًا وأمره أن يبدأ بطيئ ومنها يسير إلى بُزاخة حيث جموع طليحة، ثم يثلث بالبُطاح التي يقيم فيها مالك بن نويرة ومن معه من الرافضة، ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له. وأظهر أبو بكر رضي الله عنه للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالدًا رضي الله عنه يرهب العدو بذلك[2].

وقدم عدي بن حاتم إلى طيئ فدعاهم وخوفهم، ومعلوم مكانه فيهم، فأجابوه وقالوا له: استقبل الجيش فأخره عنا حتى نستخرج مَنْ عند طليحة مِنْ إخواننا لئلا يقتلهم وكانوا قد انضموا إليه لحرب المسلمين. فاستقبل عدي خالدًا وأخبره بالخبر، فتأخر خالد، وأرسلت طيئ إلى إخوانهم عند طليحة يدعونهم للعودة إليهم فلحقوا بهم، فعادت طيئ إلى خالد بإسلامهم، ورحل خالد يريد جديلة، فاستمهله عدي عنهم، ولحق بهم عدي يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه، فعاد إلى خالد بإسلامهم، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان عدي خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم.

وأرسل خالد بن الوليد عُكّاشة بن مِحصن وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة له، فبلغ

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٥.

خبرهما طليحة فخرج هو وأخوه سلمة بمن معهما فقتلا طليعة المسلمين عُكّاشة وثابت بن أقرم ثم رجعوا.

وأقبل خالد بالناس فرأوا عُكاشة وثابتًا قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، وانصرف بهم خالد نحو طيئ فقالوا له: نحن نكفيك قيسًا، فإن بني أسد حلفاؤنا. فقال: أي الطائفتين شئتم. فقال عدي بن حاتم: لو نزل هذا على الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم. فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جهاد، لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم إلى أي القوم الذين هم لقتالهم أنشط، ثم سار لقتالهم حتى التقيا على بزاخة، وبنو عامر قريبًا يتربصون على من تكون الدائرة، قال: فاقتتل الناس على بزاخة[1].

وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة، فقاتلوا قتالًا شديدًا وطليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم، فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له: هل جاءك جبرائيل بعد؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثم كر على طليحة فقال له: لا أبا لك! أجاءك جبرائيل؟ قال: لا. فقال عيينة: حتى متى؟ قد والله بلغ منا! ثم رجع فقاتل قتالًا شديدًا ثم كر على طليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. فال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحًا كرحاه وحديثًا لا تنساه. فقال عيينة: قد علم الله أنه سيكون حديثًا لا تنساه، انصرفوا يا بني فزارة فإنه كذاب، فانصرفوا وانهزم أعداء الصحابة الذين أعلنوا الحرب على خلافة النبوة دونما أي سبب.

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته النوار، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال: يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل. ثم انهزم فلحق بالشام، ثم نزل على بني كلب فأسلم حين بلغه أن أسدًا وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيمًا في كلب حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه.

وكان قد خرج معتمرًا في خلافة أبي بكر ومرّ بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر رضي الله

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٦. ينظر: ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٣.

عنه: هذا طليحة! فقال رضي الله عنه: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثم أتى عمر رضي الله عنه فبايعه حين استخلف. فقال له: أنت قاتل عكاشة وثابت؟ والله لا أحبك أبدًا! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما؟! فبايعه عمر رضي الله عنه وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان بالكير. ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق فشارك في حرب القادسية. وقيل في نهاية طليحة: إنه مضى وأصحابه إلى الشام بعد هزيمتهم، فأصابهم في طريقهم عطش شديد فقالوا: هلكنا عطشًا فما بقي من كهانتك؟ فقال لرجل منهم: يا مخراق اركب فرسًا ويبالًا ثم شن عليه إقبالًا، فإنك سترى فارات طوالًا ثم تجد عندها حلالًا. فركب مخراق فرأى الفارات وعندها عين فشربوا وسقوا دوابهم ثم مضى إلى الشام فلما علم من هناك من المسلمين بطليحة أخذوه فأوثقوه ثم وجهوا به إلى أبي بكر فتوفي أبو بكر رضي الله عنه وطليحة في الطريق فقدم به على عمر رضي الله عنه فأسلم وحسن إسلامه[1]. والمتفق عليه أن طليحة أسلم وحسن إسلامه وجاهد مع المسلمين في الفتوح.

ولما انهزم الناس عن طليحة أُسر عيينة بن حصن، فقدم به على أبي بكر رضي الله عنه فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنت بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر رضي الله عنه وحقن دمه. وأخذ من أصحاب طليحة رجلًا كان عالمًا به، فسأله خالد رضي الله عنه عما كان يقول، فقال: إن مما أتى به: «والحمام واليمام، والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكنا العراق والشام». قال: ولم يؤخذ منهم سبي لأنهم كانوا قد أحرزوا حريمهم فلما انهزموا أقروا بالإسلام خشية على عيالاتهم فأمنهم[2].

ولما حقق سيف الله رضي الله عنه النصر المؤزر على أعداء الصحابة الذين تمردوا على الخلافة وارتدوا عن الدين وفرّ مرجعهم المتنبئ طليحة هاربًا تاركًا دينه المزعوم وأهله،

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٦.

كتب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد ومن كان في صفّه وقام بنصره كتابًا جاء فيه:

«ليزدك ما أنعم الله به خيرًا واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جدّ في أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به، ومن أخذت ممن حادّ الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحًا فاقتله. فأقام خالد ببُزاخة شهرًا يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين أوصاه بسببهم الصديق رضي الله عنه فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرًا يأخذهم بمن قتلوا من أهل السنة المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من المرتدين»[1] ولكيلا يجترئ الرافضة على أحد من المسلمين.

ولما قدم وفد أسد وغطفان من بُزاخة على أبي بكر رضي الله عنه يسألونه الصلح، خيرهم بين حرب مُجلية أو خُطة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتُتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يُري الله خليفة نبيه ﷺ والمؤمنين أمرًا يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما قولك: تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم. فامتنع عمر رضي الله عنه. وقال عمر في رأي خليفة رسول الله الثاني: نِعْمَ ما رأيت[2].

فتبين مما سبق أن المرتدين كانوا لا يفكرون بعقولهم، وإنما أوكلوا التفكير في المسائل المصيرية مثل مسألة العقيدة ومسألة رفض خلافة النبوة وإعلان الحرب على الصحابة رضي الله عنهم وسنة النبي ﷺ أوكلوا ذلك إلى مراجعهم المتنبئين الكذابين الذين كانوا يُسخرون الفتوى والتشريع لما يخدم مصالحهم تحت ذرائع واهية وفرضيات مبنية على أوهام تخدم

---

(١)، (٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣١٢.

في النهاية توجهاتهم الجاهلية ومصالحهم القبلية وتحارب التوحيد والوحدة والنظام والشرع والمساواة، وكانوا لا يزيدون في كل ما فعلوه عن أن يكونوا مغامرين، فإن نجحت مغامراتهم فبها ونعمت، وإن فشلوا فلا حرج من الهزيمة والتربص فإن انتصر المسلمون فهم رحماء يغفرون لمن أساء إليهم.

أما المسلمون فكانوا يسيرون على خطط مرسومة وأهداف معلومة وضوابط مشروعة تحكم كل أفعالهم ويتوخون فيها العدل وتحبيب الإسلام إلى الناس مع التحوط التام والإعداد الكامل لكل الاحتمالات والعقبات التي من الممكن أن تواجههم، فضلًا عن وحدة القيادة وبراعتها ومجالس الشورى وعمق الشعور بالمسؤولية ومتابعة كل ما يجري تحت سلطانهم، لذلك حققوا جميع أهدافهم وأنقذوا الناس من ظلمات الرفض والردة إلى عدل الإسلام وسماحته وانفتاحه وعالميته.

واتضح في كتاب خليفة رسول الله إلى سيف الله الحزم الذي أخذ به خليفة رسول الله جند الخلافة، ووضوح أوامره في مواجهة المرتدين وأن من يرفض الخلافة ويجعل له مرجعًا من دونها فإنما هو مرتد لا أمان له، وإن أنجع وسائل علاج معضلهم هو الحسم، ومن داهنهم فإنما ذلك سيكون على حساب العقيدة والهوية، فلم يقرّ خليفة رسول الله معهم سوى منتهى الشدة؛ وهو الرحيم الرقيق وما ذلك إلا لعلمه بمكرهم وحقدهم وشدة خطرهم على الإسلام والمسلمين، وهذا هو منهج خلافة النبوة في مواجهة الرافضة وهو المنهج الذي يجب أن يعلمه كل من يؤمن بخلافة النبوة وعليه أن يعلم أن كل من يدعو إلى أخوة الرافضة إنما يدعو إلى وجه من وجوه الردة مخالف لمنهج الصحابة رضي الله عنهم ولن يحصد هذا الصنف سوى خداع الأمة وإلحاق الأذى بأهل السنة الذين لا يقبلون سوى منهج الصحابة رضي الله عنهم ومسارهم الذي سلكوه في حياة الراشدين رضي الله عنهم وأن من يُلبس على المسلمين ويزعم التقريب بينهم فقد حاد عن الطريق الصحيح، وعن منهج السلف الصالح، فإن المرجع في ذلك كتاب الله وسنة النبي ﷺ فمن خرج عنهما فعليه أن يعود من حيث خرج ومن يصر على رفض السنة فإن التقرب إليه إنما يعني الخروج من

الإسلام والتقارب مع المرتدين وهذا ما لم يقل به مسلم عاقل.

كما اتضح في نص هذا الكتاب كم كان سيف الله خالد رضي الله عنه حريصًا على تنفيذ إشارات خليفة رسول الله وتعاليمه كاملة دونما أي تردد أو إبطاء، وقد جنى المسلمون من تلك الطاعة لخليفة رسول الله ومن تلك الشدة على المرتدين ثمارًا طالما تذوقوا طعمها عزًّا ووحدة واستقرارًا بالإضافة إلى سلامة التوحيد وما جاء به النبي ﷺ دون أي تغيير أو تبديل واستمر ذلك قرونًا طويلة، ولعل ذلك يعد من أكبر الانتصارات التي حققها المسلمون في حروبهم بعد وفاة النبي ﷺ وعليه فلا مخرج لأهل السنة في هذا العصر من المحن المتلاحقة التي تصب عليهم إلا بفهم منهاج خلافة النبوة في التعامل مع الرافضين للدين المتعاونين مع أعداء المسلمين الحاقدين على سنة سيد المرسلين ﷺ وأهلها الأكرمين.

أثر عدي بن حاتم في دحر المرتدين وإنقاذ قومه منهم:

لما اجتمعت عبس وذبيان ومن تحالف معهم على حرب الصحابة عند ماء البُزاخة أرسل طليحة بن خويلد إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه، فتعجل إليه أناس من الحيين وأمروا قومهم باللحاق بهم فقدموا على طليحة مناصرين له، وبعث خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه عدي بن حاتم رضي الله عنه قبل توجيه خالد رضي الله عنه من ذي القَصة إلى قومه، وقال له: أدركهم لا يؤكلوا فخرج إليهم ففتلهم في الذروة والغارب، أي حاورهم ودعاهم إلى ترك الرفض والعودة إلى السنة النبوية وخرج خالد في أثره وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يبدأ بطيئ على الأكناف، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه ويأمره بذلك، وأظهر أبو بكر رضي الله عنه أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف أكناف سلمى، فخرج خالد رضي الله عنه فَازْوَارَّ عن البُزاخة وجنح إلى أجأ وأظهر أنه خارج إلى خيبر ثم منصب عليهم، فأقعد ذلك طيئًا وبطأهم عن طليحة وقدم عليهم عدي رضي الله عنه فدعاهم فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبدًا.

وهذا شأن الرافضة في الطعن في خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه فقال لهم عدي: لقد أتاكم قوم ليبيحن حريمكم ولتكننه بالفحل الأكبر فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهنهه وأخره عنا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منا فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم. فاستقبل عدي خالدًا. فقال: يا خالد أمسك عني ثلاثًا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم. ففعل، فعاد عدي إليهم وقد أرسلوا إخوانهم فأتوهم من بُزاخة كالمدد لهم. ولولا ذلك لم يُتركوا فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد وارتحل خالد رضي الله عنه يريد جديلة فقال له عدي: إن طيئًا كالطائر، وإن جديلة أحد جناحي طيئ فأجلني أيامًا لعل الله أن ينقذ جديلة كما أنقذ الغوث ففعل، فأتاهم عدي رضي الله عنه فلم يزل بهم حتى بايعوه، فجاءه بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان موقف عدي خيرًا على قومه وعلى المسلمين وأعظمه عليهم بركة.

وذكر أن خيل طيئ كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامّون ولا يقتتلون فتقول أسد وفزارة لبني طيئ: لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبدًا. تصغيرًا لكنية خليفة رسول الله حيث إن الفصيل أصغر من البكر من الإبل. فتقول لهم خيل طيئ: أشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر[1].

وقد كان ذلك حيث أذعنوا لطاعة خليفة رسول الله بعد أن وجدوه وجنده أسودًا وفحولًا وأن الرافضة المرتدين لا يزيدون على أن يتحينوا فرصة للغدر أو التحالف مع الأعداء لخيانة الأمة واستباحتها مجردين من شيم الكرام وقيم الفروسية وكيف لا يكونون كذلك وهم يطعنون بخير الناس ويناصبونهم العداء والبهتان؟ فعلم كل عاقل أن المرتدين هم الذين ينتقصون من خليفة رسول الله ويحرضون على حربه والخروج عن طاعته، وهذا ما يخالف إجماع المهاجرين والأنصار ويمثل كفرًا بسنة رسول الله ﷺ، وهذه هي عقيدة الرافضة

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٦٣.

التي يجب أن يعرفها أهل السنة ويحترسوا منها ومن أهلها على مرّ السنين؛ لأن من لا يثق بخليفة رسول الله فمن باب أولى أنه لا يثق بمن يسير على منهج سنة رسول الله ﷺ، وكلما ازداد تهاونهم وضعف حزمهم ازداد أعداء الصحابة تمكنًا من رقابهم؛ إذ إنهم لا عدو لهم ولا بغيض عندهم إلا السنة النبوية وأهلها ومن لم يشارك في الدفاع عن السنة في قوله وفعله وماله وقلمه أو دعائه وبراءته من أعدائها فهو مقطوع الرحم مع السنة مُفرّط بنسبه إليها.

وكان الصديق رضي الله عنه على علم بأحقاد الرافضة وغدرهم وأن من يجترئ على الله ورسوله لا يبالي فيما سواهما، فاحتاط لذلك رضي الله عنه حين وجه خالدًا إلى قتال طليحة الأسدي وأوصاه بكل ما يجب أن يوصي به قائد جنده من الحيطة والحذر والتعبية والاستعداد الدائم ثم مواجهتهم بمنتهى الحزم، وهذا ما فعله سيف الله خالد رضي الله عنه ومن معه من الصحابة والتابعين، فكان النصر الذي أقر العيون وأثلج الصدور وأطفأ فتنة الرافضة المرتدين في بلاد بني أسد وغطفان ومن ناصرهم.

موقف مالك بن نويرة:

كان مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد التميمي اليربوعي، يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول، زعيم بني يربوع من تميم يسكن في منطقة البطاح، وكان شاعرًا فارسًا استعمله النبي ﷺ على صدقات قومه فلما بلغته وفاة النبي ﷺ أمسك أموال الزكاة وفرقها في قومه، وقال في ذلك:

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء من الغد[1]

ولما تسعرت فتنة الردة كان المسلمون الثابتون على الكتاب والسنة يقفون مقابل الرافضة المرتدين، وبينما كانوا على تلك الحال جاءتهم جموع سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان في بني تغلب، وقد تنبأت بعد وفاة النبي ﷺ فوادعها مالك بن نويرة، فخرج بعض بني

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ٥٦٠.

يربوع محتجين على ما فعل مالك ونزلوا في بني مازن كارهين لما صنعه زعيمهم، فلما ذهبت سجاح وقدم سيف الله بجنده ندم من صانع سجاح المتنبئة الكذابة فاستقبلوا خالدًا رضي الله عنه واعتذروا عمّا بدر منهم وبينوا له أسباب ذلك، فلم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكرهه خالد رضي الله عنه إلا ما كان من مالك بن نويرة ومن تجمع عنده في البُطاح، فلما رأى ألا قبل لأحد بخالد رضي الله عنه أمر قومه بالتفرق في بلادهم ومن ثم الدخول مما خرجوا منه، وبقي هو مترددًا لم يستقبل المسلمين ولم يعتذر عمّا بدر منه من تحالف مع المرتدين ولا عن تفريقه أموال الصدقة التي كان يجبيها للمسلمين وبقي على ذلك حتى جاءت به خيل المسلمين أسيرًا مع الأسرى وهناك بين يدي خالد والمسلمين بقي مكابرًا حتى قتل[1].

والذي لا شك فيه أن مالكًا كان رافضيًّا خارجًا عن طاعة خلافة النبوة الراشدة، وقد راجعه خالد رضي الله عنه في إسلامه، ولكنه أصر على منع الزكاة ولم يصرح بنبوة رسول الله ﷺ فكان يقول لخالد: قد كان صاحبكم يقول ذلك. يريد رسول الله ﷺ واستنكر منه خالد قوله فسأله: أما تراه لك صاحبًا؟ فلم يجب خالدًا رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ صاحبه أيضًا وأمام هذه الجلافة التي قابل بها مالك قائد الجيش الذي تهابه الجبابرة وهو المجاهد الذي لا يتهاون مع أهل البوائق والرفض فكيف بالمرتدين وأعوانهم وأنصار سجاح التغلبية ومسيلمة الكذاب، بالإضافة إلى التعليمات المشددة تجاه الرافضة المرتدين التي لا يستطيع خالد تجاوزها وهو القائد المثالي في الطاعة والنظام وتنفيذ تعليمات الخلافة الراشدة، فلم يكن أمام خالد مفر من قتله اتباعًا لتعليمات الخلافة الراشدة التي كانت تتعامل مع الردة بأقصى وسائل الشدة، فبعد أن أصرّ ابن نويرة على التفريق بين الصلاة والزكاة واستنكف أن يعترف بنبوة رسول الله ﷺ قتله ضرار بن الأزور بأمر من خالد رضي الله عنه.

وهذه الرواية رواها عامة المؤرخين عن ابن جرير الطبري[2] وأخذها عنه ابن الأثير وابن كثير وغيرهم بما فيها من أحاديث تناقض ثوابت الدين وقيم الأمة وسير الصحابة، بل إن

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٠، ٢٧٢. ابن الأثير: الكامل، ٢٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣١٥. ابن الأثير: الكامل، ٢٤٢.

الطبري الذي استقى عنه عامة المؤرخين هذه الرواية، استرسل في روايات باطلة عقلًا وشرعًا وأسفّت رواياته كثيرًا عندما شككت في زواج خالد من أرملة مالك بعد انقضاء عدتها ليطعن بذلك في حكمه على ابن نويرة الذي خالف أمر رسول الله ﷺ عمدًا، وهو الذي كان يُرتجى منه الثبات على الدين في أيام الردة لأنه أحد عمال رسول الله ﷺ فكيف يطعن الطبري في خالد ولا يطعن في ابن نويرة الذي ارتكب ما ارتكب من جريمة مخالفة الكتاب والسنة بمنع الزكاة ورفض طاعة خليفة رسول الله ومبايعته في الوقت الذي قبل فيه بيعة سجاح المتنبئة الكذابة، وكيف يجرؤ الطبري ومن أخذ عنه بأسانيد واهية الطعن في سيف الله الذي سله الله على الكافرين رضي الله عنه وهو القائد الذي عمل لرسول الله ﷺ والمشهود له بالشدة على الكافرين والمنافقين والرحمة على المؤمنين؟!

هذه المسائل وغيرها تقود إلى ما لا يمكن إخفاؤه بأن في روايات **تاريخ الطبري** نزعة رافضية تزكم الأنوف لا مسوغ لها ولا يمكن الاعتذار عنها بوجه من الوجوه المعتبرة ، وأن الزعم بأنه يورد السند لا يعد عذرًا علميًّا لأن أسانيد مثل هذه الروايات أسانيد فاسدة مكذوبة وعامتها رافضية فكيف يدونها في **تاريخه** وهي تطعن في الصحابة بما يناقض ما ورد عن الصحابة في الكتاب والسنة، فما هذه الأسانيد التي يتمسك بها إن كانت النية سليمة؟ ثم لماذا هذا الكم الهائل من الطعن على الصحابة والتشكيك في كثير من مواقفهم وفي عدالتهم؟!!

لقد أسَفت روايات الطبري في مفاصل كثيرة من **تاريخه** الذي ما زال يحوي بؤرًا آسنة منتنة لما فيها من طعن على أصحاب رسول الله ﷺ ولمز السنة النبوية، لم يكن له أن يسقط فيها ويخالف إجماع الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول وأن مكانة الصحبة لا يرقى إليها أحد من الناس مهما بلغ شأوه، ولم يكن يُرتجى من الطبري أن يوفر لأعداء الصحابة من الأباطيل والبهتان الذي تعجز مراجعهم المتخصصة عن حفظها وتسويقها بين عامة الناس لتبقى العامة تخوض في أوحالها بما يفسد العقيدة ويمزق الهوية ويزيف الولاء!!

إلا إذا كان هناك من عبث في **تاريخ الطبري** ونسب إليه ما لم يدونه، وحذف منه ما يفضح مثل هذه الأباطيل، وليس ذلك من أعداء الصحابة ببعيد!!

فهو يروي أن مالك بن نويرة لم يدفع الزكاة ولم يعترف بها من دون زعماء بني تميم، ويروي أنه تابَع سجاح التغلبية الكاهنة المتنبئة زوجة مسيلمة الكذاب، وأنه لم يستقبل جيش خالد رضي الله عنه مع من استقبله من بني تميم، ولم يقدم الصدقة التي كان جابيًا لها ومكلفًا بجمعها منذ أن بايع رسول الله ﷺ وهو يعلم أن خالدًا رضي الله عنه مكلف بتنفيذ سياسة الخلافة التي لا ترحم الرافضة المرتدين المكذبين للكتاب والسنة، وتلزم المرتدين بدفع زكاة أموالهم كبقية المسلمين ولا تعاتب الرافضة ولا تحاورهم؛ لأنهم متعمدون للإفساد ورد نصوص الشرع.

وكيف يروي الطبري أن خالدًا رضي الله عنه أمر ضرار بن الأزور بضرب عنقه بين الصحابة رضي الله عنهم وأنه نفّذ ذلك؛ ثم يشكك في ذلك الحكم ليتهم خالدًا وضرارًا ومن شهد معهم من الصحابة رضي الله عنهم وليبرئ هذا الرافضي المتمرد على خلافة النبوة!! وهذا ما لا يُقبل ولا يُستر، فإذا ثبت أن خالدًا أمر بقتل مالك فإن ذلك القتيل مستحق لما نزل به لأن الصحابة عدول والرافضة محتالون يفترون ويكذبون، فهم لا أمان لهم ولا عقيدة سوى مصالحهم وشهواتهم، ولو وجد خالد رضي الله عنه له مخرجًا عند خليفة رسول الله لما قتله ولكن الحق أحق أن يتبع.

وكيف يغفل خالد وجنده عن محاسبة من خان عهد رسول الله ﷺ بعد وفاته والتحق بسجاح المتنبئة الكاهنة الكذابة، وأبى دفع الزكاة مرارًا وتكرارًا عند مناقشته في ذلك فإذا كان الرافضة والمستشرقون يرون في هذا الحكم قسوة، فإن الخلافة الراشدة كانت ترى في المرتدين خطرًا على الدين وأهله حيث إنهم يسعون للإفساد في الأرض وتأليه أنفسهم بقبول ورفض ما يشاؤون، وهذا ذنب تقصر عنه كل عقوبة مهما بلغت شدتها، إضافة إلى تهديدها لأمن ووحدة الأمة.

ممارسة أعداء الصحابة للتضليل والتشويش على الصحابة وأهل السنة عامة يعد أحد أركان دينهم، فهم يروجون أن خالدًا رضي الله عنه تزوج أرملة مالك بن نويرة أم تميم ليلى بنت سنان بن المنهال وكأن هذه إحدى الكبر، بينما يمجدون أبا لؤلؤة المجوسي قاتل الفاروق رضي الله عنه وكأنه فتح مكة حتى جعلوه من كبار أوليائهم الذين يزارون ويمجدون!! أو كأن الحفاظ على الأعراض مما يقع ضمن اهتمامات أعداء الصحابة الذين جعلوا من المتعة دينًا يحتالون من خلاله على هتك الأعراض ونشر الإباحية ومحاربة الزواج الشرعي الذي يصون المرأة ويحفظ حقوقها وكرامتها!!

لقد تزوج خالد رضي الله عنه تلك المرأة لأنها ربما ثبتت على دينها ولم ترتد فأكرمها بذلك الزواج وأنقذها من ذل السبي وعاره عليها وعلى قومها، فهل يريد المفترون على خالد رضي الله عنه الزاعمون الدفع عن أم تميم أن تبقى سبية خادمة بعد أن كانت مكرمة في بيت عز ونسب؟ ألم يكن من الواجب الثناء على موقف خالد هذا وإكبار قبوله الزواج من امرأة في مثل حال أم تميم آنذاك؟ ألا يعد شرفًا عظيمًا لأي امرأة عربية أن تحظى بالزواج من خالد الصحابي القرشي الأمير الفارس الفصيح السيد القائد المنصور أبدًا رضي الله عنه الذي هزم بجهاده مجوس الفرس وصليبيي الروم وأذنابهما؟

لقد كان القتل والسبي من أحكام الردة، التي أقرها أصحاب رسول الله ﷺ فكيف ينكرون على خالد رضي الله عنه الزواج من تلك الأرملة الشريفة في قومها، وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تزوج من خولة الحنفية وهي إحدى سبايا المسلمين من نساء بني حنيفة وهي أم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي غلب عليه اسم محمد ابن الحنفية رضي الله عنه؟!

وكيف ينكرون على خالد رضي الله عنه الزواج في الحرب وهذا رسول الله ﷺ تزوج يوم فتح خيبر من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية بعد أن قتل زوجها في خيبر، فتزوجها ﷺ وهو في الطريق إلى المدينة وبعد أن أعتقها من السبي وأسلمت وأصبحت

من أمهات المؤمنين[1]. وتزوج ﷺ من جويرية بنت الحارث ابنة سيد بني المصطلق بعد أن أعتقها من السبي أيضًا وجعل صداقها عتقها، فكانت أيمن امرأة على قومها حيث أُطلق أسارى قومها بذلك الزواج الميمون، وكانوا مائة أهل بيت، ومن ثم دخلوا في الإسلام[2]. ثم أصبحت أيضًا من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اللاتي قال الله فيهنّ: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]. فلماذا استهداف الصحابة والافتراء عليهم وهم أولى الناس بالمحبة والاتباع، لما هم عليه من التمسك بالسنة النبوية؟! أم أنّ ذلك التمسك بالسنة هو الذي يثير عليهم حفيظة الرافضة وأحقادهم ويدعوهم إلى الكذب عليهم لكيلا يثق الناس بهم فيضلوا عن السنة إلى أباطيل أعداء الصحابة وبدعهم الهدامة؟!

وأما ما ينسب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من تشكك في زواج خالد رضي الله عنه فيكفي في إثبات عدم صحته قول عمر رضي الله عنه حين عزل خالدًا: ما عزلتك عن ريبة. بل لشدة تعلق الناس به ومحبتهم له وثقتهم به، ولكيلا يتعلق المسلمون بغير خالقهم سبحانه وتعالى كان تأخير عمر لخالد من مكان القائد الأول إلى نائب القائد العام، وهذه تحصل ضمن تبادل الخبرات وتداول المواقع ويعمل بها حتى في القواعد العسكرية المعاصرة ولكن الرافضة قوم يفترون؛ ولا يسمع لهم إلا المتشككون في دينهم الفاقدون لهويتهم، ولا شك أن خالدًا رضي الله عنه من أعظم المجتهدين في علم تعبئة الجيوش وتدبير الحروب، وهو أعلم بالسنة من كل من يزعم أنه ينتقده من الجهلة والمفترين، وليس في استطاعة أحد أن يسوق سندًا واحدًا صحيحًا يصم فيه خالدًا بمخالفة الشرع في هذه المسألة التي ملأ بها أعداء الصحابة والغوغاء الدواوين، مع أن أخبار الآحاد لا تفيد علمًا في مثل هذا الموضوع، وهذا المطلب علمي يحتاج إلى دليل يفيد العلم[4]، ومتى كان أهل الحقد والبهتان يسألون

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٩.
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٢٩٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٤) تاريخ الإسلام: ١/ ٣٥٤.

عن العلم والدليل وهمهم الأول هو إطلاق الشائعات والكذب على الصالحين؟

وكيف يجرؤ المؤرخون على اتهام خالد رضي الله عنه وفي الرواية ذاتها التي يتداولونها يكذبهم متمم بن نويرة ويشهد على أخيه بالكفر؟! كما جاء ذلك في الخبر ذاته الذي يلمزون به سيف الله وأنه لما قدم متمم بن نويرة على عمر رضي الله عنه قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك مالك؟ قال: بكيته حولًا... إلخ. إلى أن قال عمر: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنا كندماني جذيمة حقبة	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكًا	لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدًا. فقال متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به[1]. فهذه الرواية تدل على أن متممًا شهد على أخيه أنه مات على غير الإسلام الذي مات عليه زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنهما، وليس بعد شهادة متمم بن نويرة على أخيه مالك شهادة يعتمد عليها في رد الطعن الموجه إلى خالد بن الوليد في هذه القضية، ولعل في هذا إلجامًا لكل زنديق يتطاول على أحد من أصحاب رسول الله أو جاهل يصدق كل ما يسمع.

وبهذا تتبين براءة صاحب رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه ويتأكد لكل عاقل أن أعداء الصحابة يفترون الكذب متعمدين للتشويش على الصحابة ولا سيما القادة الفاتحين أو الرواة المحدثين بقصد الإساءة إلى الإسلام وميراث المسلمين وحضارتهم، وهذا ما يجب التنبه إليه والجزم في كل مسألة يكون الرافضة فيها طرفًا؛ أنهم هم أهل الكذب والإفك ولو كانوا صادقين لآمنوا بما في الكتاب والسنّة اللذين رواهما أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أصدق البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، وعلى هذا فإن كل من يتشكك في أباطيل وروايات

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/ ٢٤٣.

أعداء الصحابة فإنما هو جاهل بمكائدهم أو قاصر عن فهم بوائقهم فاقد للفقه والعلم، أو فيه لوثة من الشك في الكتاب والسنة المشرفة، وإلا فكيف يقبل أن يقارن بين من تشهد له حياته كلها بالصدق والإيمان وبين من تشهد عليهم أيامهم كلها بالغدر والحقد والبهتان على أمة الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم وكل من يسير على سنة رسول الله ﷺ.

موقف بني عامر وهوازن وسليم أيام الردة:

عندما اشتبكت الخلافة النبوية الراشدة في قتال شامل مع الرافضة المرتدين، كانت بنو عامر ومن معها تقدم إلى الردة رجلًا وتؤخر أخرى وتتربص وتنظر ما تصنع أسد وغطفان وزعيمهم طليحة بن خويلد. فلما أحيط بهم وهزمهم خالد وجنده رضي الله عنهم، كان بنو عامر على قادتهم وسادتهم، فكان قرة بن هبيرة في كعب ومن لافها، وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها، وكان علقمة أسلم ثم ارتد في زمن النبي ﷺ ولحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعًا حتى عسكر في بني كعب مقدمًا رجلًا ومؤخرًا أخرى.

فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فبعث إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو، وقيل: بل القعقاع ابن سور وقال له ليغير على علقمة بن علاثة لعله يقتله أو يأسره. فخرج حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة وكأن لا يبرح إلا مستعدًّا، فسابقهم على فرسه فسبقهم، وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر رضي الله عنه عنهم أنهم فارقوا دارهم، وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه.

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة طليحة ومن معه من أهل بُزاخة. يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله، وأتوا خالدًا فبايعهم على ما بايع عليه أهل بُزاخة وأعطوه بأيديهم على الإسلام وكانت بيعته على النحو الآتي: «عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله، ولتقيمن الصلاة، ولتؤدن الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم؟ فيقولون: نعم. ولم

يقبل من أحد من أسد وغطفان وطيئ وسليم وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على المسلمين في حال ردتهم، فأتوه بهم، فأوقع بهم وحرّقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار، قصاصًا لما اقترفت أيديهم الآثمة من غدر بالمؤمنين من أهل السنة رضي الله عنهم وأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه يعلمه ما فعل، وأرسل إليه قرة بن هبيرة زعيم بني كعب ونفرًا معه موثقين»[(١)].

فتبين في هذا النص أن القبائل لم تكن كلها تحمل الأحقاد على المسلمين أو أنها تتمنى زوال دولتهم، وذلك أن الشائعات التي انتشرت بعد وفاة النبي ﷺ استغلها أعداء الصحابة لنشر الردة وبث أفكارها، فوقع في ذلك كثير ممن غلب على أمره، كما أن بعض القبائل كانت مصالحها عندها أقوى من دينها فهي تتربص لتعرف لمن الدائرة حتى تكون مع الغالب، فلما رأى بنو عامر ومن معهم غلبة المسلمين وقوتهم وشدتهم على الرافضة المرتدين سارعوا بإعلان توبتهم وعودتهم إلى الطاعة والالتزام بالشرع وضوابطه وشعائره دون أي تفريط.

فقبل منهم المسلمون ولكن بشرط القبض على القتلة الغادرين الذين قتلوا المسلمين الذين ثبتوا على دينهم وتمسكوا بسنة نبيهم ﷺ دون تحريف أو تفريط ولم يغادروا مواطنهم مما أغرى الرافضة على الغدر بهم دون ذنب سوى تمسكهم بسنة النبي ﷺ وأنهم لم يتعاونوا مع أعداء الصحابة ضد دينهم وعقيدتهم، وهذا ما يفسر كثيرًا من الأحداث التي تجري في هذا العصر من تحالفات أعداء الصحابة مع الغزاة والمحتلين الذين جاؤوا لنهب البلاد وإفساد الدين وحرب السنة، وهذا ما يؤكد أيضًا أن ما يقوم به أعداء الصحابة في أكثر من بلد الآن لم يكن من الأفعال العابرة أو النزوات الزائلة، وإنما هو دين وعقيدة وأحقاد على السنة النبوية توارثها أعداء الصحابة المعاصرين عن أجدادهم المرتدين.

فكان إسلام بني عامر ومن معهم إحدى ثمار نصر المسلمين على طليحة ومن تجمع معه في منطقة بُزاخة وانضمام أعداد كبيرة من القبائل العربية إلى صفوف المجاهدين، ولعل

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٦.

الأثر المباشر في سرعة إسلام هؤلاء هو تلك الشدة التي تعامل بها جند الخلافة الراشدة مع العابثين بالعقيدة المتمردين على النبوة الرافضين للسنة، بما يؤكد أن هذا الصنف من الناس لا يفهم ويفقه إلا لغة الحزم والشدة، لأنهم مجردون من مشاعر الإنسانية والرحمة فاقدون للعدالة مشبعون بثقافة الحقد والظلم والبهتان، وهل هناك أسوأ من أمة تدين ببغض الصحابة رضي الله عنهم وتمجد قتلة الخلفاء الراشدين؟ وهل هناك أسفه وأضل ممن يزعم أن هؤلاء القتلة الظلمة الفجرة إخوانه في العقيدة والإسلام؟!

أم زِمل:

لما هزمت جموع الرافضة بعد هروب مرجعهم المتنبئ طليحة بن خويلد أمام صبر الصحابة رضي الله عنهم وصدق جهادهم، اجتمعت فلول غطفان وطيئ وسليم وهوازن وغيرها إلى أم زِمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر في منطقة ظَفَر وكانت أمها أم قرفة بنت ربيعة بن بدر وهي زوجة مالك بن حذيفة، وكانت أم زِمل قد سبيت أيام أمها أم قرفة على أيدي المسلمين، فوقعت لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكثيرًا ما كانت تكون عندها. وكان النبي ﷺ قد دخل يومًا إلى أم المؤمنين فقال: «**إن إحداكن تستنبح كلاب الحوأب**» والحوأب اسم مكان فيه ماء قرب ظَفر على طريق المدينة - البصرة الذي وقعت فيه المعركة مع جموع أم زِمل حيث قتلت هناك، وهذا ما يفتريه الرافضة في إفكهم على أم المؤمنين الطاهرة رضي الله عنها حين سارت مع ابن أختها الذي عاش في حجرها وكان رسول الله ﷺ يكنيها به عبد الله بن الزبير والصحابيين الكبيرين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومن معهما من الأخيار للإصلاح بين المسلمين في البصرة وتتبع قتلة الشهيد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه حيث دبر لها الرافضة بمكرهم وحقدهم معركة الجمل وحاولوا اغتيالها هناك رضي الله عنها[1] والحاصل أن أم المؤمنين رضي الله عنها أعتقت أم زِمل فرجعت إلى قومها وارتدت واجتمع إليها فلول بُزاخة ممن أصروا على الرفض

(١) ينظر: الخليفة: الإنصاف، ٣٦٧.

والردة، فأمرتهم أم زِمل بالقتال، فكثف جمعها وعظمت شوكتها. فلما بلغ خالدًا رضي الله عنه أمرها سار إليها، فاقتتلوا قتالًا شديدًا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لأمها وهي في مثل عزها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها مائة رجل، وبعث بالفتح إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه[1].

وكان هذا النصر أيضًا ثمرة من ثمار سياسة خليفة رسول الله تجاه المرتدين حيث استخدم معهم الحزم والسرعة ومنتهى الشدة ليؤدب بهم غيرهم، وهذا الذي حصل حيث إن هيبة المسلمين كانت تسبقهم فتقذف الرعب والخوف في قلوب أعداء الصحابة فيفرون من أرض المعركة فإما أن يعودوا طامعين في عفو الخلافة وتسامحها مع التائبين وإما أن يلتحقوا برافضة حاقدين آخرين، فاتضح من ذلك أن خليفة رسول الله كان يزن الأمور بموازينها ويسوس العرب آنذاك بما يتفق مع فهمهم وثقافتهم التي عبر عنها شاعر العرب بقوله:

ووضع الندى في موضع السيف للعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

فكان خليفة رسول الله يضع السيف والشدة والقوة في مواضعها، والرحمة والعفو والتسامح في موضعها فأنتجت تلك السياسة الراشدة هيبة ونصرًا دائمًا على الصعيد العسكري، وقبولًا للإسلام ودخولًا فيه على مستوى الفكر والدعوة بين القبائل آنذاك.

الفجاءة السُلمي:

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل من بني سُليم فإنه جاء إلى أبي بكر فقال له: أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة. فأعطاه رضي الله عنه سلاحًا وأمره بأمره، فخالف إلى المسلمين وخرج حتى نزل بالجِواء، وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين، فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلى طُريفة بن حاجر فأمره أن يجمع له فيسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسي عونًا، فنهضا إليه وطلباه،

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٧. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٦٥.

فلاذ منهما، ثم لقياه على الجِواء فاقتتلوا وقتل نُجبة بسهم وهرب الفجاءة، فلحقه طُريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر، وقيل غير هذا في أسره، فلما قدموا به إلى المدينة أمر أبو بكر رضي الله عنه أن توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمي به فيها مقموطًا. فقال خفاف بن ندبة - واسم ندبة عمير - يذكر ما صنع الفجاءة:

لِمَ يأخذون سلاحه لقتاله ... ولذاكم عند الإله أثام

لا دينهم ديني ولا أنا منهم ... حتى يسير إلى الصراة شمام[1]

فحكم عليه خليفة رسول الله بما يوافق جرائمه التي ارتكبها وهي قتل المسلمين ونهب أموالهم وقد يكون ممن كان يتفنن في تعذيبهم لا لسبب سوى أنهم متمسكون بدينهم وسنة نبيهم كما يفعل أعداء الصحابة بأهل السنة في هذا العصر، فحاسبه خليفة رسول الله حساب المفسدين في الأرض الذين يخربون ولا يصلحون لينال جزاءه العادل ويكون عبرة لمن خلفه ممن يعتدي على المسلمين، فلم يسمع أحد من الناس أن أحدًا اجترأ أن يفعل ما كان يفعله الفجاءة السلمي الذي أصبح نكالًا لأعداء السنة الذين لا يحفظون حرمة ولا عهدًا، وهذا المنهج الراشدي مع أعداء السنة هو الذي دفع الأذى عن المسلمين، وهو وحده الذي يحمي أهل السنة من أحقاد أعدائهم في هذا العصر، وهو الذي ما زال يجهله الكثير ممن يزعم أنه من أهل السنة فيضع العوائق أمام رد الظلم والأذى عن السنة حتى سقطت بلاد كثيرة في أيدي أعداء الصحابة فساموا فيها أهل السنة سوء العذاب وما زال المغفلون من المتصدرين في أهل السنة يخدعون قومهم ويثبطونهم ويغشونهم بدلًا من أن يرشدوهم إلى منهج خليفة رسول الله وسيرته التي أعزت الإسلام وحمت السنة وأهلها.

أبو شجرة السلمي:

وأما أبو شجرة بن عبد العزى السلمي، وهو ابن الخنساء الشاعرة المعروفة، فإنه كان قد ارتد فيمن ارتد من سُليم، وثبت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجز، وكان أميرًا

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٦٦.

لأبي بكر رضي الله عنه، فلما سار خالد رضي الله عنه إلى طليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسلام من بني سليم، فسار واستخلف على عمله أخاه طُريفة بن حاجز. فقال أبو شجرة حين ارتد:

صحا القلب عن مي هواه وأقصرا وطاوع فيها العاذلين فأبصرا

ألا أيها المدلي بكثرة قومه وحظك منهم أن تضام وتقهرا

سل الناس عنا كل يوم كريهة إذا ما التقينا دارعين وحسرا

فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا[1]

ثم إن أبا شجرة تاب وأسلم، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين فقال: أعطني فإني ذو حاجة. فقال: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العزى السلمي. قال: أي عدو الله لا والله! ألست الذي تقول:

فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

و جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوًا إلى ناقته فركبها وولى هاربًا ولحق بقومه وقال:

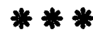
ضنّ علينا أبو حفص بنائلة وكلّ مختبط يومًا له ورق[2]

لقد كان الراشدون يحامون عن الدين وأهله بكل ما أوتوا من قوة وبديهة وذكاء، ولكنهم مع ذلك كانوا حريصين على دخول الناس في الإسلام، فلو تاب أحدهم ودخل في الإسلام فإن الإسلام يجب ما قبله ويمحوه، وإن كان عمر الفاروق رضي الله عنه قد كشر في وجه الفجاءة مذكرًا له بما كان يقوله أيام ردته، فإن ذلك من باب التربية واستطلاع موقف أبي شجرة وهل بقي من آثار الرفض شيء في عقيدته، فلم يعتذر أبو شجرة عمّا جنت يداه

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٦٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٧.

ضد المسلمين، أو عمّا قاله من شعر في التشفي بهم، وأخذ خوفه من فتح صفحات ماضيه من جديد مأخذًا لم يعد يرى من خلاله سوى ظهر ناقته، التي كلما أسرعت به طلب منها المزيد، وقد يكون علم عمر رضي الله عنه بأنه لا يستحق الصدقة التي تجري على الفقراء لأنه ليس منهم، وإلا فإن الراشدين هم منبع العدل والحزم والإخلاص والسماحة، والبراءة من حظوظ النفس أو الانتقام عند المقدرة، فكم كان بينهم ممن قتل إخوانهم المؤمنين فعندما أسلموا إسلامًا صحيحًا لم يجدوا من الراشدين سوى العفو والمساندة والدعوة إلى التنافس في أبواب الخير وأعمال الآخرة، وهذه هي أخلاق المؤمنين التي ورثها أهل السنة والجماعة عن سلفهم الصالح، بعكس ما يقوم به الرافضة من المسكنة والنفاق في أوقات ضعفهم، ومن الغدر وانعدام الرحمة والوفاء في أوقات تمكنهم الذي لم يكن في يوم من الأيام إلا مؤقتًا ومقرونًا بالخيانة وبيع الضمائر وإسقاط القيم.



المبحث الرابع

موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين واليمن وعمان وحضرموت

مسير خالد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة:

اليمامة معدودة من بلاد نجد وتسمّى «جِوّى والعروض» وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى أهلها كتابًا يدعوهم فيه إلى الإسلام وأنفذ كتابه ﷺ مع سليط بن قيس الأنصاري[1] فبعثوا إلى رسول الله ﷺ وفدهم وكان فيه مسيلمة بن ثُمامة بن كبير بن حبيب وهو مسيلمة الكذاب، فلما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قال له مسيلمة: إن شئت خلينا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك! فقال له رسول الله ﷺ: «**لا ونعمة عين ولكن الله قاتلك**»[2]. وعاد وفد حنيفة وهم يضمرون شرًّا للإسلام وأهله، فكان المسلمون يعلمون ما يكنه لهم رافضة بني حنيفة المرتدون من الحقد والعداء.

وكان خليفة رسول الله بعث بالسرايا إلى المرتدين في اليمامة، فأرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة وأتبعه شُرَحبيل ابن حسنة، فعجل عكرمة فواقعهم قبل وصول شرحبيل

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٦٤٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١١٩.

وجنده فنكبوه فتأخر عنهم، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: لا أرينك ولا تراني، لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة، ثم تسير أنت وجندك حتى تلقى المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت. وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة يلحق بعمرو بن العاص رضي الله عنه يعينه على قضاعة.

فما إن فرغ خالد رضي الله عنه من رافضة بُزاخة والبطاح ومن حولهما من المرتدين، حتى وجهه خليفة رسول الله إلى هذا الخطر المتربص بالمسلمين شرًّا في منطقة اليمامة، فلما أتم خالد وجنده استعداداتهم ولحقت به الإمدادات «نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير، كانوا يومئذ أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها»[1].

قال رافع بن خديج الأنصاري: خرجنا من المدينة أربعة آلاف، وكان الأنصار ما بين أربعمائة وخمسمائة عليهم ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري رضي الله عنه ويحمل رايتهم أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه وعلى المهاجرين أبو حذيفة بن عتبة وزيد بن الخطاب، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم قال: فانتهينا إلى اليمامة إلى قوم هم الذين قال الله فيهم: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[2].

وأمد أبو بكر خالدًا بسليط بن قيس ليكون ردءًا لئلَّا يؤتى من خلفه، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: لا أستعمل أهل بدر، أدعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، فإن الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر مما ينتصر بهم. وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره[3].

وكان مع مسيلمة نهارًا رجّال بن عنفوة، وكان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن، وفقه في الدين، فبعثه النبي ﷺ معلمًا لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة، فكان أعظم

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٨١. الخليفة، الأنصار في العصر الراشدي، ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٣.

فتنة على بني حنيفة من مسيلمة الكذاب، حين شهد كاذبًا أن محمدًا ﷺ يقول: إن مسيلمة قد أشرك معه، فصدقوه واستجابوا له، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يقيم له الصلاة حجير بن عمير، فكان حجير يقول: أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله. فقال له مسيلمة: أفصح حجير، فليس في المجمجة خير. وهو أول من قالها. وكان مما جاء به وذكر أنه وحي: (يا ضفدع بنت ضفدع، نقي كما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين). وقال أيضًا: (والمبديات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه)[1].

وخرج خالد بن الوليد بالمهاجرين والأنصار حتى إذا دنا من اليمامة نزل واديًا من أوديتهم فأصاب في ذلك الوادي مجّاعة بن مرارة في عشرين رجلًا من بني حنيفة، كانوا خرجوا يطلبون رجلًا من بني تميم وكان أصاب لهم دمًا في الجاهلية فلم يقدروا بذلك الوادي، فلم ينبههم إلا خيل المسلمين قد وقفت عليهم فقالوا: من القوم؟ فقالوا: بنو حنيفة. قال: فلا أنعم لكم عينًا. ثم نزلوا فاستوثقوا منهم فلما أصبح دعاهم خالد بن الوليد فقال: يا بني حنيفة! ما تقولون؟ فقالوا: منا نبيء ومنكم نبيء. فعرضهم خالد على السيف حتى بقي سارية بن عامر ومجّاعة بن مرارة. فقال له سارية: يا أيها الرجل! إن كنت تريد هذه القرية فاستبق هذا الرجل، فأوثق مجّاعة في الحديد ودفعه إلى أم تميم امرأته وقال: استوصي به خيرًا، وضرب عنق سارية بن عامر[2].

ثم سار خالد رضي الله عنه بالمسلمين حتى نزل على كثيب مشرف على اليمامة وضرب معسكره هناك، وخرج أهل اليمامة بقيادة مسيلمة الكذاب وتصاف الناس، وكان خالد جالسًا على سريره ومجاعة مكبل عنده والناس على مصافهم إذ رأى بارقة في بني حنيفة فقال خالد:

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٤. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٥.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٣. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٥.

أبشروا يا معشر المسلمين! قد كفاكم الله عدوكم واختلف القوم، فكر مجّاعة إليه وهو مكبل فقال: كلا والله إنها الهندوانية خشوا من تحطمها فأبرزوها للشمس لتلين لهم فكان كما قال مجّاعة. فلما التقى الناس كان أول من خرج رجّال بن عنفوة فقتل، واقتتل المسلمون قتالًا شديدًا حتى تراجع المسلمون وخلص أصحاب مسيلمة إلى الرِّحال ودخلوا فسطاط خالد بن الوليد وفيه مجّاعة مكبلًا عند أم تميم امرأة خالد، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة: أنا لها جار فنعمت الحرة، عليكم بالرجال. فرحبلوا الفسطاط بالسيف[1].

واللافت هنا أن الرواية تذكر أن المرتدين وصلوا في بعض هجماتهم إلى فسطاط خالد رضي الله عنه الذي كان فيه مجّاعة أسيرًا وأن مجاعة خاطبهم ونصحهم وأثنى على أم تميم، إلا أنه مما يبعث على الشك في هذه الرواية هو كيف يصل المرتدون إلى فسطاط خالد وفيه أحد سادتهم أسيرًا ولا ينقذونه من الأسر؟! وقد خاطبهم ونصحهم وشفع عندهم! فكيف لم يحملوه معهم وهو من كبارهم؟ وهم بأمس الحاجة إليه، لهذا فإن الوصول إلى فسطاط خالد لو كان صحيحًا لأنقذوا قائدهم الأسير مجّاعة، ولما لم يفعلوا فإن هذه الرواية لا تبعث على الثقة وإن كانت تصور شدة الحرب التي خاضها المسلمون مع المرتدين في اليمامة، وأنه تخللها كر وفر بين الطرفين.

ولما حمي الوطيس واشتد القتال برز خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى البراز وانتمى وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد. ونادى بشعارهم يومئذ، وكان شعارهم يومئذ «يا محمداه» فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله وهو يرتجز.

أنا ابن أشياخ وسيفي السِّخت ... أعظم شيء حين يأتيك النّفت

ولا يبرز له شيء إلا أكله ودارت رحى المسلمين وطحنت، ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة وكان رسول الله ﷺ قال: «**إن مع مسيلمة شيطانًا لا يعصيه فإذا اعتراه أزبد، كأن شدقيه زبيبتان، لا يهم بخير أبدًا إلا حرفه عنه، فإذا رأيتم منه عورة فلا تقيلوه العثرة**». فلما

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٣.

دنا خالد رضي الله عنه منه طلب تلك ورآه ثابتًا، ورحاهم تدور عليه، وعرف أنها لا تزول إلا بزواله، فدعا مسيلمة طالبًا لعورته فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، فقال له خالد: إن قبلنا النصف تعطينا؟ فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه مستشيرًا فينهاه شيطانه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرة من ذلك، وركبه خالد فأرهقه فأدبر وزالوا، فذمر خالد الناس وقال: دونكم لا تقيلوهم واركبوهم. فكانت الهزيمة، فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه، وقال قائلون: فأين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. ونادى المحكم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة! حديقة الموت، فولجوها وأغلقوا عليهم وأحاط المسلمون بهم، وصرخ البراء بن مالك فقال: يا معشر المسلمين احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ففعلوا فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج، فدخلوا فأغلق عليهم الباب، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار، وذلك لأجل ألا يفر من المسلمين أحد فإما النصر وإما الموت وهذه الجرأة من نوادر ما يحدث في التاريخ لشدة الأهوال فاقتتلوا قتالًا شديدًا لم يروا مثله حتى أهلكوا من في الحديقة وقتل مسيلمة فيها، واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم قذفه بحربته فطعنه بها، وأدركه رجل من الأنصار فضربه بسيفه، وقيل غير هذا، وصرخ صارخٌ: الأسودُ قَتَلَ مسيلمة. وقتل في المعركة الأخيرة والحديقة عشرة آلاف مقاتل[1].

وكان المسلمون قد أعادوا تنظيم صفوفهم وقادتهم يحفزونهم على القتال ويحرضونهم على الثبات، ويذكرونهم بما ينتظرهم عند الله تعالى من نصر مبين، أو شهادة كريمة وما في أعناقهم من أمانة سلامة الدين وعافية الأمة فثبت المسلمون مع سيف الله ثباتًا عظيمًا، وكان من صور قتالهم[2]: موقف عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل: شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فإنه حينما اصطف الناس للقتال يوم اليمامة كان أولَ من خرج أبو عقيل رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل فأخرج السهم ووهن

(١) الطبري: تاريخ، ٢٨٠. باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١١٩.

(٢) ينظر: الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٤.

له شقه الأيسر في أول النهار وجر إلى الرحل فلما حمي القتال وانكفأ المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي الأنصاري رضي الله عنه يصيح: يا للأنصار، الله الله والكرة على عدوكم.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت: ما فيك قتال. قال: قد نوه المنادي باسمي. قال ابن عمر فقلت: إنما يقول يا للأنصار ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبوًا. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجردًا ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرة كيوم حنين. فاجتمعوا رحمهم الله جميعًا يقدمون المسلمين دُرْبَةً دون عدوهم حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت بالأرض وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل. فقال: لبيك - بلسان مُلْتَاث - لمن الدبرة؟ قال: قلت: أبشر، قد قُتل عدو الله فرفع إصبعه إلى السماء فحمد الله ومات رضي الله عنه. قال ابن عمر: فأخبرت عمر رضي الله عنه بعد أن قدمت خبره كله فقال: رحمه الله ما زال يطلب الشهادة ويطلبها وإن كان - ما علمت - من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم.

وقام ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه يذكر المسلمين بأن هذا ليس قتالهم الذي كانوا يقاتلون مع رسول الله ﷺ ومتى كانوا يتراجعون أمام عدوهم؟ فقال: بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين أي بالتراجع أمام العدو، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - أي المشركون- وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء - أي المسلمون. فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

ورأى زيد بن الخطاب انكشاف المسلمين عن رحالهم فقال: أيها الناس، عضوا على أضراسكم، واضربوا عدوكم، وامضوا قدمًا، ووالله لن أتكلم بعد الساعة حتى

يهزمهم الله أو ألقى وجهه الكريم، فتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، وقام أبو حذيفة يهيب بالمسلمين قائلًا: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال. ونادت الأنصار: يا أصحاب سورة البقرة....

وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك رضي الله عنهما وكان البراء فيما يقال إذا حضر البأس أخذه انتفاض حتى يمسك به الرجال ثم ينتفض مثل السبع، فلما رأى ما صنع المسلمون من الانكشاف وما رأى من أهل اليمامة أخذه الذي كان يأخذه، فلما وثب قال: أين يا معشر المسلمين؟ أنا البراء بن مالك، هلموا إلي. فاجتمع عنده جماعة من المسلمين فقاتل القوم قتالًا شديدًا حتى خلصوا إلى محكم اليمامة، وهو محكم بن الطفيل كان يوازي مسيلمة عند بني حنيفة، فلما بلغه القتال قال: يا معشر حنيفة! الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات، فما كان عندكم من حسب فأخرجوه. ثم تقدم فقاتل قتالًا شديدًا فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما بسهم فوضعه في نحره فقتله، وزحف المسلمون حتى أتموا الفتح، وقتل مسيلمة، اشترك وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار في قتله، فرماه وحشي بحربته وضربه الأنصاري بسيفه، فكان وحشي يقول: ربك أعلم أينا قتله! قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وشر الناس يعني مسيلمة[1].

وقيل غير هذا في قتله فبعض الأنصار يقولون: قتله عبد الله بن زيد بن ثعلبة الحارثي، وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة، وقيل: قتله زيد بن عاصم بن مبذول وهو ابن أم عمارة نسيبة المازنية رضي الله عنها، وادعى قتله قوم من قريش؛ منهم خداش بن بشير بن الأصم أحد بني عامر بن لؤي، وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يذكر أنه قتله، وقال قوم: إن هؤلاء جميعًا شاركوا في قتله[2].

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٢٧. ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٩. الطبري: تاريخ، ٢٨٠. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٣.

لقد كان مسيلمة يمثل رمز الرافضة المرتدين ومرجعهم الأكبر لما لفق لهم من أقوال وحيل زادت بني حنيفة بعدًا عن الإسلام وولدت عندهم بغض السنة النبوية وأهلها فكان مقتله يمثل فتحًا للمجاهدين لزوال مرجع الرفض والردة الذي كان يغذي الحقد والكراهية في نفوس أتباعه ضد المسلمين، ونظرًا لذلك النصر الذي يمثله قتل ذلك المرجع المخرب لوحدة الأمة وعقيدتها تعددت الأقوال حول مقتله لأنه قائد القوم ومرجعهم المحاط بالحراسات التي ربما كانت سببًا في تجمع كل من روي عنه أنه شارك في قتله؛ إذ إن مجموعة صغيرة من المجاهدين من الصعوبة أن تصل إليه وتخترق كل حراساته، ولا شك أن كل من صبر واكتسب يوم اليمامة يعد ممن شارك في قتل مرجع الفتن والردة والحرب على السنة النبوية وحملتها الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

مصالحة خالد لمجّاعة عمن بقي من بني حنيفة:

فلما فرغ المسلمون من مسيلمة الكذاب وقتلوه، خرج سيف الله رضي الله عنه بمجّاعة في الحديد يرسف معه ليدله على مسيلمة، وكان يكشف القتلى حتى مر بمحكم بن الطفيل، وكان رجلًا وسيمًا فقال خالد: هذا صاحبكم؟ فقال مجاعة: لا! هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكم اليمامة. ثم دخلوا الحديقة وقلبا القتلى فإذا رويجل أصيفر أخينس فقال مجّاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل. وقال مجّاعة لخالد: إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهير الناس في الحصون. فقال: ويلك ما تقول؟ قال: والله إن ذلك لحق، فهلم أصالحك على قومي. فصالحه خالد بن الوليد على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي، ثم قال لمجاعة: امض إلى القوم فاعرض ما صنعت. فانطلق إليهم ثم قال للنساء: البسن الحديد ثم أشرفن على الحصون. ثم انتهى إلى خالد قال: إنهم لم يرضوا على مصالحتك عليه، ولكن إن شئت شيئًا صنعت وعرضت على القوم! قال: ما هو؟ قال: تأخذ ربع السبي. قال خالد: قد فعلت! قال: قد صالحتك. وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي، وقيل: ربعه، فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني! فقال: هم

قومي ولم أستطع إلا ما صنعت[1].

وهذه الرواية إن دلت على شيء فإنما تدل على تسامح المسلمين وكرمهم وحبهم للسلم وإلا فإن الخداع والغدر لا يُمضي الصلح ولو شاء خالد رضي الله عنه لما قبل إلا بالصلح الأول الذي بني على الحقيقة، ومن يمنعه من تنفيذه؟ ولكنها سماحة المسلمين وسمو أخلاقهم وحبهم للخير ونفع الناس، وأخلاق الشجاعة والفروسية والتجاوز عن الضعيف إلى غير ذلك من الأخلاق الكريمة التي هي جزء من عقيدتهم وقيمهم المتأصلة فيهم، بعكس أخلاقيات أعداء الصحابة القائمة على الغدر والحقد والتشفي بالضعيف وضياع الأمانة واحتراف اللصوصية والتزوير وقلب الحقائق وادعاء ما لم يكن وما لا يحق كما كان يفعل مسيلمة الكذاب وكما يشاهد عقلاء المسلمين ما يجري على أيدي أعداء الصحابة ومبغضي السنة النبوية في هذه الأيام.

وهناك أمر لا بد من إثارته وهو أن بعض بني حنيفة ثبتوا على السنة وقاتلوا مع المسلمين في بعض المواقع، وكان قائدهم ثُمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، وأن الكثير من بني حنيفة كانوا مؤمنين بمرجعية مسيلمة الكذاب ويعتقدون نصرته إما حمية جاهلية؛ لأنه من قومهم وإما لجهل وبلادة حملتهم على اعتقاد صدقه كما هو الحال فيمن يعتقد أن أعداء الصحابة ومن يدينون ببغض السنة النبوية وأهلها أنهم سيقفون في يوم من الأيام مع الإسلام وقضايا المسلمين، وهم ما زالوا يعتقدون أن الإسلام الذي وصل عن طريقهم ما هو إلا دين محرف قام بوضعه الصحابة رضي الله عنهم وربما تعاون معهم النبي ﷺ وجبريل عليه السلام لحرف الرسالة عن مسارها، وهذا ما يتلقاه الغوغاء إلى هذا العصر فيورثهم الحقد على السنة وأهلها حتى أصبح هذا الأمر من الحقائق التي لم يعد يجهلها إلا المغفلون وفاقدو الغيرة على السنة النبوية.

ومصداق هذا القول ما قاله بنو حنيفة حين أسرهم سيف الله وجنده رضي الله عنهم،

---

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٧.

وقال لهم: ما تقولون؟ فقالوا: منا نبي ومنكم نبي!! ولما أصروا على ذلك هددهم فلم ينفع معهم فأمر بقتلهم لردتهم ولبهتانهم على الله ورسوله ﷺ بأن مسيلمة الكذاب نبي، فلم يتمكنوا من النجاة لتمكن عقائد الحقد على الصحابة في قلوبهم، وكل هذا يؤكد أن الكثير من الفرق التي تحارب سنة النبي ﷺ لا يحتكم أهلها إلى العقل والمنطق ولا إلى الدين والشرع، وهذا ما نشهده في هذا العصر ممن يقتل أهل السنة مستبيحًا لدمائهم اتباعًا لما يلعقه من صديد عقائد الرفض والردة التي تغذي الكراهية وتعزز ثقافة الطائفية ونبذ السنة وأهلها على كل حال؛ إلا إذا كان أصحاب تلك العقائد في حالة ضعف فهم حينها سيدينون بالنفاق الذي يجمِّلونه باسم التقية، وكل أحداث الردة السابقة والردة المعاصرة تؤكد تأثير عقيدة الرفض والتدين بكراهية السنة النبوية التي تُضخ في عقولهم ببرامج مكثفة تقوم مقام العبادة التي يعبد بها أهل السنة ربهم سبحانه وتعالى أو تزيد على ذلك في مفاصل كثيرة.

وهناك موقف آخر مرّ في هذه النصوص وهو خطاب خليفة رسول الله لبعض قادته ولا سيما لعكرمة بن أبي جهل الذي لم يتمكن من مواجهة جيوش المرتدين مع مسيلمة الكذاب، وخطابه رضي الله عنه لمن أرسلهم لمساندة خالد رضي الله عنه. فإن خليفة رسول الله كان يوصيهم ويوجههم لاتباع ما يخططه لهم فيما بعد مواجهات اليمامة، وكأن الأمور كلها مرسومة عند خليفة رسول الله، وهذا ما حصل حيث نفّذ قادته تعليماته كاملة وخطوة خطوة مما يؤكد قوة يقين الصديق رضي الله عنه وأنه لم يكن يشك في انتصار الإسلام على جميع أعدائه والماكرين به، وكذلك قدرات الصديق رضي الله عنه وسعة العلوم العسكرية التي يتمتع بها سجية دون أي تكلف أو تردد حيث كان يخطط المسارات ويرسم التوجهات قبل سير الجيوش فيحسم الأمور قبل حصولها وينضج الثمار في أوانها فيقطف جنده وقادتهم رضي الله عنهم الانتصارات والثقة المطلقة وتجري الأحداث كما خطط وكتب وأراد رضي الله عنه وهذا منتهى العلم في قيادة الجيوش وإثبات العقيدة، ولا أدل على ذلك من أن خالدًا رضي الله عنه القائد الميداني الفريد لم يعترض أو يعدل فيما كان يتلقاه من خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه، بل كان حريصًا كل الحرص

على أن يقوم بكل ما يأتيه من تكاليف عسكرية أو غيرها من خليفة رسول الله، كل ذلك ثقة بقيادته وحبًّا لطاعته.

وقد حاول بعض الرافضة المرتدين الغدر بخالد رضي الله عنه لكنه فشل في ذلك وقتل، ومعلوم أن عداء الرافضة لأصحاب رسول الله ﷺ لا يوازيه عداء آخر، فهم كلهم حقد على الصحابة، وما تَعَبُّدُهُمْ بتقديس بابا شجاع الدين أبي لؤلؤة المجوسي الغادر وزيارة قبره المزعوم في كاشان والتبرك به والدعاء عنده وإنفاق الأموال إلا دليل دامغ يسفه كل من يزعم أنه يمكن أن يقترب الرافضة يومًا ما من الكتاب والسنة وأهلهما[1]. فلما فرغ خالد من الصلح نزل واديًا من أودية اليمامة، فبينما هو قاعد إذ دخل عليه رجل من بني حنيفة يقال له سلمة بن عمير فقال لمجّاعة: استأذن لي على الأمير، فإن لي إليه حاجة. فأتى عليه مجّاعة، ثم قال مجّاعة: إني والله لأعرف الشر في وجهه. ثم نظر فإذا هو مشتمل على السيف فقال: ما لك لعنك الله! أردت أن تستأصل بني حنيفة، والله لئن قتلته ما تُرِك في بني حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل، فانقلب الرجل ومعه سيفه، فوقع في حائط من حوائط اليمامة فلما أوشكوا أن يمسكوه أمَرّ السيف على أوداجه فوقع في بئر فقتل نفسه[2].

كتاب خليفة رسول الله أبي بكر إلى خالد:

ثم بعث أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بسلمة بن سلامة بن وقش يأمره ألا يستبقي من بني حنيفة رجلًا قد أنبت، فأتاه سلمة وقد فرغ خالد من الصلح، فوفى لهم ولم يتراجع بعد أن تم الاتفاق[3]وهذه سمات الصحابة رضي الله عنهم مبنية على العفو والوفاء والصدق ولو كان هذا الأمر قد تم على أيدي أعداء الصحابة ثم جاءهم كتاب مرجع من مراجعهم الذين لا دين لهم يردعهم لما استَبْقَوا أحدًا من المسلمين، ولقالوا: هذا أمر المرجع

(١) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٩٤. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٧٧.

(٢)، (٣) الطبري: تاريخ، ٢٨٤. ابن حبان، سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٥.

لا يمكن رده أو تأخيره حتى لو كان مبنيًّا على الغدر والجشع والخديعة، فقول مراجعهم أهم من الوفاء وأعظم عندهم مما في الكتاب والسنة، وشتان ما بين الثرى والثريا.

شهداء الأنصار يوم اليمامة:

وكان من استشهد من المسلمين يوم اليمامة من قريش: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة، وشجاع بن وهب بن ربيعة، ومالك بن عمرو، ويزيد بن قيس، وصفوان بن أمية بن عمرو، وأخوه مالك بن أمية، والطفيل بن عمرو الدوسي، وجبير بن مالك وأمه بحينة ويزيد بن أوس، وحيي بن حارثة، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وحكيم بن حزام بن أبي وهب، وزيد بن الخطاب بن نفيل، وعبد الله بن عمرو بن بحرة، وعبد الله بن الحارث بن قيس، وأبو قيس بن الحارث، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن سليط بن عمرو، وعمرو بن أوس بن سعد بن أبي سرح، وربيعة بن أبي خرشة، ومنقذ بن عمرو بن عطية وعبد الله بن الحارث بن رخصة. واستشهد من الأنصار يوم اليمامة: ثابت بن قيس بن شماس، وعباد بن بشر بن وقش، ورافع بن سهل، وعبد الله بن عتيك، وحاجب بن زيد، وسهل بن عدي، ومالك بن أوس ومعن موليان لهم، وفروة بن العباس، وكليب بن تميم، وعامر بن ثابت، وبشر بن عبد الله، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، وعبد الله بن عتبان، وثابت بن هزال، وأسيد بن يربوع، وأوس بن ورقة، وسعد بن حارثة بن لوذان، وسماك بن خرشة أبو دجانة وسعد بن حمار، وعقبة بن عامر بن نابي، وضمرة بن عياض، وعبد الله بن أنيس، ومسعود بن سنان، وحبيب بن زيد وأبو حبة بن غزية بن عمرو، وعمارة بن حزم بن زيد ويزيد بن ثابت بن الضحاك، رمي بسهم فمات في الطريق، وثابت بن خالد بن عمرو بن خنساء، وفروة بن النعمان بن الحارث، وعائذ بن ماعص الزرقي، وحبيب بن عمرو بن محصن[1].

---

(١) سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٦، ابن الأثير، الكامل، ٢٨٤، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢١٣ فما بعدها.

وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقتل ثابت بن قيس بن الشماس، قطع رجل من المشركين رجله فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها[١] وذُكر غير هذه الأرقام عن عدد القتلى.

واختلف في عدد شهداء اليمامة، فأكثر ما ذكر في ذلك ما جاء في كتاب خليفة رسول الله إلى خالد يلومه على الزواج من ابنة مجّاعة بعد الفراغ من أمر مسيلمة وتحقيق النصر على الرافضة المرتدين هناك، حيث جاء في ذلك الكتاب قول خليفة رسول الله: إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دماء ألف ومائتي رجل من المسلمين لم تجف بعد[٢].

لا شك أنه لما كان من أهداف هذا الكتاب لوم خالد رضي الله عنه ولفت انتباهه إلى كثرة من استشهد من المسلمين والخشية من أن ينشغل بالزواج عن متابعة أمور من معه من المسلمين كان من الطبيعي أن يذكر أكبر عدد من الشهداء لتهويل الأمر وحجز خالد عن الإقدام على الزواج مرة أخرى في أوقات الحرب ولعل هذا ما حصل فلم تذكر الروايات أمثال هذا الزواج مع كثرة المعارك التي خاضها سيف الله رضي الله عنه في العراق والشام. وقد روي عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين والأنصار[٣]. فقد يكون الرقم الذي جاء في الكتاب يشمل شهداء حروب الردة كافة.

ولما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله، وكان معهم: ألا هلكت قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حي! ألا واريت وجهك عني؟ فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها. وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة حيث استحر القتل في القراء لئلا يذهب القرآن[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤٧.
(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٨٤.
(٣) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٥٨. الكلاعي: الاكتفاء، ٣/ ٧٦. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٥.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤١.

وقد ترك شهداء اليمامة أثرًا عميقًا في نفوس المسلمين لمكانتهم في قلوب المؤمنين ولقدم صحبتهم ولعدم وجود من يسد مسدهم إذ إن كل صحابي يقتل يعد ذلك نقصًا في عدد الصحابة الذين توقف عددهم منذ وفاة النبي ﷺ، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: ألحت السيوف على أهل السوابق من المهاجرين والأنصار ولم نجد المعول يومئذ إلا عليهم خافوا على الإسلام أن يكسر بابه فيدخل منه إن ظهر مسيلمة فمنع الله الإسلام بهم حتى قتل عدو الله وأظهر الله كلمته وقدموا يرحمهم الله على ما يسرون به من ثواب جهادهم لمن كذب على الله وعلى رسوله ورجع عن الإسلام بعد الإقرار به. وقال عمر رضي الله عنه: جعل منادي المسلمين يوم اليمامة ينادي يا أهل القرآن. فيجيبون المنادي مثنى وفرادى فاستمر بهم القتل فرحم الله تلك الوجوه، ولولا ما استدرك خليفة رسول الله من جمع القرآن لخفت ألا يلتقي المسلمون وعدوهم في موضع إلا استحر القتل بأهل القرآن[1].

وأمام هذا الواقع المتمثل في حرص حملة القرآن على الشهادة وحاجة المسلمين إليهم لحفظ القرآن اضطر خليفة رسول الله أن يأمر بجمع القرآن، فكان ذلك القرار المبارك الذي يندرج العمل به في ظلال ومعاني قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

بعض ما كان يزعمه مسيلمة الكذاب أنه مما يوحى إليه:

ثم إن خالدًا قد بعث وفدًا من بني حنيفة إلى أبي بكر فقدموا عليه فقال أبو بكر: ويحكم! ما هذا الرجل الذي استزل منكم ما استزل؟ قالوا: يا خليفة رسول الله! قد كان الذي بلغك، وكان امرءًا لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه. قال أبو بكر رضي الله عنه: على ذلك ما دعاكم إليه؟ قالوا: كان يقول: يا ضفدع ابنة ضفدع نقي ما تنقين! لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشًا قوم يعتدون. فقال أبو بكر:

(١) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٠٨. الكلاعي: الاكتفاء، ٣/ ٧٧. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

سبحان الله سبحان الله[1]. وقال فيما كان يفعله الأحاليف من الغارة على ثمار اليمامة: «والليل الأطحم والذئب الأدلم، والجذع الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم» ولكنهم عادوا للغارة مرة أخرى فشكوهم إليه فقال: انتظروا الذي يأتيني. فقال: «والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس»[2]. ومما جاء به مسيلمة الكذاب بأنه وحي قوله: «والمبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه»[3].

وكان فيما يقرأ لهم أيضًا «إن بني تميم قوم طهر لقاح، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن» وكان يقول: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لا تمجّعون»[4]. وغير ذلك من الترهات التي توافق عقائد أعداء الصحابة المبنية على الأوهام والمضادة لما في الكتاب والسنة، حيث المؤمنون بمثل تلك الأباطيل كانوا منساقين وراء أهوائهم وحميتهم الجاهلية، ولم يكونوا يبحثون عن الحقيقة، أو يحسبون للدار الآخرة حسابًا، وهذا هو شأن الرافضين للسنة في كل عصر، حيث أوكلوا مسألة الإيمان إلى المراجع والأئمة ووكلاء صاحب الزمان، وما إلى ذلك من أباطيل مخالفة للكتاب والسنة المباركة، حيث إن هذا الدين اتباع لرسول الله في كل ما جاء به. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٦. ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٤. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٦. باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١١٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

ذكر ردة أهل البحرين:

البحرين اسم يطلق على أكثر المنطقة الممتدة ما بين القطيف إلى حدود عُمان، قامت فيها حركة ردة عن الإسلام ورفض لخلافة النبوة فجاهدها جند الخلافة الراشدة حتى أزهقوا باطلها وأعادوا أهلها إلى السنة النبوية وجماعة المسلمين حتى لم يعد فيها أحد من أهل الرفض والردة وذلك أن قبيلة عبد القيس كانت تسكن عامة تلك المنطقة وكانوا من أنصار سنة الرسول ﷺ وخلافة النبوة، لذلك فإن كل مظهر مخالف للسنة في تلك البلاد فإنما هو بعث جديد لمظاهر الردة التي يجب أن تواجه لكيلا تقود أبناء الأمة هناك إلى الفتن والاقتتال الذي هو شعار أعداء الصحابة منذ عصر الرسالة حيث لا تربط أولئك المرتدين روابط قوية بالأمة ولا بعقيدتها فهم لا يبالون بنتائج تسعير الفتن لأن ذلك يخدم مصلحتهم في إضعاف أهل الإسلام من سكان تلك البلاد، وكان الجارود بن المعلى العبدي أبرز قادة البحرين آنذاك، فقدم على رسول الله ﷺ فأسلم وأقام عند النبي ﷺ حتى تفقه في الدين، فرده النبي ﷺ إلى قومه عبد القيس، فكان فيهم. فلما توفي النبي ﷺ كان المنذر بن ساوى العبدي مريضًا أيضًا فتوفي بعد النبي ﷺ بقليل. فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين، فأما قبيلة بكر بن وائل فتمت على ردتها وأما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد ﷺ نبيًّا لم يمت. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمدًا ﷺ قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فأسلموا وثبتوا على إسلامهم.

وحصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي. واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وقالوا: نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور. فلما أسلم كان يقول: أنا المغرور ولست بالغرور.

وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه غير المرتدين ممن لم يزل مشركًا حتى نزل القطيف وهجر، واستغووا الخط ومن بها من الزط والسبابجة،

وبعث بعثًا إلى دارين، وبعثًا إلى جواثا فحصر المسلمين، فاشتد الحصر على من بها، فقال عبد الله بن حذف، وقد قتلهم الجوع يخاطب خليفة رسول الله وأهل المدينة طالبًا الإسراع بالنصرة:

ألا أبلغ أبا بكر رسولًا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكمو إلى قوم كرام ... قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا[1]

فسارع إليهم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الذي كان قريبًا من بلادهم يجاهد الرافضة المرتدين وكان سبب استنقاذ العلاء إياهم أن خليفة رسول الله كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثُمامة بن أثّال الحنفي في مسلمة بني حنيفة الذين لم يخدعهم مسيلمة عن دينهم، ولحق به أيضًا قيس بن عاصم المنقري وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرباب أيضًا لحقته في مثل عدته، فسلك بهم الدهناء حتى إذا كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضًا فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه، فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟ فقالوا: كيف نلام ونحن إن بلغنا غدًا لم تحم حرارة الشمس علينا حتى نهلك. فقال: لن تراعوا، أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله، فأبشروا فوالله لن تخذلوا. فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا. فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخت إليهم فسقوها. وكان أبو هريرة رضي الله عنه فيهم[2] وكان في ذلك كرامة ورحمة للمجاهدين

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٨.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٠.

المدافعين عن دينهم وسنة نبيهم ﷺ واستجابة لدعائهم واستغاثتهم بالله تعالى. وكان العلاء قد عبر البحر بالمسلمين إلى دارين وكان في ذلك كرامة أيضًا للعلاء رضي الله عنه ومن معه من المسلمين حتى قال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل!

دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من فلق البحار الأوائل[1]

وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن معلى فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه، وقالت ربيعة بعضها لبعض: نرد الملك إلى المنذر بن ساوى وكان المنذر ملكهم في حياة رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ إليه العلاء بن الحضرمي فأسلم المنذر، وأقام العلاء بها إلى أن قبض رسول الله ﷺ فملك ربيعة المنذر بن النعمان بن المنذر بن ساوى وجمع جمعهم على الارتداد عن الإسلام ورفض خلافة النبوة، فلما بلغ خليفة رسول الله رضي الله عنه خبرهم، بعث إليهم العلاء بن الحضرمي وأمره بثمامة بن أثّال الحنفي، وكان قد أسلم ثمامة وأسلم بنو سحيم معه، فلما مر العلاء بثمامة بن أثّال ومعه من اتبعه من قومه من بني سحيم، وسارت ربيعة إليهم فحاصروهم بجواثا - حصن بالبحرين - وأصاب المسلمين جهد شديد من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا فخرج عبد الله بن حذف ليلة من الليالي يتجسس أخبار الرافضة المرتدين ويجيء المسلمين بالخبر، فأتى الحصن الذي كانوا فيه واحتال في دخوله فوجد الرافضة سكارى فرجع، فأخبر المسلمين أن القوم سكارى لا غناء بهم، فبيتهم العلاء بن الحضرمي فيمن معه من المسلمين وقاتلوهم قتالًا شديدًا حتى فتح الله على المسلمين حصنهم، الذي كان بؤرة للشر ولحصار المسلمين والتعدي على حياتهم وحرماتهم وممتلكاتهم، فلما انتصر المسلمون عليهم، قسم العلاء بن الحضرمي الغنيمة بالبحرين وجمع المسلمين هناك وصلّى بهم صلاة الجمعة[2] بعد أن أزال الله عنهم شر أعداء الصحابة وثبت الإسلام في تلك البلاد.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٠.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٧

قدوم أهل البحرين إلى أبي بكر يفتدون سباياهم:

وبعد أن انتصر المسلمون على المرتدين في البحرين وغنموا ما غنموا من سبايا وغيرها راجع الناس دينهم هناك، ثم أرسلوا وفدًا إلى خليفة رسول الله يطلب مساعدته على استعادة السبي من أيدي المسلمين فأجابهم خليفة رسول الله إلى مطلبهم.

فخطب أبو بكر الناس فقال: أيها الناس! ردوا على الناس سباياهم، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيب عنه منهم أحد. ثم جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلى أبي بكر فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن جاءنا مال من البحرين أعطيناك هكذا وهكذا**» فحرز له أبو بكر «**هكذا**» خمسمائة درهم، فأعطاه من مال البحرين ألفًا وخمسمائة درهم. ثم اعتمر أبو بكر رضي الله عنه في رجب وخرج هو وعبد الرحمن على راحلتين واستخلف على المدينة عمر بن الخطاب، وقدما مكة ضحوة وخرج منها رضي الله عنه قبل الليل. ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج لليلتين بقيتا من ذي القعدة، وأحرم من ذي الحليفة، وقدم مكة لسبع خلون من ذي الحجة، وكان قد ساق معه عشر بدنات، فخطبهم قبل التروية بيوم في المسجد الحرام وأمرهم بتقوى الله ونهاهم عن معصيته وعظم عليهم حرمة الإسلام وأمرهم بالقصد في مسيرهم والترفق، وتلا عليه آيات من القرآن، ثم قال: من استطاع منكم أن يصلي الظهر بمنى غدًا فليفعل. ثم حج لهم ونحر البدن ورمى الجمار ماشيًا ذاهبًا وجائيًا[1] وفي أحداث ردة البحرين يظهر تلاحم المسلمين وتعاونهم وبذلهم كل ما يمكن بذله في التناصر على الحق وإقامة السنة والتعاون على حرب البدعة والردة والرفض لخلافة النبوة ووحدة الأمة، وفيه تجلت رعاية الله تعالى لعباده حين التجؤوا إليه سبحانه وتعالى.

ردة أهل عُمان ومهرة:

نبغ في عُمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجلندى، وغلب

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٨.

على عُمان مرتدًا، والتجأ جيفر وعياذ إلى الجبال، وبعث جيفر إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يخبره ويستمد عليه فبعث خليفة رسول الله حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير إلى عُمان، وعرفجة البارقي من الأزد إلى مهرة، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قربا من عُمان يكاتبان جيفرًا. فسارا إلى عُمان، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل، بعد أن انكفأ عن اليمامة لشدة مقاومتها قبل وصول خالد رضي الله عنه. فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على المرتدين من أهل عُمان ومهرة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحقهما عكرمة قبل عُمان، فلما وصلوا إلى رجام وهي قريب من عُمان، كاتبوا جيفرًا وعياذًا، وجمع لقيط جموعه وعسكر بدَبَا، وخرج جيفر وعياذ وعسكرا بصُحار وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة، فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء من كان مع لقيط فارفضوا عنه، ثم التقوا على دبَا فاقتتلوا قتالًا شديدًا، واستعلى لقيط ومن معه من المرتدين في بداية المعركة.

فبينما هم كذلك جاءت المسلمين أمداد من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، وغيرهم، فقوى الله المسلمين، فولى المشركون الأدبار، وقتل منهم في المعركة عشرة آلاف وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه في المدينة مع عرفجة، وأقام حذيفة بعُمان يُسكن الناس وينظم الأمور.

وأما مهرة فإن عكرمة بن أبي جهل سار إليهم لمّا فرغ من عُمان ومعه من استنصره من قبائل ناجية وعبد القيس وراسب وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعين من مهرة؛ أحدهما مع سخريت وهو رجل منهم وروي شحريت وشخريت والثاني مع المصبح أحد بني محارب، ومعظم الناس معه، وكانا مختلفين فكاتب عكرمة سخريتًا، فأجابه وأسلم، وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب، فقاتله قتالًا شديدًا، فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤوا منهم وأصابوا ما شاؤوا من الغنائم، وبعث الأخماس إلى خليفة رسول الله مع سخريت، وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع، وأقام عكرمة

حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الإسلام[1].

وكان في كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعكرمة بن أبي جهل: فإذا فرغتم فامض إلى مهرة ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن حتى تلاقي المهاجر بن أبي أمية باليمن وبحضرموت، أو طئ من بين عُمان واليمن ممن ارتد، وليبلغني بلاؤك. فمضى عكرمة في أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه لحق بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السير معه أو المقام بعُمان، فلما تلاحقوا وكانوا قريبين من عُمان بمكان يدعى رجاما راسلوا جيفرًا وعبادًا، وبلغ لقيطًا مجيء الجيش فجمع جموعه وعسكر بدَبَا وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه فعسكرا بصُحار، فاستبرؤوا ما يليهم حتى رضوا به ممن يليهم، وكاتبوا رؤساء مع لقيط، حتى ارفضوا عنه ونهدوا إلى لقيط، فالتقوا على دَبَا وقد جمع لقيط العيالات فجعلهم وراء صفوفهم ليحرضهم على القتال وليحافظوا على حرمهم كما فعل المشركون يوم حنين، وكانت دَبَا هي المصر والسوق الأعظم، فوقع القتال واشتدت الحرب بدَبَا واقتتلوا قتالًا شديدًا، فولّى المرتدون الأدبار وقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذرية وقسموا الأموال على المسلمين، وروي أن الذي سار بالخمس إلى المدينة هو عرفجة، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعُمان حتى يوطئ الأمور ويُسكن الناس، وكان الخمس ثمانمائة رأس، وغنموا السوق بحذافيرها، فسار عرفجة إلى خليفة رسول الله بخمس السبي والمغانم، وأقام حذيفة لتسكين الناس. ومضى عكرمة في الناس وبدأ بمهرة كما سبق. وقال في ذلك عباد الناجي:

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك ... من الشر ما أخزى وجوه الثعالب[2]

وروي أن عكرمة أقام حتى جمعهم على الذي يحب، وجمع أهل النجد وأهل رياض الروضة، وأهل الساحل، وأهل الجزائر، وأهل المر واللبان وأهل جيروت، وظهور الشحر

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٢. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٣٦.

(٢) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٣١.

والصبرات، وينعب وذات الخيم، فبايعوا على الإسلام، فكتب بذلك إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع البشير وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بالفتح، وقدم شخريت بعده بالأخماس[(١)].

يتضح مما حصل في عُمان أن الردة كانت حركة واسعة النطاق وغالبًا ما يقودها أهل الأهواء ممن لديهم بعض المعلومات عن الإسلام ولديهم الطموح للزعامة وحب الظهور والقيادة فيغتنمون ما لديهم من معلومات إسلامية للتلبيس على عامة الناس فتستجيب لأراجيفهم وأمانيهم الغوغاء فيقودونهم إلى مغامرات خاسرة على الصعد كافة.

كما يتبين متابعة الخلافة الراشدة لتلك الحركات الرافضية المتمردة على الكتاب والسنة، حيث كانت تباشرهم بالرسل حرصًا على إعادتهم إلى الجادة والدخول مما خرجوا منه والإقرار بالإسلام كاملًا؛ لكن غالبًا ما كانت رسل الخلافة تصطدم بكبر الأعراب وغرورهم وحبهم للفتن، فإذا حصل هذا كانت جيوش الخلافة تقاتلهم بأشد وسائل القتال وتعاملهم بالشدة حتى يتوبوا ويعودوا إلى ما خرجوا منه فإن فعلوا يعيدوا لهم ما سبي منهم ويشجعوهم على الاندماج في المجتمع الإسلامي والعمل على نصرته والتقيد بضوابطه، أما الغنائم الأخرى فلا يعيدونها عليهم بعد توزيعها على مستحقيها، وعلى هذا فإن الخلافة لم تهاود المرتدين الرافضين للزكاة أو لغيرها أو الرافضة المتمردين على خلافة النبوة وقد أثبتت سياسة الشدة على المرتدين مصداقيتها ونجاحها ونضج ثمارها.

ردة اليمن:

لما توفي رسول الله ﷺ كان عماله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصري، عثمان على المدن، ومالك على أهل الوبر، وبصنعاء فيروز ويسانده داذويه وقيس بن مكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى، وكان منهم مع الأسود الكذاب ما

---

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٣٣.

ذكرناه. فلما أهلك الله الأسود العنسي بقيت طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران لا يأوون إلى أحد. ومات النبي ﷺ على أثر ذلك فارتد الناس فكتب عتاب بن أسيد إلى أبي بكر رضي الله عنه يعرفه خبر من ارتد في عمله، وبعث عتاب أخاه خالدًا إلى أهل تهامة وبها جماعة من مدلج وخزاعة وأبناء كنانة[1].

وأما كنانة فعليهم جندب بن سلمى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد وفرقهم، وأفلت جندب وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثًا عليهم حُميضة بن النعمان إلى شنوءة وبها جماعة من الأزد وبجيلة وخثعم، واستعمل عثمان على السرية عثمان بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم المرتدون وتفرقوا في البلاد.

وأما بجيلة فإن أبا بكر ردّ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إليهم وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضبًا لذي الخصلة، فخرج جرير وفعل ما أمره، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير، فقتلهم وتتبعهم[2].

ردة اليمن ثانية:

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن المكشوح، وذلك أنه لما بلغه موت النبي ﷺ انتكث وعمل في قتل فيروز وجُشيش عمال المسلمين هناك، فكتب خليفة رسول الله إلى عمير ذي مُرّان وإلى سعيد ذي زود وإلى ذي الكلاع وإلى حوشب ذي ظليم وإلى شهر ذي نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوأهم، والسمع لفيروز، وكان فيروز وداذويه وقيس قبل ذلك متساندين. فلما سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء وإخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه ولم ينصروا الأبناء.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٤. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٤.

فاستعد لهم قيس وكاتب أصحاب الأسود العنسي المترددين في البلاد سرًّا يدعوهم ليجتمعوا معه، فجاؤوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز وداذويه فاستشارهما في أمره خديعة منه ليلبس عليهما، فاطمأنا إليه، ثم إن قيسًا صنع من الغد طعامًا ودعا داذويه وفيروزًا وجشيشًا، فخرج داذويه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز، فلما دنا منه سمع امرأتين تتحدثان فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذويه، فخرج. فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، ولقيه جُشيش فرجع معه فتوجها نحو جبل خولان. وهم أخوال فيروز، فصعدا الجبل، ورجعت خيول قيس فأخبروه بما حصل، فثار بصنعاء وما حولها مقدمًا رجلًا ومؤخرًا أخرى، فأتته خيول الأسود العنسي[1].

واجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، وكتب إلى أبي بكر يخبره، واجتمع إلى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء، وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق: من أقام أقر عياله، والذين ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين فوجه إحداهما إلى عدن ليحملوا في البحر وحمل الأخرى في البر، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلما علم فيروز بذلك جد في حرب قيس وتجرد لها وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم، وإلى عك يستمدهم، فركبت عقيل، فلقوا خيل قيس بن عامر ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيرهم قيس فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس. وسارت عك فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء وقتلوا من معهم من أصحاب قيس، وأمدت عقيل وعك فيروزًا بالرجال. فلما أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسًا دون صنعاء فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزم قيس وأصحابه «وتذبذبت رافضة العنسي وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران».

قيل: وكان فروة بن مسيك المرادي قدم على النبي ﷺ مسلمًا فاستعمله النبي ﷺ على صدقات مراد ومن نازلهم ونزل دارهم. وقال مسيك في إسلامه:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٥. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٦.

لما رأيت ملوك حمير أعرضت   كالرِّجل خان الرِّجل عِرقُ نسائها
يممت راحلتي أمــام محمد   أرجو فواضلها وحُسنَ ثنائها

وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي قد فارق قومه سعد العشيرة وانحاز إليهم وأسلم معهم، فلما ارتد العنسي ومعه مذحج ارتد عمرو فيمن ارتد، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلما ارتد سار إليه ابن سعيد فسلب عمرو سيفه الصمصامة وفرسه.

فلما ارتد عمرو جعله الأسود العنسي بإزاء فروة بن مسيك، فامتنع كل واحد منهما من البراح لمكان صاحبه فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل بلاد أبين من مهرة، ومعه بشر كثير من مهرة وغيرهم، فاستبرى النخع وحمير، وقدم أيضًا المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلى نجران، فانضم إليه فروة بن مسيك المرادي، فأقبل عمرو بن معدي كرب مستجيبًا حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيسًا أيضًا فأوثقه وسيرهما إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئًا، وكان قتله سرًّا، فتجافى له عن دمه وقال لعمرو: أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. فقال: لا جرم لأقبلن ولا أعود. ورجعا إلى عشائرهما. فسار المهاجر من نجران والتقت الخيول على أصحاب الأسود العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنوا وقتلهم بكل سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بذلك[1].

الأخابث من عك:

وكان أولَ منتقض بعد النبي ﷺ بتهامة عك والأشعريون، وذلك أنهم حين بلغهم موت النبي ﷺ تجمع منهم أقوام فأقبل إليهم آخرون من الأشعريين وخضم فانضموا إليهم فأقاموا على الأعلاب وهي طريق الساحل وتجمع إليهم أوزاع متفرقون على غير رئيس.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٦. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٧.

فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وسار إليهم وكتب أيضًا بمسيره إليهم ومعه مسروق العكي حتى انتهى إلى تلك التجمعات على الأعلاب فالتقوا فاقتتلوا فهزمهم الله وقتلوهم كل قتلة حتى أنتنت السبل لقتلهم وكان مقتلهم فتحًا عظيمًا.

وأجاب أبو بكر رضي الله عنه الطاهر قبل أن يأتيه كتابه بالفتح. فقال: بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقًا وقومه إلى الأخابث بالأعلاب فقد أصبت فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم وأقيموا بالأعلاب حتى يأمن طريق الأخابث ويأتيكم أمري فسميت تلك الجموع من عك ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث وسمي ذلك الطريق طريق الأخابث. وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة يصف لقاءهم مع الأخابث:

ووالله لولا الله لا شيء غيره	لما فضّ بالأجراع جمع العثاعث
فلم تر عيني مثل يوم رأيته	بجنب صُحار في جموع الأخابث
قتلناهمو ما بين قِنة خامر	إلى القيعة الحمراء ذات النبائث
وفئنا بأموال الأخابث عنوة	جهارًا ولم نحفل بتلك الهثاهث

وعسكر طاهر بن أبي هالة على طريق الأخابث ومعه مسروق في عك ينتظر أمر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه[1].

أهل نجران:

ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل من بني الأفعى الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث بعثوا وفدًا ليجددوا عهدًا فقدموا إليه فكتب لهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد رسول الله

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٤.

بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم ما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق شهد المسور بن عمرو وعمرو مولى أبي بكر[1].

في هذا الكتاب تظهر أخلاق المسلمين الحضارية واحترامهم لمخالفيهم، وحفاظهم على عهودهم ورعايتهم لجيرانهم من أبناء الأمم والملل الأخرى، كما يظهر حرص المسلمين على عدم التدخل في شؤونهم الداخلية واحترام عقائدهم ومعابدهم ورموزهم، واحترام أتباعهم ومواليهم وما ملكت أيديهم وجميع أملاكهم ما قل أو كثر، ومن يعتدي عليها فإنما يعتدي على ذمة المسلمين المحفوظة بضوابط دينهم وبسيوفهم التي في سواعدهم.

ولعل محتوى هذا الكتاب يبين الفرق الشاسع بين مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية المقيدة بشريعتها وقيمها وحمية أبنائها على الجار، وبين ما يعاني منه المسلمون في هذا العصر وفيما قبله من عدوان كثير من أبناء الحضارات الأخرى وكل من تقع تحت أيديهم قوة مادية.

فإن هؤلاء الآخرين من تتار ومغول وصليبيين ورافضة ويهود وغيرهم لو قُلبت صفحات جرائمهم التي لا مسوغ لها ضد المسلمين؛ لشهد كل عاقل بأنه لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب المسلمين، ذلك أنهم تشربوا معاني دينهم المبني على الرحمة ووصايا نبيهم الرؤوف الرحيم ﷺ وكل ذلك موثق في صفحات التاريخ التي ما زالت تشهد لهذه الأمة بكل معاني القيم والسمو والعدل والسماحة، في حين تشهد تلك الصفحات ذاتها على ظلم

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٤.

الآخرين لأبناء هذه الأمة وافترائهم على نبيها ﷺ وعلى رموزها وعقيدتها وتعاونهم دائمًا على إقصاء هذه العقيدة العالمية التي تدعو إلى الحوار والتسامح والرحمة وحسن الجوار.

ولا أدل على أحقاد الآخرين على هذه الأمة الرحيمة المرحومة من: غدر يهود قريظة في المدينة بالمسلمين يوم الخندق ومحاولة قتل النبي ﷺ في بني قينقاع أو محاولة اغتياله بالسم في خيبر، ولا من عبث اليهود الآن بأرواح النساء والأطفال والمساجين، وهدم البيوت والعدوان على الشجر والبشر ومحاولات هدم المسجد الأقصى في فلسطين.

ومن حقد الصليبيين على المسلمين منذ أيام محاكم التفتيش إلى غوانتنمو إلى أبي غريب والفالوجة وكابول وسهول أفغانستان وجبالها وما البوسنة وما حولها والشيشان وما حولها من ذاكرة العقلاء ببعيد، إلى غير ذلك من مصائب الطغيان وغرور القوة والتشفي بالضعيف. أما التتار والمغول فإن نهر دجلة وأحياء بغداد أهل السنة النبوية ما زالت تشهد على وحشيتهم.

أما الرافضة فلا إجرام يعادل جرائمهم، وأي جريمة أكبر من اغتيال الشهيد عمر الفاروق وتقديسهم لقاتله؟ وأي مصيبة تعدل مصيبة اغتيال عثمان الشهيد، أم اغتيالهم للشهيد علي في مسجد الكوفة، أم غدرهم بالحسين الشهيد في الكوفة أم طعنهم الحسن في ساباط المدائن، أم طعنهم معاوية وهو ساجد في مسجد دمشق، أم محاولة قتل فاتح فلسطين ومصر عمرو بن العاص، أم محاولة قتل صلاح الدين الأيوبي، أم قتلهم لأربعة آلاف ما بين عابد وعالم في ليلة واحدة من أهل تونس كما ذكر ذلك ابن خلدون؟! أم قتلتهم للعلامة الشهيد أبي بكر النابلسي وسلخ جلده تشفيًا وتأكيدًا لأحقادهم التي لا تنتهي؟! أم قطعهم الطرق وغدرهم بالمجاهدين أيام الحروب الصليبية؟! أم استباحة دماء أهل السنة ومساجدهم ومصاحفهم ومقدساتهم ورموزهم وعدوانهم حتى على قبور الصحابة رضي الله عنهم في العراق وفي غيرها في هذه الأيام بالتعاون مع اليهود والصليبيين؟! ولو كتب الكُتّاب ودوّن المدونون لوجدوا أن جرائم الرافضة بحق السنة النبوية وأهلها أكبر وأقذر وأشد وحشية وتشفيًا من كل ما يمكن أن يكتبه الكتاب والمدونون!!

وكل هذه المآسي التي تجري ضد المسلمين السنة وفكرهم وعقيدتهم ناتج عن الثقافات الحاقدة التي تتبنى البهتان والتزييف في مناهجها، وتنفث الأحقاد والكراهية في نفوس أتباعها ضد الإسلام والمسلمين، لا لشيء سوى الحقد على عقيدة التوحيد والعدل والأخوة.

ولإسقاط أتباع تلك الثقافات من ضمائرهم محاسبة الله والدار الآخرة. في حين ما زال المسلم يستقي ثقافته وفكره الصافي من معاني قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[2]. وأمثال ذلك، فهل تمتلك الثقافات والعقائد الأخرى في ثوابتها شيئًا من هذه المعاني؟ وهل يستطيع أبناء ملة أخرى أن تسمو عقولهم وأهدافهم إلى شيء من هذه القيم؟!

ردة حضرموت وكندة:

توفي رسول الله ﷺ وعماله على بلاد حضرموت: زياد بن لبيد البياضي رضي الله عنه على حضرموت وعلى السكاسك والسكون عُكاشة بن ثور - عند الطبري ابن مِحصن ومعلوم أن عكاشة بن محصن استشهد في قتال طليحة بن خويلد الأسدي - والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وكان المهاجر بالمدينة لم يخرج حتى توفي رسول الله ﷺ فبعثه أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك إلى قتال المرتدين باليمن ثم المضي إلى عمله أميرًا على كندة.

وكان رسول الله ﷺ أمّر المهاجر بن أبي أمية على كندة فاشتكى مرضًا ولم يطق الذهاب فكتب المهاجر إلى زياد ليقوم له على عمله وبرأ بعدُ فأتم له أبو بكر رضي الله عنه إمرته وأمره بقتال ما بين نجران إلى أقصى اليمن، ولذلك أبطأ زياد وعُكّاشة عن مناجزة كندة انتظارًا له.

وكان سبب ردة كندة إجابتهم الأسود العنسي حتى لعن رسول الله الملوك الأربعة وهم من إحدى بطون كندة وحين أسلموا وأسلم أهل بلاد حضرموت كلهم قبل ردتهم، أمر

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

رسول الله ﷺ بما يوضع من الصدقات أن يوضع صدقة بعض حضرموت في كندة وتوضع صدقة كندة في بعض حضرموت وبعض حضرموت في السكون والسكون في بعض حضرموت، فقال نفر من بني وليعة: يا رسول الله إنا لسنا بأصحاب إبل، فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظهر. فقال ﷺ: «**إن رأيتم**»، قالوا: فإنا ننظر فإن لم يكن لهم ظهر فعلنا. فلما توفي رسول الله ﷺ وجاء ذلك الإبان دعا زياد الناس إلى ذلك فحضروه فقالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ. فقالوا: إن لكم ظهرًا فهلموا فاحتملوا. ولاحوهم حتى لاحوا زيادًا وقالوا له: أنت معهم علينا. فأبى الحضرميون، ولجّ الكنديون فرجعوا إلى دارهم وقدموا رِجلًا وأخروا أخرى وأمسك عنهم زياد رضي الله عنه انتظارًا للمهاجر، فلما قدم المهاجر صنعاء كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بكل الذي صنع وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قبل أبي بكر رضي الله عنه فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه وإلى عكرمة أن يسيرا حتى يقدما حضرموت، وأقر زيادًا على عمله وأذن لمن معك من بين مكة واليمن في القفل إلا أن يؤثر قوم الجهاد وأمده بعبيدة بن سعد ففعل فسار المهاجر من صنعاء يريد حضرموت، وسار عكرمة من أبين يريد حضرموت فالتقيا بمأرب، ثم فوزا من مفازة صَهيد حتى اقتحما حضرموت فنزل أحدهما على الأشعث والآخر على وائل[1].

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المهاجر يخيره اليمن أو حضرموت، فاختار اليمن فكانت اليمن على أميرين فيروز الديلمي والمهاجر، وكانت حضرموت على أميرين عبيدة بن سعد على كندة والسكاسك، وزياد بن لبيد رضي الله عنه على حضرموت، وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمال الردة أما بعدُ، فإن أحب من أدخلتم في أموركم إلي من لم يرتد ومن كان ممن لم يرتد فأجمعوا على ذلك فاتخذوا منها صنائع وأذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو.

وقد وقع إلى المهاجر امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم رسول الله ﷺ فقطع يدها ونزع

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٥.

ثنيتها فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله ﷺ فلولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها. لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد، أو معاهد فهو محارب غادر، وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه في التي تغنت بهجاء المسلمين: أما بعد: فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعتَ ثنيتها، فإن كانت ممن تدعي الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة وإن كانت ذمية فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهًا فاقبل الدعة وإياك والمثلة في الناس، فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص[١].

دور زياد بن لبيد رضي الله عنه في القضاء على الردة في اليمن:

من أبرز القادة الذين واجهوا الردة في اليمن زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، وكان قديم الإسلام شهد بيعة العقبة وأقام في مكة حتى هاجر النبي ﷺ فهاجر معه، فكان يقال زياد مهاجري أنصاري رضي الله عنه، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عامل النبي ﷺ على حضرموت[٢].

وروي أن رسول الله ﷺ نوه بذكائه وكفايته فقال ﷺ: «**إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة**»[٣]. ولاه رسول الله ﷺ حضرموت ثم ضم إليه كندة، ويقال الذي ضم إليه كندة أبو بكر رضي الله عنه[٤]. ثم أرسل خليفة رسول الله كتابًا إلى زياد جاء فيه: «فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم مقام مثلك ويبايع من عندك فمن أبى وطئته بالسيف، وتستعين بمن أقبل على من أدبر»[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٥٣٣.

(٣) الحاكم: المستدرك، كتاب وباب العلم، ح (٣٣٧).

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ١/ ٥٥.

(٥) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٣. الكلاعي: الاكتفاء، ١/ ٩٩. الخليفة: الأنصار في =

فقام زياد رضي الله عنه بذلك أفضل قيام ودعا كندة إلى البيعة فأبى الأشعث بن قيس الكندي أن يبايع[1].

فافترقت كندة فرقتين فرقة أقامت على الدين وفرقة عزمت على الرفض ومنع الزكاة والعصيان، فلما بدأ زياد يجمع الصدقات أخذ قوم من كندة يتبرمون من ذلك وعملوا على اختلاق الأعذار لتعطيل ذلك[2]. منهم حارثة بن سراقة الكندي الذي قال بلسان المرتدين:

وإن أناسًا يأخذون زكاتكم … أقل ورب البيت عندي من الذر

أنعطي قريشًا مالنا إنّ هذه … لتلك التي يخزى بها المرء في القبر[3]

وقال الرافضة المرتدون من كندة يفصحون عن مواقفهم الرافضة لفريضة الزكاة:

إذا نحن أعطينا المصدق سؤله … فنحن له فيما يريد عبيد

أفي كل يوم للمهاجر جبوة … ولابن لبيد إنّ ذا لشديد[4]

وبعد أن ظهرت هذه المواقف علانية وجه زياد رضي الله عنه ما عنده من أموال الصدقة إلى المدينة ثم سار هو في قبائل كندة فجهز له خليفة رسول الله جيشًا من أربعة آلاف رجل، فاتصلت أخباره بالسكاسك والسكون وهما من قبائل كندة الذين ثبتوا على الإسلام وكانوا قريبًا من معاذ بن جبل رضي الله عنه لما كان في اليمن فاستفادوا منه علمًا، فانضما إلى زياد رضي الله عنه وعزم رجالهما على نصرة الإسلام ابتغاء رضاء الله تعالى. قال شاعرهم مؤكدًا ذلك:

ونحن نصرنا الدين إذ ضل قومنا … شقاء وشايعنا ابن أم زياد

= العصر الراشدي، ٢٢٩.

(١) الواقدي، الردة، ١٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ١/ ٥٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠.

(٣) الواقدي: الردة، ١٧٠، ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٥٧.

(٤) الواقدي: الردة، ١٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ١/ ٥٩.

ولم نبغ عن حق البياضي مزحلًا وكان تقى الرحمن أفضل زاد[١]

وفي تلك المرحلة حاول خليفة رسول الله أن يتألف المرتدين فرغبهم وحاورهم ولكنهم أصروا على الرفض والردة، وكتب إليهم حسان بن ثابت رضي الله عنه ينصحهم بالرجوع إلى دينهم فقال:

أنيبوا إلى الحق يا قومنا فإني لكم ناصح فاقبلوا[٢]

لكن المرتدين شطوا كثيرًا في غيهم حتى قام ابن عم الأشعث بن قيس بقتل رسول خليفة رسول الله وهو رجل من قيس عيلان[٣] وقام رجل من كندة ممن ما زال على إسلامه ينصحهم بالعودة إلى الإسلام فقاموا إليه فأسكتوه ولطموه، فالتحق بزياد رضي الله عنه وقال يصف ذلك الموقف:

فقلت تحلوا بدين الرسول فقالوا سفاهًا ترابًا بفيكا[٤]

لكن الأشعث ومن معه من الرافضة ردوا جميع النصح وأصروا على الردة، فكتب خليفة رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية وهو والي صنعاء أن يلحق بزياد بن لبيد بحضرموت[٥].
وفي هذه المرحلة جرت حروب بين زياد وبعض قبائل المرتدين التابعة للأشعث بن قيس، انتصر فيها زياد رضي الله عنه وقتل الملوك الأربعة وكانوا من أشراف كندة من بني عمرو وهم مشرح ومخوص وجمد وأبضعَة وأختهم العمردة[٦] وكانوا يجمعون القبائل لحرب المسلمين.

هذه الأحداث أدت إلى ضعف أنصار الأشعث مما حدا به إلى جمع قبائل كندة ومهاجمة

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠.
(٢) الواقدي: الردة، ١٩١.
(٣) الواقدي: الردة، ١٩٢.
(٤) الواقدي: الردة، ١٨٤.
(٥) ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ١١٦. ابن حبيش، غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٥.
(٦) الواقدي: الردة، ١٨٩. ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ١١٦. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٢. ابن حبيش، غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٥.

زياد في مدينة تَرِيم، فدارت بينهم وقائع عديدة وصل على إثرها المهاجر بن أبي أمية ممدًّا لزياد بن لبيد مما اضطر الأشعث إلى الانسحاب والاحتماء في حصن النُّجَيْر وهو حصن منيع قرب حضرموت، وبدأ العمل على جمع القبائل التي لم تشارك معه من بني الحارث وحمير ومن معهم مما دعا زيادًا إلى الاستمداد بالخليفة مجددًا فأمده أبو بكر بعكرمة في سبعمائة فارس(١).

فتمكن زياد من تشديد الحصار حتى نزل الأشعث يطلب الأمان(٢) ولما نزل الأشعث من حصنه أرسل به زياد ومعه ثمانون من زعماء كندة مع نهيك بن أوس الخزرجي الأنصاري، وبين يدي خليفة رسول الله أعلن الأشعث التوبة من الرفض والعودة إلى الطاعة والتزام الإسلام، فعفا عنه خليفة رسول الله بعد أن أعطاه الأشعث العهود والمواثيق على الوفاء ثم زوجه الصديق رضي الله عنه من أخته أم فروة بنت أبي قحافة رضي الله عنهم فأقام في المدينة، وروي أن الأشعث خطبها قبل ردة كندة(٣).

وقال الأشعث بن مئناس السكوني يبكي أهل حصن النُّجَير بعد هزيمتهم:

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد كنت بالقتلى لحق ضنين
فلا غــرو إلا يــوم أقــرع بينهم ... وما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم ... ولم تمش أنثى بعدهم لجنين
وكنت كذات البو ريعت فأقبلت ... على بوها إذ طربت بحنين(٤)

ولا شك أنه كما للحق أعوان وأنصار، فإن للباطل أتباعًا يبكونه لما يفقد المبطلون من زواله من نعم كانت تغدق عليهم؛ من أموال السحت ومن الرشاوى واستغلال الموقع

---

(١) ابن حبيش، غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٥. وذكر الواقدي أن عكرمة قدم بألفين من المسلمين.
(٢) الواقدي: الردة، ٢٠٧. ابن أعثم: الفتوح، ١/ ٨٣. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٥٩.
(٣) الواقدي: الردة، ٢١١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٩. ابن حبان، السيرة، ١/ ٤٣٨.
(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٥.

والمكانة لتحقيق المكاسب الرخيصة على حساب الحق والمصلحة العامة، وهذا ظاهر للعيان في كل البلاد التي تحكمها السياسات القمعية والأهواء الشخصية، التي تخون أمانة المسؤولية فتسرق الضعفاء وتعطي الأتباع لتشبع النزعات والأهواء، دون النظر إلى ما يجلبونه على أممهم من البلاء والشر.

وبأسر الأشعث ومن معه من زعماء كندة تمكن زياد رضي الله عنه من القضاء على الردة في اليمن، تلك الردة التي لا تقل خطورتها عن ردة بني حنيفة في الجانب العسكري لكثرة ما سببت من متاعب للمسلمين، إلا أنه مما خفف من شرها أن الأشعث لم يتنبأ، فكان قتال أتباعه قتال مصالح وقتال حمية جاهلية، ولم يكن عن عقيدة رافضية حاقدة على المسلمين لمجرد إسلامهم.

ولكن المؤكد في تلك المواقف أنّ جميع حجج من حارب زياد بن لبيد رضي الله عنه من قبائل كندة كانت واهية وأن أهدافهم كانت سياسية مصلحية أو حمية جاهلية اتخذت من التذرع بمنع الزكاة ستارًا للتفلت من الخضوع لنظام الدولة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك أن خليفة رسول الله حاول استرضاءهم وتحقيق كل مطالبهم لكنهم لجوا في الرفض والتمرد على الولاة.

كما أن المنهج الإسلامي يراعي التدرج في تحقيق أهدافه ومصالحه ولا يستثير أحدًا من الناس، والمنهج الاقتصادي في جمع الزكاة لا يعطي أي مسوغ لرفضه وإعلان العصيان على الدولة وذلك لرحمته ومسايرته لمن يؤدي الزكاة وكذلك لسمو مقاصده وأهدافه، يتضح ذلك المنهج في وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن ومن ذلك قوله ﷺ: «**فقل: إن الله فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد إلى فقرائكم فإن أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم**»[1]. وتبين أن المسلمين اتبعوا هذا المنهج

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة، ح (١٤٢٥). الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٣٣.

دون أي زيادة أو نقصان فلم يجدوا أي ممانعة أو رفض من عامة الناس بعد أن سقط عنهم سلطان الزعامات الطامحة بالسلطة التي كانت تبحث عن أسباب الخلاف فإن لم تجدها صنعتها، وهذا هو شأن الرافضة في حب الفتن والتمرد على الجماعة في كل عصر ومصر.

واتضح في هذه الأحداث أن الردة لم تشمل جميع القبائل ولا جميع زعمائها، بل إن هناك الكثير من القبائل التي ثبت قسم من أبنائها على الدين رجالًا ونساء وزعماء وعامة، فكانوا عونًا عظيمًا لجيوش الخلافة النبوية الراشدة، فكان منهم من يمثل قوة استطلاع ورصد ودلالة، ومنهم من يقوم بالنصح لأقوامهم فيضعف انقيادهم لزعماء الردة، ومنهم من كان يجعل ماله وكل ما يملك لنصرة المجاهدين إلى غير ذلك من مواقف أسهمت في تقريب نتائج النصر والظفر وإصلاح الأمور بعد ذلك برتق ما يحل في تركيب القبائل من خلل، حيث إن عامة من عاد إلى الإسلام وجد من قومه أمامه من اتخذ موقعه في الصف الإسلامي وهو بانتظار إخوانه وأبناء قومه لتمكين موقعه بين المسلمين، وقسم آخر التحق بالرافضة إما جهلًا بمقاصد الإسلام ومهام وجيوش المسلمين، وإما حمية جاهلية، وإما ضعفًا أمام إغراءات الجاهلية وشهواتها، وتفلتًا من ضوابط الإسلام وقيمه السامية، أو تمسكًا بتحالفات جاهلية واتباعًا للرؤساء الباحثين عن مصالحهم وشهواتهم الخاصة الذين كثيرًا ما قادوا أتباعهم إلى موارد الذل والهلاك إلى غير ذلك. ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1].

ولما كان المرتدون يدينون بحرب الكتاب والسنة وبغض الصحابة رضي الله عنهم وكراهية كل من يسمع لهم ويحبهم، كانوا هم الأخطر على الدين والأمة، وهذا ما كان يدركه خليفة رسول الله وجند الخلافة، لذلك لم يعد لهم من شاغل إلا القضاء على هذا الصنف الذي يدين بتدمير كل ما جاء به محمد ﷺ إما بالكفر به وإما بتحريفه وتزييف مقاصده، وقد اتضحت هذه الحقيقة التي لا يدركها في هذا العصر الكثير من الغوغاء الذين امتطاهم أعداء

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

الصحابة للقفز على ظهورهم إلى تمزيق صفوف السنة النبوية وطمس معالمها واستباحة أهلها، حتى أصبح هؤلاء الغوغاء دائمًا هم الشر القريب الجاثم بين الديار، اتضح ذلك عندما أشغلوا الخلافة عن مهام الفتوح، وبذرهم بذور الفتن وبث روح التباغض وإذاعة البهتان على القادة والعلماء والمجاهدين، فكوَّنوا من تلك المفاهيم فرق الموت والغدر التي طالت أيديها الآئمة الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم، وأي جرم كإجرام الرافضة الذين يدينون بتقديس قاتل الفاروق وإمامة قاتل ذي النورين؟ وأي جهل وبلادة أو خيانة أعظم من بلادة أو خيانة من يُقبل تلك الأيدي الغادرة الفاجرة باسم العمل على نصرة الإسلام في هذا العصر!!

وبالقضاء على أخطار الرافضة المرتدين؛ واستقامة الأمة على سنة النبي الأمين ﷺ تجلى فهم خليفة رسول الله الدقيق الصحيح للإسلام، وشدة غيرته على هذا الدين وعلى بقائه تامًّا على ما كان عليه في عهد نبيه ﷺ، اتضح ذلك في الكلمة التي فاض بها لسانه ونطق بها جنانه نورًا ومنهجًا، وهي الكلمة التي تساوي خطبة بليغة طويلة وكتابًا حافلًا، في موقفه الخالد عندما امتنعت كثير من القبائل عن دفع الزكاة إلى بيت المال أو منعوها مطلقًا وأنكروا فرضيتها تأثرًا بما لبّس عليهم من أوهام. وهي قوله رضي الله عنه: قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص الدين وأنا حي[1]؟

لقد كان موقف أبي بكر رضي الله عنه الذي لا هوادة فيه ولا مساومة ولا تنازل ضد الرافضة المرتدين موقفًا ملهمًا من الله تعالى يرجع إليه الفضل الأكبر بعد الله تعالى في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر رضي الله عنه قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة موقف الأنبياء والرسل في عصورهم مع أممهم، وهذه الخلافة النبوية التي أدى أبو بكر رضي الله عنه حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ومحبتهم إلى أن يرث الله الأرض

(١) ينظر: أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٠.

وأهلها[1].

إن موقف خليفة رسول الله من المرتدين أصبح هو العلامة على الإيمان بالسنة النبوية أو الكفر بها، فمن آمن بالكتاب والسنة وجب عليه الاقتداء بمواقف أبي بكر والسير على منهجه في العمل على حفظ السنة والتمسك بها والدفاع عنها ضد أعداء الصحابة وأصناف المشركين.

ومن رفض السنة ثبتت ردته وحربه للدين ووجبت البراءة منه والحذر من جميع مخططاته لما تحمل في طياتها من مخاطر الغدر المدمر للإسلام وأهله، فأصبح الشعار المستقى من موقف الخلافة الراشدة من المرتدين هو: إما كتاب الله والسنة وخليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم، وإما مسيلمة الكذاب وابن سبأ والمرتدون، وما في ذلك من الطواغيت والظلمات والبهتان. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

فمن يوالي السنة النبوية وحملتها وحماتها رضي الله عنهم لا يمكن أن يوالي أعداءها تحت أي ذريعة كانت لأن جمع المتناقضات من المحال، كما أن العبودية لله لا تكون بشتم الصحابة وأمتهم، بالادعاء بأن خيري البشر سيرة وسريرة بعد رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما صنما قريش، ولا بتأليه المراجع والاعتقاد فيهم أنهم هم المتصرفون في هذا الوجود المشرعون من دون الله. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

فاتضح من كل ما سبق الدور الهائل والأثر الفاعل الذي قام به خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ حيث تمكن بفضل الله تعالى من سحق الردة

---

(١) أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

وأعوانها، ونصر الكتاب والسنة وتثبيت أركان الدين كما جاء به رسول الله ﷺ، وهذه نعمة ما زالت الأمة تستقي من معينها الصافي روح التوحيد والعبادة الحقة لله رب العالمين، وتستمد سبل صناعة الحضارة الإنسانية العالمية، وبناء الدولة الراشدة على أسس من العدل والمساواة وحفظ الحقوق والأمن، ومن تلك المواقف يتعلم المؤمنون وسائل حشد الطاقات لحماية العقيدة والأمة وسنة النبي ﷺ ومنهجه وتعاليمه كما جاء بها ﷺ دون تحريف أو تغيير أو رفض.

فهل من عبرة بعد كل ما سبق ذكره، بأن هذا الدين له أنصار يفتدونه بأرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون، وأنه وإن تجمع ضده رافضو التوحيد وكثير من الفرائض مع إخوانهم المرتدين الخارجين من حصن العقيدة وقلعة الأمة؛ ليمدوا أيديهم الآثمة إلى أعداء هذا الدين فيعيثوا في الأمة تمزيقًا وقتلًا وتشريدًا وهدمًا وتخريبًا، وأن كل ما يفعلونه لن يغير من الحقيقة شيئًا وهي أن من يرفض خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما يعبث بهوية الأمة ووحدتها وسلامة عقيدتها وأنه بالضرورة حليف مع كل من يناصبها العداوة والبغضاء.

فهل يمكن أن يقف كل منا لينظر أين موقعه من خلافة النبوة؟ وما هي صلاته بأعدائها وبمن يواليهم؟ وأين مكانة العقيدة والسنّة النبوية في ضميره؟ وما هي صلته بأهلها؟ وما هي رؤيته لكل ما قام به الصحابة من جهاد وعطاء وتضحية لحفظ الإسلام من كيد الماكرين وردة المرتدين؟ وما هو موقفه من شعار خليفة رسول الله القائل: أينقص الدين وأنا حي؟ ثم ما هو الموقف العام من استنفار خليفة رسول الله جموع المؤمنين لحماية الأمة وعقيدتها وهويتها، فإن كان لا بد من تحديد الموقف من كل هذا، فلينظر كل منا إلى ما يقوم به من عبادات وإلى ما يحفظ ويعرف من ثقافات وما يتناول من مأكولات وملبوسات وإلى ما يركب ويشاهد ويسمع فيفرح ويألم، فإذا عرف مصادر وضوابط كل ذلك ووجدها على الوجه المشروع، فليثبت وليستبشر لأنه بلا شك في نفير خليفة رسول الله وتحت راياته المؤيدة المنصورة، ذلك القائد الإمام الذي صدق فيه قول القائل الذي سبق ذكره فيما مضى:

والـــلـــهِ لا يـــدرك أيــامــه ذو مئزر حــاف ولا ذو رداء

مــن يــســع كــي يــدرك أيــامــه يجتهدِ الشدَّ بــأرضٍ فضاءْ

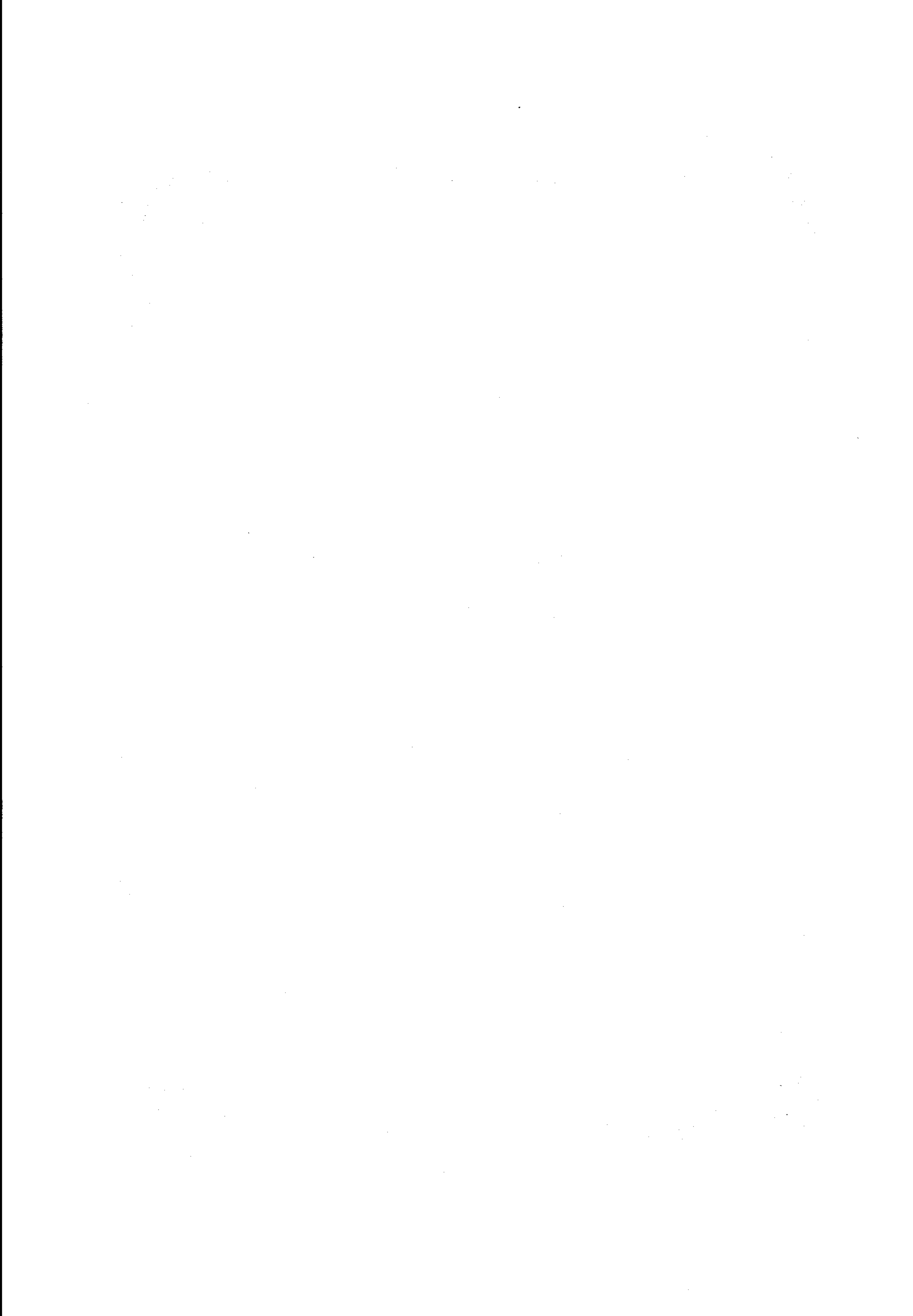


فتوح العراق والشام
في عصر خليفة رسول الله ﷺ
أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

المبحث الأول: فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

المبحث الثاني: فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: عهد الصديق إلى الفاروق بالخلافة ووفاته رضي الله عنه.



المبحث الأول

فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

كان خليفة رسول الله طاقة من العطاء الدائم لا يكل ولا يمل، ولا يداري ولا يماري ولا يبالي بمن يغضب أو يرضى، ولا بمن كثر عدده أو قل، ولا بمن طغت قوته أو هزلت، همه الأول نشر عقيدة التوحيد وأن يعيش الناس تحت ظلالها بلا ظلم ولا تظالم، فمنذ اليوم الذي أسلم فيه حمل راية الإسلام وأخذ يرفعها في كل اتجاه ومكان تقع عليه قدماه، فكان رضي الله عنه كالشهاب في السماء نورًا وقوة وعطاء، لم يتردد ولم يتلعثم في موقف من مواقف المحن التي أصابت المسلمين قبل وفاة نبيهم ﷺ وبعدها، وما إن فرغ من الرافضة المرتدين الذين أشغلوا الخلافة شهورًا عديدة في تتبع مراجعها المتنبئين الذين يضلون ولا يهدون ويأخذون ولا يعطون، وينشرون حب الفتن والتعدي على الجار والطعن في العقيدة وفي رجالها الأخيار، فما إن تمكن المؤمنون من الإجهاز على تلك الحركات المخربة الهدامة حتى تفرغ خليفة رسول الله إلى الأهداف الكبرى التي كان يتطلع إليها رسول الله ﷺ المتمثلة في إزاحة طغيان الفرس المجوس والصليبيين الروم عن الناس، وإزاحة بغيهم السياسي والعسكري وشركهم ووثنيتهم ومعتقداتهم الضالة، وإحلال الإيمان بالله وتوحيد العبودية له، وتحرير العباد والبلاد من أوهام الوثنية وعقائد المجوسية القائمة على عبادة العباد للعباد وطغيان القوي على الضعيف بلا رحمة ولا وازع من ضمير.

وتمكن خليفة رسول الله من رسم أكبر خطة يضعها قائد عسكري لمباشرة الفتوح ونشر الإسلام بمعانيه ومفاهيمه وضوابطه السامية، وكل ذلك بجرأة عظيمة لا مثيل لها تعبر عن مدى الثقة المطلقة التي يستمدها من مفاهيم قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

ويتبين من دراسة الخطة التي وضعها الصدّيق في سياسته الخارجية أن هدفها هو امتثال أوامر الله تعالى وتعاليم النبوة في وجوب مواصلة الجهاد ونشر الإسلام في جميع الاتجاهات والوسائل. قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

ومواصلة ما بدأه الرسول ﷺ بمكاتبة الملوك والزعماء الذين عاصروه ﷺ تحت ظلال قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4]. وترجمة تلك الرسائل إلى واقع تطبيقي على الأرض. فكان على الصدّيق أن يواصل جهاده، إلى حيث وصلت تلك المكاتبات ليتم ما بدأه رسول الله ﷺ في التبليغ والجهاد ويستنفر أمة النبي ﷺ من أجل تحقيق ذلك، مستهديًا بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5].

ولم يكن من أهداف الجهاد في يوم من الأيام الكسب المادي أو العسكري؛ إنما كان وما زال الهدف الأول هو نشر كلمة التوحيد في الأرض وجعلها محور التقاء الحضارات

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٤١.

وبناء الأمة، وكان إسلام الناس أحب إلى قلوب المؤمنين من الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(١). وكان الموت في سبيل الله أحب إليهم من الحياة وما فيها من المطامع والشهوات، فمثل هؤلاء مقاصدهم أكبر من الحصول على الغنائم، أو أن يحيوا حياة الترف والنعيم، ولا أدل على ذلك من أن أهل الحيرة حينما خيرهم خالد بن الوليد بين الإسلام والجزية فاختاروا الجزية! قال لهم خالد مستنكرًا: تبًّا لكم، إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها(٢).

فلو كان الحصول على الغنائم مما يفرح له المسلمون لرحبوا بالجزية التي قبل أهل الحيرة دفعها، ولكنهم بدلًا من ذلك حرصوا على نصيحة القوم، وإرشادهم لما فيه خيرهم، ولو كان في ذلك حرمانهم من الأموال التي كانوا سيدفعونها إليهم صاغرين.

كما أن الجهاد في سبيل نشر الدعوة واجب على جماعة المسلمين على أن يكون ذلك عن إيمان وقناعة بمقاصد الجهاد، ولذلك أمر الصدّيق رضي الله عنه خالدًا عند مسيره إلى العراق ألا يكره أحدًا على المسير معه، وألا يخرج معه إلا من كانت له نية خالصة في الجهاد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٣). وبعدما تحمله المسلمون من ثمن باهظ في مجاهدة المرتدين، كان عليهم أن يحرصوا أشد الحرص على التمسك بأسباب النصر ولا سيما أنهم سيلتقون جيوش أمة قوية البأس، شديدة البطش، لا يصلح في نزالها إلا من كان استعداده للجهاد كاملًا ورغبته في الموت في سبيل الله أقوى من رغبته في الحياة.

ولهذا لم يسمح خليفة رسول الله لحديثي العهد بالردة الذين لم تمتحن توبتهم بعد بالخروج مع المؤمنين للجهاد في سبيل الله، لأن مثل هؤلاء أخطر على المؤمنين من

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٩٨). (٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٣.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

أعدائهم، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾[1]. فقد يفر هؤلاء من الزحف، حرصًا على الحياة، وخوفًا من الشهادة في سبيل الله التي يبحث عنها المؤمنون وتمثل لهم هدفًا ساميًا يتركون من أجله المال والولد.

وكان في أمر خليفة رسول الله لخالد رضي الله عنهما بأن يستصحب معه كل مسلم يمرّ به في طريقه من اليمامة إلى العراق - كثير من الحِكَم، منها: تعويدهم العمل والجهاد في سبيل الله لصقل إيمانهم وتنقية نواياهم، وتدريبهم على العمل العسكري وخوض المعارك الكبرى، الذي يجب أن يتقنه كل مسلم في كل مكان وزمان، وأيضًا لحشد طاقاتهم مع طاقات المجاهدين ليكونوا جميعًا يدًا واحدة تصد الشرك وطغيان الجاهلية.

ومع أن الإسلام قائم على السلم والحوار والدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن ضمن مفاهيم قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2]. فإن المسلمين أمروا أن يتخذوا أقصى درجات الاستعداد والحذر من المشركين بكل أصنافهم ولا سيما أعداء الصحابة، لأنهم لا دين لهم يحجزهم عن الظلم، ولا قيم تضبطهم عن ممارسة الحرام ونقض العهود، وإنما هي الأهواء التي تسيرها الشهوة والمصلحة، ووسائل الخداع والغش التي يتعاملون بها مع هذه الأمة وعقيدتها، قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾[4]. أما الجهاد فقد كان هدفًا واضحًا منذ الساعة الأولى لتولي خليفة رسول الله الأمر بعد وفاة النبي ﷺ حيث جاء في أول خطبة له التأكيد عليه. فقال: «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء»[5]. وبعد أن طويت صفحة الردة آنذاك، وفرغ المسلمون من فتن الرافضة المرتدين استقر الرأي على مواصلة الجهاد ضد الطغيان المجوسي الفارسي الذي كان

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩.
(٤) سورة النساء الآية: ٧١.
(٥) ابن حبان: الثقات، ٢/ ١٥٧. سيرة ابن حبان، ١/ ٤٢٠.

يمد هؤلاء بوسائل الردة والعصيان والتمرد، فعمل ﷺ على توجيه الجيوش إلى تلك الأمة الحاقدة على كل ما له صلة بالإسلام عقيدة ولغة وأمة وأرضًا ورموزًا، إلا من رحم الله منهم ممن آمن من الفرس بسنة النبي ﷺ واقتدى بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وما إن فرغ سيف الله رضي الله عنه من حليفهم الطبيعي مسيلمة الكذاب، حتى جاءه الأمر بالتوجه إلى بلاد العراق لدعوة المجوس إلى الإسلام أو ملاحقتهم في عقر دارهم لإطفاء نار الشرك والحقد التي يدينون بها، وإعلان التوحيد لله تعالى فيها. وقد نفذ خالد توجيهات الخلافة بطاعة مطلقة وعزم لا يلين حتى كسر شوكة المجوس الذين ما زال إخوانهم يحملون الحقد على سيف الله خالد رضي الله عنه الذي أطفأ نارهم وزلزل ملكهم، وما زال حقدهم على جميع أبناء أمته من العرب وكل من يدين لله تعالى بسنة الرسول ﷺ، وذلك أن خالدًا قد كسر شوكتهم وزرع الرعب في قلوبهم وأظهر زيف دينهم، قبل أن يؤمر بالتوجه إلى مجابهة الروم الصليبيين في الشام.

فكانت طلائع الفاتحين قد سارت إلى أهدافها في جيشين، أحدهما بقيادة خالد رضي الله عنه والآخر بقيادة عياض بن غنم رضي الله عنه. ولما سار خالد رضي الله عنه كتب إليه خليفة رسول الله كتابًا فيه من الوصايا والتوجيهات التي يعجز عن تقديمها أدهى قادة الجيوش مما كان له أجمل الوقع في نفس خالد رضي الله عنه الذي كان أولى الناس بفقه كل ما يتعلق بالتخطيط العسكري. فجاء في ذلك الكتاب: «سر على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدًا عن الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه.. وأقل من الكلام، فإنما لك ما وعي منك، واقبل من الناس علانيتهم، وكِلهم إلى الله في سرائرهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه... وإذا قدمتْ إليك وفود العجم فأنزلهم وأسبغ عليهم النفقة، وامنع الناس عن مجادلتهم ليخرجوا جاهلين، كما دخلوا جاهلين، ولا تُلِحَّنَّ في عقوبة فإن أدناها وجع، ولا تسرعن إليها وأنت تكتفي بغيرها»[1]. ولا شك أن هذه الوصية تنبئ عن عميق فهم أبي بكر لروح القيادة وفن

(١) الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٢٤.

التعامل مع الجند ومع الأحداث ومع العدو في جميع الأحوال، ولا أدل على ذلك من أن سيف الله القائد الميداني لم يخالف شيئًا مما كان يوصي به خليفة رسول الله لا في هذه المرحلة ولا بعدها وما ذلك إلا لأن سيف الله كان يذوق في تلك الوصايا أصالة القيادة وانفساح رؤيتها إلى آفاق الأحداث المتوقعة ودقة تشخيصها لمجريات الوقائع التي كان يمر بها المسلمون وهم يشيدون بناء دولتهم التي علمت أحرار البشرية كيف يكون التعامل المسؤول مع الأنصار والأعوان كما هو مع الأعداء والخصوم فلكل قواعده وضوابطه بلا إسراف ولا انتهازية كما هي عليه أخلاق المتغلبين في هذا العصر الذي استعلى به حلف اليهود وتلامذتهم الرافضة على أهل السنة النبوية المستضعفين بين العلمانيين والمرتدين وحلفائهم الآخرين.

وكانت متابعة خليفة رسول الله لجنده متواصلة تلحظ كل ما يجري حولهم أو أمامهم فيزودهم بما ينير لهم الطريق ويختصر عليهم وسائل الوصول إلى النصر، ومثلما كتب لسيف الله كتب لغيره لكلٍّ بما يوافق الموقف الذي هو فيه، فكتب إلى عياض أيضًا أن يقصد العراق ويبدأ بالمصيّخ ويدخل العراق من أعلاه ويسير حتى يلقى خالدًا، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد رضي الله عنه، وأمر أبو بكر رضي الله عنه خالدًا وعياضًا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة، وألا يغزونّ معهما مرتد ففعلا.

ومما يؤكد معرفة خليفة رسول الله الباهرة بالرجال وبتقدير الأحداث ودقة تشخيصه لها ما قام به من إمداد خالد رضي الله عنه حين طلب منه ذلك، فأمده برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي الذي صدّق فراسة خليفة رسول الله، وكأن كل ما فعله القعقاع كان يقرؤه فيه خليفة رسول الله قبل ذلك تأكد ذلك في أعماله الباهرة التي مثل فيها الجرأة والإقدام أعظم تمثيل، ولا سيما يوم القادسية، بعد وفاة خليفة رسول الله، وقد قيل لأبي بكر رضي الله عنه: أتمد خالدًا برجل واحد؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل هذا. يعني القعقاع بن عمرو[1]، فأكدت

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٣٤٧.

الأحداث صدق فراسة الصديق في اختياره للقعقاع كمدد وحده، فقد حدث عندما التقى الفريقان بالحفير[1] أن ترجل هرمز قائد الفرس ودعا إلى النزال بعد أن أضمر الغدر بخالد رضي الله عنه كما هي أخلاق المجوس وتلامذتهم على مر العصور، فترجل خالد وتقدم إليه، فاشتبكا في الصراع، واحتضنه خالد في الوقت الذي أقبلت حامية الهرمز لنصرته، وهنا حمل القعقاع عليها حملة صادقة فقضى عليها في الوقت الذي انتهى فيه خالد من قتل عدوه فأفشل مكيدة الفرس الغادرة فانهزموا وغنم المسلمون منهم وقر ألف بعير[2] وكان ذلك في معركة ذات السلاسل[3].

وأمد خليفة رسول الله عياضًا أيضًا برجل واحد هو عبد بن يغوث الحميري. وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المثنى وقادة آخرين أن يلحقوا بخالد بالأبلة، فتأكد في كل ذلك فراسة خليفة رسول الله وسعة معرفته بالرجال ودقة تشخيصه للأحداث وعميق توكله على الله في كل ذلك، فتبين لكل مؤمن أن النصر من عند الله تعالى وأن أهل الإيمان إن صدقوا لا تغلبهم قوة على وجه الأرض. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[4]. و﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾[5].

وكان مسير خالد إلى العراق في سنة اثنتي عشرة، وفيها كانت موقعة ذات السلاسل وروي أنه سار من اليمامة إلى العراق. وقيل: بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر رضي الله عنه إلى العراق، فسار حتى نزل بانقيا وباروسما وألّيس وصالحه أهلها، ثم سار حتى نزل الحيرة

(١) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. معجم البلدان، ٣/ ٣٠٣. وهو من أقوى مناطق الفرس وأشدها شوكة وكان صاحبه هرمز يحارب العرب في البر، والهند في البحر.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٤ تاريخ الطبري: ٣/ ٣٤٨، ابن الأثير: الكامل ٢ / ٢٦٣.

(٣) سميت المعركة بذات السلاسل؛ لأن الفرس قيدوا جنودهم فيها بالسلاسل لئلا يفروا عند اللقاء، فكان ذلك من أهم أسباب هزيمتهم، لما أحدثه الفارّون في النهاية من ارتباك في صفوف الجيش حينما عجزوا عن المقاومة وحاقت بهم الهزيمة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦. (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

فخرج إليه أشرافها فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الإسلام هي والقريات التي صالح عليها، لأن بعض رعايا المناذرة كانوا فلاحين من الفرس.

وقيل: إنما أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يبدأ بالأبلة أي من الشرق، وكتب إلى عياض بن غنم أن يقصد العراق ويبدأ بالمصيّخ ويدخل العراق من أعلاه أي من الغرب ويسير حتى يلقى خالدًا، وكانت نقطة لقائهما هي الحيرة في وسط العراق فكانت خطة خليفة رسول الله وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق فأذن له، فكان يغزوهم قبل قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالدًا وعياضًا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وألا يغزونّ معهما مرتد، وكتب أبو بكر إلى المثنى وحرملة ومذعور وسلمى أن يلحقوا بخالد بالأبلة. فقدم خالد معه عشرة آلاف من الصحابة والتابعين، وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف، فبلغ مجموع جيش المسلمين ثمانية عشر ألف رجل من الصحابة والتابعين الذين لا تهزم لهم راية؛ لثقتهم بالله ويقينهم بأن النصر منه وحده ولاستعدادهم الكبير للعطاء والتضحية لنصرة دينهم.

ولما قدم خالد فرّق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد، وجعل على مقدمته المثنى وبعده عدي بن حاتم وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحفير ليصادموا عدوهم، وكان ذلك الفرج أعظم فروج فارس وأشدها شوكة، فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البر، والهند في البحر. فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه، فسمع أنهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه ونزل به وجعل على مقدمته قباذ وأنوشجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، واقترنوا في السلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، وكان هرمز سيئ المجاورة للعرب فكلهم عليه حنق، وكانوا يضربونه مثلًا فيقولون: أكفر من هرمز، لغدره وعدوانه.

وقدم خالد فنزل على غير ماء فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، فحطوا أثقالهم، وتقدم خالد إلى الفرس فلاقاهم، وأرسل الله سبحانه

سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم، فخرج هرمز ودعا خالدًا إلى البراز بعد أن تواطأ مع أصحابه على الغدر بخالد رضي الله عنه فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلًا، ونزل هرمز أيضًا وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز الذين تواطؤوا معه على الغدر، فما شغل ذلك خالدًا عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على الغادرين قبل وصولهم إلى خالد وحمل المسلمون من وراء القعقاع على المجوس فأناموهم، وانهزم الفرس وركبهم المسلمون، وسميت الوقعة ذات السلاسل، ونجا قباذ وأنوشجان، وأخذ خالد سلَب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف؛ لأنه كان قد تم مكانته في الفرس، وكانت هذه عادتهم، إذا تم أحدهم تكون قلنسوته بمائة ألف. وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى خليفة رسول الله[1].

وقعة المذار ١٢ هـ:

وكانت في صفر سنة اثنتي عشرة. ويقال لها: وقعة الثني، وهو النهر الذي كانت عليه المعركة والعرب تقول للنهر الثني، قال ابن جرير: ويومئذٍ قال الناس: صفرُ الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. وكان سببها أن هرمزًا كان قد كتب إلى أردشير وشيري، بقدوم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرّ من فرّ من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفوا عليه فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى مجنبتي قارن قباذ وأنوشجان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئته، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قباذ، وقتل عاصم أنوشجان، وفرت الفرس وركبهم

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦١ - ٢٦٣. ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٢٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٣٨.

المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذٍ ثلاثين ألفًا وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس. وجمع خالد بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب، وأقام خالد رضي الله عنه هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية، وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانيًّا، وغيره. ثم أمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرّن، وأمره أن ينزل الحفير ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتحسس الأخبار عن الأعداء المجوس[1].

وفي هذه الوقعة ظهرت بطولات فرسان العرب المسلمين بأقصى ما تظهر به بطولات الرجال، بل وصل ذلك إلى حد التنافس على الشهادة لإيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف جبابرة عبدة النار، الذين كانوا يستعبدون الضعفاء ولا يرحمون أشراف الناس إذا وقعوا في أيديهم، وهذه هي أخلاق من لا قيم لهم ولا كرامة، لأن الأشراف إذا ملكوا غفروا والكرام إذا قدروا عفوا وسامحوا، واللئام إذا تمكنوا غدروا وأسرفوا وتشفوا بالضعيف، وهذا خلق المجوس وأذنابهم على مرّ السنين، فكم قتلوا من ملوك الحيرة الذين كانوا حلفاء لهم، وكم نهبوا من أموالهم وأسرفوا في التعدي عليهم، وكم غدروا بالمسلمين ولو لم يكن من أفعالهم سوى دعوتهم لهولاكو إلى بغداد وقتل أهل السنة آنذاك ٦٥٦هـ، ودعوتهم للصليبيين لتدمير بغداد ثانية عام ١٤٢٣هـ والتشفي بقتل أهل السنة الذين ما زالوا يعتقدون واهمين أن عبيد الغزاة إخوانهم وأنهم جزء من الأمة، فكانت وقعة المذار شمسًا أشرقت في ربوع عراق الإسلام والسنة آنذاك جلبت له نور العدل والكرامة، وأزالت عنه ظلم المجوس وأعوانهم الذين ما زال بغضهم لأصحاب رسول الله يوقد في صدورهم نار الحقد على الإسلام وأمة العرب التي حملته وبلغته للناس في مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٣٨.

معركة الولجة ١٢هـ:

ثم كان أمر الولجة في صفر أيضًا من هذه السنة، وذلك لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذٍ وهزيمة جنده على أيدي العرب المسلمين، بعث أميرًا شجاعًا يقال له الأَنْدرْزَغَرَ، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وأمده بجيش آخر مع أمير يقال له بهمن جاذويه، فساروا حتى بلغوا مكانًا يقال له: الولجة، وهي مما يلي كسكر، فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصى من استخلفه هناك بالحذر الشديد، فلما أتم الفرس استعداداتهم وتمت لهم جموعهم، قرروا مهاجمة المسلمين، وبعد أن استطلع خالد وجنده أرض المعركة رأى أن يهاجم الفرس من ثلاث جهات لكي يجهز عليهم مرة واحدة، فكان هو على جيش يواجه المجوس وأخفى كمينين من جنده على يمين مكان المعركة وشمالها لكي يفاجؤوا العدو ويدخِلوا عليه عنصر المباغتة لتكون المعركة حاسمة فنازل أندرزغر ومن معه بالولجة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، فما كان إلا يسيرًا حتى خرج الكمينان من ههنا ومن ههنا، فانقضوا على العدو، ففرت صفوف الأعاجم لهول المباغتة فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزغر من الوقعة فمات عطشًا، وقتل منهم سبعون ألفًا، وقام خالد في الناس خطيبًا فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ما ههنا من الأطعمة؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثّاقل عما أنتم عليه.

ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية. وبارز خالد يوم الولجة رجلًا من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله، ثم اتكأ عليه وأتى بغدائه فأكله وهو متكئ عليه بين الصفين[1].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٠.

وفي هذه المشاهد الإيمانية الخالدة تتضح كم هي مثمرة وحدة العرب تحت ظلال عقيدتهم وأنهم حينما يجتمعون على هذه العقيدة، فإنه لا توجد هناك قوة على وجه الأرض بإمكانها أن تغلبهم، مهما بلغ تعدادها أو قوتها ومهارتها، لأن العرب إذا اجتمعوا على عقيدتهم فإنه ستقاتل معهم كل قوى الخير، لأنهم لا يسعون في زمن قوتهم إلا إلى الخير والسلام، فلا يغدرون ولا يمثلون ولا يتشفون بالضعيف كما يفعل أعداء الصحابة في هذا العصر، وفي كل عصر تظهر لهم فيه قوة بغفلة من أهل الإسلام إلى حين.

وفي خطبة سيف الله رضي الله عنه إشارات لجنده، بأنكم تطلبون الجنة في جهادكم للمشركين فمنّ الله عليكم بنعم كثيرة تقبضونها بعد كل معركة، ومنها هذا الخير الذي أنتم فيه، فلو وزن هذا بما عليه أهل البوادي لكان البون شاسعًا، فعجبًا لمن يرضى بالدنية والقلة والفاقة، ولا يعمل على تغيير ما هو عليه من حال، فإن كانت هذه هي النعم العاجلة فكيف بكم إن صبرتم وواصلتم جهادكم بجنة عرضها السماوات والأرض؟ فكانت خطبته تسمو بنفوس المؤمنين إلى نعيم الجنان الذي لا يزول، وأن عليهم شكر هذه النعم العاجلة التي منّ الله بها عليهم، على ألا تشغلهم عن طلب الجنة التي لا يزول نعيمها، وأن أولى الناس بها هم المجاهدون الصابرون.

وفي موقف خالد رضي الله عنه من بطل الفرس وسرعة قتله له دون أن يمهله لجولة أو جولتين ومن ثم تلك الجرأة الهائلة التي أراد أن يريها للفرس حين تناول طعامه بين الصفين وهو متكئ على فارسهم الذي كانوا يعدلونه بجيش وحده؛ ما يوضح كم هي عالية عزيمة المؤمنين وكم هي جرأة أصحاب رسول الله ﷺ الذين يضعون الشدة في موضعها والرحمة في موضعها لا يخلطون بين موضع السيف وموضع الندى؛ إذ لكل منهما مكانه ووقته، فحققوا بذلك التوازن الذي كان عليه هديهم الانتصارات التي أذلت الجبابرة وأنصفت الضعفاء وحمت العقيدة ونشرت العدل والأمن في كل مكان تحل به جيوشهم.

وقعة أليس وأمغيشيا:

بعد أن حقق سيف الله وإخوانه المجاهدون النصر المؤزر يوم الولجة، كان من غرائبه تعاون بعض نصارى العرب مع الفرس، ولعل هذا يؤكد ما يفعله بعض أعداء الصحابة من العرب في هذا العصر وكيف يبيعون بلادهم ويستبيحون أهلها ليؤكدوا تعاونهم مع الغزاة والمحتلين، لكن الصحابة رضي الله عنهم بقيادة سيف الله لم تأخذهم فيهم لومة لائم فجعلوهم عبرة لكل من يخون أمته، وإن كان أهل الخيانة نادرًا ما يتعظون من موقف واحد لذلك كاتب قومُ الذين قُتِلُوا من نصارى بني بكر بن وائل الفرس ليتعاونوا معهم على الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فأجابهم الفرس الذين يمتهنون صنعة شراء النفوس الرخيصة لمحاربة الإسلام منذ ذلك التاريخ فاجتمعوا على أُليس وهي على الفرات، وعلى نصارى العرب عبد الأسود العجلي، وعلى الفرس جابان.

ومن اللافت أن خالدًا رضي الله عنه طلب مبارزة العرب الذين مع العجم قبل العجم، وما ذلك إلا تأكيد على أن من يتعاون مع العدو إنما هو أشد خطرًا من العدو ذاته، وهذه حقيقة أكدها سيف الله رضي الله عنه وهو الأقدر على تشخيص الأخطار، ولعل في هذا درسًا لكل مصاب بعمى التمييز بين أعداء عقيدته من أبناء جلدته الذين يقتلونه، وبين إخوان عقيدته الذين ينصرونه، وما ذلك الخلط إلا لضعف الولاء للعقيدة؛ وعدم التمييز بين أخوة التراب وأخوة الروح والعقيدة، ولعل المراقب لما يجري لأهل السنة في العراق وغيرها يلحظ ذلك جليًّا عند كثير ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، فأصبح الثمن الذي يدفعونه لهذا التفريط أكبر من أي ثمن آخر!! وكان مسلمو بني عجل، ومنهم: عتبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان ومذعور بن عدي والمثنى بن لاحق، على مذهب قائدهم سيف الله رضي الله عنه أشد الناس على قومهم المتعاونين مع الفرس؛ لمعرفتهم بسوء نواياهم وخيانتهم إخوانهم بالدم والنسب، ولعلمهم بخطورة من يتعاون مع أعداء العقيدة؛ وأنه أسقط جميع القيم وحسابات الله والدار الآخرة!

وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم بهمن جاذويه إليهم وأمر جابان بالتوقف عن محاربة المسلمين إلى أن يقدم عليه، ورجع بهمن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما فعل فوجده مريضًا، فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل وتيم اللات وضبيعة وجابر بن بجير وعرب الضاحية من أهل الحيرة.

وكان خالد لما بلغه ذلك التجمع سار إليهم ولا يشعر بدنو جابان. فلما طلع جابان بأليس قالت العجم له: أنعاجل المسلمين أم نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ثم نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فبسطوا الطعام لكي يروا المسلمين أنهم لا يبالون بهم، وانتهى خالد بجنده إليهم وحط الأثقال، فلما فرغوا من الأثقال لم يمهل الفرس، بل توجه إليهم وطلب مبارزة عبد الأسود وابن أبجر ومالك بن قيس، وهم قادة العرب الذين مع الفرس، فبرز إليه مالك من بينهم فقتله خالد رضي الله عنه وأعجل العجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: ألم أقل لكم؟ والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا. وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسموا الطعام فإن ظفرتم فأيسر هالك وإن كانت لهم هلكوا بأكله! فلم يفعلوا، بل الأحرى أن المسلمين لم يمهلوهم حتى ينفذوا مكرهم وغدرهم فاقتتلوا قتالًا شديدًا، والمجوس يزيدهم ثباتًا توقعهم قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلي ألا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم[1].

فانهزمت فارس فنادى منادي خالد: الأسر الأسر إلا من امتنع فاقتلوه. فأقبل بهم المسلمون أسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يومًا وليلة. فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليها الماء تبر يمينك. ففعل، وسمي ذلك النهر نهر الدم، ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد نفلتكموه. فتعشى به المسلمون، وجعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض؟ وجعل من عرفها يجيبهم ويقول مازحًا: هل

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٤.

سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقولون: هو هذا! وبلغ عدد القتلى الفرس سبعين ألفًا، وكانت الوقعة في صفر من عام ١٢ هـ فلما فرغ من أُليس سار إلى أمغيشيا، وقيل اسمها منيشيا.

وكان جلّ من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنمًا عظيمًا، فقسمه بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفًا وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله. وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل، وكان دليلًا صارمًا، فلما بَلَّغَ الصديقَ الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي، وقال الصديق: يا معشر قريش، إن أسدكم قد عدا على الأسد - أي الفُرس - فغلبه على خراذيله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد. قال ابن كثير: وقد صدق الصدّيق رضي الله عنه ثم جرت أمور طويلة لخالد في أماكن متعددة يمل سماعها، وهو مع ذلك لا يكل ولا يمل ولا يهن ولا يحزن، بل لم تزده تلك الأهوال إلا قوة وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا رضي الله عنه إنما خلقه الله عزًّا للإسلام وأهله، وذلًّا للكفر وشتات شمله. ثم أخرب أمغيشيا لكيلا يتحصن بها العدو مرة أخرى[1].

ولا شك أن في ثناء خليفة رسول الله على أمير الفتوح سيف الله المسلول على الكافرين أمام المهاجرين والأنصار وإقرارهم لذلك الثناء، يعد شرفًا عظيمًا ووسامًا تقدمه الخلافة لجنديها البار المطيع الصابر المحتسب المقدام خالد رضي الله عنه، ولا شك أنه أهل لذلك الثناء الذي صدر من أخبر الرجال بالرجال ألا وهو خليفة رسول الله، فبقيت آثار ذلك الوسام تفعل فعلها في نفس خالد رضي الله عنه إذ استمر على عطائه وجهاده، وزاد من صبره واحتسابه وانقياده لكل ما تأمر به الخلافة من أمر دون تردد أو تساؤل؛ وإنما هو السمع والطاعة في كل وقت وفي كل مكان، وكأنما نذر نفسه للجهاد وتلبية توجيهات الخلافة على

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٥. الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣١٥.

أتم وجه وأكمله حتى حقق رضي الله عنه المعجزات في جهاده ونصرته لعقيدته، ولا يفوت القارئ الكريم أن عرب الجاهلية كانت تطلق على إمبراطورية الفرس المجوس اسم الأسد لقوتها وشدة سطوتها على القبائل الضعيفة المحيطة بها، ولكن عندما واجهها جند الخلافة الراشدة تبين أنهم هم الأسود وما سواهم بهارج، بل ثعالب كانت تستأسد على الضعيف.

فتح الحيرة:

تقع الحيرة في وسط العراق قرب الكوفة التي أسسها ومصرها فيما بعد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وكانت أهمية الحيرة تأتي من كونها عقدة مواصلات مهمة وأنها تتصل بشمال وغرب العراق مع شرقه، وكذلك فإنها كانت قريبة من المدائن التي يتخذها الفرس عاصمة لهم آنذاك.

وبعد الانتصارات الباهرة التي أنجزها خالد وجند الخلافة على الفرس ومن تحالف معهم ودخول الرعب في قلوب قواتهم وفرارهم من أمام جيش المسلمين، ولا سيما بعد ما حصل لجيشهم في أُليس وقبلها الولجة ومن ثم هروب أهل أمغيشيا دون قتال مخلفين وراءهم عامة ما يملكون، في حين كان الفلاحون وعامة الناس ممن كانت تستعبدهم القوات الفارسية وتظلمهم يستبشرون بما يحققه المسلمون من تقدم على إمبراطورية الظلم والكبر والشر، فيستقبلونهم كمحررين فاتحين جالبين معهم العدل والأمن والحرية، فسار خالد رضي الله عنه حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فقال لهم خالد: تبًّا لكم، إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها، ثم صالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، فكانت هذه أول جزية أخذت من العراق، وحملت إلى المدينة هي

وجزية القريات التي قبلها، التي صالح عليها ابن صلوبا[1].

وروي أن عمرو بن عبد المسيح ابن بقيلة لما حضر عند خالد وجد معه شيئًا يقلبه في كفه فقال: ما هذا؟ قال: سم. قال: وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قومي حمدت الله وقبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلًّا؛ أشربه وأستريح من الحياة. فأخذه خالد وقال: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها. وقال: بسم الله خير الأسماء رب الأرض ورب السماء الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم. فأهووا إليه ليمنعوه منه وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن. وأقبل على أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أمرًا أوضح إقبالًا. وأبى خالد أن يكاتبهم إلا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل ففعلوا.

ورجع ابن بُقَيلة إلى قومه فقال: جئتكم من عند من أكل سم ساعة فلم يضره فصانعوا القوم وادرؤوهم عنكم فإنهم مصنوع لهم فصالحوهم[2]. وروي أن بعض أهل الحيرة خرج يخط ديرًا في ظهرها، فلما حفر وأمعن وجد كهيئة البيت فيه رجل على سرير من زجاج مكتوب عند رأسه: أنا عبد المسيح ابن بقيلة، وبعد الاسم هذه الأبيات:

حلبت الدهر أشطره حياتي ... ونلت من المنى فوق المزيد

وكافحت الأمور وكافحتني ... ولم أجعل بمعضلة كؤود

وكدت أنال في الشرف الثريا ... ولكن لا سبيل إلى الخلود[3]

وروي أن خالدًا رضي الله عنه سار حتى نزل الخَورْنَق والنَّجَف وأدخل الخيل إلى الحيرة، وأمر كل قائد من قواده بمحاصرة قصر من قصورها، وذلك حين حاول أصحاب تلك القصور الذين يدينون بالولاء للفرس؛ مقاومة المسلمين معتقدين أن قوتهم عارضة،

---

(١) البداية والنهاية، ٦ / ٣٤٣، الطبري: ٣/ ٣٤٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٧. ينظر: الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٢٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٧.

فكان حصارهم على هذا النحو:

- ضرار بن الأزور حاصر القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي.
- وضرار بن الخطاب حاصر قصر العدَسيّين، وفيه عدي بن عدي.
- وضرار بن مقرن المازني حاصر قصر بني مازن وفيه ابن أكال.
- والمثنى بن حارثة حاصر قصر ابن بقيلة، وفيه عمرو بن عبد المسيح.

فدعوهم جميعًا إلى الإسلام، وأجّلوهم يومًا واحدًا فأبى أهل الحيرة ولجُّوا فناوشهم المسلمون، فكان أول القواد أنشب القتال ضرار بن الأزور؛ وصبّح كل أمير ثغره فأكثروا فيهم القتل حتى صاحوا: كفوا عنا حتى تبلغونا إلى خالد. وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح. فلما وصل الرؤساء صالحهم رضي الله عنه، وذلك في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة.

ولما فتح خالد الحيرة قام شويل رضي الله عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتح الحيرة فسألته كرامة بنت عبد المسيح. فقال: «**هي لك إذا فتحت عنوة**»[1]. وشهدوا له بذلك؛ وعلى ذلك صالحهم خالد رضي الله عنه فاشتد ذلك على أهلها فقالت: ما تخافون على امرأة قد بلغت ثمانين سنة وإنما هذا رجل رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم فلما أخذها. قالت: ما أَرَبُك إلى عجوز كما ترى، فَادِنِي. فقال: لست لأمٍّ شويل إن نَقَصْتُك من ألف درهم فاستكثرت ذلك لتخدعه ثم أتته بها. فلما سمع الناس ذلك عنفوه فقال: ما كنت أرى عددًا يزيد على ألف[2]!!

وقيل: صالحهم خالد رضي الله عنه على مائتي ألف وتسعين ألفًا، وأهدوا له هدايا. فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد أن يأخذ منهم

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٩.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٧.

بقية الجزية ويحسب لهم الهدية من الجزية. وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتابًا، فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب، فلما افتتحه المثنى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا وكفروا، افتتحها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ووضع عليهم أربعمائة ألف[1].

وإن دلّ هذا التمرد الذي كان يُحشر فيه أهل الحيرة في كل فترة، فإنما يدل على أيدي الخبث المجوسي التي كانت تؤز الفتنة في كل بلد لها به صلة، وهذا ما يلحظه كل ذي بصيرة إلى هذا العصر؛ فلا يوجد لهم امتداد مذهبي أو سياسي إلا والفتن تدور في ذلك الامتداد مقرونًا ذلك بالتحايل والإفك وقلب الحقائق؛ مع ثقافة الحقد والكراهية والاستفزاز والاستهانة بقيم المؤمنين ورموزهم وشعائرهم، يؤازر ذلك التعاون مع الغزاة ضد الإسلام وأهله، ويساعدهم في ذلك ثقافة الغفلة عن خطرهم التي ينفثها فاقدو الهوية والحمية من أهل السنة.

ولعل في موقف خالد رضي الله عنه من قبول أهل الحيرة للجزية درسًا عظيمًا يوضح مقاصد الفتح الإسلامي، وأنها لم تكن في يوم من الأيام من أجل المكاسب المادية، وإنما كانت أهداف الفتح نبيلة تسمو إلى إخراج العباد من دهاليز الشرك والظلم إلى نور الإسلام وعدله، وهذا ما دعا خالدًا رضي الله عنه إلى أن يلوم أهل الحيرة على اختيارهم لذل الجزية على عز الإسلام ولا سيما أنهم من العرب، لكن لومه لهم لم يحولهم إلى الإسلام آنذاك، وما ذلك إلا لأنهم اعتادوا التبعية والنوء تحت وطأة الضرائب الفارسية التي لا ترحم، فلما رأوا ما يريده المسلمون منهم علموا أن ذلك لا يقارن مع ما كانوا يعانونه من الظلم والحيف الذي كانوا ينوؤون تحت وطأته على أيدي الفرس وجندهم المفسدين في الأرض، فسارعوا إلى الرضا بالجزية، تلك الضريبة الرمزية.

وتبين أيضًا أن الشعوب في كل أرض تحب عدل الإسلام وسماحته، إلا أن كثيرًا من الحكام كانوا يفضلون التبعية والخنوع للآخرين على الدخول في الإسلام، وما ذلك إلا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٧.

لأنهم قد كسبوا من المال الحرام ومن حقوق الآخرين من رعاياهم ما لا يقره الإسلام الذي يدعو إلى إعادة الحقوق إلى أهلها، وأنهم استمرؤوا العبودية للأقوياء واعتادوا استعباد الضعفاء كما هو حال الجاهلية في كل عصر، فكانت تلك الأحوال والمنافع تحول بينهم وبين الحرية والسماحة والأخوة التي يعيشها أهل التوحيد في ظلال عقيدتهم.

ولعل هذا ما يؤكد الحال التي تمر بها الأمة في عصر المحن هذا، الذي كشف الأستار عن جميع أبنائه فأظهرهم على حقيقتهم حكامًا ومحكومين، فتبين من يريد عدل الإسلام وسماحته وعزته، ومن يريد العبودية والتبعية، وجند كل طاقاته لحرب الإسلام وأهله، مستعينًا بكل مِلل الظلم والبغي في العالم التي تحارب الإسلام وأهله منذ أن بعث رسول الله ﷺ.

وفي رفض قبول خليفة رسول الله هدية أهل الحيرة إلا على أنها سهم مما عليهم من الجزية؛ ما يظهر نقاء المؤمنين وعدلهم وغنى نفوسهم وسلامة مقاصدهم، وأنهم لا يسعون إلا إلى الخير ونصرة الضعيف ونشر دين التوحيد الذي يتساوى فيه الجميع أمام حقوقهم ومسؤولياتهم، وأنهم لا يبتغون الأجر والمثوبة إلا من الله تعالى، بعكس ما يراه الخلق في هذا العصر من أخلاق كثير من المتغلبين على رقاب المسلمين ولا سيما من ملة أعداء الصحابة، وكيف يعملون على نشر الظلم والبغي وأخلاق الرشوة والوساطة وقهر أصحاب الحقوق من الضعفاء على حساب الأمانة والمسؤولية، التي ثبت أنه لا يؤديها على وجهها إلا المؤمنون.

وفي وفاء خالد وجنده لشويل رضي الله عنه ما يوضح أخلاق التلاحم والمودة التي تسود صفوف المؤمنين، وشدة حرصهم على تنفيذ كل إشارة لرسول الله ﷺ، وما ذلك إلا أنهم يرون في طاعته ﷺ عبادة لله تعالى تقرب لهم النصر وينالون بها رضا الخالق سبحانه وتعالى، وهذا ما يفتقده الكثير من أبناء الأمة في هذا العصر الذي تكالب فيه الملحدون وأعداء الصحابة وبائعو الهوية والعقيدة؛ على كل من يدين بدين محمد ﷺ ويحرص على

اتباعه حق الاتباع! قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1].

***

(١) سورة التوبة، الآية: ٨.

ما بعد الحيرة

كتاب خالد إلى أهل المدائن:

وبعد فراغ خالد رضي الله عنه من أمر الحيرة واستتباب الفتوح فيما قبلها، وما كان عليه حال الفرس من التنازع على الملك، ومن حب خالد لطاعة خليفة رسول الله وحرصه على الجهاد وتحقيق رغبة الصدّيق في مواصلة الفتوح ونشر دين التوحيد؛ كتب خالد رضي الله عنه إلى أهل المدائن كتابًا جاء فيه: «من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فالحمد لله الذي سلب ملككم، ووهن كيدكم، وإنّه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعد، فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إليّ بالرهن بالتي هي أحسن، واعتقدوا مني الذمة؛ وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة». فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك في سنة اثنتي عشرة. وكان أول ملوك فارس قاتله المسلمون شيري بن كسرى[1].

وكتب خالد إلى أهل فارس وهم في المدائن كتابين: كتابًا إلى الخاصة وكتابًا إلى العامة، وقال لرجل: ما اسمك؟ قال: مُرّة. قال: خذ هذا الكتاب فأت به أهل فارس لعل الله أن يُمِرَّ عليهم عيشهم. وقال لآخر: ما اسمك؟ قال: هرقيل. قال: خذ هذا الكتاب. وقال: اللهم أرهق نفوسهم[2].

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/ ١٩١، ح (٢٤٨٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٢٠.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، حوادث سنة ١٢ هـ. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٢.

وكان في الكتاب الآخر: «بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس أما بعدُ، فالحمد لله الذي فرق كلمتكم وفلّ حدّكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا، وإلا فأدوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الخمر». وكان أهل فارس آنذاك لموت أردشير مختلفين في الملك، واستمر المسلمون يمخرون ما دون دجلة ويوطدون وجودهم فيها، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر، وأمر خالد رسوليه أن يأتياه بالخبر وأقام في عمله سنة ومنزله الحيرة ويصعد ويصوب وأهل فارس يخلعون ويُملكون، وذلك أن شيري بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه فقتلوا كل مَنْ بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جور فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه. واستقام لخالد من أسفل الفلاليج إلى أسفل السواد وفرق سواد الحيرة على جماعة من أصحابه وفرق سواد الأُبُلَّة على جماعة من أصحابه[1] فاستقر المسلمون بعد أن قرت بهم عيون أهل السواد الذين نعموا بالعدل والأمن والحرية والكرامة لأول مرة في حياتهم تحت ظلال حكم المسلمين ووفائهم ونزاهتهم.

قدوم جرير بن عبد الله البجلي:

وبعد فتح الحيرة وصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بن الوليد، وكان سبب ذلك أنه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه في المسير إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكلمه في قومه بجيلة ليجمعهم له، وكانوا أوزاعًا متفرقين في العرب، فأذن له، فقدم على أبي بكر فذكر له ذلك وأن رسول الله ﷺ وعده به وشهد له شهود بذلك، فغضب أبو بكر وقال: ألا ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من فارس والروم ثم أنت تكلفني ما لا يغني! وقال: أتيتني لتشغلني عما هو أرضى لله من الذي تدعوني إليه. وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئًا مما قبلها

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٢١. الهيثمي: مجمع الزوائد، ح (١٠٣٨٨). ابن أبي شيبة: المصنف، ١/ ٦٨.

بالعراق ولا شيئًا مما كان خالد فيه من قتل أهل الردة[1].

فتح الأنبار:

وسميت الأنبار لأنه كان فيها أنابير أي مخازن الحنطة والشعير والقَت والتبن. وكان كسرى بن هرمز يرزق أصحابه منها. فلما استقام لخالد الأمر في الحيرة استخلف عليها القعقاع بن عمرو وسار إلى الأنبار لمساندة عياض بن غنم الذي دخل العراق من شماله، فواجه مقاومة حالت بينه وبين الوصول إلى الحيرة، فما إن وصل خالد إلى بلاد الأنبار حتى استطلع الموقع الذي يتحصن به المشركون فوجد مناطق ضعف في حصنهم وما حوله، فردم الخندق الذي حوله بضعاف الإبل بعد أن نحرها المسلمون، ثم أمر جنده أن يسددوا رميهم على عيون المدافعين عن الحصن، وذلك اختصارًا للوقت ولإدخال الرعب في قلوبهم وللبسهم الدروع وتحصنهم خلف الجدران فكانت الحدق هدفًا متاحًا للمجاهدين الذين سددوا إليها رميهم حتى تمكنوا من إصابة ألف عين من عيون المدافعين عن ذلك الحصن فسميت تلك الغزوة بذات العيون، وقد حاول القائد الفارسي في الأنبار أن يشغل المسلمين بأبناء جلدتهم من العرب، بعد أن خدعهم ليتصدوا لقومهم الذين جاؤوا لإزالة الشرك والظلم عنهم، ثم لم يلبث القائد الفارسي شيرزاذ أن فر عن الأنبار ناجيًا بنفسه وبعض أعوانه لا يلوون على شيء بعد أن حصل على أمان من خالد بذلك، فدخل المسلمون حصن الأنبار وكان فيها قوم يتعلمون اللغة العربية من قوم كانوا قبلهم من بني إياد وأنشدوا خالدًا قول بعض بني إياد يمتدح قومه بقوله:

قومي إياد لو أنهم أمم ... أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا ... ساروا جميعًا واللوح والقلم[2]

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٦٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٢.

وبعد أن فرغ خالد رضي الله عنه وجنده من فتح حصن الأنبار وقتل أو هزيمة من فيه من الفرس وأعوانهم، ساروا إلى مواقع أخرى قريبة منها فتمكنوا من فتح حصن البوازيج صلحًا وهو قرب الأنبار، وفتحوا حصن كلواذي وكان في أسفل موقع بغداد[1]. قبل أن يبنيها الخليفة العربي المسلم أبو جعفر المنصور.

فتح عين التمر:

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزِّبرِقان بن بدر وقصد عين التمر وهي بلدة غربي الفرات على طرف البادية، وكان بها مهران بن بهرام في جمع عظيم من الفرس، وعقة بن أبي عقة في جمعٍ عظيم من العرب بائعي لدم والنسب إلى الأعداء، فقال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدًا. فقال: صدقتم، أنتم أعلم بقتال قومكم. فخدعه واتقى به قوة المجاهدين. فقالت الأعاجم لمهران: ما حملك على هذا؟ فقال: إن كانت له فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم وقد ضعفوا. فلما التقى الجمعان حمل خالد فأخذ عقة أسيرًا وهو رأس الخيانة الذي سهل على بعض ضعاف النفوس والسفلة التعاون مع الفرس ضد أمتهم وإخوتهم، وكان يقيم صفوف قومه لمواجهة المسلمين فلم يمهله خالد رضي الله عنه وأسره وهو يسوي صفوف جنده، وأسر المسلمون عامة أصحابه أذناب الأعداء، وهرب بعضهم فلما سمع مهران بما حل بهم من هزيمة هرب بجنده وترك الحصن فاعتصم به بعض العرب، فحاصرهم خالد رضي الله عنه حتى استنزلهم ولم يقبل أن يصالحهم نظرًا لخيانتهم، وليكونوا درسًا وعبرة لكل من باع ولاءه للأمة من بعدهم فضرب أعناقهم وعنق زعيمهم عقة، وسبى منهم سبيًا كثيرًا ووجد في الكنيسة أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق، فكسره عنهم وقسّمهم في أهل البلاء. منهم: أبو زياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير فاتح الأندلس، وأبو عمرو جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد بن سيرين المفسر، وحمران مولى عثمان

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٣. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٦٩.

رضي الله عنه ومنهم ابن أخت النَّمِر ويسار مولى قيس بن مخرمة، وأبو عبيد مولى المعلى، وخير مولى أبي داود الأنصاري، وأبو عبد الله مولى زهرة، وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد الله بهم وبذراريهم خيرًا[1].

وأرسل خالد إلى أبي بكر رضي الله عنه بالخبر والخمس. وفي عين التمر قتل عمير بن رئاب السهمي وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير بن سعد الأنصاري والد النعمان فدفن بها إلى جانب عمير رضي الله عنهما[2].

وكان عياض بن غنم يحاصر دومة الجندل وأخذ عليه أقوام الطرق فطلب مددًا من خالد رضي الله عنه فقدم كتابه على خالد بعد وقعة عين التمر، فكتب إليه خالد رضي الله عنه: من خالد إلى عياض إياك أريد.

لبّث قليلًا تأتك الحلائبُ   يحملن آسادًا عليها القاشبُ

كتائب تتبعها كتائبُ[3]

وبعد أن فرغ خالد رضي الله عنه وجنده من فتح الحصن وقتل أو هزيمة من فيه من الفرس وأعوانهم الذين باعوا أخوة الدم مقابل منافع زائلة لا تساوي شيئًا في كل الموازين، وبقيت عليهم سبة خيانة قومهم بعد أن دفعوا دماءهم لمن تركها رخيصة دون أي مقابل، وهذا هو شأن العملاء ومسقطي الهوية، إذ لم يزد في يوم من الأيام على هذه النهاية المخزية.

ولعله من الملاحظ في هذا الجانب تأكيد خالد على منتهى الشدة مع هذا الصنف الذي يرتضي ذل التبعية والخيانة للأمة والتعاون مع الأعداء، وأنه لم يكن يقبل منهم الصلح كما يقبله من بقية المشركين، ولم يكن لهم عنده إلا السيف، ذلك بأنه لا قيمة لمصالحتهم بعد

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٤. ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/ ٤٢٨. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٢٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٤.

أن استمرؤوا الهوان والعمالة للعدو، فهذا الصنف الذي لم يفِ بولائه أولًا فإنه لن يفي إذا أتيحت له فرصة أخرى لبيع هويته وانتسابه، ولن يتوانى عن الغدر والطعن بالأمة فلا أمان لهم ولا صلح معهم؛ إلا إذا بادروا هم بطلب الصلح أو أجابوا عليه المسلمين إذا دعوهم أولًا ولم يرتضوا رفع السلاح بوجوه إخوتهم في الدم.

فتح دومة الجندل:

ولما فرغ خالد من عين التمر خلّف فيها عويمر بن الكاهن الأسلمي وخرج، فلما بلغ دومة الجندل وكان عليها رئيسان أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة فاستنفروا من حولهم من حلفائهم من القبائل، ولكن الرئيسين اختلفا. فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد لا يرى وجهه أحد في جيش إلا انهزم فصالحوا. فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حربه. وخرج من الحصن ولكنه لم يوال المسلمين فعارضه جند خالد فأخذوه فقتل، وجاء خالد رضي الله عنه فنزل على دومة الجندل فخرج الجودي فقتل، وتحصن أقوام بالحصن فلم يحملهم فقتل من تخلف منهم خارجه، ثم طاف خالد وجنده بالحصن فقلع بابه ودخله عنوة، فقتل وسبى، وكان من السبي ابنة الجودي فوقعت لخالد، وأقام رضي الله عنه على دومة الجندل ورد الأقرع بن حابس إلى الأنبار فتحركت الأعاجم فكاتبهم عرب الجزيرة غضبًا لعقة الذي أسره خالد وأمر بضرب عنقه لخيانته وتعاونه مع الفرس ضد قومه العرب في عين التمر، ولما أقام خالد بدومة الجندل ظن به الأعراب ضعفًا وأنه لم يعد بوسعه مواصلة الفتوح، فتكاتبوا مع الفرس وشكلوا قوات لمهاجمة المسلمين. فخرج زَرْمهْر ومعه رُوزبه القائدان الفارسيان المجوسيان، يريدان الأنبار واتعدا حُصيدًا والخنافس لمهاجمة المسلمين في الأنبار.

فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع: أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد، وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس، وأرز المنهزمون من حصيد إلى الخنافس فتحصنوا بها، فقصدهم ابن فدكي فهربوا

إلى المُصيخ. أما خالد رضي الله عنه بعد فراغه من دومة الجندل فعاد إلى الحيرة واستقبله أهلها[1] فبلغه ذلك وكان عازمًا على مصادمة أهل المدائن التي يتحصن بها ملوك الفرس المجوس، فمنعه من ذلك كراهية مباشرة هذا الأمر دون إذن خليفة رسول الله الذي كان خالد يحرص أشد الحرص على طاعته وامتثال أوامره، فسار خالد راجعًا فاجتمع بالقعقاع وأبي ليلى بن فدكي في عين التمر فبعث القعقاع إلى حصيد وبعث أبا ليلى إلى الخنافس.

وقعة الحصيد والخنافس:

اجتمع قائدان من قادة الفرس أحدهما روزبه والآخر زرمهر بحصيد فسار إليهم القعقاع بفرقته فالتقى بهما هناك فقتل من الفرس العجم مقتلة عظيمة وقتل القعقاع بيده زرمهر وقتل عصمة بن عبد الله الضبي، وكان عصمة من البررة - والبررة كل فخذ هاجرت بأسرها، والخيرة كل قوم هاجروا من بطن - وغنم المسلمون ما في حصيد وانهزمت العجم إلى الخنافس. فسار إليهم أبو ليلى بن فدكي السعدي بمن معه من المؤمنين الصابرين، وكان بها من المجوس قائد اسمه المهبوذان على عسكرها، فلما أحس بوصول المسلمين لم يكن أمامه إلا الهرب، فذهب إلى المصيّخ وكان بها الهذيل بن عمران[2].

مصيّخ بني البرشاء:

ولما انتهى الخبر إلى خالد بما حققه قادته من انتصار على أهل الحصيد وهروب أهل الخنافس إلى المصيّخ، كتب إليهم ووعد قادة الفرق؛ القعقاع، وأبا ليلى، وأعبد، وعروة؛ ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيّخ، وخرج خالد من العين قاصدًا المصيخ على الإبل يجنب الخيل، فنزل الجناب فالبردان فالحني واستقل من الحني، فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعًا بالمصيّخ فأغاروا على الهذيل بن عمران ومن معه ومن أوى إليه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٥. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٥.

وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل في أناس قليل وامتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنمًا مصرّعة، وقد كان حرقوص بن النعمان قد محضهم النصح، وأجاد الرأي فلم ينتفعوا بتحذيره، وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة:

ألا سقِّياني قبل خيل أبي بكر   لعلّ منايانا قريب وما ندري

فقال لهم: اشربوا شراب مودع، هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد. فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته التي فيها الخمر. وقيل: إن حرقوص هذا قتل في مسير خالد رضي الله عنه من العراق إلى الشام.

وأصاب جرير بن عبد الله وهو لا يدري يوم المصيّخ من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة من النمر وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر رضي الله عنه بإسلامهما، وبلغ أبا بكر رضي الله عنه قول عبد العزى وقد سماه عبد الله ليلة الغارة وقال: سبحانك اللهم رب محمد. فوداه وودى لبيدًا وكانا أصيبا في المعركة، وقال: أما إن ذلك ليس علي إذ نازلا أهل الحرب! وكذلك يلقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم، وأوصى بأولادهما. وكان عبد الله قد قال قبل أن يقتل:

أقول إذ طرق الصباح بغارة   سبحانك اللهم ربّ محمد
سبحان ربي لا إله غيره   رب البلاد ورب من يتورد[1]

ولم يكن على المسلمين في قتل من كان مع المشركين بأس لعدم علمهما بإسلامهما ولكون الحرب قائمة بين تلك القبائل وبين المسلمين، وكذلك لنهي النبي ﷺ عن مساكنة المشركين ومجالستهم وأن على المسلم أن يلزم جماعة المؤمنين أينما كانوا. قال ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «**لاتراءى ناراهما**»[2].

---

(1) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٢٦. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٣.

(2) سنن أبي داود: ح (٢٦٤٥). قال الألباني: حديث صحيح.

ولعل في هذا الحديث كثيرًا من المعاني التي يجب أن يفقهها أهل هذا العصر ممن هم على منهج رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فإذا كان النهي قائمًا عن مجالسة المشركين وهم من قبيلة المؤمن، وعليه ألا يقاربهم إلى حد المقاطعة التامة المتمثلة بقوله ﷺ: «**لا تتراءى ناراهما**»، إذا كان الأمر كذلك فبأي وجه شرعي يتعامل كثير ممن يزعم أنه على سنة النبي ﷺ مع من لا يؤمن بالكتاب والسنة ويتهم من حماهما وحفظهما بالكفر؟ وكيف يجرؤ أولئك المخادعون على الثناء على أحد من أعداء الكتاب والسنة ومبغضي الصحابة وجنس الصحابة من العرب ولغة العرب؟ إلا عربيًّا مرتدًّا أو رافضًا لدين الصحابة!! إن هذا العصر غربل أهله وأظهر الأمور على حقيقتها، فلم يعد هناك ما يخفى علمه على أحد، ولا شك أن من يمدح أعداء الصحابة ويثني عليهم في هذا العصر من أبعد الناس عن السنة، وأن من تتراءى خطبه وأقواله وزياراته وتحالفاته مع هؤلاء، فلن تتراءى عقيدته مع عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ إن هذين ضدان لا يجتمعان.

وفي حديث الحصيد والخنافس والمصيّخ تظهر حنكة قادة الجهاد من الصحابة رضي الله عنهم في عصر الصدّيق رضي الله عنه وكيف كانوا يواصلون الليل والنهار في المتابعة والتدبر والتخطيط وجمع المعلومات ومتابعة الأعداء وما يخططون له في كل أحوالهم وأوقاتهم، ورصد ذلك والتصدي له والقيام بمفاجأة العدو قبل أن يتم ما يخطط له، إضافة إلى روح الأخوة والتعاون والتسابق على تحمل المهام والصعاب افتداء للعقيدة ولأبنائها المؤمنين البررة.

كما تأكد في تلك المواقع إجماع قادة الصحابة أن العرب المتحالفين مع أعداء الصحابة هم الأخطر على الأمة من جميع أعدائها، وأن هؤلاء لا تشملهم معاهدات الصلح ولا الاتفاقيات التي تجري أيام الحروب بين الخصوم؛ لأن هذا الصنف البائع للأمة والعقيدة لا يمكن أن يفي بعهد ولا ميثاق، ولأن منهجه هو المخادعة والغدر والتعاون مع الأعداء، ولهذا لا يلحظ المتابع أي اتفاقية بين هذا الصنف وبين الصحابة رضي الله عنهم، ولا يجد

في تعامل المسلمين معهم إلا أقصى أنواع الشدة والمتابعة لهم لما يمثلونه من خطر يخفى على كثير ممن لا يعلم عقائدهم.

وهذا ما تؤكده الأعمال التي يقوم بها أعداء الصحابة في هذا العصر وكيف أنهم لا يضبطهم حياء ولا دين ولا نظام، وإنما هي الاستباحة لكل ما له صلة بالسنة وأهلها متى ما كانت لهم قوة أو تهيأت لهم فرصة من الغدر أو الخيانة أو إشعال الفتن بالمكر وقلب الحقائق وإلصاق التهم، والتظاهر بالإسلام في كل ذلك لتوفير سبل التمكن من المسلمين ومن ثم الإجهاز عليهم، وهذا ما لم يعقله الكثير من أهل الإسلام في هذا العصر!

وقعة الثني والزميل:

وكان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والزميل، وهما شرقي الرصافة، قد خرج يترصد المسلمين متعاونًا مع المجوس غضبًا لعقة الذي تعاون قبله مع الفرس فقتله المسلمون بعد أن أسروه ومن معه، وواعد ربيعة روزبه وزرمهر والهذيل للتعاون على محاربة المسلمين، ولما أصاب خالد أهل المصيّخ واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة وساعة محددة، وأمرهما بالمسير ليغيرا عليهم، فسار خالد من المصيخ، فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيتهم من ثلاثة أوجه وجردوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مخبر، وغنم وسبى وبعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر رضي الله عنه مع النعمان بن عوف، فاشترى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنت ربيعة بن بجير التغلبي فاتخذها أم ولد له فولدت له عمر ورقية.

ولما انهزم الهذيل بالمصيّخ لحق بعتاب بن فلان، وهو بالزميل، في عسكر ضخم، فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يُقتلوا مثلها وكانت على خالد يمين ليبغتن تغلب في دارها لتعاونها مع الفرس المجوس ضد العرب المسلمين، وقسم خالد الغنائم وكان في الأخماس ابنة مؤذن النمري وليلى بنت خالد وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة، وبعث الخمس إلى أبي بكر رضي الله عنه وسار خالد من الزميل - ويسمونه البشر - إلى الرضاب وبها هلال بن عقة فتفرق عنه أصحابه

حين سمعوا باقتراب خالد وجنده منهم، فسار هلال عنها هاربًا ولم يلق المسلمون بها كيدًا فدخلوها بلا قتال[1].

وقعة الفراض:

ثم سار خالد من الرضاب بمن معه من المسلمين إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطرًا لشغله بالأعداء واتصال الغزوات، ولما بلغ الروم أمر خالد ومسيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعًا كثيرة، واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم، واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهم، ثم ناهدوا خالدًا فحال نهر الفرات بينهم. فقالت الروم لخالد رضي الله عنه: اعبر إلينا. وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم. فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من شهر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالًا عظيمًا بليغًا، ثم هزم الله جموع الروم وأعوانهم، وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقتلوا في هذه المعركة مقتلة عظيمة منهم.

ولعل هذه هزيمة تاريخية نادرة سطر صفحاتها خالد وجنده الميامين رضي الله عنهم وقطف ثمارها العرب والمسلمون، وما زالت تتوهج دروسًا وعبرًا تؤكد دور العقيدة وأهمية التلاحم حولها وتبين طيب ثمارها وعظمة عطائها، حيث اجتمعت فيها أطراف الشر هناك وكما هو الحال في هذه الأيام؛ من تحالف الفرس والروم وخونة العرب ممن يكفر بسنة النبي ﷺ ويرفض خلافة النبوة، وتعاون تلك الأطراف على المسلمين مع توافر كل متطلبات القتال لديهم من الرجال والعتاد والمال والجواسيس والمعلومات لكن كما هي حال المجاهدين دائمًا أنهم أذكى وأصبر وأنقى سريرة وأسمى أهدافًا وأكثر تكيفًا مع الظروف وقدرة على تحمل الأعباء والمسؤوليات. وهناك أيقنت أطراف الشر أن الإسلام لا يواجهه أهل الباطل أبدًا، وأنهم - وإن آذوا أهله - في النهاية مهزومون وعلى الصعد كافة. لذلك قال الروم والفرس وحلفاؤهم من بائعي الهوية بعضهم لبعض قولتهم المشهورة:

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٣.

«احتسبوا مُلككم، هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم، ووالله لينصرن ولنخذلن»[1].
وهذا درس عظيم وبشارة كبرى، على المسلمين أن يعوا أبعادها، فيتمسكوا بعقيدتهم وهويتهم وأخوتهم فيواجهوا أعداءهم بدين وعقل وعلم؛ فإن فعلوا ذلك فإنهم لا يُغلبون بإذن الله تعالى، وإنّ نتيجة صبرهم إن فعلوا ذلك ستكون درسًا للمعتدين سيعونه قريبًا وتعلم حينها أحلاف العدوان على الإسلام أن هذا الدين لا يقهر حين يصحو أهله ويعملون به ويختارونه على ما سواه، ويتبرؤون من أعداء الكتاب والسنة الذين بين أظهرهم يخذلونهم ويشتتون صفوفهم وينشرون الأراجيف والبهتان.

ومع أن حلف الشر من المجوس والصليبيين وباعة الهوية من العرب، قد شخصوا حالهم مع المسلمين آنذاك لكنهم لم ينتفعوا بذلك، إذ عبروا النهر أسفل من خالد وجيشه فعظم في أعينهم رضي الله عنه لكنهم كابروا ما يشاهدونه وخادعوا أنفسهم، فقالت الروم لمن معهم: تمايزوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولي، ففعلوا فاقتتلوا مع المسلمين قتالًا عظيمًا لم يصبر فيه المشركون فانهزمت الروم والفرس ومعهم الأتباع أمام المسلمين، فأمر خالد جيشه ألا يرفعوا عنهم، فقتل من حلف الأشرار في المعركة وفي الطلب «مائة ألف»[2].

فتأكد في تلك المعارك الرهيبة قدرة الصحابة والتابعين على ممارسة أعلى تقنيات الحروب وتنفيذ أدق الخطط القتالية الخطرة والدقيقة في أحلك المواقف وأصعبها، وتفوقهم في مجالات الرصد والاستطلاع وجمع المعلومات؛ والتواصل مع القيادة ومع الوحدات المقاتلة على كافة الجبهات، وتبين فيها التناسق والتكامل الفريد بين جميع الأجنحة المكونة لقوات المسلمين.

كما أثبتت تلك المعارك المصيرية القدرة الهائلة للخلافة الراشدة بقيادة الصدّيق رضي الله عنه على التعبئة والتوجيه والإمداد والتموين وحشد الطاقات، والمواجهة الحاسمة على كافة الجبهات الداخلية والخارجية وفي كافة الأحوال، والقدرة الباهرة على معالجة الأراجيف

(١)، (٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٤.

والمستجدات العسكرية ومواجهة التحالفات العدوانية، مع التحسب لكل ما يمكن أن يتوقعه القادة الميدانيون في الحروب المفاجئة والمحسوبة سواء كانت محدودة أو شمولية.

والتميز عن جميع القيادات التاريخية بالسبق والحسم وسرعة التنفيذ والانضباط الشرعي الكامل، والمحافظة على مقاصد الدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه ببساطة كبيرة وتواضع جم، يرافق ذلك صفحات ناصعة من العفو والتجاوز والمرونة والنزاهة والحلم في ساعات الغضب والتعب والاستفزازات الجاهلية، والمحافظة على روح المودة والمحبة والتلاحم والثقة المطلقة بين الجند والقيادة، مع المحافظة على الشورى ومتطلباتها من الحوار وروح الجماعة.

وأقام خالد بعد ذلك الانتصار التاريخي الرائع بموقع المعركة بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد رضي الله عنه أنه يسير في الساقة مع جيشه.

لكن خالدًا رضي الله عنه اغتنم تلك الفرصة بعد تلك الإنجازات التي أدخلت الرعب في نفوس المشركين، فسار في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام لأداء فريضة الحج، وسار إلى مكة في طريق لم يسلكه أحد قبله قط، وتأتى له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفًا الأرض على غير جادة معينة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة سنة اثنتي عشرة، ثم عاد فأدرك أواخر جيشه قبل أن يصلوا إلى الحيرة.

ولم يعلم أحد بحج خالد في تلك السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه أو ممن أعلمه خالد بذلك، وفي هذا دلالة عظيمة على مدى الانضباط والثقة والأمانة التي يتمتع بها خالد وجيشه رضي الله عنهم، بل فيها بيان لعمق الثقافة العسكرية المبنية في كثير من حركاتها على السرية والمباغتة والجرأة وسرعة الحركة وقوة البديهة وسرعة الخواطر وإتقان اقتناص الفرص.

ولعل في حج خالد ومن معه بهذه الطريقة وما أظهروه من قدرات على الحركة واختراق المفازات بهذه السرعة؛ ما يدل على مدى الطاقات التي كان يتمتع بها أولئك الأفذاذ، الذين لو بحث القراء في صفحات التاريخ العسكري والمغامرات المحسوبة وغير المحسوبة؛ لما وجدوا لها مثيلًا، لما رافقها من ظروف عسكرية وسياسية وأمنية وجغرافية وتموينية إلى غير ذلك، جميعها تؤكد على أن نبوغ خالد رضي الله عنه يفوق الطاقات البشرية المعتادة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك عناية ربانية وتأييدًا بينًا يرافق خالدًا رضي الله عنه أينما حل أو رحل، وما ذلك إلا لحسن التوكل وصدق النية، وشدة تمسكه بالطاعة ولزوم الجماعة والأخذ بالأسباب المتاحة.

ولم يعلم خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحجة خالد هذه؛ إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب على خالد في مفارقته الجيش في تلك المخاطر، وكان موقف خليفة رسول الله منه ما بين المحاسبة والمكافأة له؛ إذ صرفه عن غزو العراق إلى غزو الشام حيث اجتمعت الروم على إخوانه هناك، وقال له خليفة رسول الله فيما كتب إليه مادحًا ومعلمًا:

«وإن الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل، وإياك أن تُدِلّ بعمل فإن الله تعالى له المنّ، وهو وليّ الجزاء»[1].

ومع كل هذه المعاني السامية التي اشتمل عليها كتاب خليفة رسول الله إلى سيف الله وما فيه من الثناء العطر والشهادة بإنجاز المطلوب والتهنئة بالتأييد وسلامة النية الذي وافقه سيف الله وجنده في كل معاركهم، ولا سيما في هذه المعركة الأخيرة الفريدة في مكوناتها وصفحاتها ونتائجها وثمارها؛ التي أدخلت الذل والرهبة من جند الإسلام في نفوس أعدائه مجتمعين كما أدخلت ذلك فيهم متفرقين.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٨٨.

ومع ما رافق ذلك الكتاب من توصيات حانية من خليفة رسول الله لقائده البار البطل القوي الأمين؛ بوجوب الحرص على هذا المسار والسمو الدائم إلى ما هو أسمى وأكبر ألا وهو الجنة وما عند الله تعالى؛ وما رافق ذلك من حرص منقطع النظير على تنفيذ تلك التوجيهات ولو كان ذلك بالمخاطرة على الحياة التي تجهمها خالد وجنده رضي الله عنهم باختراقهم المفازات المهلكة بشكل لم يسبقهم إليه أحد، مع كل ذلك أبى المفسدون إلا أن يُضيفوا إلى أطراف هذا الكتاب الناصع ما يعكر صفوه ويعمل على إفساد النفوس، لتعكير آثار النصر والعزة التي يستقيها قراء هذه السيَر، فألحق أولئك المفسدون بهتانهم على سيف الله وفاروق الأمة بأن أحدهم يكيد للآخر!! وما هذا إلا تأكيد لما تتحدث به نفوس الرافضة المريضة وما يتمنونه أن يكون، ولكن الله تعالى خيبهم وأذلهم على أيدي أولئك الإخوة المتحابين المتوادين المتناصرين رضي الله عنهم.

وكل ما سبق يدعو كل قارئ من أبناء أمة الكتاب والسنة أن يحذر من دسائس الرافضة في التاريخ الإسلامي التي بثوها في كثير من المراجع الأمهات، وكذلك في الأشعار وكتب الأدب وغيرها، واقتبس عامتها عنهم المستشرقون من اليهود والصليبيين والعلمانيين الملحدين، وليعلم أن تلك الدسائس مدروسة ولها مناهجها الهادفة إلى تشويه كل ما أنجزه العرب المسلمون، لتمزيق الأمة وإفساد روابط العقيدة التي إن تسلح بها المسلمون في أي عصر؛ فإنه لن يحول بينهم وبين سيادة العالم حائل من صنع البشر. قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

مسير خالد من العراق إلى الشام:

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قد كتب إلى خليفة رسول الله بعد مقتل خالد بن سعيد بن العاص على أيدي الروم يستمده، فكتب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

وكان في كتاب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد. «أما بعد: فدع العراق وخلّف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه، ثم امض مخففًا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز، حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك ورحمة الله» وفيه أيضًا أن يستعمل على ضعفة أصحابه رجلًا منهم. فاستعمل على الضعفاء عمير بن سعد، واستخلف على من أسلم في العراق وعلى الحيرة والقريات الأخرى وعلى خراجها المثنى بن حارثة الشيباني؛ ثم سار هو حتى نزل على عين التمر وكان حديث فتحها قد تم على ما سبق آنفًا[1].

ثم سار خالد رضي الله عنه إلى الشام من قراقر - وهو ماء لكلب في صحراء السماوة - إلى سوى - وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليالٍ - ممتثلًا في ذلك أمر الخليفة رضي الله عنه وحرصًا منه على تنفيذه كما يريد رضي الله عنه بأقصى ما يمكن، فلم يهتدِ إلى الطريق فطلب دليلًا فدل على رافع بن عميرة الطائي، فأتاه رافع فاستدل على الطريق فقال له رافع: أنشدك الله في نفسك وجيشك، فإنها مفازة خمس ليالٍ ليس فيها ماء مع مضلتها، وإن الراكب المنفرد يسلكها فيخاف على نفسه المهلكة وما يسلكها إلا مغرور! وما علمت أحدًا أخذ فيها بثقل فقال خالد رضي الله عنه: إنه لا بد منه وقد كتب إلي الخليفة بعزمه فأحضرنا رأيك ونصيحتك ومرنا بأمرك. قال رافع: فابغني من الإبل عشرين سمانًا عظامًا. فأتي بهن وظمأهن حتى جهدن؛ فأوردها الماء فشربن حتى تملأن، ثم أمر بمشافرها فقطعن ثم كعمهن كي لا يجتررن ثم حلّ أذنابهن، ثم قال لخالد: تزود واحمل الماء ومن أطاق أن يَصُرّ على أذن ناقته ماء فليفعل، تأكيدًا على أهمية الماء في هذه المفازة والمهالك الخطرة.

ففعلوا وساروا فسار معهم رافع، وسار خالد معه بالخيول والأثقال، فكلما سار يومًا وليلة اقتطع من الإبل أربعة فأطعم لحمها وسقى ما في أكراشها الخيل وشرب الناس ما كانوا

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٨٨.

حملوا، وبقي منزل واحد ونفدت الإبل وخشي خالد على أصحابه في آخر يوم، فأرسل إلى رافع أنّ الإبل قد نفدت فما ترى؟ قال: أدركت الري إن شاء الله، هل ترى علمين كأنهما ندبان؟ قال: نعم. فلما دنا من العلمين. قال: انظروا، هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل؟ قالوا لا والله. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكتم والله إذًا وهلكت. وكان أرمد في ذلك الوقت، ثم قال: ويلكم انظروا وتأملوا. فجال الناس حتى وجدوا بقية منها، فقالوا: قد وجدنا بعضها. فكبر وقال: قد أدركتم الرواء. وأمرهم فحفروا: قريبًا منها، فكشفوا عن قليب كثير الماء فتزود الناس منه. وقال رافع: أما والله ما وردته قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام صغير!! فقال أبو أحيحة القرشي يذكر مهارة رافع وحذقه في الدلالة ومعرفة الطرق في المفازات:

لله عينا رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قراقر إلى سوى
خمسًا إذا ما سارها الجيش بكى ... ما سارها قبلك إنسي أرى[1]

وروي:

لله عينا رافع أنّى اهتدى ... في مهمه مشتبه نحو سوى
والعين منه قد تغشاها الندى ... معصوبة كأنها ملأى ثرى
فوز من قراقر إلى سوى ... والسير زعزاع فما فيه ونى
ما سارها من قبل إنسي أرى ... هذا لعمري رافع هو الهدى[2]

ثم استقام لخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى أغار على تدمر فصالحه أهلها، ثم أغار على مرج عذراء على ناس من غسان حلفاء الروم فأصاب منهم، ثم مضى حتى نزل مع أبي عبيدة ابن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنهم على بصرى

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٨٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٨٩.

فنزل معهم حتى صالحت بصرى على الجزية وكانت أول جزية وقعت بالشام في عهد خليفة رسول الله أبي بكر[1].

وروي لما فرّ خالد بن سعيد ومن معه من هجوم الروم الهائل بتعدادهم وعددهم، اجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا: والله لنشغلنّ أبا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله. فسار سيف الله من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة كما سبق تفصيل ذلك فلقيه عدو بصندوداء فظفر بهم وخلّف بها ابن حرام الأنصاري ولقي جمعًا بالمصيّخ والحصيد عليهم ربيعة بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم، وسار المفازة من قراقر إلى سوى فأغار على أهل سوى واكتسح أموالهم وقتل حرقوص بن النعمان البهراني، ثم أتى أرك فصالحوه وأتى تدمر فتحصنوا ثم صالحوه، ثم أتى القريتين فظفر بهم وغنم، وأتى حوّارين فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة، وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى، ووجه بُسر بن أبي أرطأة وحبيب بن مسلمة إلى غوطة دمشق فأتوا كنيسة فيها فسبوا الرجال والنساء وساقوا العيال إلى خالد، فأرسل الأخماس إلى المدينة وسار إلى الشام ملبيًا نداء الخلافة، ومحققًا قول خليفة رسول الله أبي بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد[2]. وعندها ندم الروم ولات ساعة مندم. وكان خليفة رسول الله قد كتب إلى خالد يوصيه قائلًا:

«إني قد وليتك ما وليتك فإياك أن تقول: إني شاهد وهو غائب، فإذا قدمت على القوم فوجدتهم قد كفوك أمرًا فاقبله ولا تنازعهم فيه، وواسِ جندك في اللقاء إذا كان عامًّا، وإن كان بينكم نوبًا فلير مكان نوبتك وحسن أثرك. وإذا قاتلت العدو فاحرص على الشهادة ولا تصبحن إلا على ظهر آخذًا لأهبة الحرب، وولِّ أمر جيشك أهل النجدة والتجربة ولا تبادر الفرصة بلا روية التماسًا لأن يخلص الأمر لك دونهم، فإني لا آمن أن تسلمك المبادرة إلى غرة أغفلتها، ومعصية غيبت عنها. ولا تبتذل أهل البأس واستبقهم فإنهم حصنك وثقاتك في

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٤٣.

عسكرك وقوام أمرك. وانظر النساء والصبيان وأهل الضعف فارفهم إلى أمنع المواضع ووكل بهم من يذب عنهم»[1]. وقد فعل سيف الله رضي الله عنه كل ما أمر به خليفة رسول الله بأدق التفاصيل وأنجعها وبتمام الحرص، وفي ذلك رد على أباطيل المفترين من الرافضة والمستشرقين الذي يعملون كل ما في وسعهم لتعكير صفو العلاقة الربانية الأخوية التي كانت تربط بين الصحابة رضي الله عنهم في أوقات السلم والحرب والإقامة والسفر.

وجاء في وصية خليفة رسول الله إلى سيف الله من درر النصح وحِكم الوصايا ما يكتب بماء الذهب لما فيه من السمو الروحي وجميل التوجيه والحث على حماية العقيدة والتنافس على منازل الدار الآخرة ومن ذلك:

١- أن يستشعر أهداف خلافة النبوة ومقاصدها في إعزاز الإسلام وأهله في حركاته وسكناته وألا ينتظر تنفيذ تلك المقاصد حتى تأتيه تعليمات الخلافة، بل عليه أن يعتقد بأن الخليفة وأركان شوراه من المهاجرين والأنصار جميعًا يشهدون ما يتخذه من قرارات.

٢- وأن يواسي بين جنده في المكافآت والمهام والتكاليف، وأن يمتاز عن الجميع بحسن الأداء وشدة الالتزام بأداء المهام على أتم وجه وأكمله حتى يرى الجند أثر ذلك فيقتدوا به.

٣- أن تكون النية في المواجهة مع العدو نيل الشهادة قبل النصر؛ ليكون القتال خالصًا لله تعالى.

٤- الأخذ بأقصى درجات الحذر والعمل على ذلك في كل أوقاته مع أعلى درجات التأهب في جميع الأحوال، وتجنب مباشرة أي أمر دون تروٍّ ودراسة ومشاورة.

---

(١) البلاذري: الشيخان، ١١١.

٥- وجوب تقدير أهل القوة والنجدة ورعاية طاقاتهم، والتقرب إليهم وتبني أهدافهم والتجاوز عما يبدر منهم، وأن يكونوا هم أهل خاصته وموضع مشاورته وحمل مهامه.

٦- وألا يقدم على أمر دون دراسة وتروٍّ ومشاورة تفضي إلى علم بما يترتب على ذلك الأمر وقناعة بالعمل الموصل إلى الهدف وتحقيق النتائج المرضية.

٧- الإشارة إلى تقديم وشائج المودة والأخوة على ما سواها، والحرص على احترام ما قرره المسلمون من قبله في الشام دون تغيير والبناء على ما أسسوا له وبدؤوه.

٨- وواضح فيه أيضًا وجوب العناية بالمسلمين في كل الأحوال وتقدير طاقات الناس، وضرورة رعاية الضعفاء وتفقد أحوالهم ومراعاة أوضاعهم وقدراتهم واستثمار كل ذلك بما يحقق النجاح والتكامل في المواجهة مع المشركين.

***

أحوال العراق
بعد مسير خالد إلى وفاة الصديق رضي الله عنه

قيل: إن خالدًا رضي الله عنه سار بتسعة آلاف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل بسبعمائة وقيل غير ذلك، وروي أن خالدًا انتدب عامة الصحابة معه فلم يرض المثنى ذلك وقال: والله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ، فلما رأى خالد ذلك استرضاه وأعطاه حتى رضي وقبل بمن بقي معه فسار خالد بمن معه وعامتهم من صناديد جيش المسلمين الذي كان في العراق، وسار معه المثنى يودعه إلى قراقر، ثم رجع وأقام بمن بقي معه فاستقل عددهم وخاف عليهم من غدر الفرس وحقدهم فأعاد انتشار قواته من جديد لتفويت الفرصة على من يدبر لهم سوءًا من المجوس، ولبث مرابطًا هناك، لكنه استبطأ خبر الصدّيق رضي الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير ابن الخصاصية وسار إلى المدينة ليخبر الصدّيق رضي الله عنه خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين، فإنهم أنشط إلى القتال لإثبات توبتهم ولمسح ما لحقهم من سبة الردة، فقدم المدينة وأبو بكر رضي الله عنه مريض قد أشفى على الوفاة، فأخبره الخبر، فاستدعى الصدّيق عمر وقال له: إني لأرجو أن أموت يومي هذا، فإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتَني متوفى رسول الله وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله ﷺ؛ وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وأهل الجرأة عليهم. وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ليلًا فدفنه عمر وندب الناس مع المثنى، إلى الفرس وملكتهم الجديدة آنذاك آزرميدخت بنت كسرى التي وليت أمرهم قبل أن يقتلوها[1].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٥.

فلما أصبح عمر ندب الناس وحثهم على قتال الفرس وأعوانهم في العراق، وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون الفرس لغدرهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، وما لهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد، فلم يقم أحد في اليوم الثالث، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس في الإجابة فأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمّر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابيًّا، فقيل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلًا من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فأوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ وأن يستشير سليط بن قيس الأنصاري رضي الله عنه فإنه رجل باشر الحروب، فسار المسلمون وهم سبعة آلاف رجل وكتب عمر إلى أبي عبيدة وذلك بعد وفاة الصدّيق رضي الله عنه أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق، فجهز أبو عبيدة عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق، فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعدما قتلوا التي كانت قبلها آزرميدخت وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاذ على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى كسرى فقبل ذلك، إلا أن المسلمين قتلوا رستم هذا فيما بعد يوم القادسية في خلافة عمر رضي الله عنه، وبهذا ينتهي حديث العراق إلى آخر أيام خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه[1] وبداية خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٢٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٧٩، ٢٨٦.

المثنى بعد وداع خالد:

أقام المثنى في العراق مرابطًا يواجه أحقاد الفرس المجوس وكفرهم، يرتب جنده ويوزع عليهم المهام، فوضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبة بن النهاس، ومكان ضرار بن الأزور مسعودًا أخاه الآخر، وسد أماكن كل من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل المعرفة والقوة، ووضع مذعور بن عدي في بعض تلك الأماكن، واستقام أمر أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد إلى الحيرة، وذلك بعد خروج خالد بقليل، وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهربراز بن أردشير بن شهريار ممن ينسب إلى كسرى ثم إلى سابور، فوجه إلى المثنى جندًا عظيمًا عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل، فكتبت المسالح إلى المثنى بإقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه؛ وضم إليه المسالح وجعل على مجنبتيه المعنّى ومسعودًا ابني حارثة، وأقام له ببابل وأقبل هرمز جاذويه وعلى مجنبتيه الكوكبذ والخركبذ.

وكتب إلى المثنى: من شهر براز إلى المثنى؛ إني قد بعثت إليك جندًا من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم. فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهربراز؛ إنما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك وخير لنا؛ وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتي شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه، وكان يسكن ميسان وبعض البلدان شين على من يسكنه، وقالوا له: جرّأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم فإذا كاتبت أحدًا فاستشر. فالتقوا ببابل فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالًا شديدًا، ثم إن المثنى وناسًا من المسلمين اعتوروا الفيل وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم فأقاموا فيها، وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي وكان

عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية فقال:

هل حبل خولة بعد البين موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغولُ

ولـلأحـبـة أيـام تـذكـرهـا ... وللنوى قبل يوم البين تأويل

حلت خويلة في حي عهدتهم ... دون المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل فذكر المثنى وقتله الفيل الذي جاء به المجوس:

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة ... ببابل إذ في فارس ملك بابل

ومات شهر براز منهزم هرمز جاذويه، واختلف أهل فارس وبقي ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي المثنى والمسلمين، ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر فخُلعت، وملك سابور بن شهر براز. قالوا: ولما ملك سابور بن شهربراز قام بأمره الفرخزاذ بن البندوان فسأله أن يزوجه آزرميدخت ابنة كسرى ففعل فغضبت من ذلك، وقالت: يا بن عم أتزوجني عبدي؟ قال: استحي من هذا الكلام ولا تعيديه علي فإنه زوجك! فبعثت إلى سياوخش الرازي، وكان من فتاك الأعاجم فشكت إليه الذي تخاف فقال لها: إن كنت كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه وأرسلي إليه وقولي له: فليقل له فليأتك فأنا أكفيكه. ففعلت وفعل واستعد سياوخش، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاذ حتى دخل فثار به سياوخش فقتله ومن معه ثم نهد بها معه إلى سابور، ثم دخلوا عليه فقتلوه وملكت آزرميدخت بنت كسرى وتشاغلوا بذلك، وحينها خلّف المثنى على المسلمين بشير ابن الخصاصية، ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي، وخرج نحو خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه، فقدم المدينة وأبو بكر رضي الله عنه مريض فكان ما سبق ذكره[1].

(١) الطبري: تاريخ: ٢/ ٣٠٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ١٧.

وكان بداية أمر المثنى بن حارثة الشيباني أنه سار حتى قدم على خليفة رسول الله، فقال: أمّرني على من قِبلي من قومي أقاتل من يليني من الفرس المجوس وأكفيك ناحيتي. فقبل ذلك الصدّيق رضي الله عنه ووافق عليه، ولا سيما أنه يعرف المثنى وخبرته العسكرية ومقامه في قومه منذ أن لقيه مع رسول الله ﷺ قبل الهجرة كما اتضح ذلك في موضعه، فأقبل المثنى فجمع قومه وأخذ يغير بناحية كسكر مرة وفي أسفل الفرات مرة، ونزل خالد بن الوليد النباج[1] وكان معسكر المثنى بخفان[2] فكتب إليه خالد ليأتيه وبعث إليه بكتاب من أبي بكر رضي الله عنه يأمره فيه بطاعة خالد، فأسرع حتى لحق به، وشهد مع خالد موقعة أليس وفتح الحيرة وما بعدها[3].

فكان رضي الله عنه مثال الجندي المطيع والقائد الخبير، فكان خير سند لخالد وجنده في العراق فضلًا عما لديه من خبرات سابقة فقرّت به عيون المسلمين الذين قاتلوا المجوس وبقي على ذلك حتى أُمر خالد وجنده بالتوجه إلى الشام، فكان المثنى خير خليفة لسيف الله بعد أن غادر جبهة العراق، ولا سيما أن المثنى قد قاتل مع خالد ورافقه وتعلم منه الكثير من دروس القتال التي يأخذها الخبير عن الخبير، فأثبت نجاحًا باهرًا بالسير على طريق أستاذه، وتفانيًا تامًّا في نصرة عقيدته ومواجهة أعدائها المجوس ومكرهم وعلى الصعد كافة، بلا منّ ولا حظ للنفس أو غيرها وإنما هو الإخلاص لله ولرسوله ﷺ فأمضى حياته وهو موضع ثقة الراشدين رضي الله عنهم وثقة الصحابة والتابعين وأنعم بهم شهود حق على من شهدوا له.

***

(١) النباج: اسم موضع في أكثر من مكان منه نباج بني عامر على طريق البصرة ونباج بني سعد بالقريتين، ياقوت، ٤/ ٣٦٤.

(٢) خَفّان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا وهو فوق القادسية. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٠.

المبحث الثاني

فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

صلة المسلمين ومعرفتهم بالشام قديمة منذ أيام رحلة الشتاء والصيف، ثم وضح موقفهم منها في حياة رسول الله حين قال ﷺ: «**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة؛ جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق**» قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك. فقال: «**عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غُدركم** - جمع غدير - **فإن الله توكل لي بالشام وأهله**»[1].

وإرساله ﷺ الرسل وقتل الروم لرسوله ﷺ ومن ثم غزوة الأمراء إلى مؤتة، وبعدها تجهيز النبي ﷺ المسلمين وقيادتهم في غزوة تبوك في أكبر حملة عسكرية لمواجهة خطر الروم الصليبيين ومن يحالفهم من مشركي العرب، وقبيل وفاته جهز مولاه أسامة بن زيد في جيش لغزو تخوم الشام فتوفي ﷺ وهو يوصي بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، أما في حياة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فإن أول عمل استفتح به خلافته هو إتمام تجهيز جيش أسامة وإرساله لحرب الروم كامتداد لما كان عليه الحال أيام رسول الله ﷺ وعملًا بقوله تعالى:

---

(١) ابن حنبل: المسند، ح (١٧٠٤٦)، فضائل الصحابة، ح (١٧٠٧)، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ح (٧٣٠٦)، الطبراني: المعجم الكبير، ح (١١١٤٩١)، الصنعاني: المصنف، ح (٢٠٤٥٦). قال الألباني وشعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1].

ولما فرغ الصدّيق من أمر الردة وسحق مراجعها الكذابين؛ الذين نفثوا في العامة من الناس رفض خلافة النبوة وبغض الصحابة، وتمكن من توحيد جزيرة العرب، فبسط يمينه إلى العراق جناح جزيرة العرب وبوابتها من الشرق، وبعث إليها سيف الله خالد بن الوليد فأثبت الصحابة رضي الله عنهم القدرة الهائلة على مواجهة الباطل وقيادة البشرية في كل أرض وعلى كل حال، بأفضل ما يمكن أن تكون القيادة التي يتمناها أسوياء الناس وعقلاؤهم لهذا الكون، ولما بعث خالد إلى العراق كان تخطيطه لفتوح الشام قائمًا على قدم وساق، إذ إن أمر الشام عند خليفة رسول الله كان قد بدأه رسول الله ﷺ، وما كان عليه هو إلى مواصلة المسير على ذات الخطى التي سار عليها النبي ﷺ من قبله، فشرع في جمع الأمراء وقادة الجيوش والجند من أماكن متفرقة من جزيرة العرب، فأرسل أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه لاستنفار المؤمنين من أهل اليمن الذين لم تلوث مواقفهم الردة لا بقول ولا عمل، فقام أنس رضي الله عنه بهذه المهمة خير قيام فكان يستحث الناس ويستثير فيهم الحمية على الكتاب والسنة وضرورة مشاركة كل مسلم في العمل على نشرهما وحمايتهما في كل عصر ومصر، وكان أنس يقرأ على من يدعوهم خطاب خليفة رسول الله لهم ثم يقول: «إني رسول خليفة رسول الله إليكم ألا وإني قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنصر»[2].

فكانوا يحسنون عليه الرد ويتهيئون للمسير «وقدم إليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان، فلما شاهدوا ما عليه رضي الله

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٢) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٤٨، الكلاعي: الاكتفاء في سيرة الثلاثة الخلفاء، ٣/ ١١٦، الخليفة: الأنصار، ٢٣٥.

عنه من اللباس والزهد والتواضع والنسك، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم»[1]، وهذه هي والله مكارم القيادة وأعلى مقاماتها؛ إذ يكتفي الزعماء والملوك بحال خليفة رسول الله عن سماع وعظه فينفضون عنهم آثار الحظوظ وينخرطون في ساحات العمل لنصرة الدين والسير على ما عليه إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه، فلما قدمت تلك الإمدادات سرّ بهم خليفة رسول الله وباشر بإمداد طلائعه في الشام منهم. فاستهلت سنة ثلاث عشرة من الهجرة والصدّيق رضي الله عنه عازم على مواجهة الروم وحشد المجاهدين لذلك.

وكان خليفة رسول الله لما وجه خالد بن الوليد إلى العراق بعد القضاء على الرافضة المرتدين في جزيرة العرب، وجه خالد بن سعيد بن العاص بجند إلى تيماء بين أطراف الشام ووادي القرى، ليكون ردءًا للمسلمين، وأمره ألا يفارق ذلك الموضع إلا بأمره، وأن يدعو من حوله من العرب ليلتحق بجيشه إلا من ارتد منهم، وألا يقاتل إلا من قاتله، فتوجه خالد بن سعيد إلى تيماء، فلما استقر به المقام دعا من حوله فأقبل عليه الناس واجتمع إليه جموع كثيرة، فبلغ خبره ملك الروم الإمبراطور هرقل فضرب البعث على عرب الضاحية بالشام من بهراء، وسليم، وغسان، وكلب، ولخم، وجذام، فكتب خالد بن سعيد إلى خليفة رسول الله بذلك فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أقدم ولا تقتحمن.

فسار إليهم خالد بن سعيد فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بذلك فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتى من خلفه، فسار حتى جازه قليلًا ونزل، فسار إليه البطريق باهان أحد بطارقة الروم فقاتله خالد بن سعيد في تلك الأثناء فهزمه وقتل جنده، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه يستمده، وكان قد قدم في تلك الأثناء ذو الكلاع الحميري ومعه من استنفرهم من أهل اليمن، وقدم أيضًا عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من

(١) المسعودي: مروج الذهب، ٢٣٥. وكتب المسعودي خليط بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والحقد والسلامة، يخلط هذا بهذا ليغطي على بوائقه وعوراته وحقده على الصحابة بأسلوب خبيث ترك آثارًا مفسدة لعقائد كثير من الغوغاء.

تهامة وعُمان والبحرين، فأمد خالد بن سعيد بهما ومن معهما من المسلمين، فقدموا على خالد بن سعيد وبعدها اهتم أبو بكر رضي الله عنه بالشام اهتمامًا مباشرًا[1].

فبعث بعد قفوله من الحج سنة ثلاث عشرة الجنود إلى الشام. وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة ومعه الوليد بن عقبة فيهم، فكتب إليه يستنفره إلى الشام: «إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاكه رسول الله ﷺ مرة وسماه لك أخرى، وقد أحببت - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك» فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت - عبد الله - الرامي بها، والجامع بها، فانظر أشدها وأخشاها فارم بي فيها. وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل ذلك ورد عليه مثله، وأقبلا بعدما استخلفا في عملهما إلى المدينة[2].

خطبة خليفة رسول الله عند انطلاقة جيوشه لفتح الشام:

ولما اجتمع من الجيوش ما أراد رضي الله عنه قام في الناس خطيبًا. فأثنى على الله بما هو أهله ثم حث الناس على الجهاد فقال: «ألا لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخص به، هي النجاة التي دل الله عليها، إذ نجى بها من الخزي فألحق بها الكرامة»[3].

وبعد أن استلم المؤمنون مقاصد هذه الخطبة البليغة الموجزة الهادفة إلى أن يعدوا أنفسهم لأمور عظيمة ينبغي لهم أن يكونوا ملمين بأهدافها ومقاصدها، وأن يختاروا أنجع الوسائل وأقرب الطرق لإنجازها، ضمن ضوابط الشرع ومقاصده وبنوايا خالصة لله تعالى،

---

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٣، ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٣، الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٣.

كما أكد فيها رضي الله عنه أن الدين هو المقياس للأمانة ولحسن العمل في هذه الحياة؛ على أن يتوافق ذلك مع هدي الكتاب والسنة، لأن الدين سيجعل هدف صاحبه ومبتغاه الجنة التي تصغر أمامها الدنيا بما فيها من مكاسب، فمن فعل ذلك علم أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الموصلة إلى ذلك المبتغى المنجي من الذل والهوان في الدنيا، وإلى السيادة والعزة فيها، والمنجي من الخزي يوم القيامة، المؤدي إلى السلامة والكرامة فيها. ثم شرع خليفة رسول الله في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات، فيقال: إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص؛ ولكن بعد المشاورة تم بعثه إلى أرض تيماء ليكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمر خليفة رسول الله كما تقدم.

ثم عقد لواء ليزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس، ومعه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأمثاله من أهل مكة، وجعل له دمشق، وكان طريق يزيد الذي سلكه على تبوك.

وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند، وخرج معه ماشيًا يوصيه وجعل له نيابة حمص.

وبعث عمرو بن العاص بجيش آخر وجعله على فلسطين، فأخذ الطريق على أيلة.

وأمر كل أمير أن يسلك طريقًا غير طريق الآخر، لما في ذلك من المصالح الأمنية والتموينية والإعلامية والعسكرية، وما في ذلك من إدخال الرعب على الروم الصليبيين وحلفائهم ممن لا هوية لهم من العرب المشركين، ولعل هذا بعكس ما أشار إليه البعض بأن الصدّيق رضي الله عنه ربما اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين قال لبنيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]. إذ إن نبي الله يعقوب كان يخشى على بنيه من الحاسدين والعائنين بينما خليفة رسول الله كان يريد بمسير جنده ظاهرين متآزرين متساندين أن يفقأ عيون الحاسدين والحاقدين من المجوس والصليبيين، وقد فعل ذلك على أتم وجه فأزال ظلمهم وأثبت

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٤. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥١.

عدل الإسلام وحضارته الإنسانية السامية، وكان بعث أبي بكر رضي الله عنه لهذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وخرج خليفة رسول الله ماشيًا يودع يزيد وجيشه، ويزيد راكب فجعل يوصيه، فلما فرغ قال: أقرئك السلام وأستودعك الله، ثم انصرف ومضى يزيد وأجدّ السير إلى الشام.

ثم تبعه شرحبيل ابن حسنة، ثم أبو عبيدة مددًا لهما، فسلكوا غير ذلك الطريق. وخرج عمرو بن العاص حتى نزل فلسطين من الشام. ويقال: إن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء أولًا ونزل شرحبيل بالأردن، ويقال ببصرى. ونزل أبو عبيدة بالجابية[1]. وجعل الصدّيق يمدهم بالجيوش، وأمر كل واحد من المدد أن ينضم إلى من أحب من الأمراء. ويقال: إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام.

ويقال: إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربة من أرض فلسطين فوجه إليهم أبا أُمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقًا عظيمًا. ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين. ويقال: إن الذي استشهد في مرج الصفراء ابن لخالد بن سعيد، وأما هو فانحاز إلى أرض الحجاز[2].

وروي لما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم ومنهم كثير من نصارى العرب، من تنوخ، وبني كلب، وسليح، ولخم، وجذام، وغسان، وبهراء، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمده بالوليد بن عتبة، وعكرمة بن أبي جهل، وجماعة آخرين، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له: ماهان فهزمه خالد، ولجأ ماهان إلى دمشق، فلحقه ابن سعيد، وبادر الجيوش ليسبقها إلى

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان. ياقوت، ٢/ ٢١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٤.

دمشق ولعله كان في ذلك طلب الحظوة، فوصلوا إلى مرج الصفراء فانطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق وزحف ماهان فانسحب ابن سعيد إلى ذي المروة على طريق المدينة واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فرّ على الخيل.

وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريبًا وبقي ردءًا لمن نفر إليه، ولما مرّ شرحبيل ابن حسنة بخالد بن سعيد وهو بذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين انسحبوا معه إلى ذي المروة. ثم اجتمع عند الصدّيق طائفة من الناس فأمّر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد، ولما مرّ بخالد بن سعيد بذي المروة أخذ من كان بقي معه إلى الشام ثم أذن الصدّيق رضي الله عنه لابن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال: كان عمر أعلم بخالد بن سعيد[1].

وبعث أبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة إلى الشام وكان الصدّيق رضي الله عنه أراد أن يبعث خالد بن سعيد على أحد الجيوش الأربعة، فلم يزل عمر بن الخطاب به رضي الله عنه حتى عزله وأبقاه ردءًا للمسلمين في تيماء، وأمّر مكانه يزيد بن أبي سفيان، وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام[2].

ولما خرج يزيد بن أبي سفيان بجيشه إلى الشام خرج معه خليفة رسول الله يوصيه ويزيد راكب. فقال: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل! فقال: ما أنت بنازل ولا أنا براكب، أليست خطاي هذه في سبيل الله؟! ثم قال: يا يزيد، إنكم ستقدمون بلادًا فإذا أكلتم الطعام فسموا الله على أوله واحمدوه على آخره.

وستجدون قومًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له.

وستجدون أقوامًا قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد - يعني الشمامسة - فاضربوا تلك الأعناق.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/ ٤٢٨.

ولا تقتلن كبيرًا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تخربن عمرانًا، ولا تقطعن بحرًا إلا لنفع، ولا تغل ولا تغدر ولا تخن ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. وبعد هذه الوصية والتوجيهات الاستطلاعية لما سيراه في طريقه وما يواجه في مسيره زوده رضي الله عنه بما يجب أن يفعله، ثم باشر مخاطبته في خاصة نفسه خطاب معلم وموجه ومرشد خبير شفيق محب للخير، وقائد خاض الأيام وجرب الدنيا وأهلها، وصحابيًّا تلقى فن القيادة والخطابة وسبل التعامل مع الناس بكل أصنافهم عسكريين ومدنيين وأعرابًا وحضريين من لدن رسول الله ﷺ منذ أيام شبابه إلى شيخوخته رضي الله عنه.

وصية خليفة رسول الله ليزيد بن أبي سفيان:

«إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرّجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليًا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربًا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد، فإياك وعِبِّيَّة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محرسهم بغير علم

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠. ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/ ٤٢٨.

منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجنّ فيها، ولا تسرع إليها، ولا تتخذ لها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العابثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له»[1].

وقال يزيد: قال لي أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: «**من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدًا حِمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئًا بغير حقه فعليه لعنة الله**» - أو قال: - «**تبرأت منه ذمة الله عز وجل**»[2].

وقفة مع وصية خليفة رسول الله:

إن نظرة مجردة إلى هذه الوصية الموجهة إلى أحد قادة خليفة رسول الله المتوجهين إلى حرب عدو متجبر لا يبالي بقيم الأرض ولا بقيم السماء، من جرائمه ضد المسلمين في عصر رسول الله ﷺ التي لا يستطيع أحد أن يسوغها، قتل أتباعهم في تخوم الشام لرسول رسول الله ﷺ الذي جاء يدعوهم إلى الله ورسوله ﷺ فضلًا عن رفضهم للإسلام ومحاربتهم لأهله.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٧٧. وقال ابن الأثير: هذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعًا لولاة الأمر.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢٢) ١/ ١٢.

ومن ثم مصادمتهم لأصحاب رسول الله في موقعة مؤتة بمائتي ألف مقاتل، مقابل ثلاثة آلاف وفي هذا الكثير من المعاني التي تشير إلى بطولة الصحابة وشدة جرأتهم، وإلى انتهازية الروم الصليبيين وحلفائهم فرصة تفوقهم العددي والعسكري، لمحاولة القضاء على تلك القوة النقية، الناشئة على قيم التوحيد وطاعة الله تعالى، ولكن انتهازية الروم وأعوانهم عادت عليهم بالوبال، إذ تمكن أصحاب رسول الله من إلقاء الرعب في قلوبهم وهزيمتهم نفسيًّا وعسكريًّا وذلك حين «أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه»[1] ثم انسحبوا بانتظام من أمام تلك الجموع المرعوبة من نظامهم وسمتهم وبطولتهم، مما أورث الروم البهتان والحقد على هذه الأمة إلى هذا العصر، والرهبة من كل من يسير على سمت أو هدي أصحاب رسول الله رضي الله عنهم والتربص بهم ومحاولة الإيقاع بهم قبل أن تثبت أقدامهم على أي أرض في هذا الوجود.

ومما يثير الأشجان والأحزان لكل عاقل يتمعن في هذه الوصية وهو يسمع لما يتشدق به الغرب الصليبي والعلماني عن حقوق الإنسان، وهو يرى أن الإنسان المسلم لا قيمة له في البلاد التي يتغلب عليها هؤلاء، ولعل نظرة إلى العراق أو فلسطين أو أفغانستان أو غيرها أو إلى ما يصرح به زعماؤهم بأن من ليس معهم في عدوانهم فهو ضدهم، وإلى ما شردوا وقتلوا وخربوا في البلاد المذكورة وغيرها، وكيف يستخدمون أعتى أنواع الأسلحة ضد العزل من النساء والأطفال والبيوت والمساجد والمدارس إلى غير ذلك مما أصبح ظاهرًا جليًّا.

إن نظرة يسيرة إلى هذا الواقع المأساوي الذي يرسمه المعتدون في هذا العصر تبين كم هي إنسانية وصية خليفة رسول الله، وكم هو مؤهل لقيادة العالم بأسره ضمن هذا التشريع وهذه الرؤية الشمولية السامية لكل أوجه الحياة؛ وكم هو عظيم رحيم هذا الدين الذي ما زال المبطلون يبغضون أهله ويصفونهم بما هم متلبسون فيه من العدوانية والبربرية والسطو والانتهازية والابتزاز وتفريغ الأحقاد واستعباد الضعفاء من العباد والعزل من الناس.

---

(١) ابن حنبل: المسند، (١٧٥٠)، سنن النسائي، ح (٨٦٠٤)، الطبراني، المعجم الكبير، ح (١٤٦١).

وجاء في هذه الوثيقة الحضارية العالمية أن محاسبة الولاة حق مشروع للخلافة وأنها تكافئ على ذلك المحسن إحسانًا وثقة، والمقصر حرمانًا واستبدالًا بمن هو أفضل وأصدق.

وفيها دليل على أن في صلاح الراعي صلاح الرعية وأن من عفّ عفت رعيته ومن أحب أمته أحبته الأمة، والمقياس في كل ذلك هو مفاهيم الكتاب والسنة وما تفرع عنهما.

وفيها: أن المحاسبة تنبع من الذات وتحيا في الضمائر الحية، عندما تغرس فيها معاني التقوى والزهد التي تثمر الأمان والنجاح والثقة.

أن أي نزعة إقليمية أو حزبية أو قبلية إنما هي وجه من وجوه الجاهلية، وأن الأكفأ هو الأولى في دولة الخلافة الراشدة ضمن ضوابط الكتاب والسنة وفهم الصحابة وسلف الأمة الصالحين، ومن خالف ذلك يقع تحت طائلة المحاسبة.

أن الحرص على الإيجاز في تعليم الناس على الصعد كافة، وتفعيل مبدأ التعليم بالقدوة الحسنة هو أهم سبل التعليم، وأقوى وسائل التغيير والثبات على المبدأ.

وفيها أن فريضة الصلاة بشعائرها وخشوعها يجب أن تكون هي شعار القائد العسكري المسلم، وأن إقامتها وعمارتها في أي تجمع إنما هو علامة الحيوية والأمانة والنظام والانضباط وسلامة الهوية، فأي قائد أو تجمع لا يقيم الصلاة، إنما هو تجمع منحرف عن الصواب والرشد قيادته جاهلية، أما من يحارب الصلاة فإنما هو يحارب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

وفيها التعامل مع رسل العدو بمنتهى الحذر والأدب ومباشرة الحديث والحوار معهم، لكشف ما عندهم وما وراء سفارتهم، والحرص على عدم كشف أي عورة في معسكر المسلمين.

الحرص التام على الشورى لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

التحلي بمعارف العصر وكتمان معلومات المهام الخطرة والعمل على عدم تسريب الأسرار العسكرية خارج دائرتها عملًا بقوله ﷺ: «**استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها**»[١].

يجب أن يكون القائد المسلم قدوة في التمسك بالعقيدة وحسن فهمها، وفي الشجاعة والإقدام واقتداء العقيدة وأمة العقيدة، والثبات على المبدأ وفي الأخلاق الحميدة والحلم والكرم والتجاوز عن الإخوان، والانضباط والطاعة.

أن يتمتع القائد المسلم بالأمانة والقوة وهما الصفتان البارزتان في القائد الناجح، وهذا ما أكده الصحابة رضي الله عنهم في قيادتهم للأمة عملًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٢].

وجاء فيما حدّث به يزيد عن وصية خليفة رسول الله له؛ من المعاني الدقيقة في وجوب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وما فيها من نفع القبيلة أو الحزب أو الإقليم كما يفعله كثير من الانتهازيين والنفعيين، الذين يتولون على المسلمين في كثير من البلاد والجماعات، فأضاعوا الأمانة وصنعوا الفرقة وغذوا الفتنة، بتمسكهم بسياسة نفع الأتباع وإشباع الأهواء؛ دون مراعاة مصلحة الأمة وعقيدتها، وهذا ما جلب على المسلمين المصائب والهزائم، وما يراه كل مراقب حصيف في هذا العصر، ولما نجح يزيد في قيادته على أتم وجه وأكمله، ثبت أنه عمل بوصايا خليفة رسول الله وأنه قدّم الأمة والعقيدة على ما سواهما، فكان أحد كرام القادة الذين قرّت بهم عين الأمة وشمخت بإنجازاتهم الخالدة.

ومن إبراز مقاصد وصية الصديق رضي الله عنه وبيان معانيها، تظهر معرفته الشاملة التي كان يتمتع بها بما ينجز مصالح المسلمين عامة، ويحقق ما يحتاجه الجيش المحارب في ميادين التخطيط والاستطلاع والقتال، وما ينبغي أن يكون عليه القائد المسلم من القوة

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (١٧٠١٨) المناوي: فيض القدير، ح (٩٨٥).

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٦.

والحذر والحكمة والسياسة في معاملته لجنوده ومواجهته لأعدائه.

ويتجلى في هذه الوصية إمامة خليفة رسول الله وقيادته السديدة الرشيدة للأمة، وسعة علمه في كل باب يخوض فيه، فهو الإمام الكامل والقائد المنتصر والراعي الواعي الذي استقى من رسول الله حتى روي، فتفجرت من جنبات أفعاله وأقواله ينابيع الحكمة، وجرت على يديه سفن النصر في بحار النجاح على كافة الجبهات، فهو الذي تفرد في مراتب الصحبة حتى ارتقى أقصى درجاتها فتلقى من رسول الله ما لم يتلقه الكثير، وفهم عنه ما لم يفهمه الكثير من الناس، فسار على ذات السنة التي رسمها ﷺ حتى أصبح حجة وميزانًا في هذا الباب، فكل من سار على آثار خليفة رسول الله فهو على الجادة وفي السبيل الصحيح، وكل من خالف فهو الشاذ إلى نار الرفض والردة وجحيم الجاهلية، وهو الذي فهم الحاضر الذي عاشته الأمة فاستشرف لها مستقبلها، وعلم العلامات الهادية إلى الهدى والعلا، فسارت الأمة على طريقه المؤدية إلى رسول الله ﷺ وتمسكت بما رسم لها من قواعد السياسة الداخلية والخارجية، وعلمهم كيف يواجهون القوى العظمى عمليًا، وكيف يقهرونهم ويسحقون كبرهم ويقومون اعوجاجهم؛ كما علمهم ما هو الموقف من الرافضة المرتدين وأنهم لا إيمان لهم ولا ثقة بهم ولا أمان لهم، وأنه لا يجدي معهم التودد والتسامح، وأن السياسة الوحيدة الناجعة معهم هي ما فعله الصديق رضي الله عنه مع سلفهم الفاسد من أمثال: مسيلمة وعبهلة العنسي وسجاح وأمثالهم، وما ذلك إلا لأن دينهم بني على هدم الإسلام، وحياتهم لا تقوم إلا إذا استبيحت حياة محبي الصحابة، وكل ذلك ظاهر عندما أصبحت لهم شوكة في هذا العصر، فانكشفت حقيقتهم الحاقدة الغادرة التي تقوم على استباحة السنة وأهلها ونصرة الردة وأهلها، بالتعاون مع الغزاة والمعتدين، فلا سياسة إذا لم تكن على منهج خليفة رسول الله، ولا وحدة ولا أمن ولا انتصار إن لم يكن على ذلك المنهج.

ذلك وجه من شخصية خليفة رسول الله أشرق على الأمة من خلال وصيته لقائد من قادة جيوشه التي واجهت الباطل بكل ألوانه، فثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن خليفة رسول الله

هو الخبير الجامع لعلوم السياسة والقيادة والقتال وفنون المناورة ومحاسبة الولاة وقيادة الرعية وحشدها لتحقيق أهداف الأمة وحماية العقيدة، وهو الشديد على الكافرين، الرحيم على المؤمنين كما وصفه قائده ﷺ بقوله: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**»[1] كما ثبت من قبل أنه الكريم الأتقى.

وفي خطابه رضي الله عنه ليزيد يتضح فيه تفصيل واسع، في التوجيهات على عامة المستويات والإرشاد إلى أنجع الوسائل في التعامل مع الجند في السلم والحرب، ومناورة الأعداء ومواجهتهم، مما لم يزود به خالد رضي الله عنه، وما ذلك إلا لأن خالدًا رضي الله عنه قد عمل قائدًا في مدرسة رسول الله ﷺ، ومن ثم عمل تحت رعاية الصديق رضي الله عنه وقيادته، فاعتمد على علم خالد وخبرته بمثل هذه الأمور التي كان يزيد في حاجة إلى معرفة تفاصيلها وإثبات نجاحه فيها.

وتبين في هذه الوصية أن الصديق جمع في أثنائها بين الترغيب والترهيب، ولعل الصدّيق فعل ذلك تحفيزًا ليزيد حتى يسلك مسلك كبار قادته أمثال: خالد وأبي عبيدة وعمرو رضي الله عنهم، ولا سيما أنه ولاه عمل خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم الذي لم يحقق كل ما أوكل إليه، ولم يأخذ بتوجيهات الصدّيق في الكر والفر والحذر والالتزام بما توجهه إليه الخلافة الراشدة.

فكان لهذه التوجيهات أعمق الأثر في نفس يزيد بن أبي سفيان فأبلى بلاء حسنًا، وكان خير قدوة لجنوده، ومن أحسن القادة سيرة بين الناس.

وبعد خروج يزيد إلى الشام بأيام وجه خليفة رسول الله، شرحبيل ابن حسنة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة حليف قريش، ويقال من الأزد فسار في سبعة آلاف، ثم أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف، فنزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل الأردن،

---

(١) سنن الترمذي: ح (٣٧٩٠)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٧١٣١)، الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١٢٢٤).

ويقال بصرى، ونزل أبو عبيدة الجابية، ونزل عمرو بن العاص بغمر العربات، ثم رغب الناس في الجهاد؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر رضي الله عنه إلى الشام، فمنهم من يصير مع أبي عبيدة، ومنهم من يصير مع يزيد، كل قوم مع من أحبوا. وقالوا: أول صلح كان بالشام صلح مآب وهي قرية من البلقاء، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم، واجتمع الروم جمعًا بالعربة من أرض فلسطين؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أُمامة الباهلي ففض ذلك الجمع، فقالوا: أول حرب بالشام بعد سرية أسامة كانت بالعربة. ثم أتى الروم إلى الداثنة، ويقال: الداثن. فهزمهم أبو أُمامة الباهلي وقتل بطريقًا منهم[1].

وصية خليفة رسول الله لعمرو بن العاص:

تبين فيما سبق أن خليفة رسول الله قد كتب إلى عمرو رضي الله عنه يخيّره بين البقاء في عمله على صدقات بني سعد هذيم، وبني عذرة، وغيرهم؛ وبين قيادة أحد جيوش الشام، وأظهر أنه يختار له الجهاد على العمل في جمع الصدقات فاختار عمرو ما اختاره له قائده الصديق رضي الله عنه فأمره أن يجمع العرب من حوله، وأمر الوليد بن عقبة وكان على بعض صدقات قضاعة أن يجمع أيضًا العرب ففعلا، ثم أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص بالقدوم إلى المدينة مع من اجتمع إليه وأمره أن يسير في طريق سماها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بن عقبة أن يسير إلى الأردن، ومثلما أوصى خليفة رسول الله أمراء الجيوش المتوجهة إلى الشام أوصى عمرو بن العاص قائلًا: «ارفق بجندك في مسيرك، وتعهدهم بنفسك، وإذا انتهيت إلى فلسطين فعسكر هناك حتى تلحقك الجيوش، وإياك والوهن، ولا تقل رمى بي في نحر العدو، فقد رأيت نصر الله إيانا ونحن قليل، وأكرم وجوه من معك تستنزل نصائحهم، وتستخرج ما عندهم»[2].

وروي أنه أوصى عمرًا والوليد كل واحد منهما بوصية واحدة جاء فيها: «اتق الله في

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٤٠، ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/ ٤٢٨.

(٢) البلاذري: الشيخان، ١١١.

السر والعلانية فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنك في سبيل من سبل الله لا يسعك فيه الإهمال والتفريط والغفلة عمّا فيه قوام دينكم وعصمة أمركم فلا تنِ ولا تفتر»[1].

وفي هذه الوصايا يتبين معرفة أبي بكر رضي الله عنه بالقادة الذين اختارهم لقيادة جيوش الخلافة في أخطر عملية عسكرية وأوسعها على مرّ التاريخ، فهو يخاطب كل قائد بما يراه متممًا لرؤيته التي يحملها ومزيلًا لما في نفسه من هواجس حتى يسير وهو على قناعة تامة بما هو ذاهب إليه، ثم يلفت إلى ما يجب أن تكون سيرته مع جنده وواجبه تجاههم ووسائل تعامله معهم ووجوب انضباطه التام بتعاليم الخلافة وأن يعلم أنه جزء من جماعة المسلمين يعمل ضمن الجماعة ويتحرك في دائرتها لأن دين الإسلام هو دين الجماعة والوحدة، فلا بد والحال هذه أن يشارك جنده الرأي ويقبل منهم المشورة والنصيحة، وأن يقبل النقد إذا سمعه من أحد من جنده؛ لأن خير من يعمل برأي الجماعة ويأخذ بالنصيحة هو خليفة رسول الله وجنده الفاتحون.

ولا شك أن ما جاء في هذه الوصايا هو من أجلّ ما عرف التاريخ من القيم والأخلاق وإعطاء الحقوق، ومن نظام السلطة المقيدة بالشرع وضوابطه، التي يجب أن يقف عندها زعماء المؤسسات الإنسانية والجمعيات والهيئات الحقوقية والقادة العسكريين، ليتأملوا ما فيها من الحكم السياسية، والاجتماعية، والحربية، والأخلاقية، وما تشير إليه من عظمة قائلها، وقوة علمه وسعة اطلاعه وسمو مداركه، ولشمولها الجانب السياسي والحربي وما في ذلك من التخطيط والتدبير الناجع، ولو أن هذه التعليمات صدرت في هذا العصر من أحد ساسة الغرب بعد أن درس في أعرق الجامعات لتناقلتها الأقلام، ونشرتها الصحف، وتغنى بمعانيها الخطباء والفضائيات. فالواجب على المسلمين أن يسطروها واقعًا عمليًّا

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٣.

في حياتهم التطبيقية، كيف لا وهي ما زالت دررًا فريدة، لكونها صدرت من رجل الدنيا وواحدها ذلك الذي قد ساس الأمة بعد تفككها حين وفاة النبي ﷺ وحفظ كيانها بقدرة الله تعالى بعد أن اعترته مصائب الردة، فهو رجل الإسلام الأول وسياسيه الفذ الحكيم الناجح المنتصر بعد النبي ﷺ.

فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزوّد أمراء جيوش الفاتحين بتلك الوصايا الثمينة ويرسم لهم طريق القيادة، ويرشدهم إلى سبيل الفوز والتقدم. وبموجب هذه الخطط الحربية قدَّر الله سبحانه وتعالى لأولئك الأبطال أن يفتحوا الممالك، ويتبسطوا في تلك الأقاليم الشاسعة بسرعة البرق والله يؤيد بنصره من يشاء[1].

وقد اختلف المؤرخون حول بعض الوقائع العسكرية المهمة قبيل معركة اليرموك الفاصلة، ومن ذلك معركة أجنادين وهل هي قبل أم بعد اليرموك؟ والذي يبدو أن هذه المعركة كانت قبيل اليرموك وأن من أسبابها ملاحقة الروم لجيش عمرو رضي الله عنه الذي كان يشاغلهم بانتظار قدوم خالد فلم يكن لديه القدرة على مواجهة الروم في موقعة فاصلة، ولم يكن من الممكن الانسحاب من أمامهم وتركهم ينقضون على قوى المسلمين التي كانت موزعة في تلك المرحلة.

معركة أجنادين:

أجنادين اسم موضع بفلسطين، وهي ما بين الرملة وبيت جبرين[2]، ولما وصل سيف الله إلى الشام اتصل بقادة جيوش الشام، وكان عمرو وجيشه رضي الله عنهم في العربات، وبقية الجيوش في بصرى، فلما التقى خالد بالمسلمين هناك بعد مرج راهط ساروا جميعًا لفك حصار الروم عن جيش عمرو الذي كان يشاغلهم بعد وصول إمدادات الروم الهائلة مع ماهان كسبًا للوقت، ولما كان خالد رضي الله عنه لا ينام ولا يُنيم كان من تدبيره وتخطيطه

(١) ينظر: باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٨٧.

الزحف المباشر إلى الروم في أجنادين، وبعد إقرار خطته من قبل أمراء الجند التقى المسلمون مع عمرو وجيشه في أجنادين، وكان قائد الروم الصليبيين في أجنادين القبقلار قد بعث عينًا له عربيًّا يتجسس أحوال المسلمين؛ فدخل ذلك الجاسوس في جيش المسلمين وأقام يومًا وليلة ثم عاد إليه فقال له: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم. فقال: إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ولوددت أن أحظى من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ!! وهذا يظهر ما كان عليه الروم آنذاك من الاضطراب والوجل والرعب مع كثرتهم وقوة إمداداتهم.

وحينها كان خالد والمسلمون قد أقروا الهجوم على الروم فدارت معركة عنيفة تمكن المسلمون من اختراق قوات الروم والوصول إلى قلب معسكرهم، ومن ثم قتل قائدهم القبقلار وسحق عامة قواتهم في الأجنحة، فما كان منهم بعد ذلك إلا الفرار والهزيمة بحثًا عن النجاة حتى وصل المنهزمون إلى هرقل وهو في حمص وعندها أحس بحقيقة الخطر ومدى الكارثة التي وقع فيها الروم حينما اختاروا مصادمة المسلمين ورفض الصلح معهم!!

واستشهد في هذه المعركة عدد من المسلمين منهم بعض وجوه قريش رضي الله عنهم، لكن نتائجها كانت هائلة على الروم إذ تفاقمت فيهم روح الهزيمة، وتأصل فيهم الرعب من المسلمين إلى هذا العصر، حتى لم يعد يسمع الصليبيون في أرض فيها جهاد ومجاهدون إلا وأطلقوا عليهم اسم الإرهابيين، وما ذلك إلا من مخلفات ثقافتهم التي يتمسكون بها حين تعاملهم مع المسلمين، مع أن هذا المصطلح وإن كان الصليبيون يقصدون من ورائه حشد أحقاد جماهير الصليبية على الإسلام والمسلمين بأقصى ما تكون وسائل الحشد عندما يستخدمون هذا المصطلح، لكنه في الوقت ذاته يعبر عما في نفوسهم من الرهبة والرعب من مواجهة هذا النوع من البشر، مع كل الفوارق الهائلة في الأعداد والأمداد التي يتمتعون بها إضافة إلى جموع العملاء من المحسوبين على العرب والمسلمين الذين يدينون بالتبعية لهم من العامة والخاصة، وقد تكون هناك دول بكاملها تعمل لخدمتهم إلا أفرادًا من المؤمنين.

ولعل دوافع ذلك كثيرة منها شعور الصليبيين دائمًا عندما يواجهون المسلمين أن قضية المسلمين عادلة، وأنهم دائمًا دعاة حق وعدل ومساواة، وهل هناك أعدل من الدعوة إلى التوحيد والأخوّة؟ ومن من الناس لا يعلم في أعماق نفسه أن الله واحد سواء كان ذلك في مواجهة المسلمين أو غيرهم؟ ومن هنا تأتي أسباب الهزيمة عندما يصدق المسلمون في دعوتهم إلى الله تعالى، حيث لا يوجد في الإسلام ما يرده العقل السليم أو الفطرة السليمة، أما ما يواجهه به المشركون بكل أصنافهم فلم يكن في يوم مقرونًا بالبحث عن الحقيقة إذ هي معلومة، وإنما كانت مواقفهم دائمًا مقرونة بالمصالح والأحقاد والحسد وما إلى ذلك، وإلا لو دخل المؤهلون علميًّا وإداريًّا ومهنيًّا في الإسلام لكانوا هم سادته قبل غيرهم من أي جنسية كانوا، أما إذا كان من يزعم أنه مسلم ولم يقم بلزوم أوامر الإسلام واجتناب نواهيه فهذا ليس حجة على الإسلام.

فكان تأصيل روح الرعب من المسلمين في نفوس الروم إحدى النتائج المباشرة لمعركة أجنادين التي هيأت الأجواء لما بعدها فتمتع المسلمون بأعلى درجات الاستعداد والجرأة على الروم والطمأنينة في ميادين مواجهتهم.

كما تجلى في تلك المواجهة عنفوان خالد رضي الله عنه ويقينه ووسائل قتاله، فما إن وصل الشام حتى تمكن من إحراز مجموعة من الانتصارات التي أوهنت معنويات الروم وحطمت نفوس أتباعهم والموالين لهم في تلك البلاد، كما زادت من يقين المسلمين وحماسهم لقضيتهم، وأثبتت أيضًا نجاح تدابير خالد رضي الله عنه في مواجهة الروم، تلك التدابير القائمة على روح الفداء والاقتحام واستهداف منابع الخطر وقياداته، التي تجلت في قتل القائد الروماني القبقلار في قلب جيوشه وبين أقوى قواته وأكثرها عددًا، وما لذلك من الآثار العظيمة في تقوية نفوس المسلمين، والمدمرة في نفوس الروم، الذين انخلعت قلوبهم مما يرونه ولا يصدقون أنه من الممكن أن يقوم به بشر، ولعل المراقب لأحوال الاستعدادات والأحلاف الصليبية في هذا العصر وما معها من الأذناب في بلاد المسلمين ضد جماعات محدودة من المؤمنين المشردين المحاصرين، يوقن بأن هذه الحال ما هي إلا إرهاصات للقادم من النصر الموعود والمبشرات بأن المستقبل لهذا الدين.

وقد كتب خالد رضي الله عنه بعد الفراغ من أجنادين كتابًا إلى قائده خليفة رسول الله الصدّيق رضي الله عنه جاء فيه: «لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على المشركين أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإني أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعًا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يصيبونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله فطاعناهم بالرماح ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم في كل فج وشعب وغائط، فاحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأوليائه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر رضي الله عنه فرح به وأعجبه وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقر عيني بذلك»[(١)].

قال الطبري وكانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة توافت جنود المسلمين والروم بأجنادين فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين وقتل خليفة هرقل فيها، واستشهد رجال من المسلمين، ثم رجع هرقل للمسلمين فالتقوا بالواقوصة فقاتلوهم وقاتلهم العدو، وجاءتهم وفاة أبي بكر رضي الله عنه وتولية أبي عبيدة وهم مصافون مع الروم[(٢)] أي في اليرموك.

وهناك خلاف واسع بين المؤرخين حول تاريخ أجنادين وموقعة فِحل، وهي بلدة في غور الأردن، وهل هما قبل اليرموك أم بعدها؟ روي عن الأموي في مغازيه: وقعة فِحل وأجنادين كانتا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وروي كانتا في خلافة عمر رضي الله عنه بعد وفاة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه والله أعلم[(٣)]، والمتابع لوقائع المسلمين

(١) الأزدي: فتوح الشام، ٩١، الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٦١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٤٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ١٨- ٢٤.

في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأثر سيف الله خالد رضي الله عنه فيها في العراق والشام، والمتمعن في تلك المعجزات لا يسعه إلا أن يقف شامخًا مجلًّا ومعظمًا لجهاد تلك النفس الطاهرة التي امتهنت الفداء والتضحية في جهاد متواصل لإعزاز الكتاب والسنة وأهلهما وحمايتهما، فبورك ذلك الجهاد الذي لا يسع المتابع له إلا أن يردد قول القائل:

وما في الحرب من عجب ولكن عجيب أن يكون بلا نزال[1]

بدايات اليرموك:

تبين أن القادة المسلمين استقروا في الشام وتكاملت قواتهم هناك، ولما بلغ الروم ذلك كتبوا إلى هرقل فخرج حتى نزل بحمص، فأعد لهم الجنود وعبى لهم العساكر، وأراد إشغال المسلمين بعضهم عن بعض، لكثرة جنده وفضول رجاله، فأرسل إلى عمرو رضي الله عنه أخاه لأبيه وأمه تذارق، فخرج نحوهم في تسعين ألفًا، وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلّق بأعلى فلسطين وبعث جرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل ابن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطورس في ستين ألفًا نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون وكانت جميع فرق المسلمين واحدًا وعشرين ألفًا، سوى عكرمة في ستة آلاف، ففزع المسلمون بالكتب وبالرسل إلى عمرو: ما الرأي؟

فكاتبهم وراسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به وقد كتبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه بمثل ما كاتبوا به عمرو بن العاص فطلع عليهم كتاب خليفة رسول الله بمثل رأي عمرو بأن يجتمعوا ويكونوا عسكرًا واحدًا ويلقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، وخاطبهم: إنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على

(١) باسلامة: خلافة الصديق، ١٩٢.

العشرة آلاف إذا أُتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلًا واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب، وعلى الروم التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبتيه باهان والدراقص وعلى الحرب الفيقار وقال لهم هرقل: أبشروا فإن باهان في الأثر مدد لكم ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقًا لهم وهو لهب لا يدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها وخوفها، وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به فنزل عليهم بجوارهم على طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم.

فقال عمرو رضي الله عنه: أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقلما جاء محصور بخير، فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لا يقدر المسلمون من الروم على شيء، ولا يخلصون إليهم حيث الواقوصة من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أديل المسلمون منهم، حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول وقد استمد المسلمون أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر فكتب إلى خالد ليلحق بهم، ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال رضي الله عنه: «خالد لها» فوصل إلى المسلمين حين وصل باهان إلى الروم فقد جاء وقد قدّم أمامه الشمامسة والرهبان والقسيسين ليغروا الروم ويحضوهم على قتال المسلمين، فخرج بهم باهان كالمقتدر المتمكن، فتولى خالد رضي الله عنه قتاله وقاتل الأمراء من بإزائهم فهُزم باهان، وتتابع الروم على الهزيمة فاقتحموا خندقهم وتابعت الروم باهان بالهزيمة فانكسرت شوكة الروم، وفرح المسلمون بخالد رضي الله عنه.

وكان المشركون أربعين ومائتي ألف، منهم ثمانون ألف مقيد؛ أربعون ألفًا منهم مسلسل للموت، وأربعون ألفًا مُربّطون بالعمائم، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل، والمسلمون

سبعة وعشرون ألفًا ممن كان مقيمًا إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستة وثلاثين ألفًا، ومرض أبو بكر رضي الله عنه في جمادى الأولى من تلك الأيام[1].

معصية الروم هرقل في دعوته إلى مصالحة المسلمين:

ولما وصلت طلائع جيوش المسلمين إلى الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفًا شديدًا، وما ذلك إلا من بشارات النصر التي وعد الله تعالى بها المؤمنين وأخبر بها النبي ﷺ ويتأكد ذلك في مقارنة بسيطة بفارق جيوش الروم عن جيوش المسلمين، فكتب الروم إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر. فيقال: إنه كان يومئذ بحمص، ويقال: كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر قال لهم: ويحكم، إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قِبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم.

فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش رافضين للصلح كبرًا وتعنتًا. فعند ذلك سار هرقل إلى حمص وأمر بخروج الجيوش الرومية، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبويه تذارق في تسعين ألفًا من المقاتلة. وبعث جرجة إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفًا أو ستين ألفًا، وبعث الدراقص إلى شرحبيل ابن حسنة. وبعث القيقار ويقال القيقلان بن نسطورس وهو خصي هرقل، في ستين ألفًا إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقالت الروم حينها: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين لم يتجاوز واحدًا وعشرين ألفًا سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل، وكان مرابطًا في طريق الشام المدينة ردءًا للناس في ستة آلاف[2] ولم تذكر الرواية عدد من كان مع جرجة والدراقص.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥.

طلب أمراء الشام الإمداد والرأي من خليفة رسول الله لمواجهة الروم:

لما وصل الأمراء إلى الشام، ونزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل الأردن، ونزل عمرو بن العاص العربة بفلسطين - بلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل وكان بالقدس فقال لهم: أرى أن تصالحوا المسلمين، فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه، فجمعهم وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره؛ لكثرة جنده، وليضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم.

فلما علم المسلمون ذلك هالهم الأمر، حيث كان جميع الفرق التي يحتويها عموم جيش الأمراء الأربعة واحدًا وعشرين ألفًا سوى ما كان مع عكرمة بن أبي جهل، فإن جيشه كان ستة آلاف، وهذا المجموع لا يعد شيئًا أمام الجيوش الرومية التي تربو على مائتي ألف جندي كاملة العدد والعدة.

فكاتبوا عمرو بن العاص رضي الله عنه وسألوه عن رأيه في ذلك، فأجابهم أن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها؛ لكثرة عدونا، فلما علموا رأي عمرو بن العاص كاتبوا خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه.

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح: «إلى عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزًّا مبينًا، وأن يفتح لهم فتحًا يسيرًا، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشدهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فإن ذلك ما قد كنتم تعلمون أن سيكون منهم، ما كان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال، ولقد علمت والحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله أن في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجندك ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين، فإن الله تعالى ذِكْره معك، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد، والسلام عليك. وبعث الكتاب مع دارم العبسي[1].

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى خليفة رسول الله: «أما بعد؛ فإن ملك الروم لما بلغ مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه فتحول ونزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على جند الشام وأمرهم بقتالنا وقد تسيروا لنا واستعدوا، وقد نبأنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته وأنهم جاؤوا يجرون الشوك والشجر، فأْمُرنا بأمرك وعجل علينا في ذلك برأيك نتبعه، نسأل الله النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك. وبعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالي.

فأجابه أبو بكر وكتب إليه مع رسوله: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أنه لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨٥.

آلهة شتى، فإذا لقيتهم فانبذ إليهم بمن معك وقاتلهم فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا معك، وقاتلهم ما هنالك وإني ممدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله تعالى والسلام»[١].

ولما ختم أبو بكر الصدّيق كتابه أعطاه عبد الله بن قرط رسول يزيد بن أبي سفيان وقال له: أخبره والمسلمين أن مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة، وسعيد بن عامر بن حذيم، فخرج عبد الله بن قرط يحمل كتاب الخليفة حتى قدم به على يزيد فقرأه على المسلمين في الشام فتباشروا وفرحوا[٢].

وبعد هذه الكتب ألحقهم خليفة رسول الله بأمداد جديدة منها فرقة بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، كان فيها ألف رجل وعندما ودعه خليفة رسول الله قال له موصيًا: «يا هاشم، إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره ومن الشاب بصبره وبأسه ونجدته وإن الله عز وجل قد جمع لك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة وما تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله به عملًا صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين».

فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرًا يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أُقتل أن أَقتُل ثم أَقتل ثم أُقتل إن شاء الله، فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا ابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضرب ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدًا، وراجع إلى الله قريبًا، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته، أو عمل صالح أسلفته. فقال: أي عم، لا تخافن من غير هذا، إني إذًا لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وضربي بسيفي وطعني برمحي رياء

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨٥.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥ فما بعدها. باسلامة: خلافة أبي بكر، ١٨٦.

للناس، ثم خرج من عند أبي بكر رضي الله عنه فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه فتباشر بمقدمه المسلمون وسرّوا به[1].

وخرج بعد هشام إلى الشام سعيد بن عامر بن حذيم فخرج معه بلال بن أبي رباح مولى خليفة رسول الله ومؤذن النبي ﷺ فسار حتى قدم على يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم وروي أنه لحق به هناك بأمر من أبي بكر رضي الله عنه فأدرك معه بعض وقائعه[2].

وممن قدم على خليفة رسول الله حمزة بن مالك الهمداني في زهاء ألف رجل أو أكثر فسر ذلك خليفة رسول الله وبعث به إلى الشام فالتحق بأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بعد أن سأل حمزة: من أقدم أمراء الشام صحبة لرسول الله ﷺ؟ فخبروه بأبي عبيدة أمين الأمة رضي الله عنه.

وقدم على خليفة رسول الله أبو الأعور السلمي فبعثه خليفة رسول الله إلى الشام فسار حتى قدم على أبي عبيدة رضي الله عنه فالتحق بجيشه يجاهد تحت رايته.

وجاءه أيضًا معن بن يزيد بن الأخنس في زهاء مائة رجل من بني سليم فجمعهم من إخوان لهم وأمّر عليهم حبيب بن مسلمة الفهري، فخرج بهم حتى لحق بالشام وقدم على يزيد بن أبي سفيان فقاتل في جيشه.

ثم اجتمع في المدينة رجال من أسلم وغفار ومزينة نحوًا من مائتين فأرسلهم إلى الشام تحت إمرة الضحاك بن قيس الفهري، فسار حتى أتى يزيد بن أبي سفيان فالتحقوا بجيشه يقاتلون الروم هناك. وهكذا يتبين أن خليفة رسول الله لم يكن له شاغل آخر سوى نصرة المجاهدين حتى جاشت إليه أمة العرب بوجدانها من المشارق والمغارب مستنفرين طاعة لله تعالى وثقة بخليفة رسول الله دون أن يكون له عليهم سلطان مادي يحشرهم به

(١) الأزدي: فتوح الشام، ٣٤. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥٥.

(٢) الأزدي: فتوح الشام، ٣٧. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥٥.

إلى الجهاد كما هو حاصل في الأنظمة المعاصرة بما يسمى بالتجنيد الإجباري، وإنما كان نظام جيوش أبي بكر رضي الله عنه هو التجنيد الرباني فالعرب آمنوا أنهم عبيد لله تعالى فهم يأتمرون بأمره طمعًا فيما عنده، وخليفة رسول الله لم يكن إلا هاديًا خريتًا في تلك الطريق الموصلة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فثبت لكل عاقل أن سلطان الإيمان أقوى من أي سلطان آخر، يؤكد ذلك سلطان خليفة رسول الله الذي واجه به أعتى قوتين على وجه الأرض بأولئك الجند الذين امتلأت منهم قلوب المجوس والصليبيين رهبة ورعبًا حتى أزالوا طغيانهم وحطموا جبروتهم.

فيتلخص موقف المسلمين والروم في هذه المرحلة، أن هرقل كان مرعوبًا من المسلمين ويرغب في مصالحتهم، لعلمه بأنهم على حق وأن مواصفات إخوان الأنبياء موجودة كلها فيهم.

انسحاب هرقل إلى حمص ثم إلى ما بعدها ومن هناك أعد الجيوش وأراد أن يشغل المسلمين بجيوش كثيفة من الروم، لكيلا يتفرغ أحد منهم لنجدة أصحابه.

جعل أربعة قادة من كبار قادته في مواجهة قادة المسلمين الأربعة، وجعل مع كل قائد من قادة الروم أضعافًا مضاعفة من الجند والعتاد والمواد والإمداد، مما اضطر المسلمين إلى تغيير تكتيكهم والانسحاب المنظم من مواقعهم والاجتماع في موقع واحد.

أمر خليفة رسول الله أن يجتمع المسلمون في اليرموك جاء موافقًا لما أشار إليه عمرو من قبل وأجمعت عليه جيوش المسلمين في الشام.

اختيار الروم أيضًا موقعًا لمعسكرهم في اليرموك ولما وصلهم ماهان كأكبر قوة إمداد، وصل خالد إلى المسلمين كذلك كأكبر قوة لإمدادهم، فأصبحت قوى الفريقين في كامل استعدادها مع الفارق الهائل في عتاد الروم وأعدادهم على المسلمين، وفي المقابل الفارق الساحق في معنويات المسلمين وصدق عزيمتهم وإيمانهم القاطع بقضيتهم مع رعب الروم وخور قواهم وما أصابهم من الرهبة والخوف من سمت المسلمين ونظامهم ووحدتهم وطاعتهم ونبل مقاصدهم.

ويتبين في تلك المرحلة ظاهرة أخرى عند المسلمين وهي قدرتهم على رصد تحركات العدو ومتابعة تحشداته والرد عليها قبل تكامل مخططاتها.

وظهر تواصل قيادات المسلمين في الشام بعضهم مع بعض وظهرت ميزة عمرو بن العاص القيادية، وذلك أنهم لما دهمهم العدو رجعوا بالرأي إلى عمرو رضي الله عنه الذي أشار عليهم بالتجمع ومواجهة الروم في جيش واحد وقبولهم لذلك الرأي وتنفيذهم لخطواته.

وأيضًا المكاتبات بين القادة وبين خليفة رسول الله، والأدب الجم من قادة الجيوش مع خليفة رسول الله، والثقة المطلقة بتدبيره وتخطيطه وحسن نظره للمسلمين، فلم يزيدوا في كتاباتهم على إعلامه بما وصل إليه الحال على الجبهات ليرى في ذلك رأيه، وهذه ثقة أبَويّة عميقة صادقة.

وفي تلك المكاتبات ظهرت طاقات خليفة رسول الله وشموخ قيادته وسداد تدابيره وبعد نظره، فلم يفجأه حدث ولم تهزه عاصفة من عواصف الروم ومن قبلهم مجوس الفرس فكان ميمون الرأي صائب التخطيط كأنما ينظر إلى ما يدبره العدو من طرف خفي.

والأمر الآخر المعنويات العالية عند الجند وقادتهم، مع ما يرون من أعداد وعتاد عند أعدائهم، واليقين الراسخ عند خليفة رسول الله فعندما كانوا يخاطبونه بما هالهم من موقف الروم ونفيرهم كانوا كأنما يخبرونه بما هو أعلم به منهم.

وبقي على الحال نفسه لا تردد ولا وجل فهو يخاطبهم بعد كل ما شرحوه عن تطورات الموقف أن أقدموا ولا تستوحشوا وأن الله معكم، فأنتم على الحق وعدوكم على الباطل؛ لأنه رفض الإسلام ورد الدين وكذب النبوة.

تقدير خليفة رسول الله لشجاعة المسلمين ومن قاتل منهم الروم، وثناؤه عليهم وشهادته لهم بأنهم يحبون الموت أكثر من محبة الروم للحياة وما ذلك إلا لطمع المسلمين فيما عند الله تعالى.

استخدام خليفة رسول الله التوجيه المعنوي الذي يرفع الاستعداد للعطاء والتضحية، فهو يرى أن لجوء هرقل إلى أنطاكية وهي في أقصى بلاد الشام، هزيمة له ولجنده، وأن ذلك الانسحاب هو بداية النصر للمسلمين، كما أن حشوده ما هي إلا أمر طبيعي؛ إذ لا يوجد أحد من الناس يترك ملكه دون مقاومة.

وفاء خليفة رسول الله بما كان يعد به المسلمين بالجبهات وأنه سيمدهم بما يحتاجونه وبما يضمن لهم النصر، وكان صادقًا في ذلك إلى أبعد الحدود؛ فما إن يتوفر له المائة أو المائتان من المجاهدين إلا وأمّر عليهم واحدًا منهم وأرسلهم إلى إخوانهم فاستمرت الإمدادات على قلتها متواصلة تتدفق راياتهم إلى أرض المعركة مما كان له أطيب الأثر في نفوس المسلمين وأشد الوقع على قلوب الروم الصليبيين.

إن علامات النصر كان يراها خليفة رسول الله في نفوس الروم وهذا ما بشر به جنده في ثغور الشام، حيث ذكرهم بقوله ﷺ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[1] وأن الرعب هو الذي كان يهزم كثيرًا من المشركين الذين قاتلوا رسول الله ﷺ وأن المسلمين يقاتلون عن ذلك الدين الذي هزم أعداءه بالرعب.

ومثلما تأكد للمسلمين أن الله قد أيدهم بالرعب الذي أخذ يضرب قلوب الروم وقادتهم، فإن خليفة رسول الله قد بين لهم أن جند الله الذين نصروا النبي ﷺ يوم بدر هم قريب من المؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[3].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ح (٤٢٧)، اللالكائي: شرح اعتقاد أصول أهل السنة، ٤/ ٧٨٢، الآلوسي: روح المعاني، ٤/ ٨٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

موقف خليفة رسول الله من طلب الأمراء الإمدادات منه:

لما أتى كتاب أمراء المسلمين في الشام إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يستمدونه علاوة على الإمدادات التي تقدم ذكرها، وهو يمدهم ويجيبهم بما يحبون، أراد أن يلفت انتباههم إلى ما يؤمنون به ويعتقدونه ورأوه بأم أعينهم فيما كان يحصل مع المشركين في حياة رسول الله ﷺ فكتب إليهم: «إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحضر جندًا «الله عز وجل» فاستنصروه، فإن محمدًا ﷺ قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربعة فراسخ»[1]. أي يوم اليرموك فيما بعد هذا الكتاب، ولكن خليفة رسول الله لم يقل لهم هذا القول فحسب بل قال رضي الله عنه أيضًا: خالد لها، والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد. فبعث إليه وهو بالعراق، واستحثه في السير، وكتب له أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، أي مسيره إلى الحج بغير إذنه، كما هنأه خليفة رسول الله على ما أنجزه للمسلمين من إنجازات وفتوح واسعة، وهنأه على بشارات قبول ذلك المبنية على النية الخالصة لله، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، فإن الله له المنّ وهو ولي الجزاء. قال ابن جرير الطبري: فوجه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد أميرًا على الأمراء الذين بالشام.

فمن تأمل كتاب رد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه على خالد ورده على أمراء الشام رضي الله عنهم يظهر له شدة ثقته بخالد، وقوة اعتماده على حسن قيادته وجميل سيرته في المؤمنين وعظيم سطوته بالأعداء من المجوس والصليبيين، وشدة بأسه، وعظيم إقدامه وجرأته المدهشة على المشركين، ويحق له ذلك؛ لأنه برهن للخليفة سابقًا ولاحقًا وللأمة أجمع عن موقعه القيادي، وتفوقه على أقرانه من القادة الأفذاذ من قواد الإسلام وفي كل

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٦.

المقاييس، حيث كانت البشائر والغنائم متواصلة على عاصمة الإسلام من خالد وجنده رضي الله عنهم وكذلك الأسرى والسبايا من العراق يتلو بعضها بعضًا بدون انقطاع، ولم يأت الخليفة من الشام مثل ما أتاه من خالد، بل ولا بعضه مع أن جيش الشام كان أكثر عددًا وقادة من جيش العراق الذي كان مع خالد، وهذا كله محل إجماع لا خلاف فيه.

وحق لمن سمّاه رسول الله ﷺ سيف الله، ومن قال عنه خليفته رضي الله عنه: لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد!! وقول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه: عجزت النساء أن تلد مثل خالد. ومن قال عنه أُكيدر دومة الجندل: لا يرى أحد وجه خالد إلا ويفر!! حق له أن ينجز ما أنجز من تحطيم الجيوش وقطع الفيافي وقتل القادة المتترسين في وسط جيوشهم وبين أبطال حماتهم!!

ومن أمعن النظر في كتب الخليفة ومواقف خالد منها يجد التوافق التام والمحبة الشديدة بينهما، ونظرًا لعظمة الروح القيادية والإقدام الذي يتحلى به خليفة رسول الله، من خلال مواقفه التي يلمسها سيف الله في توجيهاته وتخطيطه واستشرافه لمستقبل المواقف العسكرية الميدانية وهو بعيد عنها، وتسليم خالد رضي الله عنه لكل ذلك وعمله به دون أي إضافة وكأن خليفة رسول الله معه بأطراف الثغور يتجول بين المقاتلين وينظر إلى المجوس والصليبيين، ويعد الخطط وخرائط مواقع القتال وما يجب أن يفعله المؤمنون، فمن أمعن في ذلك اتضح له مقام خليفة رسول الله الفريد بين القادة والمخططين العسكريين والمنظرين السياسيين.

وفي يقين خليفة رسول الله بالنصر وثقته المطلقة بموعود الله بنصر هذا الدين، أصبح مخططًا مبدعًا للفتوح، وهو على أتم حالات الطمأنينة بنتائج الجهاد وثمار مواجهة المشركين بكل أصنافهم. يضاف إلى ذلك ثقته بنصر الله لهذا الدين بسلاح الرعب الذي يربك الأعداء ويسقط في أيديهم إمكانية تنفيذ الخطط التي يضعونها لمهاجمة أو مواجهة المسلمين كاملة لما هم فيه من هزيمة نفسية، إضافة إلى ثقة خليفة رسول الله بإمداد الله للمجاهدين المؤمنين الصادقين بجند من عنده كما أمد الله تعالى رسوله الكريم ﷺ ومن كان معه وما ذلك إلا

لأن الأهداف واحدة والمقاصد واحدة والرسالة ذاتها، يؤكد ذلك ويوضحه كتب خليفة رسول الله إلى قادته في الثغور، حيث إن كتبه كانت تفعل فعلها في نفوس المسلمين وتزرع فيهم الطمأنينة ورباطة الجأش والجرأة على العدو والثقة بإنجاز موعود الله لهذه الأمة.

اجتماع خالد بأمراء المسلمين في الشام:

لما وصل خالد رضي الله عنه إلى الشام بعد تلك الرحلة الإيمانية والحمية الإسلامية والغيرة الأخوية، وقد كان أمر الخليفة واضحًا بأن يكون خالد هو الأمير على أمراء الشام، فلم يخبرهم بذلك سموًّا إيمانيًّا وأدبًا قرشيًّا ودرسًا عميقًا للمتقاتلين على الدنيا وفتاتها في هذا العصر حتى أضاعوا الأمة وأقصوا عقيدتها ومزقوا هويتها حتى تسلط عليها من كان خولًا لأبنائها.

ولما لم يخبرهم بأنه هو الأمير ووجدهم على حالهم لم يعينوا قيادة موحدة، تدارسوا معه الوضع العام هناك، فقالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر رضي الله عنه لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم الذي كان ويكون لجمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله، فلو أُفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه إن دان له، وإن تأمر بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله، هلموا فإن هؤلاء قد تهيؤوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدًا، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعوني أليكم اليوم[1].

فكان لرأي خالد رضي الله عنه وخطبته وقع عظيم وفائدة كبرى، فقد نشأ منها أنه جمع كلمتهم، وألف ذات بينهم وأرضاهم بتواضعه وحكمته التي استعملها في مداولة القيادة العامة

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصدّيق، ٢٠٠.

بينهم، مع أن كل أمير من أولئك الأمراء العظام له رأي ثاقب، وفكر سديد، وحكمة باهرة، تؤهله لأن يقوم مقام خالد ولكنهم لمّا لم يفعلوا حتى جاءهم سيف الله كان له تسجيل ذلك الموقف العظيم، وإن كان ميدان تنافسهم آنذاك ليس على السمعة أو المتعة وإنما على علو المنزلة عند الله تعالى، ومن ثم نيل رضا المسلمين وخليفتهم ودعائهم لهم بالنصر والقبول، ولا سيما في مواطن البأس وميادين الوغى، وكلهم يريد التضحية في سبيل الله تعالى لينال الشهادة أو النصر، وهذه محل مباراة العظماء من الناس وميدان السباق بين كرامهم، غير أن الله تعالى قدر لخالد بن الوليد أن يكون هو الأسبق في الفضل، وأن يكون يوم اليرموك له رأيًا وقيادة ونصرًا تاريخيًّا لا يشبهه نصر آخر، حيث كان الموقف من الخطورة أنه مقرون به مصير الأمة، فإما أن يحقق المجاهدون نصرًا ثماره يانعة، وإما أن تحل بهم هزيمة ثمارها علقم وهلاك.

ولعل المتمعن في موقف خالد رضي الله عنه وأنه لم يعلم إخوانه الأمراء أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه أمّره عليهم، يستقي منه العبر والدروس التي تبين كرم تلك النفوس الطاهرة، بما يزيل عنه أي استغراب عن تحقيقهم لتلك الإنجازات الباهرة، التي ما هي إلا معجزات قياسًا على جهود من هو في مثل ظروفهم وقوتهم تجاه قوة خصومهم، بل إن الموقف من الإمارة وزهد الصحابة فيها ثابت وهو خلق من أخلاقهم، وذلك لتربيتهم الإيمانية التي تدعو إلى الزهد في الدنيا من جانب، ومن جانب آخر فإن التخفف من المسؤوليات خُلق إسلامي لأهمية الأمانة في نفوس المؤمنين والخشية من تبعاتها، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1].

وموقف سيف الله من عدم إعلانه أنه جاء أميرًا على أمراء جند الشام، هو الموقف ذاته الذي فعله أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه حين ولاه عمر رضي الله عنه في أول خلافته

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

إمرة المسلمين في الشام وجعل سيف الله معاونًا له، حيث أخفى أمين الأمة الخبر ولم يعلنه حتى اكتشفه المسلمون وهذا يؤكد زهدهم وكمالهم وأنهم أكبر من مواقع المسؤولية مهما كبرت تلك المواقع، وثقة بعضهم ببعض ثقة مطلقة لا تغيرها المواقع ولا المكاسب، لأن غاياتهم سامية ونواياهم طاهرة ويبتغون المكافأة من الله تعالى، إضافة إلى ما يتمتعون به من القدرات العالية والأهلية التامة للإمارة والجندية، وكمال النفوس التي يتساوى عندها موقع الأمير والجندي، مما يؤكد عظمتهم وأن الإمارة والقيادة هي التي تتزين بهم وتزهو بهم عندما تنسب إليهم رضي الله عنهم، وهذا يعكس كثيرًا من أسباب الفشل والعجز والتردد التي تعاني منها كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة التي يقتتل بعض رموزها على مواقع القيادة، وكأن من يصل إلى تلك المواقع بالطرق الملتوية والمخادعة أو الإقليمية والحزبية العمياء قد أصبح قائدًا ناسيًا أن القيادة صفة خلقية، منها مكتسب ومنها متأصل في نفس القائد وطبعه ومعدنه، فمن يصل إلى موقع القيادة بالقوة أو الحيلة أو الرشوة أو التزييف والتزوير، لن يكون قائدًا ولن يغير من حقيقته أنه لص أو مرتشٍ أو زائف، وسيكون عورة في ذلك الموقع المُغتصب، ولن يجلب على أمته أو جماعته أو حزبه سوى الهوان والعار والكوارث، لأن من لم يُزين موقع القيادة بفعاله فلن يزينها بنياشينه المستعارة أو المزيفة، لأن القيادة أمانة ومسؤولية تزدان بأشراف الناس وأمنائهم من أصحاب الأيدي الطاهرة، والقلوب المؤمنة والجيوب النظيفة والمشاعر السامية؛ التي إذا ابتليت صبرت وإذا ظفرت تواضعت وشكرت، كما كان خليفة رسول الله وأصحاب النبي ﷺ يتخلقون بذلك ومن عمل معهم من الأمراء وأكارم الرجال الذين تباركت بفعالهم الحضارة البشرية واستنارت بعظمة مواقفهم الأمم والأيام.

ومن هنا فإن موقف خالد من الإمارة في ذلك اليوم الرهيب موقف بطولي أسمى من مفهوم الزهد في الإمارة وما يدور حول هذه المعاني الكريمة، حيث قبل رضي الله عنه أن يفتدي إخوانه الأمراء جميعًا وأن يتحمل أعباء ذلك الموقف العصيب على الأمة، فأراح نفوسهم من تحمل مسؤولية ذلك اليوم الذي له ما بعده على كيان الأمة الناشئ وعقيدتها

السماوية الخالدة، أي أن الأخطار لم تكن محصورة في الجانب العسكري فقط، وإنما المسؤولية العظمى أمام الله تعالى رب هذه العقيدة، ومن ثم أمام خليفة رسول الله الذي يتسابق المؤمنون على نيل رضاه ودعائه لهم بكل الوسائل؛ لأن رضاه من رضا الله تعالى ورسول الله ﷺ الذي توفي وهو يوصيهم في صاحبه ويحذرهم من خذلانه فيقول: «**يا أيها الناس احفظوني في أبي بكر فإنه لم يسؤني منذ صحبني**»[1]. كيف لا وقد كان هو نصيره الوحيد يوم الهجرة في مواجهة أخطار المشركين؟ قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾[2]. لقد أثبت أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان يوم اليرموك أنهم أهل لتولي أعظم المسؤوليات، وأنهم بعقيدتهم عقيدة التوحيد هم المؤهلون لقيادة العالم على أسس من الرحمة والمساواة وحفظ الحقوق وكرامة البشر مهما كان دينهم فرضي الله عن تلك النفوس الطاهرة وأخزى الله مبغضيها في الدنيا والآخرة.

اختيار موقع المعركة:

جاء رد خليفة رسول الله على كتاب الأمراء رضي الله عنهم حين أخبروه بما وقع من أمر اجتماع الروم، فكتب إليهم أن يجتمعوا ويكونوا جندًا واحدًا، فيلقوا جنود المشركين، وقال: أنتم أنصار الله والله ينصر من نصره، وخاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه. وقال الصدّيق: والله لأشغلنّ النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد. وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق، فكان ما تم ذكره.

قالوا: ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد رضي الله عنه: ويلك أتخوفني بالروم؟ وإنما تكثر

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٣٥. المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٣٢٥٦٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد. وكان فرسه قد حفي واشتكى في مجيئه من العراق.

وكان جيش الروم قد بلغ مائتين وأربعين ألفًا وهرقل ما زال يمدهم بالعدد والعدة، وذكر ابن كثير أنه كان على البحر القيقلان[1] وبلغ جيش المسلمين ما بين ستة وثلاثين ألفًا إلى أربعين ألفًا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وحين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه قريبًا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره، قال عمرو رضي الله عنه: أبشروا أيها الناس، فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير. ويقال: إن الصحابة والتابعين لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان رضي الله عنه فقال: ما كنت أظن أني أعمر حتى أدرك قومًا يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم يسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر، ويتأخر خالد بالثلث الآخر، فإذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم ليصل إليهم البريد والمدد. فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأي هو[2].

فيتبين من هذا أن كلا الفريقين قد اختار موضع المعركة بما يتوافق مع رؤيته العسكرية ومصالحه التموينية والأمنية وبما يجعل أمر التواصل مع القيادات العليا متاحًا وميسورًا، فكانت خطط الفريقين متقاربة في ذلك الاختيار إلا في نقطة واحدة حيث اختار الروم موضعًا من صفاته أن يكون ضيق المهرب، بينما المسلمون اختاروا موضعًا متصلًا بالبر في أوسع ما يكون في المخرج، وفي هذا الاختيار تظهر الفوارق الشاسعة بين من يقاتل عن عقيدته طائعًا مختارًا حيث لا يوجد في قواميسه شيء اسمه الهرب، وبين من يقرأ الهزيمة في

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥.

(٢) السابق: ٧/ ٧.

نفوس جنده فيختار لهم المكان الذي يعيق فرارهم ويسمح لهم بالقتال فقط، وهذا ما قرأه الخبير العسكري المسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه وبشر به المسلمين بأن الروم قد حصروا ولن يفلح المحصور.

خطة المعركة:

كانت معركة اليرموك معركة فاصلة لم يدخر فيها أحد من الطرفين شيئًا من قوته ولا من تخطيطه وتدابيره، فأخذ كل منهما بأقصى درجات الإعداد والاستعداد لما يترتب على ذلك من نتائج مصيرية على كل منهما، فكان في تخطيطهم دقة وجدة وتكامل، أما خالد رضي الله عنه فقد ابتكر تخطيطًا لم يُسبق إليه من قبل، تمثل ذلك في نظام الكراديس الذي خرج به جيش المسلمين، لكي يتمكن من تغطية الفارق الكبير في العدد بينهما، فكان في ذلك الإبداع الذي حقق كل أهداف المسلمين الذين نفذوه بأقصى درجات المسؤولية والكفاءة والنظام.

فخرجت الروم في تعبئة لم يُر مثلها قبلها قط لما فيها من التنظيم والتقسيم والكثرة الهائلة.

وخرج خالد في المسلمين بتعبئة لم تعبئها العرب من قبل لا في الإسلام ولا في الجاهلية. فقسم جيش العرب المسلمين إلى ستة وثلاثين كردوسًا إلى الأربعين، كل كردوس فيه ألف رجل عليهم أمير، وجعل أبا عبيدة في القلب، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان. وأمّر على كل كردوس أميرًا، وعلى الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقباض أي الغنائم عبد الله بن مسعود والقاضي يومئذ أبو الدرداء، وقاصهم الذي يعظهم ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب، وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود، وكان في جيش المسلمين أيضًا الكثير من الصحابة الكرام المقربين إلى رسول الله ﷺ.

وكان خالد بن الوليد هو المشير في الحرب والقائد العام الذي يصدر المسلمون كلهم عن رأيه فأقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم

غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال.

فلما تصاف المسلمون مع عدوهم قام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأيدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم.

وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يشاوره في أمر المواجهة فقال له أمين الأمة: قل أمرك أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإني أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم رأوا أنفسهم من ورائهم. فقال له: نعم ما رأيت. فحققت تلك الفكرة للمسلمين الخير الكثير من دفع الشر عنهم والإسهام في إيقاع الهزيمة في جيوش الصليبيين.

فكان خالد في أحد الخيلين من وراء ميمنة المسلمين، وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى من وراء ميسرة المسلمين، وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله حتى إذا رآه المنهزم استحيا منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم ابن عم عمر الفاروق رضي الله عنه وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها، فقال لهن: من رأيتموه موليًا فاقتلنه. ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه وبذلك فرغ المسلمون من أخذ أماكنهم ومعرفة مهامهم بما في ذلك النساء المسلمات اللواتي كنّ مع المجاهدين[1] يسهمن في صناعة نصر الدين وعز الأمة، فكان التخطيط مباركًا والتنفيذ دقيقًا والتنسيق والتعاون يأخذ بالألباب، والتضحية وافتداء المسلمين بعضهم بعضًا فوق ما يتصوره البشر، فأثمر ذلك التكامل والتوافق نصر الإسلام وهزيمة الصليبيين وتطهير بلاد الشام فيما بعد تلك المعركة من الشرك والمشركين.

(١) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٨.

الوعظ والإرشاد والتوجيه:

إن المجاهدين المشاركين في جيوش الفاتحين كانوا يتفجرون إيمانًا ويقينًا بعدالة جهادهم وشرعيته ولا أدل على ذلك من أنهم جاؤوا متسابقين طائعين مقدمين كل ما يملكون في سبيل عقيدتهم، ولكن كان لا بد من التذكير الذي يقوم به أهل العلم والتجربة الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح والإخلاص والقبول، لتنبيه الغافل وتعليم الجاهل واستحضار النوايا وإعداد النفوس، فلما تراءى الجمعان وتواقف الفريقان قام الوعاظ والمرشدون يذكرون المسلمين ويحضونهم.

فقام أبو عبيدة رضي الله عنه فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدؤوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

وقام معاذ بن جبل رضي الله عنه فجعل يذكر المسلمين ويقول: يا أهل القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1]. فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فُرارًا من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: يا أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأُسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

إحسانًا، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفرًا كَفرًا - أي قرية قرية - وقصرًا قصرًا، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان رضي الله عنه: يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى: يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله ﷺ والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه رضي الله عنه.

ووعظ الناس أبو هريرة أيضًا فقال: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم.

وقالوا: كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة رضي الله عنهم منهم مائة من أهل بدر رضي الله عنهم. وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

دعوة الروم إلى الإسلام:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذارق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستحل دخولها

فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه. فجلس معهم حيث أحبوا، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك.

مفاوضات:

وذُكر أن القائد الرومي ماهان طلب خالدًا ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان: إنا قد علمنا أنه ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد رضي الله عنه: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وإنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نُحدث به عن العرب. وهذه صورة من الحرب النفسية فالرومي يعرض المال والمتاع مقابل أهداف الخلافة ومفاهيم الشريعة ومتطلبات نشر الإسلام، وهذا ما زال يدين به الصليبيون فيصطادون أصحاب النفوس الرديئة من الانتهازيين، ثم يستخدمونهم ضد عقيدتهم وأمتهم مقابل ثمن بخس مغموس بالذل والاحتقار من شعوب المسلمين.

قالوا: ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو، وهما على مجنبتي القلب أن ينشبا القتال، فبدرا يرتجزان، فقال عكرمة رضي الله عنه:

قد علمت بهكنة الجواري ... أني على مكرمة أحامي

وقال القعقاع:

يا ليتني ألقاك في الطراد ... قبل اعترام الجحفل الوراد[1]

ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحميت الحرب وقامت على ساق: هذا وخالد رضي الله عنه مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف والأبطال

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٣٥.

يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر إمرة الحرب أتم تدبير.

وكان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى؟ فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه، ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية: جرح.

وجعل معاذ بن جبل رضي الله عنه كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يحرضون الصليبيين على حرب الإسلام يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء.

وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان، وكان متنسكًا فيهم، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت سور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت رايتهم، وانكشفت زبيد ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهوا مَنْ أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من المسلمين، واستقبلت النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها تقول:

يا هاربًا عن نسوة تقيات فعن قليل ما ترى سبيات

لا حظيات ولا رضيات

قال: فتراجع الناس إلى مواقفهم.

وقال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفرّ منكم

اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثبتوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم خلق؛ منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم أجمعين.

ولعل في موقف عكرمة وتلك الثلة المباركة من أبطال المسلمين ووجوه العرب من الصحابة والتابعين في المبايعة على الموت وليس على النصر أو الشهادة وإنما على الموت فقط حتى يردوا سيول الصليبيين التي تتدفق على الأمة والعقيدة، لعل في ذلك ما يلجم المرجفين في هذا العصر من الأذناب وباعة العقيدة والهوية المثبطين الذين ما زالوا بلاء على الأمة، تظهر بوائقهم أيام المحن والشدائد إرجافًا بالأمة وعبثًا بمصيرها ومستقبلها، عندما يجترئون - وهم القاعدون المفلسون - على إصدار الفتاوى التي تمنع الدفاع عن الأمة وتقر دين العلمانية أو دين الردة التي قامت أسسه على هدم الإسلام واستباحة أهله.

وقد زين هؤلاء الأكارم مواقفهم البطولية الرائعة بصور من الإيثار والكرم الذي يذهل العقول ويدعو إلى الإعجاب والفخار بذلك الجيل الفريد في صفاته ومقاصده، فلما صُرعوا من الجراح التي أصابتهم رضي الله عنهم استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال الأول: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال الثاني: ادفعها إليه. فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم، إيثارًا على النفس في أشد ساعات الحاجة وأكثرها إيلامًا، وكرمًا بطوليًّا شامخًا حتى عند الموت رضي الله عنهم أجمعين، بينما في عصر الهزيمة هذا يضرب كثير من قادة ما يسمى بالحركات الإسلامية في أمثلة من صور الاستئثار والتكالب على الدنيا ومواقف السوء والأنانية والعمل تحت أي راية وبأي وسيلة على حساب الأمة والهوية، والتمسك بذلك إلى ساعات الموت وبما تدمى له القلوب وتخزى به النفوس.

ويقال: إن أول من قُتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة رضي الله عنه فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني

السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. قال: فتقدم هذا الرجل فقاتل حتى قتل رحمه الله.

قالوا: وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحى، فلم تر يوم اليرموك إلا مخًّا ساقطًا أو معصمًا نادرًا[1] أو كفًّا طائرة من ذلك الموطن.

ثم حمل خالد رضي الله عنه بمن معه من الخيالة على ميسرة الروم، التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب، فقَتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف مقاتل، ثم قال لإخوانه مشجعًا: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم. ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، لما فيهم من الرعب والرهبة وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنع الصليبيون منهم، لما أصابهم من الفوضى وشدة الخوف.

قالوا: وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من جهة الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال له: ما الخبر؟ فقال له سرًّا بينهما: إن خليفة رسول الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه المؤيد المنصور قد توفي واستخلف عمر الفاروق رضي الله عنه واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه فأسرّ خالد رضي الله عنه خبر وفاة خليفة رسول الله ولم يبد ذلك للمسلمين أثناء سير المعركة، لئلا يحدث وهن أو لغط في تلك الحال، وقال لصاحب البريد: أحسنت. والناس يسمعون، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب ومقاتلة الروم الصليبيين، واصطحب الرسول الذي جاءه بالكتاب معه في ساحات القتال، وكان رسول المدينة إلى المسلمين في الشام محمية بن زنيم.

(١) نادرًا: ساقطًا. اللسان (ن د ر).

إسلام القائد الروماني جرجة:

إن من أهم ميزات الإسلام أنه صالح لكل زمان ومكان، ولعل في إسلام القائد جرجة خير مثال على هذه المقولة ومع انشغال المسلمين والصليبيين في معركة مصيرية إلا أن ذلك لم يمنع جرجة أن يسأل عن الدين ويستفسر عما يجيش في نفسه تجاهه وتجاه ما يسمعه عنه وعن أهله، وكذلك لم تمنع الحرب ولا القيادة وشواغلها وفي وسط المعمعة من أن يتفرغ قائد المسلمين للإجابة على تساؤلات ذلك المتعلم بأمور الدين حتى يوضح له كل ما يستفسر عنه، فينتهي ذلك بإسلام جرجة وبأن يمن الله عليه بالشهادة في ذلك اليوم الذي أسلم فيه ليقبل على ربه وقد عَمِل قليلًا وأُجِر كثيرًا، وكل هذا يدل على أن الإسلام هو دين العالمين الذي لا تحده حدود ولا تحجزه عوائق، وأن هدفه هو نشر عقيدة التوحيد التي لا تصلح الأمم إلا على معانيها كما أن أخلاق الحرب في الإسلام قائمة على الرحمة وحب الخير للآخرين حتى لو كانوا محاربين، وأن الحروب التي جرت في الإسلام لم تزد عن الدفاع عن النفس أو رد العدوان أو تأديب المعتدين على الدين والأمة أو إزالة العوائق التي يضعها المشركون والملحدون الرافضون لدين الله الذي جاء به محمد ﷺ رحمة ونذيرًا للعالمين. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

قالوا: وخرج جرجة أحد الأمراء الكبار وقادة الجيوش الرومانية من الصف واستدعى خالد بن الوليد رضي الله عنه فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا! قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه ﷺ فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

سيوف الله سله الله على المشركين. ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجة: يا خالد إلامَ تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به ﷺ من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال خالد: فالجزية ونمنعهم - أي نحميهم. قال: فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل دينكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد رضي الله عنه: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا؟ فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله تعالى ولي ما سألت عنه. وفي موقف سيف الله من إسلام جرجة ما يؤكد أن هدف المسلم هو الأجر والمثوبة من الله تعالى طمعًا فيما أخبر به رسول الله ﷺ حين قال: «**لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حمر النعم**»[1].

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد رضي الله عنه وقال: علِّمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم، إلا المحامية وعليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام. فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا فتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب،

(١) البخاري: صحيح البخاري، ح (٣٤٩٨). مسلم: صحيح مسلم، ح (٢٤٠٦).

وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء، وأصيب جرجة رحمه الله ولم يصل لله تعالى إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنه فضعضعت الروم عند ذلك، ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم لها حتى ذهبوا لا يلوون على شيء[1].

وأخر النّاس صلاة المغرب والعشاء حتى استقر الفتح، وعمد خالد إلى الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم، ثم تبعوا من فرّ من الخيالة واقتحم خالد رضي الله عنه والمسلمون عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه. قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفًا سوى من قتل في المعركة[2].

وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقًا كثيرًا من الروم، وكنّ يرمين من انهزم من المسلمين بالحجارة وغيرها ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال، وهذا امتداد لدور المرأة العربية المسلمة التي أسلمت وبايعت وتحملت مع رسول الله ﷺ وأصحابه ما كانوا يتحملونه من عنت المشركين وظلمهم وحصارهم، وبعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال قاتلت وشاركت في المعارك بخدمات متعددة، مع محافظتها التامة على حشمتها وحجابها وعبادتها، بعكس ما تقوم به كثير من نساء هذا العصر اللواتي قلدن أعداء الإسلام في الملبس والمأكل ونزعن الحجاب الذي فرضه الله تعالى عليهنّ. في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾[3]. مما يؤكد أن هذا الدين أمانة في أعناق الجميع رجالاً ونساء عربًا وعجمًا، ومن الجهاد في هذا العصر محافظة المرأة على حشمتها ومظهرها الإسلامي الذي أمر الله تعالى به، وكل يعمل بما يستطيع عليه والأجر والمثوبة من الله تعالى.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١١. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٨. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٣. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٨. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

وبعد أن رأى الروم إقبال المسلمين بقيادة أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة والجهاد لم يعد فيهم قدرة على المتابعة والمصابرة فهزمت الروم وتبعثر أمرهم، فكان من صور هزيمتهم:

أن تجلل قائدهم القيقلان ومعه أشراف من قومه من الروم ببرانسهم. وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين النصرانية فلنمت على دينهم. فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم.

قالوا: وقتل في ذلك اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأُثبت خالد بن سعيد فلا يُدرى أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة حيث رأى رؤيا وقصها على من معه من الصحابة فبشروه بالشهادة وأن ابنه سيلحق به فيما بعد فكان لهما ذلك، واستشهد كثير من المسلمين ممن اختارهم الله تعالى واجتباهم فجزاهم الله عن هذه الأمة وعقيدتها خير الجزاء ورضي الله عنهم وأرضاهم.

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالًا شديدًا، وذلك أن أباه مرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محققًا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين؟! أولئك أحق بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالًا شديدًا وكان من ناحية القلب رضي الله عنه، وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتًا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين. قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد رضي الله عنهما، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان فأخرج السهم من عينه أبو حثمة، وكان من النساء اللاتي قاتلن يومئذ جويرية بنت أبي سفيان[1].

---

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٣، ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٨، الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٧.

وقد أكمل خالد رضي الله عنه ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل، وكان هو الأمير العام للروم كلهم يومئذ وقد هرب فيمن هرب من جنده وقادته ولا سيما الخيالة، وباتت خيول المسلمين تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مرّ بهم من الروم حتى أصبحوا، ثم قتل تذارق وكان له ثلاثون سرادقًا وثلاثون رواقًا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حاز المسلمون ما كان هنالك من الغنائم بما لم ير مثله من قبل، فكان يومًا مشهودًا أعز الله به أهل طاعته وأذل أعداءه من الذين: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1].

ولكن مما نغص على المسلمين فرحة ذلك النصر الفريد يوم اليرموك على أعتى وأقوى دولة على وجه الأرض آنذاك، هو سماعهم بوفاة خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه الذي كان فئتهم وملجأهم بعد الله تعالى عند الشدائد، فبمواقفه كانوا يقتدون، ومنها يتعلمون ويقتبسون ما كان يحاكي به قيادة رسول الله ﷺ بحزمه وفهمه وحذره وتواضعه، وصفائه ومودته، ولكنّ الله تعالى عوضهم عن خليفة رسول الله بأمير المؤمنين عمر الفاروق الذي كان على منهج رسول الله ﷺ وصاحبه الصدّيق رضي الله عنه دون تغيير أو تبديل، حتى جنت الأمة ما كانت تجنيه من قبل من الانتصارات والعدل والأمن والرفاه والرعاية؛ إذ إن خليفة رسول الله ﷺ توفي بعد أن اختار للأمة من يصلح لقيادتها في تلك المرحلة ممن كان في مدرسة القيادة النبوية والقيادة الصدّيقية التي عاش أيامها لحظة بلحظة.

وكانت الروم قد انتهت منهزمة إلى هرقل وهو بحمص، والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون. فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين ويتترس بها، وقال هرقل: أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم[2].

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥.

وقال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ونحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا فلبث مليًّا ثم جاءه فقال: من عند رجال دقاق يركبون خيولًا عتاقًا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثًا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به[1].

لعل النصر الذي حققه المسلمون يوم اليرموك يعد أعظم حدث عسكري يتحقق على أيدي الجيش الإسلامي النظامي الذي تديره قيادة واحدة، لما فيه من كسر شوكة الدولة الكبرى آنذاك التي يتمتع أهلها بعقيدة ولها رجال دين وعلماء لاهوت يُسمع لهم فيما يزودون به أتباعهم من معلومات مغلوطة تثير الأحقاد على المسلمين.

وكذلك لتمكن المسلمين من الانتصار على أكبر حشد عسكري يحشده الروم ضد المسلمين في العدد والعدة حيث بلغت جيوش الروم مائتين وأربعين ألفًا سوى الأتباع والإمدادات المتواصلة إلى أرض المعركة، بينما عدد المسلمين حوالي أربعين ألفًا مع كل إمداداتهم.

تبين موقف هرقل إمبراطور الروم مما كان يجري من أحداث إذ تأكدت معرفته بالمسلمين وأنه لا قبل للروم بهم وإن تفوقوا عليهم عددًا وعدة، كما اتضح أنه كان راغبًا في الصلح مع المسلمين، ومستعدًّا لإرضائهم بما يريدون، ولكن كِبر قومه وكراهيتهم للمسلمين قد حال دون تحقيق تلك الرغبة الإمبراطورية.

كما تبينت كفاءة الصدّيق كقائد منتصر يدير الأحداث بأعلى مستويات الحنكة والقيادة على جبهات التخطيط والضبط والقتال والإمداد والتوجيه والإعلام والإدارة لدولة ما زالت

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٥.

ألم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا بأيام العراق
وعذراء المدائن قد فتحنا ومرج الصُّفرين على العتاق
فتحنا قبلها بُصرى وكانت محرمة الجناب لدى النعاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى على اليرموك معروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استجالوا على الواقوص بالبتر الرقاق

وقال الأسود بن مقرن التميمي:

وكم قد أغرنا غارة بعد غارةٍ يومًا ويومًا قد كشفنا أهاوله
لقيناهمُ اليرموك لما تضايقت بمن حل باليرموك منه حمائله
فلا يعدمنْ منا هرقل كتائبًا إذا رامها رام الذي لا يحاوله

و قال عمرو بن العاص رضي الله عنه:

القوم لخم وجذام في الحرب ونحن والروم بمرج نضطرب
فإن يعودوا بها لا نصطحب بل نعصب الفرار بالضرب الكرب[1]

وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو في القتال فواق ناقة عند اللقاء أي مقدار ذبح ناقة، فقال هرقل وهو على أنطاكية عندما قدمت عليه الروم منهزمة: ويلكم، أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٦.

مواجهة المسلمين للتحريض المعنوي الذي كان يقوم به الرهبان والقساوسة، بالوعظ والإرشاد الذي كان يقوم به علماء المسلمين الذين يستمدون علمهم من علوم الكتاب والسنة.

تمكن المسلمون بقيادة خليفة رسول الله من حشد كل الطاقات لمواجهة حشود الروم الكبيرة والمحافظة على الروح المعنوية العالية عند المسلمين.

حِرْص المسلمين على هداية أعدائهم وإخراجهم من أوحال الشرك إلى نقاء التوحيد، تمثل ذلك في تشكيلهم وفدًا ذهب إلى معسكر الروم يدعوهم إلى الإسلام، وكذلك تفرغ خالد رضي الله عنه يوم المعركة لمواجهة القائد جرجة وإبلاغه تعاليم الإسلام حتى أسلم ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل.

وتبين في اليرموك الإقدام الهائل الذي يتسم به المسلمون وجرأتهم الشديدة على خوض الغمرات مهما كانت النتائج ولا أدل على ذلك من تلبية دعوة عكرمة رضي الله عنه التي استجاب لها أربعمائة مجاهد عامتهم من وجوه العرب، قضى أكثرهم نحبه شهيدًا في سبيل عقيدته.

وكذلك ظهرت شجاعة المرأة المسلمة وأهمية دورها في مساندة المقاتلين والثبات على المبدأ حتى النصر أو الشهادة.

وهناك نقطة ذات أهمية خاصة ألا وهي شهادة الروم بين يدي هرقل للمسلمين بأنهم فرسان في النهار رهبان في الليل يقيمون الحدود وينشرون العدل لا يظلمون ولا يتظالمون.

لقد كانت نتائج اليرموك كلها سائغة مبشرة بما بعدها من فتوح ولم ينغصها على المسلمين إلا ما جاءهم من أخبار وفاة خليفة رسول الله الذي كان لهم كالأب الحاني الذي يتفقد أحوالهم ويزودهم بنصائحه وتوجيهاته التي تثمر النصر تلو النصر.

كانت وفاة الصدّيق رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته، وذلك لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض استمر خمسة عشر يومًا، وكان عمر رضي الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من

في طور البناء، بمواجهة أكبر دولة عددًا وعدة، فضلًا عن الجبهة الأخرى التي يقاتل فيها المسلمون الفرس المجوس في العراق.

تأكيد خليفة رسول الله على المسلمين بالتمسك بالتوحيد واللجوء إلى الله تعالى في كل الأحوال، وتوافق تخطيطه العسكري مع القادة الميدانيين في مثل أمره لهم بالاجتماع في عسكر واحد لمواجهة الروم وفي مثل أمره لهم باتخاذ اليرموك مكانًا للمعركة وقد كان ذلك هو اختيارهم ورغبتهم أيضًا.

وكان من ثقة القادة المسلمين بحسن تدبير خليفة رسول الله أنهم لم يكونوا يزيدون على أن يعلموه الحال التي هم عليها مع العدو ليتلقوا التعليمات التي توصلهم إلى أكمل النتائج.

ومما يؤكد ذلك أنه لا يستطيع أحد من المحللين الأولين ولا الآخرين أن يستدرك على خليفة رسول الله فعلًا لم يفعله ويتمنى أنه فعله، وكذلك تبينت ثقته بسيف الله الذي أنجز المهام التي أوكلت إليه كافة.

واتضح حسن التنسيق والتكامل في الجيوش الإسلامية وزهد قادتها في المسؤولية وحب الإمارة، وتبين حرصهم على الشورى التي كانت قيمها هي الفاعلة في جميع تلك الأحداث، ظهر ذلك في اختيارهم الاجتماع في عسكر واحد، ومكان اللقاء مع العدو ووقته.

وتبين شدة حذر الجيوش الإسلامية وقوة استطلاعاتها على مدى أيامهم على الجبهات في أيام خليفة رسول الله فلم يسجل التاريخ عليهم أنهم أخذوا غرة في يوم من الأيام.

وظهر يوم اليرموك إبداع المسلمين في التخطيط والتنفيذ ونجاح كل ذلك في مثل اختيار أرض المعركة وتوقيتها، وتقسيم الوحدات المقاتلة ولا سيما نظام الكراديس الذي كان له الدور الفاعل في تعويض الفارق الهائل في العدد بين الجانبين، ولا أدل على نجاحهم ذلك من محاولة الروم محاكاة مخططاتهم في المكان والتوقيت وتقسيم الجيوش.

بعده إلى عمر وكان الذي كتب العهد عثمان رضي الله عنه وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، وذلك أنه كان صادرًا من موضع محبتهم وثقتهم وعالمهم وسيدهم خليفة رسول الله، فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثًا وستين سنة، مثل السن التي توفي فيها رسول الله ﷺ وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه[1] قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2].

* * *

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

المبحث الثالث

عهد الصدّيق إلى الفاروق بالخلافة ووفاته رضي الله عنه

مشاورة الصدّيق المسلمين في تولية عمر:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

فالشورى خلق إسلامي وقيمة حضارية فاعلة في العمل السياسي الإسلامي وغيره؛ أكدها القرآن الكريم وعمل بها رسول الله والمؤمنون في كل أحوالهم وأطوار حياتهم، فمنذ فجر الإسلام والأمة تعتز بهذا المفهوم الذي يمثل إحدى ركائز حضارتها، فقد كان المسلمون يمارسون حق الشورى دون أي تحفظ ويعيبون من لا يعمل به؛ يؤكد ذلك الخلفاء على الولاة وقادة الجيوش وتتخلق به الأسر والمجتمعات؛ لأنه موروث أصيل في عقيدتها وركن متين من أركان هويتها، فأصبح التعدي على هذه القيمة الحضارية خرقًا لإحدى الثوابت التي بنت عليها الأمة أمجادها، وخروجًا عن هويتها وتعطيلًا لثقافتها الأصيلة، فقد كانت الحياة الإسلامية بكل جوانبها عامرة بالشورى، في عصور كانت فيها الدكتاتوريات هي التي

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

تحكم ومفاهيم عبادة الأباطرة والأكاسرة والركوع بين أيديهم ولثم أقدامهم عند الفرس المجوس والروم الصليبيين هي السائدة في مجتمعاتهم بينما كان رسول الله يستنكر على من يخاطبه بأي لقب غير اسمه وصفته بأنه رسول الله ﷺ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت سيد قريش. فقال النبي ﷺ: «**السيد الله**» فقال: أنت أفضلها فيها قولًا، وأعظمها فيها طَولًا. فقال رسول الله ﷺ: «**ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرنه الشيطان أو الشياطين**»[1]. وقد كان ﷺ يستنكر من يقف له قائمًا تعظيمًا له وهو العظيم السيد ﷺ، ولكنه أراد أن يعلم الأمة لكيلا تقبل الضيم والعبودية إلا لله تعالى، وقد عمل الراشدون بذلك أيضًا ومن بعدهم الأمويون بحلمهم وتواضعهم ومحافظتهم على أكثر سنن الإسلام، ومن ذلك عدم تلقب أحد من خلفائهم بغير اسمه واسم أبيه، وثبت هذا الخلق الإسلامي الحضاري عند كثير من أئمة الأمة وقادتها، ولم يظهر إلا في عصور الضعف والانحطاط الحضاري، والأمثلة على ذلك كثيرة واضحة على مر تاريخ الأمة.

وقد أخذ خليفة رسول الله ﷺ الصدّيق رضي الله عنه في سياسته الناس بكل ما سنّه رسول الله ﷺ وقد كان رسول الله ﷺ يستشير حتى النساء، فلم يترك أبو بكر رضي الله عنه هذه السنّة، ولم يقصر الشورى على كبار الصحابة، وكان إذا لم يجد في الكتاب ولا في السنّة حكمًا لما يعرض له سأل الصحابة رضي الله عنهم فيقول: «عرض علينا أمر هو كذا وكذا فهل عند أحد منكم في هذا الأمر شيء من سنّة رسول الله؟» فإذا أجابه أحد لم يرتض قوله حتى يشهد له آخر بصحة الحديث، ثم يقول: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ سنة نبينا». فإذا لم يجد عند أحد ما يحفظه من حكم السنة في الأمر، جمع له الناس فشاورهم فيه وحاورهم.

وكان يوصي عمّاله وأمراء جنده بأن يشاوروا من معهم من الصحابة ووجوه الناس حتى

---

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (١٠٠٧٤) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (١١٧٢). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

لو لم يكونوا من أهل السابقة وألا يخالفوهم فيما يظهر لهم من حسن رأيهم، في مثل هذه الوصية التي أوصى بها قائده أبا عبيدة رضي الله عنه حين بعث معه قيس بن مكشوح فقال أبو بكر رضي الله عنه: «قد صحبك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب لا أظن له عظيم حسبة، ولا كثير نية في الجهاد، وليس للمسلمين غنى عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب، فأدنِهِ وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج منه بذلك نصيحته لك على عدوك.

ثم دعا قيسًا فقال له: إني بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظُلم كظم، وإذا أسيء إليه غفر وإذا قُطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرًا، ولا تخالفن له رأيًا، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك»[1].

ثم إن خليفة رسول الله سلك في كل أموره مع الرعية سلوك رسول الله ﷺ لا مقلدًا متجمدًا، بل متبعًا بإحسان، ومجتهدًا ومجددًا، وكان رضي الله عنه قد رأى رسول الله ﷺ يولي أمور الدولة أصلح الناس، وينذر بالويل وغضب الله ورسوله ﷺ على من تولى أو ولى أمر المسلمين أحدًا من الناس بغير حق، فما أقام رضي الله عنه أحدًا على ولاية لمودة أو قرابة[2]! وكيف يفعل ذلك أحد من المسلمين ورسول الله ﷺ قال: «**ما من أمير عَشَرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولًا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور**»[3].

مشاورته الصحابة في أمر تولية عمر رضي الله عنهم:

ولما كان خليفة رسول الله أكثر الناس اتباعًا للنبي ﷺ اتباع علم ومشاهدة وتجربة واقتداء إيمان ويقين، فإنه كان يعلم أنه هو المعني الأول في الأمة عن استتباب أمر الخلافة

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٢) الشرقاوي، خلافة أبي بكر الصديق، ١٦٩.

(٣) ابن حنبل: المسند، (٩٥٧٠)، سنن البيهقي الكبرى: ح (٢٠٠٠٢)، الطبراني: المعجم الأوسط، ٦/ ٢١٦.

ومسارها على هدي النبي ﷺ فلم يكن ليتوانى عن القيام بأمر الأمة في آخر أيامه كما قام به في أول أيامه بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن ليهجم على أمر المسلمين دون أن يسير على هدي صاحبه ﷺ بالمشاورة والمدارسة مع وجوه الأمة وأئمتها.

قال الحسن البصري: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنَّه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلّا ميتًا لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلَّ عنكم عقدتي، وردَّ عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنّكم إن أمّرتم في حياة مني كان أجدر ألَّا تختلفوا بعدي.

فقاموا في ذلك وتشاوروا فلم يستقم لهم أمر، فرجعوا إلى خليفة رسول الله فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك. قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

وهذه النصوص تبين أن خليفة رسول الله لم يكن راغبًا في أن يتحمل همّ أعباء اختيار الخليفة وإن كان لا يُقدم على الفاروق أحدًا بعده، فحاول أن يوكل الأمر إلى أهل المدينة ليتحملوا مسؤولياتهم مباشرة، لكن الصحابة رضي الله عنهم بعد المشاورة رأوا أن اجتهاد خليفة رسول الله لهم خير من اجتهادهم لأنفسهم، لذلك فوضوه بالاختيار لهم وأوكلوا الأمر إليه، فتحمل أمر الخلافة بكل جدارة ثانية، كما تحملها أولًا يوم وفاة رسول الله ﷺ فكان في ذلك الخير كله على الأمة وعقيدتها، لما تحقق على يديه من ثبات التوحيد على ما جاء به رسول الله ﷺ وإتمام الوحدة كما يحبها رسول الله ﷺ ومن ثم مباشرة الفتوح واستمرارها على يد خليفته الفاروق الذي اختاره هو باسم الأمة بعد مشاورة أعلامها الذين أجمعوا عليه فكان المؤهل للقيام بأعباء تلك المرحلة رضي الله عنه ثم إنه دعا بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني. فقال له: وإن. فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه[1].

روي أن عبد الرحمن بن عوف قال: إنه أفضل من رأيك إلا أنه فيه غلظة. فقال أبو بكر:

(١) البلاذري: الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه.

ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئًا، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئًا، ولوددت أني كنت من أموركم خُلُوًّا، وكنت فيمن مضى من سلفكم[١].

ثم شاور سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يُسر خير من الذي يُعلن، ولن يلي الأمر أحد أقوى عليه منه[٢].

وسمع بعض الصحابة بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر رضي الله عنهم وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته، وهو إذا وليَ كان أفظ وأغلظ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أجلسوني. فلما جلس قال: أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم إني قد استخلفت على أهلك خير أهلك. ثم قال للقائل: أبلغ عني ما قلت لك من وراءك[٣].

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر الصديق يعوده في مرضه فوجده مقتفيًا، ولعل ذلك كان بعد القول السابق الذي أهاج الصديق فقال عبد الرحمن لخليفة رسول الله: أصبحت بحمد الله بارئًا؟! فقال: أترى ذاك؟ وقال: أما إني شديد الوجع، وما لقيت منكم

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

(٢) الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١، سنن البيهقي الكبرى: كتاب قتال أهل البغي، باب الاستخلاف (١٧٠٤٢)، البلاذري: الشيخان، ٧١.

أيها المهاجرون أشد من وجعي هذا، إني وليت أمركم خيركم في أنفسكم وكلكم ورم من ذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له، وكانت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وحتى يألم أحدكم على الصوف كما يألم أحدكم على حسك السعدان، فوالذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم، فيضرب عنقه من غير حد خير له من أن يخوض غمرة الدنيا، ثم أنتم غدًا أول ضال بالناس يمينًا وشمالًا لا تصفعونهم على الطريق، يا هادي الطريق جرت إنما هو الفجر أو البحر.

فقال له عبد الرحمن: خفض عليك يرحمك الله، فإن هذا يهيضك لما بك، إنما الناس في أمرك رجلان: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل رأى ما لم تر فهو يشير عليك بما يعلم، وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا الخير، ولم تزل صالحًا مُصلحًا مع أنك لا تأسى من الدنيا[1].

فيتبين من موقف ابن عوف رضي الله عنه أنه لا يوجد من يخالف الصديق فيما يختاره وعامة الناس موافق لخيار الصديق رضي الله عنه وإن كان منهم من كان يرى بعض الآراء الأخرى من باب توفير الخيارات لخليفة رسول الله.

وعن معيقيب بن أبي فاطمة قال: كنت على نفقة أبي بكر فلما كان مرضه الذي توفي فيه، أتيته فوجدت عنده أحدهم خاليًا به يعاتبه باستخلافه عمر، فأردت أن أرجع، فأشار لي أنِ اجلس فجلست، فارتفع الكلام فسمعت أبا بكر يقول: لا والله ولا نعمة عين، هو والله خير لكم، والله لو وليتك لجعلت أنفك في السماء ولرفعت نفسك فوق قدرك حتى يكون الله هو الذي يضعك، تريد أن تردني عن رأيي وتفتنني في ديني؟ فوالله لئن بلغني أنك عصيته أو ذكرته بسوء لأفعلن ولأفعلن. ثم قام فخرج.

قال فدنوت من خليفة رسول الله إذ قيل: عثمان وعلي بالباب. فخيل لي أن يسارع إلى دخولهما فأذن لهما ثم قال: لعلكما تقولان في عمر ما قال فلان آنفًا؟ قالا: وماذا قال يا خليفة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤١٧.

رسول الله؟ قال: زعم أن عمر أحدثكم إسلامًا وذكر خصالًا أخرى.

قال عثمان: بئس لعمر الله ما قال فلان، عمر بحيث يحب من قوته مع سابقيه.

وقال علي: بئس ما قال! عمر عند ظنك به، ورأيك فيه إن وليته، مع أنه قد كان واليًا معك نحظى برأيه ونأخذ منه، فامض لما تريد ودع مخاطبة الرجل فإن يكن على ما ظننت إن شاء الله فله عمدت، وإن يكن ما لا تظن لم ترد إلا خيرًا[1].

وبعد كل هذه المشاورات والمداولات اتضح موافقة الصحابة لخليفة رسول الله وإصرارهم على خياره في كتابة العهد بالخلافة لعمر الفاروق رضي الله عنه، وهذا ما تم على أكمل وجه وأفضله، فكان في ذلك إنجاز عظيم الخير على الأمة لما جنت على يدي الفاروق من مكاسب حضارية ومواقف إنسانية جعلت من الأمة الإسلامية سيدة الوجود آنذاك عقيدة وعدلًا وهوية وثقافة وقوة على الصعد كافة.

ولما كان الفاروق أعظم قائد في أمة الإسلام بعد صاحبيه تبين كم هو فضل خليفة رسول الله على الأمة حين اختار لهم هذا القائد القوي الأمين الذي يعد حسنة من حسنات خليفة رسول الله في الصفحات الناصعة لهذه الأمة، حيث أثبت للناس جميعًا مناهج القيادة ووسائل السيادة وكيفية تنفيذ القواعد الشرعية والتفاعل الأصيل مع نصوصها في الحكم والتعامل مع عامة الملل والأجناس الذين انضووا داخل المجتمع الإسلامي.

فلما حصل الإجماع على تولية الفاروق أمر الخلافة كان لا بد لخليفة رسول الله ﷺ أن يزوده بدرر نصحه وجميل تبصيره له واستشرافه لمستقبل الأمة وتحذيره من التقصير أو استبدال الطريق التي سلكها رسول الله ﷺ فباشر بكتابة وثيقة العهد له وبيان مسوغاتها، ثم توالت على الفاروق رضي الله عنه نصائح العالم المجرب الرباني البصير الصبور خليفة رسول الله.

(١) البلاذري: الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

كتابة عهد الخلافة لعمر الفاروق رضي الله عنه:

ومع ما كان يعاني خليفة رسول الله من المرض، فقد دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما دعا به أبو بكر بن أبي قحافة، في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يُؤمن الكافر، ويُوقن الفاجر، ويَصدق الكاذب، إني أستخلف عليكم بعدي... » وأخذته غشية فذُهب به قبل أن يسمي أحدًا، فكتب عثمان رضي الله عنه: «إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب». ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليَّ ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر، فكبر أبو بكر رضي الله عنه وقال: أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيرًا، والله إن كنتَ لها لأهلًا. ثم أمر عثمان رضي الله عنه أن يكتب تتمة الكتاب: «فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ﷺ ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسبت يداه، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[(١)] والسلام عليكم ورحمة الله». ثم أمره فختم الكتاب وخرج به مختومًا، ومعه عمر وأسيد بن الحضير وأسيد بن سعية القرظي رضي الله عنهم، فقال عثمان رضي الله عنه للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم[(٢)].

وكان خليفة رسول الله أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلف عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

يا عمر إن لله حقًّا بالليل لا يقبله في النهار، وحقًّا في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٧١. سنن البيهقي الكبرى: كتاب قتال أهل البغي، باب الاستخلاف (١٧٠٤٣).

نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غدًا إلا حق أن يكون ثقيلًا، ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم؟! وحق لميزان لا يوضع فيه غدًا إلا باطل أن يكون خفيفًا، ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه؟! أولم تر يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولستَ بمعجزه[1].

وروي أن أبا بكر لما أشرف على الناس من كوته فقال: يا أيها الناس إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله. قام علي رضي الله عنه فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر. فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به ثم بايعوا، فرفع أبو بكر يديه فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة، فعلمت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، وأصلح لهم أميرهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدي نبي الرحمة، وهدي الصالحين بعده، وأصلح له رعيته. ثم أوصاه[2].

وفي هذا رد ملجم لمن زعم أن أبا بكر رضي الله عنه استأثر بالأمر من دون المسلمين؛ ومضى فيه برأيه، وأن استخلاف عمر لم يكن عن مشورة الأمة وإرادتها وفي هذا الدليل القاطع على أن عمر إنما ولي الخلافة باتفاق أصحاب الحل والعقد وإرادتهم، فهم الذين

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٧١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائبًا عنهم في ذلك، فشاور حتى تبين له الإجماع، ثم اختار الخليفة، وعرض هذا الاختيار على الناس فأقروه وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم نوابها، وإذن فلم يكن استخلاف عمر رضي الله عنه إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها[1].

قال خليفة رسول الله رضي الله عنه: يا عمر، أبغضك مبغض وأحبك محب وقدمًا يُبغض الخير ويحب الشر. فقال عمر: لا حاجة لي فيها «يعني الإمارة» فقال له: ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب، إني إنما أستخلفك نظرًا لما خلفت ورائي. قد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتني وصحبتي، وإنما اتبعت أثر من كان قبلي، والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإني لعلى السبيل ما زغت، إن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله فإنهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أجوافهم وأحب كل امرئ منهم نفسه، وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم، فإياك أن تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما زلت خائفًا من الله وفرقته، ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك، وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليك[2].

وقال خليفة رسول الله: إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن المتقي آمن محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر، يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط عمله، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف يدك من دمائهم، وأن تضمر بطنك من أموالهم، وأن يجف لسانك عن أعراضهم فافعل، ولا قوة إلا بالله[3].

---

(١) البلاذري: الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.
(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٩٩. عن كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي.
(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٦٠.

فقد أحسن الصدّيق رضي الله عنه الوصية، ومحض النصيحة، وبالغ في الاجتهاد للأمة وأنذر بما هو كائن بعده، فوجد على ما قال رضي الله عنه وحذر بما يوتغ الدين ويقدح في سياسة أمر المسلمين بأوجز قول وأفصحه، وأحسن بيان وأوضحه.

وأوصى لعمر وكان والله كافيًا أمينًا شحيحًا على دينه ضنينًا، فصدق ظنه به، وتحقق تأميله وتقديره فيه، فانقادت الأمور إليه، واستقامت أحوال الأمة على يديه، وعدل الشدة واللين في رعاياه وعدل في أحكامه وقضاياه، والله يشكر له سنّ سيرته ويُجزل ثوابه على العدل في بريته، إنه ولي المؤمنين ومفيض إحسانه على المحسنين[1].

فمن ذا يستوفي في كتاب واحد سيرة إمام الأمة وقائدها الذي تسلم الأمر بعد وفاة النبي ﷺ وليس ثابتًا على الإسلام إلا مكة والمدينة، وعامة الأعراب منتقض عليه عدو له؟! فلم يمت رضي الله عنه حتى سلم الأمر لخليفته وقد ثبت الإسلام واستقر، وبسط رواقه على الجزيرة وضرب خيامه في قلب فارس والروم تخفق فوقها راية الإسلام الغلابة الظافرة، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين وتسيير الجيوش إلى الشام والعراق، من أعظم الناس أثرًا في التاريخ، وكان صاحب الفضل على كل من ينعم اليوم بالحضارة؛ ذلك لأنه لولا دمشق وبغداد وقرطبة، لم تكن باريس ولندن ونيويورك، ولولا أبو بكر رضي الله عنه لم تكن دمشق ولا بغداد ولم تتم هذه الفتوح التي أنقذت الحضارة الأولى وصنعت الحضارة الأخيرة[2].

فتحقق على يدي الصديق رضي الله عنه انتقال السلطة بأسلم الوسائل وأكثرها حضارية وسلامة بالشورى والحوار والدعاء والإشفاق والتقصي والمقارنة والبحث الجاد عن أنجع الوسائل وأوثقها وأكثرها خيرًا للأمة، فنجح رضي الله عنه في ذلك أيّما نجاح، فقمع الفتنة التي كانت تطل بخطامها الذي يمسك به الرافضة في كل عصر من عصور هذه الأمة وبتلون أسمائهم وألوانهم، ومثلما فوض الصحابة خليفة رسول الله أولًا فجنت الأمة أطيب الثمار

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤١٦.

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٣٠٦.

بعد وفاة النبي ﷺ كذلك فوضه الصحابة ثانيًا بعد أن حان وقت رحيله فحصدت الأمة أينع الثمار وأطيبها، فاختار لولاية الأمر من بعده خير الناس وأعدلهم وأشدهم في ذات الله الفاروق عمر رضي الله عنه وذلك بعد تفكير عميق واستشارة وحوار مع وجوه المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد منهم.

فالصدّيق رضي الله عنه بذل أقصى جهده في الشورى لاختيار الخليفة من بعده، وإنه كان يود أن يكل الأمر إلى المسلمين فيختاروا من يشاؤون، فجمع إليه نخبة منهم أيام مرضه، وقال لهم فيما قال رضي الله عنه: «قد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا من بعدي». فلم يستقم لهم الأمر فرجعوا إليه يقولون: «إن الرأي يا خليفة رسول الله رأيك». فاستمهلهم حتى «ينظر لله ولدينه ولعباده» فنظر لهم واستخار الله على ما يعلمه ويعرفه من مواقف أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم استقر رأيه على استخلاف عمر رضي الله عنه بعد مشاورة عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد وأسيد بن الحُضير رضي الله عنهم وجماعة من المهاجرين والأنصار فكلهم قال خيرًا ورضي بهذا الاختيار، وأجمع على الفاروق جميع من استشارهم الصديق، سوى أن قليلًا منهم ذكر أن فيه شدة فأجابهم أبو بكر بالرأي السديد الذي فسر لهم أسبابها، وبعد أن استقر الأمر على اختيار عمر الفاروق دعاه الصديق رضي الله عنه فأفضى إليه بوصيته التي اشتملت على توجيهات وتحذير وترغيب وترهيب أظهرت الأمور على حقيقتها وما زالت كلماتها تتكلم بأفصح القول مؤكدة أن من يعمل بها من السابقين أو اللاحقين فضمانة النجاح في الدنيا مؤكدة والفوز بالآخرة ثابتة؛ لأنها تمثل موجز مقاصد منهج النبوة في الحكم والإدارة فأوصاه بما أوصاه.

فلما خرج عمر رفع أبو بكر رضي الله عنه يديه داعيًا الله تعالى فقال: «اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، ففعلت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت

لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح لهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدي نبي الرحمة، وهدي الصالحين بعده، وأصلح له رعيته»[١].

ومما يزيل ما يذيعه الرافضة وإخوانهم المستشرقون ونوابت السوء في أمة المسلمين من إفك في مسألة اختيار عمر رضي الله عنه وأنها لم تكن بالشورى والتفاهم الأخوي؛ حال الصدّيق ومنهجه الرباني وحبه للأمة وحرصه على عقيدتها ووحدتها؛ وحاله الصحي رضي الله عنه وأنه في حال لا يمكن أن يكون في اختياره لمن يخلفه أي هوى أو ميل مجرد لغير الحق، لأن ذلك لن ينتفع منه بشيء، حيث كان موقنًا بالرحيل رضي الله عنه ولو كان عن هوى كما يزعم الأفاكون، فلماذا لا يختار الفصيح الصحيح الفارس الرامي الجميل الأنيق عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أو ابن عمّه طلحة بن عبيد الله طلحة الفياض وطلحة الخير بطل يوم أحد الفارس الكريم المقدام؛ قرين علي رضي الله عنه في عامة المواقع التي خاضها المسلمون ضد المشركين، والمبشر بالجنة رضي الله عنه؟

وكان الفاروق رضي الله عنه على ما يحب المؤمنون، فقد وطد أركان الدولة ووسع رقعتها وعصف بالفرس والروم ونشر رسالة الإسلام في أصقاع الأرض، ولم يكن في عهده أدنى تململ لفتنة أو شبهة في العدل والاجتهاد في بسط الشرع ومفاهيم الإسلام على جميع أبناء الأمة فاستقام الحال وضرب الدين بجرانه[٢]. لقد قوّم الأود وداوى العمد، وخلّف الفتنة وأقام السنة فذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه رضي الله عنه[٣].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤١١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ٤/ ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٢.

فكان الفاروق وولايته على الأمة وكل ما تحقق على يديه من خير وصلاح وأمن ونصر؛ إنما هو حسنة من حسنات الصدّيق رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه هو القائل: ليوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر. ثم ذكر أن اليوم هو يوم وفاة النبي ﷺ والليلة ليلة الغار يوم الهجرة.

والمتابع لحركة تداول السلطة على مر التاريخ منذ وفاة رسول الله ﷺ يتبين له أن عدم حسم الموقف منها وتثبيت أركانها قبل وفاة الحاكم، غالبًا ما يؤدي إلى الشغب والتحزب أو الصراع والتمزق، يؤكد ذلك ما مرت به الأمة من أحداث بعد وفاة يزيد بن معاوية حين رفض ابنه معاوية بن يزيد تولي الخلافة، وقال: لا حاجة لي فيها. وكذلك بعد وفاة الرشيد وعبث الفرس بأمن الخلافة حين ناصروا المأمون على أخيه الأمين حتى قتلوه ثم شوهوا تاريخه ليسوغوا جريمتهم حين قتلوا هذا العربي الهاشمي أمًّا وأبًا، والأمثلة على ذلك كثيرة في كل أدوار تداول السلطة في العالم وإلى هذا العصر وليست أحداث العراق الحالية منا ببعيد، فحين لا يُحسم أمر انتقال السلطة بوسائل سلمية في حياة الحاكم، فغالبًا ما تكون الفتنة هي الوسيلة التي توصل الأقوى إلى السلطة.

فأثبت الصديق رضي الله عنه أنه ثاني اثنين، وبنجاح باهر وعلى الجبهات كافة سياسيًّا وعسكريًّا وفكريًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وإداريًّا، فوحد الأمة وقمع الفتنة وقهر الأعداء، وسادت العقيدة فازدهر الاقتصاد واستقرت أحوال الناس وانتشر العلم وتأصلت القيم النبيلة وتوهجت هوية الأمة وازدانت بأصالتها، فكانت مواقفه رضي الله عنه التي تحاكي مواقف رسول الله ﷺ لتكون حجة على من بعده من الحكام والسلاطين إلى يوم القيامة، فقد ظل زاهدًا بجميع حقوقه الخاصة به وبالمقربين له، حريصًا على حقوق الناس وثوابت الشرع ورعاية الأمة رضي الله عنه.

* * *

مرضه ووفاته رضي الله عنه

في مدة خلافته وسنه حين وفاته رضي الله عنه:

قال سعيد بن المسيب: لمّا قبض رسول الله ﷺ ارتجّت مكة فسمع بذلك أبو قحافة والد الصدّيق فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ. قال: أمر جلل. قال: فمن ولي بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منعه الله. ومكث أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلّا خمس ليالٍ، وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ.

وتوفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ، وقيل: توفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة من متوفّى رسول الله ﷺ.

وفي قول آخر: وعشرة أيام. وقيل: وعشرين يومًا. فلما قام بالخلافة قاتل أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك، وشدّته على المرتدين والمشركين مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه وببركته وسداد رأيه وغيرته على سنّة النبي ﷺ كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون[1]. وتوفي رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلّى عليه أمير المؤمنين عمر الفاروق بين القبر والمنبر[2].

وتوفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مهاجر النبي ﷺ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ، وكان أبو معشر يقول: سنتين

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٣٨.
(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٦١

وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين مجتمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سنّ رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه ولد بعد عام الفيل بثلاث سنين(١).

في سبب وفاته:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر رضي الله عنه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالناس، ويدخل الناس إلى خليفة رسول الله يعودونه وهو يثقل كل يوم ويزداد مرضه، وهو نازل يومئذ في داره التي قطع له النبي ﷺ وجاه دار عثمان بن عفان اليوم وكان عثمان رضي الله عنه أكرمهم له وأشدهم ملازمة وخدمة له في مرضه رضي الله عنه(٢).

ولما دخلوا على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ. فقالوا: ما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد. واختلف في سبب وفاته وفي تاريخها فروي أنه سمّ، وقال أهل السير: إنه مات عشي يوم الاثنين، وقيل: ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، وهذا قول أكثرهم(٣).

عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتى مات. أي شوقًا وحزنًا على رسول الله ﷺ(٤).

وعن ابن عمر أنَّ سبب موت الصديق الكمد على رسول الله ﷺ وأن ذلك أعقبه سُلًّا فمرض بعد خروج خالد من العراق، وهو نازل يومئذ في داره التي أقطعها له النبي ﷺ وجاه دار عثمان، وكان عثمان أكرم الناس له في مرضه، وألزمهم لخليفة رسول الله(٥).

---

(١)، (٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٠٩.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١١/ ٢٦١.

(٤) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٠).

(٥) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٣.

عن الشعبي أنه قال: ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سمّ رسول الله ﷺ وسمّ أبو بكر الصدّيق وقتل عمر بن الخطاب حتف أنفه وكذلك قتل عثمان وعلي رضي الله عنهم[1].

وروي في سبب موته رضي الله عنه أن رجلًا أهدى يومًا لأبي بكر رضي الله عنه صحفة من حريرة وعنده الحارث بن كلدة الطبيب فلما أكلا منها قال ابن كلدة: فيها سمّ سنة. فلم يمرّ الحول حتى ماتا في يوم واحد رأس السنة[2].

وكانت اليهود سمّته في حريرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه أكل منها هو والحارث بن كلدة، وقيل: في أرز. فقال الحارث: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انتهاء السنة[3].

فيتبين مما سبق أن خليفة رسول الله قد لزم فراش المرض خمسة عشر يومًا وهذا قريب من أيام مرض رسول الله ﷺ حيث كان الصدّيق يصلي بالمسلمين، وفي فترة مرضه هذه كان يأمر الفاروق أن يصلي بالناس، وذلك اتباعًا لسنة رسول الله في ذلك وحرصًا على الإشارة للمسلمين إلى قائدهم من بعده كإشارة رسول الله ﷺ إليه رضي الله عنه، حيث استقر الفاروق إمامًا وأميرًا للمؤمنين بعد وفاة خليفة رسول الله، فاتضح أن هناك عددًا من الروايات في سبب وفاته رضي الله عنه أشهرها البرد ثم الكمد والشوق إلى رسول الله ﷺ ثم السمّ، وقيل: إنه ظهر عليه علامات السل.

- وكان آخر ما تكلم به خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[4].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٤/ ٥٥.

(٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح ٤٤١١، ٣/ ٦٦

(٣) البخاري: التاريخ الكبير، ٤/ ٦١. العيني: عمدة القاري، ٨/ ٢١٩. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٤٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١. البلاذري: الشيخان، ٦٩. الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٢).

وخلاصة ذلك أن خليفة رسول الله لم يهنأ بعيش كما هو حال عامة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فأصابه من الضعف ما ظن به البعض أعراض السل، كما أن السمّ ليس بمستبعد عن مكر اليهود وبغضهم للأنبياء والصدّيقين، ولكن الحال التي لازمته من الشوق والكمد على وحشة الحياة بعد فقد النبي ﷺ هي السبب الأول فيما أصاب خليفة رسول الله، واجتمع إليها ما ذكر من أسباب أخرى كان أهمها الحمّى التي ألزمته الفراش حتى فارق الدنيا قرير العين هانيها بما ثبت عليه وتحقق على يديه من نصرة لرسول الله ﷺ ولدينه ولعباده الصالحين.

كفنه وغسله:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن متُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحبّ الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ[(١)]. وقالت رضي الله عنها: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حضرته الوفاة فتمثلت بهذا البيت:

من لا يزال دمعه مقنعًا   يوشك أن يكون مرة مدفوقا

فقال لها أبو بكر: لا تقولي هكذا يا بنية ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[(٢)]. ثم قال لها: في كم كفن رسول الله ﷺ يا بنية؟ قالت: في ثلاثة أثواب. فقال: كفنوني في ثوبي هذين، واستروا بهما ثوبًا، فإن الحي أفقر إلى الجديد من الميت[(٣)].

وعنها رضي الله عنها قالت: سألني أبو بكر رضي الله عنه: في كم كفنتم رسول الله ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب قال: ففيها كفنوني[(٤)]. وأوصى رضي الله عنه أن تغسله زوجته أسماء

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٤٦).
(٢) سورة ق، الآية: ١٩.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ٣٠ / ٤٢٦.
(٤) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح ٤٤١٥. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

بنت عميس رضي الله عنها وإنها ضعفت فاستعانت بعبد الرحمن، وكفن في ثوبين أحدهما غسيل، ويقال في ثلاثة أثواب وحمل على سرير النبي ﷺ وهو سرير الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي كانت تنام عليه فحمل عليه أبو بكر رضي الله عنه وصلى عليه عمر الفاروق في المسجد بين القبر والمنبر ودفن في بيت الطاهرة مع رسول الله ﷺ ليلًا وجعل رأسه بين كتفي النبي ﷺ[1].

وقالت رضي الله عنها: لما حضر أبا بكر رضي الله عنه الموت قلت كلمة من قول حاتم:

لعمرك ما يُغني الثراء عَن الفَتَى ... إذا حشرجت يومًا وضاقَ بها الصدرُ

فقال: لا تقولي هكذا يا بنية ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[2] انظروا ملاءتيَّ هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت. وكان رضي الله عنه أوصى امرأته أسماء بنت عميس أن تغسله فقالت: لا أطيق. فقال: يعينك عبد الرحمن بن أبي بكر. فكان كذلك، ودفن ليلة الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه.

وحُمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر الفاروق في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر، وكبر عليه أربعًا ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر. وكان قد أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فحفر له فجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ وألصقوا اللحد باللحد[3].

***

(١) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٠٩).
(٢) سورة ق، الآية: ١٩.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٥٤.

تأبين خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه

بفقد خليفة رسول الله فقد الصحابة رضي الله عنهم إلف رسول الله ﷺ ومؤنسه وصاحبه ومستشاره ومثابتهم ومؤنسهم ومعلمهم وشيخهم، كيف لا وهو الذي كان كهفهم الذي آووا إليه يوم وفاة النبي ﷺ، وسندهم بعد الله تعالى الذي أقام أمرهم يوم السقيفة وحفظ أخوتهم؟ كيف لا وهو الذي وقف بوجه من عارض إنفاذ جيش أسامة حتى أمضى أمر النبي ﷺ كما أراد وأمر ﷺ فعاد ذلك الجيش بالنصر وعز المسلمين؟ وهو الذي أبطل سحر الرافضة المرتدين ورد كيدهم وكشف زيفهم وفضح غدرهم حتى أطفأ نارهم وكان في تلك المواقف يكاد يكون وحيدًا لا نصير له سوى إيمانه وتمسكه بهدي رسول الله ﷺ حتى فاءت الأمة إليه، معلنة انقيادها له وتسليمها زمام أمورها مع طاعة المحبة التي لا تجادل ولا تحاور لعميق ثقتها وشدة مودتها لخليفة رسول الله، حتى أصبحت ألسنة قادة الأمة ووجوهها تلهج عرفانًا وثناء على سيرته العطرة التي أخذت بأيديهم إلى أسمى المكارم وأعلى المراتب، وقد سبق أن اتضح في هذا البحث مكانة خليفة رسول الله ﷺ وخصائصه ومزاياه ولكن ذلك كان في حياته أما هذا الثناء فهو بعد وفاته رضي الله عنه ليمثل له أوسمة خالدة تفقأ عيون الرافضة المرتدين الذين يكفرون برب أرسل نبيًّا جعل خليفته أبا بكر، كما يمثل هذا الثناء صفعة لأولئك المخادعين المخدوعين الذين يوادّون أعداء الصحابة ومبغضي خليفة رسول الله الصدّيق رضي الله عنه.

قال أبو رجاء البصري: دخلت المدينة بعد وفاة النبي ﷺ فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلًا يقبل رأس رجل ويقول له: أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا. قلت: من المقبل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس خليفة رسول الله في قتال أهل الردة؛ إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها

صاغرين[1].

ولما قبض أبو بكر رضي الله عنه وسجي عليه ارتجت المدينة بالبكاء، كيوم قبض النبي ﷺ فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعًا مسترجعًا، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، وأبو بكر رضي الله عنه مسجًّى، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه، وثقته وموضع سره ومشورته، كنت أول القوم إسلامًا وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأخوفهم لله عز وجل، وأعظمهم غنى في دين الله وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحدبهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم شورى، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ورحمة وفضلًا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه وأوفقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ خيرًا، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، سمّاك الله في تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ محمد ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[2] أبو بكر، وواسيت حين بخلوا، وقمت معه عند المكاره وحين عنه قعدوا، وصحبت معه في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتدّ الناس، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هموا، كنت خليفة حقًّا لم تنازع ولم تصدع بزعم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين، وغيظ الباغين، وقمت بالأمر حين فشلوا، وأعلاهم فوقًا، وأقلهم كلامًا، وأصوبهم منطقًا، وأطولهم صمتًا، وأصوبهم قولًا، وأكثرهم رأيًا، وأشجعهم نفسًا، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملًا، كنت والله للذين تغشونا أولًا حين نفر عنه الناس، وآخرًا حين أقبلوا.

كنت للمؤمنين أبًا رحيمًا حين صاروا عليك عيالًا، فحملت أثقال ما ضعفوا، ورعيت ما

(١) البلاذري: الشيخان، ١١٠.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، وعلمت ما جهلوا، فشمرت إذ خفضوا، وعلوت إذ خلعوا، وصبرت حين جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابًا صبًّا ولهبًا، وللمؤمنين رحمة وأنسًا وحصنًا، فطرت والله بغنائها وفزت بخبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يزغ قلبك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كما قال رسول الله ﷺ أمنّ النّاس عليه في صحبتك وذات يدك، وكنت - كما قال - ضعيفًا في بدنك، قويًّا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًا عند الله، جليلًا في أعين المؤمنين، كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك سواء في ذلك، أقرب الناس إليك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم له.

شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل الطريق، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام والمسلمون، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فجليت عنهم فأبصروا، فسبقت والله سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فجللت عن البكاء، وعظمت رتبتك في السماء، وجلّت مصيبتك في الأيام، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله بقضائه، وسلّمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًّا وحرزًا وكهفًا، وللمؤمنين وقاية وحصنًا وعينًا، وعلى المنافقين غلظة وكظمًا وغيظًا، فألحقك الله بنبيك ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال: وسكت الناس حتى انقضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، فقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ[1].

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٤٠.

فالمتمعن في معاني ثناء علي رضي الله عنه على الصدّيق رضي الله عنه يجد أن عليًّا كان من أكثر الناس معرفة بخليفة رسول الله ومن أكثرهم محبة له وإجلالًا، كما أن مقاصد هذا الثناء توحي بقوة العلاقة الروحية والروابط الأخوية التي يظهر فيها توصيف دقيق ينم عن خبرة قريبة ومعرفة أكيدة فيها الكثير من الخصوصيات التي أفصح عنها علي رضي الله عنه حين أطلق لفصاحته عنانها وللسانه بيانه، باحثًا عمّا يعبر عن إنجازات خليفة رسول الله، وعما يصف حاله وثباته وإيمانه ويقينه وشجاعته وتدبيره وكرمه وعلمه وعزته وشموخه وحنانه ورحمته للمؤمنين وشدته على الكافرين، ولا يمكن لأي تعليق على هذه الكلمة أن يزيد شيئًا عن وصف علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله، فقد أجاد بما نطق، وصدق بما وصف، وأحاط ثناءه بعامة ما كان يقوم به الصدّيق، حتى إن الباحث لتتملكه الدهشة من تلك المعرفة الواسعة، والمتابعة الدقيقة، والإحصاءات الصحيحة لعامة ما كان يقوم به خليفة رسول الله، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على القرب الذي كان عليه علي رضي الله عنه من خليفة رسول الله والاطلاع والمشاركة في عامة ما كان يقوم به خليفة رسول الله، وكل ما قاله علي رضي الله عنه يعبر تعبيرًا صحيحًا عن تلك السيرة الباهرة وتلك النفس الطاهرة التي حققت في فترة وجيزة ما لم يحققه الآخرون في سنين طويلة.

ولعل كلمات علي رضي الله عنه هذه التي تفوه بها خير ما يعبر به المتحدثون في الثناء على خليفة رسول الله، لصدقها وفصاحتها وعميق معانيها وشمول مقاصدها، وإن كان خليفة رسول الله أكبر من الكلمات وأسمى من المعاني، وأقرب إلى القلوب والمآقي من مشاعرها ودموعها؛ إذ كان بين الصحابة يمثل بقية رسول الله ﷺ الحية التي تمشي على الأرض في العلم والثبات واليقين والمعرفة والمودة والهيبة والجرأة والسداد في اتخاذ المواقف، فتحقق النجاح وتزرع الآمال وتوحد الصفوف وتثبت معاني الدين في القلوب فرضي الله عن تلك النفس الطاهرة الأبية ورضي الله عن محبيها وعمن يسير على هديها ويبرأ من أعاديها.

وقال علي رضي الله عنه حين دخل على أبي بكر رضي الله عنه بعدما سجي: ما أحد

ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجى[١]. لما شاهد رضي الله عنه ورأى من سمو المقاصد، وعميق الإخلاص، وجميل التأسي.

وعن علي رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ثم عمر. وكان علي رضي الله عنه يقول: سبق رسول الله ﷺ وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم حفتنا فتنة يعفو الله فيها عمّن يشاء. وقال عبد خير: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: رحم الله أبا بكر كان أول من جمع ما بين اللوحين. وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - من وجوهٍ - أنه قال: ولينا أبو بكر رضي الله عنه فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا. وقال مسروق: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[٢].

وقال علي رضي الله عنه: لا يفضّلني أحد على أبي بكر وعمر إلّا جلدته حد المفتري. وعن محمد بن سيرين قال: لمّا بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبطأ علي رضي الله عنه عن بيعته، وجلس في بيته، فبعث إليه أبو بكر: ما أبطأ بك عني؟ أكرهت إمارتي؟ فقال علي: ما كرهت إمارتك، ولكنّي آليت ألا أرتدي ردائي إلّا إلى صلاة حتى أجمع القرآن[٣].

وقال علي رضي الله عنه وذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما: كانا والله إمامي هدى راشدين مفلحين منجحين، خرجا من الدنيا خميصين[٤]. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة»**[٥].

وما هذه النصوص إلا غيض من فيض يوضح كم كان تعلق علي رضي الله عنه بخليفة رسول الله تعلقًا جعله يحفظ أخباره ومواقفه وصفاته وخصائصه فينشرها في العالمين لكي

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٤٢.

(٢) ابن أحمد: السنة، ٢/ ٥٨٠، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣١٩٣٧).

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٩٨.

(٤) البلاذري: الشيخان، ٨٤.

(٥) الحاكم: المستدرك. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤١). هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يتعلم الجاهل ويتذكر الغافل ويقتدي السائر، ولكي تكون حجة على كل من يتحدث بالإفك من الرافضة وينشر البهتان على السلف الذين كان بعضهم يحب بعضًا ويفتدي بعضهم بعضًا، ذلك البهتان الذي طفحت به أكثر كتب التاريخ والأدب وبما يولد الكراهية ويورث العداوة بين المسلمين، ولعل الغافلين ممن فقدوا هوية السنّة النبوية فأصبحوا يتقلبون مع الرياح أينما انقلبت لعلهم يعودون إلى سير الصحابة فيفقهوها، ويتعلموا من مواقفهم ما ينير لهم طرق الهداية ويجعل همهم بحب الأمة والعمل على حمايتها بدلًا من همّ المنافع الحزبية والمذهبية الضيقة الذي يقود إلى تدمير الأمة وتمزيق صفوفها.

ومما يعد ثناء على خليفة رسول الله ما قالته الطاهرة عائشة رضي الله عنها حين وقفت على قبر أبيها رضي الله عنه فقالت: رحمك الله يا أبتِ، لقد قمت بالدين حين وهى سعيه، وتفاقم صدعه، ورحبت جوانبه، وبغضت ما أصغوا إليه، وشمّرت فيما ونوا عنه، واستخففت من دنياك ما استوطنوا، وصغّرت منها ما عظموا، ولم تهضم دينك، ولم تنس غدك ففاز عند المساهمة قدحك، وخفّ مما استوزروا ظهرك، حتى قررت الرؤوس على كواهلها، وحقنت الدماء في أهبها - يعني الأجساد - فنضر الله وجهك يا أبت، فلقد كنت للدنيا مذلًّا بإدبارك عنها، وللآخرة معزًّا بإقبالك عليها، ولكن أجلّ الرزايا بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأكثر المصائب فقدك، فعليك سلام الله ورحمته غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك[1].

فرضي الله عن أم المؤمنين العالمة الحصيفة، فكم تملك من آفاق الفقه والفهم والفصاحة والنباهة؛ حيث أوجزت بهذه الكلمات حياة إمام الأمة وقائدها الذي أعجز العتاة، وأخضع الطغاة، وأقام العدل، ونشر الأمن، وكم حوت هذه الكلمات من مواقف أوضحت عظمة الصديق، وأظهرت فضله، وأشهرت مواقفه التي لا توازيها مواقف أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ؛ لما أفاض على الأمة من نعمة حفظ الدين، وتدوين القرآن، ونصر المؤمنين في أيام عزّ فيها النصير والمعين، فسار في المؤمنين يرتقي بهم الوعر، وكأنه يسير بهم في

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٤٤.

السهل لما لديه من ملكات القيادة، وميراث التجارب التي استقاها من النبي الأكرم ﷺ.

ومن هذه المعاني التي كان يتمتع بها خليفة رسول الله وعرفه الصحابة بها أنه كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخطب في المسلمين قائلًا: «اجعلوا إمامكم خيركم، فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده»[1] يقصد بذلك خليفة رسول الله حين أقامه النبي ﷺ إمامًا للأمة في مكانه.

ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر يقول: أنا خليفة رسول الله ﷺ، وكذلك كان يدعى: يا خليفة رسول الله[2]. فلا يذكر رضي الله عنه إلا ويذكر الله والرسول ﷺ تأكيدًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3] وذلك منذ وفاته وإلى هذه الساعة وإلى قيام الساعة ولعل في ذلك عبرة للمعتبرين.

وكان خفاف بن ندبة السلمي من الصحابة رضي الله عنه وقد ارتد قومه الأقربون عن الإسلام وراودوه على الردة فأبى عليهم خفاف أن يرتد وحسن ثباته على الإسلام، مقتديًا بمواقف خليفة رسول الله التي أذابت بيقينها أوهام الردة وباطلها، حتى نال بذلك تقدير العالمين وإعجابهم، فحين توفي تذكر خفاف مواقف خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فقال يرثيه:

ليس لحي ما علمت بقاء ... وكل دنيا عمرها للفناء
إن أبا بكر هو الغيث إذا ... لم يزرع الجوزاء بقلًا بماء
بالله لا يدرك أيامه ... ذو ميزر ناش ولا ذو رداء
من يسع كي يدرك أيامه ... مجتهد الشد بأرض فضاء[4]

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٩٧.
(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٩٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٤٤.

وقد شاء الله تعالى أن يكون الصدّيق رضي الله عنه بطل الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ في حروب الردة وفي الفتوح وفي القيادة والإدارة والعلم والشورى والعدل والزهد والرحمة والشدة والإتقان والإخلاص، فهو الأول في كل ذلك، وعلى حال من الثقة واليقين المطلق الذي سبق فيه أهل المقامات العالية، التي زخرت فيها السيرة النبوية، حتى بلغ من إعجاب الصحابة رضي الله عنهم وثقتهم به ومحبتهم له، حدًّا لم يعد يعبر عنه الكلام والثناء، فاستعاروا شفتي الفاروق عمر رضي الله عنه ليقبل بها رأس الصدّيق رضي الله عنه نيابة عن الأمة يوم أنهى صفحات الردة بالنصر المؤزر للمؤمنين والهزيمة العسكرية والأخلاقية للرافضة المفترين، والفضيحة الشنعاء لمراجعهم المرتدين الذين كذبوا النبي الأمين ﷺ وافتروا على عقيدة التوحيد بأسجاع الكهنة ووحي الشياطين.

ولا ريب أن إقدام الصديق الذي اشتهر به رضي الله عنه ويقينه بنصر الإسلام على الدين كله، كان أقوى يقين سكن في قلب إنسان، فكل وعد من وعود القرآن كان عنده حقيقة عيان، بل أمكن من حقيقة العيان، وكل كلمة سمعها من النبي ﷺ بخبر من أخبار الغيب المجهول، هي عنده شاهد على شواهد الحاضر الملموس الذي يسعى لتحقيقه باليدين، ومنذ أيام الإسلام الأولى في مكة حيث كان العنت والتضييق على المؤمنين.

فحين نزل القرآن الكريم بغلبة الروم على الفرس في بضع سنين ذهب الصديق إلى مشركي قريش يكبتهم بنبأ هذا النصر القريب؛ لأنهم كرهوه كراهية منهم لكل أهل كتاب وأحبوا نصر فارس المجوس حبًّا لكل عابد وثن، فكان كما قال رضي الله عنه، ولما سمع الصديق رسول الله ﷺ يقول لسراقة بن مالك: «**كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟**»[1] فما شك الصديق أن الإسلام غالب الأكاسرة فيما هو قادم من الأيام، وعلى تلك الأسس العميقة المتينة المبنية على اليقين الصادق، كان خليفة رسول الله يستشرف المستقبل المشرق للأمة الإسلامية فيقودها إليه بخطوات واثقة ومسار مستقيم لا عوج فيه ولا تردد.

---

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ح (٤١١٠). ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ١٧٤.

فكم يدين الإسلام والمسلمون لأبي بكر رضي الله عنه! وسيظل الإسلام والمسلمون مدينين له بتوحيد كلمتهم وإجابته على كل أسئلتهم، وإزالته كل حرج وقعوا فيه، إضافة إلى وأد الردة وإلجام الفتنة وإقامة الحجة على المتقاعسين، وإرشاد الضالين وإعادتهم إلى منهج النبي الأمين ﷺ وجمع القرآن المبين؛ بعد أن قتل أكثر حفاظه المتقنين على أيدي الرافضة المرتدين، وكذلك ما حصل على يديه من تطهير بلاد العرب المسلمين من الروم الصليبيين وأذنابهم المنافقين، كل ذلك وغيره أنجزه الصدّيق رضي الله عنه ولم يزد حكمه على عامين ونحو ثلاثة أشهر، فحقق في تلك الفترة القصيرة انتصارات كالمعجزات، يصعب إنجازها في أعوام طوال على أيدي أعظم جيوش الأمم! وستظل أمة العرب المسلمين مدينة له بأنه أول من وحد صفوفها بعد أن عمل المرتدون على تمزيقها، وستظل الإنسانية مدينة له بحماية حرية العقيدة وحرية الفكر وحرية التعبير والمواطنة من أي أمة كانوا، وستظل الحضارة مدينة له، بأنه جعل الحياة على كوكب الأرض جديرة بسيادة المؤمنين ومؤهلة لرعاية المتقين وأمنهم وحمايتهم؛ مع حزنه العميق الذي شوى كبده من شدة الشوق إلى صاحبه ﷺ.

في تركته:

وقال رضي الله عنه قبيل وفاته لأم المؤمنين: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن. قالت رضي الله عنها: ففعلت، فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبدًا حبشيًّا وبعيرًا ناضحًا وجرد قطيفة ثمنه خمسة الدراهم؟ قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله. فقال: لا، والذي

بعث محمدًا ﷺ بالحق - أو كما حلف - لا يكون هذا في ولايتي أبدًا، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت، وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك[1]. وقالت رضي الله عنها: وما كان دينار ولا درهم، ما كان إلا خادم ولقحة ومحلب، فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة إلى عمر، فقال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[2].

ومات أبو بكر فما ترك دينارًا ولا درهمًا، وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال[3]. وروي أنه قال لما حضرته الوفاة: «ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أخلف في منزلي من مالهم شيئًا، وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم»، فدفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه.

وورث أبا بكر الصدّيق أبوه أبو قحافة السدس، وورثه معه ولده عبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء وأم كلثوم بنو أبي بكر وامرأتاه أسماء بنت عميس وحبيبة ابنة خارجة بن زيد بن أبي زهير من بلحارث بن الخزرج وهي أم أم كلثوم، وكانت بها نسأ حين توفي أبو بكر رضي الله عنهم، وكلم أبو قحافة في ميراثه من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فقال: قد رددت ذلك على ولد أبي بكر. قالوا: ثم لم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأيامًا، وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة[4].

روى عن خليفة رسول الله: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمرو، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعقبة بن عامر، وأبو برزة، وأبو أمامة الباهلي، ومعقل بن يسار، وعمرو بن حريث، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين[5].

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، (٣٥٧٣٢). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢٥.
(٢) ابن عساكر: ٣٠ / ٤٢٧.
(٣) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١/ ١١٠.
(٤) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٢١٠.
(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٦.

فتوفي خليفة رسول الله وحاله كما قالت أم المؤمنين الطاهرة «قبضه الله تعالى واطئًا على هام النفاق، مذكيًا نار الحرب للمشركين، فانتظمت طاعتكم بحبله، فولى أمركم رجلًا مرعيًّا إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين، أي: واسع الصدر، عركة للأذاة بجنبه، أي: يحتمل الأذى، صفوحًا عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام»[1].

وروي أنه قدم بوفاة أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ومحمية بن جزء ويرفأ مولى عمر؛ فكتموا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون، وكانوا بالواقوصة في اليرموك يقاتلون عدوهم من الروم وذلك في رجب فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حرب الشام وضم عمر إليه الأمراء وعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه[2] عن قيادة جيش الشام، ولعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يرى أن شدته مع شدة خالد قد تكون سببًا في تنفير البعض من الدخول في الدين لذلك جعل قائده في الشام أمين الأمة الحليم الذي إذا غضب كظم وغفر يتألف به الناس ولا سيما بعد أن كسرت قيادة خالد رضي الله عنه شوكة الروم وبددت قوتهم وأفزعت قلوب عتاتهم، ولم يكن خالد رضي الله عنه بعيدًا عن موقع القيادة والقرار، بل كان هو القيادة العسكرية إذ كان هو القائد الميداني الذي يرسم كثيرًا من الخطط ويقرر كثيرًا من الأهداف فهو المعاون الأول لأبي عبيدة رضي الله عنه فكان إقدام خالد ممزوجًا بحلم وأناة أبي عبيدة يمثل مزيجًا فريدًا تكونت منه أقدر وأقوى وأنقى قيادة تقاتل الكافرين وتحمي المؤمنين والضعفاء والمساكين وتدعو إلى دين الله الذي جاء به سيد المرسلين، فكان ذلك نجاحًا لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حيث جدد قوة الدعوة وقوة القيادة في آن واحد وبما يتماشى مع نصر المسلمين في معركة اليرموك.

أما الذين يصطادون في الماء العكر من بعض المفترين وأعداء الصحابة الحاقدين إنما هم بقايا المرتدين وبعض دسائس المنافقين، الذين يعملون بكل ما في وسعهم من الكيد

(١) طنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٤٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٩.

لهذا الدين وأهله، ومن الدس والمكر لتنفير الناس عن كرام قادتهم؛ الذين أزالوا بغي الطغاة الكافرين ونشروا التوحيد في نفوس العالمين، امتثالًا لما جاء في الكتاب وسنة سيد المرسلين ﷺ.

وفي هذه الفترة القصيرة من قيادة خليفة رسول الله وإمامته حصل من الأعمال والإنجازات الداخلية والخارجية ونشر الأمن والاستقرار وقمع أهل الردة والفتن وبقايا الجاهلية، ووضع من الخطط السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها ما أبهر العقول وأذهل أهل التدبير والتخطيط على جميع المستويات، فقام باختراق حصون الاستبداد والطغيان الفارسي والروماني ونزع هيبتهما وأظهر حقيقتهما للبشرية جمعاء، فاجترأ عليهما جند الإسلام جرأة أزالت بغيهم وحطمت جبروتهم، فأنجز من الفتوح ما لم يحصل في عصر من العصور لمن عاش الحال ذاتها التي عاشها الصدّيق وجنده رضي الله عنهم، الذين واجهوا الردة، وأطفؤوا الفتنة، وأعادوا الأمة إلى المسار الذي رسمه لها نبيها ﷺ، فجزى الله خليفة رسول الله الصدّيق خير ما جزى خليفة نبي عن نبيه وإمام أمة عن أمته، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[1].



(١) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

[illegible]

وفي هذه الفترة القصيرة [illegible]

[illegible] أمة من أمته قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

(1) سورة السجدة: ٢٤.

الخاتمة

بعد هذه الجولة العميقة الدقيقة التي رافقتها آلام الغربة ومكابدة الوحدة وقسوة الوحشة، ما بين البحث عن الحقيقة التي حاربها أعداء الصحابة بإفكهم الذي لم يدع زاوية من زوايا الموروث الإسلامي إلا وحاول أن يلوثها بزيفه، وما بين غفلة الراعي أو تغابيه وجهل الرعية التي قيدها المُلبّسون بقيود الوهن والعجز ونزع الغيرة على السنّة النبوية؛ فألقوا بها بين يدي جزّاريها، وما بين هذا الواقع الذي يؤكد لكل عاقل أنه لا خلاص مما تعانيه الأمة من الغدر والعدوان والاستباحة إلا بالتمسك بمنهج الصدّيق وحزمه وعزيمته، ولعل مما يخفف العبء بين هذه المنعطفات في هذه الرحلة، هو لذة العيش بين أخبار وتوجيهات ومواقف وإنجازات خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه التي أورثت العلم اليقين بأنه: لا إسلام بلا سنّة رسول الله ﷺ، وأظهرت أن رفض السنّة أو الطعن في حملتها وحُماتها الصحابة رضي الله عنهم يعادل رفض القرآن والطعن في سفيره جبريل عليه السلام، وأن أي تمرد على هذه الحقيقة يهوي بصاحبه إلى الردة ومراجعها الذين شرّعوا لأنفسهم وأتباعهم دينًا مضاهيًا لدين الله تعالى.

كما تأكد أن أي تقارب مع أعداء الصحابة؛ يقابله شك وجهل بالكتاب والسنّة، وإصرار على ردّ إجماع الأمة التي أعلنت عدالة الصحابة، وأن التقارب لا يتحقق ولا يكون إلا بالبراءة من الرفض وعقيدته ومراجعه والتمسك بمرجعية الكتاب والسنّة وحب جميع الصحابة رضي الله عنهم.

وتبين أيضًا أن من لا يفقه حال الصحابة وتاريخهم كاملًا رضي الله عنهم فيوالي من يواليهم ويبرأ ممن يعاديهم؛ فهو لا يفقه ثوابت أهل السنّة والجماعة ولا يؤتمن على

عقيدتهم؛ لجهله بعقيدة أعدائهم ومخاطرهم، وأنّه لا سبيل للنهوض وكسر قيود الفرقة والجهالة ومباشرة بناء الأمة، إلا بدراسة متأنية واعية لمنهج خليفة رسول الله في ميادين حياته الإيمانية والفكرية والسياسية والعلمية والإدارية والمالية والعسكرية والاجتماعية وغيرها، والتمتع والتمعن والعلم بمفاتيح تلك المعرفة؛ التي مارسها خليفة رسول الله بروح من الزهد والتواضع والتقوى والبصيرة، تلك المعرفة التي تؤكد المنزلة العظيمة لخليفة رسول الله بين الصحابة رضي الله عنهم الذين شهدوا له جميعًا، بأنه (ثاني اثنين) في الأمة وأنه خير البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو الباني الثاني لدولة الإسلام بعد أن واجهتها فتنة وفاة النبي ﷺ، تلك الفتنة التي ركب أمواجها الرافضة بقيادة المتنبئين الكذابين، ليزرعوا الردة ويغذوا الشك وثقافة الإفك والإرجاف والعبث بالإسلام، والحقد على السنة والكراهية والبغض لأهلها على مرّ العصور.

ولن تتم هذه المعرفة إلا بعد المسح العميق لمحتويات المكتبة الإسلامية بكل أجنحتها والفقه الدقيق لمواقف خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه الذي جمع القرآن وحفظ السنة وواجه أعداءهما كما واجه رسول الله ﷺ أهل الشرك والجاهلية، تلك المواقف التي يُكنّ لها أعداء الصحابة البغض والكراهية والقذف والبهتان لأنها هدمت أسس مكرهم وكشفت حقيقة رفضهم، فأعلنوا حرب القذف والبهتان على السنّة في حال ضعفهم؛ وحرب القتل والتشفي والتلذذ باستباحة أهلها ومقدساتهم في حال شوكتهم، تحت مفاهيم عقيدة الاستئصال والاجتثاث المقرونة دائمًا بالغدر والإيقاع بالمؤمنين والتعاون مع الغزاة والمحتلين، والعمل بكل الوسائل والسبل لطمس أخبار الصحابة وتشويه سيرتهم العطرة وتزييفها بالباطل وتحريف الحقائق[1] والحيلولة دون معرفة الأمة بسيرة خليفة رسول الله الطيبة المباركة وإنجازاته التي تذهل العقول وتدهش النفوس لما فيها من الإخلاص

---

(١) الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٠٣ فما بعدها، وفيها تكفيرهم لأهل السنة وجواز لعنهم، ٢٤١ فما بعدها.

والتفاني، وأصالة الهوية ورسوخ العقيدة.

فاتضح أن الموقف من خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه هو الفيصل بين الإسلام والردة، وهو المحك الذي يفصل بين أنصار السنّة النبوية والرافضة السبئية، وأتباع الأنبياء وإخوان المتنبئين، وقد بلغ من خصوصيات إمامة خليفة رسول الله ﷺ أنها أصبحت تكشف بوهج أنوارها كل من تسول له نفسه مخادعة المؤمنين أو مساندة المنافقين، يتجلى ذلك في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي كونت مع معطيات سيرة الصدّيق العطرة المباركة؛ الحصانة التامة لخليفة رسول الله إمام الأمة ومبير الردة.

فمن هو ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾؟ ومن هو ﴿ٱلْأَتْقَى﴾؟ ومن قيل في حقه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؟ ومن هو الصاحب المطلق ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾؟ ومن ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾؟ ومن المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؟ ومن هم الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؟ ومن هو الذي ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾؟ ومن هو الوحيد المتفرد مع رسول الله ﷺ في الكثير من مواقفه؟ ومن هذا الذي قال في حقه رسول الله ﷺ «**إنه لم يسؤني قط**»[1]؟ ومن الصاحب يوم الغار والهجرة؟ ومن الذي همّ النبي أن يتخذه خليلًا لولا مخالّته ربه عز وجل؟ ومن الذي همّ النبي ﷺ أن يكتب له كتابًا بإمامة الأمة ثم قال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»؟ ومن حج أميرًا بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ، ومن أمَّ المؤمنين أيامًا متتالية بأمر رسول الله ﷺ وفي حضوره وحضور جميع الصحابة؟ ومن صلّى خلفه رسول الله ﷺ؟ ومن ثبت وثبتت بثباته الأمة يوم وفاة رسول الله ﷺ؟ ومن سحق الردة ببغيها ومكرها ومراجعها الأفاكين؟

ومن باشر الفتوح وواجه الفرس المجوس والروم الصليبيين في آن واحد؟ ومن صاحب الوصايا التي زود بها قادة الجيوش فجعل منهم خير جيوش أسهمت في الفتوح؟ ومن دبّر أمر الأمّة قبل وفاته وأنجز بيعة الفاروق؟ إلى غير ذلك من الخصائص التي ظهرت في مواضعها

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٤١٧. ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٢٦. الطبراني: المعجم الكبير، باب سهل ابن مالك، ح (٥٦٤٠).

من هذا البحث، وما هذه المراتب إلا بعض خصائص أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه التي لم يشركه فيها أحد، ولا يستطيع أن يجحد شيئًا منها إلا مرتد حاقد على الإسلام والمسلمين.

فمن زعم الإسلام فلا بد له من موالاة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ومنهج السنّة النبوية، وبيان براءته من الردة الرافضة لما جاء به محمد ﷺ وخلّف عليه الصدّيق رضي الله عنه إمامًا يحميه ويبنيه حتى رسخت الجذور واستبانت الثمار، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فهل يمكن أن يقف كل منّا لينظر أين موقعه من خلافة النبوة؟ وما هو نصيبها من قوته وقلمه وعلمه ودرهمه ومجالسه؟ وما هي صِلاته بأعدائها أو من يواليهم؟ وأين مكانة العقيدة والسنّة في ضميره؟ وما هي صلته بأهلها؟ وما هي رؤيته لكل ما قام به الصحابة من جهاد وعطاء وتضحية لحفظ الإسلام من كيد الماكرين وردة المرتدين؟ وما هو موقفه من شعار خليفة رسول الله الذي عمل به طوال حياته، ذلك الشعار الذي يفترض على كل مسلم في هذا العصر أن يجعله شعارًا له فيردد مع أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قوله: «أينقص الدين وأنا حي؟».

ثم ما هو الموقف من استنفار خليفة رسول الله جموع المؤمنين لحماية الأمة وعقيدتها وهويتها من حقد المجوس وكبر الصليبيين؟ ولمعرفة مقام كل مسلم في هذا العصر أمام ما يصنعه أعداء الصحابة في الأمة، فإنّ الكلَّ مطالب أن ينظر إلى ما يقوم به من عبادات، وإلى ما يحفظ ويعرف من ثقافات، وما يتناول من مأكولات وملبوسات، وإلى ما يشتري ويبيع ويركب ويسكن، ويشاهد ويسمع، وما يفرح ويألم له، فإذا عرف مصادر وضوابط كل ذلك ووجدها على الوجه المشروع، نقية من كل شوائب الرفض والردة وأهلهما وأعوانهما، فليثبت وليبشر لأنه بلا شك في نفير خليفة رسول الله وتحت راياته المؤيدة المنصورة، بعيدًا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

عن شقاق المؤمنين ومودة المبطلين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1].

فهذا إمام الأمة وقائدها الذي سلك سبيل الأنبياء واتبعه وأحبه المؤمنون، وفارقه وأبغضه المرتدون والمنافقون، فأعجز من جاء بعده ولم يعد أمام المصلحين المؤمنين إلا السير خلفه والتعلم من مواقفه، وترديد قول القائل فيه:

بالله لا يدرك أيامه ذو مئزر حافٍ ولا ذو رداء
من يسع كي يدرك أيامه مجتهد الشدّ بأرضٍ فضاء[2]

فهذا الكتاب وهذه السنّة وهذا الإسلام وهذا الإمام فمن أخذ يمينًا أو شمالًا أو ردّ أو رفض شيئًا من هذا المجموع أو داهن فقد زاغ وضلّ، ومن سار على طريقهم، وتمسك بهديهم فقد فاز ووصل، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3].



(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٤٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾(1).

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾(3).

* * *

(1) سورة [illegible].

(2) ابن [illegible].

(3) سورة [illegible].

ملخص البحث ونتائجه

تبين في هذا البحث أن أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ هو صاحبه ومؤنسه ومستراحه وصِدِّيقه الأكبر وصَدِيقه الأشفق، ووزيره الأحزم، ونصيره الأعظم، أفضل الأمة وسيد المهاجرين وخيرهم، وسابق الصحابة وشيخهم، إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ عبد الله بن عثمان بن عامر القريشي التيمي المكنى بأبي بكر رضي الله عنه، والبكر هو الفتي من الإبل، وقد كانت العرب تُسمي بهذا الاسم وتُكني به، تفاؤلًا بالقوة والحيوية والنباهة وسرعة الحركة والصبر والحلم، والألفة والوداعة وقوة الولاء والوفاء، وسعة التحمل والكرم والإيثار والأناقة والجمال، والأصالة والهداية والدِّلالة؛ وما إلى ذلك من صفات ومقاصد كريمة نبيلة.

وتبين أن صحبة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لم تكن مقرونة بزمن محدد، بل إنها ولدت مع ولادتهما فمنذ أن عرف فتيان مكة بعضهم بعضًا؛ كانا هما الصاحبين المتحابين المتآخيين الذين جمع بينهما نبل النفوس وطيبها، وكرم المعدن ووحدة الأهداف وسموها، وعظيم المقاصد وصفاؤها، وتقارب السن وصلة الرحم وحسن الجوار.

فلم يشرب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه خمرًا ولم يسجد لصنم، وما ارتاب رضي الله عنه في الله منذ أسلم.

ولم يتعالَ على أحد قط في جاهلية ولا في إسلام، فهو ودود كريم سخي حليم يألف ويؤلف لا يضن بماله وجاهه في سُبل الخير ونفع الناس ونصرة الأمة.

وكان شمولي الثقافة جامعًا لمعارف عصره ملمًّا بأطرافها وقواعدها، محسنًا لتوظيفها، فمن علم الأنساب إلى التجارة إلى إدارة أزمات الديات والمغارم والإصلاح بين القبائل،

والخبرات الاجتماعية وغيرها التي أغنتها أسفاره وتجاربه الواسعة، إلى علوم الإسلام وما فيها من آداب وأسرار وقيم، كل ذلك جعله يمتلك فكرًا عميقًا وعقلًا ملمًّا متدبرًا مستشرفًا لكل ما يجري في الأمة وفي العالم آنذاك، مما أهله ليكون أكفأ قائد وإمام يعرفه العالم بعد الأنبياء.

فما إن بعث رسول الله ﷺ وعرض دعوته على الناس إلا وكان أبو بكر أول أهدافه ومقاصده، كما أن أبا بكر كان أول مجيبيه وأنصاره، قال ﷺ: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد**». فشارك النبي ﷺ الحياة مرّها وحلوها وأمنها وخوفها، ساعة بساعة ويومًا بيوم، لم يفترقا في موقف من المواقف، لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، حيث دفن الصديق إلى جانب صاحبه ﷺ في جوارٍ أبدي مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فكان في ذلك التلازم أعمق الدروس على أهمية الصحبة والأخوّة في الله، والتعاون على تحمل همّ الأمة وحفظ العقيدة وإعزاز المؤمنين.

وحينما كان يعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل كان صاحبه أبو بكر رضي الله عنه بين يديه مستطلعًا ومُعرّفًا وممهدًا لما سيدعو إليه ويقوله رسول الله ﷺ، فكان يخفف عنه كثيرًا من أعبائه وهمومه، ويشاركه في مواجهة صلف الجاهلية وجلافة أخلاقها

وفي مجال الدعوة وكسر السدود التي وضعها المشركون أمام انتشار الإسلام كان لأبي بكر القدح المعلى، إذ جاء بزهرة شباب قريش إلى رسول الله ﷺ يبايعونه على الإسلام فأصبح الذين أسلموا على يدي أبي بكر رضي الله عنه فيما بعد هم قادة الأمة وأئمتها رضي الله عنهم.

وفي دفاعه عن رسول الله ﷺ بكل ما يملك، كان بحرًا لا سواحل له، يبذل في ذلك نفسه والدنيا وما فيها، فلما ضرب المشركون رسول الله ﷺ جاء أبو بكر رضي الله عنه مسرعًا يدافع هذا ويتلتل هذا وهو يبكي ويقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟[1]

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

قال المشركون: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون[1]!! فكان إذا سمع بمن يؤذي النبي ﷺ فإنه يتصدى له ولا يبالي بما يصيبه من أذى، وبلغ به الإشفاق على رسول الله ﷺ أن أطلق عليه المشركون هذا الاسم، ليكون وسامًا يؤكد أن الصدّيق رضي الله عنه يحب رسول الله ﷺ أكثر من حبه لنفسه أضعافًا مضاعفة، في وقت لم يكن أحد من الصحابة يستطيع الدفاع عن النبي ﷺ ولو بكلمة لما كان عليه المشركون من التجبر والبطش.

ونظرًا لهذا التلازم بينهما أصبحت نظرة المشركين إليهما تكاد أن تكون واحدة في أكثر من موقف، فكان المشركون يعتدون على أبي بكر كعدوانهم على رسول الله ﷺ ويوم الهجرة جعلوا في كل منهما مائة من الإبل، وبعد أُحد لم يسأل المشركون سوى عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لعلمهم أنهم هم قادة الإسلام.

وحين خطب رضي الله عنه في المشركين معلنًا ظهور الإسلام في مكة كان هو الهدف الأول لبغيهم وعدوانهم فضُرب حتى غشي عليه وعندما أفاق كان أول ما نطق به قوله: ما فعل رسول الله ﷺ؟ ولم يذق طعامًا ولا شرابًا ولا دواء حتى اطمأن على رسول الله ﷺ.

وعندما رآه النبي ﷺ وعليه آثار عدوان المشركين حنّ إليه ﷺ ورقّ له رقة شديدة جعلت أبا بكر رضي الله عنه يتحامل على جراحه وآلامه لكيلا يؤلم رسول الله ﷺ لعميق محبته له وشدة شفقته عليه وسمو مكانته عنده، ولكيلا يتشفى المشركون بآلام رسول الله ﷺ على صاحبه.

وحينما أراد رضي الله عنه الهجرة إلى الحبشة قال فيه ابن الدُّغنّة مثلما قالت أم المؤمنين خديجة في رسول الله ﷺ؛ قال: مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ولا يَخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك[2]. وقال: إنك لتَزِين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف.

---

(١) الحاكم: المستدرك، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٤)، ٣/ ٧٠. هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) الصنعاني: المصنف، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) البخاري: ك. الكفالة، =

والصدّيق رضي الله عنه أول من أسلم، وأول من دافع بيده عن رسول الله ﷺ وأول من أنفق. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾[1] وأبو بكر رضي الله عنه جاهد بالمال وأنفقه لنصرة الدين وأعتق به المستضعفين كما قاتل المشركين قبل الهجرة وهذا مما تفرد به، وبعد الهجرة لم يسبقه أحد في أنواع الجهاد، وقبل الفتح وبعده كذلك.

وحين تحدث ﷺ عن الإسراء والمعراج وجاء المشركون إلى أبي بكر رضي الله عنه يرومون تشكيكه بصاحبه ﷺ ردهم خائبين قائلًا لهم: إن كان قال فقد صدق. فوهبه رسول الله ﷺ وسامًا خاصًّا به لم يهبه لأحد من أمته، إذ سمّاه ﷺ الصّدِّيق ولم يسمّ أحدًا الصّدِّيق غيره، وأقر ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

فلم يخفَّ حمل النّبي ﷺ الذي أثقله بأحد كأبي بكر رضي الله عنه، إذ كان ساعده الأيمن وظهيره الأقوى الذي سخّر لنصرته وخدمته نفسه وماله وأهله ومواليه ومواشيه وكل ما يملك.

ولما كان أتباع النبي ﷺ يعذبون ويمتهنون ويفتنون كان أبو بكر رضي الله عنه يبذل ماله في خلاصهم وشرائهم، وذلك مما ينفس الضيق ويُزيح الهمّ عن صدر رسول الله ﷺ ويخفف عنه أعباء المسؤولية وهموم التبليغ إلى الناس كافة، وآلام الاستضعاف الذي كان يعاني منه المسلمون.

وبلغ من عزته بإيمانه أنه حين أراد أن يمنّ عليه سيد الأحابيش بالجوار فيحدّ من حريته مداهنة للمشركين قال له: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى[3].

= جوار أبي بكر، ح (٢١٧٥).

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠. (٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٦٨٦٨)، ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢/ ٤١٠.

وتبين أن الصدّيق تفرد في كثير من المواقف، منها أنه المستشار الدائم لرسول الله ﷺ، وفي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من الصحابة إلا واحد يكون هو ذلك الواحد، في مثل دفاعه عن النبي ﷺ في مكة وكذلك يوم الغار، وتشاوره معه عن الدعوة ووسائل تسييرها ونشرها في القبائل بعد دعوتهم ومحاورتهم، وفي عريش بدر كان مع النبي ﷺ هما القيادة ما معهما غيرهما[1] فصحبته صحبة قيادة ميدانية متكاملة، فيها الكثير من الخصوصيات التي لم تكن لغيره، ولعل هذا ما يفسر القدرات القيادية الهائلة التي ظهر بها رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ.

ومما تفرد به شجاعته الخارقة، التي أثارت دهشة بعض معاصريه حتى قال له بعضهم: ما أراك تخشى لما قد بلغ من الناس من إغارة العدو؟ فقال: «ما دخلني إشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين قال لي: **«هوّن عليك، فإنّ الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام»**[2].

ومما تفرد به رضي الله عنه قول النّبي ﷺ: **«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها، ما خلا أبا بكر، فإنّ له يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»**[3].

وقال ﷺ منوهًا بتفرد فضل أبي بكر رضي الله عنه: **«إنّ أمنّ الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر»**[4].

ومما تفرد به رضي الله عنه إسلام أمه وبنيه وبناته ثم أبيه وهذا لم يحصل لغيره من المهاجرين رضي الله عنهم.

وهو أول من جمع القرآن الكريم، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام،

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الأنفال، الآية (٤٢) ٢/ ٣١٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٧.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (١١٤٦١).

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح(٤٦٦).

وأول من تقيأ تنزهًا وتحرجًا عن لقمة قد تكون من الشبهات.

وأول من ساوى بين الناس في العطاء، فأعطى السيد ومملوكه سواء، والمرأة وأمتها سواء ويقول: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعه، وإنما فضلهم في أجورهم[1]. ليكوّن بذلك قاعدة نقاء الفكر الإسلامي وإصلاحه المبني على الأساس نفسه الذي أثمر الحضارة التي قادها الصدّيق والفاروق وإخوانهم رضي الله عنهم حيث الناس فيها سواسية كأسنان المشط.

وكان رضي الله عنه قدوة في ذلك حيث كان قائمًا على قضاء حوائجه بيده لا يستعين بأحد عليها، فلما سئل عن سبب ذلك قال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئًا[2].

وبلغ من زهده رضي الله عنه أنه قد حجر لنفسه وعياله حجرة من شعر، فما زاد على ذلك، فأقام هناك بالسُّنْح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، فيوافي المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى أهله بالسُّنْح.

وفي الجانب الاقتصادي علم الدنيا طهر الإدارة «فحين استُخلف ألقى كلّ دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به فلما وليتهم شغلوني»[3].

كما علم الناس كيف تحفظ الأمانات وتؤدى الحقوق، قال رضي الله عنه: إني وليت أمر المسلمين فأكلت من جريش طعامهم، ولبست من خشن ثيابهم، فليس لهم قِبلي دينار ولا درهم.

وأعطى لكل قائد درسًا في العفة وحب الأمة وإيثارها على النفس والولد، وذلك حين قال رضي الله عنه: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئًا، وإن

---

(١) الشيباني: الزهد، ١/ ١١٠.

(٢) ابن حنبل: مسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٦٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٢١.

أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم.

فكان رضي الله عنه أفضلهم إسلامًا وأفضلهم قيادة وأكثرهم شبهًا برسول الله ﷺ في كل ما يقوم به من أمر أو نهي، ولم يزل كذلك حتى قبضه الله تعالى[1] وهو في إخلاص ونقاء وارتقاء وسمو أوصله إلى بشارة النبي ﷺ له بأنه سيُدعى إلى الجنة من جميع أبوابها[2].

وكان ﷺ يقول لأبي بكر وعمر: «**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما**»[3] وعندما كانا عن يمينه وشماله ﷺ قال: «**هكذا نبعث يوم القيامة**»[4].

وفي عصر الرسالة حدّث عن السمو والرقي والوفاء والفداء والإخاء والعطاء الذي لا تحده حدود، وأصغ بالسمع والفؤاد إلى ثناء النبوة وإعلانها العاطر على صدق الصحبة وعميق النصرة وجميل المواقف وحميد الخصال، فكثير من الآيات القرآنية يعبق شذاها بذكر خصائصه، وكثير من الأحاديث النبوية تشدو بالتنويه بمقاماته ومنازله فحياته كلها عطاء وفداء وشفاء رضي الله عنه.

وبثباته بعد وفاة النبي ﷺ ثبتت الأمة، فقد جاء رضي الله عنه في ذلك اليوم العصيب، وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة، في حين دهش الناس واختلفت أحوالهم في ذلك وأفحموا واختلطوا، فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ومنهم من أصمت فلم يطق الناس الكلام.

وبلغ من ثباته وشجاعته أنه لما قدمت كتب أمراء النبي بعد وفاته ﷺ من كل مكان

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣١٩٣٠). الحربي: غريب الحديث، ٣/ ١١٢٢.

(٢) البخاري: كتاب الصوم. باب: الريان للصائمين، ح (١٨٩٧).

(٣) ابن حنبل: المسند، ك. حديث عبد الرحمن الأشعري، (١٧٥٣٣) المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، (٧٢٩٩).

(٤) الترمذي: السنن، ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٩) وروي هذا الحديث أيضًا من غير هذا الوجه.

بانتقاض القبائل عامة أو خاصة، وعدوانهم على المسلمين فإنه لم يتغير ولم يهتز، بل حارب المرتدين بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم به، حاربهم بالرسل فرد رسلهم بأمره وأتبع الرسل رسلًا، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وجيشه رضي الله عنهم.

فكانت الكتب إلى القبائل المرتدة كتابًا واحدًا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة».

وحين قال له الناس كيف ترسل جيش أسامة وهم جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك؟ فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته، فكان كذلك وجنت الأمة من ذلك أمنًا وهيبة ونصرًا.

وقد واجه خليفة رسول الله الفرس المجوس والروم الصليبيين بيقين المؤمنين، وقال رضي الله عنه: لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد رضي الله عنه. متمسكًا في ذلك بقول النبي ﷺ: «**خالد سيف من سيوف الله... نعم فتى العشيرة**»[1]. وقوله ﷺ: «**إنه سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار**»[2] فكان خالد رضي الله عنه عند حسن ظن أبي بكر وظن الأمة به، فأنجز وجيشه كل ما أوكل إليهم من مهام في الشام والعراق.

وفي المواقف العظيمة والساعات العصيبة كان الصدّيق دائمًا بين يدي النبي ﷺ، فقد سلم النبي ﷺ رايته العظمى يوم تَبُوك إلى أبي بكر، وكانت سوداءَ، وكان جيش تبوك الذي

---

(١) الألباني: الجامع الصغير وزياداته (٥٥١٩) و(٣٢٠٨) ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣٢٢٦٤) التبريزي: مشكاة المصابيح، ح (٦٢٤٨). المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٣٣٢٨٠).

(٢) ابن حنبل: المسند، ح (٧١٨٨) فضائل الصحابة، (١٢٧٨) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح (١٥٨٧٦).

حمل رايته أبو بكر رضي الله عنه أكبر جيش جمعه وقاده رسول الله ﷺ، وكان ثابتًا مع رسول الله ﷺ ولم يختلف أهل السير أن أبا بكر لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها[1].

وفي رده على مبعوث قريش عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية وتصريحه بما يلقمه حين غمز بولاء الصحابة لرسول الله ﷺ[2] يظهر مدى غيرته وقوة حميته، وفي عدم رد عروة على كلمة الصديق رضي الله عنه ما يدل على المقام الكبير الذي كان له بين سادة العرب آنذاك.

وكان رضي الله عنه أطوع الناس لله ولرسوله ﷺ فكان موافقًا لرسول الله ﷺ في كل شيء، ولمّا حاوره عمر يوم الحديبية أجابه بمثل ما أجابه النبي ﷺ من غير أن يسمع جواب رسول الله ﷺ، وهذا من أبيْن الأمور دلالة على موافقته التامة للنبي ﷺ.

وقال لعمر يوم الحديبية: أيها الرجل إنّه رسول الله ولن يعصيه وإن الله ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قال عمر: ردّ عليّ أبو بكر كما ردّ علي رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق[3].

وكان من مكانة الصديق رضي الله عنه أنه يفتي ويفصل بين يدي رسول الله ﷺ في مثل موقفه ممن أراد أن يأخذ غنيمة أبي قتادة رضي الله عنه يوم حنين وقال لرسول الله ﷺ: أرضه مني. فقال الصدّيق رضي الله عنه: كلا لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله ﷺ فأدّاه إليّ[4].

قال العلماء: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إلا هذا لكفى، فإنه بثاقب علمه، وشدة صرامته، وقوة إنصافه، وصحة توفيقه، وصدق تحقيقه بادر إلى القول

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ١٧٢.
(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٠٥.
(٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٢٩٥. الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٥٥.
(٤) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٣٢٢).

بالحق، فزجر، وأفتى، وحكم، وأمضى، وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ﷺ وبما صدّقه فيه وأجراه على قوله رضي الله عنه[1].

وكان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده؛ فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[2].

والصدّيق رضي الله عنه أول من حج بالنّاس سنة تسع من الهجرة بأمر النبي ﷺ ونيابة عنه في قيادة الأمة في أول حجة يحجها المسلمون ولم يكن ذلك لغيره رضي الله عنه.

وهو الذي أمّ المهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر رسول الله وبحضوره ﷺ و«صلّى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه»[3].

وموقف أم المؤمنين رضي الله عنها في العمل على صرف الخلافة عن أبيها رضي الله عنه أوضحته بقولها: كنت أرى أنه لن يقوم مقامه ﷺ أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر[4]. ولكن رسول الله ﷺ كان أعلم وأعرف بأصحابه لذلك قال: «**لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر**»[5] في إشارة بيّنة إلى خلافته رضي الله عنه.

وهذا بعكس ما يفتريه الرافضة ويدينون به في عقيدتهم، من أن الطاهرة الصدّيقة رضي الله

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٣٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٩. ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٤٦٩، ٤٩٢.

(٢) أبو بكر الصديق، محمد مال الله، ص ٣٢٥.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٢١١٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعلة (٦٨٣) صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢- ٦٣٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٤٦). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٥٨٨)، (٤٣٩١)

عنها كانت تعمل على أن يتولى الصديق رضي الله عنه الخلافة، للتشويش على نهج الصحابة وأخوتهم، التي كانت تقف على مثل قول الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي[1].

فاتضح أن قيادة خليفة رسول الله كانت قيادة عقيدة تبني على مفهوم العقيدة، وتنطلق من ذلك المفهوم المرتبط بالله ورسوله ﷺ والقائم على أن محمدًا ﷺ بشر يوحى إليه، وأن ما جاء به من عقيدة التوحيد لا تقبل التبديل ولا التعديل، وأن الله حي لا يموت، كما تبين أنها قيادة في منتهى الوعي والحزم وحسن التخطيط والتدبير والشفافية والوضوح، وبما يؤكد سعة العلم ودقة الفهم والفطنة، وعمق الفقه وشمول الإدراك، والجرأة والسبق والإقدام والاستعداد الدائم لمفاجأة الأحداث قبل أن تفجأه ومعالجتها قبل غشيانها.

فهو الذي حسم مسألة الخلافة يوم السقيفة على أتم وجه وأكمله، وأقام الحجة ودلل بالبرهان الساطع على موضع الإمامة ومكانها في الأمة، فتتابع المهاجرون والأنصار على البيعة وبايع سعد رضي الله عنه[2] ولهذا كان الإمام أحمد يقول: «أصول السنّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ»[3].

وفي خلافته أثبتت النصوص الصحيحة أن الصدّيق رضي الله عنه هو خليفة رسول الله ﷺ وإمام الأمة بعده ﷺ فلا خليفة ولا إمام سواه ولا وصية ولا نص على غيره رضي الله عنه، فرسول الله ﷺ هو الذي أقامه خليفة له بالإشارة الملحة، والتلميح الفصيح، والترغيب الصريح.

---

(١) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «**لا نورث**» (١٧٥٩).

(٢) الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦) الحكمي: معارج القبول، (١١٣٣). ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، (٢/ ٤٠).

(٣) أبو داود: السنن، ك. الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ح (٢٢٤٢).

ولم يقبل رسول الله في آخر حياته ﷺ أن يؤم المؤمنين إمام غير صاحبه الصدّيق رضي الله عنه مؤكدًا بذلك إمامته للأمة من بعده ﷺ وليتأكد من خلال ذلك الموقف النبوي أوهام من يرددون الإمامة لغيره من الصحابة رضي الله عنهم ناسين أنهم يلوكون بذلك تلبيس الرافضة وتزييفهم لمنهاج النبوة الذي نظم مقامات الصحابة كل عند سابقته وجهاده وإنفاقه وعلمه وإخلاصه.

والذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] قال ابن عبّاس: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة؛ لأنه خلّفه على الأرض. وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[2]. وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، وقالوا له: «يا خليفة رسول الله» ولم يسمّ أحدٌ بعده خليفة، وتوفي النبي ﷺ عن أكثر من مائة ألف من الصحابة كلهم قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله.

وقال أبو بكر بن عيّاش الأسدي الكوفي: أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه خليفة رسول الله في القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[3]. فمن سمّاه الله صادقًا فليس يكذب، والصادقون هم الذين قالوا لأبي بكر الصدّيق: يا خليفة رسول الله[4].

ومنهم من قال: إن خلافة الصديق رضي الله عنه وقعت بالنص الخفي، ومنهم من قال بالنص الجلي. وعندما سُئل الحسن البصري: هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر رضي الله عنه؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه ﷺ لهو كان أتقى من أن يتوثب عليها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٩٦.

وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصًّا جليًّا قال أبو محمد بن حزم: وبهذا نقول لبراهين أحدها: إطباق الناس الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] على أن سمّوه خليفة رسول الله ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصًّا.

فالنبي ﷺ أخبر الصحابة رضي الله عنهم بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامدٍ له، وعزم على أن يكتب له كتابًا بذلك، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك القول، لما علم أن الله يختاره والمؤمنون يختارونه رضي الله عنه.

ولقبه المسلمون جميعًا بخليفة رسول الله ولم يخالف عن ذلك إلا رافضي حاقد على النبي ﷺ وعلى خلافة النبوة أو منافق زنديق يُظهر الإيمان ويبطن الردة.

وجميع المؤمنين يعلمون أنه هو الأولى بالخلافة وأبوا أن يتولى عليهم في حياته غيره ولا يحتاج علم ذلك إلى كتاب أو أدلة لترجيحه؛ لأن تقدم الإمام الثاني في غياب الإمام الأول أمر مفروغ منه بلا كتاب ولا حساب[2]، وذلك معلوم عندهم في حياة النبي ﷺ.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما كنا نختلف في عهد رسول الله ﷺ أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وأن الخليفة بعد أبي بكر عمر وأن الخليفة بعد عمر عثمان رضي الله عنهم[3].

وقال عمر رضي الله عنه: قلت لأبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار[4]. وعند ابن عقبة: ووثب عمر فأخذ

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٢) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، إمامة الصديق رضي الله عنه، ٥١.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٣.

(٤) ابن حنبل: المسند، ك. وباب، آخر مسند عمر(٣٩٣) المعجم الكبير، ك. الحاء، باب حباب بن المنذر، (٣٥٩٧).

بيد أبي بكر رضي الله عنه وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير يستبقان ليبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع، ثم بايعا معًا رضي الله عنهم أي أن الصحابة كانوا يتسابقون على بيعته رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر[1].

وقال خالد رضي الله عنه يوم البيعة: إنه والله ما صاحب هذا الأمر - يعني أبا بكر رضي الله عنه - بالمسؤول عنه، ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي الشخص ولا المغمور القناة. فعجب الناس من كلامه[2].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه حين خرج لمواجهة المرتدين: شِم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا[3].

وقال رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال رضي الله عنه يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني.

وقال رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدّم أبا بكر رضي الله عنه في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه[4].

وقال رضي الله عنه: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين - أبا بكر وعمر - بما ليسا من هذه الأمة بأهل، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه أعاقب، أما والذي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، ح (٦٣٢٨).

(٢) الصالحي: سبل الهدى ١٢/ ٣١٤.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٠٢.

فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا منافق ردي[١].

وقال علي رضي الله عنه: والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا بذل لله نفسه ودمه[٢].

وقال رضي الله عنه: من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

وقال رضي الله عنه: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر[٣].

وقال علي رضي الله عنه يترحم على عمر يوم وفاته: وايم الله إن كنت لأرى أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[٤].

وقال رضي الله عنه: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إنْ يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه[٥].

وكذلك القيادة بعد رسول الله ﷺ كانت لأبي بكر رضي الله عنه وظهرت له وحيدًا، ففي الوقت الذي كان الناس يقولون له: كيف تقاتل من يقول: لا إله إلا الله؟ كان يعلم مكر المرتدين وبغيهم فيقول: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فواجه الردة، وأنفذ جيش

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٨٥.

(٢) البزار: مسند البزار، مما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه ٥/ ٥٦١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٨٢.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٤٨.

(٤) النسائي: السنن الكبرى. ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح: ٨١١٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٨٩، ٢٩٠.

أسامة، ولم يكن معه أحد يشاركه الرأي من أبناء الأمة، فتأكد تفرده بالقيادة في ساعات الكرب والشدة.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1] وصف لأبي بكر رضي الله عنه وجنده، فدل ذلك على صحة إمامته وفرضية مبايعته ورشد قيادته، وأن الله تعالى يحب أبا بكر رضي الله عنه وجنده وهم يحبون الله تعالى، وأن من يبغضهم فهو مبغض لنبيهم ﷺ ولربهم جلّ في علاه، رافض لنشرهم التوحيد والوحدة والعدل، وحاقد على إنجازاتهم الحضارية الهائلة تحت ظلال الخلافة الراشدة.

فمنهج خليفة رسول الله هو المسار الذي تظهر عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنة، وذلك المنهج الذي بلغت صحته وعلو منزلته أن رسول الله ﷺ كان يغضب لصاحبه ويرضى لرضاه، فكل من لا ينقاد لإمامته وخلافته رضي الله عنه إنما يسير خارج إطار الكتاب والسنة وذلك أن الأمة تعافت على لمسات قيادته بعد مصابها الأليم بوفاة رسول الله ﷺ وبعد فتنة الردة الرافضية وما رافقها من غدر وحرب للكتاب والسنة.

فأصبح كل كتاب أو مقال أو خطاب أو صحيفة أو مجلة أو مسلسل أو فضائية أو أرضية أو طائفة أو جماعة أو حزب أو غير ذلك؛ ينال من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ويطعن فيهم تحت أي مسمى كان؛ إنما هو معول هدم وغدر ودمار في حصن الأمة.

وكل من يقبل النظر فيما ينفثه هؤلاء من السحر والوهم والحقد؛ إنما هو معاون لذلك المخرب ومشارك له في غش الأمة وخداعها وتمزيق هويتها، وكل من يسكت عنه إنما هو أخرس عن الحق ومضيع للأمانة وخائن للثغرة التي هو عليها، وبائع لدينه، ومسوق لأحقاد أعداء الصحابة الرافضين للكتاب والسنة وخلافة النبوة.

وأصبحت معرفة سيرة خليفة رسول الله واجبًا لا مفرّ منه، فهو الذي وحّد الأمّة بعد

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

نبيها ﷺ وهو الذي ثبّت السنّة ودحر الرفض والردة، وهو الذي قاد الفتوح شرقًا وغربًا وباشر تحطيم قوى الشر المجوسي والصليبي، فأصبح الموقف من إمامته وخلافته فيصلًا بين السنّة النبوية والردة الرافضية.

ولكن مع كل هذا الوضوح في موقف الراشدين رضي الله عنهم من المرتدين فإن الباحث يلاحظ جمود وتبلد الخطاب المعاصر لكثير من أهل السنّة؛ الذي لا يميز بين من يناصبهم العداء، وبين من يدفع دمه دفاعًا عنهم، يظهر ذلك جليًا في خطاب كثير من علمائهم المائع المخادع المدلس، الذي أسهم في ذوبان الهوية وتصدع الجماعة، وفي عامة وسائل إعلامهم المرئي والمسموع والمكتوب، الذي يدور بين تمجيد الباطل وتأليه الحاكم، ومداهنة بعض الأقليات وتهويل أعدادها وطمس آثار ووسائل خذلانها وتعاونها مع الأعداء وتآمرها على الأمة، وتسفيه الحق وإقصاء العقيدة وتشويه آثار ودور حملتها في حماية الأمة والتصدي للغزاة والمتآمرين عليها.

ومما يبعث على الأسى أن المراقب لحركة الأحداث، يرى كيف يقوم حكام وأغنياء وعلماء أعداء الصحابة، برعاية أبناء عقيدتهم وبرهم وتدريبهم على كل ما يعينهم في خدمة عقيدتهم والتمكين لأمتهم، في حين يقوم أكثر سلاطين السنّة وأغنيائهم ولا سيما العرب منهم، بخنق أبناء عقيدتهم وكبتهم ووأدهم وبيعهم، والعمل بكل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين ما ينصر السنّة ويحمي أبناءها ويحفظ أمتها، فأي نتيجة تُرتجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، التي أصبحت تعطي ثمارها المرة تمزقًا وتناحرًا، في حال لا يتسع ولا يحتمل ذلك؛ مع ما تعانيه الأمة من سقوط البلاد وقتل العباد؟

ولا سيما أن الكثير من الأقليات داخل الأمة في هذا العصر أخذت تتكاتف وتنظم جهودها على أسس من قومياتها وعقائدها حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها وتوحد جهودها ضد الأمة وهويتها، بالتآمر والجاسوسية أو بالتحالف مع الغزاة ومباشرة العدوان، أو غير ذلك من تبني الأفكار المناقضة للعقيدة الإسلامية وإنشاء

الأحزاب الإلحادية أو العلمانية ومن ثم شراء الغوغاء واستخدامهم لمحاربة عقيدة الأمة وهويتها باسم العقيدة والهوية، حتى أصبح أهل السنة وعقيدتهم غرباء في ديارهم وبلاد أجدادهم.

لهذا كان التأكيد في هذا البحث على ميزان السنّة النبوية وعلى إمامة الصدّيق؛ لفضح الزنادقة والمرتدين وإخوانهم المداهنين والمذبذبين، ولبيان الطريق الموصلة إلى وحدة الأمة وسيادتها، التي لا يمكن أن تتم في يوم من الأيام على غير منهاج السنّة وإمامة الصدّيق رضي الله عنه.

وتبين في هذا البحث أن منهج خليفة رسول الله الذي كان النبي ﷺ يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، هو المنهج الذي تقاس عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنّة، وذلك لسابقته وتجربته وعلمه، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا[1]. فكل من لا ينقاد لإمامة وخلافة الصدّيق ويبرأ من رافضيها فما هو إلا امتداد للردة وتبعاتها المشينة الخطيرة.

وأعداء الصحابة لا يريدون أن يعرف المسلمون تنويهات القرآن الكريم ولا إشارات النبي ﷺ عن عظمة خليفة رسول الله ودوره الرائد في قيادة الأمة على مسار نبيها ﷺ ومنهجه الذي خطط له وأسس لبنائه في حياته ﷺ؛ لأن ذلك يبطل سحرهم ويسقط مكرهم وتربصهم بالسنة وأهلها، فيشوشون على فضائله رضي الله عنه ويفترون عليه للتلبيس على من يسمع لهم ويصدق هذيانهم.

ولإبقاء الرافضة في استنفار دائم ضد ما جاء به الشرع الحنيف، لذلك تبقى السنّة النبوية مقياسًا يظهر على أركانه المتبع لمحمد ﷺ وأصحابه من المحارب لهم المنافق لأعدائهم.

فكل عالم يزعم أنه من أهل السنة ليس له مشاركة في صد عدوان أعداء الصحابة على

(١) البخاري: كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٦٦).

عقيدة ودماء أهل السنة وبلادهم وأعراضهم وأعلامهم؛ مشاركة مباشرة بأي شيء يسهم في فضح باطنيتهم وإسقاط أقنعتهم التي يتلبسون بها لمحاربة الإسلام؛ فإنه متهم لا تشفع له الغفلة ولا تسعفه الأعذار.

وعمّا يسمى بالميراث وتمسكه رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ كان يقول في أرض فدك: إني لم أكن لأترك فيها أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته[1]. فكان لا يحيد عن أمر النبي ﷺ وعمّا كان يعمل به ولا يبالي بغير السير على مساره ﷺ.

وعن زر بن حبيش قال: سألت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ قالت: أعن ميراث رسول الله ﷺ تسأل؟ ما ترك رسول الله ﷺ صفراء ولا بيضاء ولا شاة ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أمة ولا ذهبًا ولا فضة[2].

ولما سمعت السيدة فاطمة رضي الله عنها ما قاله الصدّيق رضي الله عنه أمسكت عن الكلام في المسألة، وما كان يسعها غير ذلك لورود النص الصحيح عن رسول الله ﷺ «فلم تكلمه» أي في الأرض بعدما سمعت ردّه رضي الله عنه ولم يثبت قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته رضي الله عنهما، كما يزعم ذلك دعاة الفتنة أعداء الصحابة.

وقال القاضي عياض: وكان في ترك السيدة فاطمة رضي الله عنها ذلك «التسليم للإجماع، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك مِن طلب ميراث، ثم ولي علي رضي الله عنه الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[3] حتى جاء أعداء الصحابة وأخذوا يكذبون على فاطمة وعلي وأبي بكر رضي الله عنهم لا حبًّا بهم ولكن حبًّا بالفتنة والإفك الذي يدينون به!!

(١) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث» (١٧٥٩).

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٧٢. مسند الحميدي: ١/ ١٣٢، ح (٢٧١).

(٣) مسلم: بشرح النووي (١٢/ ٣١٨).

أما قول النبي ﷺ في حق السيدة فاطمة رضي الله عنها: «**فمن أغضبها فقد أغضبني**» فإن كان وعيدًا كما تزعم الرافضة فإنّه يقع على علي رضي الله عنه ليس على الصدّيق رضي الله عنه؛ إذ إن مناسبة هذا الحديث هو خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل؛ وشكوى فاطمة رضي الله عنها له إلى النبي ﷺ على ما روى الشيخان: إن عليًّا خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك السيدة فاطمة رضي الله عنها، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: «**أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع - الأموي - فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد**» فترك علي رضي الله عنه الخطبة[1]. وأسقط الرافضة هذا كله وحولوا النص عن مناسبته تزييفًا وتحريفًا.

وفي مواجهة الرافضة المرتدين تمكن خليفة رسول الله من قهرهم وكشف زيفهم وأبطل سحرهم فلم يعد أحد يعذر بالجهل بهم، ولا سيما من يرى ما يفعلونه وقرأ ما فعلوه بالأمة، وشاهد تحالفاتهم مع أعدائها، ولا يعذر أحد بالصمت عنهم، وكل من يعرفهم ويسكت عنهم إنما هو شيطان أخرس، فلا عقل ولا دين ولا حكمة إلا في فضحهم، والتحذير من مكرهم وكيدهم وحقدهم، واستنفار الأمة لمواجهة بغيهم وغدرهم، وكما قال بعض السلف العارفين: «لا يَحِلُّ والله أَنْ يُحْسنَ الظَّنُّ بِمَنْ تَرَفَّضَ وَلا بِمَنْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فِي حَالٍ»[2]. وعلى هذا فكل من لا يسهم بمجاهدة باطلهم بما يتاح ويستطاع، فإنه فاقد للحكمة والغيرة والحمية، مفرط بالسنّة مداهن للردة، والعاقل من اتعظ بغيره ولم يكن عظة للآخرين.

فاتضح في كل ذلك صواب منهج خليفة رسول الله الوحيد الذي قاوم الرافضة المرتدين

---

(١) البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصهار النبي ﷺ، ح (٣٧٢٩) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٤/ ١٩٠٣، ح (٢٤٤٩).

(٢) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي الحكيم العارف: ينظر: ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ١/ ٥٣. دار الوفاء، مصر(ط ١) ١٩٩٩م.

بعد أن ثبت عمليًّا وعلميًّا أن الفكر التكفيري الاستئصالي وثقافة الحقد والبغض والكراهية المتجددة في موروثهم العقائدي، التي يدين بها الرافضة، كافية بأن تزود أي رافضي إن تولى أي سلطة أو أصبحت لديه أية قوة أن يبيد السنّة وأهلها ويطمس هويتها ويجتث كل ما هو عربي إسلامي يقع تحت سلطانه دون أي رحمة أو تأخير أو حياء أو وازع من ضمير.

وإن كان تعاونهم الحاقد مع التتار المتوحشين قد أباد ما يقارب من مليوني مسلم من أهل بغداد وضواحيها آنذاك، فهم إن تمكنوا في هذا العصر ليبيدنّ جميع الملايين السُّنّية ولو بلغت المئات، وما دماء السنّة التي تجري على أيديهم - لا لشيء إلا لأنهم من أهل السنّة في هذا العصر - إلا مصداق لذلك.

ولن يكتفوا بذلك حتى يجتثوا آثار الكتاب والسنّة وما تفرع عنهما إن تمكنوا من ذلك، وما تغييرهم لمناهج التعليم في العراق وبحسب رؤية مراجعهم الشعوبية المخالفة للسنّة والحاقدة على كل ما هو عربي وكما هو معلن عنه الآن في الفضائيات والصحف؛ إلا تأكيد على منهج اجتثاث الإسلام وآثار الفتوح العربية الإسلامية وبطولات قادتها من الصحابة رضي الله عنهم.

إضافة إلى هدم المساجد وحرق المكتبات وتدمير المدارس والمؤسسات، وسرقة الأملاك العامة والمشاهد المشينة التي كرروا بها مواقفهم الغادرة التي قاموا بها عندما كانوا يعملون في الجاسوسية والخدمة لهولاكو التتار.

يؤكد ذلك عقيدتهم القائلة عن الصحابة وأهل السنة: «وحاصله أنّا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وأبو بكر خليفته، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا[1]».

(١) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٧٨. ولا شك أن هذا واقع قائم في حال تمكنهم ولا يجوز لهم غيره، أما في حال ضعفهم فهم يأخذون بالتقية والنفاق وإن كانوا لا يدعون التدين بهذا في كل =

وأكد هذه العقيدة التي يدين بها الرافضة قيامهم باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومحاولة اغتيال معاوية وعمرو يوم قتل علي رضي الله عنهم ومن بعدهم محاولة اغتيال الحسن رضي الله عنه ثم قتلهم للحسين رضي الله عنه في الكوفة بعد أن بايعوه ثم كَذَبوه وغدروا به.

بل إن الرافضة السبئية المجوسية اغتالت خمسة من المُبَشرين بالجنة وهم سادة الإسلام وأحرار البشرية ووجوه العرب: «عمر الفاروق وعثمان ذو النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم وابن عمته ﷺ وعلي أبو الحسن زوج فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وابن عمه، وطلحة الفياض بن عبيد الله ابن عم الصدّيق، وحواري رسول الله ﷺ الزبير رضي الله عنه ابن صفية عمة رسول الله ﷺ» وما زالوا يدينون ببغضهم والحقد على أمتهم.

قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره وعوجلت خلاخل أمهات أولاده! فوادع معاوية رضي الله عنه وحقن دمه ودم أهل بيته وهم قليل حق قليل رضي الله عنهم ثم بايع الحسين رضي الله عنه من أهل العراق عشرون ألفًا غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه[1].

لذلك كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يكره أهل الكوفة الرافضة ويبغضهم ويتمنى فراقهم، قال رضي الله عنه: أحمد الله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمَرتُ لم تُطع؛ وإذا دعوت لم تُجب؛ إن أُمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم لا أبا لكم... فأنا لصحبتكم كاره وبكم غير كثير، لله أنتم، أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تشحذكم... !! إنه لا

= أحوالهم، ومن هنا حذر السلف الصالح من أخطارهم على الدين والأمة.

(١) الأمين: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٢. وينظر: الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ١/ ٣٠٦.

يخرج إليكم من أمري رضًا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه، وإنّ أحبّ ما أنا لاقٍ إليّ الموت.

فرافضة الكوفة ومن معهم عند أمير المؤمنين علي وَهْمٌ وسراب ومحنة له وبلاء ابتلي بهم رضي الله عنه وهم - كما قال رضي الله عنه - أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح، ونسّاك بلا صلاح، وتجار بلا أرباح، وأيقاظ نوم وشهود غُيَّب، وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء[1].

أما بغضهم للصحابة فما هو إلا شر على معتنقيه، أما الصحابة فكما قالت الطاهرة رضي الله عنها لمن قال لها: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا يقطع عنهم الأجر[2]. ولا الوزر الموجب للعنة الله وغضبه وسخطه على معتنقي عقيدة الحقد على الصحابة، ومن يتقارب معهم من الغوغاء والضائعين.

فموقف أهل السنّة من الرافضة ليس باختيارهم، وإنما هو مفروض عليهم شاؤوا أم أبوا! لأن كل ما في الرفض من عقائد وولاء وبراء؛ قائم على هدم السنة واستباحة أهلها، وكل محاور ثقافتهم قائمة على الاستفزاز والتحريض والبهتان والإفك ونشر الكراهية وإثارة الفتنة وتجديد كل خلاف ورعاية وتغذية كل شبهة، وإحياء ونشر كل نزعة جاهلية.

والذي تأكد لكل عاقل أنه لا جدوى من أي دعوة للتقريب وما إلى ذلك؛ لأن القوم يفعلون ما يفعلونه من البغي والبهتان والتحريف عن عمد وإصرار، وأن التقية تمنع أي عاقل أن يثق بما يقولونه، وأن أهل السنة لا أمان لهم ولا حقوق في عصر شوكة الرافضة، قولًا واحدًا.

كما تبين أن عامة أهل السنّة لا موقف لهم ولا معرفة ولا علم بفقه الرافضة الاستئصالي

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة المفترى أكثره، ٧/ ١٨٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٤٦٧. الهندي: كنز العمال، ح (٣٦١٢٥) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ١/ ٤٣٣.

في عصر شوكتهم؛ بل إن أكثر علماء السنّة لا علم لهم بذلك، مع كل مخاطرهم التي تهدد وجود وعقيدة أهل السنة، ومما أسهم في ميوعة موقف أهل السنّة من هذا الخطر الرافضي المحدق، هو تضليل الرافضة وتدينهم بالتقية والخداع، وضعف الغيرة على السنّة عند كثير ممن يسمى بعلماء أهل السنّة وفي مقدمتهم دعاة التقريب الذين أسهموا إسهامًا بينًا في تضليل أهل السنّة ونزع الحذر والغيرة منهم على دينهم وهويتهم، مما يؤكد الحاجة الماسة إلى معرفة فقه الرافضة في عصر قوتهم وموقفهم من أهل السنّة.

وظهر في هذا البحث أن كل من كان إلى الصدّيق أقرب، من المهاجرين والأنصار، كان أفضل، فما زال خيار المسلمين مع الصدّيق قديمًا وحديثًا، وذلك لكمال نفسه وتمام إيمانه.

وكل ما جرى لأهل السنّة من مصائب ونكبات على أيدي الرافضة، يؤكد عميق معرفة خليفة رسول الله بأعداء الإسلام وفهمه لما يخططون له ويؤكد صواب موقفه الحاسم من هذا الشر الذي أعلن الحرب على الكتاب والسنة وحملتهما.

فاتضح أن أمر الرافضة قديم وأن الحرب على السنّة النبوية لم يكن يشنها المشركون الوثنيون فقط، وإنما هناك الكثير من الأدعياء الذين يتسترون بالإسلام ويشرعون لأنفسهم من دون الله ويقرنون ذلك التشريع بالحرب المباشرة وغير المباشرة على السنة.

وموقف الصدّيق رضي الله عنه من رافضي خلافة النبوة كان لا يقبل المحاورة ولا المهادنة لما يمثله هؤلاء القوم من الخطر الأكبر على الإسلام من داخله، فكان لسان حاله يقول: قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص الدين وأنا حي[1]؟ وعلى هدي هذه القاعدة الأصيلة وفي تلك الفترة القصيرة من قيادته وإمامته، وبمثل إمكانياته وظروفه، حصل من الأعمال والإنجازات الداخلية والخارجية، وتنفيذ الخطط السياسية والعسكرية وما فيها من الفتوح والبرامج الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها، ما أبهر العقول وأذهل أهل التدبير والتخطيط.

(١) ينظر: أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٠.

الموضوع رقم الصفحة

وتبين أن الغوغاء في كل عصر هم أعوان للكذابين والأدعياء لأنهم لا يتبصرون ولا يبنون مواقفهم على ثوابت العقيدة، فتوجههم الروايات المكذوبة والمطالب المغلوطة، وتستميلهم المكاسب والمناصب والمنافع، ويخضعون لأصحابها فيداهنون باطلهم على حساب الحق والأمانة، فتستوي في موازينهم السنّة النبوية والردة الرافضية.

وهذه المسائل وغيرها تقود إلى التساؤل عن مصدر ضعف الولاء للسنّة، وأسباب انتشار الفكر الغوغائي الذي لا تضبطه قواعد ولا توحده مخاطر؟! وهذا ما تشترك فيه مجموعة من العوامل منها غياب الكتابات الهادفة إلى تغذية الولاء للسنة النبوية والغيرة عليها!! وضعف المناعة أمام بهتان وإفك الرافضة المنظم ضد السنّة ورموزها في كثير من مصادر التاريخ والأدب الإسلامي، ومن ذلك كتب المسعودي واليعقوبي وابن أعثم الكوفي والأغاني وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ومن نسج على منوالهم بالحقد أو بالجهل في عامة كتب التاريخ والأخبار والآداب، ولعل من أخطر ذلك الكثير من روايات تاريخ ابن جرير الطبري، الذي يمتلئ محتوى كتابه بما لا يمكن إخفاؤه من النزعة الرافضية واللوثة الشعوبية التي لا مسوغ لها ولا يمكن الاعتذار عنها بوجه من الوجوه المعتبرة، وأن الزعم بأنه يورد السند لا يعد عذرًا علميًّا؛ لأن عامة تلك الأسانيد فاسدة وتناقض الكتاب والسنّة وما فيهما من تزكية للصحابة الذين أجمعت الأمة على عدالتهم، ومما يزيد ذلك بلاء أن الطبري ثقة في كتاب التفسير، فكيف امتلأ كتاب التاريخ بالمغالطات والروايات الرافضية؟! التي زادت العبء وخلطت الحابل بالنابل، ومهما كانت الأسباب التي جعلت **تاريخ الطبري** يخرج بهذه الصورة العبثية المستهدفة لرموز السنّة وثوابتها في كثير من زواياه، فإنه لا بدّ من التحذير من الاستسلام لما فيه من روايات تطعن في الصحابة، والتحذير يشمل ما في كتاب **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ولكل كتاب اعتمد على رواة الرافضة في **تاريخ الطبري** وجعله مرجعًا له دون مناقشة ما فيه من أوهام وأباطيل وبهتان، أسهم إسهامًا واسعًا في هذا الفهم المغلوط لعامة أحداث وتاريخ صدر الإسلام، مما يؤكد الحاجة الماسة لمعالجة هذا السِّفر الكبير معالجة علمية شافية تفرز السمّ عن الدسم، وتعود على الهوية الإسلامية بما ينمي الانتماء ويؤصل الولاء

ويبني الأمة ويؤكد أخوة أهل السنة ووحدتهم ومصيرهم المشترك في كل عصر ومصر... هذا والله أعلم.

تم الكتاب وربنا محمود   وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته   ما ناح قمري وأورق عود

على يد أقلّ عباد الله وأحوجهم إليه غفر الله له ولوالديه، ولكل من قرأ في هذا الكتاب ونافح عن الأصحاب رضي الله عنهم سائلًا الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به المؤمنين، ويُذكر الغافلين، ويوقظ النائمين، ويوحد المتخاصمين من أهل السنّة أجمعين، ويجعله ذخيرة لي عنده يوم الدين، تنير قبري وتثقل ميزاني، وأستغفر الله الكريم وأتوب إليه من كل خطأ وزلل وجهل وشطط وهوى.



المراجع والمصادر

المراجع:

* **ابن الأثير:** أبو الحسن علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ ١٢٣٢م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحة (بلا، ط) بيروت، دار المعرفة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الكامل في التاريخ، مراجعة نخبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.
- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.

* **ابن أحمد:** عبد الله بن أحمد بن حنبل، ت،٢٩٠هـ/ ٩٠٣م.

- السنّة: تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الدمام، ط ١، دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ.

* **الأصبهاني:** أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م.

- معرفة الصحابة، تحقيق: محمد راضي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق: علي محمد الفقيهي، المدينة المنورة، ط ١، مكتبة دار العلوم والحكم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **الأمير الصنعاني:** محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م.

- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المدينة المنورة، المكتبة السلفية.

* **الآلوسي:** شهاب الدين السيد محمود، ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٦٤م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

* **البخاري:** محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

- الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- خلق أفعال العباد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. الرياض، دار المعارف السعودية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- التاريخ الكبير، تحقيق: محمد الأزهر، بلا، ط، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

* البزار: أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي البزار، ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م.
- البحر الزخار: بيروت، المدينة: تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن، ط١، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ.

* البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا. بيروت، ط ٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.
- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الشيخان وولداهما، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أنساب الأشراف: بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م.
- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بلا، ط، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: سيد كسروي حسن. بيروت، دار الكتب العلمية، بلا، تا.
- شعب الإيمان، بيروت، تحقيق: محمد بسيوني زغلول. ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- دلائل النبوة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. تحقيق: عبد المعطي قلعجي.

* التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.
- مشكاة المصابيح، تحقيق: ناصر الدين الألباني. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

* الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.

* **ابن الجوزي:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي، ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، ط ١، دار صادر، ١٣٥٨هـ.
- تلبيس إبليس، تحقيق: د. السيد الجميلي، بيروت، ط ١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعجي. بيروت، ط ٢، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المدهش: بعناية: عبد الكريم محمد منير تتان، خلدون عبد العزيز مخلوطة. دمشق، ط ١، دار القلم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

* **الحاكم:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م.
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* **ابن حبان:** محمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البُستي، ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الثقات: تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. ط ١، دار الفكر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **ابن حبيش:** عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف، ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م.
- الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الكائنة في أيام الخلفاء الثلاثة الأول، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* **ابن أبي الحديد:** عبد الحميد بن هبة الله بن محمد أبو حامد، ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.
- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل(بلا، ط) ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **الحربي:** إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م.
- غريب الحديث: تحقيق: د. سليمان العايد، ط ١، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.

* **ابن حمزة:** إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الدمشقي، ت ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م.
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ.

* **الحميدي:** عبد الله بن الزبير القرشي، ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤م.
- مسند الحميدي: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، القاهرة، دار الكتب العلمية.

* **ابن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م.
- المسند: تحقيق: أحمد شاكر، بلا، ط، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله عباس. بيروت، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **ابن خزيمة:** محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

* **الخطيب البغدادي:** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.
- الكفاية في علم الرواية: تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.
- موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، ط ١، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ.

* **الخطيب القزويني:** أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر.
- الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ط ٤، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.

* **الخلال:** أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م.
- السنّة: الرياض، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط ١، دار الراية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

* **ابن خياط:** خليفة بن خياط شباب العصفري، ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤ م.
- طبقات خليفة، تحقيق: د. أكرم العمري، الرياض، ط١، دار طيبة، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

* **الدارقطني:** علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م.
- سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

* **الدارمي:** عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م.
- سنن الدارمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ط ١، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

* **أبو داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م.
- سنن أبي داود: دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

* دحلان: أحمد زيني دحلان، ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م.
- السيرة النبوية والآثار المحمدية، بهامش السيرة الحلبية، بلا، ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.
* ابن دريد: محمد بن الحسن الأزدي، ت٢٣١هـ.
- الاشتقاق: تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة المثنى، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م.
- من عاش بعد الموت، تحقيق: محمد حسام بيضون. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ.
* الديلمي: أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، ت ٥٠٩ هـ/ ١١١٥م.
- الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية. ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.
* الذهبي: شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط ١، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. (ط ٩) مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (بلا، تا).
- المنتقى من منهاج الاعتدال، تحقيق: محب الدين الخطيب، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* الرازي: فخر الدين بن محمد بن عمر الرازي، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م.
- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
* الزبيري: المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، ت ٢٣٦هـ.
- نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، ط ١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
* الزنجاني: محمود بن أحمد الزنجاني أبو المناقب، ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.
- تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد أديب صالح، بيروت، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ.

* **الزيلعي:** جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الرياض، ط ١، دار ابن خزيمة ١٤١٤هـ.
* **الإسفراييني:** طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* **الساعاتي:** أحمد عبد الرحمن البنا المعروف بالساعاتي.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، ط.
* **السبكي:** أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.
- فتاوى السبكي: بيروت، دار المعرفة، بلا، تا.
* **ابن السري:** هناد بن السري الكوفي، ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م.
- الزهد: تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار، ط ١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ.
* **ابن سعد:** محمد بن سعد بن منيع البصري، ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م.
- الطبقات الكبرى، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي، ط ١، بيروت، دار التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
* **سعيد بن منصور:** سعيد بن منصور الخراساني، ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م.
- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
* **ابن سلام:** أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ/ ٨٢٨م.
- غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد، بيروت: ط ١، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ.
* **السهيلي:** عبد الرحمن بن أحمد الخثعمي، ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م.
- الفرائض وشرح آيات الوصية، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، بيروت، تحقيق: مجدي منصور الثوري. دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.
- تاريخ الخلفاء: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.

* **ابن سيد الناس:** فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط ٢، بيروت، دار الجيل، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

* **الشاطبي:** إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي. ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م.
- الإفادات والإنشادات: تحقيق: محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

* **الشافعي:** عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي، ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* **ابن شبة:** عمر بن شبة النمري البصري، ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م.
- تاريخ المدينة المنورة: تحقيق: علي دندل وياسين بيان، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* **الشوكاني:** محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر.

* **ابن أبي شيبة:** عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، ت ٢٣٥هـ/ ٨٣٩م.
- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

* **الصالحي:** محمد بن يوسف الصالحي، ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عبد العزيز عبد الحق حلمي، القاهرة مطابع الأهرام، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **الصنعاني:** أبو بكر عبد الرزاق بن همّام، ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م.
- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي ط ٢، ١٤٠٣هـ.

* **ابن طاهر المقدسي:** محمد بن طاهر المقدسي، ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م.

- ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي. الرياض: ط ١، دار السلف، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

* **الطبراني:** أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت ٣٦٠هـ/ ٨٧٣م.

- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط ٢، الموصل، مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- الروض الداني «المعجم الصغير» تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. ط ١، بيروت، عمّان، المكتب الإسلامي، دار عمار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **الطبري:** محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

- تاريخ الطبري، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

* **الطحاوي:** ابن أبي العز الحنفي.

- شرح العقيدة الطحاوية، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.

* **ابن أبي عاصم:** أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م.

- الزهد، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ، ط ٢، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ.

* **ابن أبي عاصم:** عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م.

- السنّة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط، ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

* **ابن عبد البر:** أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي. بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ.

* **ابن عبد ربه:** أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م.

- العقد الفريد: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* **ابن عبد الوهاب:** محمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م.

- مختصر السيرة: تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب. الرياض، ط ١، مطابع الرياض.

* **ابن العربي:** محمد بن عبد الله المعافري المالكي، ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م.

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١. بلا، تا.

* **ابن عساكر:** علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله، ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري. بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، بيروت، ط ٣، دار الكتاب العربي.

* **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة، ط ٢، المطبعة السلفية، ١٤٠١هـ.

- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، بيروت، ط ٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري السعودية، ط ١، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، ط ١، دار الجيل، ١٤١٢هـ

- تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* **ابن العماد:** عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.

* **ابن عيسى:** أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ت ١٣٢٩هـ.

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تحقيق: زهير الشاويش. بيروت، ط ٣، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

* **العيني:** بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.

* **الغزنوي:** جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي.
- أصول الدين، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، بيروت، ط ١، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
* **القاري:** علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري.
- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، بيروت، دار الفكر (بلا).
* **ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٩م.
- تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار. بيروت، دار الجيل، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م
* **ابن قدامة المقدسي: موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م.**
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. الكويت، ط ٢، الدار السلفية، ١٤٠٦هـ.
* **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م.
- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة، ط ١، دار الحديث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
* **القزويني:** عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني.
- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، بيروت، الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
* **القلقشندي:** أحمد بن علي بن عبد الله، ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨١م.
* **ابن القيم:** شمس الدين بن محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، ط ١، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله. ط ٣، الرياض، العاصمة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. بيروت، الكويت، ط ١٤، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
* **الفسوي:** أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م.
- المعرفة والتاريخ، ، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* **الفيروز آبادي:** مجد الدين محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م.
- القاموس المحيط، إعداد: عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* **ابن كثير:** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م.
- البداية والنهاية: بيروت، مكتبة المعارف، ط ٦، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط ٢، بيروت، دار الفكر.
* **الكلاعي:** سليمان بن موسى الأندلسي، ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م.
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط ١، بيروت، عالم الكتب ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* **اللالكائي:** هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد سعد حمدان الغامدي، ط ٣، الرياض، دار طيبة، ١٩٩٤م.
* **ابن ماجه:** محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م.
- سنن ابن ماجه، بيروت، دار الفكر، تحقيق: صدقي العطار، بلا، ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* **مالك بن أنس:** مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.
- موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
* **المحب الطبري:** أبو جعفر أحمد بن عبد الله، ت ٦٩٤هـ - ١٢٩٥م.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، بيروت، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
* **المزي:** جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م.
- تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
* **المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.
* **مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

* **المقدسي:** أبو القاسم علي بن بلبان المقدسي، ت ٦٨٤هـ.
- تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصدّيق، تحقيق: محيي الدين مستو، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* **المقدسي:** المطهر بن طاهر المقدسي، ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م.
- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
* **المقريزي:** أحمد بن علي المقريزي، ٨٤٥ هـ.
- إمتاع الأسماع، تحقيق: محمود محمد شاكر، إدارة الشؤون الدينية، قطر.
* **ابن معين:** يحيى بن معين أبو زكريا، ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م.
- تاريخ ابن معين (رواية الدوري) تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مكة المكرمة، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* **ابن مفلح المقدسي:** محمد بن مفلح المقدسي، ت ٧٦٣هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، مصر، ط ١، ١٩٩٩م.
* **المناوي:** عبد الرؤوف المناوي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، ط، ١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
* **المنذري:** عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
* **النسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م.
- السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، بيروت، ط ١، الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* **ابن منظور:** محمد بن مكرم الإفريقي، ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.
- لسان العرب: تنسيق وتعليق مكتب تحقيق التراث، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* **الهندي:** علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، ت ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
* **النووي:** أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، ، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، ، ط ١، دار الكتب العلمية، (بلا، تا).

* **ابن هشام:** عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف. بيروت، ط ١، دار الجيل، ١٤١١هـ.
* **الهيثمي:** علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
* **الهيتمي:** نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م.
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، لبنان، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* **الواقدي:** محمد بن عمر بن واقد، ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م.
- كتاب المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م.
* **ياقوت:** ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
* **اليعقوبي:** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م.
- تاريخ اليعقوبي: بيروت، دار صادر، بلا، تا.
* **أبو يعلى:** أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.
- مسند أبي يعلى: تحقيق: حسين أسد. دمشق، ط ١، دار المأمون، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

المصادر:

* **الألباني:** محمد ناصر الدين الألباني
- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
* **باسلامة:** حسين عبد الله باسلامة.
- خلافة أبي بكر الصديق، جدة، ط ١، تهامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* **الباكستاني:** شبير أحمد محمد علي الباكستاني.
- عصر الصديق، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* **جمال ووفاء:** جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة.
- استخلاف أبي بكر الصديق، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* **بيضون:** إبراهيم بيضون.
- الأنصار والرسول ﷺ إشكاليات الهجرة في الدولة الإسلامية الأولى، بيروت ط ١، معهد الإنماء العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* **الحكمي:** حافظ بن أحمد الحكمي.
- معارج القبول، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
* **الخطيب:** محب الدين الخطيب.
- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة، ط ١٠، ١٤١٠هـ.
* **الخليفة:** حامد محمد الخليفة.
- مهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة في عصر الرسول ﷺ، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية، دمشق، ط١، دار القلم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الأنصار في العصر الراشدي، سياسيًّا، عسكريًّا، فكريًّا، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، دمشق، دار القلم، طبعة دار القلم الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
* **الدليمي:** طه حامد الدليمي.
- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل (صورة عن الأصل).
* **الدمشقي:** طاهر الجزائري.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
* **الزرقاني:** محمد عبد العظيم الزرقاني.
- مناهل العرفان، تحقيق: أحمد بن علي. القاهرة، دار الحديث (بلا، ط) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
* **الشافعي:** عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي.
- الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء؟ مصر، مكتبة الإمام البخاري، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
* **الشرقاوي:** عبد الرحمن الشرقاوي.
- الصدّيق أول الخلفاء، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٧م.
* **الطنطاوي:** علي الطنطاوي.
- أبو بكر الصديق، السعودية، دار المنارة، ط ٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* **الصلابي:** علي محمد محمد الصلابي.
- أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان، الإسكندرية، (بلا، تا).

* **عبده:** الشيخ محمد.
- كتاب شرح نهج البلاغة، مراجعة علي أحمد حمود، بيروت المكتبة العصرية (بلا، ط) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
* **العظم:** رفيق العظم.
- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، بيروت، ط ٦، دار الرائد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* **العظم:** يوسف العظم.
- تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

العقاد: عباس محمود العقاد.
- عبقرية الصدّيق رضي الله عنه، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.
* **العمري:** عبد العزيز إبراهيم العمري.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط ١، ١٤٠٩هـ.
* **الغزالي:** محمد الغزالي.
- فقه السيرة، تخريج الأحاديث، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، دمشق دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* **مال الله:** محمد مال الله.
- موقف الخميني من أهل السنة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* **الموسوي:** حسين الموسوي.
- لله ثم للتاريخ، كشف الأستار عن الأئمة الأطهار.
* **الندوي:** أبو الحسن علي الندوي.
- المرتضى: سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، دمشق، ط ١، دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
* **هارون:** عبد السلام هارون.
- تهذيب سيرة ابن هشام، مصر، مكتبة السنة، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

مصادر أخرى:

* **الجزائري:** نعمة الله الجزائري ت ١١١٢هـ.
- الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

* **الصدوق:** أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي، ت ٢١٨ هـ.
  - علل الشرائع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
* **الطبرسي:** أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس.
  - الاحتجاج: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
* **النعماني بن أبي زينب:** محمد بن إبراهيم النعماني.
  - الغيبة، بيروت، مؤسسة الأعلمي.



فهرس الموضوعات

الموضوع | رقم الصفحة

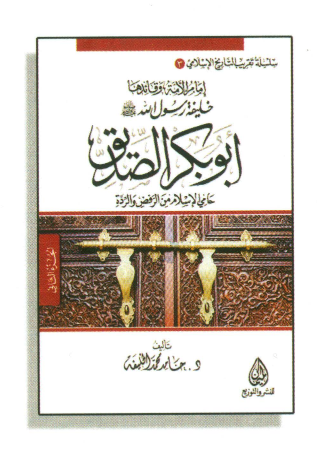
**الموضوع		رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة





هذا الكتاب

جهد مشكور لمؤلف من حماة الإسلام في العصر الحديث يحمل هموم الدعوة وما يكتنفها من تحديات معاصرة متمثلة في حملات التشكيك التي ينفث سمها أعداء الإسلام من الروافض ومبغضي صحابة رسول الله ﷺ من أجل تضليل شباب الأمة والتلبيس على نشئها في عقيدتها ومواريثها.

ومن ثم اجتهد مؤلف هذا الكتاب في وضع فهم صحيح وفقه واعٍ وعلم مستنير لسيرة إمام الأمة وقائدها وخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وفق دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج تثمر رسوخ العقيدة في القلوب وتسرج المصابيح التي تنير لأمتنا طريقها نحو المستقبل بكل تداعياته.

إن قراءة سيرة أبي بكر الصدِّيق – رضي الله عنه – من خلال هذا الكتاب القيِّم ستضع على طريق الأمة الإسلامية علامات وصوًى نهتدي بها ونخرج من مشاكلنا التي تحيط بنا من كل جانب ، وتأتينا من كل حدَب وصوب.

الناشر

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)
ISBN 978-9960-686-64-6
32014
9 789960 686646



للنشر والتوزيع

دار الميمان للنشر والتوزيع
www.arabia-it.com
info@arabia-it.com

يطلب هذا الكتاب من:
المملكة العربية السعودية – الرياض
هاتف: ٤٦٢-٧٣٣٦ ١ (٩٦٦)٠٠
فاكس: ٤٦١-٢١٦٣ ١ (٩٦٦)٠٠